تاريخ نجد

المسمى

روضة الأفكار والأفهام

لمرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام

تأليف

الشيخ الإمام وعلم الهداة الأعلام

حسين بن غنام

رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه بفضله دار كرامته

ومشائخه والمسلمين آمين

الجزء الأول

الطبعة الأولى

١٣٦٨ هـ - ١٩٤٩ م

على نفقة

الشيخ عبد المحسن بن عثمان أبابطين

صاحب المكتبة الأهلية — بالرياض نجد

شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى خلق من الماء بشرا وجعله نسبا وصهرا وكان ربك قديرا الذى خلق كل شىء فقدره تقديرا ، وتبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تنفى من القلب رينا وحورا وأشهد أن محمدا عبـــده ورسوله الذى ببعثته نال الشرك رجوما ودحورا ، ونصلى ونسلم على محمد الذى خصصته بأسمى المفاخر والرتب وحبوته بأسنى المآثر والفضل والحسب واصطفيته بالقرب والرسالة دون سائر العرب وكان مشهورا ، بعثته متمما لمكارم الأخلاق وأزلت به عن هذه الأمة الإصر والاغلاق فأشرقت به شمس الهدى فى جميع الآفاق وصار داعيا إلى توحيدك وسراجا منيرا . وأنزلت عليه فى محكم كتابك صريح أمرك وخطابك وما يرتجى به عظيم ثوابك (يا أيها النبى جاهد الـكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم) وكفى بها سعيرا ، فبادر نبى هـــذه الأمة المـكشوف به عنهم الغمة إلى فعل هذه المهمة وشمر عن ساعد الجد فيها تشميرا ، فأسرع فى الامتثال ونصب راية الجهاد والقتال حتى أباد ذوى الشرك والضلال وجاهدهم به جهادا كبيرا ، وعلى أزواجه وأصحابه وجميع أنصاره وأحزابه وتابعى نهجه وأحبابه وأهل بيته الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا .

أما بعد، فإن الله تعالى بعث نبيه الـكريم بالشرع الواضح القويم والمنهاج اللائح المستقيم ملة أبينا إبراهيم وكان إذ ذاك ظلام الشرك مستطيرا ، وقد عكف جميع الأنام على عبادة الأوثان والأصنام واندرست حنيفية الخليل عليه السلام وجدّوا فى عبادة من لا يملك لهم ضرا ولا نفعا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا ، فقام عليه الصلاة والسلام بأعباء الرسالة وأزاح حنادس الجهالة وأتاح الهلاك أولى الضلالة فدعوا عند ذلك ويلا وثبورا ورفع قواعد التوحيد وشاد وخفض منار الـكفر وأباد وجزم أهل الغى والفساد وأعلى كلمة الحق بين العباد ونشر فى الآفاق علم الجهاد فلم يزل ولله الحمد مرفوعا منشورا وأيده بآيات واضحات شهيرة ومعجزات باهرات منيرة وقواطع لأعدائه مبيرة وأعظمها القرآن

الذى رجعت عن معارضة سورة منه أبصار البلغاء خسيئة حسيرة (قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا) فأكمل الله تعالى لأمته الدين ودحض ببرهانه حجج المبطلين وأسفرت به وجوه الموحدين وازدادت قلوبهم بآياته تنويرا فوردوا من زلاله سلسبيلا ، وشربوا من سلساله كؤوسا كان مزاجها زنجبيلا ، ولم يسلكوا غير هديه سبيلا لما ألفوه منهلا نميرا (وسقاهم ربهم شرابا طهورا) فلم يزل صلى الله عليه وسلم صاعدا على منيف ذلك المعراج سالكا شريف ذلك المنهاج مقتحما فيه الحزن والسهل من الفجاج حتى استقام الدين وزال منه الاعوجاج وأقبل الناس يأتونه زمرا وأفواج ، فتمت نعمة الله تعالى وعمّ السرور والابتهاج ونالوا من سعادة الدارين حظا موفورا ، ثم لما اطلع الله تعالى به بدر الهدى وسعده ورفع فى الملأ الأعلى فخره ومجده قبضه إليه واختار له ما عنده فقام بواجب الجهاد خلفاؤه بعده حتى قصموا بمرهفاتهم من كان خوانا كفورا ، فجندوا الأجناد وخفقت راياتهم فى كل بلاد ، فدان لهم كل حاضر وباد فأضحى أصل الكفر مجزوما مكسورا وفتحوا البلدان شرقا وغربا ودوخوا الجبابرة طعنا وضربا وصدقوا البيعة عليهم فعوضهم فى جناته حدائق غلبا (لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا) فلم يبرح بعدهم ذلك الأثر يجاهد من أشرك بالله وكفر حتى عفى رسمه ودثر بعد أن كان منهجا مأثورا وتطاولت عليه الأحوال والسنين وتكررت عليه الأعوام حينا بعـــد حين وهو إذ ذاك فى الرمس رهين ولم يكن محياه يستبين حتى أحياه إمام الموحدين ورأس العلماء العاملين وعزة الأئمة المحققين الشيخ محمد بن عبد الوهاب فصار بآثاره معمورا فجرد رحمة الله عليه القواضى القواضب وجاهد وعصابته كل ضال ملحد محارب حتى أنجح الله تعالى له المـآرب وحقق له ما رام من المطالب وراضت جزيرة العرب للتوحيد بعد أن كان كل من سكانها عنه هارب فدانوا بذلك توفيقا وتسخيرا فكانت أعلامهم فى غالب البلدان خافقة وشموس سعدهم فى الآفاق شارقة وأسنتهم بين التوحيد والشرك فارقة وجياد أبطالهم إلى الجهاد سابقة حتى محقوا جميع البدع والأهواء إزالة وتغييرا وسطروا آيات الرشد تسطيرا فأفازوا بالغاية والمرام وحازوا من الفخر أعلى مقام حيث قاموا بذروة الإسلام وأصبح جندهم على جنود الأعداء منصورا .

هذا ، ولما كانت منزلة العلم أعظم المنازل والتحلى بحلاه من أفخم الفضائل لاسيما

للأفاضل والأماثل ومرتبته أرفع المراتب عند الأواخر والأوائل (ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا) وكان من أسناها شأنا وفخرا وأسماها رتبة وذكرا وأرفعها منصبا وقدرا وأنفعها عند الله تقربا وحضورا علم الحديث والأثر ومعرفة التواريخ والسير كما نص عليه أرباب الفن والنظر إذ فيه لمقتضيه عبرة من أجلّ العبر تزيد اللبيب تحقيقا وتبصيرا ونشره فى المجالس والمحافل ودرسه فى البكر والأصايل وسيلة من أنفع الوسائل إلى التأسى بالمجاهدين فينال مع الأجر قبولا وتوقيرا فيقتفى السامع آثارهم إذا سبر أخبارهم وعرف أنهم بذلوا — رغبة فيما عند الله — أعمارهم فبشرهم بنعمته وفضله تبشيرا ، أردت أن أصنف فيما أشرق ضياؤه وانتشر وشاع فى غالب الأقطار واشتهر من الغزوات التى هى فى محيا الدهر كالغرر والفتوحات الإسلامية التى مبدؤها العقد السادس من القرن الثانى عشر فرأيت العوم فى تياره خطيرا وركوب زاخر أمواجه حظيرا كيف وقد أرسيت فى مقام الغربة ؟ وهى كما قيل كربة أىّ كربة ومفارقة الوطن على النفوس صعبة وتحققته أمرا عسيرا ولكنّ داعى النفس لذلك كثيرا والإمام أيده الله تعالى يعزم على فى ذلك ويشير حتى بدا طالع الإقبال والسعد والبشير إثر ما كنت فى ذلك الشأن أستخير فشرعت فيه حتى أتقنته تصحيحا وتحريرا وتلقنت تلك المغازى ممن حوى فى الصدق رياسة وتصديرا ولم أذكر فى هذه الغزوات المسطورة والسير المقررة المزبورة إلا الكبيرة الواضحة المشهورة وهجرت ما ليس واضحا وشهيرا وذكرت بعض حوادث السنين مما هو مستفيض من المسلمين خصوصا بلدان الموحدين وذكرت وفاة بعض الأعيان ممن كان بالدين مذكورا وتركت من ليس منهم معروفا ولا مسبورا ورتبته فى كتاب وخمسة فصول لأنه أقرب إلى التناول والوصول وأسرع إلى المراد فى المحصول واخترت أن تكون فيه الفصول صدورا .

الفصل الأول : فى بيان ماجرى فى تلك الأزمان من الشرك والضلال والطغيان فى نجد والحسا وغيرهما مما يليهما من البلدان .

الفصل الثانى : فى بيان نسب الشيخ ومبدإ أمره وما جرى عليه فى قيامه بتلك الدعوة من أهل مصره وما صادمه من علماء عصره .

الفصل الثالث : فى سرد بعض رسائل أرسلها إلى بعض البلدان وإلى بعض خواص الإخوان .

الفصل الرابع : فى ذكر شئ من المسائل التى سئل عنها فأجاب وتركت كثيرا منها لئلا يطول الكتاب .

الفصل الخامس : فى ذكر بعض كلامه على القرآن وما فتح به عليه فى متفرق الآى من البيان وجعلت الكتاب لغزوات الأصحاب ذوى التوحيد والإسلام وجعلتها على ترتيب السنين والأعوام ليسهل تناوله على ذوى الأفهام ولكونها مترتبة وقوعا وصدورا فلما انجلى عن نور بدره غمامه وتفتحت عن نور زهره أكمامه وأشرقت بحسنه البديع أيامه وحلت عقوده منها صدورا ونحورا . وسميته :

(روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوى الإسلام)

لحسن ولله الحمد ختاما وظهورا فهو مثل تاريخ تصنيفه غريب كما يقضى به الألمعى الأريب ويشهد به اللوذعى الأديب ولا عبرة بمن كان حاسدا أو غيورا ثم إنى أسأل من تنزه فى رياضه الأبصار وأورد معين حياضه الأفكار أن لا يبادر إلى الاعتراض والإنكار ويوارى منه هفوة وعثورا ويطالعه بعين الإنصاف والإجلال ويصلح ما رأى به من اختلاف واختلال فهذا شأن ذوى الكمال ، ولا يعجل إذا ألفى تقصيرا أو قصورا والله أرجو أن ينقيه من درن الرياء والإعجاب ويبقيه على سنن الحق والصواب وينيل به جزيل الثواب ويجعله سعيا مشكورا وعملا مبرورا ويعفو عما طغى به القلم واللسان ويقابله بالقبول والرضوان ويثيب عليه فى رفيع الجنان ولدانا وحورا .

الفصل الأول

فى بيان ماجرى فى تلك الأزمان من الشرك والضلال والطغيان فى نجد والحساء وغيرهما مما يليهما من البلدان

فنقول : كان غالب الناس فى زمانه متضمخين بالأرجاس متلطخين بوضر الأنجاس حتى قد انهمكوا فى الشرك بعد حلول السنة المطهرة بالأرماس وإطفاء نور الهدى بالانطماس بذهاب ذوى الأبصار والبصيرة والألباب المضيئة المنيرة وغلبة الجهل والجهال واستعلاء ذوى الأهواء والضلال حتى نهجوا فى تلك الطرائق منهجا وعرا ونبذوا كتاب الله تعالى وراءهم ظهرا وأتوا زورا وبهتانا وهجرا وزين لهم الشيطان أنهم ينالون بذلك أجرا ويحوزون به عزا وفخرا فأركبهم على مراكب الأسلاف قسرا وامتطوا كواهلهم فى ذلك السنن قهرا وحسن لهم أن الآباء بحقيقة الحق أدرى وأنهم بنهج

منهج الشريعة أحرى فعدلوا إلى عبادة الأولياء والصالحين وخلعوا ربقة التوحيد والدين فجدوا فى الاستغاثة بهم فى النوازل والحوادث والخطوب المعضلة والكوارث وأقبلوا عليهم فى طلب الحاجات وتفريج الشدائد والكربات من الأحياء منهم والأموات ، وكثير يعتقد النفع والإضرار فى الجمادات كالأحجار والأشجار وينتابون ذلك فى أغلب الأزمان والأوقات .

ولم يكن لهم إلى غيرها إقبال ولا التفات فهم على تلك الأوثان عاكفون ولها فى أكثر الأحايين ملازمون (نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون) لعب بعقولهم الشيطان وأخذ بهم منهج الخسران حتى ألقاهم فى قعر الهوان (فلجوا فى طغيانهم يعمهون) تسنموا من الأهواء أسمى فنن وأتوا من الضلال أنمى فتن ورفضوا والله أسنى سنن (الحمد لله الذى خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون) أحدثوا من الكفر والفجور والإشراك بعبادة أهل القبور وصرف الدعاء لهم والنذور (ومن يدع مع الله إلها آخر لا برهان له به فإنما حسابه عند ربه إنه لا يفلح الكافرون) شرع لهم شياطينهم (من الدين مالم يأذن به الله) وجعلوا لغيره ما لا يجوز صرفه إلى سواه وزادوا على أهل الجاهلية فقد كانوا لا يدعون إذا مسهم الضراء إلا إياه ، وإذا ركبوا فى الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون . ملئوا قلوبهم له بالوجد والمحبة وبذلوا أعمارهم وألسنتهم فى دفع من أبدى لهم مسبة ولم يشتغلوا بالله وكفى لعبده به رغبة وليتهم سووا بينهم فى المحبة والطلبة (تالله إن كنا لفى ضلال مبين . إذ نسويكم برب العالمين . وما أضلنا إلا المجرمون) وكانت هذه المحبة فى سويداء القلب سارية وعلى صفحة الوجه واللسان بادية وأفعال الشرك فى غالب الأقطار جارية (وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون) وقد حدث الغى والإضلال والإسراف ووقع التغيير فى الدين والاختلاف من زمان قديم من غير خلاف وجاء بعدهم من اعتقد أن الدين هو ذلك الضلال والإسراف لأنهم وجدوا عليه الآباء والأسلاف (وكذلك ما أرسلنا من قبلك فى قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون) وقد نص عليه كثير من العلماء الأعلام فى كتبهم المصنفة فيما حدث من البدع والحوادث من الأنام وما غير من منار الدين والإسلام (ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون) وكان أكثر الناس على دعوة الأولياء والصالحين الأحياء منهم والميتين مجدين مجتهدين

وبالاعتقاد المحض فيهم مفتونين (وقال الله لا تتخذوا إلهين اثنين إنما هو إله واحد فإياى فارهبون) أيدعى من لايملك لنفسه نفعا ولا يصرف عنها من السوء دفعا ويترك مدبر الخلائق إعطاء ومنعا (وما بكم من نعمة فمن الله ثم إذا مسكم الضرفإليه تجأرون) فغدوا عليها فى قضاء الحاجات وراحو وابتهلوا لديهم فى ذلك وباحوا وأحلوا ماحرم الله واستباحوا (قل إنما حرم ربى الفواحش ماظهر منها وما بطن والإثم والبغى بغير الحق وأن تشركوا بالله مالم ينزل به سلطانا وأن تقولوا على الله مالاتعلمون) وكان فى بلدان نجد من ذلك أمر عظيم والكل على تلك الأحوال مقيم ، وفى ذلك الوادى مسيم (حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون) وقد مضوا قبل بدوّ نور الصواب يأتون من الشرك بالعجاب وينسلون إليه من كل باب ويكثر ذلك منهم عند قبر زيد ابن الخطاب فيدعونه لتفريج الكرب بفصيح الخطاب ويسألونه كشف النوب من غير ارتياب (قل أتنبئون الله بما لايعلم فى السموات ولا فى الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون) وكان ذلك فى الجبيلة مشهورا وبقضاء الحوائج مذكورا وكذلك قريوه فى الدرعية يزعمون أن فيها قبورا أصبح فيها بعض الصحابة مقبورا فصار حظهم فى عبادتها موفورا فهم فى سائر الأحوال عليها يعكفون (أإفكا آلهة دون الله تريدون) وكان أهل تلك التربة أعظم فى صدورهم من الله خوفا ورهبة وأنجم عندهم رجاء ورغبة فلذلك كانوا فى طلب الحاجات فهم يبتدون ويقولون (إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون) وفى شعيب غبيرا يفعل من الهجر والمنكر ما لا يعهد مثله ولايتصور ويزعمون أن فيه قبر ضرار بن الأزور وذلك كذب محض وبهتان مزوّر مثله لهم إبليس وصور ولم يكونوا به يشعرون ، وفى بليدة الفدا ذكر النخل المعروف بالفحال يأتونه النساء والرجال ويفدون بالبكر والآصال ويفعلون عنده أقبح الأفعال ويتبركون به ويعتقدون ، وتأتيه المرأة إذا تأخرت عن الزواج ولم تأتها لنكاحها الأزواج فتضمه بيديها بحضور ورجاء الانفراج وتقول يافحل الفحول أريد زوجا قبل الحول ، هكذا صح عنهم القول (وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون) وشجرة الطرفية تشبث بها الشيطان واعتلق فكان ينتابها للتبرك طوائف وفرق ويعلقون فيها إذا ولدت المرأة ذكرا الخرق لعلهم من الموت يسلمون وفى أسفل الدرعية غار كبير يزعمون أن الله تعالى خلقه فى الجبل لامرأة تسمى بنت الأمير أراد بعض الفسقة يظلمها فصاحت ودعت الله فانفلق لها الغار بإذن العلى الكبير

وكان تعالى لها عن ذلك السوء مجير فكانوا يرسلون إلى ذلك الغار اللحم والخبز ويهدون (أتعبدون ما تنحتون ؟ والله خلقكم وما تعملون) وعندهم رجل من الأولياء يسمى تاج سلكوا فيه سبيل الطواغيت فى الانتهاج فصرفوا إليه النذور والدعاء واعتقدوا فيه النفع والضر والإفراج وكانوا يأتون إليه لشأنهم أفواج ويأتى إليهم فى الدرعية من بلده الخرج لتحصيل ماله من النذور والخراج (وإنهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون) وكان لجميع أهل تلك البلدان وسكان تلك الأماكن والأعطان فيه من الاعتقاد أعظم شأن فيخافه كل حاكم وظالم وشيطان ويهاب أعوانه وحاشيته كل إنسان فلا يتعرضون لهم بما يكرهون ويدعون فيه دعاوى فظيعة وينسبون إليه حكايات قبيحة شنيعة ، كانت ألسنتهم لها مذيعة ولبهتانها مشيعة وهم لمينها وزورها مصدقون فيزعمون أنه أعمى ويأتى من بلده الخرج من غير قائد يقوده وغير ذلك من الحكايات التى هى محط رحال المشركين والاعتقادات التى ضلوا بسببها عن الصراط المستقيم وأعرضوا بها عن إخلاص الدعاء لرب العالمين (الذى يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض ، ءإله مع الله قليلا ما تذكرون) .

وأما مايفعل الآن فى الحرم المكى الشريف زاده الله رفعة وتشريفا فهو يزيد على غيره وينيف فيفعل فى تلك البقاع المطهرة المكرمة والمواضع المعظمة المحترمة مايحق أن تسفح عند رؤيته سحائب العيون والأجفان وتزاد لأجله الدموع ولاتصان وتلتهب فى القلب لواعج الأحزان إذا رأى مايصدر فى تلك الأماكن من أولئك العربان من الفسوق والضلال والعصيان وماعرى الدين فيه من الهوان ، فلقد انتهكت فيه المحرمات والحدود ، وكان لأهل الباطل فيه قيام وقعود كما هو الآن مشاهد موجود ، أين قوله تعالى (وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت أن لا تشرك بى شيئا وطهر بيتى للطائفين والقائمين والركع السجود) ويشهد بذلك من رآه ممن كان له قلب سليم (ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب أليم) ولقد تظاهر بذلك فيهم جم غفير وجاهر به بين أظهرهم جمع كثير ، ولم يكن لأهل العلم إزالة ولاتغيير ، بل تألبوا على مصادمة الحق الشهير وراموا إطفاء مصباحه المنير وإخماد ضيائه المستنير ، وحاولوا تغيير محيا الصواب (وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فأخذتهم فكيف كان عقاب. أولم نعمركم مايتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير. فذوقوا فما للظالمين من نصير) فمن ذلك مايفعل عند قبر

المحجوب وقبة أبى طالب وهم يعلمون أنه شريف حاكم متعد غاصب كان يخرج إلى بلدان نجد ويضع عليهم من المال خراجا ومطالب ، فإن أعطى ما أراد انصرف وإلا أصبح لهم معاديا محارب فيأتون قبره بالسماعات والعلامات للاستغاثة عند حلول المصائب ونزول النوب الكوارب وكذلك عند قبر المحجوب يطلبون الشفاعة لغفران الذنوب لأنه عندهم المقرب المحبوب ، فلهذا كانوا من سره يحذرون ، وإن دخل متعد أو سارق أو غاصب مال قبر أحدهما لم يتعرض له أحد من الرجال ولا يخشى معاقبة ولا أنكال ولايتوصل إليه بما يكره ولاينال ، وإن تعلق جان ولوأقل جناية بالكعبة سحب منها بالأذيال فهم فى تعظيمها مفرطون (واتخذوا من دون الله آلهة لعلهم ينصرون . لايستطيعون نصرهم وهم لهم جند محضرون) ومن ذلك مايفعل عند قبر ميمونة بنت الحارث أم المؤمنين رضى الله عنها فى سرف ، وعند قبر خديجة رضى الله عنها فى المعلى مما لايسوغ لمسلم أن يطلق عليه إباحة وحلا فضلا عن كونه يراه قربة يدرك بها أجراً وفضلا من اختلاط النساء بالرجال وفعل الفواحش والمنكرات وارتفاع الأصوات عندهم بالدعوات وحصول الفدية وشهرة الاستغاثات ، وعند قبر عبد الله ابن عباس رضى الله عنهما فى الطائف من الأمور التى تشمئز منها نفس الجاهل فكيف بالعارف فيقف عند قبره متضرعا مستغيثا كل مكروب وخائف ، وينادى أكثر الباعة فى الأسواق من غير نكير ولا زجر على الإطلاق ، ويقول بلهجة قلب واحتراق كثير من أهل الشرك والإبلاس ، وذوى الفقر والإفلاس : اليوم على الله وعليك يا بن عباس ويسألونه الحاجات ويسترزقون (ءأتخذ من دونه آلهة إن يردن الرحمن بضر لاتغن عنى شفاعتهم شيئا ولا ينقذون) . وأما مايفعل عند قبره عليه الصلاة والسلام من الأمور المحرمة العظام من تعفير الخدود والانحناء بالخضوع والسجود واتخاذ ذلك القبر عيدا ، وقد لعن عليه الصلاة والسلام فاعله وكفى بذلك زجرا ووعيدا ، ونهى عن مايفعل عنده الآن غالب العلماء نهيا شديدا وغلظوا فى ذلك تغليظا أكيدا ، فهو مما لايخفى ولاينكر ، وأعظم من أن يذكر فهو فى الشهرة والانتشار كالشمس فى رابعة النهار ، ويكلّ اللسان عما يفعل عند قبر حمزة والبقيع وقبا من ذلك القبيل ويعجز القلم عن بيانه على التفصيل ، ولو لم يذكر منه إلا القليل:

وليس يصح فى الأذهان شئ إذا احتاج النهار إلى دليل

وأما مايفعل فى جدة مماعمت به البلوى فقد بلغ من الضلال والفحش الغاية القصوى ، وعندهم قبر طوله ستون ذراعا عليه قبة يزعمون أنه قبر حوى وضعه بعض الشياطين من قديم وهيئه وسوى يجبوا عنده السدنة من الأموال كل سنة ما لا يكاد يخطر على البال ، ولا يدخل يسلم على أمه كل إنسان إلا مسلما دراهم عاجلا من غير توان أيبخل أحد من اللئام فضلا عن الكرام ببذل بعض الحطام ويدع الدخول على أمه والسلام وعندهم معبد يسمى العلوى ونافوا فى تعظيمه جميع الخلائق وأربوا فى الغلو على تلك الطرائق ، فلو دخل قبره قاتل نفس أو غاصب أو سارق لم يعترض بمكروه من مؤمن ولافاسق، ولم يجسر أحد أن يكون مخرجا له سائق أو إلى المساعدة إليه مسارع مسابق فمن استجار بتربته أجير ، ولم يعرّج عليه حاكم ولا وزير . وفى سنة عشر بعد المائتين والألف اشترى تاجر من أهل جدة شهير من أهل الهند التجار القادمين وأهل الحسا مالا كثير يزيد على سبعين ألف ريال فى التقدير فوقع عليه بعد أيام انكسار وإفلاس وتغيير ولم يكن عنده مايقابل شطر الذى عليه فهرب إليه مستجير فلم يتقدم إليه منهم شريف ولا وضيع ولا صغير ولا كبير ، وترك بيته وما فيه من مال ولم يرزأ فى قليل ولا كثير حتى اجتمع التجار ورأوا له منهج الإنظار والتيسير وجعلوا ذلك عليه نجوما فى سنين على التأخير ، وكان بعض من أهل الدين بذلك الحال مشير . وأما مافى بلدان مصر وصعيدها من الأمور التى ينزه الإنسان عن ذكرها وتعديدها خصوصا عند قبور الصلحاء والعباد من ساداتها وعبيدها كما ذكرها الثقات فى نقل الأخبار وتوكيدها ؛ فيأتون قبر أحمد البدوى وكذا قبور غيره من العباد وسائر ترب المشهورين بالخير والزهاد فيستغيثون ويندبون ويعجلونهم بالامداد ويستحثونهم على زوال المصيبة عنهم والأنكاد ويتداولون بينهم حكايات وينسبون عنهم قضيات ويحكون فى محافلهم ماجريات من أفحش المنكر والضلالات فيقولون فلان استغاث بفلان فأغيث فورا فى ذلك الأوان ، وفلان شكا لصاحب ذلك القبر حاله وأمره فأغاثه وكشف عنه ضره ، وفلان شكا إليه حاجته فأزال عنه فقره ، وأمثال هذا الهذيان الذى هو زور وبهتان ، ويصدر هذا الكلام فى تلك البلدان وهى مملوءة بالعلماء من أهل الزمان وذوى التحقيق والعرفان ولايزال ذلك المحظور ولايغار من صدور تلك الأمور ، بل ربما تنشرح منهم له الصدور . وأما مايفعل فى بلدان اليمن من الشرك والفتن قبل هذا

الوقت فى هذا الزمن فأكثر من أن يحسب أو يحصى أو يعد ويستقصى أو يدرك له أقصى ؛ فمن ذلك مايفعله أهل شرقى صنعاء بقبر عندهم يسمى الهادى ، والكل على دعوته والاستغاثة به رائح غادى فتأتيه المرأة إذا تعسر عليها الحمل أو كانت عقيمة فتقول عنده كلمة قبيحة عظيمة فسبحان من لايعاجل بالمعاقبة على الجريمة . وأما أهل بلد برع فعندهم البرعى رجل يرحل إلى دعوته كل ناء عن محله وبلدته ويؤتى إليه من غير إشكال من مسيرة أيام وليال لطلب الإغاثة وشكاية الحال ، ويقيمون عند قبره للزيارة ويتقربون بالذبائح عنده كما حقق أخباره من شاهد حضرته واحتضاره .

وأما أهل الحجرية ومن حذا حذوهم فعندهم قبر يسمى ابن علوان وقد أقبل عليه العامة فى نوايب الزمان واستغاث به منهم كل لهفان فهم يلجئون به فى كل وقت وأوان ويسميه غوغاهم منجى الغارقين كما حكاه بعض السامعين وأغلب أهل البر منهم والبحر يطربون عند سماع ذكره ويستغيثون به وإن لم يصلوا إلى قبره وينذر له فى البحر والبر وعند أهل بلده وتعظيمه مايزيد على الحصر ويفعلون عند قبره السماعات والموالد ويجتمع عنده أنواع من المعاصى والمفاسد فليس فى أقطار اليمن فى هذا الزمن من يساويه فى الاشتهار بل ولا فى سائر الأقطار ولهم فى حضرته أمور يفعلونها ديناو يتوخونها حينا فحينا يطعنون أنفسهم بالسكاكين والدبابيس وقد جعلها لهم عبادة إبليس ويقولون وهم يرقصون وبما يغنيه طربون قد ملأ الوجد منهم ألبابا وذهنا يا سادتى قلبى بكم معنى . وأما حال حضرموت والشحر ويافع وعدن فقد ثوى فيهم الغى وقطن وعندهم العيدروس يفعل عند قبره من السفه والضلال الوبيل مايغنى مجمله عن التفصيل ويقول قائلهم شىء لله ياعيدروس شىء لله يامحيى النفوس . وأما بلدان الساحل فعندهم من ذلك مسائل فعند أهل المخا على بن عمر الشاذلى أكثرهم بدعوته والاستغاثة به قد ابتلى لا تفتر ألسنتهم عن ذكره قعودا وقياما وينتابون تربته وحدانا وقياما . وأما أهل الحديدة فعندهم الشيخ صدّيق أقبل على تعظيمه والغلو فيه كل فريق ، وقد أدى بهم الأمر والحال وأوداهم الشيطان فى هوة الضلال إلى أنه لايمكن أحد يريد ركوب البحر أو يريد منه النزول إلى البر حتى يجىء إليه ويسلم فورا عليه ويطلب منه الإعانة والمدد فيما أراده وقصد . وأما أهل اللحية فعندهم الزيلعى من غير لبس واسمه عندهم الشمس لأن قبره ليس عليه قبة بل مكشوف ، وكان إليه جميع النذر مصروف وهم

فيه أظلم وأجهل وأطغى وفى تعظيمه ودعوته أضل وأبغى . وأهل البادية منهم تؤثر حكاية عنهم وهى أن كان رسولا فى حاجة فأراد أن يدخل بلده والشمس متدلية للغروب ، وكان دخول النهار له مقصود ومطلوب ، فقال للشمس قفى فوقفت وسمعت قوله وامتثلت هكذا ذكر بعض الرجال والله أعلم بحقيقة الحال . وقبر رابعة عندهم مشهور لايحلفون صدق اليمين إلا بها وغيرذلك من الأمور ، وعندهم الطامة العظيمة والمعضلة الجسيمة وهى فى أراضى نجران ومايليها من البلدان وما حولها من الأعراب والبدوان وهو الرئيس المعروف عندهم السيد المتقدم فى رياستهم وسياستهم والمطلق فيهم والمقيد، فلقد أتوا من تعظيمه وتوقيره وتقديمه فى جميع الأمور وتصديره وقبح الغلو فيه والاعتقاد ما أفضى بهم إلى طريقة الضلال والإلحاد ، فصرفوا له من أنواع العبادة سهما وجعلوا فيه للألوهية وسما حتى كادوا أن يجعلوه لله ندا وقسما وكان عندهم بذلك الحال شهيرا فتعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا . وأما ما فى حلب ودمشق وأقصى الشام وأدناه فهو مما لا يوقف له على حد ولم يمكن ضبط أقصاه ولا يعرف قدره ومنتهاه ولو استفرغ الإنسان فى ذلك قصاراه بحسب ما يحكيه من يشاهد ذلك أو يراه من العكوف على عبادة القبور وصرف القربان إليها والنذور والمجاهرة بالفسوق والفجور وأخذ الأمكاس والدستور ووضع الخراج على البغايا من تلك المهور وفى الموصل وبلدان الأكراد وما يليها من سائر البلاد وكذا فى العراق خصوصا المشهد وبغداد مالايحتاج إلى حصر وتعداد فيفعل عند قبر الإمام أبى حنيفة ومعروف الكرخى والشيخ عبد القادر رضى الله تعالى عنهم من الدعاء والاستغاثة بهم ومنهم فى سائر الأوقات والأزمان مالايعرف له صفة ولا شان وتسفح عندهم العبرات والدموع ويحصل من التعظيم والتذلل عندهم والخضوع أعظم مما يصدر بين يدى الله فى الصلاة فى الحضور والخشوع بل كثير ممن فعل ذلك مرارا وجرب ، هم لقضاء الحوائج ترياق مجرب . وأمامشهد على بن أبى طالب رضى الله عنه فقد صيرته الرافضة وثنا يعبد ويدعى بخالص الدعاء دون من ذرأ الخالق وأوجد ويصلى له فى قبته ويركع ويسجد . ولس فى صدور أولئك الضلال وغيرهم من الجهال وذوى الفسق والضلال من التعظيم والهيبة والاجلال لذى الفضل والنوال معشارمافيها لعلى رضى الله عنه من غير إشكال ولا إسراف ولا إفراط فى المقال فتراهم يحلفون الأيمان الكاذبة بالله

ولا يخاف أحدهم مولاه ولا يراقبه سرا وجهرا ولا يخشاه ولا يحلف بعلى كاذبا أبدا يعظم بذلك حماه فلا ينتهك ذلك ويتعداه ويجزمون أن عنده مفاتح الغيب من غير شك قبحهم الله ولا ريب ولهذا يقولون إن زيارته أفضل من سبعين حجة وكفى بما ذكرناه فى خروجهم عن الإسلام حجة وإخراجهم عن واضح السنن والمحجة ، ولقد غلوا فيه وأتوا من الشرك القبيح أعظم مما فعل النصارى بالمسيح سوى دعوى الولدية فلم تصدر من هذه البرية وساووهم أو زادوا عليهم فى غيرها من الخصائل الردية وزخرفوا على قبره الذى يدعونه قبة مذهبة وخالفوا هديه رضى الله عنه ومذهبه ، ولقد كان فى حياته حرق ممن غلا فيه أناس ، فما أغناهم عن انتهاج منهج الضلال والإبلاس ، ومثل ذلك ما يفعل من الشرك والمنكر والشين عند مشهد الكاظم ومشهد الحسين فعندهم من التعظيم لهما والعبادة والوقار والملازمة لذلك بالعشى والإبكار والإقبال على ذلك على سائر الأحوال والإكثار أجل وأكثر مما عندهم لله الواحد القهار ، ولقد شب فيهم على ذلك الكفر وقبيح ذلك المنكر والفجر الرعاع والأطفال وشاب عليه الصغار من الرجال فلا يسمع فى سائر الأحوال بين أولئك السفلة الأنذال والأرذال الضلال ذكر لرب ذى العزة والجلال وإعاديدنهم ذكر على والحسين وبقية الآل . وأما جميع قرى الشط والمجرة فقد لبسوا ثياب الشرك والضلال والمعرّة بل كانوا أهله وأصله ومقره وكذلك ما حول البصرة وما توسط فيها من تلك القبب والمشاهد التى أصبح كل إليها مقبل وقاصد لاسيما قبر الحسن البصرى والزبير رضى الله عنهما فقد طلبوا الفرج منهما وصرفوا لهما من العبادة الدعاء والاستغاثة عند الشدائد وطلبوا منهما جميع الفوائد ، وليس لهذا منكر ولا جاحد سوى ما يصدر وما يشاهد فى تلك البلدان من المنكرات والفواحش والمفاسد ولا يجحد ذلك إلا مباهت معاند . وأما ما فى القطيف البحرين من البدع الرفضية والأمور القبيحة الشركية والمشاهد المعظمة الوثنية وما يفعله أولئك الضلال والأنجاس من الضلال والغى والإبلاس وما يأتونه من الشرك والأرجاس فلا يكاد يخفى على أحد من الناس ويقف دون ساحل إحصائه الإدراك ويقصر عن مقتضاه ونظمه فى هذه الأسلاك ، وما يجحد ذلك إلا كل معتد أفاك ، وإذا رأى أفعالهم كل عارف بالإيمان وشاهده بالروية والعيان تبين له غربة الدين فى هذا الزمان وزاد بصيرة فى دينه وإيقان وجد فى طاعة سيده ومولاه وحمده

على ماخوله وأعطاه وسارع فى خدمته ورضاه ، وبادر إلى القيام بوظائف العبودية فيما أمره ونهاه وأكثر من شكره على مامنحه من فضله وحباه وجعله من حزبه الفائزين الذين هم لديه مقربون (ألا إن أولياء الله لاخوف عليهم ولاهم يحزنون . الذين آمنوا وكانوا يتقون) وتحدّث لدى الناس بنعمة الله وألزم بذلك جنانه ولسانه وفاه ونادى برفيع صوته وفاه (قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون) وسأل ربه ودعاه فهو الذى أنقذه من الضلال وسلك به سبل الهداية ونجاه ، وقال فى الدعاء والمناجاة (رب فلا تجعلنى فى القوم الظالمين . وإنا على أن نريك ما نعدهم لقادرون) صارت الحظوظ الدنيوية والشهوات النفسية لهم هى الغاية والمقصد والمراد وكان ذلك والعياذ بالله هو السر لهم فى الخلق والإيجاد وغفلوا عما فى ذلك من الوعد والإيعاد (من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لايبخسون) ويتأمل العارف الخبير ذو القلب المنور البصير افتراق الجزءين فى المآل والمصير (فريق فى الجنة وفريق فى السعير) (أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لايستوون) .

﴿ فوائد : الأولى ﴾ يجب على كل كيس وهو من دان نفسه وعمل لما بعد الموت أن يهتم بما كلفه الله تعالى ويعتنى بتخليص نفسه قبل الفوت ويدأب فيما يورثها النعيم السرمدى والكرامة فى دار الخلود والمقامة وذلك بتجريد التوحيد لله تعالى والتنصل من الشرك والسلامة ويسعى مشمرا فى إصلاح شأنه وينظر ما وقع من التفرق فى الدين والاختلاف فى أهل زمانه وماجرهم إليه الشيطان باستدراجه لهم وأعوانه حتى أخذ بهم سنن ضلاله وخذلانه وطوّح بهم فى بيداء طرده وهوانه فكرعوا فى حياض الآباء والجدود ورتعوا فى رياض المحرمات والحدود وتدين الأكثر بالبدع والأهواء ورفضوا حبل الله المتين الأقوى وقالوا لا نصل إلى معناه ولا نقوى ورأوا هجره ورفضه هو الغاية القصوى فى التحلى بحلية الورع والتقوى فألقوا من الهوان فى القعر الأهوى وصار ذلك من الله تعالى حتما مقضيا وقدرا مقدورا أزليا وبرهانا لما أخبر به عليه السلام واضحا جليا ، ومصداقا لما وعد به صلى الله عليه وسلم فوعده يكون مأتيا فقد أخبر صلى الله عليه وسلم أن أمته تتبع سنن من كان قبلهم كاليهود والنصارى وفارس والروم كما ثبت ذلك فى الصحيحين وغيرهما من كتب الحديث عن أبى سعيد

الخدرى رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لتتبعنّ سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه ، قالوا يا رسول الله اليهود والنصارى قال فمن ؟ » وخرّج البخارى فى صحيحه عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «لا تقوم الساعة حتى تأخذ أمتى مأخذ القرون قبلها شبرا بشبر وذراعا بذراع ، فقيل يا رسول الله فارس والروم قال : ومن الناس إلا أولئك » فأخبر الصادق المصدوق الذى لاينطق عن الهوى أن أمته تفعل كفعل اليهود والنصارى وهم أهل الكتاب وفارس والروم وهم الأعاجم ، وقد أخبر الله تعالى عنهم أنهم فرقوا دينهم وكانوا شيعا وأنهم عبدوا العجل والطواغيت وآمنوا بالجبت والطاغوت (واتبعوا ماتتلوا الشياطين على ملك سليمان) من كتب السحر (وأنهم قالوا سمعنا وعصينا ـ وقلوبنا غلف) وأنهم كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم وعادوه وأبغضوه بعد معرفته (ونبذوا كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لايعلمون) وأنهم يؤمنون ببعض ويكفرون ببعض ، وأنهم يقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا وأنهم كفروا بدين الرسول صلى الله عليه وسلم بغيا وحسدا للعرب أن خصهم الله تعالى بهذه الفضيلة العظيمة والمنة الجسيمة لأنهم كانوا يستفتحون على كفار العرب بمحمد صلى الله عليه وسلم ويقولون هذا أوان نبى قد أظل زمانه فنتبعه ونقتلكم معه قتل عاد وإرم كما ذكر ذلك بن إسحاق وغيره من أهل السير والمغازى، فلما بعث الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم من العرب وصار أتباعه من العرب كفروا به وأبغضوه بغيا وحسدا (أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده) فلا بد أن يوجد فى هذه الأمة من يفعل فعل اليهود والنصارى وفارس والروم ، وفى حديث الثورى وغيره عن عبد الرحمن بن زياد بن أنعم الأفريقى عن عبد الله بن يزيد عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ليأتينّ على أمتى ما أتى على بنى إسرائيل حذو النعل بالنعل حتى إن كان منهم من أتى أمه علانية كان فى أمتى من يفعل ذلك ، وإن بنى إسرائيل افترقت على ثنتين وسبعين ملة وستفترق أمتى على ثلاث وسبعين ملة كلهم فى النار إلا واحدة ، قالوا : من هى يا رسول الله ؟ قال : ما أنا عليه اليوم وأصحابى » رواه أبو عيسى الترمذى وقال هذا حديث غريب مفسر لا نعرفه إلا من هذا الوجه وهذا الافتراق مشهور عن النبى

صلى الله عليه وسلم من حديث أبى هريرة وسعد بن أبى وقاص ومعاوية وعمرو ابن عوف الأشجعى وغيرهم ، فعن محمد بن عمرو عن أبى سلمة عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « تفرقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة أو اثنتين وسبعين فرقة ، والنصارى مثل ذلك ؛ وتفرقت أمتى على ثلاث وسبعين فرقة » رواه أبوداود وابن ماجه والترمذى ، وقال هذا حديث حسن صحيح ، وعن معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن أهل الكتاب افترقوا فى دينهم على إثنتين وسبعين ملة وإن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين ملة » يعنى أهل الأهواء « كلها فى النار إلا واحدة وهى الجماعة » وقال « إنه سيخرج فى أمتى أقوام تتجارى بهم الأهواء كما يتجارى الكلب بصاحبه فلا يبقى منه عرق ولا مفصل إلا دخله ، والله يا معشر العرب لئن لم تقوموا بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم لغيركم من الناس أحرى أن لا يقوم به » هذا حديث محفوظ من حديث صفوان بن عمر عن الأزهر بن عبد الله الرازى عن أبى عامر عبد الله ابن لحى عن معاوية ، وروى غير واحد منهم أبو اليمان وبقية وأبو المغيرة رواه الإمام فى سننه ، وقد روى ابن ماجه هذا المعنى من حديث صفوان بن عمر عن عوف ابن مالك الأشجعى ويروى من وجوه أخر ، فقد أخبر صلى الله عليه وسلم بافتراق أمته على ثلاث وسبعين فرقة والثنتان والسبعون لاريب أنهم الذين خاضوا كخوض الذين من قبلهم قال الله تعالى (كالذين من قبلكم كانوا أشد منكم قوة وأكثر أموالا وأولادا فاستمتعوا بخلاقهم فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم وخضتم كالذى خاضوا أولئك حبطت أعمالهم فى الدنيا والآخرة وأولئك هم الخاسرون) وقد ذكر أهل التفسير عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال « ما أشبه الليلة بالبارحة هؤلاء بنى إسرائيل شبهنا بهم ، والذى نفسى بيده لتتبعنهم حتى لو دخل الرجل منهم جحر ضب لدخلتموه » وعن ابن مسعود رضى الله عنه « أنتم أشبه الأمم ببنى إسرائيل سمتا وهديا تتبعون أعمالهم حذو القذة بالقذة غير أنى لا أدرى أتعبدون العجل أم لا » وعن حذيفة بن اليمان رضى الله عنه قال : المنافقون الذين منكم اليوم شر من المنافقين الذين كانوا على عهد النبى صلى الله عليه وسلم قلنا وكيف ؟ قال أولئك كانوا يخفون نفاقهم وهؤلاء أعلنوه :

﴿ الفائدة الثانية ﴾ قال شيخ الإسلام أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية فى كتابه [اقتضاء الصراط المستقيم] هذا الاختلاف الذى أخبر به النبى صلى الله عليه وسلم إما فى الدين فقط وإما فى الدين والدنيا معاً ثم قد يئول إلى سفك الدماء وقد يكون الاختلاف فى الدنيا فقط وهذا الاختلاف الذى وردت به هذه الأحاديث هو مما نهى الله تعالى عنه فى قوله سبحانه وتعالى (ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات) الآية، وقوله (إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم فى شىء) وقوله تعالى (وأن هـذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون) ومنشأ هذا الاختلاف من جهة عدم العمل بالعلم كالذى يعرف الحق من الباطل ويميز بينهما ولا يتبع ذلك فعلا ولا قولا ولا عملا. وأما من جهة العمل بلا علم فيجتهد فى أصناف العبادة بلا شريعة من الله ويقول على الله تعالى بلا علم ؛ فالأول من مشابهة اليهود الذين قال الله تعالى فيهم (إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس فى الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون) والثانى من مشابهة النصارى الغالين فى الدين والقائلين فيه غير الحق والضالين عن سواء السبيل، وقد ابتلى الله تعالى طوائف من هذه الأمة من المنتسبين إلى العلم بما ابتلى اليهود وحب الدنيا وإيثارها وكتم الحق فإنهم تارة يكتمون العلم بخلا به وكراهة أن ينال غيرهم من الفضل ما نالوه ، وتارة اعتياضا برياسة أو مال فيخاف من إظهاره انتقاص رياسته أو ماله ، وتارة يكون قد خالف غيره فى مسألة واعتزى إلى طائفة قد خولفت فى مسألة فيكتم من العلم ما فيه حجة لمخالفه وإن لم يتيقن أن مخالفه مبطل ولهذا قال عبد الرحمن بن مهدى وغيره : أهل العلم يكتبون مالهم وعليهم وأهل الأهواء لا يكتبون إلا مالهم؛ وكان السلف رضى الله عنهم ابن عيينة وغيره يقولون إن من فسد من علمائنا ففيه شبه من اليهود ومن فسد من عبادنا ففيه شبه من النصارى انتهى كلامه رحمه الله تعالى، وليس الغرض استيعاب ما وقع من الاختلاف والافتراق واستقصاء ما صدر فيه النزاع والشقاق وما وقعت فيه المشابهة والمضاهاة فهذا يحجم جواد الفهم عن درك أدناه ولا يسع استيفاؤه على الإجمال دون التفصيل لاسيما أن انضم إلى ذلك تحريف التأويل وتأويل التنزيل وإنما القصد من ذلك جلب شذرة يعمل فيها اللبيب فكره ويأخذ منه نذارته وحذره فى هذا الزمان الذى من تمسك

بدينه فيه يكون كالقابض على جمرة فيجب عليه أن يلزم نفسه على ذلك صبره حتى يعظم مولاه له أجره ويتضرع إلى الرحمن الرحيم أن يهديه الصراط المستقيم ويقيمه على السنن القويم (وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم) فقد والله ضخم الأمر وجسم وتفاقم الأمر وعظم وأطلت الفتن وأطلت المحن فى هذا الوقت والزمن وظوهر على الضلال والبدع والكثير إلى منهاجها نزع وقل الاكتراث والمبالاة فى الدين وكثر سواد المبطلين وحكم على غير برهان ويقين بتضليل الدعاة الموحدين وإبطال ما كانوا له متجردين من الدعوة لرب العالمين (قل هذه سبيلى أدعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى وسبحان الله وما أنا من المشركين) هذه دعوة رب الأرباب التى نفت الوسايط دونه الارتياب واستبيحت عندها الأموال والرقاب وافترق الناس فيها بين حلول الجنة وحسن المآب والخلود فى الهاوية دار العذاب المعدة لأعداء الله من الجنة والناس أجمعين (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين) ولا يبعد أن يكون زماننا هذا الموجود داخلا فى جملة الزمان الموعود فأرجو لمن استقام فيه على السنن المحمود أن يجعل الله تعالى له فى العمل أجر خمسين ، كما ورد عن سيد المرسلين (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم من الجنة غرفا تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون) .

﴿الفائدة الثالثة﴾ أطبقت الأمة واتفقت المقالة أن الله تعالى لا يجمع هذه الأمة على ضلالة ولا يعمها بالسفاهة والجهالة، فعصمتها مستمرة إلى انقضاء الأمد لا ينكر ذلك ولا يجحده أحد كما ثبت ذلك فى صحيح الأخبار ونقلته العدول الأخيار عن النبى المختار ، وأخبر أيضا أن فى أمته أناسا لا يزالون بهديه يستمسكون وفيها بل أكثرهم مخطئون وعن هديه ومنهاجه منحرفون، وهذا الاختلاف وصدور الانحراف مما زينه الشيطان وتقاضته الطباع وصار للنفوس إلى ذلك إسراع بعد إزماع ، حتى إن ذلك يوجد من بعض العلماء المنتسبين إلى أحد المذاهب المتعصبين فلا يقبلون من الدين رأيا ولا رواية إلا ما كان لأصحابهم به عمل أو دراية فيرفض السنن الذى أمر جميع الناس بالاستمساك به والاتباع ، ويؤخذ بهدى أو اختيار بعض الأتباع ولو تبين له وعرف الحق مع غير مذهبه واتضح ما عرج عليه ولا ارتضاه ولا جنح ولا صدع بذلك

ولا صدح . والواجب على كل إنسان ممن اتصف بصفة الإيمان أن يقبل على الحق ويعمل به ممن كان ، ولا تحمله الغيرة القلبية والشهوة المذهبية على العناد والعصبية كما يوجد من بعض أهل المذاهب حمله التعصب على الطعن والعياذ بالله فى الأئمة والمثالب ، وترى كثيرا ممن يدعى العلم والمعرفة وكذلك من المتعبدة والمتصوفة لايسلم بعضهم من بعض ولا يكون لاعراضهم رفض بل لايعدهم ذلك العالم إلا ضلالا جهالا ، والعابد يرى طريقة العلم سفاهة وضلالا ويدعى أن العلماء لم يشربوا من صافى الشريعة زلالا ولم يردوا من معينها سلسالا ولم يدركوا من الحضرة وصولا واتصالا ولم يلقوا منه قبولا وإقبالا ، ولقد جاء كل من أولئك محالا وقد ضلوا والله ضلالا بعيدا ولم يقولوا قولا سديدا ، وإنما الحق والصواب ما جاءت به السنة والكتاب وما قاله وعمل به الأصحاب وما اختاره الأئمة الأربعة المقلدة فى الأحكام المتبعة فقد انعقد على صحة ما قالوه الإجماع ولا يخرج عنهم إلا من رام سنن الابتداع ، فمن اهتدى بهم بعد الكتاب والسنة فقد رشد واهتدى ومن فارق ذلك فقد ضل واعتدى ، وللإمام أبى عمر يوسف ابن عبد البر الذى شاع علمه فى الأقطار وطبق الأرض فى الشهرة والاشتهار مصنف سماه كتاب العلم أوعب الكلام فيه على السنة والقرآن وصرح بوجوب التمسك بهما على كل إنسان خصوصا ذوى الفضل والشان فى كل قطر وعصر وزمان ولم ير التقليد من المنهج السديد إلا فيما لابد منه ولا غنى للشخص عنه عند تعسر الدليل وفقده وعدم استفائه فى وجده ، ولشمس الدين ابن القيم [فى أعلام الموقعين] مايشفى صدور المجتهدين من رد حجج المقلدين . وللأمير محمد بن إسماعيل الصنعانى وكان مشهورا بالعلم والفهم وله من صناعة الشعراء وفرسهم قصائد كثيرة فى هذا المعنى نهج فيها المنهج الأسنى فأحببت أن أثبت فيها البائية فى هذا الكتاب لما حوته من فصل الخطاب وأجاد القول فيها وأصاب ونصها :

أما إن عما أنت فيه من متاب — وهل لك من بعد البعاد إياب ؟
تقضت بك الأعمار فى غير طاعة — سوى عمل ترضاه وهو سراب
إذا لم يكن فعلك لله خالصا — فكل بناء قد بنيت خراب
فللعمل الإخلاص شرط إذ أتى — وقد وافقته سنة وكتاب
وقد صين عن كل ابتداع وكيف ذا — وقد طبق الآفاق منه عباب

طغى الماء من بحر ابتداع على الورى ... فلم ينج منه مركب ولا ركاب
وطوفان نوح كان فى الفلك أهله ... فنجاهم والغارقون تباب
فأنى لنا فلك ينجى وليته ... يطير بنا عما نراه غراب
وأين إلى أين المطار وكل ما ... على ظهرها يأتيك منه عجاب
نسائل من دار الأراضى سياحة ... عسى بلدة فيها هدى وصواب
فيخبر كل عن قبائح ما رأى ... وليس لأهليها يكون متاب
لأنهم عدوا قبائح فعلهم ... محاسن يرجى عندهن ثواب
كقوم عراة فى ذرا مصر ما علا ... على عورة منهم هناك ثياب
يدورون فيها كاشفين لعورة ... تواتر هذا لايقال كذاب
يعدونهم فى مصر من فضلائهم ... دعاءهم فيما يرون مجاب
وفيها وفيها كل ما لا يعده ... لسان ولا يدنو إليه خطاب
وفى كل مصر مثل مصر وإنما ... لكل مسمى والجميع ذئاب
ترى الدين مثل الشاة قد وثبت له ... ذئاب وما عنه لهن ذهاب
لقد مزقته بعد كل ممزق ... فلم يبق منه جثة وإهاب
وليس اغتراب الدين إلا كما ترى ... فهل بعد هذا الاغتراب إياب
فيا غربة هل يرتجى منك أوبة ... فيجبر من هذا البعاد مصاب
فلم يبق للراجى سلامة دينه ... سوى عزلة فيها الجليس كتاب
كتاب حوى كل العلوم وكلما ... حواه من العلم الشريف صواب
فإن رمت تاريخا رأيت عجائباً ... ترى أدما إذ كان وهو تراب
ولاقيت هابيلا قتيل شقيقه ... يواريه لما أن أراه غراب
وتنظر نوحا وهو فى الفلك إذ طغى ... على الأرض من ماء السحاب عباب
وإن شئت كل الأنبياء وقومهم ... وما قال كل منهم وأجابوا
ترى كل ماتهوى وفى القوم مؤمن ... وأكثرهم قد كذبوه وخابوا
وجنات عدن حورها ونعيمها ... ونار بها للمسرفين عذاب
فتلك لأرباب التقى أو هذه ... لكل شقى قد حواه عقاب
وإن ترد الوعظ الذى إن عقلته ... فإن دموع العين عنه جواب

تجده وما تهواه من كل مشرب   فللروح منـه مطعم وشراب
وإن رمت إبراز الأدلة فى الذى   تريد فما تدعو إليـه مجاب
تدل على التوحيد فيه قواطع   بها قطعت للملحدين رقاب
وفيه الدواء من كل داء فثق به   فوالله ماعنه ينوب كتاب
وما مطلب إلا وفيـه دليله   وليس عليـه للذكى حجاب
ولكن سكان البسيطة أصبحوا   كأنهـم عمـا حواه غضاب
فلا يطلبون الحق منه وإنما   يقولون من يتلوه فهو مثاب
فإن جاءهم فيه الدليل موافقا   لما كان للآباء إليه ذهاب
رضوه وإلا قيل هذا مؤوّل   ويركب فى التأويل فيه صعاب
تراه أسيراً كل حبر يقوده   إلى مذهب قد قررته صحاب
أتعرض عنه عن رياض أريضة   وتعتاض جهلا بالرياض هضاب
يريك صراطا مستقيما وغيره   مفاوز جهل كلها وشعاب
يزيد على مرّ الجديدين جدة   فألفاظه مهما تلوت عـذاب
وآياته فى كل حين طرية   وتبلغ أقصى العمر وهى كعاب
ففيه هدى للعالمين ورحمة   وفيـه علوم حجة وثواب
فكل كلام دونه القشر لاسوى   وذا كله عند اللبيب لباب
دعوا كل قول غيره وسوى الذى   أتى عن رسول الله فهو صواب
وعضوا عليها بالنواجذ واصبروا   عليـه ولو لم يبق فى الفم ناب
تروا فيه ماترجون كل مطلب   إذا كان فيكم همـة وطلاب
أطيلوا على السبع الطوال وقوفكم   تدر عليكم بالعلوم سحاب
فكم من ألوف فى المثين فكن بها   ألوفاً تجد ماضاق عنه حساب
وفى طى أثنا المثانى نفائس   يطيب لها نشر ويفتح باب
وكم من فصول فى المفصل قد حوت   أصولا إليها للذكى مآب
وما كان فى عصر الرسول وصحبه   سواه الهدى للعالمين كتاب
تلا فصلت لما أتاه مجادل   فأبلس حتى لايكون جواب
أقر بأن القران فيه طلاوة   ويعلو ولا يعلو عليه خطاب

وأدبر عنه هائما فى ضلاله يدبر ماذا فى الأنام يعاب
وقد قال وصى المصطفى ليس عندنا سواه وإلا ماحواه قراب
وإلا الذى أعطاه فهما إلهه بآياته فاسأل عساك تجاب
فما الفهم إلا من عطاياه لاسوى بل الخير كل الخير منه يصاب
سليمان قد أعطاه فهما فناده يجبك سريعاً ماعليه حجاب
وسل منه توفيقا ولطفا ورحمة فتلك إلى حسن الختام مآب

﴿الفائدة الرابعة﴾ فى بيان ماجرى فى غربة الإسلام التى وعد بها خير الأنام وأخبر بوقوعها قبل انقراض الأيام وكان ذلك منه عليه الصلاة والسلام بإلهام من الله تعالى له وإعلام فوقع ذلك وصدر وبدا محياه وظهر كما نطق به الأثر وأفصح به الخبر، فقد روى مسلم فى صحيحه من حديث أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « بدا الإسلام غريباً وسيعود غريبا كما بدا » ، وقد روى الإمام أحمد وابن ماجه من حديث ابن مسعود بزيادة فى آخره وهى « قيل يارسول الله من الغرباء؟ قال الذين يصلحون إذا فسد الناس » وخرجه غيره وعنده قال « الذين يفرون بدينهم خوف الفتن » وخرجه الترمذى من حديث كثير بن عبد الله المزنى عن أبيه عن جده عن النبى صلى الله عليه وسلم « إن الدين بدا غريبا ويرجع غريبا فطوبى للغرباء الذين يصلحون ما أفسد الناس من سنتى » وخرجه الطبرانى من حديث جابر عن النبى صلى الله عليه وسلم، وفى حديثه « قيل ومن هم يارسول الله؟ قال الذين يصلحون حين فسد الناس » وخرجه أيضاً من حديث شريك بن سعد بنحوه ، وخرجه الإمام أحمد من حديث سعد بن أبى وقاص عن النبى صلى الله عليه وسلم، وفى حديثه « فطوبى يومئذ للغرباء إذا فسد الناس » وخرج الإمام أحمد والطبرانى من حديث عبد الله بن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: « طوبى للغرباء، قلنا وما الغرباء؟ قال قوم صالحون قليل فى ناس سوء كثير من يعصيهم أكثر ممن يطيعهم » وروى عن عبد الله بن عمرو مرفوعا وموقوفا فى هذا الحديث « قيل ومن الغرباء قال الفراارون بدينهم يبعثهم الله تعالى مع عيسى ابن مريم عليه السلام » ومعنى ظهور الإسلام غريبا أن الخلق قبل مبعثه صلى الله عليه وسلم على ضلالة فدعا إلى الإسلام فلم يستجب له إلا الواحد بعد الواحد من كل قبيلة وكان المستجيب له

خائفا من عشيرته وقبيلته ويؤذى ويشرّد ويعذب ويقتل فيهربون إلى البلاد النائية كالحبشة ثم إلى المدينة بعد الهجرة . فصار الداخلون قبل الهجرة غرباء ثم أتم الله تعالى نعمته على المسلمين وأكمل لهم الدين وقبض سيد المرسلين فاستمروا على الاستقامة والتعاضد والنصرة فى خلافة أبى بكر وعمر رضى الله عنهما حتى أعمل الشيطان مكايده على المسلمين وألقى بأسهم بينهم وأفشى فيهم فتنة الشهوات والشبهات فاصطاد الأكثر بهما معا أو بأحدهما فكان ذلك كما أخبر به النبى صلى الله عليه وسلم، وفى صحيح البخارى عن عمرو بن عوف عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « والله ما الفقر أخشى عليكم ولكن أخشى أن تبسط الدنيا عليكم كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها فتهلككم كما أهلكتهم » ، وفى صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « كيف أنتم إذا فتحت عليكم خزائن فارس والروم ؟ أىّ قوم أنتم ؟ قال عبد الرحمن بن عوف نقول كما أمر الله تعالى قال أو غير ذلك تتنافسون ثم تتحاسدون ثم تتدابرون ثم تتباغضون » وفى الصحيحين من حديث عقبة بن عامر عن النبى صلى الله عليه وسلم معناه أيضاً ، ولما فتحت كنوز كسرى على عمر بن الخطاب رضى الله عنه بكى فقال إن هـذا لم يفتح على قوم قط إلا جعل بأسهم بينهم أو كما قال، وكان النبى صلى الله عليه وسلم يخشى على أمته هاتين الفتنتين كما فى مسند الإمام أحمد عن أبى برزة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « إنما أخشى عليكم شهوات الغى فى بطونكم وفروجكم ومضلات الفتن » وفى رواية « ومضلات الهوى » فلما عمت فتنة الشهوات فى تلك الأوقات وأصبح الخلق إلى زهرة الدنيا فى التفات وصار لهم منتهى المراد وجدّوا لها فى الارتياد ارتكبوا المعاصى والكبائر ووقعوا فى التباغض والتدابر بعد أن كانوا إخواناً وعلى التناصر أعواناً. وأما فتنة الشبهات والأهواء المضلة فسببها تفرق أهل القبلة فصاروا شيعاً وفرقا وأحزابا وأكثرهم لسنن الضلال طلابا وفتحوا من البدع والغىّ أبوابا وقذفتهم الفتنة فى مضلة المفاسد وبيداء الإبداع والتباعد ومقفرة التقاطع والتحاسد بعد أن كانوا على قلب رجل واحد وانتهجوا من الردى مهالك فلم ينج من أولئك إلا الفرقة الناجية وهم المذكورون فى قوله صلى الله عليه وسلم « لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم أو خالفهم حتى يأتى

أمر الله وهم على ذلك» وهم الغرباء المذكورون فى هذه الأحاديث الذين يصلحون إذا فسد الناس ويصلحون ما أفسد الناس وهم الذين يفرون بدينهم من الفتن وهم النزاع من القبائل، وخرج الطبرانى من حديث ابن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم فى أشراط الساعة قال «وإن من أشراطها أن يكون المؤمن فى القبيلة أقل من النقد» أى صغار الغنم؛ وفى مسند الإمام أحمد عن عبادة بن الصامت أنه قال لرجل من أصحابه «يوشك إن طالت بكم حياة أن ترى الرجل قد قرأ القرآن على لسان محمد صلى الله عليه وسلم فأعاده وأبداه فأحل حلاله وحرم حرامه ونزل عند منازله مايجوز فيكم إلا كما يجوز رأس الحمار» ومنه قول ابن مسعود رضى الله عنه «سيأتى على الناس زمان يكون المؤمن فيه أذل من الأمة» وإنما ذل المؤمن فى آخر الزمان لغربته بين أهل الفساد ومباينته فى القصد والمراد ومخالفته لطريقهم المعتاد. قال أحمد بن أبى عاصم وكان من كبار العارفين فى زمن أبى سليمان الدارانى : إنى أدركت من الأزمنة زمانا عاد فيه الإسلام غريبا وعاد وصف الحق غريبا كما بدا، إن ترغب فيه إلى عالم وجدته مفتونا بحب الدنيا يحب التعظيم والرياسة . وإن ترغب فيه إلى عابد وجدته جاهلا فى عبادته مخدوعا صريع عدوه إبليس قد صعد به إلى أعلى درجات العبادة وهو جاهل بأدناها فكيف له بأعلاها إلى آخره خرجه أبو نعيم فى الحلية ، وخرج أبو الشيخ الأصبهانى بإسناده إلى الحسن قال: لو أن رجلا من الصدر الأول بعث اليوم ماعرف من الإسلام شيئاً إلا هذه الصلاة ثم قال أما والله لئن عاش على هذه المنكرات فرأى صاحب بدعة يدعو إلى بدعته وصاحب دنيا يدعو إلى دنياه فعصمه الله تعالى وقلبه يحن إلى ذكر السلف فيتبع آثارهم ويستن بسنتهم ويتبع سبيلهم كان له أجر عظيم .

[تتمة] : مدح كثير من السلف السنة ووصفها بالغربة ووصف أهلها بالقلة ، فكان الحسن رحمه الله تعالى يقول لأصحابه : يا أهل السنة ترفقوا رحمكم الله فإنكم من أقل الناس ، وقال يونس بن عبيد: ليس شىء أغرب من السنة وأغرب منها من يعرفها . وعن سفيان الثورى قال : استوصوا بأهل السنة خيراً فإنهم غرباء ، ومراد هؤلاء الأئمة بالسنة طريقة النبى صلى الله عليه وسلم التى كان عليها هو وأصحابه السالمة من الشبهات والشهوات وهى التى ورد للمتمسك بها والعامل أجر خمسين ممن قبلهم والمتمسك بدينه كالقابض على الجمر ، ثم صارت السنة فى عرف كثير من العلماء المتأخرين هى السالمة من الشبهات فى الاعتقادات خاصة فى مسائل الإيمان بالله وملائكته

وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وكذلك فى مسائل القدر وفضائل الصحابة وصنفوا فى هـذا الباب تصانيف سموها كتب السنة وإنما خصوا هذا العلم باسم السنة لأن خطره عظيم والمخالف فيه على شفا جرف . والغربة عند أهل الطريقة غربتان ظاهرة وباطنة، فالظاهرة غربة أهل الصلاح بين الفساق وغربة الصالحين بين أهل الرياء والنفاق، وغربة العلماء بين أهل الجهل وسوء الأخلاق ، وغربة علماء الآخرة بين علماء الدنيا الذين سلبوا الخشية والإشفاق ، وغربة الزاهدين بين الراغبين فيما ينفد وليس بباق. وأما الغربة الباطنة فغربة النهمة وهى غربة العارفين بين الخلق كلهم حتى العلماء والزهاد فإن أولئك واقفون مع عبادتهم وعلمهم وزهدهم وهؤلاء واقفون مع معبودهم لايعرجون عنه .

الفصل الثانى

في نسب الشيخ ومبدإ أمره وما جرى عليه فى قيامه بتلك الدعوة
من أهل مصره وما صادمه به علماء عصره

أما نسبه — رحمه الله تعالى وأفاض عليه سحب غفرانه ووالى — فهو محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن على بن محمد بن أحمد بن راشد بن بريد ابن محمد بن بريد بن مشرف . ولد رحمه الله تعالى سنة خمس عشرة بعد المائة والألف من الهجرة النبوية فى بلد العيينة من البلدان النجدية فأنبته الله تعالى نباتاً حسناً وجلا به عن طرف الدهر وسناً وبقى بعد سن الطفولية زمناً يتعلم فى تلك القرآن معتزلا فى غالب الأوقات لعب الصبيان ولهو الجهال والغلمان حتى حفظ القرآن عن ظهر قلب قبل بلوغه العشر، وكان حادّ الفهم سريا وقاد الذهن ذكيا سريع الحفظ فصيح اللفظ ألمعى الفطنة نبيه، اشتغل فى العلم على أبيه، وجد فى الطلب وأدرك بعض الأرب وهو فى بلد العيينة فى تلك الحال قبل رحلته لطلب العلم والارتحال وتطوافه له فى كثير من البلاد حتى نال منه المراد وفاز بالسعد والإسعاد وحاز الرشد والإرشاد ، وكان والده قد توسم ذلك فيه ويحدث بذلك ويبديه ويؤمل ذلك منه ويرجوه كما حدث به سليمان أخوه ، قال كان عبد الوهاب أبوه يتعجب من فهمه وإدراكه قبل بلوغه وإدراكه ومناهزته الاحتلام وإفراكه ويقول أيضا لقد استفدت من ولدى محمد فوائد من الأحكام أو قريباً من هذا الكلام ، وقد كتب

والده إلى بعض إخوانه رسالة نوّه فيها بشأنه يثنى فيها عليه وأن له فهما جيداً ولديه، ولو يلازم الدرس سنة على الولاية لظهر فى الحفظ والإتقان آية وقد تحققت أنه بلغ الاحتلام قبل إكمال اثنتى عشرة سنة على الإتمام ورأيته أهلا للصلاة بالجماعة والائتمام فقدمته لمعرفته بالأحكام وزوّجته بعد البلوغ فى ذلك العام ثم طلب منى الحج إلى بيت الله الحرام فأجبته بالإسعاف لذلك المرام فحج وقضى ركن الإسلام وأدى المناسك على التمام ثم قصد مدينته عليه الصلاة والسلام وأقام فيها شهرين ثم رجع بعد ذلك فائزا بأجر الزيارة والمناسك وأخذ فى القراءة على والده فى الفقه على مذهب الإمام أحمد فسلك فيه الطريق الأحمد ، ورزق مع الحفظ سرعة الكتابة ، فكان يحير أصحابه بحيث إنه يخط بالخط الفصيح فى المجلس الواحد كراس ، من غير سآمة ولا نصب ولا التباس، ثم بعد ذلك رحل فى العلم وسار وجد فى الطلب إلى مايليه من الأمصار وما يحاذيه من الأقطار فزاحم فيه العلماء الكبار وأشرق طالعه واستنار وصار لهلاله أقمار فوطىء الحجاز والبصرة لذلك مرارا وأتى الاحسا لتلك الأوطار وأخذ العلم عن جماعة منهم الشيخ عبد الله بن إبراهيم النجدى ثم المدنى وأجازه من طريقين، وأول حديث سمعه منه الحديث المشهور المسلسل بالأولية . نقلت من خطه ما نصه حدثنى الشيخ عبد الله بن إبراهيم بمنزله بظاهر المدينة المنورة على سا كنها أفضل الصلاة والسلام عن شيخ الإسلام ومفتى الشام أبى المواهب الحنبلى إجازة قال أخبرنا والدى تقى الدين عبد الباقى الحنبلى وهو أول حديث سمعته قال أخبرنا به المعمر الشيخ عبد الرحمن البهوتى الحنبلى وهو أول حديث سمعته منه قال أخبرنا به شيخنا جمال الدين يوسف الأنصارى الخزرجى وهو أول حديث سمعته منه قال أخبرنا به والدى شيخ الإسلام زكريا الأنصارى وهو أول حديث سمعته منه قال أخبرنا به شيخ الإسلام أبو الفضل أحمد بن حجر العسقلانى وهو أول حديث سمعته منه قال أخبرنا الصلاح محمد بن محمد الحكرى الصوفى الخازن وهو أول حديث سمعته منه قال أخبرنا الحافظ زين الدين عبد الرحيم العراقى وهو أول حديث سمعته منه قال أخبرنا به الصدر أبو الفتح الميدومى وهو أول حديث سمعته منه قال أخبرنا به الحافظ أبو الفرج عبد اللطيف ابن عبد المنعم الحرانى وهو أول حديث سمعته منه قال أخبرنا به الحافظ أبو الفرج عبد الرحمن بن على بن الجوزى وهو أول حديث سمعته منه قال أخبرنا به الحافظ

إسماعيل بن صالح النيسابورى وهو أول حديث سمعته منه قال أخبرنا والدى أبو حامد صالح المؤذن وهو أول حديث سمعته منه قال أخبرنا به أبو طاهر محمد بن محمد الزياد وهو أول حديث سمعته منه قال أخبرنا أحمد بن محمد بن يحى بن بلال البزار وهو أول حديث سمعته منه قال أخبرنا عبد الرحمن بن ستر بن الحكم النيسابورى وهو أول حديث سمعته منه قال أخبرنا سفيان بن عيينة وهو أول حديث سمعته منه عن عمرو بن دينار عن أبى قابوس مولى عبد الله بن عمرو بن العاص عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء» تفرد به سفيان ولا يصح سنده عن من فوق سفيان والله أعلم، وحدث أيضا عنه بالمسلسل بالحنابلة قال رحمه الله حدثنى الشيخ عبد الله بن إبراهيم الحنبلى بمنزله بظاهر المدينة النبوية عن شيخ الإسلام ومفتى الشام أبى المواهب بن تقى الدين عبد الباقى الحنبليان عفا الله عنهما إجازة عن والده تقى الدين المذكور قال أخبرنا شيخنا عبد الرحمن البهوتى أخبرنا الشيخ تقى الدين بن النجار الفتوحى صاحب منتهى الإرادات أخبرنا والدى شهاب الدين أحمد قاضى القضاة الحنبلى أخبرنا بدر الدين الصفدى الظاهرى الحنبلى ، أخبرنا عز الدين أبو البركات الحنبلى أخبرنا أبو على حنبل بن عبد الله الرصافى ، قال أخبرنا أبو القاسم هبة الله الحنبلى قال أخبرنا أبو الحسن بن على الحنبلى ، قال أخبرنا أبو بكر أحمد بن جعفر الحنبلى قال أخبرنا أبو محمد عبد الله بن الإمام أحمد الحنبلى قال حدثنى أبى أحمد بن محمد بن حنبل إمام كل حنبلى عن ابن عدى عن حميد عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إذا أراد الله بعبده خيراً استعمله قالوا كيف يستعمله؟ قال يوفقه لعمل صالح قبل موته» هذا حديث عظيم قد وقع ثلاثياً للامام أحمد رضى الله عنه ، وقد سمع رحمه الله الحديث والفقه من جماعة بالبصرة كثيرة وقرأ بها النحو وأتقن تحريره ، وكتب الكثير من اللغة والحديث فى تلك الإقامة ، وبحث على طريق الهدى والاستقامة ، وكان أكثر لبثه لأخذ العلم بالبصرة ومقامه ، وقد نشر للتوحيد فيها لدى بعض الناس أعلامه ، وحقق لهم فى ذلك الشأن إتقانه وأعلامه ، وأوضح لهم سبيله وأحكامه . فقال إن الدعوة كلها لله يكفر من صرف شيئاً منها إلى سواه ، وإذا ذكر أحد بمجلسه شارات الطواغيت أو الصالحين

الذين كانوا يعبدونهم مع رب العالمين نهاه عن ذلك وزجره ، وبين له الصواب وحذره وقال له محبة الأولياء والصالحين إنما هى اتباع هديهم وآثارهم والاستنارة بضياء أنوارهم، لاصرف الحقوق الربانية إلى الأجسام الوثنية ، وقد وقع ذلك بمجلسه مرة فأبدى للقائل نهيه وزجره ، وأظهر عليه إغلاظه ونكره فتغير وجه القائل ، وجال واستغرب ذلك المقال وقال إن كان مايقوله حقا هذا الإنسان فالناس ليسوا على شيء من زمان ، قال رحمه الله تعالى: وكان ناس من مشركى البصرة يأتون إلىّ بشبهات يلقونها علىّ فأقول وهم قعود لدى : لاتصلح العبادة كلها إلا لله فيبهت كل منهم فلا ينطق فاه . ثم رجع بعد ذلك السفر فإذا والده عبد الوهاب قد رفض سكنى العيينة وهجر واختار سكنى حريملا فأقام بها واستقر فأقام فيها مع أبيه يعلن بالتوحيد ويبديه وينادى بإبطال دعوة غير الله ويغشيه وينصح من عدل عن الحق والرشاد ويسلك فى ذلك سبيل السداد ، ويزجر الناس عن الشرك والباطل والفساد حتى رفع الله تعالى شأنه فساد ، وجدّ رحمه الله تعالى فى تعليم الواجب وبذل المناصحة للخاص والعام، ونشر شرائع الإسلام ومهد سنة محمد عليه الصلاة والسلام وإزالة ماغطى القلوب من رين الشرك الذى هو أعظم الذنوب وكشف الذنوب المظلمة للناس وإماطة أذى اللابس والالتباس ، ويحذرهم إن داموا على ماهم فيه وقوع النقمة والباس ورفض منهج الغلول والخيانة وأدى من العلم الأمانة وترك ما كان علماء السوء قبله له سالكون ، وفى قعره العميق راكسون وفى أرجائه المغبرة ما كثون ، وخشى الوقوع فى تغليظ الوعيد كما نطق به القرآن المجيد (إن الذين يكتمون ماأنزلنا من البينات والهدى من بعد مابيناه للناس فى الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون) فأى وعيد فوق هذا الوعيد وأى تهديد وراء هذا التهديد كلاما على لعنة الله من مزيد فلله دره من جهبذ عالم وداع إلى توحيد الله قائم وناصح لله ملازم ومجدد لتلك المشاهد السنية والمعالم ومحى لآثار سلفية لم يبق منها سوى الأطلال والمراسم ومميت لبدع رفضية شابهت المجوسية وأمور شركية ، عتقدها أكثر البرية أمور إحنة دينية فأقاموا لها أعيادا ومواسم ، وعكفوا عليها والأغلب لها سائم ولتشديدها والذب عنها رايم بل الكل لم يكن منها سالم فانتدب هذا الإمام الذى أضحى بهديه الدين مشرقا باسم والباطل بحججه مظلماً سادم مناديا على رءوس العوالم بإخلاص العبادة لله وتنكير الإشراك لله والمظالم وإبطال

دعوة غيره من نبي وولي وظالم وحاكم فلم يخف في الله لومة لائم حتى نال من مولاه المنح العظائم والعطايا الكرام الجسام وحاز منه أسنى الصلاة والغنايم وفاز منه بأوفر المغانم واختار الله تعالى وما عنده ، وبذل في طاعته جهده وطاقته وجده ووسعه ووجده حتى أنجز الله تعالى له وعده وكثر بعد ذلك محبه وجنده وأجزل عطيته ورفده وصار له بتلك الدعوة والقيام توكل على ربه واعتصام فلم يبال بجميع الأنام وما رموه به من القوادح العظام وما فوّقوا له من تلك السهام، فلم يكن لهم إليه وصول وصار كل منهم عنه مغلول . وحد لسانه مفلول حتى بدا له في أفق تلك البلد طالع القبول ، ولمع فيه بارق سيف الحق المسلول وانحط ذرى الضلال وانقطع حبله الموصول وعصفت به عواصف الدبور بعد الشمال والشمول ، وصار لنجمه كسوف وأفول والعود المورق باللهو والمزامير والطبول بعد غضته ونضارته يبس وذبول ولجسمه الممتلئ بالفواحش نحول فانتظم في سلك الإمام رجال وعصابة فحول فاتخذوه جليسا وأنيسا واقتدوا به في كل مايقول فكانوا لطريقته المثلى متبعين وبأقواله وأفعاله مقتدين وبهديه الواضح مهتدين لايزالون معه في إخلاص الدعوة مشمرين وفي إدحاض الباطل وأهله مجتهدين ، وبإيضاح مناهج الشرك معلنين ، وفيما يرضى الله مسرعين ولأهل الدين والحق مكرمين ولأهل الضلال موهنين وللضلال والفساق مهينين ولقبح عقائدهم لهم مبينين قائمين في ذلك لرب العالمين ولوجهه الكريم محتسبين وفي الفوز غدا مؤملين وللنجاة مرتجين (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين) وكان هؤلاء الرجال ملازمين للشيخ في جميع الأحوال وكان في تعليمهم وإرشادهم لايزال، فقرءوا عليه كتب الحديث والفقه والتفسير وحقق لهم ذلك أتم التحقيق والتحرير ؛ وكان رحمه الله في تلك المدة يروّع كل معاند ومعارض فاشتهر حاله في جميع بلدان العارض في حريملا والعيينة والدرعية والرياض ومنفوحة فلم يكن لبعضهم عن اتباع ذلك الحق مندوحة لكون رب العباد كتب السعادة قبل الميلاد فكان لأجل ذلك ذا أهبة واستعداد لما حظي بالمدد والإمداد فتنور قلبه بضياء الرشاد وهو مقيم في تلك البلاد فأتى إليه ناس كثير وانحاز لدعوته جم غفير وكان الناس عند ذلك حزبين وانقسموا فيه فريقين فريق أحبه وما دعا إليه فعاهده على ذلك وبايعه وحذا حذوه وتابعه وفريق أنكر ذلك عليه وهم الأكثر حتى أعزه الله

تعالى عليهم وأظهر وصار الخلق فيه مختلفين ، وفي تلك الأمور متحيرين وأكثر في مراتع الحيرة يسيم ، وفي مراتع الشك والريب مقيم (فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم) فلم يزل رحمه الله تعالى دأبه القيام ونشر دعوة الملك العلام على الاستمرار والدوام حتى لهج بالإنكار عليه كثير من ذوى العلم والأفهام وركضوا مع الرؤساء والشياطين والطغام فقلدوهم في ذلك الأمر العوام فكان للجميع على الأنكال انتظام وعلى الإعانة في ذلك التزام فأقام رحمه الله تعالى وأفاض عليه بره ووالى في بلد حريملا سنين ينشر أعلام التوحيد ويبدى في المحافل الدر النضيد وجوهر الحق الفريد وصنف في تلك الاقامة كتاب التوحيد ونشر أعلامه ، ثم بعد ذلك عزم على المسير عنها والارتحال والإقامة بالعيينة نجد في الرحيل والانتقال ، وذلك بعد أن هدى الله تعالى عثمان بن معمر لقبول هذا الدين الذى أحياه ذو القلب المنوّر فدخل منه شىء في قلبه ، وأعلن عند جماعته وصحبه بتقريبه وحبه فحين وصل تلك البلد قام معه عثمان وقعد وساعده على ذلك واجتهد وأمر الناس له بالاتباع ، وعدم المشاقة له والنزاع وألزم الخاصة والعامة أن يمتثلوا أمره وكلامه ، ويسلكوا سبل الاستقامة ويظهروا توقيره وإكرامه فكان بعد ذلك الأمر والإلزام ، وصدور ذلك الاعتناء التام ، وشدة الرغبة والاهتمام وإبداء التعظيم له والاحتشام تسمع أقواله وتطاع وتملأ الصدور والأسماع فصار للزيغ ارتداع وقمع وإقلاع وللحق والهدى أتباع ففشا الدين في بلدان العارض المعروفة ، وأكثرهم قلوبهم عن ذلك النور مصروفة وعلى ما كانوا عليه من الأمور المألوفة ملازمة محبوسة موقوفة ؛ ولكن لم يصبر على الإقامة بذلك المكان مع مشاهدته فيه الأوثان فعند ذلك أمر الشيخ محمد الأمير عثمان بهدم القبب والمساجد المبنية في الجبيلة على قبور الصحابة وقطع الأشجار التى كانت الخلق لها في كل ساعة منتابة فبادر عثمان لذلك وامتثل وخرج الشيخ معه وجماعتهم على عجل وخرجوا بالمعاول ، والكل للأجر آمل فهدموا تلك المساجد وأزالوا رفيع المشاهد وأزالوا جميع المحظور عن جميع تلك القبور ، وعدلت على السنن المشروع واندرس الأمر الممنوع وهدم رفيع ذلك البنا ، وبطل ذلك التعظيم لها والاعتنا ، وخرشامخ الأحجار وخر ما في العارض من معبدات الأشجار كشجرة قريوه وأبى دجانة والذيب ، فلم يكن أحد إلى التبرك

بهما ينيب ، ولم تسالها من لم تتزوج مثل العادات زوجا حبيب ، وليس هذا فى تلك الأزمان بغريب وليس وقوع أقبح منه بعجيب ، وكان الشيخ رحمه الله تعالى هو الذى باشرقطع شجرة الذيب بيده مع بعض أصحابه فنال من ربه جزيل أجره وثوابه وقطع شجرة قريوه ثنيان بن سعود ومشارى بن سعود وأحمد بن سويلم وجماعة سواهم فأدركوا من الفوز مناهم فلم يبق وثن فى البلدان التى كانت تحت يد عثمان ، وشاع ذلك واستبان ونعم بذلك أهل الإيمان وصلحوا حالا من ذلك المكان وانتشر الحق من ذلك الأوان واشتهر الأمر وبان وسارت بذلك الركبان فأنكرت ذلك قلوب الذين حقت عليهم كلمة العذاب وقالوا مثل ماقال الأولون ذوو الكفر والإعجاب (أجعل الآلهة إلها واحداً إن هذا لشىء عجاب) فأخذوا فى رده والإنكار عليه وأتوا بأعظم الأسباب وزجوا الخلق فى لجة الضلال والارتياب وضجوا على كلمة الحق بالتكذيب والإكذاب وعجوا مطبقين على الشيخ بأنه ساحر ومفتر وكذاب وحكموا بكفره واستحلال دمه وماله وجميع من له من الأصحاب (وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فأخذتهم فكيف كان عقاب) وأشر الناس والعلماء إنكاراً عليه وأعظمهم تشنيعا وسعيا بالشر إليه سليمان بن سحيم وأبوه محمد فقد انهم فى ذلك وأنجد وجد فى التحريش عليه والتحريض ، وهيئوا له أسباب الجريض وأرسل بذلك إلى الأحسا والحرمين والبصرة فلم ينل من مراده سوى الخزى والعار والحسرة، ولم يحصل من مراده بغير العثرة ، ولقد كاد وشنع وعادى وحشرعلماء السوء ونادى وكذب عليه وبهت وزور وجد فى دحض الهدى وشمروسعى فى إبطاله وما قصر وبعث الطروس مترعة بالباطل والمين إلى علماء الحساء والبصرة والحرمين فقاموا معه فوراً بالإنكار وأفتوا للحكام والسلاطين والأشرار بأن القائم بدعوة التوحيد حتى أشرق لها أنوارا خارجى لها وبيض فى الأقطار خارجى ليس له فى الحق تثبت ولاقرار وأنه من لظى الجحيم والنار على شفا جرف هار بل جزم أكثر علماء الأمصار فى تلك الأزمان والأعصار بأن هذا المبين لآثار السلف الأخيار المتبع لهدى نبيه المختار من أقبح الضلال والفساق والكفار وأشر الخوارج والفجار وحسبوا أنهم إذا حرشوا عليه الحكام يجدون فى قتله ويجتهدون فيفوزون حينئذ بما كانوا يؤملون ، ولقد عرفوا أن الذى جاء به الحق ولكنهم لذلك كانوا يكتمون (يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله

إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون) فصنفوا المصنفات فى تبديعه وتضليله وتغييره للشرع النبوى وتبديله وعدم معرفته بأسرار العلوم وتجهيله وسطروا فيها الجزم بكفره وبطلان حجته ودليله وأوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم ومايفترون. فأطبق أهل الباطل والضلال على قبيح تلك الأقوال وأرهفوا أسنة المقال والكل خاض فى الإفك ونال فآب بالخسران والإذلال ورجع ولله الحمد بخيبة الآمال (ولتصغى إليه أفئدة الذين لايؤمنون بالآخرة وليرضوه وليقترفوا ما هم مقترفون) والذى تولى منهم هذا الأمر الكبير واقتحم لجج موجه الخطير وشمر فيه أعظم التشمير وتنادى عليه مع أعوانه لأجل التغيير حسداً وبغياً لفوزه بهذا الفضل الكثير والفخر النابل المنير سليمان بن سحيم وأبوه محمد من مطاوعة الرياض والموانيس من أهل منيخ وعبد الله بن محمد بن عبد اللطيف ، ومحمد بن عبد الرحمن بن عفالق فصار كل من هؤلاء معاندا مجادلا مشاقق وحذروا منه جميع الأنام ، وأخرجوه بلا شك من حوزة الإسلام وأغروا به الخاص والعام خصوصاً السلاطين والحكام وقطعوا لهم أنه رافض شريعة محمد عليه الصلاة والسلام وأنه مغير لمنار السنة والأحكام وليس له منها تمسك والتزام ولا بالدين أخذ واعتصام فليس له ولا لأصحابه عهد ولا ذمام ولم يكن له قصد ولا مرام إلا تنفير الخواص والعوام وملأ قلوب الجهال والطغام بما يبديه لهم من ذلك الكلام فيقوموا بالمشاققة على الحكام والولاة ويكونون عليهم عتاة وبما يأمرونهم به فى جميع الأحوال عصاة فهذا غايته ومناه ومنتهى مراده وأقصاه يخوفونهم بهذه الأقاويل ويجلبون لهم أنواع الأباطيل ويحذرونهم منه أنه إن تمكن أمره فى البلاد أزال جميع المنكرات والفساد وقطع جميع ما كان من المظالم معتاد ، فكانوا بهذا الكلام لهم يغيرون وعن طريقه يحذرون وينفرون ، وهو رحمه الله صابر على ما يقولون محتسب الأجر فيما إليه ينسبون متسلّ بما كابده وقاساه قبله الموحدون وما لقيه من الابتلاء المؤمنون وما سعى به لهم الضلال والمشركون (الم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لايفتنون) وهذه سنة الله تعالى فى عباده جارية فى جميع الأزمان على مراده ، يختبر بها أحبابه المؤمنين ويمتحن بها أحزابه المفلحين (ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين) فيرفع جل وعلا قدر الصابرين ويعلى مرتبة الصادقين ويخفض منزلة المنافقين ، ويفضح

بإرادته الفاسقين والكاذبين ويحق عليهم كلمة العذاب أجمعين (أم حسب الذين يعملون السيئات أن يسبقونا ساء ما يحكمون) فمضى رحمه الله تعالى فى المناصحة وبذل الجد فى الدعوة والخلق رموا البال نحوه فصبر متأسيا بسلفه الصالح، فكان له بهم أسوة ما كانوا عليه يحزنون (ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين إنهم لهم المنصورون وإن جندنا لهم الغالبون).

[مهمات: الأولى] أنه رحمه الله تعالى لما تظاهر بذلك الأمر والشان فى تلك الأوقات والأزمان والناس قد أشربت منهم القلوب بمحبة المعاصى والذنوب وتولعوا بما كانوا عليه من العصيان وقبائح الأهواء الغالبة على كل إنسان لم يسرع لها لسان ولم يصمم منه لب وجنان على تكفير أولئك العربان بل توقف تورعا عن الإقدام فى ذلك الميدان حتى نهض عليه جميع العدوان وباحوا وصاحوا بتكفيره وجماعته فى جميع البلدان ولم يثبتوا فيما جاءوا به من الإفك والبهتان ولم يكترثوا بما حكموا عليه من الزور، وما اقترفوه من الفجور، بل كان لهم على شنيع ذلك المقال إقدام وإسراع وإقبال، ولم يأمر رحمه الله تعالى بسفك دم ولا قتال، على أكثر أهل الأهواء والضلال حتى بدءوه بالحكم عليه وأصحابه بالقتل والتكفير. وكان ذلك سبب حسن العاقبة للإمام من العليم الخبير ومساعدة القضاء له والتدبير، وشؤم ذلك على الأعداء الذين تمالئوا على ذلك الأمر المبير الذى كانت عقباه عليهم الهلاك والتدمير. جزاء بما كانوا يكسبون (ثم كان عاقبة الذين أساءوا السوآى أن كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزئون) نعم ثبت لدينا ونقل نقلا صحيحا إلينا أنهم هم الذين شهدوا على أنفسهم بذلك وألقوها فى مظالم قفر المهالك ونظموا أرواحهم مع الكفار فى تلك المسالك وألحقوها من عند أنفسهم بأولئك، فقالوا إن كان الذى نفعل من الدعوات والاعتقادات بأهل القبور فى تلك الأزمنة الماضية والدهور فنحن كفار ضلال من غير ريب ولا إشكال ولقد لهج بذلك الأحوال ذوو الأحلام منا والجهال فهم الذين ألزموا أنفسهم تلك المقالة ووسموا أنفسهم بميسم الكفر والضلالة وقد أنفذ الشيطان فيهم غدره واحتياله وجعل تلك لهم إلى مراده حباله، وقال لهم وزين وصرح لهم وبين وشرح لهم وعين وقال لهم لا يتم لكم سؤل ولا مراد حتى تلقوا هذا القول بين أظهر العباد فتغروا به الحكام والولاة وأهل الفساد. فيبادروه بالقتال والجهاد ويجلوه إن لم يلوه عن البلاد هكذا زخرف لهم اللعين وكاد حتى وسطهم فيما

الإهلاك والإبعاد فتنحى عنهم الخبيث عن يمين وقال أنتم أهل الشمال الضالين (إنى أخاف الله رب العالمين) فلاريب أنهم هم الذين على أنفسهم قضوا واختاروها لهم وارتضوا وقصدهم بعموم التكفير تحذير الناس عنه والتنفير وحاولوا بذلك مآرب وسخت لهم به مطالب ساءت لهم منها العواقب وخدشتهم منها سهام صوائب وحلت عليهم مصائب وارتفع بها للإمام مراتب وشاع جميل ذكره فى المشارق والمغارب ، وانعكس عليهم الحال فلم يحصلوا على آمال بل كان ذلك البهتان الذى أتوه والمحال عائد عليهم بالهوان والإذلال والهلاك والقطع والاستئصال وتبدى لأهل الدين كواكب سعد منيرة الإشراق وأعطاهم الله تعالى غاية الأمل، وربما صحت الأبدان بالعلل ، وكثر بعد ذلك صحبه وجمعه وزاد إعلانه بالتوحيد وصدعه وردعه أهل الشرك وقمعه « ومن العداوة مايسرك نفعه » وإذا تأمل العاقل اللبيب الذى حصل من الإيمان على نصيب الذى حصل من الحال وبدا ، وما تفوّه به أهل الزيغ والردى ، ومامكر به رؤوس العدا وما نووا به أهل الهدى ظهر له فى ضمن ذلك من الحكم والعبر والمنن التى حرست عن طوارق الغير واللطائف التى فى الوجود لها واضح الأثر وصار لها فى الموعظة انتفاع ومدكر وبان له ماجرى على الشيخ من المحن وصدر زاد ولله الحمد منحا وتبين له ذلك وظهر حملهم على ذلك الحسد المحرم المذموم فكان كل منهم لما أمله محروم، وبالبعد والمذلة موسوم :

حسدوا الفتى إذ لم ينالوا سعيه فالقوم أعداء له وخصوم

ظنوا أن ذلك عار فأذاعوه أو خزى فأفشوه وأشاعوه ، وتأملوا أنهم بغير الكذب والمين لايدركون منى ، ولا يحصل لهم بغير المعتاد هنا ، فأوهن الله تعالى بفضله كيد كل عدو وحسود لأن الحسود كما فى الأثر لايسود ، ولم يظفروا بمرام ولا مقصود ، بل أضاء بسعيهم لأهل الدين فى البسيطة إسعاد وسعود وعروج إلى ذرى المفاخر وصعود ، وما أحسن قول أبى تمام فلقد أصاب الغرض فى هذا المقام :

وإذا أراد الله نشر فضيلة طويت أتاح لها لسان حسود
لولا اشتعال النار فيما جاورت ماكان يعرف فضل طيب العود

[الثانية] كان رحمة الله عليه مع مايسمع من الأذى وينقل إليه وما ينمى من

قبيحهم لديه وفرط تعنتهم وعنادهم وعدم توقفهم فيه ، وإسنادهم وغلوّهم فى هجرهم له وانتقادهم وتشريعهم على عرضه أسنة حدادهم وشحذهم لدمه المعصوم مواضى جلادهم ومبالغتهم فى السعاية لإهلاكه وارتيادهم غير مكترث بهم ، ولامقترف ولا مبال ويتسلى بمن كان قبله من ذوى الفضل والمعالى ويقول متوكلا على مولاه القاهر المتعالى : حسبى من سؤالى علمه بحالى ، وينشد قول محسود سالى :

إن يحسدونى فإنى لست أحسدهم   قبلى ذو الفضائل أهل العلم قد حسدوا

بل كان يتضرع إلى سيده ومولاه الذى خصه بهذا الفضل وولاه أن يشرح للحق صدورهم ، ويجعل لمورد التوحيد ورودهم وصدورهم ، وأن يسهل لقبوله قلوبهم وأمورهم ، وأن يكفيه بحوله وقوته شرورهم ويصرف عنه محذورهم ، ويسير معهم بسيرة الصفح والعفو والمغفرة ، وأحب مالديه إتيان أحدهم إياه بالمعذرة ، ولم يعامل أحداً من تلك المطاوعة بالإساءة بعد التولى والمقدرة ، ولا ريب وحق ذى الجلال ، إنهم لو مكنهم الله تعالى منه لقطعوه أوصال ، وأوقعوا به أقبح المثلة والنكال ، وإلا حرقوه بالنار من غير مراجعة ولا سؤال ، وهو يتحقق منهم تلك الأحوال والأمور ، ولكنه لم ينتصر لنفسه بعد التمكن والظهور فحين أكرمه الله تعالى وأعلى فى الخافقين منزلته وشانه ، وأهلك حساده وعدوانه وأعز جماعته وأعوانه وجاءوا وافدين عليه منقادين قسرا إليه وأوقفوا أكثرهم بين يديه وتنصلوا معذرتهم بين يديه أدخلوا بلده وأوطانه ، فلم يعاملهم بالإذلال والإهانة ، ولم يحتج إلى سبيل التوبيخ والعتاب ، ولم يفتح للتأنيب والتبكيت أبواب ، ومنحهم برّه ومعروفه وإكرامه ، ولم يقابل بالعذل والملامة وأبدى لهم البشاشة والملاطفة ، وأعرض عما أتوه من الإسراف والمجانفة ، وكأنهم لم يصدر عليه منهم بلا، ولم يسعوا به عند ولاة الملا وأخذته لهم الرحمة، ولا أراد لهم سوءا ولا وصمة ولا مكروها ولا نقمة ، وهذا الأمر لاتقواه الطباع البشرية ولا تهواه قلوب أكثر البرية ولا تحمله الأنفة والحمية ، ولا تكظم عليه ذوو العصبية وهذا الشأن والمقام لايدرك ولا ينال ولايرام ، ولا يتبوأ بحبوحته إلا البررة الكرام والعلماء بالله الأعلام ممن جمله الله تعالى بحلل تقواه وحلاه بحلل معرفته وهداه ، وهم الذين يقومون حين ينادى المنادى من بطنان العرش « ليقوم اليوم من أجره على الله » ولعله رحمه الله تعالى لمح سر « رب اهد قومى فإنهم لايعلمون » فلم يؤاخذهم بما كانوا يصنعون ، وتلقاهم

بالقبول والإقبال ولين لهم الجناح فى المقال حتى دهشت قلوبهم من الاختجال ، وما أسدى إليهم من النوال فكانت حاله معهم كما بينه التهامى فقال :

إنى لأرحم حاسدى لحرّ ما صمت صدورهم من الأوغار
نظروا صنيع الله بى فعيونهم فى جنة وقلوبهم فى نار

[المهمة الثالثة] يتأكد على كل مؤمن وموحد أن يسأل الله دوام الهداية ، ويسترشد ويتفكر فيما حباه به مولاه دون أكثر الخلق واختصه ، ويشكره سبحانه وتعالى أن وفقه لتأهله بالقعود على هذه المنصة وأهله لمراتب لم يكن لها أهلا وأسدى إليه من مواهبه إحساناً وفضلا ويلزم منهج الصبر على ماتسنى له من الابتلاء عدلا، فقلما سلم أهل الإخلاص والإيمان من عوارض الامتحان ونوائب البلايا والافتتان فى كل قطر ووقت وزمان ، ولكن السلوان المطاع النافى للحزن والهم والارتياع والجالب للنزغات النفسانية الارتداع إجالة الأبصار والأفكار وتحقيق مطالعة الأنظار والاتعاظ بعد ذلك والادكار وزيادة التسلى والاعتبار بما جرى على الأتقياء الأبرار من الفجرة الكفار فقد فعلوا بالمصطفين الأخيار ماهو معلوم بضرورة الأخبار من القتل والنشر بالمنشار والإلقاء فى موقد النار ، وما وقع على النبى المختار والآل والأصهار من الفسقة الفجار فإذا تأمل ذلك ذوالإيمان حصل له بالرضا إذعان وازداد سكوناً وصبراً على مضض الزمان وتجرّع غصص الهمّ والأحزان ، وكفى له أسوة وقدوة واتباع بهؤلاء السلف الصالح الأتباع ولو لم يكن فى ذلك من المصالح والأسرار إلا تكفير الخطايا والأوزار ورفع المنازل والدرجات العلى فى الجنات والأمن فى رفيع الغرفات وظهور الدين والآيات وإطماء الشرك والضلالات وإعزازه لأوليائه وإذلاله لأعدائه لكان كافيا وبالمقصود وافياً ،مع أن ابتلاءه لخاصته وأحبابه فيه سر عظيم فى نصر دينه وأحزابه وانتشار الكلمة ونموها وارتفاعها بعد ذلك وسموها ورسوخ التوحيد والدين وإقبال الخلق عليه أجمعين ، فهو فى الحقيقة حكمة بالغة ، ولكنها والله منة سابغة ، وقد جاء فى بعض الأحاديث : أن الله ذكر فى التوراة لموسى ، إنى أقسى قلب فرعون لتظهر آياتى وتظهر عجائبى ، فمن أكمل الله تعالى له هذا الدين وقوى له الإيمان واليقين من العلماء والمؤمنين صبر على أذى المؤذين وتحمل مشقة الممتحنين فهو لابد وأن تكون له العاقبة ويدرك مأموله ومطالبه وقد قال الله تعالى (أم حسبتم

أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين) ويجزؤ فى جميع حالاته وسائر طاعاته إلى ربه القريب المجيب أن ينيله ويقسم له من الجهاد فيه والصبر أوفر نصيب (أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب) فبعد سلوكه سنن الصبر وانتهاجه يتسنى له لذة سروره وابتهاجه ويفاض عليه من سحائب جود مولاه وبره أضعاف ثوابه وأجره مقابلة على ماعانى من صبره ومعاملة على قيامه بشكره ويفوز بدرجات الصبر فى الثواب ، وضده يحوز البعد عن الوصول إلى تلك الأبواب والارتقاء بعصمة تلك الأسباب إلى سنى تلك الأعتاب ويلقى إليهم الوزر والعقاب ، ويلقى فى درك الجحيم والعذاب ، والحكمة فى هذا واضحة جلية والنكتة فيها لائحة غير خفية وهو إظهار الله عز وجل العدل فى ذلك المقام حتى يقع ذلك معاينة فى جميع الأنام وتجرى الأمور الأخروية على ماكان عليه فى الدنيا من الأحكام ، إلافهو جل ثناؤه وعمت آلاؤه يعلم الأشياء قبل وقوعها جملة وتفصيلا ألا يعلمها من أوجدها وقدرها وصرفها تغييراً وتبديلا ولا تقع إلا على وفق ماأراده تصريفا وتحويلا ، وهذا من عظيم عدله وجسيم إحسانه وفضله أن لايؤاخذ أحداً بعلمه ولايعاجل بالعقوبة لحلمه . واعلم رحمك الله تعالى وأرشدك ويسر لك الخير وسددك أن ماصدر على الشيخ من الاختبار والامتحان وما قاساه من الابتلاء فى تلك الأزمان ممن يدعى الرفعة والشأن والقدم الراسخ فى العلم والعرفان ولا ريب أن الذى وقعوا فيه من الافتتان مماثل لما وقع فيه من قبلهم كما فى القرآن (وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء منّ الله عليهم من بيننا أليس الله بأعلم بالشاكرين) فارتقمهم الخداع فى تلك الأودية وجبذهم إليها بأسباب الأهوية حتى ألبسهم من ذلك الغدر أردية ، وكانت حيله وتسويلاته لهم مردية ، وإلا فالأكثر منهم ممن كسب واقترف أقرّ على نفسه واعترف أن ماأتى به محمد بن عبد الوهاب هو الحق والصواب ، وأن هذا هو التوحيد المطلوب ؛ ومن لم يتحقق به لم يفرق بين الرب والمربوب ، ولكن أنفت بعد ذلك منه القلوب وخشى أن يكون كل من رياسته ودنياه وجاهه مسلوب وقد صرح كثير منهم فى المحافل الكبار بأن مايفعل عند القبور والأشجار والطواغيت والأحجار من الشرك الأكبر الذى لايمحى إلا بالتوبة ويغفر ، وبعض

من أولئك برح على الإصرار ، ودام على الإنكار وبعض يقر عند الخاصة فى إسرار وينكر ذلك لدى الناس فى الإجهار حتى اجتمع منهم الحال وأخذ بهم الحسد ، وآل إلى إنكاره بعد المعرفة وأضحت ألستهم بعد ذلك فيه مسرفة ووجوههم عنه مصروفة حتى أنكروا من الشرع الأمور المعروفة فذكر لنا عن تحقيق ويقين أنهم أنكروا على عثمان بن معمر أدبه من تخلف عن الصلاة فى جماعة المسلمين وتأديبهم من لم يصل جملة وجبايته الزكاة وغير ذلك من أمور الدين . وكان كثير من علماء نجد العدوان يأتون رءوسا البدوان ويحذرونهم وقوع الصلاة فى حيهم وسماع الأذان ويحثونهم على التمسك بقبيح تلك الأديان وما كانوا عليه من الفسق والعصيان عياذا بك اللهم عن الحسد والبغى فيه والطغيان ، كما فعل ذلك المنتمون للعلم والبيان ، كيف حملهم ماملأ قلوبهم من البغض والحسد ؛ وما أضمروه من الحقد والغل الذى أعقبهم الحسرة والكمد على ذلك الزور المحظور فى الدين والافترا والتعدى على منصب الشريعة والاجترا ، ولم يحذروا فى ذلك سطوة الديان ، ولقد علموا أنهم باعوا الغالى بالدان فباءوا من صفقتهم بالخسران، وكان من أعظم الأسباب التى دعتهم إلى هذا الارتكاب وعدم الخوف والارتقاب ، وأشد ماحملهم على ذلك الإغرا الذى حازوا به سخطا وخسرا وأجل الدواعى لذلك والبواعث التى صيرت أكثرهم لمحكم التوحيدنواكث إعلان الشيخ رحمه الله تعالى بما هو الحق والصواب والواجب المحتم على من بلغ مناط الثواب والعقاب واللازم على من عرف حق المعرفة رب الأرباب وأراد القيام بوظائف الخدمة لينال الكرامة يوم الحساب وهوالتمسك والاعتصام بالسنة والكتاب والعمل بما جاء من هدى الأصحاب وبما اختاره الأئمة الأربعة الذين شاعت مذاهبهم فى الأمة فهو وإن كان التزم مذهب ، فلا يقدمه على النص القاطع ولايتعصب ، بل إن لم يلق من النصوص القاطعة دليلا لم يتخذ غيرها سبيلا ؛ ولكنه يختار من هو إلى الدليل أقرب ؛ ومن الأقوال ماهوأصوب ، ومن الحكم ماهو أوفق بالشريعة وأنسب فلما أسفر من كلامه نور هذا الفجر المنير وبدر منه هذا البرهان الساطع المستطير والنبراس الذى يهتدى به من أراد إلى الله السير والحكم الذى أوجب الله تعالى على كافة الخلق إليه المصير طارت قلوبهم من ذلك فرقا أعظم مطير وسعوا إلى عذب ذلك النمير بالسعى إلى صافى سلساله بالتكدير وإلى تلك المناهل الموردة للأفاضل باجتلاب

شوائب التغيير وتساعد على ذلك الفعل الخطير الصغير منهم والكبير ، وتغافلوا عما ورد من الأحكام البينات والآيات القواطع المحكمات ولو لم يكن إلا آية النساء لكفى حجة على المراد ودليلا (فإن تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول) إلى قوله (ذلك خير وأحسن تأويلا) قال العلامة شمس الدين فى [أعلام الموقعين] أجمع الناس على أن الرد إلى الله تعالى هو الرد إلى كتابه ، والرد إلى رسوله هو الرد إليه نفسه فى حياته وإلى سنته بعد وفاته قال تعالى (فإن لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم ، ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله إن الله لايهدى القوم الظالمين) فقسم الأمر إلى اثنين : إما الاستجابة لله والرسول وما جاء به ، وإما اتباع الهوى وكل مالم يأت به الرسول فهو من الهوى ، وقد حرم سبحانه القول عليه بلا علم وجعل ذلك أعظم من الشرك لأنه جعل فى المرتبة الرابعة فقال تعالى (وأن تقولوا على الله مالا تعلمون) . وقال تعالى (إن الذين يفترون على الله الكذب لايفلحون) وقال : كلام أهل الحق على أنه لايجوز أن يقول العبد : هذا حلال وهذا حرام ، إلا لما علم أن الله أحله وحرمه . وقال الشافعى قدس الله تعالى روحه : أجمع المسلمون على أن من استبانت له سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن له أن يدعها لقول أحد من الناس . وقال أبو عمر وغيره من العلماء : أجمع الناس على أن المقلد ليس معدودا من أهل العلم وأن العلم معرفة الحق بدليله وهذا أيضاً كما قال أبو عمر بن عبد البر رحمه الله تعالى فإن الناس لايختلفون أن العلم هو المعرفة الحاصلة عن الدليل وأما بدون الدليل فهو تقليد؛ فقد تضمن هذان الإجماعان إخراج المتعصب بالهوى والمتعصب الأعمى عن زمرة العلماء فإن العلماء ورثة الأنبياء والأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهما ، وإنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر وكيف يكون من ورثة الرسول من يجهد ويكدح فى رد ماجاء به إلى قول مقلده ومتبوعه ويضيع ساعات عمره فى التعصب ولايشعر لتضييعه . فتنة عمت فأعمت ورمت القلوب فأصمت .

قال عبد الله بن المبارك وغيره من السلف : صنفان إذا صلحا صلح الناس وإذا فسدا فسد الناس ؛ قيل من هم ؟ قال العلماء والملوك . وقال عبد الله بن المبارك رحمه الله تعالى :

رأيت الذنوب تميت القلوب ... وقد يورث الذل إدمانها
وترك الذنوب حياة القلوب ... وخير لنفسك عصيانها

وهل أفسد الدين إلا الملوك وأحبار سوء ورهبانها

قال أبوعمر بن عبدالبر: قال أهل العلم والنظر: حد العلم التبيين وإدراك المعلوم على ماهو به، فمن بان له الشئ فقد علمه، قالوا والمقلد لاعلم له لم يختلفوا فى ذلك، ومن هنا — والله أعلم — قال البحترى:

عرف العارفون فضلك بالعلم وقال الجهال بالتقليد
وأرى الناس مجمعين على فضلك من بين سيد ومسود

وقال أبوعبد الله بن خويزمنداد البصرى المالكى: التقليد معناه فى الشرع الرجوع إلى قول لاحجة لقائله عليه وذلك ممنوع فى الشريعة والاتباع ماثبت عليه حجة، وقال فى موضع آخر من كتابه: كل من اتبعت قوله من غير أن يجب عليك قبوله بدليل يوجب ذلك فأنت مقلده فى دين الله غير صحيح وكل من أوجب الدليل عليك اتباع قوله فأنت متبعه والاتباع فى الدين مسوغ والتقليد ممنوع. وقد نهى الأئمة الأربعة عن تقليدهم وذموا من أخذ قولهم بغير حجة، فقال الشافعى: مثل الذى يطلب العلم بلاحجة كمثل حاطب ليل يحمل حزمة حطب وفيها أفعى تلدغه وهو لايدرى، ذكره البيهقى. وقال إسماعيل بن يحيى المزنى فى أول مختصره: اختصرت هذا الكتاب من علم الشافعى ولأقرأه على من أراده مع إعلامه نهيه عن تقليده وتقليد غيره لينظر فيه لدينه ويحتاط فيه لنفسه. وقال أبو داود: قلت لأحمد الأوزاعى هو أتبع من مالك، قال لاتقلد دينك أحدا من هؤلاء، ماجاء عن النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه فخذبه ثم التابعين بعد الرجل فيه مخير، وقد فرق أحمد بين التقليد والاتباع قال أبوداود سمعته يقول: الاتباع أن يسمع الرجل ماجاء عن النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه ثم هو فى التابعين مخير، وقال أيضا لا تقلدنى ولا تقلد مالكا ولا الثورى ولا الأوزاعى، وخذ من حيث أخذوا، وقال من قلة فقه الرجل أن يكون يقلد فى دينه الرجال. وقال بشر بن الوليد قال أبو يوسف لايحل لأحد أن يقول مقالتنا حتى يعلم من أين قلنا، وقد صرح الإمام مالك بأن من ترك قول عمر ابن الخطاب لقول إبراهيم النخعى أنه يستتاب فكيف من ترك قول الله ورسوله لقول من هو دون إبراهيم أو مثله، وقال جعفر الفريابى حدثنى أحمد بن إبراهيم الدورقى حدثنى الهيثم بن جميل قلت لمالك بن أنس ياعبد الله إن عندنا قوما وضعوا كتباً يقول أحدهم حدثنا فلان عن فلان عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه بكذا وكذا، وفلان

عن إبراهيم بكذا أو يأخذ بقول إبراهيم قال مالك وصح عندهم قول عمر قلت إنما هي رواية كما صح عندهم قول إبراهيم فقال هؤلاء يستتابون ، وقال الطحاوي حدثنا محمد بن الحكم حدثنا عبد الله بن الحكم حدثنا أشهب بن عبد العزيز قال كنت عند مالك فسئل عن البتة فأخذت ألواحي لأكتب ماقال. قال لي مالك لاتفعل فعسى في العشي أنها واحدة . وقال معن بن عيسى القزاز سمعت مالكا يقول إنما أنا بشر أخطىء وأصيب فانظروا في قولي فكل ماوافق الكتاب والسنة فخذوا به ومالم يوافق الكتاب والسنة فاتركوه . وقال بقيّ بن مخلد حدثنا شمعون والحارث بن مسكين عن ابن القاسم بن مالك أنه كان يكثر أن يقول (إن نظن إلا ظنا وما نحن بمستيقنين) وقال القعنبي : دخلت على مالك بن أنس في موضعه الذي مات فيه فسلمت عليه ثم جلست فرأيته يبكي فقلت يا أبا عبد الله مايبكيك ؟ قال يابن قعنب مالي لا أبكي ومن أحق بالبكاء مني؟ والله لوددت أني ضربت بكل مسألة أفتيت بها بالرأي سوطا وقد كانت لي السعة فيما سبقت إليه وليتني لم أفت بالرأي . وقال ابن أبي دؤاد حدثنا أحمد بن سنان قال سمعت الشافعي يقول مثل الذي ينظر في الرأي ثم يتوب منه مثل المجنون الذي عولج حتى برأ فأعقل مايكون . وقال ابن أبي دؤاد حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل قال : سمعت أبي يقول لا يكاد أحد نظر في الرأي إلا وفي قلبه دغل، وقال الأصم أنبأنا الربيع بن سليمان لنعطينك جملة تغنيك إن شاء الله : لاتدع لرسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا أبدا إلا أن يأتي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خلافه فتعمل بما قلت لك في الأحاديث إذا اختلفت، قال الأصم وسمعت الربيع يقول سمعت الشافعي يقول: إذا وجدتم في كتابي خلاف سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقولوا بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعوا ماقلت . وقال أحمد بن علي بن عيسى بن ماهان الرازي : سمعت الربيع يقول سمعت الشافعي يقول: كل مسألة تكلمت فيها صح الخبر فيها عن النبي صلى الله عليه وسلم عند أهل النقل، بخلاف ماقلت فإني راجع عنها في حياتي وبعد موتي . وقال الحاكم سمعت الأصم يقول سمعت الربيع يقول سمعت الشافعي يقول وروى حديثا فقال له رجل هل تأخذ بهذا يا أبا عبد الله فقال متى رويت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا صحيحاً فلم آخذ به فأشهدكم أن عقلي قد ذهب وأشار بيده على رءوسهم ، وقال الحميدي سأل رجل الشافعي عن مسألة فأفتاه وقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذا ،

وقال الرجل تقول بهذا ، قال رأيت فى وسطى زنارا ، أترانى خرجت من كنيسة أقول قال النبى صلى الله عليه وسلم وتقول لى أتقول بهذا أروى عن النبى صلى الله عليه وسلم ولا أقول به ، وقال الحاكم أنبأنى أبو عمرو بن السماك مشافهة أن أبا سعيد الجصاص حدثهم قال سمعت الربيع بن سليمان يقول سمعت الشافعى يقول وسأله رجل عن مسألة فقال روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال كذا وكذا فقال له السائل يا أباعبدالله أتقول بهذا ؟ فارتعد الشافعى واصفر وحال لونه وقال ويحك وأى أرض تقلنى وأى سماء تظلنى إذا رويت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً فلم أقل به نعم على الرأس والعينين نعم على الرأس وقال سمعت الشافعى يقول: ما من أحد إلا وقد يذهب عنه سنة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتعزب عنه فمهما قلت من قول أو أصلت من أصل فيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خلاف ماقلت فالقول ماقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قولى يردد هذا الكلام ، وقال الربيع قال الشافعى لم أسمع أحدا نسبته عامة أو نسب نفسه إلى علم يخالف فى أن اتباع أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم والتسليم لحكمه فإن الله لم يجعل لأحد بعده إلا اتباعه وأنه لايلزم قول رجل قال إلا بكتاب الله أو سنة رسوله وأن ما سواهما تبع لهما وإن فرض الله علينا وعلى من بعدنا وقبلنا فى قبول الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحد لايختلف فيه الفرق وواجب قبول الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلافرقة سأصف قولها إن شاء الله قال الشافعى ثم تفرق أهل الكلام فى تثبيت الخبر الواحد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تفرقا متبايناً وتفرق عنهم ممن نسبته العامة فى الفقه تفرقا أتى بعضهم فيه أكثر من التقليد والتحقيق من النظر والغفلة والاستعجال بالرياسة وتواتر عنه أنه قال : إذا صح الحديث فاضربوا بقولى الحائط

[تتمة] قد بين الشيخ رحمه الله تعالى فى بعض رسائله التقليد الممنوع والمأذون فيه والمباح فقال : وأما القول فى التقليد واتباع الدليل الثانى أن الله سبحانه فرض علينا فرضين :

الأول اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم وترك ما خالفه فى كل شىء وأن الإنسان لايؤمن حتى يحكمه فيما شجر بينه وبين غيره ، والفرض الثانى أن الله فرض علينا فى كل مسألة تنازعنا فيها أن نردها إلى الله والرسول كما قال تعالى (فإن تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول) وخاطب بها جميع المؤمنين المجتهد وغيره ، ولكن نقول الواجب

عليك تقوى الله ماستطعت وذلك أن تطلب علم ماأنزل الله على رسوله من الكتاب والحكمة على قدر فهمك فما عرفت من ذلك فاعمل به ومالم تعرفه واحتجت فيه إلى تقليد أهل العلم قلدتهم وما أجمعوا عليه فهو الحق وما تنازعوا فيه رده إلى الله والرسول ؛ وأما أخذ الإنسان ماشتهت نفسه ووجد عليه آباءه وترك ماخالفه من كلام أهل العلم وغفلته عن كلام الله ورسوله واستهزاؤه بمن طلب ذلك فهذا هو الضلال الذى أنكرنا والأدلة على هذا من كلام أهل العلم أكثر من أن تحصر: منها ماذكره ابن رجب فى الطبقات فى ترجمة ابن هبيرة قال مما أنكره على بعض من يفتى فى عصره قال وتارة إذا ذكرت لأحدهم الدليل قال ليس هذا مذهبنا فيقيم أوثانا تعبد مع الله قال وقال فى حاشية المنتقى فى كتاب القضا: من قلد إماما ثم خالفه لقوة الدليل أو يكون أحدهما أعلم أو أتقى أو أورع فقد أحسن فقد صرح أن المقلد إذا خالف إمامه لقوة الدليل أو يكون أحدهما أعلم فقد أحسن . وقال الشيخ تقى الدين لما سئل عن المقلد لبعض الأئمة إذا رأى حديثاً يخالف إمامه : قد ثبت أن الله فرض على الخلق طاعته وطاعة رسوله ولم يوجب على هذه الأمة طاعة أحد بعينه فى كل مايأمر به وينهى عنه إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إن صديق هذه الأمة وأفضلها بعد نبيها يقول : أطيعونى ماأطعت الله فيكم فإذا عصيت الله فلا طاعة لى عليكم . واتفقوا كلهم على أن ليس أحد معصوما فى كل مايأمر به وينهى عنه إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولهذا قال غير واحد من الأئمة : كل أحد من الناس يؤخذ من قوله ويترك إلا الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهؤلاء الأئمة الأربعة قد نهوا الناس عن تقليدهم فى كل مايقولونه وذلك هو الواجب عليهم . وقال أبو حنيفة هذا رأيى فمن جاء برأى خير منه قبلناه ، ولهذا لما حج أفضل الصحابة أتى مالكا فسأله عن مسألة الصاع وصدقة الخضروات ومسألة الأجناس فأخبره مالك بما تدل عليه السنة فى ذلك وقال قد رجعت إلى قولك ياأباعبدالله ولو رأى صاحبي مثل مارأيت لرجع كما رجعت ، ومالك كان يقول : إنما أنا بشر أصيب وأخطىء فأعرضوا قولى على الكتاب والسنة أو كلاما هذا معناه ، والشافعي كان يقول إذا صح الحديث فاضربوا بقولى الحائط ، وإذا رأيت الحجة موضوعة على الطريق فهو قولى ، والإمام أحمد كان يقول لاتقلدونى ولاتقلدوا مالكا ولا الشافعي ولا الثورى وتعلم كما تعلمنا ، وقد ثبت فى الصحيح عن النبى

صلى الله عليه وسلم أنه قال « من يرد الله به خيراً يفقهه فى الدين » ولازم ذلك أن من لم يرد به خيراً لم يفقهه فى الدين فيكون التفقه فى الدين فرضا والتفقه فى الدين معرفة الأحكام الشرعية بأدلتها السمعية فمن لم يعرف ذلك لم يكن متفقها فى الدين لكن من الناس من قد يعجز عن معرفة الأدلة التفصيلية فى جميع أموره فيسقط عنه معرفته ويلزمه ما يقدر عليه . وأما القادر على الاستدلال فقيل يحرم عليه التقليد مطلقا وقيل يجوز مطلقاً وقيل يجوز عند الحاجة كما إذا ضاق الوقت عند الاستدلال وهذا القول أعدل الأقوال والاجتهاد ليس هو أمراً واحداً فيقبل التجزى والانقسام بل قد يكون الرجل مجتهدا فى فن أو باب أو مسألة دون فن أو باب أو مسألة وكل أحد فاجتهاده بحيث وسعه ، فمن نظر فى مسألة تنازع العلماء فيها ورأى مع أحد القولين نصوصا لا يعلم لها معارضا بعد نظر مثله فهو بين أمرين إما أن يتبع قول القائل الآخر بمجرد كونه الإمام الذى اشتغل على مذهبه ومثل هذا ليس بحجة شرعية بل مجرد عادة يعارضها عادة غيره لاشتغاله على مذهب إمام آخر وإما أن يتبع القول الذى ترجح فى نظره بالنصوص الدالة عليه فحينئذ تكون موافقته لإمام تقاوم ذلك الإمام ، وتبقى النصوص سالمة فى حقه عن المعارض فهذا هو الذى يصلح . وإنما تنزلنا هذا التنزل لأنه قد يقال إن نظر هذا قاصر وليس اجتهاده تاما فى هذه المسألة لضعف آلة الاجتهاد فى حقه. وأما إذا قدر على الاجتهاد التام الذى يعتقد معه أن القول الآخر ليس معه مايدفع به النص فهذا يجب عليه اتباع النصوص ، وإن لم يفعل كان متبعاً للظن وما تهوى الأنفس ، وكان من أكبر العصاة لله ولرسوله؛ بخلاف من قد يقول قد يكون للقول الآخر حجة راجحة على هذا النص وأنا لا أعلمها فهذا يقال له قد قال الله تعالى (فاتقوا الله مااستطعتم) وقال النبى صلى الله عليه وسلم « إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه مااستطعتم » والذى تستطيعه من العلم والفقه فى هذه المسألة قد دلك على أن هذا القول هو الراجح فعليك أن تتبعه ؛ ثم إن تبين لك فيما بعد أن للنص معارضا راجحا كان حكمك حكم المجتهد إذا تغير اجتهاده ، وانتقال الإنسان من قول إلى قول لأجل ماتبين له من الحق هو محمود فيه بخلاف إصراره على قول لاحجة معه عليه ، أما ترك القول الذى توضحت حجته أو الانتقال من قول إلى قول لمجرد عادة أو اتباع هوى فهذا مذموم ، وإذا كان الإمام المقلد قد سمع الحديث وتركه لاسيما إذا كان قد رواه أيضاً فمثل هذا وحده لايكون عذراً فى ترك

النص وقد بينا فيما كتبناه فى [رفع الملام عن الأئمة الأعلام] نحو عشرين عذراً للأئمة فى ترك العمل ببعض الحديث وبينا أنهم يعذرون فى الترك لتلك الأعذار . وأما نحن فلسنا معذورين فى تركنا لهذا القول ، فمن ترك الحديث لاعتقاده أن ظاهر القرآن يخالفه أو القياس أو عمل بعض الأمصار وقد تبين لآخر أن ظاهر القرآن لايخالفه وأن نص الحديث الصحيح مقدم على الظواهر ومقدم على القياس والعمل لم يكن عذر ذلك الرجل عذراً فى حقه فإن ظهور المدارك الشرعية للأذهان وخفاءها عنها أمر لاينضبط طرفا لاسيما إذا كان التارك للحديث معتقدا أنه قد ترك العمل به المهاجرون والأنصار من أهل المدينة النبوية وغيرها الذين يقال إنهم لايتركون الحديث إلا لاعتقادهم أنه منسوخ أوله معارض راجح ؛ وقد بلغ من بعده أن المهاجرين والأنصار لم يتركوه بل عمل به طائفة منهم أو من سمعه منهم ونحو ذلك مما يقدح فى هذا المعارض للنص ، وإذا قيل لهذا المستهدى المسترشد أنت أعلم أم الإمام الفلانى كانت هذه معارضة فاسدة لأن الإمام الفلانى قد خالفه فى هذه المسألة من هو نظيره من الأئمة إلى نسبته أبى بكر وعمر وعثمان وعلى وابن مسعود وأبى ومعاذ ونحوهم من الأئمة وغيرهم فكان هؤلاء الصحابة بعضهم لبعض أكفاء فى موارد النزاع وإذا تنازعوا فى شىء ردوا ماتنازعوا فيه إلى الله والرسول ، وإن كان بعضهم قد يكون أعلم فى مواضع أخر ، وكذلك موارد النزاع بين الأئمة ، وقد ترك الناس قول عمر وابن مسعود فى مسأله تيمم الجنب وأخذوا بقول من هو دونهما كأبى موسى الأشعرى وغيره لما احتج بالكتاب والسنة وتركوا قول عمر فى دية الأصابع وأخذوا بقول معاوية لما كان معه السنة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال «هذه وهذه سواء» وقد كان بعض الناس يناظر ابن عباس فى المتعة فقال له قال أبو بكر وعمر فقال ابن عباس يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء أقول لكم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقولون قال أبو بكر وعمر وكذلك ابن عمر لما سألوه عنها فأمر بها فعارضوه بقول عمر فبين لهم أن عمر لم يرد ما يقولونه فألحوا عليه فقال لهم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أحق أن تتبعوا أم أمر عمر مع علم الناس أن أبا بكر وعمر أعلم ممن فوق ابن عمر وابن عباس ، ولو فتح هذا الباب لوجب أن يعرض عن قول الله ورسوله ويبقى كل إمام فى اتباعه بمنزلة النبى صلى الله عليه وسلم وهو تبديل للدين يشبه ما عاب الله به

النصارى فى قوله (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم ، وماأمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا لاإله إلاهو سبحانه عمايشركون) ولو أطلقت لجواد الفهم العنان وأجريته فى فسيح الميدان واستوعبت ماثبت فيه من قول العلماء الأعيان وأتيت بما صح عن ذوى الشأن لكان عبابا متلاطم الأمواج وضبابا هامل الودق ثجاج ومهامه لايستطاع السلوك فى فجاجها ولا يتسنم شامخ منهاجها ولـكاد صافن الفكر أن يحجم فى هذا المضمار ، ويسرع إلى سابق اليراع الـكبوة والعثار فى استيفاء تلك الآثار والاستقصاء على ورد من الأخبار ، ولاقتضى فى الـكتابة أسفار والمراد تأدية مايسلّ به للقلوب أسفار فتستضئ ألباب ذوى الاستبصار فتشرق منه أنوار الاعتبار .

ولمحمد بن إسماعيل الصنعانى قصيدة بديعة فى هذا المعنى فائقة أترابها رونقاً وحسنا ، وقد جرّت ذيول الفخر لاسيما بمدح هذا الحبر ، وهاهى عليك بادية ، وبلسان الفضيحة على المعاند منادية :

سلامى على نجد ومن حلّ فى نجد ... وإن كان تسليمى على البعد لايجدى
لقد صدرت من سفح صنعا سقى الحيا ... رباها وحياها بقهقهة الرعد
سرت من أسير ينشد الريح إن سرت ... ألا ياصبا نجد متى هجت من نجد
يذكرنى مسراك نجدا وأهله ... لقد زادنى مسراك وجدا على وجد
قفى واسألى عن عالم حل سوحها ... به يهتدى من ضل عن منهج الرشد
محمد الهادى لسنة أحمد ... فياحبذا الهادى وياحبذا المهدى
لقد أنكرت كل الطوائف قوله ... بلا صدر فى الحق منهم ولا ورد
وما كل قول بالقبول مقابل ... ولا كل قول واجب الطرد والرد
سوى ماأتى عن ربنا ورسوله ... فذلك قول جل ياذا عن الرد
وأما أقاويل الرجال فإنها ... تدور على قدر الأدلة فى النقد
وقد جاءت الأخبار عنه بأنه ... يعيد لنا الشرع الشريف بما يبدى
وينشر جهرا ماطوى كل جاهل ... ومبتدع منه فوافق ماعندى
ويعمر أركان الشريعة هادما ... مشاهد ضل الناس فيها عن الرشد
أعادوا بها معنى سواع ومثله ... يغوث وودّ بئس ذلك من ودى
وقد هتفوا عند الشدائد باسمها ... كما يهتف المضطر بالواحد الفرد

وكم عقروا فى سوحها من عقيرة — أهلت لغير الله جهراً على عمد

وكم طائف حول القبور مقبل — ومستلم الأركان منهن باليد

وحرق عمداً للدلائل دفتراً — أساب ففيها مايجل عن العد

علوم نهى عنها الرسول وفرية — بلا مرية فاتركه إن كنت تستهد

أحاديث لاتعزى إلى عالم فلا — تساوى فلسا إن رجعت إلى النقد

وصيرها الجهال للذكر ضرة — ترى درسها أذكى لديهم من الحمد

لقد سرنى ماجاءنى من طريقه — وكنت أرى هذه الطريقة لى وحدى

وأقبح من كل ابتداع سمعته — وأنكاه للقلب الموفق للرشد

مذاهب من رام الخلاف لبعضها — يعض بأنياب الأساود والأسد

يصب عليه سوط ذم وغيبة — ويجفوه من قد كان يهواه عن عمد

ويعزى إليه كل ما لايقوله — لتنقيصه عند التهامىّ والنجدى

فيرميه أهل النصب بالرفض فرية — ويرميه أهل الرفض بالنصب والجحد

وليس له ذنب سوى أنه غدا — يتابع قول الله فى الحل والعقد

ويتبع أقوال الرسول محمد — وهل غيره بالله فى الناس من يهد

وإن عدّه الجهال ذنباً فحبذا — به حبذا يوم انفرادى فى لحدى

علام جعلتم أيها الناس ديننا — لأربعة لاشك فى فضلهم عندى

هم علماء الدين شرقا ومغربا — ونور عيون الفضل والحق والزهد

ولكنهم كان الناس ليس كلامهم — دليلا ولا تقليدهم فى غد يجدى

ولا زعموا حاشاهم أن قولهم — دليل فيستهدى به كل مستهد

بلى صرحوا أنا نقابل قولهم — إذا خالف المنصوص بالقدح والرد

سلامى على أهل الحديث فإننى — نشأت على حب الأحاديث من مهد

هم بذلوا فى حفظ سنة أحمد — وتنقيحها من جهدهم غاية الجهد

وأعنى بهم أسلاف أمة أحمد — أولئك فى بيت القصيدة هم قصدى

أولئك أمثال البخارى ومسلم — وأحمد أهل الجهد فى العلم والجد

بحور وحاشاهم عن الجزر إنما — لهم مدد يأتى من الله بالمد

رووا وارتووا من علم سنة أحمد — وليست لهم تلك المذاهب من ورد

كفاهم كتاب الله والسنة التى … كفت قبلهم صحب الرسول ذوى الرشد
أأنتم أهدى أم صحابة أحمد … وأهل الكسا هيهات ما الشوك كالورد
أولئك أهدى فى الطريقة منكم … فهم قدوتى حتى أوسد فى لحدى
وشتان ما بين المقلد فى الهدى … ومن يقتدى والضد يعرف بالضد
فمن قلد النعمان أصبح شاربا … نبيذاً وفيه القول للبعض بالحد
ومن يقتدى أضحى إمام معارف … وكان إماما فى العبادة والزهد
فمقتديا فى الحق كن لامقلداً … وخل أخا التقليد فى الأسر بالقد
وأكفر أهل الأرض من قال إنه … إله فإن الله جل عن الند
مسماه كل الكائنات جميعها … من الكلب والخنزير والقرد والفهد
وإن عذاب النار عذب لأهلها … سواء عذاب النار أو جنة الخلد
وعباد عجل السامرى على هدى … ولائمهم فى اللوم ليس على رشد
وينشدنا عنه نصوص نصوصه … ينادى خذوا فى النظم مكنون ما عندى
وكنت امرأ من جند إبليس فارتمى … بى الدهر حتى صار إبليس من جندى
فلو مات قبلى كنت أدركت بعده … دقائق كفر ليس يدركها بعدى
وكم من ضلال فى الفتوحات صدقت … به فرقة أضحوا ألد من اللد
يلوذون عند العجز بالذوق ليتهم … يذوقون طعم الحق والحق كالشهد
فنسألهم ما الذوق قالوا مناله … عزيز فلا بالرسم يدرك والحد
تسترهم بالكشف أو الذوق أشعرا … بأنهم عن مطلب الحق فى بعد
ومن يطلب الإنصاف يدلى بحجة … ويرجع أحيانا ويهدى ويستهدى
وهيهات كل فى الديانة تابع … آباءه كأن الحق فى الآباء والجد
وقد قال هذا قبلهم كل مشرك … فهل قدحوا هذى العقيدة من زند
كذا أصحاب الكتاب تتابعوا … على ملة الآباء فرداً على فرد
وهذا اغتراب الدين فاصبر فإننى … غريب وأصحابى كثير بلا عد
إذا ما رأونى عظمونى وإن أغب … فكم أكلوا لحمى وكم مزقوا جلدى
هنيئاً مريئا فى اغتيابى فوائد … فكل فتى يغتابنى فهو لى يهدى
يصلى ولى أجر الصلاة وصومه … ولى كل شئ من محاسنه يبدى

وكم حاسد قد أنضج الغيظ قلبه ولكنه غيظ الأسير على القدّ
فدونكها تحوى علوما جليلة منزهة عن وصف خدّ وعن قد
فلا مدحت وصلا لليلى وزينب ولا هى ذمت هجر سعدى ولا هند
إليك طوت عرض الفيافى وطولها فكم قطعت غورا ونجدا إلى نجد
أناخت بنجد فاستراحت ركابها وراح خليا من رحيل ومن شد
فأحسن قراها بالقراءة ناظماً عليها جواباً فهى من جملة الوفد
وقد طوت جبرا لضعف نظامها كما ستر الوجه المشوه بالبرد
وصل على المختار والآل إنها لحسن ختام النظم واسطة العقد

قدتبين لكل متأمل منصف فساد ما نحاه كل مجادل ومعاند مسرف ووضح له بجلب هذه الآثار والأنقال وسرد هذه العبارات البريئة من وصمة المقال الصحيح الذى يجب اتباعه والعمل به من الأقوال والفاسد الذى لم ينسج من الشريعة الغراء على منوال ، وزال مافى قلبه من الرين والإشكال وعرف يقيناً أن ما اقتفاه من الهدى الصحب والآل هو النجاة يوم القيامة من شدائد تلك الأهوال فيدع ما انتحله من المناهج المتأخرة الرجال ويعرف فضل ذوى العلم والأعمال الذين اتخذوا كتاب الله تعالى لهم سميرا وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم لهم ظهيرا فكان لهم تبارك وتعالى معينا ونصيرا حتى عرجوا فى معارج الكمال وتبوءوا مراتب من الشرف لا تدرك ولا تنال، بل لا يواطأ بغير التوحيد لها جال وصب عليهم من صيب الرحمة سجال وتلقاهم بالقبول والإقبال وأسكنهم من الخلد أرفع ظلال ينالون ما يشتهون فيه بالغدوّ والآصال فمن عزت عليه نفسه سعى من الأسباب لها فى الخلاص وراقب يوم الأخذ بالنواص حين يعض الظالم على يديه ندامة وتسوبلا وينادى على رؤوس الأشهاد يوم الوقوف والتناد ولكن لايعرّج على قوله تعويلا ولا يجد إلى منهج الفكاك دليلا فيقول مما يكابد من العذاب جزاء له وتنكيلا (ياليتنى اتخذت مع الرسول سبيلا) ويتحقق بعد ذلك المشاهدة والمعاينة على ما كان سالكا فى الدنيا من المباينة لما كان عليه صالح السلف والأتباع الذين هم أهدى خلف وتستبين لهم سبيل الراسخين الأتباع فيجاهد نفسه الراكنة إلى الهوى على الاهتداء بهم والاتباع ويجزم بأن أكثر ماقرره غلاة الأحبار وأجالوا فيه دقائق الأفكار من إيجاب التقليد وإنكار الاجتهاد وأنه لايسوغ لأحد من العباد

تعصب منهم على الوظائف والمناصب ومصادمة للحق ، حملهم عليها الاستعلاء للمراتب واستيفاء المقرر لأهل تلك المذاهب .

خاتمة

توفى الشيخ رحمه الله تعالى وله من العمر قريباً من ثنتين وتسعين سنة ، وكان فى خلال هذه المدة يبذل فى طاعة مولاه جهده محافظا على ماله من الأحزاب والأوراد مشمراً فى تحصيل نافع الزاد متجردا للاستعداد ليوم المعاد حتى لقى الله تعالى فأفاض عليه من صيب الرحمة سجالا ، وسيأتى الكلام على وفاته فى سنتها المعلومة مع مرثية هنا مثبتة مرقومة ؛ وقد صنف رحمه الله تعالى مصنفات كثيرة وألف مؤلفات نافعة شهيرة منها : كتاب التوحيد فيما يجب من حق الله على العبيد وكتاب الكبائر وكتاب كشف الشبهات وكتاب السيرة المختصرة وكتاب السيرة المطولة نحو مجلد وكتاب مختصر الهدى النبوى فى مجلد لطيف وكتاب مجموع الحديث على أبواب الفقه وكتاب مختصر الشرح الكبير والانصاف مجلد كبير ؛ وله رسائل كثيرة عقدنا للمختصرات منها فصلا واستوعبنا ما وقفنا عليه منها . وأما الرسائل المطولة فمنها : كشف الشبهات وسيأتى ومنها رسالة كتبها لعبد الله بن عبد اللطيف الأحسائى وهى هذه ، وأنا أذكرها بكمالها لما فيها من الفوائد الجليلة قال فيها :

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن عبد الوهاب إلى عبد الله بن محمد بن عبد اللطيف حفظه الله تعالى : سلام عليكم ورحمة الله وبركاته . أما بعد ، فقد وصل إلينا من ناحيتكم مكاتيب فيها إنكار وتغليظ على ولما قيل إنك كتبت معهم وقع فى الخاطر بعض الشىء لأن الله سبحانه نشر لك من الذكر الجميل وأنزل فى قلوب عباده لك من المحبة ما لم يؤته كثيراً من الناس لما يذكر عنك من مخالفة من قبلك من حكام السوء وأيضا لما أعلم منك من محبة الله ورسوله وحسن الفهم واتباع الحق ولو خالفك فيه كبار أئمتكم لأنى اجتمعت بك من نحو عشرين وتذاكرت أنا وإياك فى شىء من التفسير والحديث وأخرجت لى كراريس من البخارى كتبتها ونقلت على هوامشها من الشروح وقلت فى مسألة الإيمان التى ذكر البخارى فى أول الصحيح ، هذا هو الحق الذى أدين الله به فأعجبنى هذا الكلام لأنه خلاف مذهب أئمتكم المتكلمين وذاكرتنى أيضا فى بعض المسائل فكنت أحكى لمن يتعلم منى ما منّ الله به عليك من حسن الفهم ومحبة الله والدار

الآخرة فلأجل هذا لم أظن فيك المسارعة فى هذا الأمر لأن الذين قاموا فيه مخطئون على كل تقدير ، لأن الحق إن كان مع خصمهم فواضح وإن كان معهم ، فينبغى للداعى إلى الله أن يدعو بالتى هى أحسن إلا الذين ظلموا منهم، وقد أمر الله رسوليه موسى وهارون أن يقولا لفرعون قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى . وينبغى للقاضى أعزه الله بطاعته لما ابتلاه الله بهذا المنصب أن يتأدب بالآداب التى ذكرها الله فى كتابه الذى أنزل ليبين للناس ما اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يوقنون فمن ذلك لا يستخفنه الذين لا يوقنون ويتثبت عند سعايات الفساق والمنافقين ولا يعجل ، وقد وصف الله المنافقين فى كتابه بأوصافهم وذكر شعب النفاق لتجتنب ويجتنب أهلها أيضاً . فوصفهم بالفصاحة والبيان وحسن اللسان بل وحسن الصورة فى قوله (وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وإن يقولوا تسمع لقولهم) الآية ، ووصفهم بالمكر والكذب والاستهزاء بالمؤمنين فى أول البقرة ووصفهم بكلام ذى الوجهين ووصفهم بالدخول فى المخاصمات بين الناس بما لا يحب الله ورسوله فى قوله (يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون فى الكفر) الآية ، ووصفهم باستحقار المؤمنين والرضا بأفعالهم ، ووصفهم بغير هذا فى البقرة وبراءة وسورة القتال وغير ذلك . كل ذلك نصيحة لعباده ليجتنبوا الأوصاف ومن تلبس بها ، ونهى الله نبيه عن طاعتهم فى غير موضع فكيف يجوز من مثلك أن يقبل مثل هؤلاء ؟ وأعظم من ذلك أن تعتقد أنهم من أهل العلم وتزورهم فى بيوتهم وتعظمهم وأنا لا أقول هذا فى واحد بعينه ، ولكن نصيحة وتعريف بما فى كتاب الله من سياسة الدين والدنيا لأن أكثر الناس قد نبذه وراء ظهره . وأما ماذكر لكم عنى فإنى لم آته بجهالة بل أقول ولله الحمد والمنة وبه القوة إننى هدانى ربى إلى صراط مستقيم ديناً قيما ملة إبراهيم حنيفا مسلما وما كان من المشركين ، ولست ولله الحمد أدعو إلى مذهب صوفى أو فقيه أو متكلم أو إمام من الأئمة الذين أعظمهم مثل ابن القيم والذهبى وابن كثير وغيرهم ، بل أدعو إلى الله وحده لا شريك له وأدعو إلى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم التى أوصى بها أول أمته وآخرهم وأرجو أنى لا أرد الحق إذا أتانى ، بل أشهد الله وملائكته وجميع خلقه إن أتانا منكم كلمة من الحق لأقبلنها على الرأس والعين ، ولأضربن الجدار بكل ماخالفها من أقوال أئمتى حاشا رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه لا يقول إلا الحق وصفة الأمر غير خاف عليكم ما درج عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه

والتابعون وأتباعهم والأئمة كالشافعي وأحمد وأمثالهما ممن أجمع أهل الحق على هدايتهم وكذلك مادرج عليه من سبقت له من الله الحسنى من أتباعهم ، وغير خاف عليكم ماأحدث الناس فى دينهم من الحوادث ، وما خالفوا فيه طريق سلفهم ، ووجدت المتأخرين أكثرهم قد غير وبدل وسادتهم وأئمتهم وأعلمهم وأعبدهم وأزهدهم مثل ابن القيم والحافظ الذهبي والحافظ العماد ابن كثير والحافظ ابن رجب قد اشتد نكيرهم على أهل عصرهم الذين هم خيرا من ابن حجر ، وصاحب الإقناع بالاجماع ، فإذا استدل عليهم أهل زمانهم بكثرتهم وإطباق على طريقتهم قالوا هذا من أكبر الأدلة على أنه باطل لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أخبر أن أمته تسلك مسالك اليهود والنصارى حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه . وقد ذكر الله فى كتابه أنهم فرقوا دينهم وكانوا شيعا وأنهم كتبوا الكتاب بأيديهم وقالوا هذا من عند الله وأنهم تركوا كتاب الله والعمل به ، وأقبلوا على ماأحدثه أسلافهم من الكتب وأخبر أنه وصاهم بالاجتماع ، وأنهم لم يختلفوا لخفاء الدين بل اختلفوا من بعد ماجاءهم العلم بغيا بينهم (وتقطعوا أمرهم بينهم زبراً كل حزب بما لديهم فرحون) والزبر الكتب ، فإذا فهم المؤمن قول الصادق المصدوق «لتتبعن سنن من كان قبلكم» وجعله قبلة قلبه تبين له أن هذه الآيات وأشباهها ليست على ماظن الجاهلون أنها كانت فى قوم كانوا فبانوا بل يفهم ماورد عن عمر رضى الله عنه أنه قال فى هذه الآيات مضى القوم وما يعنى به غيركم ، وقد فرض الله على عباده فى كل صلاة أن يسألوه الهداية إلى صراط المستقيم صراط الذين أنعم عليهم الذين هم غير المغضوب عليهم ولا الضالين . فمن عرف دين الإسلام وما وقع الناس فيه من التغيير له عرف مقدار هذا الدعاء وحكمة الله فيه .

والحاصل أن صورة المسألة هل الواجب على كل مسلم أن يطلب علم ماأنزل الله على رسوله ولا يعذر أحد فى تركه البتة أم يجب عليه أن يتبع التحفة مثلا . فأعلم المتأخرين وسادتهم منهم ابن القيم قد أنكروا هذا غاية الإنكار ، وأنه تغيير لدين الله واستدلوا على ذلك بما يطول وصفه من كتاب الله الواضح ، ومن كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم البين لمن نور الله قلبه ، والذين يجيزون ذلك أو يوجبونه يدلون بشبه واهية لكن أكبر شبههم على الإطلاق أنا لسنا من أهل ذلك ، ولا نقدر عليه ولا يقدر عليه إلا المجتهد ، وإنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون ، ولأهل العلم فى إبطال

هذه الشبهة ما يحتمل مجلدا ومن أوضحه قول الله تعالى (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله) وقد فسرها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حديث عدىّ بهذا الذى أنتم عليه اليوم فى الأصول والفروع لاأعلمهم يزيدون عليكم مثقال حبة خردل بل يبين مصداق قوله «حذو القذة بالقذة» إلى آخره ، وكذلك فسرها المفسرون لاأعلم بينهم اختلافا ومن أحسنه ماقاله أبو العالية : أما إنهم لم يعبدوهم ولو أمروهم بذلك ما أطاعوهم ؛ ولكنهم وجدوا كتاب الله فقالوا لانسبق علماءنا بشىء ماأمرونا به ائتمرنا وما نهونا عنه انتهينا ، وهذه رسالة لاتحتمل إقامة الدليل ولا جوابا عما يدلى به المخالف لكن أعرض عليه من نفسى الإنصاف والانقياد للحق فإن أردتم على الرد بعلم وعدل فعندكم كتاب [أعلام الموقعين لابن القيم] عند ابن فيروز فى مشرفه فقد بسط الكلام فيه على هذا الأصل بسطا كثيرا وسرد من شبه أئمتكم مالاتعرفون أنتم ولا آباؤكم وأجاب عنها واستدل لها بالدلائل الواضحة القاطعة ، منها أمر الله ورسوله عن أمركم هذا بعينه وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وصفوه من قبل أن يقع وحذروا الناس منه وأخبروا أنه لايصير على الدين إلا الواحد بعد الواحد ، وأن الإسلام يصير غريباً كما بدا ، وقد علمتم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سأله عمرو بن عبسة فى أول الإسلام: من معك على هذا؟ قال حر وعبد يعنى أبا بكر وبلالا فإذا كان الإسلام يعود كما بدا فما أجهل من استدل بكثرة الناس وأطباقهم وأشباه هذه الشبهة التى هى عظيمة عند أهلها حقيرة عند الله وعند أولى العلم من خلقه كما قال تعالى بل قالوا مثل ماقال الأولون فلا أعلم لكم حجة تحتجون بها إلا وقد ذكر الله فى كتابه أن الكفار استدلوا بها على تكذيب الرسل مثل أطباق الناس ، وطاعة الكبراء وغير ذلك . فمن من الله عليه بمعرفة دين الإسلام الذى دعا إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم عرف قدر هذه الآيات والحجج وحاجة الناس إليها ، فإن زعمتم أن ذكر هؤلاء الأئمة لمن كان من أهله ، فقد صرحوا بوجوبه على الأسود والأحمر والذكر والأنثى ، وأن مابعد الحق إلا الضلال، وأن قول من قال ذلك صعب مكيدة من الشيطان كادبها الناس عن سلوك الصراط المستقيم الحنيفية ملة إبراهيم ، وإن بان لكم أنهم مخطئون فبينوا لى الحق حتى أرجع إليه ، وإنما كتبت لكم هذا معذرة من الله ودعوة إلى الله لأحصل ثواب الداعين إلى الله وإلا أنا أظن أنكم لاتقبلونه وأنه عندكم

من أنكر المنكرات من أن الذى يعيب هذا عندكم مثل من يعيب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، لكن أنت من سبب ما أظن فيك من طاعة الله لا أبعد أن يهديك الله إلى الصراط المستقيم ويشرح قلبك للإسلام فإذا قرأته فإن أنكره قلبك فلا عجب فإن العجب ممن نجا كيف نجا فإن أصغى إليه قلبك بعض الشىء فعليك بكثرة التضرع إلى الله والانطراح بين يديه خصوصا أوقات الإجابة كآخر الليل وأدبار الصلوات ، وبعد الأذان وكذلك بالأدعية المأثورة خصوصاً الذى ورد فى الصحيح أنه صلى الله عليه وسلم كان يقول « اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدنى لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدى من تشاء إلى صراط مستقيم » فعليك بالإلحاح بهذا الدعاء بين يدى من يجيب المضطر إذا دعاه ، وبالذى هدى إبراهيم لمخالفة الناس كلهم وقل يا معلم إبراهيم علمنى ، وإن صعب عليك مخالفة الناس ففكر فى قول الله تعالى (ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ، ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئا — وإن تطع أكثر من فى الأرض يضلوك عن سبيل الله) وتأمل قوله فى الصحيح « بدا الإسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدا » وقوله صلى الله عليه وسلم « إن الله لا يقبض العلم » إلى آخره ، وقوله « عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى » وقوله « وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة » والآيات والأحاديث فى ذلك كثيرة أفردت بالتصنيف فإنى أحبك ، وقد دعوت لك فى صلاتى وأتمنى من قبل هذه المكاتيب أن يهديك الله لدينه القيم ولا يمنعنى من مكاتبتك إلا ظنى أنك لا تقبل وتسلك مسلك الأكثر ، ولكن لا مانع لما أعطى الله والله لا يتعاظم شيئاً أعطاه وما أحسنك لو تكون فى آخر هذا الزمان فاروقا لدين الله كعمر رضى الله عنه فى أوله فإنك لو تكون معنا لا نتصفنا ممن أغلظ علينا . وأما هذا الخيال الشيطانى الذى اصطاد به الناس أن من سلك هذا المسلك فقد نسب نفسه للاجتهاد وترك الاقتداء بأهل العلم وزخرفه بأنواع الزخارف فليس هذا بكثير من الشيطان وزخارفه كما قال تعالى (يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا) فان الذى أنا عليه وأدعوكم إليه هو فى الحقيقة الاقتداء بأهل العلم فإنهم قد وصوا الناس بذلك ، ومن أشهرهم كلاما فى ذلك إمامكم الشافعى قال : لا بد أن تجدوا عنى ما يخالف الحديث فكل ما خالفه فأشهدكم أنى قد رجعت عنه ، وأيضا أنا فى مخالفتى هذا العالم لم أخالفه وحدى فإذا اختلفت أنا وشافعى

مثلا فى أبوال مأكول اللحم وقلت القول بنجاسته يخالف حديث العرنيين ويخالف حديث أنس أن النبى صلى الله عليه وسلم صلى فى مرابض الغنم فقال هذا الجاهل الظالم أنت أعلم بالحديث من الشافعى؟ . قلت أنا لم أخالف الشافعى من غير إمام اتبعته بل اتبعت من هو مثل الشافعى أو أعلم منه قد خالفه واستدل بالأحاديث فإذا قال أنت أعلم من الشافعى قل أنت أعلم من مالك وأحمد فقد عارضته بمثل ماعارضنى به وسلم الدليل من المعارض واتبعت قول الله تعالى (فإن تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول) الآية واتبعت من اتبع الدليل فى هـذه المسألة من أهل العلم لم أستدل بالقرآن أو الحديث وحدى حتى يتوجه علىّ ماقيل وهذا على التنزل وإلا فمعلوم أن اتباعكم لابن حجر فى الحقيقة ولا تعبئون بمن خالفه من رسول أو صاحب أو تابع حتى الشافعى نفسه ولا تعبئون بكلامه إذا خالف نص ابن حجر وكذلك غيركم إنما اتباعهم لبعض المتأخرين لا للأئمة فهؤلاء الحنابلة من أقل الناس بدعـة ، وأكثر الإقناع والمنتهى مخالف لمذهب أحمد ونصه يعرف ذلك من عرفه ، ولا خلاف بينى وبينكم أن أهل العلم إذا أجمعوا وجب اتباعهم ، وإنما الشأن إذا اختلفوا هل يجب علىّ أن أقبل الحق ممن جاء به وأرد المسألة إلى الله والرسول مقتديا بأهل العلم أو أنتحل بعضهم من غير حجة وأزعم أن الصواب فى قوله فأنتم على هـذا الثانى وهو الذى ذمه الله وسماه شركا ، وهو اتخاذ العلماء أربابا وأنا على الأول أدعو إليـه وأناظر عليه ، فإن كان عندكم حق رجعنا إليه وقبلناه منكم وإن أردت النظر فى أعلام الموقعين فعليك بمناظرة فى أثنائه عقدها بين مقلد وصاحب حجة ، وإن ألقى فى ذهنك أن ابن القيم مبتدع وأن الآيات التى استدل بها ليس هذا معناها فاضرع إلى الله واسأله أن يهديك لما اختلفوا فيه من الحق وتجرد إلى ناظر أو مناظر أو اطلب كلام أهل العلم فى زمانه مثل الحافظ الذهبى وابن كثير وابن رجب وغيرهم ومما ينسب للذهبى رحمه الله :

العلم قال الله قال رسوله ... قال الصحابة ليس خلف فيه
ماالعلم نصبك للخلاف سفاهة ... بين الرسول وبين رأى فقيه

فإن لم تتبع هؤلاء فانظر كلام الأئمة قبلهم كالحافظ البيهقى فى كتاب المدخل والحافظ ابن عبد البر والخطابى وأمثالهم ومن قبلهم كالشافعى وابن جرير وابن قتيبة وأبى عبيد فهؤلاء إليهم المرجع فى كلام الله وكلام رسوله وكلام السلف ، وإياك وتفاسير

المحرفين للكلم عن مواضعه وشروحهم فإنها القاطعة عن الله وعن دينه وتأمل مافى كتاب الاعتصام للبخارى وما قال أهل العلم فى شرعه ، وهل يتصور شيء بما صرح مما صح عنه صلى الله عليه وسلم أن أمته ستفترق على أكثر من سبعين فرقة أخبر أنهم كلهم فى النار إلا واحدة ثم وصف تلك الواحدة أنها التى على ما كان عليه الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه وأنتم مقرون أنكم على غير طريقتهم وتقولون مانقدر عليها ولا يقدر عليها إلا المجتهد فجزمتم أنه لاينتفع بكلام الله وكلام رسوله إلا المجتهد وتقولون يحرم على غيره أن يطلب الهدى من كلام الله وكلام رسوله وكلام أصحابه فجزمتم وشهدتم أنكم على غير طريقتهم معترفين بالعجز عن ذلك وإذا كنتم مقرين أن الواجب على الأولين اتباع كتاب الله وسنة رسوله لايجوز العدول عن ذلك وأن هذه الكتب والتى خير منها لو تحدث فى زمن عمر بن الخطاب لفعل بها وبأهلها أشد الفعل ولو تحدث فى زمن الشافعى وأحمد لاشتد نكيرهم لذلك ، فليت شعرى متى حرم الله هذا الواجب وأوجب هذا المحرم ، ولما حدث قليل من هذا لايشبه ماأنتم عليه فى زمن الإمام أحمد اشتد إنكاره لذلك ولما بلغه عن بعض أصحابه أنه يروى عنه مسائل بخراسان قال أشهدكم أنى قد رجعت عن ذلك ولما رأى بعضهم يكتب كلامه أنكر عليه وقال تكتب رأيا لعلى أرجع عنه غدا اطلب العلم مثلما طلبنا ، ولما سئل عن كتاب أبى ثور قال كل كتاب ابتدع فهو بدعة ومعلوم أن أبا ثور من كبار أهل العلم وكان أحمد يثنى عليه وكان ينهى الناس عن النظر فى كتب أهل العلم الذين يثنى عليهم ويعظمهم ، ولما أخذ بعض أئمة الحديث كتب أبى حنيفة هجره أحمد وكتب إليه أن تركت كتب أبى حنيفة أتيناك تسمعنا كتب ابن المبارك ، ولما ذكر له بعض أصحابه أن هذه الكتب فيها فائدة لمن لايعرف الكتاب والسنة قال إن عرفت الحديث لم تحتج إليها وإن لم تعرفه لم يحل لك النظر فيها وقال عجبت لقوم عرفوا الإسناد وصحته يذهبون إلى رأى سفيان والله يقول : (فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم) قال أتدرى ماالفتنة ؟ الفتنة الشرك ، ومعلوم أن الثورى عنده غاية وكان يسميه أمير المؤمنين . فإذا كان هذا كلام أحمد فى كتب تتمنى الآن أن نراها فكيف بكتب قد أقر أهلها على أنفسهم أنهم ليسوا من أهل العلم وشهد عليهم بذلك ولعل بعضهم مات وهو لايعرف مادين الاسلام الذى بعث الله به رسوله

صلى الله عليه وسلم وشبهتكم التى ألقيت فى قلوبكم أنكم لاتقدرون على فهم كلام الله ورسوله والسلف الصالح . وقد قدمنا أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة » إلى آخره ، فتأمل هذه الشبهة أعنى قولكم لا نقدر على ذلك وتأمل ماحكى الله عن اليهود فى قوله : (وقالوا قلوبنا غلف بل لعنهم الله بكفرهم) وقوله (ولقد أنزلنا إليك آيات بينات وما يكفر بها إلا الفاسقون) وقوله (إنا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون) وقوله (ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر) واطلب تفاسير هذه الآيات من كتب أهل العلم واعرف من نزلت فيه واعرف الأقوال والأفعال التى كانت سبباً لنزول هذه الآيات ثم اعرضها على قولهم لانقدر على فهم القرآن والسنة تجد مصداق قوله لتتبعن سنن من كان قبلكم ومافى معناه من الأحاديث الكثيرة فلتكن قصة إسلام سلمان الفارسى منكم على بال ففيها أنه لم يكن على دين الرسل إلا الواحد بعد الواحد حتى إن آخرهم قال عند موته : لا أعلم على وجه الأرض أحدا على مانحن عليه ولكن قد أظل زمان نبى واذكر مع هذا قول الله تعالى (فلولا كان من القرون من قبلكم أولوا بقية ينهون عن الفساد فى الأرض إلا قليلا ممن أنجينا منهم) فحقيق لمن نصح نفسه وخاف عذاب الآخرة أن يتأمل ماوصف الله به اليهود فى كتابه خصوصا ماوصف به علماءهم ورهبانهم من كتمان الحق ولبس الحق بالباطل والصد عن سبيل الله ، وما وصفهم الله أى علماءهم من الشرك والإيمان بالجبت والطاغوت وقولهم للذين كفروا (هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا) لأنه عرف أن كل مافعلوا لابد أن تفعله هذه الأمة وقد فعلت ، وإن صعب عليك مخالفة الكبرا ولم يقبل ذهنك هذا الكلام فأحضر بقلبك أن كتاب الله أحسن الكتب وأعظمها بياناً وأشفى لدواء الجهل وأعظمها فرقا بين الحق والباطل والله سبحانه قد عرف تفرق عباده واختلافهم قبل أن يخلقهم ، وقد ذكر فى كتابه (وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذى اختلفوا فيه وهدى ورحمة) وأحضر قلبك هذه الأصول وما يشابهها فى ذهنك واعرضها على قلبك فإنه إن شاء الله يؤمن بها على سبيل الإجمال فتأمل قوله (وإذا قيل لهم اتبعوا ماأنزل الله قالوا بل نتبع ماوجدنا عليه آباءنا) وتكرير هذا الأصل فى مواضع كثيرة وكذلك قوله (أتجادلوننى فى أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ماأنزل الله بها من سلطان) فكل حجة تحتجون بها تجدها مبسوطة فى القرآن

وبعضها في مواضع كثيرة فأحضر بقلبك أن الحكيم الذى أنزل كتابه شفاء من الجهل فارقا بين الحق والباطل لايليق منه أن يقرر هذه الحجج ويكررها مع عدم حاجة المسلمين إليها ويترك الحجج الذى يحتاجون إليها ويعلم أن عباده يفترقون حاشا أحكم الحاكمين من ذلك . ومما يهوّن عليك مخالفة من خالف الحق وإن كان من أعلم الناس وأذكاهم وأعظمهم جهلا ولو اتبعه أكثر الناس ماوقع فى هذه الأمة من افتراقهم فى أصول الدين وصفات الله تعالى وغالب من يدعى المعرفة وما عليه المتكلمون وتسميتهم طريقة رسول الله صلى الله عليه وسلم حشوا وتشبيها وتجسيما مع أنك إذا طالعت فى كتاب من كتب الكلام مع كونه يزعم أن هذا واجب على كل أحد وهو أصل الدين تجد الكتاب من أوله إلى آخره لايستدل على مسألة منه بآية من كتاب الله ولا حديث عن رسول الله اللهم إلا أن يذكره ليحرفه عن مواضعه وهم معترفون أنهم لم يأخذوا أصولهم من الوحى بل من عقولهم ومعترفون أنهم مخالفون للسلف فى ذلك مثل ماذكر فى فتح البارى فى مسألة الإيمان على قول البخارى ، وهو قول وعمل ويزيد وينقص فذكر إجماع السلف على ذلك وذكر عن الشافعى أنه نقل الإجماع على ذلك وكذلك ذكر أن البخارى نقله ثم بعد ذلك حكى كلام المتأخرين ولم يرده فإن نظرت فى كتاب التوحيد فى آخر الصحيح — فتأمل تلك التراجم — وقرأت فى كتب أهل العلم من السلف ومن أتباعهم من الخلف ونقلهم الإجماع على وجوب الإيمان بصفات الله تعالى وتلقيها بالقبول وأن من جحد شيئا منها أو تأول شيئاً من النصوص فقد افترى على الله وخالف إجماع أهل العلم ونقلهم الإجماع أن علم الكلام بدعة وضلالة حتى قال أبو عمر بن عبد البر أجمع أهل العلم فى جميع الأعصار والأمصار أن أهل الكلام أهل بدع وضلالات لايعدّون عند الجميع من طبقات العلماء والكلام فى هذا يطول . والحاصل أنهم عمدوا إلى شىء أجمع المسلمون كلهم بل وأجمع عليه أجهل الخلق بالله عبدة الأوثان الذين بعث فيهم النبى صلى الله عليه وسلم فابتدع هؤلاء كلاما من عند أنفسهم كابروا به العقول أيضاً حتى إنكم لاتقدرون أن تغيروا عوامكم عن فطرتهم التى فطرهم الله عليها ثم مع هذا كله تابعهم جمهور من يتكلم فى علم هذا الأمر إلا من سبقت لهم من الله الحسنى وهم كالشعرة البيضاء فى جلد الثور الأسود يبغضونهم الناس ويرمونهم بالتجسيم . هذا ، وأهل الكلام وأتباعهم من أحذق الناس وأفطنهم حتى إن

لهم من الذكاء والحفظ والفهم مايحير اللبيب وهم وأتباعهم مقرون أنهم مخالفون للسلف حتى إن أئمة المتكلمين لما ردوا على الفلاسفة فى تأويلهم فى آيات الأمر والنهى مثل قولهم المراد بالصيام كتمان أسرارنا والمراد بالحج زيارة مشايخنا والمراد بجبريل العقل الفعال وغير ذلك من إفكهم رد عليهم الجواب بأن هذا التفسير خلاف المعروف بالضرورة من دين الإسلام فقال لهم الفلاسفة أنتم جحدتم علو الله على خلقه واستواءه على عرشه مع أنه مذكور فى الكتب على ألسنة الرسل ، وقد أجمع عليه المسلمون كلهم وغيرهم من أهل الملل فكيف يكون تأويلنا تحريفا وتأويلكم صحيحاً فلم يقدر أحد من المتكلمين أن يجيب عن هذا الإيراد والمراد أن مذهبهم مع كونه فاسدا فى نفسه مخالفا للعقول ، وهو أيضا مخالف لدين الإسلام والكتاب والرسول وللسلف كلهم ويذكرون فى كتبهم أنهم مخالفون للسلف ثم مع هذا راجت بدعتهم على العالم والجاهل حتى طبقت مشارق الأرض ومغاربها وأنا أدعوك إلى التفكر فى هذه المسألة وذلك أن السلف قد كثر كلامهم وتصانيفهم فى أصول الدين وإبطال كلام المتكلمين وتفكيرهم وممن ذكر هذا من متأخرى الشافعية البيهقى والبغوى وإسماعيل التيمى ومن بعدهم كالحافظ الذهبى ، وأما متقدموهم كابن سريج والدارقطنى وغيرهما فكلهم على هذا الأمر ففتش فى كتب هؤلاء فإن أتيتنى بكلمة واحدة أن منهم رجلا واحداً لم ينكر على المتكلمين ولم يكفرهم فلا تقبل منى شيئاً أبدا ومع هذا كله وظهوره غاية الظهور راج عليكم حتى ادعيتم أن أهل السنة هم المتكلمون والله المستعان . ومن العجب أنه يوجد فى بلدكم من يفتى الرجل بقول إمام والثانى بقول آخر والثالث بخلاف القولين ويعد فضيلة وعلما وذكاء ويقال هذا يفتى فى مذهبين أو أكثر ، ومعلوم عند الناس أن مراده فى هذا العلوّ والرياء وأكل أموال الناس بالباطل فإذا خالفت قول عالم لمن هو أعلم منه أو مثله إذا كان معه الدليل ولم آت بشىء من عند نفسى تكلمتم بهذا الكلام الشديد فإن سمعتم أنى أفتيت بشىء خرجت فيه من إجماع أهل العلم توجه علىّ القول ، وقد بلغنى أنكم فى هذا الأمر قمتم وقعدتم ، فإن كنتم تزعمون أن هذا إنكار للمنكر فياليت قيامكم كان فى عظائم فى بلدكم تضاد أصلى الإسلام شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله منها وهو أعظمها عبادة الأصنام عندكم من بشر وحجر هذا يذبح له وهذا ينذر له وهذا يطلب إجابة الدعوات وإغاثة اللهفات وهذا يدعوه المضطر فى البر والبحر

وهـذا يزعمون أن من التجأ إليه ينفعه فى الدنيا والآخرة ولو عصى الله ، فإن كنتم تزعمون أن هـذا ليس هو عبادة الأصنام والأوثان المذكورة فى القرآن فهذا من العجب فإنى لاأعلم أحدا من أهل العلم يختلف فى ذلك اللهم إلا أن يكون أحد وقع فيما وقع فيه اليهود من إيمانهم بالجبت والطاغوت . وإن ادعيتم أنكم لاتقدرون على ذلك فإن لم تقدروا على الكل قدرتم على البعض كيف وبعد الذين أنكروا على هذا الأمر وادعوا أنهم من أهل العلم ملتبسون بالشرك الأكبر ويدعون إليه ولو يسمعون إنسانا يجرد التوحيد ألزموه بالكفر والفسوق ؟ ولكن نعوذ بالله من رضاء الناس بسخط الله ؛ ومنها مايفعله كثير من أتباع إبليس وأتباع المنجمين والسحرة والكهان ممن ينتسب إلى الفقر وكثير ممن ينتسب إلى العلم من هذه الخوارق التى يوهمون بها الناس ويشبهونها بمعجزات الأنبياء وكرامات الأولياء ، ومرادهم أكل أموال الناس بالباطل والصد عن سبيل الله حتى إن بعض أنواعها يعتقد فيه من يدعى العلم أنه من العلم الموروث عن الأنبياء من علم الأسماء وهو من الجبت والطاغوت ، ولكن هذا مصداق قوله صلى الله عليه وسلم «لتتبعنّ سنن من كان قبلكم» ومنها هذه الحيلة الربوية التى مثل حيلة أصحاب السبت أو أشد وأنا أدعو من خالفنى إلى أحد أربع : إما إلى كتاب الله ، وإما إلى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإما إلى إجماع أهل العلم . فإن عاند دعوته إلى المباهلة كما دعا إليها ابن عباس فى بعض مسائل الفرائض وكما دعا إليها سفيان والأوزاعى فى مسألة رفع اليدين وغيرهما من أهل العلم والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله وسلم .

يامن تعز عليهم أرواحهم	ويرون غبنا بيعها بهوان
ويرون أن أمامهم يوم اللقا	لله مسألتان شاملتان
ماذا عبدتم ثم ماذا قد أجبتم	من أتى بالحق والبرهان
هيئوا جوابا للسؤال وهيئوا	أيضا صوابا للجواب بذان
وتيقنوا أن ليس ينجيكم سوى	تجريدكم لحقائق الإيمان
تجريدكم توحيده سبحانه	عن شركة الشيطان والأوثان
وكذاك تجريد اتباع رسوله	عن هذه الآراء والهذيان
فالوحى كاف للذى يعنى به	شاف لداء جهالة الإنسان

وهذا آخر ماذكره الشيخ رحمه الله فى هـذه الرسالة النافعة المتضمنة لبيان حقيقة ماهو عليه وما يدعو الناس إليه من إخلاص العبادة بجميع أنواعها لله والنهى عما يضاد ذلك مما أحدثه أهل البدع والتفرق والاختلاف من هذه الأمة ، وانظر رحمك الله إلى تلطفه وإحسانه فى الدعوة إلى الله بالتى هى أحسن وصبره على إيذائهم له وتشنيعهم عليه فى رسائلهم وكتبهم التى أرسلوها إليه حتى إن بعضهم سماه مجنونا وقال أطعموه الدبا والثوم المربا : يعنى أنه مجنون والمجنون يداوى بهذا .

فصل

ثم صنف الشيخ رحمه الله رسالة عامة للمسلمين تسمى كشف الشبهات جوابا لكثير من شبههم التى أدلوا بها ، وذكروها فى مصنفاتهم ، وهذا لفظها بحروفها قال رحمه الله تعالى :

بسم الله الرحمن الرحيم

اعلم رحمك الله أن التوحيد هو إفراد الله بالعبادة ، وهو دين الرسل الذى أرسلهم الله به إلى عباده ، فأولهم نوح عليه السلام أرسله الله إلى قومه لما غلوا فى الصالحين ودّ وسواع ويغوث ويعوق ونسر ، وآخر الرسل محمد صلى الله عليه وسلم وهو الذى كسر صور هؤلاء الصالحين أرسله الله إلى قوم يتعبدون ويحجون ويتصدقون ويذكرون الله ولكنهم يجعلون بعض المخلوقات وسائط بينهم وبين الله يقولون نريد منهم التقرب إلى الله ونريد شفاعتهم عنده مثل الملائكة وعيسى ومريم وأناس غيرهم من الصالحين فبعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم يجدد لهم دين أبيهم إبراهيم ويخبرهم أن هـذا التقرب والاعتقاد محض حق الله لايصلح منـه شىء لملك مقرب ولا نبى مرسل فضلا عن غيرهما وإلا فهؤلاء المشركون يشهدون أن الله الخالق وحده لاشريك له وأنه لايرزق إلا هو ، ولا يميت إلا هو ، ولا يحيى إلا هو ، ولا يدبر الأمر إلا هو وأن جميع السموات ومن فيهن والأرض ومن فيها كلهم عبيده وتحت تصريفه وقهره ، فإذا أردت الدليل على أن هؤلاء الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يشهدون بهـذا فاقرأ قوله (قل من يرزقكم من السماء والأرض أمن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ومن يدبر الأمر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون) وقوله (قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون . سيقولون لله قل أفلا تذكرون . قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم . سيقولون لله قل أفلا تتقون . قل من بيده ملكوت كل شىء وهو يجير ولا يجار عليه

إن كنتم تعلمون . سيقولون لله قل فأنى تسحرون) وغير ذلك من الآيات إذا تحققت أنهم مقرون بهذا ، ولم يدخلهم فى التوحيد الذى دعاهم إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعرفت أن التوحيد الذى جحدوه هو توحيد العبادة الذى يسميه المشركون فى زماننا الاعتقاد كما كانوا يدعون الله سبحانه ليلا ونهاراً ثم منهم من يدعو الملائكة لأجل صلاحهم وقربهم إلى الله ليشفعوا له ويدعو رجلا صالحا مثل اللات أو نبياً مثل عيسى وعرفت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قاتلهم على هذا الشرك ودعاهم إلى إخلاص العبادة لله كما قال تعالى (فلا تدعوا مع الله أحدا) وقال تعالى (له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لايستجيبون لهم بشىء) وتحققت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قاتلهم ليكون الدعاء كله لله والنذر كله لله والذبح كله لله والاستعانة كلها بالله وجميع أنواع العبادات كلها لله . وعرفت أن إقرارهم بتوحيد الربوبية لم يدخلهم فى الإسلام وأن قصدهم الملائكة والأنبياء والأولياء يريدون شفاعتهم، والتقرب إلى الله بذلك هو الذى أحل دماءهم وأموالهم عرفت حينئذ التوحيد الذى دعت إليه الرسل وأبى عن الإقرار به المشركون ، وهذا التوحيد هو معنى قولك لا إله إلا الله فإن الإله عندهم هو الذى يقصد لأجل هذه الأمور سواء كان ملكا أو نبياً أو وليا أو شجرة أو قبراً أو جنياً لم يريدوا أن الإله هو الخالق الرازق المدبر فإنهم يعلمون أن ذلك لله وحده كما قدمت لك ، وإنما يعنون بالإله ما يعنى المشركون فى زماننا بلفظ السيد فأتاهم النبى صلى الله عليه وسلم يدعوهم إلى كلمة التوحيد لا إله إلا الله والمراد من هذه الكلمة معناها لا مجرد لفظها والكفار الجهال يعلمون أن مراد النبى صلى الله عليه وسلم بهذه الكلمة هو إفراد الله تعالى بالتعلق والكفر بما يعبد من دونه والبراءة منه فإنه لما قال لهم قولوا لا إله إلا الله قالوا (أجعل الآلهة إلها واحداً إن هذا لشىء عجاب) . فإذا عرفت أن جهال الكفار يعرفون ذلك فالعجب ممن يدعى الإسلام وهو لا يعرف من تفسير هذه الكلمة ما عرفه جهال الكفرة ، بل يظن أن ذلك هو التلفظ بحروفها من غير اعتقاد القلب لشىء من المعانى ، والحاذق منهم يظن أن معناها لا يخلق ولا يرزق ولا يدبر الأمر إلا الله فلا خير فى رجل جهال الكفار أعلم منه بمعنى لا إله إلا الله . إذا عرفت ما أقول لك معرفة قلب وعرفت الشرك بالله الذى قال الله فيه (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء) وعرفت دين الله الذى أرسل به الرسل من أولهم إلى آخرهم الذى لا يقبل الله من أحد سواه ، وعرفت ما أصبح غالب الناس

فيه من الجهل بهذا أفادك فائدتين : الأولى الفرح بفضل الله ورحمته كما قال تعالى (قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون) وأفادك أيضاً الخوف العظيم فإنك إذا عرفت أن الإنسان يكفر بكلمة يخرجها من لسانه ، وقد يقولها وهو جاهل فلا يعذر بالجهل ، وقد يقولها وهو يظن أنها تقربه إلى الله كما ظن الكفار خصوصاً أن ألهمك الله ماقص عن قوم موسى مع صلاحهم وعلمهم أنهم أتوه قائلين (اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة) فحينئذ يعظم حرصك وخوفك على مايخلصك من هذا وأمثاله . واعلم أن الله سبحانه من حكمته لم يبعث نبيا بهذا التوحيد إلا جعل له أعداء كما قال تعالى (وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا) وقد يكون لأعداء التوحيد علوم كثيرة وكتب وحجج كما قال تعالى (فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون) إذا عرفت ذلك وعرفت أن الطريق إلى الله لابد له من أعداء قاعدين عليه أهل فصاحة وعلم وحجج فالواجب عليك أن تعلم من دين الله مايصير سلاحا لك تقاتل به هؤلاء الشياطين الذين قال إمامهم ومقدمهم لربك عز وجل (لأقعدن لهم صراطك المستقيم . ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم) ولكن إن أقبلت على الله وأصغيت إلى حجج الله وبيناته فلا تخف ولا تحزن (إن كيد الشيطان كان ضعيفا) والعامي من الموحدين يغلب ألفاً من علماء المشركين كما قال الله تعالى (وإن جندنا لهم الغالبون) فجند الله هم الغالبون بالحجة واللسان كما هم الغالبون بالسيف والسنان ، وإنما الخوف على الموحد الذي يسلك الطريق وليس معه سلاح ، وقد من الله تعالى علينا بكتابه الذي جعله تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين فلا يأتي صاحب باطل بحجة إلا وفي القرآن ماينقضها ويبين بطلانها كما قال تعالى (ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا) قال بعض المفسرين هذه الآية عامة في كل حجة يأتي بها أهل الباطل إلى يوم القيامة وأنا أذكر لك شيئا مما ذكره الله في كتابه جوابا لكلام احتج به المشركون في زماننا علينا . فنقول : جواب أهل الباطل من طريقين مجمل ومفصل . أما المجمل فهو الأمر العظيم والفائدة الكبيرة لمن عقلها وذلك قوله تعالى (هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ماتشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله

وما يعلم تأويله إلا الله) وقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « إذا رأيتم الذين يتبعون ماتشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم » مثل ذلك إذا قال بعض المشركين (ألا أن أولياء الله لاخوف عليهم ولاهم يحزنون) وأن الشفاعة حق وأن الأنبياء لهم جاه عند الله أو ذكر كلاما للنبي صلى الله عليه وسلم يستدل به على شيء من باطله وأنت لاتفهم معنى الكلام الذى ذكره فجاوبه بقولك إن الله ذكر أن الذين فى قلوبهم زيغ يتركون المحكم ويتبعون المتشابه ، وما ذكرته لك من أن الله ذكر أن المشركين يقرون بالربوبية وأنه كفرهم بتعلقهم على الملائكة والأنبياء والأولياء مع قولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله هـذا أمر محكم بين لايقدر أحد أن يغير معناه وما ذكرت لى أيها المشرك من القرآن أو كلام النبي صـلى الله عليه وسلم لاأعرف معناه ، ولـكن أقطع أن كلام الله لايتناقض وأن كلام النبي صلى الله عليـه وسلم لايخالف كلام الله ، وهذا جواب جيد سديد ولـكن لايفهمه إلا من وفقه الله ولا تستهونه فإنه كما قال تعالى (وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم) وأما الجواب المفصل فإن أعداء الله لهم اعتراضات كثيرة يصدون بها الناس منها قولهم نحن لانشرك بالله بل نشهد أنه لايخلق ولا يرزق ولا ينفع ولا يضر إلا الله وحده لاشريك له وأن محمدا صلى الله عليه وسلم لايملك لنفسه نفعا ولا ضرا فضلا عن عبد القادر أو غيره ولـكن أنا مذنب والصالحون لهم جاه عنـد الله واطلب من الله بهم فجاوبه بما تقدم وهو أن الذين قاتلهم رسول الله عليـه وسلم مقرون بما ذكرت ومقرون أن أوثانهم لاتدبر شيئا وإنما أرادوا الجاه والشفاعة واقرأ عليـه ماذكر الله فى كتابه ووضحه فإن قال هؤلاء الآيات نزلت فيمن يعبد الأصنام كيف تجعلون الصالحين مثل الأصنام كيف تجعلون الأنبياء أصناما ؟ فجاوبه بما تقدم فإنه إذا أقر أن الـكفار يشهدون بالربوبية كلها لله وأنهم ماأرادوا مما قصدوا إلا الشفاعة ولـكن أراد أن يفرق بين فعلهم وفعـله بما ذكر فاذكر له أن الـكفار منهم من يدعو الصالحين والأصـنام ، ومنهم من يدعو الأوليـاء الذين قال الله فيهم (أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب) ويدعون عيسى ابن مريم وأمه وقد قال الله تعالى (ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنى يؤفـكون)

واذكر قوله (ويوم يحشرهم جميعا ثم يقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون) فقل له عرفت أن الله كفر من قصد الأصنام وكفر أيضاً من قصد الصالحين وقاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإن قال الكفار يريد منهم وأنا أشهد أن الله النافع الضارّ المدبر لاأريد إلا منه ، والصالحون ليس لهم من الأمر شيء ولكن أقصدهم أرجو من الله بشفاعتهم . فالجواب أن هذا قول الكفار سواء فاقرأ عليه قولهم (ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى — هؤلاء شفعاؤنا عند الله) واعلم أن هذه الشبه الثلاث هي أكبر ما عنده فإذا عرفت أن الله وضحها فى كتابه وفهمتها فهما جيدا فما بعدها أيسر منها ، فإن قال أنا لا أعبد إلا الله وهذا الالتجاء إلى الصالحين ودعاؤهم ليس بعبادة فقل له أنت تقر أن الله فرض عليك إخلاص العبادة وهو حقه عليك فإذا قال نعم فقل له بين لى هذا الذى فرض عليك وهو إخلاص العبادة لله وهو حقه عليك ؟ فإنه لايعرف العبادة ولا أنواعها فبينها بقولك قول الله (ادعوا ربكم تضرعا وخفية) إذاعلمت بهذا هل هوعبادة فلابد أن يقول نعم. والدعاء مخ العبادة ، فقل له إذا قررت أنها عبادة ودعوت الله ليلا ونهارا خوفا وطمعا ثم دعوت فى تلك الحاجة نبياً أو غيره هل أشركت فى عبادة الله غيره إذ قال الله (فصل لربك وانحر) وأطعت الله ونحرت له فلا بد أن يقول نعم ، فقل له إذا نحرت لمخلوق أو نبى أو جنى أو غيرها هل أشركت فى هذه العبادة غير الله ؟ فلا بد أن يقر ويقول نعم ، وقل له أيضا المشركون الذين نزل فيهم القرآن هل كانوا يعبدون الملائكة والصالحين واللات وغير ذلك ؟ فلا بد أن يقول نعم ، فقل له وهل كانت عبادتهم إياهم إلا فى الدعاء والذبح والالتجاء ونحو ذلك وإلا أنهم مقرون أنهم عبيد تحت قهر الله وأن الله هو الذى يدبر الأمر ولكن دعوهم والتجئوا إليهم للجاه والشفاعة وهذا ظاهر جدا ، فإن قال أتنكر شفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتبرأ منها ؟ فقل لاأنكرها ولا أتبرأ منها بل هو صلى الله عليه وسلم الشافع المشفع وأرجو شفاعته لكن الشفاعة كلها لله كما قال الله تعالى (قل لله الشفاعة جميعا) ولا تكون إلا من بعد إذن الله كما قال عز وجل (من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه) ولا يشفع فى أحد إلا من بعد أن يأذن الله فيه كما قال جل جلاله (ولا يشفعون إلا لمن ارتضى) وهو لايرضى إلا التوحيد كما قال تعالى (ومن يبتغ غير الإسلام دينا

فلن يقبل منه) فإذا كانت الشفاعة كلها لله ولا تكون إلا بعد إذنه ولا يشفع النبى صلى الله عليه وسلم ولا غيره فى أحد حتى يأذن الله فيه ولا يأذن إلا لأهل التوحيد تبين أن الشفاعة كلها لله واطلبها منه اللهم لاتحرمنى شفاعته اللهم شفعه فى وأمثال هذا فإن قال النبى صلى الله عليه وسلم أعطى الشفاعة وأنا أطلبه مما أعطاه الله . فالجواب أن الله أعطاه الشفاعة ونهاك عن هـذا وقال (فلا تدعوا مع الله أحدا) وأيضا فإن الشفاعة أعطيها غير النبى صلى الله عليه وسلم فصح أن الملائكة يشفعون والأولياء يشفعون أتقول إن الله أعطاهم الشفاعة واطلبها منهم . فإن قلت هذا رجعت إلى عبادة الصالحين التى ذكرها الله فى كتابه ، وإن قلت لا بطل قولك أعطاه الله الشفاعة وأنا أطلبه مما أعطاه الله ، فإن قال أنا لاأشرك بالله شيئا حاشا وكلا ، ولكن الالتجاء إلى الصالحين ليس بشرك فقل له إذا كنت تقر أن الله حرم الشرك أعظم من تحريم الزنا وتقر أن الله لايغفره فما هـذا الأمر الذى عظمه الله وذكر أنه لايغفره فإنه لايدرى فقل له كيف تبرأ من الشرك وأنت لاتعرفه ؟ كيف يحرم الله عليك هذا ؟ ويذكر أنه لايغفره ولا تسأل عنه ولا تعرفه ، أتظن أن الله يحرمه ولا يبينه لنا ؟ فإن قال الشرك عبادة الأصنام ونحن لا نعبد الأصنام ، فقل ومامعنى عبادة الأصنام أتظن أنهم يعتقدون أن تلك الأخشاب والأحجار تخلق وترزق وتدبر أمر من دعاها ؟ فهذا يكذبه القرآن أو هو قصد خشبة أو حجر أو بنية أو غيره يدعون ذلك ويذبحون له يقولون إنه يقربنا إلى الله ويدفع عنا ببركته فقد صدقت وهـذا هو فعلكم عند الأحجار والبناءات التى على القبور وغيرها ، فهذا أقر أن فعلهم هذا هو عبادة الأصنام ويقال أيضا قولك الشرك عبادة الأصنام هل مرادك أن الشرك مخصوص بهذا وأن الاعتماد على الصالحين ودعاءهم لايدخل فى هذا فهذا يرده ماذكره الله فى كتابه من كفر من تعلق على الملائكة وعيسى والصالحين فلا بد أن يقر لك أن من أشرك فى عبادة الله أحدا من الصالحين فهو الشرك المذكور فى القرآن وهذا هو المطلوب .

وسر المسألة أنه إذا قال أنا لاأشرك بالله فقل وما الشرك بالله فسره لى ، وإن قال هو عبادة الأصنام فقل وما معنى عبادة الأصنام فسرها لى ، وإن قال أنا لا أعبد إلا الله فقل مامعنى عبادة الله وحده فسرها لى ، فإن فسرها بما يبينه القرآن فهو المطلوب ، وإن لم يعرفه فكيف يدعى شيئا وهو لايعرفه ، وإن فسر ذلك بغير معناه بينت له

الآيات الواضحات فى معنى الشرك بالله وعبادة الأوثان الذى يفعلونه فى هـذا الزمان بعينه وأن عبادة الله وحده لاشريك له هى التى ينكرونها علينا ويصيحون كما صاح إخوانهم حيث قالوا (أجعل الآلهة إلها واحدا إن هذا لشئ عجاب) فإذا عرفت أن هذا الذى يسميه المشركون فى وقتنا الاعتقاد وهو الشرك الذى أنزل فيه القرآن وقاتل رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس عليه فاعلم أن شرك الأولين أخف من شرك أهل وقتنا بأمرين : أحدهما أن الأولين لايشركون ولا يدعون الملائكة والأولياء أوثانا مع الله إلا فى الرخاء وأما فى الشدة فيخلصون لله الدين كما قال تعالى (وإذا مسكم الضر فى البحر ضل من تدعون إلا إياه فلما نجاكم إلى البر أعرضتم وكان الإنسان كفورا) وقوله (قل أرأيتكم إن أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة أغير الله تدعون إن كنتم صادقين بل إياه تدعون فيكشف ماتدعون إليه إن شاء وتنسون ماتشركون) وقوله (وإذا مس الإنسان ضر دعا ربه منيبا إليه) إلى قوله (قل تمتع بكفرك قليلا إنك من أصحاب النار) وقوله (وإذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين) فمن فهم هذه المسألة التى وضحها الله فى كتابه وهى أن المشركين الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعون الله ويدعون غيره فى الرخاء ، وأما فى الضر والشدة فلا يدعون إلا الله وحده لاشريك له وينسون سادتهم تبين له الفرق بين شرك أهل زماننا وشرك الأولين ، ولـكن أين من يفهم قلبه هـذه المسألة فهما راسخا؟ والله المستعان . والأمر الثانى أن الأولين يدعون مع الله أناسا مقربين عند الله إما نبياً وإما أولياء وإما ملائـكة ويدعون أحجارا وأشجارا مطيعة لله ليست عاصية وأهل زماننا يدعون مع الله أناساً من أفسق الناس والذين يدعونهم هم الذين يحكون عنهم الفجور من الزنا والسرقة وترك الصلاة وغير ذلك ، والذى يعتقد فى الصالح والذى لايعصى مثل الخشب والحجر أهون ممن يعتقد فيمن يشاهد فسقه وفساده ويشهد به .

إذا تحققت أن الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أصح عقولا وأخف شركا من هؤلاء فاعلم أن لهؤلاء شبهة يوردونها على ماذكرنا وهى من أعظم شبههم فأصغ سمعك لجوابها وهى أنهم يقولون إن الذين نزل فيهم القرآن لايشهدون أن لا إله إلا الله ويكذبون الرسول وينكرون البعث ويكذبون القرآن ويجعلونه سحرا ، ونحن نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ونصدق القرآن ونؤمن بالبعث ونصلى ونصوم

فكيف تجعلوننا مثل أولئك . والجواب أنه لاخلاف بين العلماء كلهم أن الرجل إذا صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شىء وكذبه فى شىء إنه كافر لم يدخل فى الإسلام ، وكذلك إذا آمن ببعض القرآن وجحد بعضه كمن أقر بالتوحيد وجحد وجوب الصلاة أو أقر بالتوحيد والصلاة وجحد الحج ، ولما لم ينقد أناس فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم للحج أنزل الله فى حقهم (ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ومن كفر فإن الله غنى عن العالمين) ، ومن أقر بهذا كله وجحد البعث كفر بالإجماع وحل دمه وماله كما قال جل جلاله (إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا أولئك هم الكافرون حقا) فإذا كان الله قد صرح فى كتابه أن من آمن ببعض وكفر ببعض فهو الكافر حقا زالت هذه الشبهة وهذه هى التى ذكرها بعض أهل الأحساء فى كتابه الذى أرسل إلينا . ويقال إذا كنت تقر أن من صدق الرسول فى كل شىء وجحد وجوب الصلاة إنه كافر حلال الدم بالإجماع ، وكذلك إذا أقر بكل شىء إلا البعث ، وكذلك لو جحد وجوب صوم رمضان لايجحد هذا ولا تختلف المذاهب فيه وقد نطق به القرآن كما قدمنا ؛ فمعلوم أن التوحيد هو أعظم فريضة جاء بها النبى صلى الله عليه وسلم ، وهو أعظم من الصلاة والزكاة والصوم والحج فكيف إذا جحد الإنسان شيئاً من هذه الأمور كفر ولو عمل بكل ماجاء به الرسول ، وإذا جحد التوحيد الذى هو دين الرسل كلهم لايكفر ، سبحان الله ماأعجب هذا الجهل ويقال أيضا هؤلاء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قاتلوا بنى حنيفة ، وقد أسلموا مع النبى صلى الله عليه وسلم وهم يشهدون أن لاإله إلا الله وأن محمدا رسول الله ويصلون ويؤذنون ، فإن قال إنهم يقولون إن مسيلمة نبى قلنا هذا هو المطلوب إذا كان من رفع رجلا إلى رتبة النبى صلى الله عليه وسلم كفر وحل ماله ودمه ولم تنفعه الشهادتان ولا الصلاة فكيف بمن رفع شمسان ويوسف أو صحابياً أو نبياً فى مرتبة جبار السموات والأرض ؟ سبحان الله ماأعظم شأنه ! (كذلك يطبع الله على قلوب الذين لايعلمون) ويقال أيضاً إن الذين حرقهم علىّ بن أبى طالب بالنار كلهم يدّعون الإسلام وهم من أصحاب على وتعلموا العلم من الصحابة ولكن اعتقدوا فى على مثل الاعتقاد فى يوسف وشمسان وأمثالهما ، فكيف

أجمع الصحابة على قتلهم وكفرهم أتظنون أن الصحابة يكفرون المسلمين أم تظنون الاعتقاد فى تاج وأمثاله لايضر والاعتقاد فى على بن أبى طالب يكفر؟ ويقال أيضا بنو عبيد القداح الذين ملكوا المغرب ومصر فى زمان بنى العباس كلهم يشهدون أن لاإله إلا الله وأن محمدا رسول الله ويدّعون الإسلام ويصلون الجمعة والجماعة فلما أظهروا مخالفة الشريعة فى أشياء دون مانحن فيه أجمع العلماء على كفرهم وقتالهم وأن بلادهم بلاد حرب وغزاهم المسلمون حتى استنقذوا ما بأيديهم من بلدان المسلمين . ويقال أيضا إذا كان الأولون لم يكفروا إلا أنهم جمعوا بين الشرك وتكذيب الرسل والقرآن وإنكار البعث وغير ذلك فما معنى الباب الذى ذكر العلماء فى كل مذهب باب حكم المرتد وهو المسلم الذى يكفر بعد إسلامه ؟ ذكروا أنواعا كثيرة كل نوع منها يكفر ويحل دم الرجل وماله حتى إنهم ذكروا أشياء يسيرة عند من يفعلها مثل كلمة يذكرها بلسانه دون قلبه أو كلمة يذكرها على وجه المزح واللعب . ويقال أيضا الذين قال الله فيهم (يحلفون بالله ماقالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم) أما سمعت الله كفرهم بكلمة مع كونهم فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاهدون معه ويصلون معه ويزكون ويحجون ويوحدون ؟ وكذلك الذين قال فيهم (قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون لاتعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم) فهؤلاء الذين صرح الله أنهم كفروا بعد إيمانهم هم كانوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك قالوا كلمة ذكروا أنهم قالوها على وجه المزح . فتأمل هذه الشبهة وهى قولهم تكفرون من المسلمين أناسا يشهدون أن لاإله إلا الله ويصلون ويصومون ثم تأمل جوابها فإنه من أنفع مافى هذه الأوراق ، ومن الدليل على ذلك أيضا ماحكى الله عن بنى إسرائيل مع إسلامهم وعلمهم وصلاحهم أنهم قالوا لموسى(اجعل لنا إلها كما لهم آلهة) وقول أناس من الصحابة: اجعل لنا ذات أنواط فحلف صلى الله عليه وسلم إن هذا نظير قول بنى إسرائيل اجعل لنا إلها: ولكن للمشركين شبهة أخرى يدلون بها عند هذه القصة وهى أنهم يقولون إن بنى إسرائيل لم يكفروا ، وكذلك الذين قالوا اجعل لنا ذات أنواط لم يكفروا . والجواب أن تقول إن بنى إسرائيل لم يفعلوا ، وكذلك الذين سألوا النبى صلى الله عليه وسلم، ولا خلاف أن بنى إسرائيل لو لم يفعلوا ذلك لكفروا وكذلك لاخلاف أن الذين نهاهم النبى صلى الله عليه وسلم لو لم يطيعوه واتخذوا ذات

أنواط بعد نهيه لكفروا وهذا هو المطلوب ، ولكن هذه القصة تفيد أن المسلم بل العالم قد يقع فى أنواع من الشرك لايدرى عنها فيفيد التعلم والتحرز ومعرفة أن قول الجاهل التوحيد فهمناه أن هذا من أكبر الجهل ومكايد الشيطان ، وتفيد أيضا أن المسلم المجتهد إذا تكلم بكلام كفر وهو لايدرى فنبه على ذلك وتاب من ساعته أنه لايكفر كما فعل بنو إسرائيل والذين سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتفيد أيضا أنه لولم يكفر فإنه يغلظ عليه الكلام تغليظا شديدا كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وللمشركين شبهة أخرى يقولون إن النبى صلى الله عليه وسلم أنكر على أسامة قتل من قال لا إله إلا الله وقال « أقتلته بعد ماقال لا إله إلا الله » وكذلك قوله « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله » وأحاديث أخر فى الكف عمن قالها ومراد هؤلاء الجهلة أن من قالها لايكفر ولايقتل ولو فعل مافعل فيقال لهؤلاء الجهلة معلوم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قاتل اليهود وسباهم وهم يقولون لا إله إلا الله وأن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قاتلوا بنى حنيفة وهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ويصلون ويدّعون الإسلام وكذلك الذين حرقهم على بن أبى طالب بالنار وهؤلاء الجهلة يقرون أن من أنكر البعث كفر وقتل ولو قال لا إله إلا الله وأن من جحد شيئاً من أركان الإسلام كفر وقتل ولو قالها فكيف لاتنفعه إذا جحد فرعا من الفروع وتنفعه إذا جحد التوحيد الذى هو أساس دين الرسل ورأسه ولكن أعداء الله مافهموا معنى الأحاديث فأما حديث أسامة فإنه قتل رجلا ادعى الإسلام بسبب أنه ظن أنه مادعى الإسلام إلا خوفا على دمه وماله والرجل إذا أظهر الإسلام وجب الكف عنه حتى يتبين منه مايخالف ذلك وأنزل الله فى ذلك (ياأيها الذين آمنوا إذا ضربتم فى سبيل الله فتبينوا) أى تثبتوا ، فالآية تدل على أنه يجب الكف عنه والتثبت ، فإن تبين منه بعد ذلك مايخالف الإسلام قتل لقوله فتبينوا ولو كان لايقتل إذا قالها لم يكن للتثبت معنى وكذلك الحديث الآخر وأمثاله معناه ماذكرناه ، وأن من أظهر التوحيد والإسلام وجب الكف عنه إلا أن يتبين منه ماينافض ذلك ، والدليل على هذا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذى قال أقتلته بعد ماقال لا إله إلا الله وقال « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله » هو الذى قال فى الخوارج « أينما لقيتموهم فاقتلوهم لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد » مع كونهم من أكثر الناس عبادة وتهليلا حتى إن الصحابة يحقرون أنفسهم عندهم وتعلموا العلم من الصحابة فلم تنفعهم لا إله إلا الله ولا كثرة العبادة ولا ادعاء الإسلام لما ظهر منهم مخالفة الشريعة وكذلك

ماذكرناه من قتال اليهود وقتال الصحابة بنى حنيفة وكذلك أراد صلى الله عليه وسلم أن يغزو بنى المصطلق لما أخبره رجل منهم أنهم منعوا الزكاة حتى أنزل الله (يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة) وكان الرجل كاذبا عليهم وكل هذا يدل على أن مراد النبى صلى الله عليه وسلم فى الأحاديث التى احتجوا بها ماذكرناه

ولهم شبهة أخرى وهى ماذكر النبى صلى الله عليه وسلم أن الناس يستغيثون بآدم ثم بنوح ثم بإبراهيم ثم بموسى ثم بعيسى فكلهم يعتذر حتى ينتهوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا فهذا يدل على أن الاستغاثة بغير الله ليست شركا . والجواب أن نقول سبحان من طبع على قلوب أعدائه فإن الاستغاثة بالمخلوق فيما يقدر عليه لا ننكرها كما قال تعالى فى قصة موسى (فاستغاثه الذى من شيعته على الذى من عدوه) وكما يستغيث الإنسان بأصحابه فى الحرب أو غيره فى أشياء يقدر عليها المخلوق ونحن أنكرنا استغاثة العبادة التى يفعلونها عند قبور الأولياء أو فى غيبتهم فى الأشياء التى لا يقدر عليها إلا الله. إذا ثبت ذلك فاستغاثتهم بالأنبياء يوم القيامة يريدون منهم أن يدعوا الله أن يحاسب الناس حتى يستريح أهل الجنة من كرب الموقف وهذا جائز فى الدنيا والآخرة أن تأتى عند رجل صالح حى يجالسك ويسمع كلامك تقول له ادع الله لى كما كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألونه فى حياته ، وأما بعد موته فحاشا وكلا أنهم سألوا ذلك بل أنكر السلف على من قصد دعاء الله عند قبره فكيف بدعائه نفسه ،

ولهم شبهة أخرى وهى قصة إبراهيم لما ألقى فى النار اعترض له جبريل فى الهواء قال ألك حاجة؟ فقال إبراهيم أما إليك فلا فقالوا فلو كانت الاستغاثة شركا لم يعرضها على إبراهيم . فالجواب أن هذا من جنس الشبهة الأولى فإن جبريل عرض عليه أن ينفعه بأمر يقدر عليه فإنه كما قال الله فيه (شديد القوى) فلو أذن الله له أن يأخذ نار إبراهيم وما حولها ويلقيها فى المشرق والمغرب لفعل ، ولو أمره الله أن يضع إبراهيم عنهم فى مكان بعيد لفعل ، ولو أمره الله أن يرفعه إلى السماء لفعل وهذا كرجل غنى له مال كثير يرى رجلا محتاجا فيعرض عليه أن يقرضه أو يهبه شيئاً يقضى به حاجته فيأبى ذلك المحتاج أن يأخذ ويصبر إلى أن يأتيه الله برزق لا منة فيه لأحد . فأين هذا من استغاثة العبادة والشرك لو كانوا يفقهون. ولنختم الكلام بمسألة عظيمة مهمة تفهم مما تقدم لكن نفرد الكلام لعظم شأنها ولكثرة الغلط فيها فنقول: لا خلاف أن التوحيد لابد أن يكون بالقلب واللسان والعمل ، فإن اختلف شىء من هذا لم يكن الرجل

مسلماً ، فإن عرف التوحيد ولم يعمل به فهو كافر معاند كفرعون وإبليس ، وهذا يغلط فيه كثيرمن الناس يقولون هذا حق ونحن نفهم هذا ونشهد أنه الحق ، ولكن لانقدر أن نفعله ولايجوز عند أهل بلدنا إلامن وافقهم أو غيرذلك من الأعذار ، ولم يدر المسكين أن غالب أئمة الكفر يعرفون الحق ولم يتركوه إلا لشئ من الأعذار كما قال تعالى (اشتروا بآيات الله ثمنا قليلا) وغير ذلك من الآيات كقوله (يعرفونه كما يعرفون أبناءهم) فإن عمل بالتوحيد عملا ظاهرا وهو لايفهمه ولا يعتقده بقلبه فهو منافق وهو أشر من الكافر الخالص (إن المنافقين فى الدرك الأسفل من النار) ، وهذه المسألة مسألة طويلة تبين لك إذا تأملتها فى ألسنة الناس ترى من يعرف الحق ويترك العمل به لخوف نقص دنيا أو جاه أو مداراة ، وترى من يعمل به ظاهراً لاباطناً ، ولكن عليك بفهم آيتين من كتاب الله أولها قوله (لاتعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم) فإذا تحققت أن بعض الصحابة الذين غزوا الروم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كفروا بسبب كلمة قالوها على وجه اللعب والمزح تبين لك أن الذى يتكلم بالكفر ويعمل به خوفا من نقص مال أو جاه أو مداراة لأحد أعظم ممن يتكلم بكلمة يمزح بها . والآية الثانية قوله تعالى (من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة الآية) ، فلم يعذر الله من هؤلاء إلا من أكره مع كون قلبه مطمئنا بالإيمان وأما غيرهذا فقد كفر بعد إيمانه سواء فعل خوفا أو مداراة أو مشحة بوطنه أو أهله أوعشيرته أو ماله أو فعل على وجه المزح أو لغيرذلك من الأغراض إلا المكره ، والآية المشهورة تدل على هذا من جهتين : الأولى قوله (إلا من أكره) فلم يستثن الله إلا المكره ومعلوم أن الإنسان لايكره إلا على الكلام والعمل . وأما عقيدة القلب فلا يكرهه أحد عليها . والثانية قوله تعالى (ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة) فصرح أن هذا الكفر والعذاب لم يكن بسبب الاعتقاد والجهل أو البغض للدين أو محبة الكفر وإنما سببه أن له فى ذلك حظا من حظوظ الدنيا فآثره على الدين والله سبحانه وتعالى أعلم .

هذا آخر ما ذكره الشيخ رحمه الله فى هذه الرسالة النافعة فليتأمل اللبيب الناصح لنفسه الذى يخاف الله ويرجوه ماقرره الشيخ رحمه الله فى هذا الكتاب من بيان

التوحيد الذى دعت إليه الرسل وهو شهادة أن لا إله إلا الله وإن الإلهية كلها بجميع أنواعها لله وحده لايصلح منها شيء لاالملك مقرب ولا نبى مرسل ثم يتدبر ماذكره الله فى كتابه من بيان هذا الأصل وتوضيحه وتقريبه للأذهان بالأمثال العظيمة التى لايعقلها إلا من أراد الله هدايته فإن هـذا الأصل العظيم هو الذى خلق الله لأجله جميع الخلق وأرسل لأجل معرفته والعمل به جميع المرسلين كما قال تعالى (ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) وقال تعالى (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) وقال تعالى (واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون) وقال لسيد المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم (قل إننى هدانى ربى إلى صراط مستقيم دينا قيما ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين قل إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لاشريك له) وقال تعالى (أنما إلهكم إله واحد فهـل أنتم مسلمون) والإله هو الذى تألهه القلوب عبادة له واستغاثة به ودعاء له ورجاء له وتوكلا عليه وخشية له وإجلالا وإكراما فمن أخذ شيئا من أنواع الإلهية والعبادة التى لاتصلح إلا لله وجعله لمخلوق فقد اتخذه إلهاً مع الله وإن لم يزعم أنه إله فإذا فعل مايفعل أهل الشرك وعباد الأوثان بآلهتهم فقد عبدهم وصار له إله مع الله فـكان ممن اتخذ إلهين اثنين . قال العلماء رحمهم الله من غلا فى نبى أو رجل صالح أو غير صالح وجعل فيه نوعا من الإلهية مثل أن يقول ياسيدى فلان أغثنى واجبرنى وانصرنى أو اقض دينى أو أنا فقير إليك أو أنا فى حسبك أو متوكل عليك أو يذبح له أو ينذر له أو يرجوه أو يخافه فهذا كله شرك وضلال وجنون وخيال يستتاب صاحبه وتقام عليه الحجة فإن تاب وإلا ضربت عنقه ، وإن زعم أنه إنما يريد شفاعته له عند الله وتقريبه زلفى فإن المشركين عبدة الأوثان إنما غرهم الشيطان وكادهم واصطادهم بذلك كما هو صريح فى محكم آيات التنزيل لمن تدبره وعقل عن ربه العظيم الجليل ، وقد روى الترمذى وغير واحد من أهل الحديث عن أبى واقد الليثى أنه قال « خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حنين ونحن حديثو عهد بكفر وللمشركين سدرة يعكفون عليها وينوطون بها أسلحتهم يقال لها ذات أنواط فمررنا بسدرة فقلنا يارسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط فقال الله أكبر إنها السنن قلتم والذى نفسى بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى اجعل لنا إلهاً »

فتدبر رحمك الله هذا الحديث وتفكر فيه وتأمله كيف أفتى صلى الله عليه وسلم وحلف على هذه الفتيا أن هذا مثل قول بنى إسرائيل لموسى (اجعل لنا إلها كما لهم آلهة) مع أنهم لم يتلفظوا بذلك وإنما قالوه بالمعنى مع أنهم مجتهدون فى ذلك لم يشعروا أن هذا كقول بنى إسرائيل ولهذا أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائلين له ذلك جهلا منهم ، ومع هذا كله أخبر الصادق المصدوق وحلف على هذا الخبر إن هـذا كقول بنى إسرائيل لموسى سواء بسواء فإذا كان هذا الأمر العظيم خفى على أولئك السادة وجهلوه فـكيف لا يخفى على غيرهم فى هذه الأزمان التى خفيت فيها أعلام الإسلام واشتدت فيها غربة الإسلام بين الأنام والإيمان حتى صار المعروف منكراً والمنكر معروفا والمجرد للتوحيد يخرج عن الإسلام وكان الشيطان قد اصطاد كثيرا من الناس بأن هذا التعظيم للأنبياء والأولياء والصالحين توسل واستشفاع إلى الله بهم فى إجابة الدعوات وقضاء الحاجات وتفريج الـكربات وأنتم تقولون لا إله إلا الله محمد رسول الله وإن هذه الأمة المحمدية لا تشرك بالله ولا يقع الشرك فى جزيرة العرب أصلا وأنتم لم تقولوا إن هؤلاء آلهة مع الله كما قاله عباد الأوثان وإنما هؤلاء عباد صالحون وأنتم عباد مذنبون مخطئون فتجعلونهم وسائط بينكم وبين الله فتتقربون إليهم وتستشفعون بهم وتتوسلون بهم لأنهم أقرب منكم إلى الله وهذا فعل الناس قبلـكم ولستم خيراً من فلان وفلان وأشباه هذه الزخارف التى يغرّ بها الناس هو وإخوانه من شياطين الجن والإنس فتصغى إلى ذلك أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة ويرضونه ويقترفوا ما هم مقترفون ، ثم يغريهم بعداوة أهـل التوحيد والإخلاص فيستهزئون منهم بقلوبهم وأبدانهم ويسعون فى أذيتهم ويبغون لهم الغوائل والله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون . فإذا كان هذا تغليظ رسول الله صلى الله عليه وسلم على أولئك السادة لما طلبوا منه مجرد مشابهة المشركين فى جعل سدرة لتنويط الأسلحة والتبرك بها والعكوف عندها فكيف بما هو أشد من ذلك من الشرك الأكبر الذى لم يفعله عباد الأوثان بل هو أعظم منه بكثير .

﴿فوائد﴾ : الأولى ﴿ كان العلماء رضى الله عنهم من قديم الزمان ينكرون هذا الذى حدث فى هذه الأمة من تعظيم القبور وبنائها وبناء المشاهد عليها والمساجد ودعائها وسؤال أهلها الحاجات وتفريج الـكربات ويبينون للناس أن هذا خلاف دين الإسلام الذى بعث الله به رسوله صلى الله عليه وسلم ودخول فى دين عباد الأوثان فليس هذا الذى

بينه الشيخ رحمه الله للناس من النهى عن دعوة أهل القبور والإشراك بهم والتبرك بالأشجار والأحجار فهمه من تلقاء نفسه دون أن يفهمه أحد من علماء هذه الأمة بل العلماء كلهم من جميع المذاهب مطبقون على أن النهى عنه والإنكار والتغليظ على من فعله من الجهال وإزالة ماقدروا عليه من ذلك ومرادى بالعلماء هم الذين يعتد بهم فى معرفة الحلال والحرام المشهورون بالعلم والمعرفة عند أهل الإسلام الذين لاتأخذهم فى الله لومة لائم بل يجاهدون فى سبيل الله أهل البدع والآثام بحسب استطاعتهم وقدرتهم إما باليد أو باللسان أو بالقلب ، وهو أضعف مراتب الإيمان ؛ وقد ثبت أن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان» وقال صلى الله عليه وسلم «إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه مااستطعتم» أخرجاه من حديث أبى هريرة رضى الله عنه، ومن ذلك ماذكره الإمام أبو بكر الطرطوشى رحمه الله فى كتابه المشهور الذى سماه الباعث على إنكار البدع والحوادث روى البخارى عن أبى واقد الليثى قال «خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل حنين ونحن حديثو عهد بكفر وللمشركين سدرة يعكفون حولها وينوطون بها أسلحتهم فمررنا بسدرة فقلنا يارسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله أكبر هذا كما قالت بنو إسرائيل لموسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون لتركبن سنن من كان قبلكم» فانظروا رحمكم الله أينما وجدتم سدرة أو شجرة يقصدها الناس ويعظمون من شأنها ويرجون البر أو الشفاء من قبلها وينوطون بها المسامير والخرق فهى ذات أنواط فاقطعوها انتهى كلامه رحمه الله، فانظر رحمك الله إلى تصريح هذا الإمام بأن كل شجرة يقصدها الناس ويعظمونها ويرجون الشفاء والعافية من قبلها فهى ذات أنواط التى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه لما طلبوا منه أن يجعل لهم شجرة كذات أنواط فقال الله أكبر هذا كقول بنى إسرائيل اجعل لنا إلها مع أنهم لم يطلبوا إلا مجرد مشابهتهم فى العكوف عندها وتعليق الأسلحة للتبرك فتبين لك بهذا أن من جعل قبرا أو حجرا أو شجرة أو شيئا حياً أو ميتاً مقصودا له وعظمه ودعاه واستغاث به وتبرك به وعكف على قبره فقد اتخذه إلها مع الله . فإذا كان الرسول صلوات الله وسلامه عليه أنكر عليهم مجرد طلبهم منه مشابهة المشركين فى العكوف وتعليق

الأسلحة للتبرك فما ظنك بما هو أعظم من ذلك وأطم الشرك الأكبر الذى حرمه الله ورسوله وأخبر أن أصلح الخلق لو يفعله لحبط عمله وصار من الظالمين ، فصلوات الله وسلامه عليه كما بلغ البلاغ المبين وعرفنا بالله وأوضح لنا الصراط المستقيم ؛ فحقيق بمن نصح نفسه وآمن بالله واليوم الآخر أن لايغتر بما عليه أهل الشرك من عبادة القبور من هـذه الأمة . ومن ذلك ماذكره الإمام محدث الشام عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المعروف بأبى شامة من فقهاء الشافعية وقدمائهم فى كتابه الذى سماه الباعث على إنكار البدع والحوادث فى فصل البدع المستقبحة قال : ثم هذه البدعة المستقبحة تنقسم إلى قسمين : قسم تعرفه العامة والخاصة أنه بدعة محرمة والبدعة إما محرمة وإما مكروهة ، وقسم يظنه معظمهم إلا من عصم عبادة وقربا وطاعات وسننا. فأما القسم الأول فلا نطول بذكره إذ كفينا مؤونة الكلام فيه لاعتراف فاعله أنه ليس من الدين لكن نبين من هذا القسم مما قد وقع فيه جماعة من جهال العوام النابذين لشريعة الإسلام التاركين الاقتداء بأئمة الدين من الفقهاء ، وهو مايفعله طوائف من المنتمين للفقر الذى حقيقته الافتقار من الإيمان من مؤاخاة النساء الأجانب والخلوة بهن واعتقادهم فى مشايخ لهم ضالين مضلين يأكلون فى نهار رمضان من غير عذر ، ويتركون الصلوات ويخامرون النجاسات غير مكترثين لذلك فهم داخلون تحت قوله تعالى (أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به الله) ولهذه الطرق وأمثالها كان مبادئ ظهور الكفر من عبادة الأصنام وغيرها . ومن هذا القسم أيضاً ماقد عم الابتلاء به من تزيين الشيطان للعامة تخليق الحيطان والعمد وإسرج مواضع مخصوصة فى كل بلد يحكى لهم حاك أنه رأى فى منامه بها أحدا ممن شهر بالصلاح والولاية فيفعلون ذلك ويحافظون عليه مع تضييعهم فرائض الله تعالى وسننه ويظنون أنهم متقربون بذلك ثم يتجاوزون هذا إلى أن يعظم وقع تلك الأماكن فى قلوبهم فيعظمونها ويرجون الشفاعة لمرضاهم وقضاء حوائجهم بالنذر لهم ، وهى من بين عيون وشجر وحائط وحجر ، وفى مدينة دمشق صانها الله تعالى من ذلك مواضع متعددة كعوينة الحمى خارج باب توما والعمود المخلق خارج البيت الصغير والشجرة الملعونة اليابسة خارج باب النصر فى نفس قارعة الطريق ، سهل الله قطعها واجتثاثها من أصلها ؛ فما أشبهها بذات أنواط الواردة فى الحديث الذى رواه محمد بن إسحاق

وسفيان بن عيينة عن الزهرى بن سنان وابن أبى سفيان عن أبى واقد الليثى رضى الله عنه قال « خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حنين وكانت لقريش شجرة خضراء عظيمة يأتونها كل سنة فيعلقون عليها سلاحهم ويعكفون عندها ويذبحون لها » وفى رواية « خرجنا مع النبى صلى الله عليه وسلم قبل حنين ونحن حديثو عهد بكفر وللمشركين سدرة يعكفون عليها وينوطون بها أسلحتهم يقال لها ذات أنواط فمررنا بسدرة فتنادينا من جنبتى الطريق ونحن نسير إلى حنين : يارسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم الله أكبر هذا كما قال قوم موسى لموسى : اجعل لنا إلها كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون لتركبن سنن من كان قبلكم » أخرجه الترمذى بلفظ آخر والمعنى واحد ، وقال هذا حديث حسن صحيح. قال الإمام أبو بكر الطرطوشى فى كتابه المقدم ذكره فانظروا رحمكم الله أينما وجدتم سدرة أوشجرة يقصدها الناس ويعظمون من شأنها ويرجون البرء والشفاء من قبلها وينوطون بها المسامير والخرق فهى ذات أنواط فاقطعوها . قلت ولقد أعجبنى مافعله الشيخ أبو إسحاق الجبنيانى رحمه الله تعالى أحد الصالحين ببلاد إفريقية حكى عنه صاحبه الصالح أبو عبد الله محمد بن أبى العباس المؤدب : أنه كان إلى جانبه عين تسمى عين العافية كانت العامة قد افتتنوا بها يأتونها من الآفاق من تعذر عليها نكاح أو ولد قالت امضوا بى إلى العافية فتعرف بها الفتنة قال أبو عبد الله فأنا فى السحر ذات ليلة إذ سمعت أذان أبى إسحاق نحوها فخرجت فوجدته قد هدمها وأذن الصبح عليها ثم قال اللهم إنى هدمتها لك فلا ترفع لها رأسا قال فما رفع لها رأس إلى الآن . قلت وأدهى من ذلك وأمر إقدامهم على قطع الطريق السابلة يحيزون فى أحد الأبواب القديمة الثلاثة العادية التى هى من بناء الجن فى زمن نبى الله سليمان بن داود عليه السلام أو من بناء ذى القرنين ، وقيل فيها غير ذلك مايؤذن بالتقدم على مانقلناه فى كتاب تاريخ مدينة دمشق حرسها الله تعالى وهو الباب الشمالى ذكر لهم بعض من لايوثق به فى شهور سنة ست وثلاثين وستمائة أنه رأى مناما يقتضى أن ذلك المكان دفن فيه بعض أهل البيت ، وقد أخبرنى عنه ثقة أنه اعترف له أنه افتعل ذلك فقطعوا طريق المارة فيه وجعلوا الباب بكماله أصل مسجد مغصوبا ، وقد كان الطريق يضيق بسالكيه فتضاعف الطريق والحرج على من دخل ومن خرج ضاعف الله

عذاب من تسبب فى بنائه وأجزل ثواب من أعان على هدمه وإزالة اعتدائه اتباعا لسنة النبي صلى الله عليه وسلم فى هدم مسجد الضرار المرصد لأعدائه من الكفار، فلم ينظر الشرع إلى كونه مسجداً وهدمه لما قصد به من السوء والردى وقال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم (لاتقم فيه أبدا) أسأل الله الكريم معافاته من كل مايخالف رضاه ، وأن لايجعلنا ممن أضله فاتخذ إلهه هواه . انتهى ماذكره الشيخ أبوشامة رحمه الله تعالى، وكان رحمه الله تعالى من أئمة الشافعية من أهل أوائل القرن السابع ، وقال الإمام أبوالوفا بن عقيل الحنبلي رحمه الله تعالى : لماصعبت التكاليف على الجهال والطغام عدلوا عن أوضاع الشرع إلى أوضاع وضعوها لأنفسهم فسهلت عليهم إذ لم يدخلوا بها تحت أمر غيرهم قال وهم عندى كفار بهذه الأوضاع مثل تعظيم القبور وإكرامها وإلزامها لما نهى عنه الشرع من إيقاد السرج وتقبيلها وتخليقها وخطاب الموتى بالحوائج وكتب الرقاع فيها يامولاى افعل بى كذا وكذا وأخذ تربتها تبركا بها وإفاضة الطيب على القبور وشد الرحال إليها وإلقاء الخرق على الشجر اقتداء بمن عبد اللات والعزى ، والويل عندهم لمن لم يقبل مشهد الكف ولم يتمسح بآجر مسجد المؤينة يوم الأربعاء ولم يقل الحمالون على جنازته الصديق أبوبكر أومحمد وعلى، أولم يعقد على قبر أبيه أزجا بالجص والآجر ولم يخرق ثيابه إلى الذيل ولم يرق ماء الورد على القبر انتهى . فتأمل رحمك الله تعالى ماذكره هـذا الإمام الذى هو أجل أئمة الحنابلة بل من أجل أئمة الإسلام وما كشفه من الأمور التى يفعلها الخواص من الأنام فضلا عن النساء والغوغاء والعوام مع كونه فى سادس القرون والناس إذ ذاك لماذكره يفعلون وجهابذة العلماء والنقدة لذلك يشهدون وحظهم من النهى مرتبته الثانية فهم به قائمون يتضح لك فساد مازخرفه المبطلون ومو ّه به المتعصبة والملحدون .

﴿ الفائدة الثانية ﴾ قال الشيخ تقى الدين جاءت السنة أن يسأل الله بأسمائه وصفاته. فيقال «أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت المنان بديع السموات والأرض ياذا الجلال والإكرام ياحى ياقيوم ، وأسألك بأنك أنت الله الأحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد » وكذلك قوله «أسألك بمعاقد العزمن عرشك ومنتهى الرحمة من كتابك وباسمك الأعظم وجدك الأعلى وكلماتك التامة» مع أن هذا الدعاء الثانى فى جواز الدعاء به قولان للعلماء قال الشيخ أبو الحسين القدورى قال بشر بن

الوليد سمعت أبا يوسف قال : قال أبو حنيفة : لاينبغى لأحد أن يدعو الله إلا به وأكره أن يقول : بمعاقد العز من عرشك أو يقول بحق خلقك ، والجواز قول أبي يوسف قال : قال أبو يوسف بمعقد العز من عرشك هو الله تعالى فلا أكره ذلك ، وأكره بحق فلان أو بحق أنبيائك ورسلك وبحق البيت والمشعر الحرام ، قال القدورى : المسألة بخلقه لاتجوز لأنه لاحق لمخلوق على الخالق ، فلا تجوز يعنى وفاقا ، وقال البلدحى فى شرح المختارة : ويكره أن يدعو الله إلا به فلا يقول أسألك بفلان أو بملائكتك أو بأنبيائك أو نحو ذلك لأنه لاحق للمخلوق على الخالق انتهى . قلت وهذا من أبي يوسف وأبي حنيفة وغيرهما يقتضى المنع أن يسأل الله تعالى بغيره . وأما سؤال الميت أو الغائب نبيا كان أو غيره فهو من المحرمات المنكرة باتفاق أئمة المسلمين لم يأمر الله تعالى به ولا رسوله ولا فعله أحد من الصحابة ولا التابعين لهم بإحسان ولا استحبه أحد من أئمة المسلمين ، وهذا مما يعلم بالاضطرار من دين الاسلام فإن أحدا منهم ما كان يقول إذا نزلت به ترة أو عرضت له حاجة لميت ياسيدى يافلان أنا فى حسبك أو اقض حاجتى كما يقوله بعض هؤلاء المشركين لمن يدعونهم فى الموتى والغائبين ولا أحد من الصحابة استغاث بالنبى صلى الله عليه وسلم بعد موته ولا بغيره من الأنبياء لاعند قبورهم ولا إذا بعدوا عنها ولا كانوا يقصدون الدعاء عند قبور الأنبياء ولا الصلاة عندها ؛ ولما قحط الناس فى زمان عمر بن الخطاب استسقى بالعباس وتوسل بدعائه وقال : اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبيك إذا أجدبنا فتسقينا وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا فيسقون كما ثبت ذلك فى صحيح البخارى ، وكذلك معاوية رضى الله عنه لما استسقى لأهل الشام توسل بيزيد بن الأسود الجرشى فهذا الذى ذكره عمر رضى الله عنه توسلا بهم توسل بدعاء النبى صلى الله عليه وسلم وشفاعته فى حياته ولهذا توسلوا بعده بدعاء العباس وبدعاء يزيد بن الأسود ، وهذا هو الذى ذكره الفقهاء فى كتاب الاستسقاء فقالوا يستحب أن يستسقى بالصالحين ، وإذا كانوا من أقارب رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو أفضل ، وقد كره العلماء كمالك وغيره أن يقوم الرجل عند قبر النبى صلى الله عليه وسلم يدعو لنفسه وذكروا أن هذا من البدع التى لم يفعلها السلف ، قال أصحاب مالك إنه إذا دخل المسجد يدنو من القبر فيسلم على النبى صلى الله عليه وسلم ثم يدعو مستقبل القبلة يوليه ظهره ، وقيل لايوليه

ظهره وإنما اختلفوا لما فيه من استدباره، فأما إذا جعل الحجرة عن يساره فقد زال المحذور بلا خلاف ، ولعل هذا الذى ذكره الأئمة أخذوه من كراهة الصلاة إلى القبر فإن ذلك قد ثبت النهى فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم فلما نهى أن يتخذ القبر مسجدا أو قبلة أمروا بأن لايتحرى الدعاء إليه كما لايصلى إليه . قال مالك فى المبسوط لا أرى أن يقف عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم يدعو ولـكن يسلم ويمضى ولهذا والله أعلم حرفت الحجرة وثلثت لما بنيت فلم يجعل حائطها الشمالى على سمت القبلة ولا جعل مسطحا،وذكر الإمام أحمد وغيره أنه يستقبل القبلة ويجعل الحجرة عن يساره لئلا يستدبره وذلك بعد تحيته والصلاة والسلام عليه ثم يدعو لنفسه ، وذكروا أنه إذا حياه وصلى يستقبل وجهه بأبى هو وأمى صلى الله عليه وسلم فإذا أراد الدعاء جعل الحجرة عن يساره واستقبل القبلة ودعا ، وهذا مراعاة منهم أن يفعل الداعى والزائر ما نهى عنه من تحرى الدعاء عند القبر ، وقد كره مالك رحمه الله وغيره من أهل العلم لأهل المدينة كلما دخل أحدهم المسجد أن يجىء فيسلم على النبي صلى الله عليه وسلم وصاحبيه، قال: وإنما يكون ذلك لأحدهم إذا قدم من سفر أو أراد سفرا ونحو ذلك،ورخص بعضهم فى السلام عليه إذا دخل المسجد للصلاة ونحوها. وأما قصده دائما للصلاة والسلام عليه فما علمت أحدا رخص فى ذلك لأن ذلك نوع من اتخاذه عيدا ، وأيضا فإن ذلك بدعة فقد كان المهاجرون والأنصار فى عهد أبى بكر وعمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم يجيئون إلى المسجد كل يوم خمس مرات يصلون ولم يكونوا يأتون مع ذلك إلى القبر يسلمون عليه لعلمهم رضى الله عنهم بما كان النبي صلى الله عليه وسلم يكرهه من ذلك وما نهاهم عنه ولأنهم كانوا يسلمون عليه حين دخول المسجد والخروج منه وفى آخر الصلاة فى التشهد كما كانوا يسلمون عليه كذلك فى حياته ، والمأثور عن ابن عمر يدل على ذلك ، قال سعيد فى سننه : حدثنا عبد الرحمن ابن يزيد حدثنى أبى عن ابن عمر أنه كان إذا قدم من سفر أتى قبر النبي صلى الله عليه وسلم فصلى وسلم عليه وقال السلام عليك يا أبا بكر السلام عليك يا أبتاه وعبد الرحمن ابن يزيد وإن كان يضعف لـكن الحديث الصحيح عن نافع يدل على أن ابن عمر ما كان يفعل ذلك دائما ولا غالبا ، وما أحسن ما قال مالك رحمه الله : لن يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها ، ولـكن كلما ضعف تمسك الأمم بعهود أنبيائهم ونقص إيمانهم

عوّضوا عن ذلك بما أحدثوه من البدع والشرك وغيره ، ولهذا كرهت الأمة استلام القبر وتقبيله وبنوه بناء منعوا الناس أن يصلوا إليه، ومما يبين حكمة الشريعة وأنها كما قيل : سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق، أن الذين خرجوا عن المشروع زين لهم الشيطان أعمالهم حتى خرجوا إلى الشرك فطائفة من هؤلاء يصلون لميت ويستدبر أحدهم القبلة ويسجد للقبر ويقول أحدهم القبلة قبلة العامة وقبر الشيخ فلان قبلة الخاصة ، وهذا يقوله من هو أكثر الناس عبادة وزهدا وهو شيخ متبوع ولعله أمثل أتباع شيخه بقوله فى شيخه وآخر من أعيان الشيوخ المتبوعين أصحاب الصدق والاجتهاد فى العبادة والزهد يأمر المرتد أول ما يتوب أن يذهب إلى قبر الشيخ ويعكف عليه عكوف أهل التماثيل عليها ، وجمهور هؤلاء المشركين بالقبور يجدون عند عبادة القبور من الرقة والخشوع والدعاء وحضور القلب مالا يجده أحدهم فى مساجد الله التى أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه وآخرون يحجون للقبور وطائفة صنفوا كتبا وسموها مناسك حج المشاهد، كما صنف أبو عبد الله محمد بن النعمان الملقب بالمفيد أحد الشيوخ الإمامية كتابا فى ذلك وذكر فيه من الحكايات المكذوبة على أهل البيت ما لايخفى كذبه على من له معرفه بالنقل ، وآخرون يسافرون إلى قبور المشايخ وان لم يسموا ذلك نسكا وحجا فالمعنى واحد ، وكثير من هؤلاء أعظم قصده من الحج قصد قبر النبى صلى الله عليه وسلم لاحج البيت ، وبعض الشيوخ المشهورين بالدين والزهد والصلاح صنف كتابا سماه الاستغاثة بالنبى صلى الله عليه وسلم فى اليقظة والمنام وقد ذكر فى مناقب هذا الشيخ أنه حج مرة وكان قبر النبى صلى الله عليه وسلم منتهى قصده ثم رجع إلى مكة وجعل هذا من مناقبه ، فإن كان هذا مستحباً فينبغى لمن يجب عليه حج البيت إن حج أن يجعل المدينة منتهى قصده ولا يذهب إلى مكة فإنه زيادة كلفة ومشقة مع ترك الأفضل وهذا لا يقوله عاقل ، وبسبب الخروج عن الشريعة صار بعض أكابر الشيوخ عند الناس ممن يقصده الملوك والقضاة والعلماء والعامة على طريقة ابن سبعين قيل عنه إنه كان يقول البيوت المحجوجة ثلاثة مكة وبيت المقدس والبيت الذى للمشركين فى الهند وهذا لأنه كان يعتقد أن دين اليهود حق ودين النصارى حق ، وجاءه بعض إخواننا العارفين قبل أن يعرف حقيقته فقال له أريد أن أسلك على يديك فقال على دين اليهود أو النصارى أو المسلمين؟ فقال له واليهود

والنصارى أليسوا كفارا؟فقال لاتشدد عليهم ولكن الإسلام أفضل، ومن الناس من يجعل مقرة الشيخ بمنزلة عرفات يسافرون إليها وقت الموسم فيعرّفون بها كما يعرف المسلمون بعرفات كما يفعل هذا فى المغرب والمشرق ، ومنهم من يحكى عن الشيخ الميت أنه قال كل خطوة إلى قبرى كحجة ويوم القيامة لا أبيع بحجة فأنكر بعض الناس ذلك فتمثل له الشيطان بصورة الشيخ وزجره عن إنكار ذلك ، وهؤلاء وأمثالهم صلاتهم ونسكهم لغير الله رب العالمين فليسوا على ملة الحنفاء وليسوا من عمار مساجد الله التى قال الله فيها (إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله) وعمار مشاهد المقابر يخشون غير الله ويرجون غير الله حتى إن بعضا من أرباب الكبائر الذين لايخشون الله فيما يفعلونه من القبائح إذا رأى قبة الميت أو الهلال الذى على رأس القبة يخشى من فعل الفواحش ويقول أحدهم لصاحبه ويحك هـذا هلال القبة فيخشون المدفون تحت الهلال ولا يخشون الذى خلق السموات والأرض وجعل أهلة السماء مواقيت للناس والحج، وهؤلاء إذا نوظروا خوّفوا مناظرهم كما صنع المشركون مع إبراهيم عليه الصلاة والسلام ، قال تعالى (وحاجه قومه قال أتحاجونى فى الله وقد هدان ولا أخاف ما تشركون به إلا أن يشاء ربى شيئا وسع ربى كل شيء علما أفلا تتذكرون . وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا فأى الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون؟) . قال الله تعالى (الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون) وآخرون قد جعلوا الميت بمنزلة الإله والشيخ الحى المتعلق به كالنبى فمن الميت تطلب قضاء الحاجات وكشف الكربات، وأما الحى فالحلال ما حلله والحرام ما حرمه وكأنهم فى أنفسهم قد عزلوا الله أن يتخذوه إلها وعزلوا محمدا صلى الله عليه وسلم أن يتخذوه رسولا، وقد يجىء القريب العهد بالإسلام والتابع لهم المحسن الظن بهم أو غيره يطلب من الشيخ الميت إما دفع ظلم ملك يريد أن يظلمه أوغيرذلك فيدخل ذلك السادن فيقول قدقلت للشيخ والشيخ يقول له النبى والنبى يقول لله والله قد بعث رسولا إلى السلطان فلان هنا ، ألا هذا محض دين المشركين والنصارى وفيه من الكذب والجهل مالايستجيزه كل مشرك أو نصرانى ولايروج عليه ويأكلون من النذور والمنذور مايؤتى به إلى قبورهم مايدخلون به فى معنى قوله تعالى (إن كثيرا من

الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله) يعرضون بأنفسهم ويمنعون غيرهم إذ التابع لهم يعتقد أن هـذا هو سبيل الله ودينه فيمتنع بسبب ذلك من الدخول فى دين الحق الذى بعث الله به رسوله وأنزل به كتبه ، والله سبحانه لم يذكر فى كتابه المشاهد بل ذكر المساجد وأنها خالصة لوجهه قال تعالى (وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد) وقال تعالى (إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر) وقال تعالى (فى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه) وقال تعالى (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد) ولم يذكر بيوت الشرك كبيوت النيران والأصنام والمشاهد لأن الصوامع والبيع لأهل الكتاب فالممدوح من ذلك ما كان مبنياً قبل النسخ والتبديل يؤمنون بالله واليوم الآخر ويعملون الصالحات فبيوت الأوثان وبيوت النيران وبيوت الكواكب وبيوت المقابر لم يمدح الله شيئا منها ولم يذكر ذلك إلا فى قصة من لعنهم النبى صلى الله عليه وسلم قال تعالى (قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجدا) فهؤلاء الذين اتخذوا مسجدا على أهل الكهف كانوا من النصارى الذين لعنهم النبى صلى الله عليه وسلم حيث قال « لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » وفى رواية وصالحيهم ودعاء المقبورين من أعظم الوسائل إلى ذلك وقد قدم بعض شيوخ المشرق فتكلم معى فى هذا فبينت له فساد هذا فقال كيف وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم إذا أعيتكم الأمور فعليكم بأصحاب القبور فقلت هذا مكذوب باتفاق أهل العلم لم يروه عن النبى صلى الله عليه وسلم أحد من علماء الحديث ، وبسبب هذا وأمثاله ظهر مصداق قول النبى صلى الله عليه وسلم « لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه ، قالوا يارسول الله اليهود والنصارى ؟ قال فمن ؟ » وهؤلاء الغلاة المشركون إذا حصل لأحدهم مطلبه ولو من كافر لم يقبل على الرسول بل يطلب حاجته من حيث يظن أنها تقضى ، فتارة يذهب إلى ما يظنه قبر رجل صالح ويكون فيه قبر كافر أو منافق وتارة يعلم أنه كافر أو منافق فيذهب إليه كما يذهب قوم إلى الكنيسة أو إلى مواضع يقال لهم إنهـا تقبل النذر فهذا يقع فيه عامتهم ؛ وأما الأول فيقع فيه خاصتهم ، والمقصود هنا أن كثيرا من الناس يعظم قبر من يكون فى الباطن كافرا أو منافقا ، ويكون هذا عنده والرسول من جنس واحد لاعتقاده

أن الميت يقضى حاجته إذا كان رجلا صالحا وكلا هذين عنده من جنس واحد يستغيث به، وكم من مشهد يعظمه الناس وهو كذب بل يقال إنه قبر كافر كالمشهد الذى بسفح جبل لبنان الذى يقال إنه قبر نوح فإن أهل المعرفة يقولون إنه قبر بعض العمالقة، وكذلك مشهد الحسين الذى بالقاهرة وقبر أبى بن كعب الذى بدمشق اتفق العلماء أنها كذب ومنهم من قال إنهما قبران لنصرانيين، وكثير من المشاهد تنازع فيها وعندها شياطين تضل بسببها من تضل ومنهم من يرى فى المنام شخصاً يظن أنه المقبور ويكون ذلك شيطانا تصور بصورته كالشياطين الذين يكونون بالأصنام وكالشياطين الذين يتمثلون لمن يستغيثون بالأصنام والموتى والغائبين وهذا كثير فى زماننا وغيره مثل أقوام يرصدون بعض التماثيل التى بالبرانى بديار مصر بأخميم وغيرها يرصدون التمثال مدة لايتطهرون طهر المسلمين ولا يصلون صلاة المسلمين ولا يقرءون حتى يتعلق الشيطان بتلك الصورة فيراها تتحرك فيطمع فيها أو غيرها فيرى شيطانا قد خرج له فيسجد لذلك الشيطان حتى يقضى بعض حوائجه ومثل هؤلاء كثير فى شيوخ الترك الكفار يسمونه البوى وهو المخنث عندهم إذا طلبوا منه بعض هذه الأمور أرسلوا له من ينكحه وينصبوا له حركات عالية فى ليلة ظلماء وقربوا له خبزا وميتة وغنوا غناء يناسبه بشرط أن لايكون عنده من يذكر الله ولاهناك شىء فيه شىء من ذكر الله ثم يصعد ذلك الشيخ المفعول به فى الهواء ويرون الدف يطير فى الهواء ويضرب من مد يده إلى الخبز ويضرب الشيطان بآلات اللهو وهم يسمعون ويغنى لهم الأغانى التى كانت تغنيها آباؤهم الكفار ثم قد يغيب وكذلك الطعام وقد نقل إلى بيت البوى وقد لايغيب ويقربون له ميتة يحرقونها بالنار ويقضى بعض حوائجهم ومثل هذا كثير جدا للمشركين فالذى يجرى عند المشاهد من جنس مايجرى عند الأصنام، وقد تيقنت بطرق متعددة أن ما يشرك به من دون الله من صنم وقبر وغير ذلك قد يكون عنده شياطين تضـل من أشرك به وأن تلك الشياطين لايقضون إلا بعض أغراضهم وإنما يقضون بعض أغراضهم إذا حصل لهم من الشرك والمعاصى ما يحبه الشيطان، فمنهم من يأمر الداعى أن يسجد له، ومنهم من يأمره بالفواحش وقد يفعلها الشيطان وقد ينهاه عما أمر به من التوحيـد والإخلاص والصلوات الخمس وقراءة القرآن ونحو ذلك، والشياطين تغوى الإنسان بحسب ما تطمع منه فإن كان ضعيف

الإيمان أمرته بالكفر البين وإلا أمرته بما هو فسق أو معصية ، وإن كان قليل العلم أمرته بما لا يعرف أنه مخالف للكتاب والسنة ، وقد وقع فى هذا النوع كثير من الشيوخ الذين لهم نصيب وافر من الدين والزهد والعبادة لكن لعدم علمهم بحقيقة الدين الذى بعث الله به رسوله صلى الله عليه وسلم طمعت فيهم الشياطين حتى أوقعوهم فيما يخالف الكتاب والسنة. وقد جرى لغير واحد من أصحابنا المشايخ أنه كان يستغيث بأحدهم بعض أصحابه فيرى الشيخ قد جاء فى اليقظة حتى قضى ذلك المطلوب وإنما هى شياطين تتمثل للمشركين الذين يدعون غير الله والجن بحسب الإنس والكافر للكافر والفاجر للفاجر والجاهل للجاهل . وأما أهل العلم والإيمان فاتباع الجن لهم كاتباع الإنس لهم يتبعونه فيما أمر الله به ورسوله . وكان رجل يباشر التدريس وينتسب إلى الفتيا كان يقول النبى صلى الله عليه وسلم يعلم ما يعلمه الله ويقدر على ما يقدر الله عليه وأن هذا السر انتقل بعده إلى الحسن ثم انتقل فى ذرية الحسن إلى الشيخ أبى الحسن الشاذلى وقالوا هذا مقام القطب الغوث الفرد الجامع ، وكان شيخ آخر معظم عند أتباعه يدعى هذه المنزلة ويقول إنه المهدى الذى بشر به النبى صلى الله عليه وسلم وأنه يزوج عيسى ابنته وأن نواصى الملوك والأولياء بيده يولى من يشاء ويعزل من يشاء وأن الرب يناجيه دائما وأنه الذى يمد حملة العرش وحيتان البحر وقد عزرته تعزيرا بليغا فى يوم مشهود بحضرة من أهل المسجد الجامع يوم الجمعة بالقاهرة فعرفه الناس ، وانكسر بسببه أشباهه من الدجاجلة ؛ ومن هؤلاء من يقول قول الله سبحانه (إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة وأصيلا) إن الرسول هو الذى يسبح بكرة وأصيلا؛ ومنهم من يقول إن الرسول صلى الله عليه وسلم يعلم مفاتيح الغيب الخمس التى قال صلى الله عليه وسلم فيها « خمس لا يعلمهن إلا الله (إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما فى الأرحام وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا وما تدرى نفس بأى أرض تموت) » وقال إنه علمها بعد أن أخبر أنه لا يعلمها إلا الله ؛ ومنهم من يقول أسقط الربوبية وقل فى الرسول ما شئت، ومنهم من يقول نحن نعبد الله ورسوله ، ومنهم من يأتى قبر الميت فيقول اغفرلى وارحمنى ولا توقفنى على زلة ، إلى أمثال هذه الأمور التى يتخذ فيها المخلوق لله . أقول وهذه سنة مأثورة وطريقة مسلوكة والله غير مهجورة وضلالة

واضحة مشهورة وبدعة مشهودة غير منكورة وأعلامها مرفوعة مشهورة وآياتها منصورة غير مكسورة وبراهينها غير محدودة ولا محصورة ودلائلها فى كثير من المصنفات والمناظيم مذكورة كما قال فى البردة وبين فى ذلك قصده :

دع ما ادعته النصارى فى نبيهم واحكم بما شئت مدحا فيه واحتكم
فإن من جودك الدنيا وضرتها ومن علومك علم اللوح والقلم

ولو أطلنا بنقل هذه الأخبار لحبرنا منه أسفار، فلنكفّ عنان القلم اليراع فى هذا الميدان فالحكم والله لايخفى على ذى عيان بل أجلى من ضياء الشمس فى البيان ، فلما استقر هـذا فى نفوس عامتهم تجد أحدهم إذا سئل عمن ينهاهم مايقول هذا ؟ فيقول فلان عنده ما ثم إلا الله لما استقر فى نفوسهم أن يجعلوا مع الله إلها آخر وهـذا كله وأمثاله وقع ونحن بمصر وهؤلاء الضالون مستخفون بتوحيد الله ويعظمون دعاء غير الله من الأموات فإذا أمروا بالتوحيد ونهوا عن الشرك استخفوا بمن أمرهم بتوحيد الله كما أخبر الله تعالى عن المشركين بقوله (وإذا رأوك إن يتخذونك إلاهزوا الآية) فاستهزءوا بالرسول لما نهاهم عن الشرك وقال تعالى عن المشركين (إنهم كانوا إذا قيل لهم لاإله إلا الله يستكبرون . ويقولون أئنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون) وقال تعالى (وعجبوا أن جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا ساحر كذاب. أجعل الآلهة إلها واحدا إن هذا لشىء عجاب) وما زال المشركون يسفهون الأنبياء ويصفونهم بالجنون والضلال والسفاهة كما قال قوم نوح لنوح وعاد لهود عليهما السلام (قالوا أجئتنا لنعبد الله وحده) فأعظم ماسفهوه لأجله وأنكروه هو التوحيد وهكذا تجد من فيه شبه من هؤلاء من بعض الوجوه إذا رأى من يدعو إلى توحيد الله وإخلاص الدين له وأن لايعبد الإنسان إلا الله ولا يتوكل إلا عليه استهزأ بذلك لما عنده من الشرك ، وكثير من هؤلاء يخربون المساجد ويعمرون المشاهد فتجد المسجد الذى بنى للصلوات الخمس معطلا مخربا ليس له كسوة إلا من الناس وكأنه خان من الخانات ، والمشهد الذى بنى على الميت فعليه الستور وزينة الذهب والفضة والرخام والنذور تغدو وتروح إليه فهل هذا إلا من استخفافهم بالله وآياته ورسوله وتعظيمهم للشرك فإنهم يعتقدون أن دعاءهم للميت الذى بنى له المشهد والاستغاثة به أنفع لهم من دعاء الله والاستغاثة به فى البيت الذى بنى لله عز وجل ففضلوا البيت الذى بنى لدعاء المخلوق على البيت الذى بنى لدعاء

الخالق، وإذا كان لهذا وقف ولهذا وقف كان وقف الشرك أعظم عندهم مضاهاة لمشركى العرب الذين ذكر الله حالهم فى قوله (وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبا فقالوا هذا الله بزعمهم الآية) كانوا يجعلون لله زرعا وماشية ولأهلهم زرعا وماشية فإذا أصيب ناصية آلهتهم أخذوا من نصيب الله فوضعوه فيه وقالوا الله غنى وآلهتنا فقيرة فيفضلون ما يجعلون لغير الله على ما يجعل لله، وهكذا حال هؤلاء فى الوقف والنذور التى تبذل عندهم للمشاهد أعظم مما يبذل عندهم للمساجد ولعمار المساجد والجهاد فى سبيل الله، وهؤلاء إذا قصد أحدهم القبر الذى يعظمه بكى عنده وخضع ويدعو ويتضرع له ويحصل له من الرقة والتواضع والعبودية وحضور القلب مالا يحصل له مثـله فى الصلوات الخمس والجمعة وقيام الليل وقراءة القرآن فهل هـذا الأمر إلا من حال المشركين المبتدعين لا الموحدين المخلصين المتبعين لـكتاب الله وسنة رسوله ومثل هؤلاء إذا سمع أحدهم الأبيات يحصل له من الحضور والخشوع والبكاء مالا يحصل له مثله عند سماع آيات الله فيخشع عند سماع المبتدعين المشركين ولا يخشع عند سماع المتقين المخلصين، بل إذا سمعوا آيات الله استثقلوها وكرهوها واستهزءوا بها، ومن يقرأ بها فيحصل له أعظم نصيب من قوله تعالى (قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون) وإذا سمعوا القرآن سمعوه بقلوب لاهية وألسن لاغية كأنهم صم عمى، وإذا سمعوا الأبيات حضرت قلوبهم وسكنت ألسنتهم وسكنت حركاتهم حتى لا يشرب العطشان منهم ومن هؤلاء من إذا كانوا فى سماعهم فأذن المؤذن قالوا نحن فى شىء أفضل مما دعانا إليه، ومنهم من يقول كنا فى الحضرة فإذا قمنا إلى الصلاة صرنا إلى الباب وقد سألنى بعضهم عن من قال ذلك من هؤلاء الشيوخ الضلال فقلت كذب كان فى حضرة الشيطان فصار على باب الله فإن البدع والضلال فيها من حضور الشيطان ماقد فصل فى غير هذا الموضع، والذين جعلوا دعاء الموتى من الأنبياء والأئمة والشيوخ أفضل من دعاء الله أنواع متعددة منهم من تقدم، ومنهم من يحكى أنواعا من الحكايات أن بعض المريدين استغاث بالله فلم يغثه واستغاث بشيخه فأغاثه، وحكاية أن بعض المأسورين فى بلد العدو دعا الله فلم يخرجه ودعا بعض المشايخ الموتى فأخرجه إلى بلاد الإسلام، وحكاية أن بعض المشايخ قال لمريده إذا كانت لك إلى الله حاجة فتعال إلى قبرى وآخر قال فتوسل إلى الله بى وآخر قال قبر فلان هو الترياق المجرب فهؤلاء وأشباههم

يرجحون هذه الأدعية على أدعية المخلصين لله مضاهاة لسائر المشركين وهؤلاء يتمثل لكثير منهم صورة شيخه الذى يدعوه فيظنه إياه أو ملكا على صورته وإنما هو شيطان أغواه ، ومن هؤلاء من إذا نزلت به شدة لايدعو إلا شيخه ولا يذكر إلا اسمه قد لهج به كما يلهج الصبى بذكر أمه فيتعس أحدهم فيقول يافلان ، وقد قال الله للمؤمنين (فإذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكرا) ومن هؤلاء من يحلف بالله ويكذب ويحلف بشيخه وإمامه فيصدق فيكون شيخه عنده وفى صدره أعظم من الله فإذا كان دعاء الموتى مثل الأنبياء والصالحين يتضمن هذا الاستهزاء بالله وآياته ورسوله فأى الفريقين أحق بالاستهزاء بالله وآياته ورسوله ، ومن كان يأمر بدعاء الله وحده لاشريك له كما أمرت رسله ويوجب طاعة الرسول ومتابعته فى كل ماجاء به ، وأيضاً فإن هؤلاء الموحدين من أعظم الناس رعاية لجانب الرسول وتصديقا له فيما أخبر وطاعة له فيما أمر واعتناء بمعرفة مابعث به والتميز بين ماروى عنه من الصحيح والضعيف والصدق والكذب وأتباع ذلك دون ماخالفه عملا بقوله تعالى (اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلا ماتذكرون) وأما أولئك الضلال أشباه المشركين والنصارى فعمدتهم إما أحاديث ضعيفة أو موضوعات أو منقولات عن من لايحتج بقوله إما أن تكون كذبا عليه وإما أن يكون غلطا منه إذ هى نقل غير مصدق عن قائل غير معصوم ، وإن اعتصموا بشىء مما ثبت عن الرسول حرفوا الكلم عن مواضعه وتمسكوا بمتشابهه وتركوا محكمه كما فعله النصارى ، وهذا ماعلمته ينقل عن أحد من العلماء لكنه موجود فى كلام بعض الناس مثل الشيخ يحيى الصرصرى ففى شعره قطعة منه والشيخ محمد بن النعمان وكتاب المستغيثين بالنبى عليه السلام فى اليقظة والمنام وهؤلاء لهم صلاح ودين لكن ليسوا من أهل العلم العالمين بمدارك الأحكام الذى يؤخذ بقولهم فى شرائع الإسلام ومعرفة الحلال والحرام وليس لهم دليل شرعى ولا نقل عن عالم مرضى بل عادة جرى عليها كما جرت عادة كثير من الناس بأنه يستغيث بشيخه فى الشدائد ويدعوه وكان بعض الشيوخ الذين أعرفهم ولهم صلاح وعلم وزهد إذا نزل به أمر خطا إلى جهة الشيخ عبد القادر خطوات معدودة واستغاث به ، وهذا يفعله كثير من الناس ولهذا لما نبه من نبه من فضلائهم تنبهوا وعلموا أن ما كانوا عليه ليس من دين الإسلام بل هو مشابهة لعباد الأصنام ، ونحن نعلم بالاضطرار من دين الإسلام أن النبى صلى

الله عليه وسلم لم يشرع لأمته أن يدعوا أحدا من الأموات لا الأنبياء ولا غيرهم ولا بلفظ الاستغاثة ولا بغيرها، كما أنه لم يشرع لأمته السجود لميت ولا إلى ميت ونحو ذلك بل نعلم أنه نهى عن كل هذه الأمور، وأن ذلك من الشرك الذى حرمه الله ورسوله لكن لغلبة الجهل وقلة العلم بآثار الرسالة فى كثير من المتأخرين لم يمكن تكفيرهم بذلك حتى تبين لهم ماجاء به الرسول مما يخالفه ولهذا مابينت هذه المسألة قط لمن يعرف دين الإسلام إلا تفطن لها وقال هذا أصل دين الإسلام، وكان بعض أكابر الشيوخ العارفين من أصحابنا يقول هذه أعظم مابينته لنا لعلمه بأن هذا أصل الدين، وكان هذا وأمثاله فى ناحية أخرى يدعون الأموات ويسألونهم ويستجيرون بهم ويضرعون إليهم وربما كان مايفعلونه بالأموات أعظم لأنهم إنما يقصدون الميت فى ضرورة نزلت بهم فيدعون دعاء المضطر راجين قضاء حاجاتهم بدعائه أو الدعاء به أو الدعاء عند قبره بخلاف عبادتهم للذى دعاهم إياه فإنهم يفعلون فى كثير من الأوقات على وجه العادة والتكلف حتى إن العدو الخارج عن شريعة الإسلام لما قدم دمشق خرجوا يستغيثون بالموتى عند القبور التى يرجون عندها كشف ضرهم.

قال بعض الشعراء:

ياخائفين من التتر   لوذوا بقبر أبى عمر

وقال: عوذوا بقبر أبى عمر   ينجيكمو من الضرر

فقلت لهم هؤلاء الذين تستغيثون بهم لو كانوا معكم فى القتال لانهزموا كما انهزم جماعة من المسلمين يوم أحد فإنه كان قضى أن العسكر ينكسر لأسباب اقتضت ذلك والحكمة كانت لله فى ذلك، ولهذا كان أهل المعرفة بالدين والمكاشفة لم يقاتلوا فى تلك المرة لعدم القتال الشرعى الذى أمر الله به ورسوله فلما كانت بعد ذلك جعلنا نأمر الناس بإخلاص الدين لله والاستغاثة به وإنهم لا يستغيثون إلا إياه ولا يستغيثون بملك مقرب ولا نبى مرسل فلما أصلح الناس أمورهم وصدقوا فى الاستغاثة بربهم نصرهم على عدوهم نصراً عزيزا لم يتقدم نظيره ولم يهزم التتار مثل هذه الهزيمة أصلا لما صح من توحيد الله وطاعة رسوله مالم يكن قبل ذلك فإن الله ينصر رسله والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد كما قال تعالى فى يوم بدر (إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم) وروى أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يقول يوم بدر: «ياحى ياقيوم لا إله إلا أنت برحمتك أستغيث» وفى لفظ «أصلح لى شأنى كله ولا تكلنى إلى نفسى طرفة عين ولا إلى أحد من خلقك» وهؤلاء يدعون الميت أو الغائب فيقول أحدهم

بك أستجير أغثنا أجرنا ويقول أنت تعلم ذنوبي، ومنهم من يقول للميت اغفر لي وارحمني وتب عليّ ونحو ذلك ، ومن لم يقل هذا من عقلائهم فإنه يقول أشكو إليك ذنوبي وأشكو إليك عدوي وأشكو إليك جور الولاة وظهور البدع أو جدب الزمان وغير ذلك فيشكون إليه ما حصل من ضرر في الدين أو الدنيا ومقصوده بالشكوى أن يشكيه فيزيل ذلك الضرر ، وقد يقول مع ذلك للميت أنت تعلم مانزل بنا من الضرر وأنت تعلم مافعلته من الذنوب فيجعل الميت أو الحي الغائب عالما بذنوب العباد وجرائمهم التي يمتنع أن يعلمها بشر حيّ أو ميت وعقلاؤهم يقولون مقصودنا أن يسأل الله لنا ويشفع لنا ويظنون أنهم إذا سألوه بعد موته أن يسأل الله لهم فإنه يسأل ويشفع كما كان يسأل ويشفع النبي لما سأله الصحابة الاستسقاء وغيره ، وكأن يشفع يوم القيامة إذا سئل الشفاعة ولا يعلمون أن سؤال الميت أو الغائب غير مشروع البتة، ولم يفعله أحد من الصحابة بل عدلوا عن سؤاله وطلب الدعاء منه وأن الرسول صلى الله عليه وسلم وسائر الأنبياء والصالحين وغيرهم لا يطلب من أحدهم بعد موته من الأمور ما كان يطلب منه في حياته . انتهى كلام الشيخ رحمه الله ملخصا، فانظر رحمك الله إلى ماذكره هذا الإمام من أنواع الشرك الأكبر الذي قد وقع في زمانه ممن يدعي المعرفة والدين ينتصب للفتيا والقضاء ، لكن نبههم الشيخ رحمه الله على ذلك وبين لهم أن هذا من الشرك الذي حرمه الله ورسوله فتنبه من تنبه منهم وتاب إلى الله وعرف أن ما كان عليه شرك وضلال وانقاد للحق وهذا مايبين لك غربة الإسلام في ذلك الوقت عند كثير من الأنام وأن هذا مصداق ماتواترت به الأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « لتتبعن سنن من كان قبلكم » الحديث وقوله « بدأ الإسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ » وبهذا ينكشف لك ويتضح عندك بطلان ما عليه كثير من أهل هذا الزمان من أنواع الشرك والبدع والحدثان فلا تغتر بما هم عليه ، وهذه هي البلية العظيمة والخصلة القبيحة الذميمة وهي الاغترار بالآباء والأجداد وما استمر عليه عمل كثير من أهل البلاد ، وتلك هي الحجة التي انتحلها أهل الشرك والكفر والعناد كما حكى الله تعالى ذلك عنهم في محكم التنزيل من غير شك ولا تأويل حيث قال تعالى وهو أصدق القائلين حكاية عن فرعون اللعين أنه قال لموسى وأخيه هارون المكرمين (فما بال القرون الأولى) فأجابه عليه السلام بقوله (علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا

ينسى) فمن امتطى كاهل الصدق والوفاء وسلم من التعصب والعناد والجفاء وتوسط في لاحب المحجة وقنع في قبول الحق بالحجة وكان ذلك طريقه ونهجه ، وأشرق في صدره مصباح القبول وأوقد فيه بزيت المعرفة لمولاه والوصول ، وكان من ضوء التوحيد على وصول ، عرف صدق ماانتهجه شيخ الإسلام وما أوضحه من سبل السلام وما رفعه لكافة الأنام من رفيع الأعلام وما نشره من مطوى نافع العلوم وما كشفه من صحيح المنطوق والمفهوم ، ولكن لما أماط عن محيا الحق كثيف النقاب فأشرق لمنور القلب ضوء الصواب لم ترض له أفهام أولى الألباب ولم ترض في الدليل بقواطع السنة والكتاب بل لج أهل الزيغ في الضلال والارتياب ودخلوا في التعصب لما كانوا عليه من كل باب حين قام بدعوة رب الأرباب الشيخ الإمام القدوة محمد ابن عبدالوهاب وأتوا في مصادمته بحجج واهية النسج بعيدة عن الحق والنهج يقضى بفسادها وبيان عنادها وغلوها في مرادها كل من لم يتورك سنام الاعتساف ولم يقعد على منصة العصبية والإجناف ، ولم يدّرع بقميص السرف والإسراف وراقب في ذلك مولاه وخاف وماداهن في ذلك ولا حاف ولكن هذه القدوة كلما أعلن بهذه الدعوة لم يبال بما ريش له من النبال وما حدد له من النصال وما أوقع في عرضه من القيل والقال ولله در المتنبي حيث قال :

لايسلم الشرف الرفيع من الأذى حتى يراق على جوانبه الدم

[الفائدة الثالثة] قال ابن القيم رحمه الله في الإغاثة قال صلى الله عليه وسلم «لاتتخذوا قبرى عيدا » وقال « اللهم لاتجعل قبرى وثنا يعبد اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » وفي اتخاذها عيدا من المفاسد مايغضب لأجله من في قلبه وقار لله وغيرة على التوحيد * ولكن ما لجرح بميت إيلام * منها الصلاة اليها والطواف بها واستلامها وتعفير الخدود على ترابها وعبادة أصحابها وسؤالهم النصر والرزق والعافية وقضاء الديون وتفريج الكربات التي كان عباد الأوثان يسألونها أوثانهم ، وكل من شم أدنى رائحة من العلم يعلم أن من أهم الأمور سد الذريعة إلى ذلك وأنه صلى الله عليه وسلم أعلم بعاقبة مانهى عنه وما يئول عليه ، وإذا لعن من اتخذ القبور مساجد يعبد الله فيها فكيف بملازمتها واعتياد قصدها وعبادتها ؟ ومن جمع بين سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم في القبور وما أمر به ونهى عنه وما عليه أصحابه وبين

ماعليه أكثر الناس اليوم رأى أحدهما مضادا للآخر فنهى عن اتخاذها مساجد وهؤلاء يبنون عليها المساجد ونهى عن تسريجها وهؤلاء يوقفون عليها الوقوف على إيقاد القناديل ونهى عن أن يتخذ عيدا وهؤلاء يتخذونها أعيادا ونهى عن تشريفها وأمر بتسويتها كما فى صحيح مسلم عن على رضى الله عنه وهؤلاء يرفعونها ويجعلون عليها القباب ونهى عن تجصيص القبر والبناء عليه كما فى صحيح مسلم عن جابر ، ونهى عن الكتابة عليها كما رواه أبوداود عن جابر وهؤلاء يتخذون عليها الألواح ويكتبون عليها القرآن ويزيدون على ترابها بالجص والآجر والأحجار وقد آل الأمر بهؤلاء الضلال المشركين إلى أن شرعوا للقبور حجا ووضعوا لها مناسك حتى صنف بعضهم فى ذلك كتابا سماه مناسك حج المشاهد ، ولا يخفى أن هذا مفارقة لدين الإسلام ودخول فى دين عباد الأصنام.فانظر إلى هذا التباين العظيم بين ماشرعه الرسول صلى الله عليه وسلم لأمته وبين ماشرعه هؤلاء ، والنبى صلى الله عليه وسلم أمر بزيارة القبور لأنها تذكر الآخرة وأمر الزائر أن يدعو لأهل القبور ونهاه أن يقول هجرا ، فهذه الزيارة التى أذن فيها لأمته وعلمهم إياها هل تجد فيها شيئا مما يعتمده أهل الشرك والبدع أم تجدها مضادة لما هم عليه من كل وجه ، وما أحسن ماقال الإمام مالك رحمه الله : لن يصلح آخر هذه الأمة إلا ماأصلح أولها ، ولكن كلما ضعف تمسك الأمم بعهود أنبيائهم عوضوا عن ذلك بماأحدثوه من البدع والشرك ، ولقد جرد السلف الصالح التوحيد وحموا جانبه حتى كان أحدهم إذا سلم على النبى صلى الله عليه وسلم ثم أراد الدعاء جعل ظهره إلى جدار القبر ثم دعا ، وقد نص على ذلك الأئمة الأربعة أن يستقبل القبلة للدعاء حتى لايدعوا عند القبر فإن الدعاء عبادة .

وبالجملة فإن الميت قد انقطع عمله فهو محتاج إلى من يدعوله ولهذا شرع فى الصلاة عليه من الدعاء مالم يشرع مثله للحى ومقصود الصلاة على الميت الاستغفار له والدعاء له وكذلك الزيارة مقصودها الدعاء للميت والإحسان إليه وتذكير الآخرة، فبدل أهل البدع والشرك قولا غير الذى قيل لهم فبدلوا الدعاء له بدعائه نفسه والشفاعة له بالاستشفاع به والزيارة التى شرعت إحسانا إلى الميت وإلى الزائر بسؤال الميت والإقسام به على الله وتخصيص تلك البقعة بالدعاء الذى هو محض العبادة وحضور القلب عندها وخشوعه أعظم منه فى المساجد ثم ذكر حديث ذات أنواط ثم قال فإذا كان اتخاذ الشجرة لتعليق الأسلحة والعكوف حولها اتخادا له مع الله وهم لايعبدونها

ولا يسألونها فما الظن بالعكوف حول القبر ودعائه والدعاء عنده والدعاء به ؟ وأى نسبة للفتنة بشجرة إلى الفتنة بالقبر لو كان أهل الشرك والبدع يعلمون ومن له خبرة بما بعث الله به رسوله وبما عليه أهل الشرك والبدع اليوم فى هـذا الباب وغيره علم أن بين السلف وبينهم أبعد مما بين المشرق والمغرب ، والأمر والله أعظم مما ذكرناه وعمى الصحابة قبر دانيال بأمر عمر رضى الله عنه ولما بلغه أن الناس ينتابون الشجرة التى بويع رسول الله صلى الله عليه وسلم تحتها أرسل إليها وقطعها قال عيسى بن يونس هو عندنا من حديث بن عون عن نافع فإذا كان هذا فعله فى الشجرة التى ذكرها الله فى القرآن وبايع تحتها الصحابة رضى الله عنهم رسول الله صلى الله عليـه وسلم فماذا حكمه فيما عداها ؟ وأبلغ من ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم هدم مسجد الضرار ففيه دليل على هدم المساجد التى هى أعظم فساداً منه كالمبنية على القبور ، وكذلك قبابها فتجب المبادرة إلى هدم مالعن رسول الله صلى الله عليـه وسلم فاعله والله يقيم لدينه من ينصره ويذب عنه ، وكان بدمشق كثير من هذه الأنصاب فيسر الله سبحانه كسرها على يد شيخ الإسلام وحزب الله الموحدين وكانوا يقولون العامة للشىء منها أنه يقبل النذر أى يقبل العبادة من دون الله فإن النذر عبادة يتقرب بها الناذر إلى المنذور ، ولقد أنـكر السلف التمسح بحجر المقام الذى أمر الله أن يتخذ منه مصلى قال قتادة فى الآية إنما أمروا أن يصلوا عنده ولم يؤمروا بمسحه ، ولقد تكلفت هذه الأمة شيئا ماتكلفته الأمم قبلها. ذكر لنا من رأى أثر أصابعه فما زالت هـذه الأمة تمسحه حتى اخلولق وأعظم الفتنة بهذه الأنصاب فتنة أصحاب القبور وهى أصل فتنة عباد الأصنام كما ذكر الله فى سورة نوح فى قوله تعالى (وقالوا لاتذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولاسواعا الآية) ذكر السلف فى تفسيرها أن هؤلاء أسماء رجال صالحين فى قوم نوح فلما ماتوا عكفوا على قبورهم ثم صوروا تماثيلهم ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم وتعظيم الصالحين إنما هو باتباع مادعوا إليه دون اتخاذ قبورهم أعياداً وأوثانا فأعرضوا عن المشروع واشتغلوا بالبدع ومن أصغى إلى كلام الله وتفهمه أغناه عن البدع والآراء ، ومن بعد عنه فلابد أن يتعوض بما لاينفعه كما أن من عمر قلبه بمحبة الله وخشيته والتوكل عليه أغناه عن محبة غيره وخشيته والتوكل عليه فالمعرض عن التوحيد مشرك شاء أم أبى ، والمعرض عن اتباع السنة مبتدع شاء أم أبى ، والمعرض عن محبة الله عبد الصور شاء أم أبى ، وهذه الأمور

المبتدعة عند القبور أنواع أبعدها عن الشرع أن يسأل الميت حاجته كما يفعله كثير وهؤلاء من جنس عباد الأصنام ولهذا قد يتمثل لهم الشيطان فى صورة الميت كما يتمثل لعباد الأصنام، وكذلك السجود للقبر وتقبيله والتمسح به. النوع الثانى أن يسأل الله به وهذا يفعله كثير من المتأخرين وهو بدعة اجماعا . النوع الثالث أن يظن أن الدعاء عنده مستجاب وأنه أفضل من الدعاء فى المسجد فيقصد القبر لذلك فهذا أيضا من المنكرات إجماعاً وما علمت فيه نزاعا بين أئمة الدين وإن كان كثير من المتأخرين يفعله.

وبالجملة فأكثر أهل الأرض مفتونون بعبادة الأصنام ولم يتخلص منها إلا الحنفاء أتباع ملة إبراهيم وعبادتها فى الأرض من قبل نوح وهياكلها ووقوفها وسدنتها وحجابها والكتب المصنفة فى عبادتها طبق الأرض . قال إمام الحنفاء عليه الصلاة والسلام «واجنبنى وبنىّ أن نعبد الأصنام رب إنهن أضللن كثيرا من الناس » وكفى فى معرفة أنهم أكثر أهل الأرض بما صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أن بعث النار من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون ، وقد قال تعالى (فأبى أكثر الناس إلا كفورا) وقال (وإن تطع أكثر من فى الأرض يضلوك عن سبيل الله) ولولم تكن الفتنة بعبادة الأصنام عظيمة لما أقدم عبادها على بذل نفوسهم وأموالهم وأبنائهم دونها وهم يشاهدون مصارع إخوانهم وما حل بهم ولا يزيدهم ذلك إلا حبا لها وتعظيما ويوصى بعضهم بعضا بالصبر عليها انتهى كلام الشيخ رحمه الله تعالى ملخصا . وسيأتى بقية لكلام الشيخ ابن القيم فى رسائل الشيخ الآتية إن شاء الله فى مواضع من رسائله رحمه الله متفرقة كما ذكره فى الرسالة التى كتبها حين ارتد أهل حريملا وكذلك ذكره فى رسالته لعبد الله بن سحيم فى الرد على عدو الله سليمان بن سحيم مطوع الرياض؛ وقال العماد بن كثير فى تاريخه وفى سنة من السنين كان للناس شجرة يعظمونها ويربطون عليها الخرق ويخرجون إليها فى يوم من السنة قال لم يشعر الناس إلا والشيخ تقى الدين بن تيمية تحزم وأخذ هو وجماعته الفؤوس وخرج إليها فقطعها قال فوقع الإنكار من العامة عليه بسبب ذلك فرحمه الله ورضى عنه على ماصنع فإن ذلك ربما يفضى إلى الشرك، وطائفة من الكفار يعبدون الشجر. وقد ذكر ابن هشام فى السيرة وغيره أن أهل نجران قبل مبعث النبى صلى الله عليه وسلم كانوا يعبدون نخلة طويلة لها عيد فى السنة إذا كان يوم ذلك العيد خرجوا

إليها وألبسوها الحلى وغيره ويعكفون عليها ، وأخبرنى بعض أصحابنا أن ببلاد الهند طائفة يعبدون الشجر يعكفون عليها ويصلحونها ويلبسونها انتهى كلامه رحمه الله .

الفصل الثالث

فى سرد بعض رسائل أرسلها إلى بعض البلدان ، وإلى بعض خواص الاخوان يدعوهم بالقول السديد إلى تجريد التوحيد فمنها الرسالة التى أرسلها إلى أهل الأحسا حين كتبوا الرسائل إلى أهل نجد بالانكار عليه والتشنيع ، ومنها رسالة أرسلها إلى مطاوعة أهل سدير والوشم والقصيم قال فيها :

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن عبد الوهاب إلى من يصل إليه هذا الكتاب من المسلمين، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته خصوصاً محمد بن عبيد وعبد القادر العديلى وابنه وعبد الله بن سحيم وعبد الله بن عضيب وحميدان بن تركى وعلى بن زامل ومحمد أبى الخيل وصالح بن عبد الله ، أما بعد فإن الله تبارك وتعالى أرسل محمدا صلى الله عليه وسلم إلينا على حين فترة من الرسل فهدى الله به إلى الدين الكامل والشرع التام وأعظم ذلك وأكبره، وزبدته هو إخلاص الدين لله بعبادته وحده لا شريك له والنهى عن الشرك وهو أن لا يدعى أحد من دونه من الملائكة والنبيين فضلا عن غيرهم ، فمن ذلك أنه لا يسجد إلا لله ولا يركع إلا له ولا يدعى لكشف الضر إلا هو ولا لجلب الخير إلا هو ولا ينذر إلا له ولا يحلف إلا به ولا يذبح إلا له وجميع العبادات لا تصلح إلا له وحده لا شريك له ، وهذا معنى قول لا إله إلا الله فإن المألوه هو المقصود المعتمد عليه وهذا أمر هين عند من لا يعرفه كبير عظيم عنـــد من عرفه ، فمن عرف هذه المسألة عرف أن أكثر الخلق قد لعب بهم الشيطان وزين لهم الشرك بالله وأخرجه فى قالب حب الصالحين وتعظيمهم .

والكلام فى هذا ينبنى على قاعدتين عظيمتين .

[الأولى] أن تعرف أن الكفار الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرفون الله ويعظمونه ويحجون ويعتمرون ويزعمون أنهم على دين إبراهيم الخليل وأنهم يشهدون أنه لا يخلق ولا يرزق ولا يدبر إلا الله وحده لا شريك له كما قال تعالى « قل من يرزقكم من السماء والأرض الآية » فإذا عرفت أن الكفار يشهدون بهذا كله فاعرف .

[القاعدة الثانيـة] وهى أنهم يدعون الصالحين مثل الملائـكة وعيسى وعزير وغيرهم وكل من ينتسب إلى شيء من هؤلاء سماه إلهاً ولا يعنى بذلك أنه يخلق أو يرزق بل يدعون الملائـكة وعيسى ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله ، ويقولون ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى والاله فى لغتهم هو الذى يسمى فى لغتنا الذى فيه سر والذين يسمونه الفقراء شيخهم يعنون بذلك أنه يدعى وينفع ويضر إلا أنهم مقرون لله بالتفرد بالخلق والرزق وليس ذلك معنى الإله بل الإله المقصود المدعو المرجو، لـكن المشركون فى زماننا أضل من الـكفار الذين فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم من وجهين: أحدهما أن الـكفار إنما يدعون الأنبياء والملائـكة فى الرخاء، وأما فى الشدائد فيخلصون لله الدين كما قال تعالى (وإذا مسكم الضر فى البحر ضل من تدعون إلا إياه الآية) . والثانى أن مشركى زماننا يدعون أناساً لا يوازنون عيسى والملائـكة . إذا عرفتم هذا أفلا يخفى عليكم ما ملأ الأرض من الشرك الأكبر عبادة الأصنام هذا يأتى إلى قبر نبى ، وهذا إلى قبر صحابى كالزبير وطلحة ، وهذا إلى قبر رجل صالح وهذا يدعوه فى الضراء وفى غيبته وهذا ينذر له وهذا يذبح للجن وهذا يدخل عليه من مضرة الدنيا والآخرة ، وهذا يسأله خير الدنيا والآخرة فإن كنتم تعرفون أن هذا من الشرك عبادة الأصنام الذى يخرج الرجل من الإسلام ، وقد ملأ البر والبحر وشاع وذاع حتى إن كثيرا ممن يفعله يقوم الليل ويصوم النهار وينتسب إلى الصلاح والعبادة فما بالـكم لم تفشوه فى الناس وتبينوا لهم أن هذا كفر بالله مخرج عن الإسلام أرأيتم لو أن بعض الناس أو أهل بلدة تزوجوا أخواتهم أو عماتهم جهلا منهم أفيحل لمن يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتركه لا يعلمهم أن الله حرم الأخوات والعمات ، فإن كنتم تعتذرون أن نكاحهم أعظم مما يفعله الناس اليوم عند قبور الأولياء والصحابة ، وفى غيبتهم عنها فاعلموا أنـكم لم تعرفوا دين الإسلام ولا شهادة أن لا إله إلا الله ودليل هذا مما تقدم من الآيات التى بينها الله فى كتابه ، وإن عرفتم ذلك فـكيف يحل لـكم كتمان ذلك والإعراض عنه ، وقد أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الـكتاب لتبيننه للناس ولا تـكتمونه فإن كان الاستدلال بالقرآن عندكم هزؤا وجهــلا كما هى عادتـكم ولا تقبلونه فانظروا فى الإقناع فى باب حكم المرتد وما ذكر فيه من الأمور الهائلة التى ذكر أن الإنسان إذا فعلها فقد ارتد وحل دمه مثل الاعتقاد فى الأنبياء والصالحين وجعلهم وسائط بينه وبين الله ومثل الطيران فى الهواء والمشى فى الماء فإذا كان من

فعل هذه الأمور منكم مثل السائح الأعرج ونحوه تعتقدون صلاحه وولايته ، وقد صرّح فى الاقناع بكفره . واعلموا أنكم لم تعرفوا معنى شهادة أن لا إله إلا الله ، فإن بان لكم فى كلامى هذا شىء من الغلو من أن هذه الأفاعيل لو كانت حرام فلا تخرج من الإسلام وإن فعل أهل زماننا فى الشدائد فى البر والبحر وعند قبور الأنبياء والصالحين ليست من هذه بينوا لنا الصواب وأرشدونا إليه؟ وإن تبين لكم أن هذا هو الحق الذى لاريب فيه وأن الواجب إشاعته فى الناس وتعليمه النساء والرجال فرحم الله من أدى الواجب عليه وتاب إلى الله وأقر على نفسه فإن التائب من الذنب كمن لاذنب له وعسى الله أن يهدينا وإياكم وإخواننا لما يحب ويرضى والسلام .

ومنها رسالة أرسلها إلى عبد الله بن سحيم مطوع المجمعة قال فيها :

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن عبد الوهاب إلى عبد الله بن سحيم حفظه الله تعالى، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته . أما بعد ، فقد وصل كتابك تطلب شيئا من معنى كتاب المويس الذى أرسل لأهل الوشم وأنا أجيبك عن الكتاب جملة فإن كان الصواب فيه فنبهنى وارجع إلى الحق وإن كان الأمر كما ذكرت لك من غير مجازفة بل أنا مقتصر فالواجب على المؤمن أن يدور مع الحق حيث دار وذلك أن كتابه مشتمل على الكلام فى ثلاثة أنواع من العلوم : الأول علم الأسماء والصفات الذى يسمى علم أصول الدين ويسمى أيضا العقائد . والثانى الكلام على التوحيد والشرك . والثالث الاقتداء بأهل العلم واتباع الأدلة وترك ذلك . أما الأول فإنه أنكر على أهل الوشم إنكارهم على من قال ليس بجوهر ولا جسم ولا عرض ، وهذا الإنكار جمع فيه بين اثنتين : إحداهما أنه لم يفهم كلام بن عيدان وصاحبه ، الثانية أنه لم يفهم صورة المسألة وذلك أن مذهب الإمام أحمد وغيره من السلف أنهم لايتكلمون فى هذا النوع إلا بما يتكلم الله به ورسوله فما أثبته الله لنفسه أو أثبته رسوله أثبتوه مثل الفوقية والاستواء والكلام والمجىء وغير ذلك وما نفاه الله عن نفسه ونفاه عنه ورسوله نفوه مثل المثل والند والسمىّ وغير ذلك . وأما مالايوجد عن الله ورسوله إثباته ونفيه مثل الجوهر والجسم والعرض والجهة وغير ذلك لايثبتونه ولا ينفونه فمن نفاه مثل صاحب الخطبة التى أنكرها ابن عيدان وصاحبه فهو عند أحمد والسلف مبتدع ومن أثبته مثل هشام ابن الحكم وغيرهم فهو عندهم مبتدع ، والواجب عندهم السكوت عن هذا النوع

اقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه. هذا معنى كلام الإمام أحمد الذى فى رسالة المويس أنه قال لا أرى الكلام إلا ما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم فمن العجب استدلاله بكلام الإمام أحمد على ضده ، ومثاله فى ذلك كمثل حنفى يقول الماء الكثير ولو بلغ قلتين ينجس بمجرد الملاقاة من غير تغير فإذا سئل عن الدليل قال قوله صلى الله عليه وسلم « الماء طهور لاينجسه شيء » فيستدل بدليل خصمه فهل يقول هذا من يفهم ما يقول ، وأنا أذكر لك كلام الحنابلة فى هذه المسألة قال الشيخ تقى الدين بعد كلام له على من قال إنه ليس بجوهر ولا عرض كـكلام صاحب الخطبة قال رحمه الله فهذه الألفاظ لا يطلق إثباتها ولا نفيها كلفظ الجوهر والجسم والتحيز والجهـة ونحو ذلك من الألفاظ ، ولهذا لمـا سئل ابن سريج عن التوحيـد فذكر توحيد المسلمين قال : وأما توحيد أهل الباطل فهو الخوض فى الجواهر والأعراض وإنما بعث النبي صلى الله عليه وسلم بإنكار ذلك، وكلام السلف والأئمة فى ذم الكلام وأهله مبسوط فى غير هذا الموضع ، والمقصود أن الأئمة كأحمد وغيره لما ذكر لهم أهل البـدع الألفاظ المجملة كلفظ الجسم والجوهر والحـيز لم يوافقوهم لا على إطلاق الإثبات ولا على إطلاق النفى انتهى كلام الشيخ تقى الدين . إذا تدبرت هذا عرفت أن إنكار ابن عيدان وصاحبه على الخطيب الكلام فى هذا هو عين الصواب وقد اتبعا فى ذلك إمامهما أحمد بن حنبل وغيره فى إنكارهم ذلك على المبتدعة ففهم صاحبكم أنهما يريدان إثبات ضد ذلك وأن الله جسم وكذا وكذا ، تعالى الله عن ذلك ، وظن أيضاً أن عقيدة أهل السنة هى نفى أنه لا جسم ولا جوهر ولا كذا ولا كذا ، وقد تبين لـكم الصواب أن عقيدة أهل السنة هى السكوت من أثبت بدّعوه ومن نفى بدّعوه فالذى يقول ليس بجسم ولا ولا هم الجهمية والمعتزلة ، والذين يثبتون ذلك هو هشام وأصحابه والسلف بريئون من الجميع من أثبت بدّعوه ومن نفى بدّعوه فالمويس لم يفهم كلام الأحياء ولا كلام الأموات وجعل النفى الذى هو مذهب الجهمية والمعتزلة مذهب السلف ، وظن أن من أنـكر النفى أنه يريد الإثبات كهشام وأتباعه ولـكن أعجب من ذلك استدلاله على ما فهم بكلام أحمد المتقدم ومن كلام أبى الوفا بن عقيل قال أنا أقطع أن أبا بكر وعمر ماتا ما عرفا الجوهر والعرض فإن رأيت أن طريقة أبى على الجبائى وأبى هاشم خير لك من طريقة أبى بكر وعمر فبئس ما رأيت انتهى ، وصاحبكم يدعى أن الرجل لا يكون من أهل السنة حتى

يتبع أبا على وأبا هاشم بنفى الجوهر والعرض ، فإن أنكر الكلام فيهما مثل أبى بكر وعمر فهو عنده على مذهب هشام الرافضى فظهر بما قررناه أن الخطيب الذى يتكلم بنفى العرض والجوهر أخذه من مذهب الجهمية والمعتزلة ، وأن ابن عيدان وصاحبه أنكرا ذلك مثل ما أنكره أحمد والعلماء كلهم على أهل البدع ، وقوله فى الكتاب ومذهب أهل السنة إثبات من غير تعطيل ولا تجسيم ولا كيف ولا أين إلى آخره وهذا من أبين الأدلة على أنه لم يفهم عقيدة الحنابلة ولم يميز بينها وبين عقيدة المبتدعة وذلك أن إنكار الأين من عقائد أهل الباطل وأهل السنة يثبتونه اتباعا لرسول الله صلى الله عليه وسلم كما فى الصحيح أنه قال للجارية أين الله ؟ فزعم هذا الرجل أن إثباتها مذهب المبتدعة وأن إنكارها مذهب أهل السنة كما قيل وعكسه بعكسه وأما الجسم فتقدم الكلام أن أهل الحق لا يثبتونه ولا ينفونه فغلط عليهم فى اثباته وأما التعطيل والكيف فصدق فى ذلك فجمع لكم أربعة ألفاظ نصفها حق من عقيدة الحق ونصفها باطل من عقيدة الباطل وساقها مساقا واحدا وزعم أنه مذهب أهل السنة فجهل وتناقض . وقوله أيضا ويثبتون ما أثبته الرسول صلى الله عليه وسلم من السمع والبصر والحياة والقدرة والإرادة والعلم والكلام إلى آخره ، وهذا أيضا من أعجب جهله وذلك أن هذا مذهب طائفة من المبتدعة يثبتون الصفات السبع وينفون ما عداها ولو كان فى كتاب الله ويؤولونه . وأما أهل السنة فكل ماجاء عن الله ورسوله أثبتوه وذلك صفات كثيرة لكن أظنه نقل هذا من كلام المبتدعة وهو لا يميز بين كلام أهل الحق من كلام أهل الباطل إذا تقرر هذا فقد ثبت خطؤه من وجوه : الأول أنه لم يفهم الرسالة التى بعثت إليه الثانى أنه بهت أهلها بإثبات الجسم وغيره الثالث أنه نسبهم إلى الرافضة ، ومعلوم أن الرافضة من أبعد الناس عن هذا المذهب وأهله الرابع أنه نسب من أنكر هذه الألفاظ إلى الرفض والتجسيم ، وقد تبين أن الإمام أحمد وجميع السلف ينكرونه فلازم كلامه أن مذهب الإمام أحمد وجميع السلف مجسمة على مذهب الرفض الخامس أنه نسب كلامهما إلى الفرية الجسمية فجعل عقيدة إمامه وأهل السنة فرية جسمية السادس أنه زعم أن البدع اشتعلت فى عصر الإمام أحمد ثم ماتت حتى أحياها أهل الوشم فمفهوم كلامه بل صريحه أن عصر الإمام أحمد وأمثاله عصر البدع والضلال وعصر ابن إسماعيل عصر السنة والحق السابع أنه نسبهما إلى

التعطيل ، والتعطيل انما هو جحد الصفات الثامن بهتهما أنهما نسبا من قبلهما من العلماء إلى التعطيل لكونهما أنكرا على خطيب من المبتدعة وهذا من البهتان الظاهر التاسع أنه نسبهما إلى وارثة هشام الرافضى العاشر أن المسلم أخو المسلم فإذا أخطأ أخوه نصحه سرا وبين له الصواب فإذا عاند أمكنه المجاهرة بالعداوة وهذا لمراسلاته صنف عليها ما علمت وأرسله إلى البلدان اعرفونى اعرفونى تراى جاى من الشام . وأما التناقض وكون كلامه يكذب بعضه بعضاً فمن وجوه منها أنه نسبهما تارة إلى التجسيم وتارة إلى التعطيل ، ومعلوم أن التعطيل ضد التجسيم ، وأهل هذا أعداء لأهل هذا والحق وسط بينهما ، ومنها أنه نسبهما إلى الجهمية وإلى المجسمة والجهمية والمجسمة بينهما من التناقض والتباعد كما بين السواد والبياض وأهل السنة وسط بينهما ومنها أنه يقول مذهب أهل الحق إثبات الصفات ثم يقول ولا أين ولا ولا وهذا تناقض ، ومنها أنه يقول ما أثبته الله ورسوله أثبت ثم يخص ذلك بالصفات السبع فهذا عين التناقض فعقيدته التى نسب لأهل السنة جمعها من نحو أربع فرق من المبتدعة يناقض بعضهم بعضا ويسب بعضهم بعضا ولو فهمت حقيقة هذه العقيدة لجعلتها ضحكة ، ومنها أنه يذكر عن أحمد أن الكلام فى هذه الأشياء مذموم إلا ما نقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وتابعيهم ثم ينقل لكم إثبات كلام المبتدعة ونفيهم ويتكلم بهذه العقيدة المعكوسة ويزعم أنها عقيدة أهل الحق هذا ما تيسر كتابته عجلا على السراج فى الليل والمأمول فيك أنك تنظر فيها بعين البصيرة وتتأمل هذا الأمر واعرض هذا عليه واطلب منه الجواب عن كل كلمة من هذا فإن أجابك بشىء فاكتبه وإن عرفته باطلا وإلا فراجعنى فيه أبينه لك ولا تستحقر هذا الأمر فإن حرصت عليه جدا عرفك عقيدة الإمام أحمد وأهل السنة وعقيدة المبتدعة وصارت هذه الواقعة أنفع لك من القراءة فى علم العقائد شهرين أو ثلاثة بسبب الخطأ والاختلاف مما يوضح الحق ويبين لحبائه . وأما النوع الثانى فهو الكلام فى الشرك والتوحيد وهو المصيبة العظمى والداهية الصما والكلام على هذا النوع والرد على هذا الجاهل يحتمل مجلدا وكلامه فيه كما قال ابن القيم إذا قرأ المؤمن تارة يبكى وتارة يضحك ولكن أنبهك منه على كلمتين : الأولى قوله إنهما نسبا من قبلهما إلى الخروج من الإسلام والشرك الأكبر أفيظن أن قوم موسى لما قالوا اجعل لنا إلها خرجوا من الإسلام أفيظن أن أصحاب رسول

الله صلى الله عليه وسلم لما قالوا اجعل لنا ذات أنواط كما لهم أن هذا مثل قول موسى اجعل لنا إلها أنهم خرجوا من الإسلام أيظن أن النبي صلى الله عليه وسلم لما سمعهم يحلفون بآبائهم فنهاهم وقال « من حلف بغير الله فقد أشرك » أنهم خرجوا من الإسلام إلى غير ذلك من الأدلة التي لا تحصر فلم يفرق بين الشرك المخرج عن الملة من غيره ولم يفرق بين الجاهل والمعاند. والكلمة الثانية قوله إن المشرك لا يقول لا إله إلا الله ، فياعجبا من رجل يدعى العلم وجاى من الشام بحمل كتب فلم تكلم؟ إذا إنه لا يعرف الإسلام من الكفر ولا يعرف الفرق بين أبي بكر الصديق وبين مسيلمة الكذاب ، أما علم أن مسيلمة يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، ويصلي ويصوم ، أما علم أن غلاة الرافضة الذين حرقهم عليّ يقولونها وكذلك الذين يقذفون عائشة ويكذبون القرآن ، وكذلك الذين يزعمون أن جبريل غلط وغير هؤلاء ممن أجمع أهل العلم على كفرهم منهم من ينتسب إلى الإسلام ، ومنهم من لا ينتسب إليه كاليهود وكلهم يقولون لا إله إلا الله وهذا بين عند من له أقل معرفة بالإسلام من أن يحتاج إلى تبيان ، وإذا كان المشركون لا يقولونها فما معنى باب حكم المرتد الذي ذكر الفقهاء من كل مذهب ؟ هل الذين ذكروهم الفقهاء وجعلوهم مرتدين لا يقولونها هذا الذي ذكر أهل العلم أنهم أكفر من اليهود والنصارى ، وقال بعضهم من شك في كفر اتباعه فهو كافر وذكرهم في الإقناع في باب حكم المرتد وإمامهم ابن عربي أيظنهم لا يقولون لا إله إلا الله لكن هو آت من الشام وهم يعبدون ابن عربي جاعلين على قبره صنما يعبدونه ولست أعني أهل الشام كلهم حاشا وكلا بل لا تزال طائفة على الحق ، وإن قلت واغتربت لكن العجب العجاب استدلاله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا الناس إلى قول لا إله إلا الله ، ولم يطالبهم بمعناها وكذلك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فتحوا بلاد الأعاجم وقنعوا منهم بلفظها إلى آخر كلامه فهل يقول هذا من يتصور ما يقول فنقول أولا هو الذي نقض كلامه وكذبه بقوله دعاهم إلى ترك عبادة الأوثان فإذا كان لم يقنع منهم إلا بترك عبادة الأوثان تبين أن النطق بها لا ينفع إلا بالعمل بمقتضاها وهو ترك الشرك وهذا هو المطلوب ونحن إذا نهينا عن الأوثان المجعولة على قبر الزبير وطلحة وغيرهما في الشام أو في غيره فإن قلتم ليس هذا من الأوثان وإن دعاء أهل القبور والاستغاثة بهم في الشدائد ليست من الشرك مع كون

المشركين الذين فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يخلصون لله فى الشدائد ولا يدعون أوثانهم فهذا كفر وبيننا وبينكم كلام العلماء من الأولين والآخرين الحنابلة وغيرهم وإن أقررتم أن ذلك كفر وشرك وتبين أن قول لا إله الا الله لا ينفع الا مع ترك الشرك ، وهذا هو المطلوب وهو الذى نقول وهو الذى أكثرتم النكير فيه وزعمتم أنه لا يخرج إلا من خراسان ، وهذا القول كما فى أمثال العامة لا وجه سميح ولا بنت رجال ، لا أقول صوابا إلا خطأ ظاهرا وسبا لدين الله ولا هو أيضا قول باطل يصدق بعضه بعضاً بل مع كونه خطأ فهو متناقض يكذب بعضه بعضاً لا يصدر إلا ممن هو أجهل الناس . وأما دعواه أن الصحابة لم يطلبوا من الأعاجم إلا مجرد هذه الكلمة ولم يعرفوهم بمعناها فهذا قول من لا يفرق بين دين المرسلين ودين المنافقين الذين هم فى الدرك الأسفل من النار فإن المؤمنين يقولونها والمنافقين يقولونها لكن المؤمنين يقولونها مع معرفة قلوبهم بمعناها ، وعمل جوارحهم بمقتضاها والمنافقون يقولونها من غير فهم لمعناها ولا عمل بمقتضاها فمن أعظم المصائب وأكبر الجهل من لا يعرف الفرق بين الصحابة والمنافقين لكن هذا لا يعرف النفاق ولا يظنه فى أهل زماننا بل يظنه فى زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وأما زمانه فصلح بعد ذلك واذا كان زمانه وبلدانه ينزهون عن البدع ومخرجها من خراسان فكيف بالشرك والنفاق ؟ وياويح هذا القائل ما أجرأه على الله وما أجهله بقدر الصحابة وعلمهم حيث ظن أنهم لا يعلمون الناس لا إله الا الله . أما علم هذا الجاهل أنهم يستدلون بها على مسائل الفقه فضلا عن مسائل الشرك ففى الصحيحين أن عمر رضى الله عنه لما أشكل عليه قتال مانعى الزكاة لأجل قوله صلى الله عليه وسلم « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا : لا إله إلا الله فإذا قالوها عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحقها » قال أبو بكر فإن الزكاة من حقها فإذا كان منع الزكاة من منع حق لا إله إلا الله فكيف بعبادة القبور والذبح للجن ودعاء الأولياء وغيرهم مما هو دين المشركين . وصرح الشيخ تقى الدين فى اقتضاء الصراط المستقيم بأن من ذبح للجن فالذبيحة حرام من جهتين من جهة أنها مما أهل لغير الله به ومن جهة أنها ذبيحة مرتد فهى كخنزير مات من غير ذكاة ويقول ولو سمى الله عند ذبحها إذا كانت نيته ذبحها للجن ورد على من قال إنه إن ذكر اسم الله حل الأكل منها مع التحريم ، وأما ما سألت عنه من قوله اللهم صل على محمد الى آخره فهذه المحامل التى ذكر غير بعيدة لو كان

الإنكار على الرجل الميت الذى صنفها والإنكار إنما هو على الخطباء والعامة الذين يسمعون فإن كان يزعم أن عامة أهل هذه القرى كل رجل منهم يفهم هذا التأويل فهذا مكابرة وإن كان يعرف أنهم ماقصدوا إلا المعانى التى لاتصلح إلا لله لم يمنع من الإنكار عليهم وتبين أنه شرك كون الذى قالها أولا قصد معنى صحيحا كما لو أن رجلا من أهل العلم كتب إلى عامة أن نكاح الأخوات حلال ففهموا منه ظاهره وجعلوا يتزوجون أخواتهم خاصتهم وعامتهم لم يمنع من الإنكار عليهم وتبين أن الله حرم نكاح الأخوات كون القائل أراد الأخوات فى الدين كما قال إبراهيم عليه السلام لسارة هى أختى وهذا واضح بحمد الله ولكن من انفتح له تحريف الكلام عن مواضعه انفتح له باب طويل عريض ، وأما النوع الثالث وهو الكلام على التقليد والاستدلال فكلامه فيه من أبطل الباطل وأظهر الكذب وهو أيضا كلام جاهل ينقض بعضه بعضا ونحن ما أردنا المعنى الذى ذكروا والكلام على هذا طويل ولكن أنا كتبت له كلاما فى هذا مع رسالة طويلة فاطلبه وراجعه وتأمله وتكلم لله فى سبيل الله بما يرضى الله ورسوله واحذر من فتنة (إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون) فمن نجا منها فقد نجا من شرك كثير ولا تغفل عن قوله فى خطبة شرح الاقناع من عثر على شىء مما طغى به القلم إلى آخره ، وقوله فى آخرها اعلم رحمك الله أن الترجيح إذا اختلفت بين الأصحاب إلى آخره وإن طمعت بالزيارة والمذاكرة من الرأس لعلك أيضا تحقق علم العقائد وتميز بين حقه من باطله وتعرف أيضا علوم الإيمان بالله وحده والكفر بالطاغوت فتراى أشير وألزم فإن رأيت أمر الله ورسوله فهو المطلوب وإلا فقد وهبك الله من الفهم ما تميز به بين الحق والباطل إن شاء الله تعالى ، وهذا الكتاب لا تكتمه عن صاحب الكتاب بل اعرضه عليه فإن تاب وأقر ورجع إلى الله فعسى ، وإن زعم أن له حجة ولو فى كلمة واحدة أو أن فى كلامى مجازفة فاطلب الدليل فإن أشكل شىء عليك فراجعنى فيه حتى تعرف كلامى وكلامه ، نسأل الله أن يهدينا وإياك والمسلمين إلى ما يحبه ويرضاه ، وأنت لا تلمنى على هذا الكلام ترانى استدعيته أولا بالملاطفة وصبرت منه على أشياء عظيمة ، والآن أشرفت منه على أمور ما ظننتها لا فى عقله ولا فى دينه : منها أنه كاتب إلى أهل الحساء يعاونهم على سب دين الله ورسوله ، ومنها رسالة كتبها إلى محمد بن عباد مطوع ثرمدا وكان قد أرسل إليه

كتابا فيه كلام حسن فى تقرير التوحيد وغيره وطلب من الشيخ رحمه الله أن يبين له إن كان فيه شىء يخفاه فكتب له رحمه الله :

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن عبد الوهاب إلى الأخ محمد بن عباد وفقه الله لما يحبه ويرضاه سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد وصلنا أوراق فى التوحيد فيها كلام من أحسن الكلام وفقك الله للصواب وتذكر فيه أن ودّك نبين لك إن كان فيها شىء غاترك فاعلم أرشدك الله أن فيها مسائل غلط الأولى: قولك أول واجب على كل ذكر وأنثى النظر فى الوجود ثم معرفة العقيدة ثم علم التوحيد، وهذا خطأ وهو من علم الكلام الذى أجمع السلف على ذمه وإنما الذى أتت به الرسل أول واجب هو التوحيد ليس النظر فى الوجود ولا معرفة العقيدة كما ذكرته أنت فى الأوراق أن كل نبى يقول لقومه: اعبدوا الله ما لكم من إله غيره. الثانية قولك فى الإيمان بالله وملائكته إلى آخره والإيمان هو التصديق الجازم بما أتى به الرسول فليس كذلك، وأبو طالب عمه جازم بصدقه والذين يعرفونه كما يعرفون أبناءهم، والذين يقولون الإيمان هو التصديق الجازم هم الجهمية، وقد اشتد نكير السلف عليهم فى هذه المسألة. الثالثة قولك إذا قيل للعامى ونحوه ما الدليل على أن الله ربك ثم ذكرت ما الدليل على اختصاص العبادة بالله وذكرت الدليل على توحيد الألوهية فاعلم أن الربوبية والألوهية يجتمعان ويفترقان كما فى قوله (أعوذ برب الناس ملك الناس إله الناس) وكما يقال رب العالمين وإله المرسلين وعند الإفراد يجتمعان كما فى قول القائل من ربك مثاله الفقير والمسكين نوعان فى قوله (إنما الصدقات للفقراء والمساكين) ونوع واحد فى قوله « افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد إلى فقرائهم » إذا ثبت هذا فقول الملكين للرجل فى القبر من ربك معناه من إلهك لأن الربوبية التى أقرّ بها المشركون مايمتحن أحد بها، وكذلك قوله (الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله) وقوله (قل أغير الله أبغى ربا) وقوله (إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا) فالربوبية فى هذا هى الألوهية ليست قسيمة لها كما تكون قسيمة لها عند الاقتران فينبغى التفطن لهذه المسألة. الرابعة قولك فى الدليل على إثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ودليله الكتاب والسنة ثم ذكر الآيات، كلام من لم يفهم المسألة لأن المنكر للنبوة أو الشاك فيها اذا استدللت عليه بالكتاب والسنة يقول كيف تستدل علىّ بشىء ما أتى به الا هو والصواب فى المسألة أن تستدل عليه

بالتحدى بأقصر سورة من القرآن أو شهادة علماء أهل الكتاب كما فى قوله (أولم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بنى إسرائيل) أو لكونهم يعرفونه قبل أن يخرج كما فى قوله تعالى (وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا) الآية إلى غير ذلك من الآيات التى تفيد الحصر وتقطع الخصم . الخامسة قولك اعلم يا أخى لاعلمت مكروها فاعلم أن هذه كلمة تضاد التوحيد وذلك أن التوحيد لايعرفه إلا من عرف الجاهلية والجاهلية هى المكروه فمن لم يعلم المكروه لم يعلم الحق فمعنى هذه الكلمة اعلم لاعلمت خيراً ، ومن لم يعلم المكروه ليجتنبه لم يعلم المحبوب . .

وبالجملة فهى كلمة عامية جاهلية ، ولا ينبغى لأهل العلم أن يقتدوا بالجهال . السادسة جزمك بأن النبى صلى الله عليه وسلم قال « اطلبوا العلم ولو من الصين » فلا ينبغى أن يجزم الإنسان على رسول الله صلى الله عليه وسلم بما لايعلم صحته ، وهو من القول بلا علم ، فلو أنك قلت وروى أو ذكر فلان أو ذكر فى الكتاب الفلانى لكان هذا مناسبا . وأما الجزم بالأحاديث التى لم تصح فلا يجوز فتفطن لهذه المسألة فما أكثر من يقع فيها . السابعة قولك فى سؤال الملكين : والكعبة قبلتى وكذا وكذا ، فالذى علمناه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهما يسألان عن ثلاث : عن التوحيد وعن الدين وعن محمد صلى الله عليه وسلم . فإن كان فى هذا عندكم رابعة فأفيدونا ، ولا يجوز الزيادة على ماقال الله ورسوله . الثامنة قولك فى الإيمان بالقدر إنه الإيمان بأن لايكون صغير ولا كبير إلا بمشيئة الله وإرادته ، وأن يفعل المأمورات ويترك المنهيات وهذا غلط لأن الله سبحانه له الخلق والأمر والمشيئة والإرادة وله الشرع والدين . إذا ثبت هذا ففعل المأمورات وترك المنهيات هو الإيمان بالأمر وهو الإيمان بالشرع والدين ، ولا يذكر فى حد الإيمان بالقدر . التاسعة قولك الآيات التى فى الاحتجاج بالقدر كقوله تعالى (وقال الذين أشركوا لو شاء الله ماعبدنا من دونه من شئ) الآية ثم قلت : فإياك والاقتداء بالمشركين فى الاحتجاج على الله وحسبك من القدر الإيمان به . فالذى ذكرنا فى تفسير هذه الآيات غير المعنى الذى أردت فراجعه وتأمله بقلبك فإن اتضح لك وإلا فراجعنى فيه لأنه كلام طويل . العاشرة وأخرناها لشدة الحاجة إليها قولك : إن المشركين الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أقروا بتوحيد الربوبية ثم أوردت الأدلة الواضحة على ذلك وإنما قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم

عند توحيد الألوهية ، ولم يدخل الرجل فى الإسلام بتوحيد الربوبية إلا إذا انضم إليه توحيد الألوهية فهذا كلام من أحسن الكلام وأبينه تفصيلا ، ولكن العام لما وجهنا إبراهيم كتبوا له علماء سدير مكاتبة وبعثها لنا وهى عندنا الآن ولم يذكروا فيها إلا توحيد الربوبية ، فإذا كنت تعرف هذا فلأى شىء ماأخبرت إبراهيم ونصحته إن هؤلاء ماعرفوا التوحيد ، وإنهم منكرون دين الإسلام ، وكذلك أحمد بن يحيى راعى رغبه عداوته لتوحيد الألوهية والاستهزاء بأهل العارض لما عرفوه ، وإن كان يقربه أحياناً عداوة ظاهرة لايمكن أنها لاتبلغك ، وكذلك ابن إسماعيل إنه نقض ماأبرمت فى التوحيد وتعرف أن عنده الكتاب الذى صنفه رجل من أهل البصرة كله من أوله إلى آخره فى إنكار توحيد الألوهية وأتاكم به ولد محمد بن سليمان راعى وشيئة وقرأه عندكم وجادل به جماعتنا ، وهذا الكتاب مشهور عند المويس وأتباعه مثل ابن سحيم وابن عبيد يحتجون به علينا ويدعون الناس إليه ويقولون هذا كلام العلماء . فإذا كنت تعرف أن النبى صلى الله عليه وسلم ما قاتل الناس إلا عند توحيد الألوهية وتعلم أن هؤلاء قاموا وقعدوا ودخلوا وخرجوا وجاهدوا ليلا ونهارا فى صد الناس عن التوحيد يقرءون عليهم مصنفات أهل الشرك لأى شىء لم تظهر عداوتهم وأنهم كفار مرتدون ، فإن كان باين لك أن أحدا من العلماء لايكفر من أنكر التوحيد أو أنه يشك فى كفره فاذكره لنا وأفدنا ، وإن كنت تزعم أن هؤلاء فرحوا بهذا الدين وأحبوه ودعوا الناس إليه ، ولما أتاهم تصنيف أهل البصرة فى إنكار التوحيد كفروه وكفروا من عمل به وكذلك لما أتاهم كتاب بن عفالق الذى أرسله المويس لابن إسماعيل وقدم به عليكم العام وقرأه على جماعتكم يزعم فيه أن التوحيد دين ابن تيمية وأنه لما أفتى به كفره العلماء وقامت عليه القيامة . إن كنت تقول ماجرى من هذا شىء فهذا مكابرة ، وإن كنت تعرف أن هذا هو الكفر الصراح والردة الواضحة ، ولكن تقول أخشى الناس فالله أحق أن تخشاه . ولاتظن أن كلامى هذا معاتبة وكلام عليك ، فوالله الذى لاإله إلاهو إنه نصيحة لأن كثيرا ممن واجهناه وقرأ علينا يتعلم هذا ويعرفه بلسانه . فإذا وقعت المسألة لم يعرفها بل إذا قال له بعض المشركين نحن نعرف أن رسول الله لايملك لنفسه نفعا ولا ضرا وأن النافع الضار هو الله يقول جزاك الله خيراً ويظن أن هذا هو التوحيد ونحن نعلمه أكثر من سنة

أن هذا هو توحيد الربوبية الذى أقر به المشركون فالله الله فى التفطن لهذه المسألة فإنها الفارقة بين الكفر والإسلام ، ولو أن رجلا قال : شروط الصلاة تسعة ثم سردها كلها فإذا رأى رجلا يصلى عريانا بلا حاجة أو على غير وضوء أو لغير القبلة لم يدر أن صلاته فاسدة لم يكن قد عرف الشروط ولو سردها بلسانه ، ولو قال الأركان أربعة عشر ثم سردها كلها ثم رأى من لايقرأ الفاتحة ومن لايركع ومن لايجلس للتشهد ولم يفطن أن صلاته باطلة لم يكن قد عرف الأركان ولو سردها فالله الله فى التفطن لهذه المسألة ، ولكن أشير عليك بعزيمة أنك تواصلنا ونتذاكر معك ، وكذلك أيضا من جهة البدع قيل لى إنك تقول فيها شىء مايقوله الذى هو عارف مسئلة البدع ، وصلى الله على محمد وآله وسلم ، ومنها رسالة أرسلها إلى محمد بن عيد من مطاوعة ثرمدا قال فيها :

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن عبد الوهاب إلى محمد بن عيد وفقنا الله وإياه لما يحبه ويرضاه .

وبعد ، وصل الكراس وتذكرون أن الحق إن بان لكم اتبعتم وفيه كلام غير هذا سر الخاطر من طرفك خاصة بسبب أن لك عقلا . والثانية أن لك عرضا تشح به . والثالثة أن الظن فيك إن بان لك الحق أنك ماتبيعه بالزهايد ، فأما تقريركم أول الكلام أن الإسلام خمس كأعضاء الوضوء وأنكم تعرفون كلام الله وكلام رسوله وإجماع العلماء أن له نواقض كنواقض الوضوء الثمانية : منها اعتقاد القلب وإن لم يعمل أو يتكلم يعنى إذا اعتقد خلاف ماعلمه الرسول أمته بعد ماتبين له ، ومنها كلام باللسان وإن لم يعمل ولم يعتقد ، ومنها عمل بالجوارح وإن لم يعتقد ويتكلم ولكن من أظهر الإسلام وظننا أنه أتى بناقض لانكفره بالظن لأن اليقين لايعرفه الظن وكذلك لانكفر من لانعرف منه الكفر بسبب ناقض ذكر عنه ونحن لم نتحققه ، وما قررتم هو الصواب الذى يجب على كل مسلم اعتقاده والتزامه ، ولكن قبل الكلام اعلم أنى عرفت بأربع مسائل : الأولى بيان التوحيد مع أنه لم يطرق آذان أكثر الناس . الثانية بيان الشرك ولو كان فى كلام من ينتسب إلى العلم أو عبادة من دعوة غير الله أو قصده بشىء من العبادة ، ولو زعم أنهم يريدون أنهم شفعاء عند الله مع أن أكثر الناس يظن أن هذا من أفضل القربات كما ذكرتم عن العلماء أنهم

يذكرون أنه قد وقع فى زمانهم . الثالثة تكفير من بان له أن التوحيد هو دين الله ورسوله ثم أبغضه ونفر الناس عنه وجاهد من صدق الرسول فيه ، ومن عرف الشرك وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث بإنكاره وأقر بذلك ليلا ونهارا ثم مدحه وحسنه للناس وزعم أن أهله لايخطئون لأنهم السواد الأعظم . وأما ماذكر الأعداء عنى أنى أكفر بالظن وبالموالاة أو أكفر الجاهل الذى لم تقم عليه الحجة فهذا بهتان عظيم يريدون به تنفير الناس عن دين الله ورسوله . الرابعة الأمر بقتال هؤلاء خاصة حتى لاتكون فتنة ويكون الدين كله لله فلما اشتهر عنى هؤلاء الأربع صدقنى من يدعى أنه من العلماء فى جميع البلدان فى التوحيد وفى نفى الشرك وردوا على التكفير والقتال . إذا تحققت ما ذكرت لك انبنى الجواب على ماذكرتم فى أول الأوراق من إقراركم بمعرفة نواقض الإسلام بإجماع العلماء بشرط أنكم لاتكفرون بالظن ولا من لاتعرفون فنقول : من المعلوم عند الخاص والعام ماعليه البوادى أوأكثرهم فإن كابر معاند لم يقدر على أن يقول إن عنزة وآل ظفير وأمثالهم كلهم مشاهيرهم والأتباع إنهم مقرون بالبعث ولايشكون فيه ولايقدر أن يقول إنهم يقولون إن كتاب الله عند الحضر وأنهم عانقوه ومتبعون ماأحدث آباؤهم مما يسمونه الحق ويفضلونه على شريعة الله فإن كان للوضوء ثمانية نواقض ففيهم من نواقض الإسلام أكثر من المائة ناقض فلما بينت ماصرحت به آيات التنزيل وعلمه الرسول أمته وأجمع عليه العلماء من أنكر البعث أوشك فيه أوسب الشرع أوسب الأذان إذا سمعه أو فضل فراضة الطاغوت على حكم الله أوسب من زعم أن المرأة ترث أو أن الإنسان لايؤخذ فى القتل بجريرة أبيه وابنه إنه كافر مرتد قال علماؤكم معلوم أن هذا حال البوادى لاننكره ولكن يقولون لاإله إلا الله وهى تحميهم من الكفر ولو فعلوا كل ذلك، ومعلوم أن هؤلاء أولى وأظهر من يدخل فى تقريركم فلما أظهرت تصديق الرسول فيما جاء به سبونى غاية المسبة وزعموا أنى أكفر أهل الإسلام وأستحل أموالهم وصرحوا أنه لايوجد فى جزيرتنا رجل واحد كافر، وأن البوادى يفعلون من النواقض مع علمهم أن دين الرسول عند الحضر وجحدوا كفرهم وأنتم تذكرون أن من رد شيئاً مما جاء به الرسول بعد معرفته أنه كافر . فإذا كان المويس وابن إسماعيل والعديلى وابن عباد وجميع أتباعهم كلهم على هذا فقد صرحتم غاية التصريح أنهم كفار مرتدون وإن

ادعى مدع أنهم يكفرونهم أو ادعى أن جميع البادية لم نتحقق من أحد منهم من النواقض شيئا أو ادعى أنهم لايعرفون أن دين الرسول خلاف ماهم عليه فهذا كمن ادعى أن ابن سليمان وسويد وابن دواس وأمثالهم عباد زهاد فقراء ماشاخوا فى بلد قط ومن ادعى هذا فأسقط الكلام معه . ونقول ثانياً إذا كانوا أكثر من عشرين سنة يقرون ليلا ونهارا سراً وجهاراً أن التوحيد الذى أظهر هـذا الرجل هو دين الله ورسوله لـكن الناس لا يطيعوننا وأن الذى أنكره هو الشرك وهو صادق فى إنكاره ، ولـكن لو يسلم من التكفير والقتال كان على الحق . هذا كلامهم على رؤوس الأشهاد ثم مع هذا يعادون التوحيد ومن مال إليه العداوة التى تعرف ولولم يكفر ويقاتل وينصرون الشرك نصر الذى تعرف مع إقرارهم بأنه مشرك مثل كون المويس وخواص أصحابه ركبوا وتركوا أهليهم وأموالهم إلى أهل قبة الـكواز وقبة رجب سنة يقولون إنه قد خرج من ينكر قببكم وما أنتم عليـه . وقد أحل دماءهم وأموالهم وكذلك ابن إسماعيل وابن ربيعة والمويس أيضاً بعدهم بسنة رحلوا إلى أهل قبة أبى طالب وأغروهم بمن صدق النبى صلى الله عليـه وسلم وأحلوا دماءنا وأموالنا حتى جرى على الناس ماتعرف مع أن كثيراً منهم لم يكفر ولم يقاتل وقررتم أن من خالف الرسول فى عشر معشار هـذا ولو بكلمة أو عقيدة قلب أو فعل فهو كافر فكيف بمن جاهد بنفسه وماله وأهله ومن أطاعه فى عداوة التوحيد وتقرير الشرك مع إقراره بمعرفة ماجاء به الرسول فإن لم تكفروا هؤلاء ومن اتبعهم ممن عرف أن التوحيد حق وأن ضده الشرك فأنتم كمن أفتى بانتقاض وضوء من بزغ منه مثل رأس الإبرة من البول وزعم أن من يتغوط ليلا ونهارا وأفتى للناس أن ذلك لاينقض وتبعوه على ذلك حتى يموت أنه لاينقض وضوءه وتذكرون أنى أكفرهم بالموالاة وحاشا وكلا ، ولـكن أقطع أن كفر من عبد قبة أبى طالب لايبلغ عشر كفر المويس وأمثاله كما قال تعالى (لاينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم) الآيتين ، وأنا أمثل لك مثالا لعل الله أن ينفعك به لعلمى أن الفتنة كبيرة وأنهم يحتجون بما تعرفون : منها ماذكروا فى الأوراق أنهم لم يقصدوا بحربكم ردّ التوحيد وإحياء الشرك وإنما قصدوا دفع الشر عن أنفسهم خوف البغى عليهم . فنقول لو نقدر أن السلطان ظلم أهل المغرب ظلما عظيما فى أموالهم وبلادهم ومع هذا خافوا استيلاءهم

على بلادهم ظلما وعدوانا ورأوا أنهم لا يدفعونهم إلا باستنجاد الفرنج وعلموا أن الفرنج لايوافقونهم إلا أن يقولوا نحن معكم على دينكم ودنياكم ودينكم هو الحق ودين السلطان هو الباطل وتظاهروا بذلك ليلا ونهارا مع أنهم لم يدخلوا فى دين الفرنج ولم يتركوا الإسلام بالفعل، لكن لما تظاهروا بما ذكرنا ومرادهم دفع الظلم عنهم هل يشك أحد أنهم مرتدون فى أكبر مايكون من الكفر والردة إذا صرحوا أن دين السلطان هو الباطل مع علمهم أنه حق وصرحوا أن دين الفرنج هو الصواب وأنه لايتصور أنهم لايتيهون لأنهم أكثر من المسلمين ولأن الله أعطاهم من الدنيا شيئا كثيرا ولأنهم أهل الزهد والرهبانية فتأمل هذا تأملا جيداً وتأمل ماصدرتم به الأوراق من موافقتهم به الإسلام ومعرفتكم بالناقض إذا تحققتموه وأنه يكون بكلمة ولولم تعتقد ويكون بفعل ولو لم يتكلم ويكون فى القلب من الحب والبغض ولو لم يتكلم ولم يعمل تبين لك الأمر اللهم إلا إن كنتم ذاكرين فى أول الأوراق وأنتم تعتقدون خلافه فذاك أمر آخر . وأما ماذكرتم من كلام العلماء فعلى الرأس والعين ، ولكن عنه جوابان : أحدهما أنكم لولم تنقلوا كلام ابن عقيل فى الفنون وكلام الشيخ فى اقتضاء الصراط المستقيم وكلام ابن القيم لقلت لعلهم مخطئون قائلون بمبلغ علمهم هذا كله عندنا فى هذه الكتب كما هو عندكم وابن عقيل ذكر أنهم كفار بهذا الفعل أعنى دعوة صاحب التربة ودسّ الرقاع وأنتم تعلمون ذلك ، وأصرح منه كلام الشيخ فى قوله ومن ذلك مايفعله الجاهلون بمكة ياسبحان الله كيف تركتم صريحه فى العبادة بعينها إن هذا من فعله كان مرتدا ، وإن المسلم إذا ذبح للزهرة والجن ولغير الله فهو مما أهل لغير الله به وهى أيضاً ذبيحة مرتد لكن يجتمع فى الذبيحة مانعان فصرح أن هذا الرجل إذا ذبح للجن مرة واحدة صار كافراً مرتدا وجميع مايذبحه للأكل بعد ذلك لايحل لأنه ذبيحة مرتد ، وصرح فى مواضع من الكتاب كثيرة بكفر من فعل شيئا من الذبح والدعوة حتى ذكر ثابت بن قرة وأبا معشر البلخى وذكر أنهم كفار مرتدون وأمثالهم مع كونهم من أهل التصانيف ، وأصرح من الجميع كلام ابن القيم فى كثير من كتبه فلما نقلتم بعض العبارة وتركتم بعضها علمت أنه ليس بجهالة ، ولكن الشرهة عليك لو أنك فاعل كما فعل بعض أهل الحسا لما صنف بعضهم كتابا فى الرد علينا يريد أن يبعثه تكلم رجل منهم وقال أحب ماإلى ابن عبد الوهاب وصول هذا

إليه أنتم ماتستحيون فتركوا الرسالة . الجواب الثانى أنه على سبيل التنزل أن الشرك لايكفر من فعله وأنه شرك أصغر أو أنه معصية غير الكفر مع أن جميع ماذكرتم لا يدل على ذلك فإن أردت بينت لك فى غير هذه المرة معانى هذه العبارات من الأدلة من كلام كل رجل كما بينته لك من كلام الشيخ . لكن أنتم مسلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أنكره ونهى عنه، فلو أن رجلا أقر بذلك مع كونه لم يفعله لكنه زينه للناس ورغبهم فيه أليس هذا كافرا مرتدا ولو قدرنا أن الأمر الذى كرهه وصد الناس عنه ما أمر به الرسول إلا أمر استحباب كركعتى الفجر أو أن الذى نهى عنه مانهى عنه إلا نهى تنزيه كأكل بالشمال والنوم للجنب من غير وضوء ولوأن رجلا عرف نهى الرسول وزعم لأجل غرض من الأغراض أنّ الأكل بالشمال هو الأحب المرضى عند الله وأن الأكل باليمين يضر عند الله وأن الوضوء للجنب إذا أراد النوم يضر عند الله وأن النوم من غير وضوء أحب إلى الله مع علمه بما قال الرسول صلى الله عليه وسلم ، أليس هذا كلام كافر مرتد فكيف بمن سب دين الله الذى بعث به جميع الأنبياء مع إقراره ومعرفته به ومدح دين المشركين الذى بعث الله الأنبياء بإنكاره ودعا الناس إليه مع معرفته ، ولكن أرى لك أن تقوم فى السحر وتدعو بقلب حاضر بالأدعية المأثورة وتطرح نفسك بين يدى الله أن يهديك لدينه ودين نبيه عليه السلام وصلى الله على محمد وآله وسلم . ومنها رسالة أرسلها جوابا لعبد الله بن سحيم مطوع من أهل المجمعة حين سأله عن الكتاب الذى أرسله عدوالله سليمان بن محمد بن سحيم مطوع أهل الرياض وكانت رسالة أرسلها إلى أهل البصرة والحسا يشنع فيها على الشيخ بالكذب والبهتان والزور والباطل الذى ماجرى وما كان ، وقصده بذلك الاستنصار بكلامهم على إبطال ماأظهره الشيخ من بيان التوحيد وإخلاص الدعوة لله وهدم أركان الشرك وإبطال مناهج الضلال والإفك ورام هذا أن يرتقى إلى ذلك بأسباب ويستدعى من كل معاند مكابر جواب ، وإلا فالله تعالى بفضله قد أزال اللبس والحجاب وكشف عن القلوب المظلمات الرين والاحتجاب .

ونص رسالة المجاب: من الفقير إلى الله تعالى سليمان بن محمد بن سحيم إلى من يصل إليه من علماء المسلمين وخدام شريعة سيد ولد آدم من الأولين والآخرين سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أما بعد فالذى يحيط به علمكم أنه قد خرج فى قطرنا رجل

مبتدع جاهل مضل ضال من بضاعة العلم والتقوى عاطل جرت منه أمور فضيحة وأحوال شنيعة : منها شيء شاع وذاع وملأ الأسماع وشيء لم يتعد أماكننا بعد فأحببنا نشر ذلك لعلماء المسلمين وورثة سيد المرسلين ليصيدوا هذا المبتدع صيد أحرار الصقور لصغار بغاث الطيور ويردوا بدعه وضلالاته وجهله وهفواته. والقصد من ذلك القيام لله ورسوله ونصرة الدين جعلنا الله وإياكم من الذين يتعاونون على البر والتقوى فمن بدعه وضلالته أنه عمد إلى شهداء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الكائنين فى الجبيلة زيد بن الخطاب وأصحابه وهدم قبورهم وبعثرها لأجل أنهم فى حجارة ولا يقدرون أن يحفروا لهم فطووا على أضرحتهم قدر ذراع ليمنعوا الرائحة والسباع والدافن لهم خالد وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمد أيضا إلى مسجد فى ذلك وهدمه وليس داع شرعى فى ذلك إلا اتباع الهوى، ومنها أنه أحرق دلائل الخيرات لأجل قول صاحبها سيدنا ومولانا وأحرق أيضا روض الرياحين وقال هذا روض الشياطين ، ومنها أنه صح عنه أنه يقول لو أقدر على حجرة الرسول هدمتها ولو أقدر على البيت الشريف أخذت ميزابه وجعلت بدله ميزاب خشب أما سمع وجه قوله تعالى (ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب) ومنها أنه ثبت أنه يقول الناس من ستمائة سنة ليسوا على شيء وتصديق ذلك أنه بعث إلى كتابا يقول فيه أقروا أنكم قبلى جهال ضلال ومن أعظمها أن من لم يوافقه فى كل ما قال ويشهد أن ذلك حق يقطع بكفره ومن وافقه وصدقه فى كل ما قال قال أنت موحد ولو كان فاسقا محضا أو مكاسا وبهذا ظهر أنه يدعو إلى توحيد نفسه لا إلى توحيد الله ، ومنها أنه بعث إلى بلداننا كتابا مع بعض دعاته بخط يده وحلف فيه بالله أن علمه هذا لم يعرفه مشايخه الذين ينتسب إلى أخذ العلم منهم فى زعمه وإلا فليس له مشايخ ولا عرفه أبوه ولا أهل العارض فياعجبا إذا لم يتعلمه من المشايخ ولا عرفه أبوه ولا أهل قطره فمن أين علمه ، وعن من أخذه هل أوحى إليه أو رآه مناما أو أعلمه به الشيطان وحلفه هذا أشرف عليه جميع أهل العارض، ومنها أنه يقطع بتكفير ابن الفارض وابن عربى ، ومنها أنه قاطع بكفر سادة عندنا من آل الرسول لأجل أنهم يأخذون النذور ومن لم يشهد بكفرهم فهو كافر عنده ، ومنها أنه ثبت عنه لما قيل له اختلاف الأئمة رحمة قال اختلافهم نقمة، ومنها أنه يقطع بفساد الوقف ويكذب المروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه أنهم وقفوا ، ومنها إبطال الجعالة على الحج ، ومنها أنه ترك تمجيد

السلطان فى الخطبة وقال السلطان فاسق لايجوز تمجيده ، ومنها أنه قال الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة وليلتها هى بدعة وضلالة تهوى بصاحبها إلى النار، ومنها أنه يقول الذى يأخذه القضاة قديما وحديثا إذا قضوا بالحق بين الخصمين ولم يكن بيت مال لهم ولا نفقة إن ذلك رشوة ، هذا القول بخلاف المنصوص عن جميع الأمة أن الرشوة ماأخذ لإبطال حق أو لاحقاق باطل ، وأن للقاضى أن يقول للخصمين لاأقضى بينكما إلا بجعل، ومنها أنه يقطع بكفر الذى يذبح الذبيحة ويسمى عليها ويجعلها لله تعالى ويدخل مع ذلك دفع شر الجن ويقول ذلك كفر واللحم حرام،فالذى ذكره العلماء فى ذلك أنه منهى عنه فقط وذكره فى حاشية المنتهى، فبينوا رحمكم الله ذلك للعوام المساكين الذين لبس عليهم وأبطل عليهم الاعتقاد الصحيح، فإن رأيتم أن ذلك صواب فبينوه لنا ونرجع إلى قوله ، وإن رأيتموه خطأ فاردعوه وازجروه وبينوا للناس خطأه فقد افتتن بسببه ناس كثير من أهل قطرنا فتداركوا رحمكم الله الأمر قبل أن يرسخ فى النفوس فإن الجواب متعين على من وقف عليه ممن له معرفة بحكم الله ورسوله لأن ذلك إظهار للحق عند خفائه وإدحاض للباطل انتهى ماذكره صاحب الرسالة. وقد يسر الله للشيخ الاتصال إليها والوقوف عليها وألهمه الجواب عنها والتنصل عن كثير منها فبين الحق الذى قاله وبين الكذب والزور الذى رماه به أهل الجهالة وهذا نص الرسالة التى كتبها :

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن عبد الوهاب إلى عبد الله بن سحيم وبعد ألفينا مكتوبك وما ذكرت فيه من ذكرك وما بلغك ولا يخفاك أن المسائل التى ذكرت أنها بلغتكم فى كتاب من العارض جملتها أربعة وعشرون مسألة بعضها حق وبعضها بهتان وكذب،وقبل الكلام فيها لابد من تقديم أصل وذلك أن أهل العلم إذا اختلفوا والجهال إذا تنازعوا ومثلى ومثلكم إذا اختلفنا فى مسألة هل الواجب اتباع أمر الله ورسوله وأهل العلم أو الواجب اتباع عادة الزمان التى أدركنا الناس عليها . ولو خالفت ماذكره العلماء فى جميع كتبهم ، وإنما ذكرت هذا ولو كان واضحاً لأن بعض المسائل التى ذكرت أناقلتها لكن هى موافقة لما ذكره العلماء فى كتبهم الحنابلة وغيرهم، ولكن هى مخالفة لعادة الناس التى نشئوا عليها فأنكرها على لأجل مخالفة العادة وإلا فقدرأوا تلك فى كتبهم

عيانا وأقروا بها وشهدوا أن كلامى هو الحق لـكن أصابهم ماأصاب الذين قال الله فيهم (فلما جاءهم ماعرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين الآية) وهذا هو مانحن فيه بعينه فإن الذى راسلـكم هو عدو الله ابن سحيم ، وقد بينت ذلك له فأقر به وعندنا كتب يده فى رسائل متعددة أن هـذا هو الحق وأقام على ذلك سنين لـكن أنكر آخر الأمر لأسباب أعظمها البغى (أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده) وذلك أن العامة قالوا له ولأمثاله إذا كان هـذا هو الحق فلأى شىء لم تنهونا عن عبادة شمسان وأمثاله فتعذروا أنكم ماسألتمونا ، قالوا : وإن لم نسألـكم كيف نشرك بالله عندكم ولا تنصحونا وظنوا أن يأتيهم فى هذا غضاضة وأن فيه شرفا لغيره وأيضا لما أنكرنا عليهم أكل السحت والرشا إلى غير ذلك من الأمور فقام يدخل عندكم وعند غيركم بالبهتان والله ناصر دينه ولو كره المشركون ، وأنت لاتستهون مخالفة العادة على العلماء فضلا عن العوام وأنا أضرب لك مثلا بمسألة واحدة وهى مسئلة الاستجمار ثلاثا فصاعدا من غيرعظم ولا روث ، وهو كاف مع وجود الماء عند الأئمة الأربعة وغيرهم، وهو إجماع الأمة لاخلاف فى ذلك ، ومع هذا لو يفعله أحد لصار هذا عند الناس أمرا عظيما ولنهوا عن الصلاة خلفه وبدّعوه مع إقرارهم بذلك ولـكن لأجل العادة إذا تبين هـذا فالمسائل التى شنع بها منها ماهو من البهتان الظاهر وهى قوله إنى مبطل كتب المذاهب وقوله إنى أقول إن الناس من ستمائة سنة ليسوا على شىء وقوله إنى أدعى الاجتهاد وقوله إنى خارج عن التقليد وقوله إنى أقول إن اختلاف العلماء نقمة وقوله إنى أكفر من توسل بالصالحين وقوله إنى أكفر البوصيرى لقوله ياأكرم الخلق وقوله إنى أقول لو أقدر على هدم حجرة الرسول لهدمتها ولو أقدر على الـكعبة لأخذت ميزابها وجعلت لها ميزابا من خشب وقوله إنى أنكر زيارة قبر النبى صلى الله عليه وسلم وقوله إنى أنـكر زيارة قبر الوالدين وغيرهم وإنى أكفر من يحلف بغير الله فهذه اثنتا عشرة مسألة جوابى فيها أن أقول (سبحانك هذا بهتان عظيم) ، ولـكن قبله من بهت النبى محمدا صلى الله عليه وسلم أنه يسب عيسى ابن مريم ويسب الصالحين (تشابهت قلوبهم) وبهتوه بأنه يزعم أن الملائـكة وعيسى وعزيرا فى النار فأنزل الله فى ذلك (إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون الآية) وأما المسائل الأخر وهى أنى أقول

لايتم إسلام الإنسان حتى يعرف معنى لا إله إلا الله، ومنها أنى أعرف من يأتينى بمعناها، ومنها أنى أقول الإله هو الذى فيه السر ومنه تكفير الناذر إذا أراد به التقرب لغير الله وأخذ النذر كذلك، ومنها أن الذبح للجن كفر والذبيحة حرام ولو سمى الله عليها إذا ذبحها للجن فهذه خمس مسائل كلها حق وأنا قائلها . ونبدأ بالكلام عليها لأنها أمّ المسائل وقبل ذلك أذكر معنى لا إله إلا الله فنقول : التوحيد نوعان توحيد الربوبية وهو أن الله سبحانه متفرد بالخلق والتدبير عن الملائكة والأنبياء وغيرهم ، وهذا حق لابد منه لكن لايدخل الرجل فى الإسلام لأن أكثر الناس مقرون به قال الله تعالى (قل من يرزقكم من السماء والأرض أم من يملك السمع والأبصار إلى قوله أفلا تتقون) وأن الذى يدخل الرجل فى الإسلام هو توحيد الألوهية ، وهو أن لايعبد إلا الله لاملكا مقربا ولا نبيا مرسلا ، وذلك أن النبى صلى الله عليه وسلم بعث وأهل الجاهلية يعبدون أشياء مع الله ، فمنهم من يدعو الأصنام ، ومنهم من يدعو عيسى ، ومنهم من يدعو الملائكة فنهاهم عن هذا وأخبرهم أن الله أرسله ليوحد ولا يدعى أحد من دونه لا الملائكة ولا الأنبياء ، فمن تبعه ووحد الله فهو الذى شهد أن لا إله إلا الله ، ومن عصاه ودعا عيسى والملائكة واستنصرهم والتجأ إليهم فهو الذى جحد لا إله إلا الله مع إقراره أنه لايخلق ولا يرزق إلا الله، وهذه جملة لها بسط طويل، لكن الحاصل أن هذا مجمع عليه بين العلماء ، ولما جرى فى هذه الأمة ماأخبر به نبيها صلى الله عليه وسلم حيث قال « لتتبعنّ سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه » وكان من قبلهم كما ذكر الله عنهم (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله) فصار ناس من الضالين يدعون أناسا من الصالحين فى الشدة والرخاء مثل عبد القادر الجيلانى وأحمد البدوى وعدىّ بن مسافر وأمثالهم من أهل العبادة والصلاح فأنكر عليهم أهل العلم غاية الإنكار وزجروهم عن ذلك وحذروهم غاية التحذير والإنذار من جميع المذاهب الأربعة فى سائر الأقطار والأمصار فلم يحصل منهم انزجار بل استمروا على ذلك غاية الاستمرار . وأما الصالحون الذين يكرهون ذلك فحاشاهم من ذلك وبين أهل العلم أن أمثال هذا هو الشرك الأكبر وأنت ذكرت فى كتابك ماتقول ياأخى مالنا والله دليل إلا من كلام أهل العلم وأنا أقول كلام أهل العلم رضى وأنا أنقله لك وأنبهك عليه فتفكر فيه وقم لله ساعة ناظرا ومناظر مع نفسك ومع غيرك فإن عرفت أن الصواب معى وأن دين الإسلام اليوم من أغرب الأشياء

أعنى دين الإسلام الصرف الذى لايمزج بالشرك والبدع . وأما الإسلام الذى ضده الكفر فلا شك أن أمة محمد صلى الله عليه وسلم آخر الأمم وعليها تقوم الساعة، فإن فهمت أن كلامى هو الحق فاعمل لنفسك واعلم أن الأمر عظيم والخطب جسيم ، فإن أشكل عليك شئ فسفرك إلى المغرب فى طلبه غير كثير واعتبر لنفسك حيث كتبت لى فيما مضى أن هذا هو الحق الذى لاشك فيه لكن لانقدر على تغيير ، وتكلمت بكلام حسن فلما غربلك الله بولد المويس ولبس عليك وكتب لأهل الوشم يستهزئ بالتوحيد ويزعم أنه بدعة وأنه خرج من خراسان ويسب دين الله ورسوله لم تفطن لجهله وعظم ذنبه وظننت أن كلامى فيه من باب الانتصار للنفس وكلامى هذا لايغيرك فإن مرادى أن تفهم أن الخطب جسيم وأن أكابر أهل العلم يتعلمون هذا ويغلطون فيه فضلا عنا وعن أمثالنا فلعله إن أشكل عليك تواجهنى ، هذا إن عرفت أنه حق وإن كنت إذا نقلت لك عبارات العلماء عرفت أنى لم أفهم معناها وأن الذى نقلت لك كلامهم أخطئوا وأنهم خالفهم أحد من أهل العلم فنبهنى على الحق وأرجع إليه إن شاء الله تعالى . فنقول: قال الشيخ تقى الدين وقد غلط فى مسمى التوحيد طوائف من أهل النظر ومن أهل العبادة حتى قلبوا حقيقته فطائفة ظنت أن التوحيد هو نفى الصفات وطائفة ظنوا أنه الإقرار بتوحيد الربوبية، ومنهم من أطال فى تقرير هذا الموضع وظن أنه بذلك قرر الوحدانية وأن الألوهية هى القدرة على الاختراع ونحو ذلك ، ولم يعلم أن مشركى العرب كانوا مقرين بهذا التوحيد قال الله تعالى (قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون) الآيات وهذا حق لكن لايخلص به عن الإشراك بالله الذى لايغفره الله بل لابد أن يخلص الدين لله فلا يعبد إلا الله فيكون دينه لله والإله هو المألوه الذى تألهه القلوب ، وأطال رحمه الله الكلام. وقال أيضاً فى الرسالة السنية التى أرسلها إلى طائفة من أهل العبادة ينتسبون إلى بعض الصالحين ويغلون فيه فذكر حديث الخوارج ثم قال فإذا كان فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين ممن ينتسب إلى الإسلام من مرق مع عبادته العظيمة فليعلم أن المنتسب إلى الإسلام قد يمرق من الدين وذلك بأمور: منها الغلوّ الذى ذمه الله مثل الغلو فى عدىّ بن مسافر أو غيره بل الغلو فى على بن أبى طالب بل الغلو فى المسيح ونحوه فكل من غلا فى نبى أو صحابى أو رجل صالح وجعل فيه نوعا من الإلهية مثل أن يقول ياسيدى فلان أغثنى

أو أنا فى حسبك ونحو هذا فهذا كافر يستتاب ، فإن تاب وإلا قتل فإن الله سبحانه إنما أرسل الرسل وأنزل الكتب ليعبد ولا يدعى معه إله آخر والذين يدعون مع الله آلهة أخرى مثل الشمس والقمر والصالحين والتماثيل المصورة على صورهم لم يكونوا يعتقدون أنها تنزل المطر أو تنبت النبات، وإنما كانوا يعبدون الملائكة والصالحين (ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله) فبعث الله الرسل وأنزل الكتب تنهى أن يدعى أحد من دونه لادعاء عبادة ولادعاء استغاثة . وأطال الكلام رحمه الله، فتأمل كلامه فى أهل عصره من أهل النظر الذين يدعون العلم ومن أهل العبادة الذين يدعون الصلاح.

وقال فى الإقناع فى باب حكم المرتد فى أوله : فمن أشرك بالله أو جحد ربوبيته أو وحدانيته إلى أن قال أو استهزأ بالله أو رسله قال الشيخ أو كان مبغضا لرسوله أو لما جاء به اتفاقا أو جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويتوكل عليهم ويسألهم كفر إجماعا إلى أن قال أو أنكر الشهادتين أو إحداهما، فتأمل هذا الكلام بشراشر قلبك وتأمل هل قالوا هذا فى أشياء وجدت فى زمانهم واشتد نكيرهم على أهلها أو قالوها ولم تقع، وتأمل الفرق بين جحد الربوبية والوحدانية والبغض لما جاء به الرسول وقال أيضا فى أثناء الباب : ومن اعتقد أن لأحد طريقا إلى الله غير متابعة محمد صلى الله عليه وسلم أو لايجب عليه اتباعه أو أن لغيره خروجا عن اتباعه أو قال أنا محتاج إليه فى علم الظاهر دون علم الباطن أو فى علم الشريعة دون علم الحقيقة أو قال إن من العلماء من يسعه الخروج عن شريعته كما وسع الخضر الخروج عن شريعة موسى كفر فى هذا كله ، ولو تعرف من قال هذا الكلام فيه وجزم بكفرهم وعلمت ماهم عليه من الزهد والعبادة وأنهم عند أكثر أهل زماننا من أعظم الأولياء لقضيت بالعجب. وقال أيضا فى الباب : ومن سب الصحابة واقترن بسبه دعوى أن عليا إله أو نبى أو أن جبريل غلط فلا شك فى كفر هذا بل لاشك فى كفر من توقف فى تكفيره فتأمل، هذا إذا كان كلامه هذا فى على فكيف بمن ادعى أن ابن عربى أو عبد القادر إله وتأمل كلام الشيخ فى معنى الإله الذى تألهه القلوب. واعلم أن المشركين فى زماننا قد زادوا على الكفار فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم بأنهم يدعون الأولياء والصالحين فى الرخاء والشدة ويطلبون منه تفريج الكربات وقضاء الحاجات مع كونهم يدعون الملائكة والصالحين ويريدون شفاعتهم والتقرب بهم وإلا فهم مقرون بأن الأمر لله

فهم لايدعونهم إلا فى الرخاء فإذا جاءتهم الشدائد أخلصوا لله قال الله تعالى (وإذا مسكم الضر فى البحر ضل من تدعون إلا إياه فلما نجاكم إلى البر أعرضتم) الآية، وقال أيضا فى الإقناع فى الباب : ويحرم تعلم السحر وتعليمه وفعله ، وهو عقد ورقى وكلام يتكلم به أو يكتبه أو يعمل شيئا يؤثر فى بدن المسحور أو قلبه أو عقله ومنه مايقتل ومنه مايمرض ومنه مايأخذ الرجل عن امرأته فيمنعه وطأها ومنه مايبغض أحدهما للآخر ويحبب بين اثنين ويكفر بتعلمه وفعله سواء اعتقد تحريمه أو إباحته، فتأمل هذا الكلام ثم تأمل ماجرى فى الناس خصوصا الصرف والعطف تعرف أن الكفر ليس ببعيد وعليك بتأمل هذا الباب فى الإقناع وشرحه تأملا جيدا وقف عند المواضع المشكلة وذاكر فيها كما تفعل فى باب الوقف والإجارة يتبين لك إن شاء الله أمر عظيم. وأما الحنفية فقال الشيخ قاسم فى شرح درر البحار : النذر الذى يقع من أكثر العوام ، وهو أن يأتى إلى قبر بعض الصلحاء قائلا: ياسيدى فلان إن رد غائبى أو عوفى مريضى أو قضيت حاجتى فلك كذا وكذا باطل إجماعا ، لوجوه: منها أن النذر للمخلوق لايجوز ، ومنها ظن أن الميت يتصرف فى الأمر واعتقاد هذا كفر ، إلى أن قال إذا عرف هذا فما يؤخذ من الدراهم والشمع والزيت ونحوها وينقل إلى ضرائح الأولياء فحرام بإجماع المسلمين ، وقد ابتلى الناس بهذه لاسيما فى مولد أحمد البدوى ، فتأمل قول صاحب النهر مع أنه بمصر ومقر العلماء كيف شاع بين أهل مصر مالا قدرة للعلماء على دفعه فتأمل قوله من أكثر العوام أتظن أن الزمان صلح بعده . وأما المالكية ، فقال الطرطوشى فى كتاب الحوادث والبدع روى البخارى عن أبى واقد الليثى قال «خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حنين ونحن حديثو عهد بكفر وللمشركين سدرة يعكفون حولها وينوطون بها أسلحتهم يقال لها ذات أنواط فمررنا بسدرة فقلنا يارسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط فقال الله أكبر هـذا كما قال بنو إسرائيل لموسى : اجعل لنا إلها كما لهم آلهة، لتركبن سنن من كان قبلكم» فانظروا رحمكم الله أينما وجدتم سدرة يقصدها الناس وينوطون بها الخرق فهى ذات أنواط فاقطعوها. وقال صلى الله عليه وسلم «بدا الإسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدا فطوبى للغرباء الذين يصلحون إذا فسد الناس» ومعنى هذا أن الله لما جاء بالإسلام فكان الرجل إذا أسلم فى قبيلته غريبا مستخفيا بإسلامه قد جفاه العشيرة فهو بينهم ذليل خائف ثم يعود غريبا لكثرة الأهواء

المضلة والمذاهب المختلفة حتى يبقى أهل الحق غرباء فى الناس لقلتهم وخوفهم على أنفسهم ، وروى البخارى عن أم الدرداء عن أبى الدرداء قال « والله ماأعرف فيهم من أمر محمد إلا أنهم يصلون جميعا » وذلك أنه أنكر أكثر أفعال أهل عصره . وقال الزهرى دخلت على أنس بن مالك بدمشق وهو يبكى فقلت مايبكيك؟ فقال ماأعرف فيهم شيئا مما أدركت إلا هذه الصلاة وهذه الصلاة قد ضيعت انتهى كلام الطرطوشى ، فليتأمل اللبيب هذه الأحاديث وفى أى زمان قيلت وفى أى مكان وهل أنكرها أحد من أهل العلم والفوائد فيها كثيرة، ولكن مرادى منها ماوقع من الصحابة وقول الصادق المصدوق إنه مثل كلام الذين اختارهم الله على العالمين لنبيهم اجعل لنا إلها ، ياعجبا إذا جرى هذا من أولئك السادة كيف ينكر علينا أن رجلا من المتأخرين غلط فى قوله ياأكرم الخلق، كيف تعجبون من كلامى فيه وتظنونه خيرا وأعلم منهم ، ولكن هذه الأمور لاعلم لكم بها وتظنون أن من وصف شركا أو كفرا إنه الكفر الأكبر المخرج عن الملة ، ولكن أين كلامك هذا من كتابك الذى أرسلت إلى قبل أن يغربلك الله بصاحب الشام وتذكر وتشهد أن هذا هو الحق وتعتذر أنك لاتقدر على الإنكار ، ومرادى أن أبين لك كلام الطرطوشى وماوقع فى زمانه من الشرك بالشجر مع كونه فى زمن القاضى أبى يعلى أتظن الزمان صلح بعده. وأما كلام الشافعية فقال الإمام محدث الشام أبو شامة فى كتاب الباعث على إنكار البدع والحوادث وهو فى زمن الشارح وابن حمدان ، وقد وقع من جماعة من النابذين لشريعة الإسلام المنتمين إلى الفقر الذى حقيقته الافتقار من الإيمان من اعتقادهم فى مشايخ لهم ضالين مضلين فهم داخلون تحت قوله أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به الله وبهذه الطرق وأمثالها كان مبادىء ظهور الكفر من عبادة الأصنام وغيرها، ومن هذا القسم ماقد عم الابتلاء من تزيين الشيطان للعامة تخليق الحيطان والعمد وإسراج مواضع فى كل بلد يحكى لهم حاك أنه رأى فى منامه أحداً ممن شهر بالصلاح فيفعلون ذلك ويظنون أنهم يتقربون إلى الله ثم يجاوزون ذلك إلى أن يعظم وقع تلك الأماكن فى قلوبهم ويرجون الشفاء لمرضاهم وقضاء حوائجهم بالنذر لهم ، وهى بين عيون وشجر وحائط وحجر ، وفى دمشق صانها الله من ذلك مواضع متعددة كعوينة الحمى والشجرة الملعونة خارج باب النصر سهل الله قطعها فما أشبهها بذات أنواط ثم ذكر كلاما طويلا

إلى أن قال أسأل الله الكريم معافاته من كل مايخالف رضاه ولا يجعلنا ممن أضله فاتخذ إلهه هواه ، فتأمل ذكره فى هذا النوع فإنه نبذ لشريعة الإسلام وإنه خروج عن الايمان ثم ذكر أنه عم الابتلاء به فى الشام فأنت قل لصاحبكم هؤلاء العلماء من الأئمة الأربعة ذكروا أن الشرك عم الابتلاء به وغيره وصاحوا بأهله من أقطار الأرض وذكروا أن الدين عاد غريبا ، فهو بين اثنتين إما أن يقول كل هؤلاء العلماء جاهلون ضالون مضلون خارجون ، وإما أن يدعى أن زمانه وزمان مشايخه صلح بعد ذلك ، ولا يخفاك أنى عثرت على أوراق عند ابن عزاز فيها إجازات له من عند مشايخه وشيخ مشايخه رجل يقال له عبدالغنى ويثنون عليه فى أوراقهم ويسمونه العارف بالله ، وهذا اشتهر عنه أنه على دين ابن عربى الذى ذكر العلماء أنه أكفر من فرعون حتى قال ابن المقرى الشافعى من شك فى كفر طائفة ابن عربى فهو كافر ، فإذا كان إمام دين ابن عربى والداعى إليه هو شيخهم ويثنون عليه أنه العارف بالله فكيف يكون الأمر ، ولكن أعظم من هذا كله ماتقدم عن أبى الدرداء وأنس وهما بالشام ذلك الكلام فيه العظيم . واحتج به أهل العلم على أن زمانهم أعظم فكيف بزماننا؟ وقال ابن القيم رحمه الله فى الهدى النبوى فى الكلام على حديث وفد الطائف لما أسلموا وسألوا النبى صلى الله عليه وسلم أن يترك لهم اللات لايهدمها سنة ، ولما تكلم ابن القيم على المسائل المأخوذة من القصة قال: ومنها أنه لايجوز إبقاء مواضع الشرك والطواغيت بعد القدرة على هدمها وإبطالها يوما واحدا فإنها شعائر الشرك والكفر وهى أعظم المنكرات فلا يجوز الإقرار عليها مع القدرة البتة ، وهذا حكم المشاهد التى بنيت على القبور التى اتخذت أوثانا تعبد من دون الله والأحجار التى تقصد للتبرك والنذر والتقبيل لايجوز إبقاء شىء منها على وجه الأرض مع القدرة على إزالته ، وكثير منها بمنزلة اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى بل أعظم شركا عندها وبها والله المستعان ، ولم يكن أحد من أرباب هذه الطواغيت يعتقد أنها تخلق وترزق وإنما كانوا يفعلون عندها وبها مايفعله إخوانهم من المشركين اليوم عند طواغيتهم ، فاتبع هؤلاء سنن من قبلهم وسلكوا سبيلهم شبرا بشبر وذراعا بذراع وسلكوا سبيلهم حذو القذة بالقذة وغلب الشرك على أكثر النفوس لغلبة الجهل وخفاء العلم وصار المعروف منكراً والمنكر معروفا والسنة بدعة والبدعة سنة ، ونشأ فى ذلك الصغير

وهرم عليه الكبير وطمست الأعلام واشتدت غربة الإسلام وقلّ العلماء ، وغلب السفهاء وتفاقم الأمر واشتد البأس وظهر الفساد فى البر والبحر بما كسبت أيدى الناس انتهى كلامه، وقال أيضا فى الكلام على هذه القصة لما ذكر أن النبى صلى الله عليه وسلم أخذ مال اللات وصرفه فى المصالح ، ومنها جواز صرف الإمام الأموال التى تصير إلى هذه الطواغيت فى الجهاد ومصالح المسلمين فيجب عليه أن يأخذ أموال هذه الطواغيت التى تساق إليها ويصرفها على الجند والمقاتلة ومصالح الإسلام كما أخذ النبى صلى الله عليه وسلم أموال اللات ، وكذا الحكم فى وقفها والوقف عليها باطل ، وهو مال ضائع فيصرف فى مصالح المسلمين فإن الوقف لايصح إلا فى قربة وطاعة لله ولرسوله فلا يصح على مشهد ولا قبر يسرج عليه ويعظم وينذر له ويعبد من دون الله وهذا مما لايخالف فيه أحد من أئمة الدين ومن اتبع سبيلهم انتهى كلامه فتأمل كلام هذا الرجل الذى هو من أهل العلم وهو أيضا من أهل الشام كيف صرح أنه ظهر فى زمانه فيمن يدعى الإسلام فى الشام وغيره عبادة القبور والمشاهد والأشجار والأحجار التى هى أعظم من عبادة اللات والعزى أو مثله وإن ذلك ظهر ظهوراً عظيما حتى غاب الشرك على أكثر النفوس وحتى صار الإسلام غريبا بل اشتدت غربته أين هذا من قول صاحبكم لأهل الوشم فى كتابه لما ذكروا له أن فى بلدانكم شيئا من الشرك يأبى الله أن يكون ذلك فى المسلمين وكلام هؤلاء الأئمة من أهل المذاهب الأربعة أعظم وأعظم وأطم مما قال ابن عيدان وصاحبه فى أهل زمانهما افترى هؤلاء العلماء أتوا فرية عظيمة ومقالة جسيمة فهذا ما يسر الله نقله من كلام أهل العلم على سبيل العجلة فأنت تأمله تأملا جيدا واجعل تأملك لله مستعيذا بالله من اتباع الهوى ولا تفعل فعلك أولا ، ولما ذكرت لك أنك تتأمل كلامى وكلامه فإن كان كلامى صحيحاً لامجازفة فيه وأن شاميكم لايعرف معنى لا إله إلا الله ولا يعرف عقيدة الإمام أحمد وعقيدة الذين ضربوه فاعرف قدره فهو بغيره أجهل واعرف أن الأمر أمر جليل ، فإن كان كلامى باطلا ونسبت رجلا من أهل العلم إلى هذه الأمور العظيمة بالكذب والبهتان فالأمر أيضا عظيم فأعرضت عن ذلك كله وكتبت لى كتابا فى شىء آخر ، فإن كان مرادك اتباع الهوى أعاذنا الله منه وأنك مع ولد المويس كيف كان فاترك الجواب فإن بعض الناس يذكرون عنك أنك صائر معه لأجل شىء من أمور الدنيا

وإن كنت مع الحق فلا أعذرك من تأمل كلامى هذا وكلامى الأول وتعرضهما على كلام أهل العلم وتحررهما تحريراً جيداً ثم تتكلم بالحق. إذا تقرر هذا نخمس المسائل التى قدمت جوابها فى كلام العلماء وأضيف إليها مسألة سادسة وهى إفتائى بكفر شمسان وأولاده ومن شابههم وسميتهم طواغيت ، وذلك أنهم يدعون الناس إلى عبادتهم من دون الله عبادة أعظم من عبادة اللات والعزى بأضعاف ، وليس فى كلامى مجازفة بل هو الحق لأن عبادة اللات والعزى يعبدونها فى الرخاء ويخلصون لله فى الشدة وعبادة هؤلاء أعظم من عبادتهم إياهم فى شدائد البر والبحر فإن كان الله أوقع فى قلبك معرفة الحق والانقياد له والكفر بالطاغوت والتبرى ممن خالف هذه الأصول ولو كان أباك أو أخاك فاكتب لى وبشرنى لأن هذا ليس مثل الخطإ فى الفروع بل ليس الجهل بهذا فضلا عن إنكاره مثل الزنا والسرقة بل والله ثم والله ثم والله إن الأمر أعظم وإن وقع فى قلبك إشكال فاضرع إلى مقلب القلوب أن يهديك لدينه ودين نبيه. وأما بقية المسائل فالجواب عنها ممكن إذا خلصنا من شهادة أن لا إله إلا الله وبيننا وبينكم كلام أهل العلم لكن العجب من قولك أنا هادم قبور الصحابة . وعبارة الإقناع فى الجنائز يجب هدم القباب التى على القبور لأنها أسست على معصية الرسول والنبى صلى الله عليه وسلم صح عنه أنه بعث عليا لهدم القبور ومثل صاحب كتابكم لو كتب لكم أن ابن عبد الوهاب ابتدع لأنه أنكر على رجل تزوج أخته فالعجب كيف راج عليكم كلامه فيه، وأما قولى إن الإله الذى فيه السر فمعلوم أن اللغات تختلف فالمعبود عند العرب والإله الذى يسمونه عوامنا السيد والشيخ والذى فيه السر، والعرب الأولون يسمون الألوهية كما يسميها عوامنا السر لأن السر عندهم هو القدرة على النفع والضر وكونه يصلح أن يدعى ويرجى ويخاف ويتوكل عليه فإذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لاصلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب» وسئل بعض العامة مافاتحة الكتاب مافسرت له إلا بلغة بلده، فتارة تقول هى فاتحة الكتاب وتارة تقول هى أم القرآن وتارة تقول هى الحمد وأشباه هذه العبارات التى معناها واحد ولكن إن كان السر فى لغة عوامنا ليس هذا وأن هذا ليس هو الإله فى كلام أهل العلم فهذا وجه الإنكار فبينوا لنا. وأما قول ابن سحيم فى أول الرسالة إنه عمد إلى شهداء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الكائنين فى الجبيلة زيد بن الخطاب وأصحابه وهدم قبورهم وبعثرها

لأجل أنهم فى حجارة ولا يقدرون أن يحفروا لهم فطووا على أضرحتهم قدر ذراع ليمنعوا الرائحة والسباع والدافن لهم خالد بن الوليد وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعمد أيضاً إلى مسجد فى ذلك وهدمه إلى آخره، فهذا الكلام ذكر فيه ماهو حق وصدق وذكر فيه ماهو كذب وزور وبهتان، فالذى جرا من الشيخ رحمه الله وأتباعه أنه هدم البناء الذى على القبور والمسجد المجعول فى المقبرة على القبر الذى يزعمون أنه قبر زيد بن الخطاب رضى الله عنه وذلك كذب ظاهر فإن قبر زيد رضى الله عنه ومن معه من الشهداء لايعرف أين موضعه بل المعروف أن الشهداء من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قتلوا فى أيام مسيلمة فى هذا الوادى ولا يعرف أين موضع قبورهم من قبور غيرهم، ولا يعرف قبر زيد من قبر غيره وإنما كذب ذلك بعض الشياطين وقال للناس هذا قبر زيد فافتتنوا به وصاروا يأتون إليه من جميع البلاد بالزيارة ويجتمع عنده جمع كثير ويسألونه قضاء الحاجات وتفريج الكربات فلأجل ذلك هدم الشيخ ذلك البناء الذى على قبره وذلك المسجد المبنى على المقبرة اتباعا لما أمر الله به ورسوله من تسوية القبور والنهى الغليظ الشديد فى بناء المساجد عليها كما يعرف ذلك من له أدنى ملكة من المعرفة والعلم، وقوله وبعثرها لأجل أنهم فى حجارة ولا يقدرون أن يحفروا لهم فطووا على أضرحتهم قدر ذراع ليمنعوا الرائحة والسباع فكل هذا كذب وزور وتشنيع على الشيخ عند الناس بالباطل والفجور، وكلامه هذا تكذبه المشاهدة، فإن الموضع الذى فيه تلك القبور موضع سهل لين للحفر وأهل العيينة والجبيلة وغيرهما من بلدان العارض يدفنون موتاهم فى تلك المقبرة وهى أرض سهلة لاحجارة فيها، والحجارة والوعر عن تلك المقبرة شمالا وجنوبا، ولكن هذا العدو وأشباهه يرمون هذا الشيخ بالأمور الفظيعة والأهوال الهائلة الشنيعة لكى ينفر السامعون لذلك عن الدخول فى دين الله وليس ذلك ببدع من الشيطان وحزبه، والحمد لله رب العالمين، وهذا آخر الرسالة، وصلى الله على محمد وآله وسلم.

وقد أجاب الشيخ رحمه الله فى هذه الرسالة عما رماه به عدو الله سليمان ابن سحيم من الزور والكذب والبهتان وما هو قائل به وذكر دليله من الكتاب والسنة وأقوال أئمة أهل الإيمان وأعرض عن بعض المسائل لم يجب عنها فى هذه الرسالة. وقد أجاب عنها فى غيرها فأحسن وأجاد وكشف حجب الضلال عن العباد، فمن ذلك قوله إنه أبطل الوقف ويكذب بالمروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

وأصحابه أنهم وقفوا وقد كذب وافترى فيما رمى به شيخ الورى . وصورة الوقف التى أنكرها الشيخ رحمه الله وأبطله هو ما كان مخالفا لما ثبت فى الأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، وذلك أن كثيرا من الجهال والعامة إذا أراد أن يغير فرائض الله ويحرم بعض أولاده من الإناث ماقسم الله له أو يحرم أولاد الإناث ويخصه بالذكور وأولادهم وقف ماله وأشهد عليه ، وشرط فيه هذه الشروط المخالفة لما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه من صفة وقفهم فلما أنكر ذلك الشيخ رحمه الله استعظم ذلك جهال القضاة لأنه مخالف لعادتهم التى جروا عليها ومخالف لما ذكره بعض المتأخرين فى كتبهم فشنعوا بذلك على الشيخ وافتروا عليه الكذب العظيم مثل قولهم وكذب المروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه أنهم وقفوا وحاشاه من ذلك بل ماصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فهو عنده المعمول به المفتى به المحمول على الرأس والعين وهذا نص جوابه عن شبهتهم التى شبهوا بها فى ذلك. قال رحمه الله تعالى :

بسم الله الرحمن الرحيم

هذه كلمات جواب عن الشبهة التى احتج بها من أجاز وقف الجنف والإثم ، ونحن نذكر قبل ذلك صورة المسألة ثم نتكلم على الأدلة . وذلك أن السلف اختلفوا فى الوقف الذى يراد به وجه الله على غير من يرثه مثل الوقف على الأيتام وصوام رمضان أو المساكين أو أبناء السبيل فقال شريح القاضى وأهل الكوفة لايصح ذلك الوقف حكاه عنهم الإمام أحمد وقال جمهور أهل العلم هذا وقف صحيح واحتجوا بحجج صحيحة صريحة ترد قول أهل الكوفة فهذه الحجج التى ذكرها أهل العلم يحتجون بها على علماء أهل الكوفة مثل قوله «صدقة جارية» ومثل وقف عمر أوقاف أهل القدرة من الصحابة على جهات البر التى أمر الله بها ورسوله ليس فيها تغيير لحدود الله. وأما مسألتنا فهى إذا أراد الإنسان أن يقسم ماله على هواه وفر من قسمة الله وتمرد عن دين الله مثل أن يريد أن امرأته لاترث من هذا النخل ولا تأكل منه إلا حياة عينها أو يريد أن يزيد بعض أولاده على بعض فراراً من وصية الله بالعدل أو يريد أن يحرم نسل البنات أو يريد أن يحرّم على ورثته بيع هذا العقار لئلا يفتقروا بعده ويفتى له بعض المفتين أن هذه البدعة الملعونة صدقة بر تقرب إلى الله ويوقف

على هـذا الوجه قاصدا وجه الله فهذه مسألتنا فتأمل هذا بشراشر قلبك ثم تأمل ماذكره من الأدلة فنقول: من أعظم المنكرات وأكبر الكبائر تغيير شرع الله ودينه والتحيل على ذلك بالتقريب إليه وذلك مثل أوقافنا هذه إذا أراد أن يحرم من أعطاه الله من امرأة أو امرأة ابن أو نسل بنات أو غير ذلك أو يعطى من حرمه الله أو يزيد أحدا عما فرض الله أو ينقصه من ذلك ويريد التقرب إلى الله بذلك مع كونه مبعدا عن الله فالأدلة على بطلان هـذا الوقف وعوده طلقاً وقسمه على قسم الله ورسوله أكثر من أن تحصر، ولكن من أوضحها دليل واحد وهو أن يقال لمدعى الصحة إذا كنت تدعى أن هـذا مما يحب الله ورسوله وفعله أفضل من تركه وهو داخل فيما حض عليه النبى صلى الله عليه وسلم من الصدقة الجارية وغير ذلك فمعلوم أن الإنسان مجبول على حبه لولده وإيثاره على غيره حتى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى (إنما أموالكم وأولادكم فتنة) فإذا شرع الله لهم أن يوقفوا أموالهم على أولادهم ويزيدوا من شاءوا أو يحرموا النساء والعصبة ونسل البنات فلأى شىء لم يفعل ذلك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولأى شىء لم يفعله التابعون ولأى شىء لم يفعله الأئمة الأربعة وغيرهم؟أتراهم رغبوا عن الأعمال الصالحة ولم يحبوا أولادهم وآثروا البعيد عليهم وعلى العمل الصالح، ورغب فى ذلك أهل القرن الثانى عشر أم تراهم خفى عليهم حكم هذه المسألة ولم يعلموها حتى ظهر هؤلاء فعلموها؟ سبحان الله ما أعظم شأنه وأعز سلطانه، فإن ادعى أحد أن الصحابة فعلوا هذا الوقف فهذا عين الكذب والبهتان والدليل على هذا أن هذا الذى تتبع الكتب وحرص على الأدلة لم يجد إلا ماذكره ونحن نتكلم على ماذكره. فأما حديث أبى هريرة الذى فيه «صدقة جارية» فهذا حق وأهل العلم استدلوا به على من أنكر الوقف على اليتيم وابن السبيل والمساجد ونحن أنكرنا على من غير حدود الله وتقرب بما لم يشرعه ولو فهم الصحابة وأهل العلم هـذا الوقف من هذا الحديث لبادروا إليـه.

وأما حديث عمر أنه تصدق بالأرض على الفقراء والرقاب والضيف وذوى القربى وأبناء السبيل فهذا بعينه من أبين الأدلة على مسألتنا وذلك أن من احتج على الوقف على الأولاد ليس له حجة إلا هـذا الحديث لأن عمر قال لاجناح على من وليه أن يأكل بالمعروف وإن حفصة وليته ثم وليه عبد الله بن عمر فاحتجوا بأكل حفصة

وأخيها دون بقية الورثة وهـذه الحجة من أبطل الحجج ، وقد بينه الشيخ الموفق رحمه الله والشارح وذكرا أن أكل الولى ليس زيادة على غيره وإنما ذلك أجرة عمله كما كان فى زماننا هذا يقول صاحب الضحية لوليها الجلد والأكارع ففى هـذا دليل من جهتين : الأول أن من وقف من الصحابة مثل عمر وغيره لم يوقفوا على ورثتهم ولو كان خيرا لبادروا إليه وهذا المصحح لم يصحح بقوله « ثم أدناك أدناك » فإذا كان وقف عمر على أولاده أفضل من الفقراء وأبناء السبيل فما باله لم يوقف عليهم أتظنه اختار المفضول وترك الفاضل أم تظن أنه هو ورسول الله صلى الله عليـه وسلم الذى أمره لم يفهما حكم الله . الثانى أن من احتج على صحة الوقف على الأولاد وتفضيل البعض لم يحتج إلا بقوله تليه حفصة ثم ذو الرأى وإنه يأكل بالمعروف وقد بينا معنى ذلك وأنه لم يبرّ أحد وإنما جعل ذلك للولى عن تعبه فى ذلك فإذا كان المستدل لم يجد عن الصحة إلا هذا تبين لك أن قولهم تصدق أبو بكر بداره على ولده وتصدق فلان وفلان ، وأن الزبير خص بعض بناته ليس معناه كما فهموا وإنما معناه أنهم تصدقوا بما ذكر صدقة عامة على المحتاجين فكان أولاده إذا قدموا البلد نزلوا تلك الدار لأنهم من أبناء السبيل كما يوقف الإنسان مسقاة ويتوضأ منها وينتفع بها هو وأولاده مع الناس، وكما يوقف مسجدا ويصلى فيه. وعبارة البخارى فى صحيحه : وتصدق أنس بدار فكان إذا قدم نزلها وتصدق الزبير بدوره واشترط للمردودة من بناته أن تسكنها فتأمل عبارة البخارى يتبين لك أن ماذكر عن الصحابة مثل من وقف نخلا على المفطرين من الفقراء فى هذا المسجد ويقول إن افتقر أحد من ذريتى فليفطر معهم فأين هذا من وقف الجنف والإثم، على أن هذه العبارة كلام الحميدى والحميدى فى زمن القاضى أبى يعلى وأجمع أهل العلم على أن مراسيل المتأخرين لا يجوز الاحتجاج بها فمن احتج بها فقد خالف الإجماع هذا لو فرضنا أنه يدل على ذلك فكيف وقد بينا معناه ولله الحمد . إذا تبين لك أن من أجاز الوقف على الأولاد والتفضيل لم يجد إلا حديث عمر، وقوله ليس على من وليه جناح وأن الموفق وغيره ردوا على من احتج به تبين لك أن حديث عمر من أبين الأدلة على بطلان الوقف الجنف والإثم ، وأما قوله لم يكن من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ذو مقدرة إلا وقف فهل هذا يدل على صحة وقف الجنف والإثم وما مثله إلا كمن رأى رجلا يصلى فى أوقات النهى

فأنكر عليه فقال (أرأيت الذى ينهى عبدا إذا صلى) ويقول إن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلون أو يذكر فضل الصلوات وكذلك مسألتنا إذا قلنا (يوصيكم الله فى أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين ـ ولهن الربع مما تركتم) وغير ذلك أو قلنا « إن الله أعطى كل ذى حق حقه فلا وصية لوارث » أو قلنا إن النبى صلى الله عليه وسلم غلظ القول فيمن تصدق بماله كله أو قلنا « اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم » وادعوا علينا أن الصحابة وقفوا هل أنكرنا الوقف كأهل الكوفة حتى يحتج علينا بذلك . وأما قول أحمد من رد الوقف فكأنما رد السنة فهذا حق ومراده وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه كما ذكره أحمد فى كلامه ، وأما وقف الإثم والجنف فمن رده فقد عمل بالسنة ورد البدعة واتبع القرآن ، وأما قوله إن فى صدقة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأكل بالمعروف وإن زيدا وعمرا أسكنا داريهما التى وقفا ، فياسبحان الله من أنكر هذا وهذا كمن وقف مسجدا وصلى فيه وذريته أو وقف مسقاة واستسقى منها وذريته وقول الخرقى والظاهر أنه عن شرط فكذلك وهذا شرط صحيح وعمل صحيح كمن وقف داره على المسجد أو أبناء السبيل أو استثنى سكناها مدة حياته وكل هذا يردون به على أهل الكوفة فإن هذا ليس من وقف الجنف والإثم . وأما قوله « ابدأ بنفسك ثم بمن تعول » وقوله « صدقتك على رحمك صدقة وصلة » وقوله « ثم أدناك أدناك » وأشباه ذلك فكل هذا صحيح لا إشكال فيه لكن لا يدل على تغيير حدود الله . فإذا قال (يوصيكم الله فى أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين) ووقف الإنسان على أولاده ثم أخرج نسل الإناث محتجا بقوله « ثم أدناك أدناك » أو صلة الرحم فمثله كمثل رجل أراد أن يتزوج خالة أو عمة فقيرة فتزوجها يريد الصلة واحتج بتلك الأحاديث فإن قال إن الله حرم نكاح الخالات والعمات . قلنا وحرم تعدى حدود الله التى حد فى سورة النساء قال (ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها) فإذا قال الوقف ليس من هذا ، قلنا هذا مثل قوله من تزوج خالته إذا تزوجها لفقرها ليس من هذا فإذا كان عندكم بين المسألتين فرق فبينوه . وأما قول عمر إن حدث بى حادث فإن ثمغى صدقة هذا يستدلون به على تعليق الوقف بالشرط وبعض العلماء يبطله ، فاستدلوا على صحته ، وأما القول بأن عمر وقفه على الورثة فياسبحان الله كيف يكابرون النصوص ووقف عمر وشرطه ومصارفه ثمغى وغيرها معروفة مشهورة وأما قول عمر الأسهمى الذى بخيبر أردت أن أتصدق بها فهذا دليل

على أهل الكوفة كما قدمناه ، فأين فى هذا دليل على صحة هذا الوقف الملعون الذى بطلانه أظهر من بطلان أصحاب(٧) بكثير ، وأما وقف حفصة الحلى على آل الخطاب فياسبحان الله هل وقفت على ورثتها أوحرمت أحدا أعطاه الله أو أعطت أحدا حرمه الله أو استثنت غلة مدة حياتها فإذا وقف محمد بن سعود نخلا على الضعيف من آل مقرن أو مثل ذلك هل أنكرنا هذا وهذا وقف حفصة فأين هذا مما نحن فيه، وأما قولهم إن عمر وقف على ورثته فإن كان المراد ولاية الوقف فهو صحيح وليس مما نحن فيه فإن كان مراد القائل إنه ظن أنه وقف يدل على صحة مانحن فيه فهذا كذب ظاهر ترده النقول الصحيحة فى صفة وقف عمر، وأما كون حفصة وقفت على أخ لها يهودى فهو لايرثها ولا ننكر ذلك؛ وأما كلام الحميدى فتقدم الكلام عنه . وسر المسألة أنك تفهم أن أهل الكوفة يبطلون الوقف على المساجد وعلى الفقراء والقرابات الذين لايرثونهم فرد عليهم أهل العلم بتلك الأدلة الصحيحة ومسألتنا هى إبطال هذا الوقف الذى يغير حدود الله وإيتاء حكم الجاهلية وكل هـذا ظاهر لاخفاء فيه ، ولـكن إذا كان الذى كتبه يفهم معناه وأراد به التلبيس على الجهال كما فعل غيره فالتلبيس يضمحل،وإن كان هذا قدر فهمه وأنه مافهم هذا الذى تعرفه العوام فالخلف والخليفة على الله، وأما ختمه الكلام بقوله(وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) فيالها من كلمة ماأجمعها ووالله إن مسألتنا هذه من إنكارها وقد أتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم بلزوم حدود الله والعدل بين الأولاد ونهانا عن تغيير حدود الله والتحيل على محارم الله وإذا قدرنا أن مراد صاحب هـذا الوقف وجه الله لأجل من أفتاه بذلك، فقد نهانا رسول الله صلى الله عليـه وسلم عن البدع فى دين الله ولو صحت نية فاعلها فقال «من أحدث فى أمرنا هذا ماليس منه فهو رد» وفى لفظ «من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد» هذا نص الذى قال الله فيه (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) قال (وإن تطيعوه تهتدوا) وقال(قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله) فمن قبل ماآتاه الرسول وانتهى عما نهى وأطاعه ليهتدى واتبعه ليكون محبوبا عند الله فليوقف كما أوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم وكما وقف عمر رضى الله عنه وكما وقفت حفصة وغيرهم من الصحابة وأهل العلم ، وأما هذا الوقف المحدث الملعون المغير لحدود الله فهذا الذى قال الله فيه بعد ماحد المواريث والحقوق للأولاد

End of Waqfs

والزوجات وغيرهم (تلك حدود الله ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم . ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين) وقد علمتم ماقال الرسول فيمن أعتق ستة من العبيد وماردّ وأبطل من ذلك فهوشبيه بمن أوقف ماله كله خالصا لوجه الله على مسجد أوصوّام أوغير ذلك ، فكيف بما هوأعظم وأطم من هذه الأوقاف؟ وأما قوله تعالى (ياأيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون) فوالله الذى لاإله إلا هو إن فعل الخير اتباع ماشرع الله وإبطال من غير حدود الله والإنكار على من ابتدع فى دين الله ، هذا هو فعل الخير المعلق به الفلاح خصوصا مع قوله صلى الله عليه وسلم «وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة» وقوله «لاترتكبوا ماارتكبت اليهود فتستحلوا محارم الله بأدنى الحيل» وقوله «لعن الله اليهود ، حرمت عليهم الشحوم فجملوها فباعوها وأكلوا ثمنها» فليتأمل اللبيب الخالى عن التعصب والهوى الذى يعرف أن وراءه جنة ونارا الذى يعلم أن الله يطلع على خفيات الضمير هذه النصوص ويفهمها فهما جيدا ثم ينزلها على مسئلة وقف الجنف والإثم فيتبين له الحق إن شاء الله ، وصلى الله على محمد وآله وسلم . هذا آخر ماذكره الشيخ رحمه الله فى الرد على من أجاز الوقف الجنف وبيان الوقف الصحيح الموافق لما فعله أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم . وأما قول عدو الله ابن سحيم فى تشنيعه على الشيخ رحمه الله إنه أحرق دلائل الخيرات لأجل قوله : اللهم صل على سيدنا ومولانا فهذا من الكذب والزور ، وقد أجاب الشيخ رحمه الله عن هذا فى بعض رسائله بقوله : وأما دلائل الخيرات فلذلك سبب وذلك أنى أشرت على من قبل نصيحتى من إخوانى أن لايصير فى قلبه أجلّ من كتاب الله ويظن أن القراءة فيه أنفع من قراءة القرآن . وأما إحراقه والنهى عن الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم بأى لفظ كان فهذا من البهتان . وأما قوله وأحرق أيضا روض الرياحين وسماه روض الشياطين فهذا من الكذب والزور المبين . وأما إنكار الشيخ رحمه الله فيه ماخالف الكتاب والسنة وأنكره غيره من علماء المسلمين من ترّهات الصوفية وشطحاتهم التى تخالف السنة المحمدية وتمجه الطباع التى سلمت من العصبية وتنفر عنه الأسماع التى هى عن وقر الباطل خلية فأين الغارة لله تعالى والغضبية وأين النصرة لسنة نبيه والحمية عند سماع مثل بعض الحكايات

الردية كما ذكر فى بيع الجنة وغرفها العلية عند الحكاية السادسة والستين والأربعمائة وفى غيرها مثل كون الولى يجر على مركب فى الهواء من الذهب مثل قول بعضهم إن البر فى يمينه والبحر فى شماله فهذا مقام الربوبية بلا خفاء ولا إشكال ، وليس وراءه ضلال ودعوى بعضهم العروج إلى السماء بالأرواح كل حين وعلمهم بما سيقع من الغيب فى العالمين وأمثال هذه الحكايات وأشكال هذه التزاوير والخرافات الصادرة فمن لم يكن له إلى منهاج السنة التفات ولم يبال بما وقع فيه من الهلكات وما صدر منه على منصب الشرع من الجنايات وما أتى به من البهتان والزور مما تضيق عند سماعه القلوب والصدور ، (ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور) ولو لم يكن فيه إلا ما ذكره فى خاتمة ذلك الكتاب من ذلك الكلام الذى هو هتك للشريعة من غير ارتياب وسلوك للغى من كل باب مثل ماذكر عن بعضهم من ترك الصلوات وكشف العورات بحضرة الناس وكون هذا فى العذر له وجه التماس كما جرى لموسى مع الخضر حسبما فى القرآن قد ذكر ، فقد ذكر كافة العلماء أن من ادعى أنه يسعه الخروج عن الشريعة الغراء فقد أتى ضلالا وكفرا ، وأن تلك الدعوى تصيره مرتدا فيقيم عليه أهل الحق حدا حتى يرجع عما خرق به الدين وتعدى . وأما قوله ومن أعظمها أن من لم يوافقه فى كل ماقال ويشهد أن ذلك حق يقطع بكفره ومن وافقه وصدقه فى كل ما قال قال أنت موحد ولو كان فاسقا محضا أو مكاسا ، وبهذا ظهر أنه يدعو إلى توحيد نفسه لا إلى توحيد الله فمراده بذلك أن من وافق الشيخ على توحيد الله وتبرأ من عبادة الأوثان تاج وشمسان وإدريس وقريوه والمغربى وتبرأ من الشرك وأهله سماه موحدا ومن لم يوافقه على توحيد الله وإخلاص العبادة له بجميع أنواعها ، واستمر على عبادة المخلوقين مع الله وسب دين الله الذى يدعو إليه هذا الشيخ يقطع بكفره ، وهذا الخبيث وأشباهه لا يعرفون الشرك فى العبادة ويظنون أن الشرك إذا جعل الإنسان مخلوقا مع الله فى التدبير والملك والإحياء والإماتة والنفع والضرر . وأما كونه يجعل المخلوقين وسائط بينه وبين الله يدعوهم ويتوكل عليهم ويسألهم قضاء الحاجات وتفريج الكربات وقصده بذلك التقرب بهم إلى الله وطلب شفاعتهم فهذا عند هؤلاء المشركين من أعظم القربات وأفضل الطاعات ومن أنكر هذا كفروه وبدّعوه وخرجوه ونسبوه إلى السفه والضلال كما فعل إخوانهم من المشركين حيث حكى الله عنهم أنهم

قالوا لنوح عليه السلام حين أمرهم بالتوحيد وإخلاص الدعوة لله (إنا لنراك فى ضلال مبين) وقال قوم هود لهود عليه السلام(إنا لنراك فى سفاهة وإنا لنظنك من الكاذبين – إلى قوله – أجئتنا لنعبدالله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا فأتنابما تعدنا إن كنت من الصادقين) . وأما قوله ومن وافقه فى كل ماقال قال أنت موحدولو كان فاسقا أو مكاسا فمراده بذلك أن من وافقه على إخلاص العبادة والدعوة لله وتاب وأناب إلى الله مما كان يفعله من الشرك بالله و دعوة الصالحين وغيرهم من الأحياء والأموات وعرف معنى قوله لاإله إلا الله وأنها نفى وإثبات فشطرها الأول نفى الإلهية مطلقا . والثانى إثباتها لله دون ماسواه من أهل السموات والأرض ، ومن الأحياء والأموات سماه مؤمنا موحدا ولو كان فاسقا أو مكاسا ، وهو صادق فى ذلك. وذلك أن الإنسان إذا عرف التوحيد وشهد أن لاإله إلا الله وأن محمدا رسول الله صدقا من قلبه والتزم مضمون هاتين الشهادتين فهو عند الشيخ رحمه الله مؤمن موحد ولو كان فاسقا أو مكاسا وكذلك عند سائر العلماء من أهل السنة والجماعة وذلك أن الإنسان إذا دخل فى الإسلام وحكم بإسلامه لايخرجه من الإسلام مايفعله من الكبائر كالسرقة والزنا وشرب المسكر وأخذ الأموال ظلما وعدوانا وإنما يخرجه من الإسلام إلى الكفر الشرك بالله وإنكار ماجاء به الرسول من الدين بعد معرفته بذلك وإقامة الحجة عليه وقد قال تعالى (إن الله لايغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء) فثبت بهذه الآية المحكمة أن جميع الذنوب ماخلا الشرك بالله معلقة بالمشيئة قد يغفرها لمن يشاء من عباده وأن الشرك بالله لايغفره إلا بالتوبة ومن مات عليه فهو من أهل النار المخلد فيها ولو كان من أعبد الناس وأزهدهم ولا ينفع مع الشرك بالله عمل البتة ، ولكن هذا الرجل وأشباهه لايعرفون إلا ظلم الأموال والمعاصى . وأما ظلم الشرك الذى قال الله فيه (إن الشرك لظلم عظيم) وقال فيه رسوله صلوات الله وسلامه عليه لما سئل «أى الذنب أعظم؟ أن تجعل لله ندا وهو خلقك» . وأما قوله ومنها إبطاله الجعالة على الحج فهذه مسألة فيها اختلاف بين العلماء ، والذى يبطله الشيخ رحمه الله من ذلك ماأبطله غيره من علماء المسلمين، وهو أنه لايحج إلا لأن يعطى أجرة أو جعلا على ذلك فهذا عمله باطل ولا ثواب له فى الآخرة لأنه قصد بعمله الدنيا ومن قصد بعمله الذى يبتغى به وجه الله الدنيا فليس له فى الآخرة من نصيب . وصح فى الشرح الكبير والمغنى أنه

لايجوز الاستئجار للحج قالا وهو مذهب أبى حنيفة وإسحاق لأنها عبادة يختص فاعلها أن يكون من أهل القربة فلم يجز أخذ الأجرة عليها كالصلاة. قال الشيخ تقى الدين رحمه الله: والمستحب أن يأخذ الحاج من غيره ليحج لاأن يحج ليأخذو مثله كرزق أخذ على عمل صالح يفرق بين من قصد الدين والدنيا وسيلة والأشبه أن عكسه ليس له فى الآخرة من نصيب. والأعمال التى يختص فاعلها أن يكون من أهل القربة هل يجوز إيقاعها على غير وجه القربة فمن قال لايجوز ذلك لم يجز الإجارة عليها لأنها بالعوض تقع غير قربة وإنما الأعمال بالنيات والله تعالى لايقبل من العمل إلاما أريد به وجهه، ومن جوّز الإجارة جوز إيقاعها على غير وجه القربة. وقال تجوز الإجارة عليها لما فيها من نفع المستأجر انتهى، ذكره عنه فى الاختيارات فهذا الذى ذكره الشيخ رحمه الله لمن استفتاه فى الجعالة على الحج. وأما قوله إنه ترك تمجيد السلطان فى الخطبة فهو صادق فى ذلك، وإنما تركه الشيخ رحمه الله لأنه من البدع المحدثة، وقد كره جمع من المالكية وغيرهم ذلك وقالوا إنه من البدع المنكرة، ولم يستحب ذلك أحد من أئمة الدين. وأما قوله وأبطل الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى يوم الجمعة وليلتها فهذا الكلام مع بشاعة لفظه فيه إيهام وإبهام وتشنيع بظاهره عند العوام وتنفير لهم عن توحيد الملك العلام فإن الشيخ رحمه الله لم ينه عن ذلك ولم يبطله إلا الفعل الذى يفعل فى كثير من البلدان، وقد أبطله جماعة قبله من الأعيان وأنكره جمع من نقاد هذا الشان، وقالوا لايتقرب به إلى الله تعالى ولايدان، لأنه بدعة محضة أظهرها فى مقام العبادة الشيطان وأشرب حبها من هو فى الحماقة والتعصب كالولدان، نخير الهدى هدى الرسول وما ورد عن خلفائه مقبول وما حدث بعد القرن السابع وكان بعده متواليا متتابعا حتى صير واتخذ دينا ومنهجا جاء به الشارع وكان للنفوس إليه أعظم داع ووازع فلا يسوغ لذوى العقول من حملة الشرع وممارسى المنقول أن يسكتوا عنه فلا ينتهروا صاحبه ولا يزجروه ولا يزيلوه فوراً ويغيروه ولا يعترضوه وينكروه فضلا عن كونهم يرتضون فعله ويقرون أربابه وأهله وليت من دان لله تعالى به عرف دين من أصله ووضعه حتى يعترض على من أنكره ومنعه، فقد ذكر السيوطى فى كتاب الوسائل إلى معرفة الأوائل أن أول ماحدث التذكير يوم الجمعة ليتهيأ الناس لصلاتها بعد السبعمائة فى زمن الناصر بن قلاوون

ولا شك أن ما كان من الدين إذ ذاك متخذا مجعول ، ومؤسسا شرعه منحول ليس مأخوذا به ولا معمول، أما يخاف مغتر من شؤم ذنبه وسخطه لمولاه وربه فى توسله وتوصله إليه وتقربه بعمل لم يشرعه سبحانه ولم يأذن به ، فويل لمن يحرف الكلم عن مواضعه وينتحل فى الدين ماليس واضعه ويحسن ذلك فى مواقعه ويضلل من قام حسبة لله فى تهيئة موانعه، ماجوابه إذا قام بين يدى مولاه فيما أسداه من الدين وأبداه وزاد على ماجاء به الرسول وأتاه أظن أن تأسيس دينه ناقص فكمله ومحياه قبيح فحسنه وجمله نعوذ بالله مما تقوله الغلاة ونسأله أن يجنبنا طريق الغواة ولا حول ولا قوة إلا بالله، وليعلم القارئ لهذا الكتاب والواقف على هذا الخطاب أن خلاصة البيان عن ذلك فى الجواب أن الذى أنكره من غير شك ولا ارتياب هو مايفعل فى غالب الأمصار ويعمل فى كثير من الأقطار لاسيما الحرمين كما صح بالمشاهدة والأخبار ، وذلك أنه يصعد ثلاثة أو أكثر على رءوس المنار ويقرءون آيات من القرآن ويصلون على النبي بأرفع صوت وإعلان ويأتون بقبيح الألحان وأصوات تحاكى غناء القيان ويمططون آيات الله الكريمة ويغيرون حرمة أسمائه العظيمة وينقلونها من معناها إلى معنى، وكفى بهذا إثماً ووهنا وتغييرا لما أراد الله بأسمائه وصفاته . لقد خسر والله من ضل سعيه وهو يحسب أنه يحسن صنعاً. وأما قوله ومنها أنه يقول إن الذى يأخذه القضاة قديما وحديثا إذا قضوا بالحق بين الخصمين ولم يكن بيت مال لهم ولا نفقة إن ذلك رشوة وهـذا قول يخالف المنصوص عن جميع الأمة أن الرشوة ماأخذ لإبطال حق أو لإحقاق باطل وأن للقاضى أن يقول لاحكم بينكم إلا بجعل فقد تقدم جواب الشيخ رحمه الله تعالى عن ذلك فى فصل ذكر المسائل فى المسألة السادسة حين سئل عن ذلك فأجاب وأجاد وأصاب فى ذلك منهج السداد فليراجع فى محله، وقول هذا الجاهل الغبى إن الرشوة ماأخذ لإبطال حق إلى آخره وقوله إن هذا هو نص جميع الأمة فهذا لايشك عاقل فضلا عن عارف فاضل أنها دعوى مردودة قبيحة وحجة واهية فضيحة لاتصدر ممن له فى أدنى العلوم ممارسة ومذاكرة ومدارسة ، فالكتب من المذاهب الأربعة مصرحة بضد مااختلقه ووضعه والخلاف فيها عنهم مسطر والنزاع محرر فيها ومقرر، ومحل الخلاف المسطور والنزاع المقرر المشهور فيما إذا أخذ من كلا الخصمين وكانا فى المأخوذ منهما مستويين لايزيد منهما أحد على أحد فيما دفع إليه ونقد ولم

يكن القضاء متعينا عليه وإلا فلا شك فى حرمة مادفع إليه ، وأن يكون فقيرا محتاجا وإلا فلا يسلك لذلك فجاجا ، وأن لايضر ذلك بالخصوم وإلا فالاتفاق على كونه رشوة من المعلوم، وأن يأذن له فى الأخذ السلطان، وأن يمنعه القضاء عن التكسب فى ذلك الزمان ، وأن يكون ذلك بقدر الحاجة كما وضح المجيز لذلك منهاجه، وأن لايزيد على أجرة العمل كما اشترطه من أباحه ونقل ، وأن لايوجد متطوع بالقضاء ، وأن يكون لكل من الخصمين بما دفع رضا إذ لايحل مال امرىء بغير طيب نفس وإن لم يكن فلا ريب أنه نجس ، هذه المسألة هى محل النزاع وما سوى ذلك فهو محرم بالإجماع ، وقد سد ولله الحمد أصحاب مالك جميع تلك المناهج والمسالك ولم يجيزوا للقاضى أخذ شىء أصلا ولم يأذنوا أن ينتهج لذلك سبلا ، وعباراتهم فى الكتب المحررة الصحيحة وافية بالمراد صريحة ونص التبصرة لابن فرحون الإمام تبين مناهج الأحكام : ويلزم القاضى أمور : منها أنه لايقبل الهدية ولو كافأ عليها أضعافها إلا من خواص القرابة كالولد والوالد والعمة والخالة وبنت الأخ لأن الهدية تورث إدلال المهدى وإغضاء المهدى إليه وفى ذلك ضرر القاضى ودخول الفساد عليه، وقيل إن الهدية تطفىء نور الحكمة . وقال ربيعة : إياك والهدية فإنها ذريعة الرشوة. وأجاز أشهب قبولها من غير الخصمين إذا كان صديقا وكافأه عليها أو كان قريبا . وقال سحنون: لايقبلها إلا من ذى رحم. ولابن سحنون عن مالك : لاينبغى لأمير ولا لعامل صدقة أن ينزل على أحد من أهل عمله ولا يقبل له هدية ولا منفعة . قال ابن حبيب: لم تختلف العلماء فى كراهة الهدية للسلطان الأكبر وإلى القضاة والعمال وجباة المال ، وهذا قول مالك ومن قبله من أهل العلم والسنة، وكان النبى صلى الله عليه وسلم يقبل الهدية وهذا من خواصه ، والنبى صلى الله عليه وسلم معصوم مما يتقى على غيره منها. ولما رد عمر بن عبد العزيز الهدية قيل له كان النبى صلى الله عليه وسلم يقبلها فقال كانت له هدية ولنا رشوة. وقال صلى الله عليه وسلم «يأتى على الناس زمان يستحل فيه السحت بالهدية» وقال ابن عبد الغفور : وما أهدى إلى الفقيه رجاء العون على خصمه أو فى مسألة تعرض عنده رجاء قضاء حاجته على خلاف المعمول به فلا يحل له قبولها وهى رشوة يأخذها ، وكذلك إذا تنازع عنده خصمان فأهديا إليه جميعا أو أحدهما يرجو كل واحد منهما أن يعينه فى حجته أو عند حاكم إذا كان ممن يسمع فلا يحل له الأخذ منهما ولا من أحدهما. قال ابن فرحون:

وأرزاق الأعوان الذين يوجههم الإمام فى مصالح الناس ورفع المدعى عليه وغير ذلك تكون من بيت المال كالحكم فى رزاق القضاة ، ولا ينبغى للقاضى أن يجعل لهم شيئا فى أموال المسلمين، وإذا كان لهم رزق من بيت المال فلا يجوز لهم أخذ شيء على القضايا التى يبعثون فيها، كما لا يجوز للقضاة أخذ شيء ، فإن لم يصرف لهم شيء من بيت المال دفع القاضى للطالب طابعا يوقع به الخصم إلى مجلس الحكم، فإن لم يرتفع واضطر إلى الأعوان فليجعل القاضى لهم شيئا من رزقه إذا أمكنه وقوى عليه إذ رفع المطلوب مما يلزمه ، فإن عجز عن ذلك فأحسن الوجوه أن يكون الطالب هو المستأجر على النهوض فى إحضار المطلوب ورفعه فيتفق مع المعين على ذلك بما يراه إلا أن يتبين رد الجواب بالطالب وأنه امتنع من الحضور بعد أن دعاه ، فإن أجرة المعين الذى يحضره على المطلوب انتهى المقصود منه ، ونحو هذا عبارة متأخرى مذهبهم مثل خليل وشراحه فإنها صريحة فى ذلك فانظر رحمك الله إلى كلام هؤلاء الأئمة وتغليظهم فى هـذا الأمر هذا التغليظ وسدهم الباب على القاضى أن يأخذ شيئا من الخصمين أو أحدهما سواء كان له فى بيت المال رزق أو لم يكن وسواء كان غنيا أو فقيرا . وقد حرم ذلك مطلقا أيضا من أصحاب الشافعى الزركشى صاحب المنهاج كالسبكى وشريح الرويانى واشترط الماوردى من أصحاب الشافعى لجواز الأخذ من الخصمين عشرة شروط : (أحدها) أن يكون فقيرا. (ثانيها) أن يقطعه النظر عن كسبه. (ثالثها) أن يكون أجرة على الخصمين معا بالسوية بينهما لأنه لو أخذه أو الاكثر من أحدهما تطرقت إليه التهمة والريبة. (رابعها) أن يأذن له السلطان فى الأخذ، فإن لم يأذن امتنع عليه. (خامسها) أن لا يوجد متطوع بالقضاء، فإن وجد امتنع الأخذ لأنه لا ضرورة إليه. (سادسها) أن يعجز الإمام عن القيام برزقه من بيت المال ، فمتى أمكن الإمام القيام به من بيت المال لم يجز له أن يأخذ شيئا منهما (سابعها) أن يكون ما يأخذه غير مضر بالخصمين فمتى أضر بهما المأخوذ لم يجز له أن يأخذ شيئاً منهما . (ثامنها) أن يكون المأخوذ بقدر حاجته أى الناجزة حال الحكومة فيما يظهر ، وقال غير الماوردى : أن لا يزيد على أجرة عمله. قال بعضهم : والظاهر أن كلا منهما شرط انتهى. (تاسعها) أن يعلم الخصمين قبل التحاكم إليه أن من عادته الأخذ من الخصوم ، فإن لم يعلما ذلك إلا بعد الحكم لم يجز له أن يأخذ شيئا منهما ولا من أحدهما . (عاشرها) أن يكون قدر المأخوذ معلوما يتساوى فيه الخصوم

وإن تفاضلوا فى المطلب، فإن فاضل بينهم لم يجز إلا أن يتفاضلوا فى الزمان ثم قال بعد كلام : فمن أراد السلامة لدينه والخلاص من ورطة هذا الخلاف وهذه التشديدات العظيمة فليترك القضاء أو يتطوع به والله سبحانه يرزقه من حيث لايحتسب كما قال تعالى فى كتابه العزيز (ومن يتق الله يجعل له مخرجا . ويرزقه من حيث لايحتسب) وأما من يتولى القضاء ليتأثل به الأموال على اختلاف أنواعها فهو الذى أخبر عنه صلى الله عليه وسلم أنه فى النار وبأنه ذبح بغير سكين وبغير ذلك من المصائب التى تلحقه فى الدنيا والآخرة (فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم) انتهى ماذكره الماوردى رحمه الله. نقله ابن حجر فى فتاويه وقال فى الإنصاف للحنابلة : إذا لم يكن له ما يكفيه ففى جواز أخذه من الخصمين وجهان وأطلقهما فى الفروع والرعاية الكبرى والحاوى الصغير : أحدهما يجوز. والثانى لايجوز واختاره فى الرعايتين والنظم. قلت وهو الصواب أيضا، وفى باب أدب القاضى : الرشوة مايعطى بعد طلبه ، والهدية الدفع إليه ابتداء قاله فى الترغيب وذكره عنه فى الفروع فى باب حكم الأرضين المغنومة. قال أحمد رحمه الله فيمن ولى شيئا من أمر السلطان: لا أجيز له أن يقبل شيئاً يروى «هدايا الأمراء غلول» والحاكم خاصة لاأجيز له إلا ممن كان له به خلطة ووصلة ومكافأة قبل أن يلى انتهى. وروى ابن أبى حاتم عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال «من شفع لرجل ليدفع عنه مظلمة ويرد عليه حقا فأهدى له هدية فقبلها فذاك السحت » فقلنا يا أبا عبد الرحمن إنا كنا نعد السحت الرشوة فى الحكم فقال عبد الله (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) وروى أيضا فى تفسيره بإسناده عن مسروق قال: القاضى إذا أكل الهدية فقد أكل السحت وإذا قبل الرشوة بلغت به الكفر. وروى أبو حيان فى تفسيره أن أبا حنيفة قال: إذا ارتشى الحاكم يعزل .قال أبو حيان: ومن أعظم السحت الرشا فى الحكم وهى المشار إليها فى قوله (أكالون للسحت) قال الحسن : كان الحاكم فى بنى إسرائيل إذا أتاه أحدهم برشوة جعلها فى كمه فأراه إياها فتكلم بحاجته فيسمع منه ولا ينظر إلى خصمه فيأكل الرشوة ويسمع الكذب انتهى. وأما قوله ومنها أن يقطع بكفر الذى يذبح الذبيحة ويسمى عليها ويجعلها لله تعالى ويدخل مع ذلك دفع شر الجن ويقول ذلك كفر واللحم حرام والذى ذكره العلماء فى ذلك أنه ينهى عنه فقط ذكره فى حاشية المنتهى والذى ذكره الشيخ

رحمه الله فى الذبح للجن أو غيرهم أنه كفر يكفر به المسلم إذا ذبحه تعظيما له وتقربا إليه وإرادة أن يدفع عنه السوء والمكروه الذى جعل به . وقد نص العلماء رحمهم الله على أن ذلك كفر وردة قال النووى رحمه الله فى شرح مسلم فى باب تحريم الذبح لغير الله : قوله صلى الله عليه وسلم «لعن الله من ذبح لغير الله» أما الذبح لغير الله تعالى فالمراد به أن يذبح باسم غير الله تعالى كمن ذبح للصليب أو للصنم أو لموسى أو عيسى صلى الله عليهما وسلم أو للكعبة ونحو ذلك فكل هذا حرام، ولا تحل هذه الذبيحة سواء كان الذابح مسلماً أو نصرانيا أو يهوديا نص عليه الشافعى واتفق عليه أصحابنا ، فإن قصد بذلك تعظيم المذبوح له غير الله والعبادة له كان ذلك كفر ،فإن كان الذابح مسلماً قبل ذلك صار بالذبح مرتدا انتهى ، وقد قال الشيخ تقى الدين [فى اقتضاء الصراط المستقيم] فى الكلام على قوله تعالى وما أهل به لغير الله ظاهره أن ماذبح لغير الله تعالى سواء لفظ به أو لم يلفظ وتحريم هـذا أظهر من تحريم ماذبحه للحم وقال فيه باسم المسيح ونحوه، كما أن ماذبحناه متقربين به إلى الله كان أزكى مما ذبحناه للحم وقلنا عليه باسم الله فإن عبادة الله تعالى له بالصلاة له والنسك له أعظم من الاستعانة باسمه فى فواتح الأمور والعبادة لغير الله أعظم كفرا من الاستعانة بغير الله ، فلو ذبح لغير الله متقربا إليه لحرم ، وإن قال فيه باسم الله كما قد يفعله طائفة من منافقى هـذه الأمة وإن كان هؤلاء مرتدين لاتباح ذبيحتهم لـكن يجتمع فى الذبيحة مانعان ، ومن هذا مايفعل بمكة وغيرها من الذبح للجن انتهى كلامه ، فانظر رحمك الله كيف صرح هذا الإمام بأن الذبح للجن كفر وردة عن الإسلام وأن الذبيحة تحرم ولو سمى الله عليها لأنها تصير ذبيحة مرتد ، وكذلك تصريح الإمام النووى رحمه الله بأن الذابح إذا قصد تعظيم المذبوح له والعبادة له كان ذلك كفرا وإن كان مسلما قبل ذلك صار بالذبح مرتدا ولا يخالف فى ذلك أحد من أئمة الإسـلام بل كلهم مجمعون على ذلك وهـذا هو الذى يقول الشيخ رحمه الله إنه كفر وردة إذا ذبح للجن تقربا إليهم وقصده بذلك أن يبرئ مريضه من شكواه ، ومن العجب أن ذلك يفعل فى بلدان العارض وغيرها لاينكره أحد من علمائهم على من فعله بل منهم من يفتى الجهال بذلك ويقول اذبحوا على هذا الصبى أو هذا المريض ذبيحة سوداء للجن ولا تسموا عليها وقصده بذلك أن الجن يزيلون ذلك المرض إذا ذبحت لهم تلك الذبيحة . فلما

أظهر الله هذا الشيخ ونهى عن ذلك وبلغ الناس كلام الله وكلام رسوله وكلام أهل العلم أن ذلك كفر وردة ينكر ذلك عليه من يزعم أنه من العلماء فهل يشك أحد من العلماء أن ذلك كفر وشرك وعبادة للجن ، نعوذ بالله من الطبع على القلب . وأما من ذبح مخلصا لله فى ذلك النية وقصده بذلك أن يبرىء الله مريضه فهذا عمل خالص لله لاينكره مسلم يؤمن بالله واليوم الآخر فضلا عن أن يجعله كفراً وردة ، ولكن هذا الخبيث يفترى الكذب الظاهر على الشيخ رحمه الله عداوة منه لدين الله ورسوله وحنقا وحسدا لهذا الشيخ وأتباعه أن خصهم الله بهذه الفضيلة وهذه النعمة والمنحة الجسيمة ومراده بذلك إطفاء هذا النور بالكذب والزور والفجور ، (ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون) .

فصل

ومنها رسالة كتبها الشيخ رحمه الله إلى سليمان بن سحيم صاحب تلك الرسالة التى شنع بها على الشيخ المتقدمة قبل ذلك وجوابها وكان الشيخ رحمه الله قد أرسل له وتلطف له قبل ذلك فلما تبين للشيخ أنه معاند للحق والإيمان ومن أعوان أهل الشرك والطغيان كتب له هذه الرسالة وهذا نص الرسالة :

بسم الله الرحمن الرحيم

الذى يعلم به سليمان بن سحيم أنك أزعجت قرطاسة فيها عجائب ، فإن كان هذا قدر فهمك فهذا من أفسد الأفهام ، وإن كنت تلبس به على الجهال فما أنت برابح وقبل الجواب نذكر لك أنك أنت وأباك مصرحون بالكفر والشرك والنفاق ، ولكن صائر لكم عند خمامة فى معكال قصاصيب وأشباههم يعتقدون أنكم علماء ونداريكم وودنا أن الله يهديكم ويهديهم وأنت إلى الآن أنت وأبوك لاتفهمون شهادة أن لا إله إلا الله أنا أشهد بهذا شهادة يسألنى الله عنها يوم القيامة أنك لاتعرفها إلى الآن ولا أبوك ونكشف لك هذا كشفاً بيناً لعلك تتوب إلى الله وتدخل فى دين الإسلام إن هداك الله وإلا تبين لكل من يؤمن بالله واليوم الآخر حالكما والصلاة وراءكما وقبول شهادتكما وحظكما ووجوب عداوتكما كما قال تعالى (لاتجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله) وأكشف ذلك بوجوه : (الأول) أنكم

تقرون أن الذى يأتيكم من عندنا هو الحق وأنت تشهد به ليلا ونهارا ، وإن جحدت
هذا شهد عليك الرجال والنساء ثم مع هذه الشهادة أن هذا دين الله أنت وأبوك مجتهدان
فى عداوة هـذا الدين ليلا ونهارا ومن أطاعكما وتبهتون وترمون المؤمنين بالبهتان
العظيم وتصورون على الناس الأكاذيب الكبار فكيف تشهد أن هـذا دين الله ثم
تتبين فى عداوة من تبعه . (الوجه الثانى) أنك تقول إنى أعرف التوحيد وتقر أن من
جعل الصالحين وسائط فهو كافر والناس يشهدون عليك أنك تروح المولد وتقرأه
لهم وتحضرهم وهم ينحون ويندبون مشايخهم ويطلبون منهم الغوث والمدد وتأكل
اللقم من الطعام المعد لذلك فإذا كنت تعرف أن هـذا كفر فكيف تروح لهم
وتعاونهم عليـه وتحضر كفرهم . (الوجه الثالث) أن تعليقهم التمائم من الشرك بنص
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ذكر تعليق التمائم صاحب الإقناع فى أول الجنائز
وأنت تكتب الحجب وتأخذ عليها شرطا حتى إنك كتبت لامرأة حجابا لعلها تحبل
وشرطت لك حمرين وطالبتها تريد الحمرين فكيف تقول إنى أعرف التوحيد وأنت
تفعل هذه الأفاعيل؟ وإن أنكرت فالناس يشهدون عليك بهذا. (الوجه الرابع) أنك
تكتب فى حجبك طلاسم ، وقد ذكر فى الإقناع أنها من السحر والسحر يكفر
صاحبه فكيف تفهم التوحيد وأنت تكتب الطلاسم، وإن جحدت فهذا خط يدك
موجود . (الوجه الخامس) أن الناس فيما مضى عبدوا الطواغيت عبادة ملأت الأرض
بهـذا الذى تقر أنه من الشرك ينخونهم ويندبونهم ويجعلونها وسائط وأنت وأبوك
تقولان نعرف هذا لكن ماسألونا فإذا كنتم تعرفونه كيف يحل لكم أن تتركا الناس
يكفرون ماتنصحونهم ولولم يسألوكم . (الوجه السادس) أنا لما أنكرنا عبادة غير الله بالغتم
فى عداوة هـذا الأمر وإنكاره وزعمتم أنه مذهب خامس وأنه باطل وإن أنكرتما
فالناس يشهدون عليكم بذلك وأنتم مجاهرون به فكيف تقولون هذا كفر ، ولكن
ماسألونا عنه فإذا قام من يبين للناس التوحيد قلتم إنه مغير الدين وآت بمذهب خامس
فإذا كنت تعرف التوحيد وتقر أن كلامى هـذا حق فكيف تجعله تغييرا لدين الله
وتشكونا عند أهل الحرمين، والأمور التى تدل على أنك أنت وأباك لاتعرفان شهادة
أن لاإله إلا الله لاتحصر لكن ذكرنا الأمور التى لاتقدر تنكرها وليتك تفعل فعل
المنافقين الذين قال فيهم (إن المنافقين فى الدرك الأسفل من النار) لأنهم يخفون نفاقهم

وأنت وأبوك تظهران للخاص والعام . وأما الدليل على أنك رجل معاند ضال على علم مختار الكفر على الإسلام، فمن وجوه : (الأول) أنى كتبت ورقة لابن صالح من سنتين فيها تكفير الطواغيت شمسان وأمثاله وذكرت فيها كلام الله ورسوله وبينت الأدلة فلما جاءتك نسختها بيدك لموسى بن سليم ثم سجلت عليها وقلت ماينكر هذا إلا أعمى القلب وقرأها موسى فى البلدان وفى منفوحة وفى الدرعية وعندنا ثم راح بها للقبلة فإذا كنت من الأول موافقا لنا على كفرهم وتقول ماينكر هذا إلا من أعمى الله بصيرته فالعلم الذى جاءك بعد هذا يبين لك أنهم ليسوا بكفار بينه لنا . (الوجه الثانى) أنى أرسلت لك رسالة الشيخ تقى الدين التى يذكر فيها أن من دعا نبياً أو صحابياً أو ولياً مثل أن يقول ياسيدى فلان انصرنى وأغثنى أنه كافر بالإجماع فلما أتتك استحسنتها وشهدت أنها حق وأنت تشهد به الآن فما الموجب لهذه العداوة . (الوجه الثالث) أنه إذا أتاك أحد من أهل المعرفة أقررت أن هذا دين الله وأنه الحق وقلته على رءوس الأشهاد ، وإذا خلوت مع شياطينك وقصاصيك فلك كلام آخر . (الوجه الرابع) أن عبد الرحمن الشنيفى ومن معه لما أتوك وذاكروك أقررت بحضرة شياطينك أن هذا هو الحق وشهدت أن الطواغيت كفار وتبرأت من طالب الحمضى وعبد الكريم وموسى بن نوح فأى شىء بان لك بعد هذا أن هذا باطل وأن الذى تبرأت منهم وعاديتهم أنهم على حق؟ (الوجه الخامس) أنك لما خرجت من عند الشيوخ وأتيت عند الشنيفى جحدت الكلام الذى قلت فى المجلس، فإن كان الكلام حقا فلأى شىء تجحده وأنت وأبوك مقران أنكما لاتعرفان كلام الله ورسوله لكن تقولان نعرف كلام صاحب الإقناع وأمثاله ؟ وأنا أذكر لك كلام صاحب الإقناع أنه مكفرك ومكفر أباك فى غير موضع من كتابه : الأول أنه ذكر فى أول سطر من أحكام المرتد أن الهازل بالدين يكفر وهذا مشهور عنك وعن ابن أحمد بن نوح الاستهزاء بكلام الله ورسوله وهذا كتابكم كفركم . الثانى أنه ذكر فى أوله أن المبغض لما جاء به الرسول كافر بالإجماع ولو عمل به وأنت مقر أن هذا الذى أقول فى التوحيد أمر الله ورسوله والنساء والرجال يشهدون عليكم أنكم مبغضون لهذا الدين مجتهدون فى تنفير الناس عن الكذب والبهتان على أهله فهذا كتابكم كفركم . الثالث أنه ذكر من أنواع الردة إسقاط حرمة القرآن وأنتم كذلك تستهزئون بمن يعمل به وتزعمون أنهم جهال

وأنتم علماء . الرابع أنه ذكر أن من ادعى فى على بن أبى طالب ألوهية أنه كافر ، ومن شك فى كفره فهو كافر وهذه مسألتك التى جادلت بها فى مجالس الشيوخ ، وقد صرح فى الإقناع بأن من شك فى كفرهم فهو كافر فكيف بمن جادل عنهم وادعى أنهم مسلمون وجعلنا كفارا لما أنكرنا عليهم . الخامس أنه ذكر أن السحر يكفر بتعلمه وتعليمه والطلاسم من جملة السحر ،فهذه ستة مواضع فى الإقناع فى باب واحد أن من فعلها فقد كفر ، وهى دينك ودين أبيك. فإما أن تبرءوا من دينكم هذا وإلا فأجيبوا عن كلام صاحب الإقناع وكلامناهذا لغيرك الذين عليهم الشرهة مثل الشيوخ أو من يصلى وراءك كادوا أن الله يهديهم ويعزلونك أنت وأبوك عن الصلاة بالناس لئلا تفسد عليهم دينهم وإلا فأنا أظنك لاتقبل ولا يزيدك هـذا الكلام إلا جهالة وكفرا. وأما الكلام الذى لبست به على الناس فأنا أبينه إن شاء الله كلمة كلمة وذلك أن جملة المسائل التى ذكرت أربعا : الأولى النذر لغير الله تقول إنه حرام ليس بشرك . الثانية أن من جعل بينه وبين الله وسائط كفر . أما الوسائط بأنفسهم فلا يكفرون . الثالثة عبارة العلماء أن المسلم لايجوز تكفيره بالذنوب . الرابعة التذكير ليلة الجمعة لاينبغى الأمر بتركه هذه المسائل التى ذكرت . فأما المسألة الأولى فدليلك قولهم إن النذر لغير الله حرام بالإجماع فاستدللت بقولهم حرام على أنه ليس بشرك فإن كان هـذا قدر عقلك فكيف تدعى المعرفة ؟ ياويلك ماتصنع بقول الله تعالى (قل تعالوا أتل ماحرم ربكم عليكم أن لاتشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا) فهذا يدل على أن الشرك حرام ليس بكفر ياهذا الجاهل الجهل المركب ماتصنع بقول الله تعالى (قل إنما حرم ربى الفواحش ماظهر منها وما بطن) إلى قوله (وأن تشركوا بالله مالم ينزل به سلطانا) هل يدل هذا التحريم على أنه لايكفر صاحبه ؟ ياويلك فى أى كتاب وجدته إذا قيل لك هذا حرام إنه ليس بكفر، فقولك إن ظاهر كلامهم أنه ليس بكفر كذب وافتراء على أهل العلم بل يقال ذكر أنه حرام. وأما كونه كفرا فيحتاج إلى دليل آخر والدليل عليه أنه صرح فى الإقناع أن النذر عبادة ومعلوم أن لاإله إلا الله معناها لايعبدوا إلا الله . فإذا كان النذر عبادة وجعلتها لغيره كيف لايكون شركا ؟ وأيضا مسألة الوسائط تدل على ذلك والناس يشهدون أن هؤلاء الناذرين يجعلونهم وسائط وهم مقرون بذلك. وأما استدلالك بقوله من قال أنذروا لى وأنه إذا رضى وسكت لا يكفر فبأى دليل ؟

غاية مايقال إنه سكت عن الأخذ الراضي وعلم من دليل آخر والدليل الآخر أن أن الرضى بالكفر كفر صرح به العلماء وموالاة الكفار كفر وغير ذلك هذا إذا قدر أنهم لايقولونه فكيف وأنت وغيرك تشهد عليهم أنهم يقولون ويبالغون فيه ويقصون على الناس الحكايات التي ترسخ الشرك في قلوبهم ويبغض إليهم التوحيد ويكفرون أهل العارض لما قالوا لايعبدون إلا الله . وأما قولك مارأينا للترشيح معنى في كلام العلماء فمن أنت حتى تعرف كلام العلماء ؟ . وأما الثانية وهي أن الذي يجعل الوسائط هو الكافر . وأما المجعول فلا يكفر فهذا كلام تلبيس وجهالة ، ومن قال إن عيسى وعزيرا وعلي بن أبي طالب وزيد بن الخطاب وغيرهم من الصالحين يلحقهم نقص بجعل المشركين إياهم وسائط حاشا وكلا (ولا تزر وازرة وزر أخرى) وإنا كفرنا هؤلاء الطواغيت أهل الخرج وغيرهم بالأمور التي يفعلونها هم منها أنهم يجعلون آباءهم وأجدادهم وسائط ، ومنها أنهم يدعون الناس إلى الكفر ، ومنها أنهم يبغضون عند الناس دين محمد صلى الله عليه وسلم ويزعمون أن أهل العارض كفروا لما قالوا لايعبد إلا الله وغير ذلك من أنواع الكفر وهذا أمر أوضح من الشمس يحتاج إلى تقرير ولكن أنت رجل جاهل مشرك مبغض لدين الله وتلبس على الجهال الذين يكرهون دين الإسلام ويحبون الشرك ودين آبائهم وإلا فهؤلاء الجهال لوأن مرادهم اتباع الحق عرفوا أن كلامك من أفسد مايكون . وأما المسألة الثالثة وهي من أكبر تلبيسك الذي تلبس به على العوام أن أهل العلم قالوا لايجوز تكفير المسلم بالذنب وهذا حق ولكن ليس هذا مانحن فيه وذلك أن الخوارج يكفرون من زنى أو من سرق أو سفك الدم بل كل كبيرة إذا فعلها المسلم كفر . وأما أهل السنة فمذهبهم أن المسلم لايكفر إلا بالشرك ونحن ما كفرنا الطواغيت وأتباعهم إلا بالشرك وأنت رجل من أجهل الناس تظن أن من صلى وادعى أنه مسلم لايكفر فإذا كنت تعتقد ذلك فما تقول في المنافقين الذين يصلون ويصومون ويجاهدون قال الله تعالى فيهم (إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار) وما تقول في الخوارج الذين قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم « لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد أينما لقيتموهم فاقتلوهم » أتظنهم ليسوا من أهل القبلة ماتقول في الذين اعتقدوا في علي بن أبي طالب رضي الله عنه مثل اعتقاد كثير من الناس في عبد القادر وغيره فأضرم لهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه ناراً فأحرقهم بها

وأجمعت الصحابة على قتلهم ، لكن ابن عباس أنكر تحريقهم بالنار وقال يقتلون بالسيف أتظن هؤلاء ليسو من أهل القبلة أم أنت تفهم الشرع وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لايفهمونه أرأيت أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قاتلوا من منع الزكاة ، فلما أرادوا التوبة قال أبو بكر لانقبل توبتكم حتى تشهدون أن قتلانا فى الجنة وقتلاكم فى النار أتظن أن أبا بكر وأصحابه لايفهمون ، وأنت وأبوك الذين تفهمون ياويلك أيها الجاهل الجهل المركب إذا كنت تعتقد هذا وأن من أم القبلة لايكفر فما معنى هذه المسائل العظيمة الكثيرة التى ذكرها العلماء فى باب حكم المرتد التى كثير منها فى أناس أهل زهد وعبادة عظيمة ، ومنها طوائف ذكر العلماء أن من شك فى كفرهم فهو كافر ولو كان الأمر على زعمك لبطل كلام العلماء فى حكم المرتد إلا مسألة واحدة وهى الذى يصرح بتكذيب الرسول وينتقل يهوديا أو نصرانيا أو مجوسيا ونحوهم هذا هو الكفر عندك ياويلك ماتصنع بقوله صلى الله عليه وسلم « لاتقوم الساعة حتى تعبد فئام من أمة الأوثان » وكيف تقول هذا وأنت تقر أن من جعل الوسائط كفر فإذا كان أهل العلم فى زمانهم حكموا على كثير من أهل زمانهم بالكفر والشرك أتظن أنكم صلحتم بعدهم ياويلك. وأما مسألة التذكير فكلامك فيها من أعجب العجاب أنت تقول بدعة حسنة والنبى صلى الله عليه وسلم يقول « كل بدعة ضلالة وكل ضلالة فى النار » ، ولم يستثن شيئا تشير علينا به فنصدقك أنت وأبوك لأنكم علماء ونكذب رسول الله والعجب من نقلك الإجماع فتجمع مع الجهالة المركبة الكذب الصريح والبهتان فإذا كان فى الإقناع فى باب الأذان قد ذكر كراهيته فى مواضع متعددة أتظن أنك أعلم من صاحب الإقناع أم تظنه مخالفا للإجماع ، وأيضا لما جاءك عبد الرحمن الشنيفى أقررت لهم أن التذكير بدعة مكروهة فمتى هذا العلم جاءك؟ وأما قولك أمر الله بالصلاة على نبيه على الإطلاق فأيضاً أمر الله بالسجود على الإطلاق فى قوله اركعوا واسجدوا فيدل هذا على السجود للأصنام أو يدل على الصلاة فى أوقات النهى . فإن قلت ذاك قد نهى عنه النبى صلى الله عليه وسلم قلنا وكذلك نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن البدع وذكر أن كل بدعة ضلالة ومعلوم أن هـذا حادث من زمن طويل وأنكره أهل العلم منهم صاحب الإقناع ، وقد ذكر السيوطى فى كتاب الأوائل أن أول ماحدث التذكير يوم الجمعة لتهيؤ الناس لصلاتها بعد السبعمائة فى زمن الناصر بن قلاوون

فأرنا كلام واحد من العلماء أرخص فيه وجعله بدعة حسنة فليس عندك إلا الجهل المركب والبهتان والكذب . وأما استدلالك بالأحاديث التى فيها إجماع الأمة والسواد الأعظم وقوله « من شذ شذ فى النار » و « يد الله على الجماعة » ، وأمثال هذا فهذا أيضا من أعظم ماتلبس به على الجهال وليس هذا معنى الأحاديث بإجماع أهل العلم كلهم فإن النبى صلى الله عليه وسلم أخبر أن الإسلام سيعود غريباً فكيف يأمرنا باتباع غالب الناس ، وكذلك الأحاديث الكثيرة منها قوله « يأتى على الناس زمان لايبقى من الإسلام إلا اسمه ، ولا من القرآن إلا رسمه » وأحاديث عظيمة كثيرة يبين صلى الله عليه وسلم أن الباطل يصير أكثر من الحق وأن الدين يصير غريبا ، ولو لم يكن فى ذلك إلا قوله صلى الله عليه وسلم « ستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلها فى النار إلا واحدة » هل بعد هذا البيان بيان ياويلك ، كيف تأمر بعد هذا باتباع أكثر الناس ومعلوم أن أهل أرضنا وأرض الحجاز الذى ينكر البعث منهم أكثر ممن يقر به وأن الذى يعرف الدين أقل ممن لايعرفه والذى يضيع الصلوات أكثر من الذى يحافظ عليها والذى يمنع الزكاة أكثر ممن يؤديها ، فإن كان الصواب عندك اتباع هؤلاء فبين لنا وإن كان عنزة وآل ظفير وأشباههم من البوادى هو السواد الأعظم ولقيت فى علمك وعلم أبيك أن اتباعهم حسن فاذكر لنا ونحن نذكر كلام أهل العلم فى معنى تلك الأحاديث ليتبين للجهال الذين موهت عليهم . قال ابن القيم رحمه الله فى أعلام الموقعين : واعلم أن الإجماع والحجة والسواد الأعظم هو العالم صاحب الحق وإن كان وحده وإن خالفه أهل الأرض . وقال عمرو بن ميمون سمعت ابن مسعود يقول « عليكم بالجماعة فإن يد الله على الجماعة » وسمعته يقول « سيلى عليكم ولاة يؤخرون الصلاة عن وقتها فصل الصلاة وحدك » وهى الفريضة « ثم صل معهم فإنها لك نافلة » . قلت ياأصحاب محمد ماأدرى ماتحدثون قال : وما ذاك ؟ قلت تأمرنى بالجماعة ثم تقول صل الصلاة وحدك . قال ياعمرو بن ميمون لقد كنت أظنك من أفقه أهل هذه القرية أتدرى ما الجماعة ؟ قلت لا ، قال جمهور الجماعة هم الذين فارقوا الجماعة والجماعة ماوافق الحق وإن كنت وحدك . وقال نعيم بن حماد : إذا فسدت الجماعة فعليك بما كان عليه الجماعة قبل أن تفسد الجماعة وإن كنت وحدك فإنك أنت الجماعة حينئذ . وقال بعض الأئمة وقد ذكر له السواد الأعظم أتدرى ما السواد الأعظم هو محمد بن أسلم الطوسى وأصحابه الذين جعلوا

السواد الأعظم والحجة والجمهور والجماعة فجعلوهم عيارا على السنة وجعلوا السنة بدعة وجعلوا المعروف منكراً لقلة أهله وتفردهم فى الأعصار والأمصار وقالوا « من شذ شذ فى النار » وعرف المتخلفون أن الشاذ ماخالف الحق وإن كان عليه الناس كلهم إلا واحدا فهم الشاذون ، وقد شذ الناس كلهم فى زمن أحمد بن حنبل إلا نفرا يسيرا فكانوا هم الجماعة ، وكانت القضاة يومئذ والمفتون والخليفة وأتباعهم كلهم هم الشاذون ، وكان الإمام أحمد وحده هو الجماعة ولما لم تحمل ذلك عقول الناس قالوا للخليفة ياأمير المؤمنين أتكون أنت وقضاتك وولاتك والفقهاء والمفتون على الباطل وأحمد وحده على الحق فلم يتسع علمه لذلك فأخذه بالسياط والعقوبة بعد الحبس الطويل فلا إله إلا الله ماأشبه الليلة بالبارحة انتهى كلام ابن القيم بإسلامه ولدام سلامه . هذا كلام الصحابة فى تفسير السواد الأعظم وكلام التابعين وكلام السلف وكلام المتأخرين حتى ابن مسعود ذكر فى زمانه أن أكثر الناس فارقوا الجماعة، وأبلغ من هذه الأحاديث المذكورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من غربة الإسلام وتفرق هذه الأمة أكثر من سبعين فرقة كلها فى النار إلا واحدة فإن كنت وجدت فى علمك وعلم أبيك مايرد على رسول الله صلى الله عليه وسلم والعلماء وإن عنزة وآل ظفير والبوادى يجب علينا اتباعهم فأخبرونا . كتبه محمد بن عبد الوهاب وصلى الله على محمد وآله وسلم.

ومنها رسالة أرسلها إلى أهل الرياض ومنفوحة وهو إذ ذاك مقيم فى بلد العيينة وكتب إلى عبد الله بن عيسى قاضى الدرعية يسجل تحتها بما رآه من الكلام ليكون ذلك سببا لقبول الجهال والطغام ، وهذا نص الرسالة :

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن عبد الوهاب إلى من يصل إليه هذا الكتاب من المسلمين سلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد : فقد قال الله تعالى (والذين يحاجون فى الله من بعد مااستجيب له حجتهم داحضة عند ربهم وعليهم غضب ولهم عذاب شديد) وذلك أن الله أرسل محمدا صلى الله عليه وسلم ليبين للناس الحق من الباطل ، فبين صلى الله عليه وسلم للناس جميع مايحتاجون إليه فى أمر دينهم بيانا تاما ، وما مات صلى الله عليه وسلم حتى ترك الناس على المحجة البيضاء ليلها كنهارها. فإذا عرفت ذلك فهؤلاء الشياطين من مردة الإنس الذين يحاجون فى الله من بعد مااستجيب له إذا رأوا من يعلم الناس

ماأمرهم به محمد صلى الله عليه وسلم من شهادة أن لا إله إلا الله وما نهاهم عنه مثل الاعتقاد فى المخلوقين الصالحين وغيرهم قاموا يجادلون ويلبسون على الناس ويقولون كيف تكفرون المسلمين كيف تسبون الأموات آل فلان أهل ضيف آل فلان أهل كذا وكذا ومرادهم بهذا لئلا يتبين معنى لا إله إلا الله ويتبين الاعتقاد فى الصالحين النفع والضر ودعاؤهم كفر ينقل عن الملة فيقولون الناس لهم إنكم قبل ذلك جهال لأى شئ لم تأمرونا بهذا . وأنا أخبركم عن نفسى والله الذى لا إله إلا هو لقد طلبت العلم وأعتقد من عرفنى أن لى معرفة وأنا ذلك الوقت لا أعرف معنى لا إله إلا الله ولا أعرف دين الإسلام قبل هذا الخير الذى منّ الله به ، وكذلك مشايخى مامنهم رجل عرف ذلك ، فمن زعم من علماء العارض أنه عرف معنى لا إله إلا الله أو عرف معنى الإسلام قبل هـذا الوقت أو زعم عن مشايخه أن أحداً عرف ذلك فقد كذب وافترى ولبس على الناس ومدح نفسه بما ليس فيه. وشاهد هذا أن عبد الله بن عيسى مانعرف فى علماء نجد ولا علماء العارض ولا غيره أجلّ منه ، وهذا كلامه واصل إليكم إن شاء الله فاتقوا الله عباد الله ولا تكبروا على ربكم ولا نبيكم واحمدوه سبحانه الذى منّ عليكم ويسر لكم من يعرفكم بدين نبيكم صلى الله عليه وسلم ولا تكونوا من الذين بدلوا نعمة الله كفراً وأحلوا قومهم دار البوار جهنم يصلونها وبئس القرار ، إذا عرفتم ذلك فاعلموا أن قول الرجل : لا إله إلا الله نفى وإثبات ، إثبات الألوهية كلها لله وحده ونفيها عن الأنبياء والصالحين وغيرهم ، وليس معنى الألوهية أنه لا يخلق ولا يرزق ولا يدبر ولا يحيى ولا يميت إلا الله فإن الكفار الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرون بهذا كما قال تعالى (قل من يرزقكم من السماء والأرض أمن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ومن يدبر الأمر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون) فتفكروا عباد الله فيما ذكر الله عن الكفار أنهم مقرون بهذا كله لله وحده لا شريك له، وإنما كان شركهم أنهم يدعون الأنبياء والصالحين ويندبونهم وينذرون لهم ويتوكلون عليهم يريدون منهم أنهم يقربونهم إلى الله كما ذكر الله عنهم ذلك فى قوله تعالى (والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى) إذا عرفتم ذلك فهؤلاء الطواغيت الذين يعتقد الناس فيهم من أهـل الخرج وغيرهم مشهورون عند الخاص والعام بذلك وأنهم يترشحون له ويأمرون به الناس

كلهم كفار مرتدون عن الإسلام ، ومن جادل عنهم أو أنكر على من كفرهم أو زعم أن فعلهم هذا لو كان باطلا فلا يخرجهم إلى الكفر فأقل أحوال هذا المجادل أنه فاسق لايقبل خطه ولا شهادته ولا يصلى خلفه بل لايصح دين الإسلام إلا بالبراءة من هؤلاء وتكفيرهم كما قال تعالى (فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى) ومصداق هذا أنكم إذا رأيتم من يخالف هذا الكلام وينكره فلا يخلو إما أن يدعى أنه عارف فقولوا له هذا الأمر العظيم لايغفل عنه فبين لنا مايصدقك من كلام العلماء إذا لم تعرف كلام الله ورسوله فإن زعم أن عنده دليلا فقولوا له يكتبه حتى نعرضه على أهل المعرفة ويتبين لنا أنك على الصواب ونتبعك فإن نبينا صلى الله عليه وسلم قد بين لنا الحق من الباطل ، وإن كان المجادل يقر بالجهل، ولا يدعى المعرفة .

فيا عباد الله كيف ترضون بالأفعال والأقوال التى تغضب الله ورسوله ، وتخرجكم عن الإسلام اتباعا لرجل يقول إنى عارف فإذا طالبتموه بالدليل عرفتم أنه لاعلم عنده أو اتباعا لرجل جاهل وتعرضون عن طاعة ربكم وما بينه نبيكم صلى الله عليه وسلم وأهل العلم بعده،واذكروا ما قص الله عليكم فى كتابه لعلكم تعتبرون فقال : (ولقد أرسلنا إلى ثمود أخاهم صالحاً أن اعبدوا الله فإذا هم فريقان يختصمون) ، وهؤلاء أهلكهم الله بالصيحة وأنتم الآن إذا جاءكم من يخبركم بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أنكم فريقان تختصمون أفلا تخافون أن يصيبكم من العذاب ما أصابهم .

والحاصل أن مسائل التوحيد ليست من المسائل التى هى من فن المطاوعة خاصة بل البحث عنها أو تعلمها فرض لازم على العالم والجاهل والمحرم والمحل والذكر والأنثى ، وأنا لا أقول لكم : أطيعونى ولكن الذى أقول لكم إذا عرفتم أن الله أنعم عليكم وتفضل عليكم بمحمد صلى الله عليه وسلم والعلماء بعده فلا ينبغى لكم معاندة محمد صلى الله عليه وسلم. وقولكم إننا نكفر المسلمين كيف تفعلون كذا كيف تفعلون كذا ، فإنا لم نكفر المسلمين بل ما كفرنا إلا المشركين. وكذلك أيضا من أعظم الناس ضلالا متصوفة فى معكال وغيره مثل ولد موسى بن جوعان وسلامة بن مانع وغيرهما يتبعون مذهب ابن عربى وابن الفارض ، وقد ذكر أهل العلم أن ابن عربى من أئمة أهل مذهب الاتحادية وهم أغلظ كفرا من اليهود والنصارى فكل من لم يدخل فى دين

محمد صلى الله عليه وسلم ويتبرأ من دين الاتحادية فهو كافر برىء من الاسلام ولاتصح الصلاة خلفه ولاتقبل شهادته، والعجب كل العجب أن الذى يدعى المعرفة يزعم أنى لاأعرف كلام الله ولا كلام رسوله بل يدعى أنى أعرف كلام المتأخرين مثل الاقناع وغيره وصاحب الإقناع قد ذكر أن من شك فى كفر هؤلاء السادة والمشائخ فهو كافر، سبحان الله، كيف يفعلون أشياء فى كتابهم وأن من فعلها كفر، ومع هذا يقولون نحن أهل المعرفة وأهل الصواب وغيرنا صبيان جهال والصبيان يقولون أظهروا لنا كتابكم ويأبون عن إظهاره، أما فى هذا ما يدل على جهالتهم وضلالتهم، وكذلك أيضا من جهالة هؤلاء وضلالتهم إذا رأوا من يعلم الشيوخ وصبيانهم أو البدو شهادة أن لا إله إلا الله قالوا: قولوا لهم يتركون الحرام وهذا من عظيم جهلهم فإنهم لايعرفون إلا ظلم الأموال؛ وأما ظلم الشرك فلا يعرفون وقد قال الله تعالى (إن الشرك لظلم عظيم) وأين الظلم الذى إذا تكلم الإنسان بكلمة منه أو مدح الطواغيت أو جادل عنهم خرج من الاسلام، ولو كان صائما قائما من الظلم الذى لا يخرج من الاسلام بل إما أن يؤدى إلى صاحبه بالقصاص وإما أن يغفره الله فبين الموضعين فرق عظيم.

وبالجملة رحمكم الله إذا عرفتم ماتقدم أن نبيكم صلى الله عليه وسلم قد بين الدين كله فاعلموا أن هؤلاء الشياطين قد أحلوا كثيرا من الحرام فى الربا والبيع وغير ذلك وحرموا عليكم كثيرا من الحلال وضيقوا ما وسعه الله فإذا رأيتم الاختلاف فاسألوا عما أمر الله به ورسوله ولا تطيعونى ولا غيرى، وسلام عليكم ورحمة الله.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى هدانا للاسلام ومنّ علينا باتباع محمد عليه أفضل الصلاة والسلام وبعد، فيقول العبد الفقير إلى الله تعالى عبد الله بن عيسى بن عبد الرحمن: إن أول واجب على كل ذكر وأنثى معرفة شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الذى أرسل الله بها جميع رسله وأنزل لأجلها جميع كتبه وجعلها أعظم حقه على عباده كما ذكر الله لنا فى كتابه وعلى لسان رسوله فى مواضع لاتحصى، منها قوله تعالى (وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحى إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون) وقال تعالى (ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده أن أنذروا أنه لا إله إلا أنا فاتقون) وقال (فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة) الآية،

وقد أمر الله عباده بالاستجابة لهذه الكلمة فقال (استجيبوا لربكم من قبل أن يأتى يوم لا مردّ له من الله ما لكم من ملجأ يومئذ وما لكم من نكير) وتوعد سبحانه أفضل الخلق وأكرمهم سيد ولد آدم والنبيين قبله على مخالفتها فقال: (ولقد أوحى إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين) فكيف بغيرهم من سائر الخلق، وقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون) فمن نصح نفسه وأهله وعياله وأراد النجاة من النار فليعرف شهادة أن لا إله إلا الله، فإنها العروة الوثقى وكلمة التقوى لا يقبل الله من أحد عملا إلا بها لا صلاة ولا صوما ولا حجاً ولا صدقة ولا جميع الأعمال الصالحة إلا بمعرفتها والعمل بها، وهى كلمة التوحيد وحق الله على العبيد، فمن أشرك مخلوقا فيها من ملك مقرب أو نبىّ مرسل أو ولىّ أو صحابى وغيره أو صاحب قبر أو جنى أو غيره أو استغاث به أو استعان به فيما لا يطلب إلا من الله أو نذر له أو ذبح له أو توكل عليه أو رجاه أو دعاه دعاء استغاثة أو استعانة أو جعله واسطة بينه وبين الله لقضاء حاجته أو لجلب نفع أو كشف ضر فقد كفر كفر عباد الأصنام القائلين (ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى) القائلين (هؤلاء شفعاؤنا عند الله) كما ذكر الله عنهم فى كتابه وهم مخلدون فى النار وإن صاموا وصلوا وعملوا بطاعة الله الليل والنهار كما قال تعالى (إن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين) الآية وغيرها من الآيات، وكذلك من ترشح بشىء من ذلك أو أحب من ترشح له أو ذب عنه وجادل عنه فقد أشرك شركا لا يغفر ولا يقبل ولا تصح منه الأعمال الصالحة الصوم والحج وغيرها ف(إن الله لا يغفر أن يشرك به) ولا يقبل عمل المشركين، وقد نهى الله نبيه وعباده عن المجادلة عمن فعل ما دون الشرك من الذنوب بقوله (ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم) الآية، فكيف بمن جادل عن المشركين وصدّ عن دين رب العالمين فالله الله عباد الله لا تغتروا بمن لا يعرف شهادة أن لا إله إلا الله وتلطخ بالشرك وهو لا يشعر فقد مضى أكثر حياتى ولم أعرف من أنواعه ما أعرفه اليوم، فلله الحمد على ما علمنا من دينه ولا يهولنكم اليوم أن هذا الأمر غريب فإن نبيكم صلى الله عليه وسلم قال «بدا الاسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدا» واعتبروا بدعاء أبينا إبراهيم عليه السلام بقوله فى دعائه (واجنبنى وبنىّ أن نعبد الأصنام.

رب إنهن أضللن كثيراً من الناس) ولولا ضيق هذه الكراسة وأن الشيخ محمدا أجاد وأفاد بما أسلفه من الكلام فيها لأطلنا الكلام. وأما الاتحادى ابن عربى صاحب الفصوص المخالف للنصوص وابن الفارض الذى لدين الله محارب وبالباطل للحق معارض فمن تمذهب بمذهبهما فقد اتخذ مع غير الرسول سبيلا وانتحل طريق المغضوب عليهم والضالين المخالفين لشريعة سيد المرسلين، فإن ابن عربى وابن الفارض ينتحلان نحلا تكفرها وقد كفرهم كثير من العلماء العاملين فهؤلاء يقولون كلاما أخشى المقت من الله فى ذكره فضلا عمن انتحله فإن لم يتب إلى الله من انتحل مذهبهما وجب هجره وعزله عن الولاية إن كان ذا ولاية من إمامة أو غيرها فإن صلاته غير صحيحة لا لنفسه ولا لغيره فإن قال جاهل أرى عبد الله توه يتكلم فى هذا الأمر فيعلم أنه إنما تبين لى الآن وجوب الجهاد فى ذلك علىّ وعلى غيرى لقوله تعالى (وجاهدوا فى الله حق جهاده) إلى أن قال(ملة أبيكم إبراهيم)وصلى الله على محمد وآله وسلم .

ومنها الرسالة التى أرسلها إلى بعض البلدان قال فيها :

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن عبد الوهاب إلى من يصل إليه هذا الكتاب من المسلمين، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وبعد، فاعلموا رحمكم الله أن الله بعث محمدا صلى الله عليه وسلم إلى الناس بشيرا ونذيرا مبشرا لمن اتبعه بالجنة ومنذرا لمن لايتبعه بالنار وقد علمتم إقرار كل من له معرفة أن التوحيد الذى بينا للناس هو الذى أرسل الله به رسله حتى كل مطوع معاند يشهد بذلك وأن الذى عليه غالب الناس من الاعتقادات فى الصالحين وفى غيرهم هو الشرك الذى قال الله فيه(إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار) فإذا تحققتم هذا وعرفتم أنهم يقولون لو يترك أهل العارض التكفير والقتال كانوا على دين الله ورسوله ونحن ما جئناكم فى التكفير والقتال لكن ننصحكم بهذا الذى قطعتم أنه دين الله ورسوله إن كنتم تعلمونه وتعملون به إن كنتم من أمة محمد باطنا وظاهرا ، أنا أبين لكم هذه بمسألة القبلة أن النبى صلى الله عليه وسلم وأمته يصلون والنصارى يصلون لكن قبلته صلى الله عليه وسلم وأمته بيت الله وقبلة النصارى مطلع الشمس فالكل منا يصلى ولكن اختلفنا فى القبلة ولو أن رجلا من أمة محمد صلى الله عليه وسلم يقر بهذا ولكن يكره من يستقبل القبلة ويحب من يستقبل

الشمس أتظنون أن هذا مسلم ، وهذا ما نحن فيه فالنبي صلى الله عليه وسلم بعثه الله بالتوحيد وأن لايدعى مع الله أحد لانبي ولا غيره ، والنصارى يدعون عيسى رسول الله ويدعون الصالحين يقولون ليشفعوا لنا عند الله فإذا كان كل مطواع مقرا بالتوحيد فاجعلوا التوحيد مثل القبلة واجعلوا الشرك مثل استقبال المشرق مع أن هذا أعظم من القبلة وأنا أنصحكم لله وأنجاكم لا تضيعوا حظكم من الله وتحبون دين النصارى على دين نبيكم فماظنكم بمن واجه الله وهو يعلم من قلبه أنه عرف أن التوحيد دينه ودين رسوله وهو يبغضه ويبغض من اتبعه ويعرف أن دعوة غيره هو الشرك ويحبه ويحب من اتبعه أتظنون أن الله يغفر لهذا والنصيحة لمن خاف عذاب الآخرة. وأما القلب الخالى من ذاك فلا والسلام.

ومنها رسالة أرسلها إلى فاضل آل مزيد رئيس بادية الشام قال فيها .

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن عبد الوهاب إلى الشيخ فاضل آل مزيد زاده الله من الإيمان وأعاذه من نزغات الشيطان . أما بعد فالسبب فى المكاتبة أن راشد بن عربان ذكر لنا عنك كلاما حسنا أسرّ الخاطر وذكر عنك أنك طالب منى المكاتبة بسبب ما يجيبك من كلام العدوان من الكذب والبهتان وهذاهو الواجب من مثلك أنه لايقبل كلاما إلا إذا تحققه ، وأنا أذكر لك أمرين قبل أن أذكر لك صفة الدين : الأمر الأول أنى أذكر لمن خالفنى أن الواجب على الناس اتباع ما وصى به النبى صلى الله عليه وسلم أمته وأقول لهم الكتب عندكم انظروا فيها ولا تأخذوا من كلامى شيئاً لكن إذا عرفتم كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى فى كتبكم فاتبعوه ولو خالفه أكثر الناس. والأمر الثانى أن هذا الذى أنكروا علىّ وأبغضونى وعادونى من أجله إذا سألوا عنه كل عالم فى الشام واليمن أو غيرهم يقول هذا هو الحق وهو دين الله ورسوله ولكن ما أقدر أن أظهره فى مكانى لأجل أن الدولة ما يرضون، وابن عبدالوهاب أظهره لأن الحاكم فى بلده ما أنكره بل لما عرف الحق اتبعه هذا كلام العلماء وأظن أنه وصلك كلامهم فأنت تفكر فى الأمر الأول وهو قولى لا تطيعونى ولا تطيعوا إلا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى فى كتبكم وتفكر فى الأمر الثانى أن كل عاقل مقرّ به لكن مايقدر أن يظهره . فقدم لنفسك ماينجيك عند الله. واعلم أنه لاينجيك إلا اتباع

رسول الله صلى الله عليه وسلم، والدنيا زائلة والجنة والنار ماينبغى للعاقل أن ينساهما.
وصورة الأمر الصحيح أنى أقول ما يدعى إلا الله وحده لاشريك له كما قال تعالى فى كتابه (لاتدعوا مع الله أحداً) وقال فى حق النبى صلى الله عليه وسلم (قل إنى لا أملك لكم ضراً ولا رشداً) فهذا كلام الله والذى ذكره لنا رسول الله ووصانا به ونهى الناس أن لا يدعوه فلما ذكرت لهم أن هذه المقامات التى فى الشام والحرمين وغيرهم أنها على خلاف أمر الله ورسوله وأن دعوة الصالحين والتعلق بهم هو الشرك بالله الذى قال الله فيه (إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار) فلما أظهرت هذا أنكروه وكبر عليهم وقالوا أجعلتنا مشركين وهذا ليس إشراكا. هذا كلامهم وهذا كلامى أسنده عن الله ورسوله وهذا هو الذى بينى وبينكم فإن ذكر عنى شىء غير هذا فهو كذب وبهتان، والذى يصدق كلامى هذا أن العالم ما يقدر أن يظهره حتى من علماء الشام، من يقول هذا هو الحق ولكن لايظهره إلا من يحارب الدولة وأنت ولله الحمد ما تخاف إلا الله، نسأل الله أن يهدينا وإياكم إلى دين الله ورسوله والله أعلم.
ومنها رسالة أرسلها إلى السويدى عالم من أهل العراق وكان قد أرسل له كتابا وسأله عما يقول الناس فيه، فأجابه بهذه الرسالة وهى :

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن عبد الوهاب إلى عبد الرحمن بن عبد الله سلام عليكم ورحمة الله وبركاته. أما بعد فقد وصل كتابك وسر الخاطر جعلك الله من أئمة المتقين ومن الدعاة إلى دين سيد المرسلين وأخبرك أنى ولله الحمد متبع ولست بمبتدع عقيدتى ودينى الذى أدين الله به مذهب أهل السنة والجماعة الذى عليه أئمة المسلمين مثل الأئمة الأربعة وأتباعهم إلى يوم القيامة لكنى بينت للناس إخلاص الدين لله ونهيتهم عن دعوة الأحياء والأموات من الصالحين وغيرهم، وعن إشراكهم فيما يعبد الله به من الذبح والنذر والتوكل والسجود وغير ذلك مما هو حق الله الذى لايشركه فيه ملك مقرب ولا نبى مرسل، وهو الذى دعت إليه الرسل من أولهم إلى آخرهم وهو الذى عليه أهل السنة والجماعة وبينت لهم أن أول من أدخل الشرك فى هذه الأمة هم الرافضة الملعونة الذين يدعون عليا وغيره ويطلبون منهم قضاء الحاجات وتفريج الكربات وأنا صاحب منصب فى قريتى مسموع الكلمة فأنكر هذا بعض الرؤساء لأنه خالف

عادة نشئوا عليها وأيضاً ألزمت من تحت يدى بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وغير ذلك من فرائض الله ونهيتهم عن الربا وشرب المسكر وأنواع من المنكرات فلم يمكن الرؤساء القدح فى هذا وعيبه لكونه مستحسنا عند العوام فجعلوا قدحهم وعداوتهم فيما آمر به من التوحيد وأنهى عنه من الشرك ولبسوا على العوام أن هذا خلاف ما عليه أكثر الناس وكبرت الفتنة جدا وأجلبوا علينا بخيل الشيطان ورجله : منها إشاعة البهتان بما يستحى العاقل أن يحكيه فضلا عن أن يفتريه ، ومنها ما ذكرتم أنى أكفر جميع الناس إلا من اتبعنى وأزعم أن أنكحتهم غير صحيحة . ويا عجبا كيف يدخل هذا فى عقل عاقل هل يقول هذا مسلم أو كافر أو عارف أو مجنون ، وكذلك قولهم إنه يقول لو أقدر أهدم قبة النبى صلى الله عليه وسلم لهدمتها . وأما دلائل الخيرات فله سبب وذلك أنى أشرت على من قبل نصيحتى من إخوانى أن لا يصير فى قلبه أجل من كتاب الله ويظن أن القراء فيه أجل من قراءة القرآن . وأما إحراقه والنهى عن الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم بأى لفظ كان فهذا من البهتان . والحاصل أن ما ذكر عنا من الأسباب غير دعوة الناس إلى التوحيد والنهى عن الشرك فكله من البهتان ، وهذا لو خفى على غيركم فلا يخفى على حضرتكم ولو أن رجلا من أهل بلدكم ولو كان أحب الخلق إلى الناس قام يلزم الناس الإخلاص ويمنعهم من دعوة أهل القبور وله أعداء وحساد أشد منه رياسة وأكثر أتباعا وقاموا يرمونه بما تسمع ويوهمون الناس أن هذا تنقص بالصالحين وأن دعوتهم من إجلالهم واحترامهم تعلمون كيف يجرى عليه ومع هذا وأضعافه فلا بد من الإيمان بما جاء به الرسول ونصرته كما أخذ الله على الأنبياء قبله وأممهم فى قوله تعالى (وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه) فلما فرض الله الإيمان لم يجز ترك ذلك وأنا أرجو أن الله يكرمك بنصر دينه ونبيه وذلك بمقتضى الاستطاعة ولو بالقلب والدعاء وقد قال صلى الله عليه وسلم « إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم » فإن رأيت عرض كلامى على من ظننت أنه يقبل من إخواننا فإن الله لا يضيع أجر من أحسن عملا ومن أعجب ما جرى من الرؤساء المخالفين أنى لما بينت لهم كلام الله وما ذكر أهل التفسير فى قوله (أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب) وقوله (ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله) وقوله (ما نعبدهم إلا ليقربونا

إلى الله زلفى) وما ذكر الله من إقرار الكفار فى قوله (قل من يرزقكم من السماء والأرض) الآية وغير ذلك ، قالوا القرآن لا يجوز العمل به لنا ولأمثالنا ولا بكلام الرسول ولا بكلام المتقدمين ولا نطيع إلا ما ذكره المتأخرون ، قلت لهم أنا أخاصم الحنفى بكلام المتأخرين من الحنفية والمالكى والشافعى والحنبلى كل أخاصمه بكتب المتأخرين من علمائهم الذين يعتمدون عليهم فلما أبوا ذلك نقلت لهم كلام العلماء من كل مذهب وذكرت ما قالوا بعد ما حدثت الدعوة عند القبور والنذر لها فعرفوا ذلك وتحققوه ولم يزدهم إلا نفورا.

وأما التكفير فأنا أكفر من عرف دين الرسول ثم بعد ما عرفه سبه ونهى الناس عنه وعادى من فعله فهذا هو الذى أكفره ، وأكثر الأمة ولله الحمد ليسوا كذلك.

وأما القتال فلم نقاتل أحدا إلى اليوم إلا دون النفس والحرمة وهم الذين أتونا فى ديارنا ولا أبقوا ممكنا ولكن قد نقاتل بعضهم على سبيل المقابلة (وجزاء سيئة سيئة مثلها) وكذلك من جاهر بسب دين الرسول بعد ما عرفه والسلام .

ومنها رسالة أرسلها إلى مطاوعة أهل الدرعية وهو إذ ذاك فى بلد العيينة قال فيها :

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن عبد الوهاب إلى عبد الله بن عيسى وابنه عبد الوهاب وعبد الله بن عبد الرحمن حفظهم الله تعالى ، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وبعد ، فقد ذكر لى أحمد أنه مشكل عليكم الفتيا بكفر هؤلاء الطواغيت مثل أولاد شمسان وأولاد إدريس والذين يعبدونهم مثل طالب وأمثاله ، فيقال أولا دين الله تعالى ليس لى دونكم فإذا أفتيت أو عملت بشىء وعلمتم أنى مخطىء وجب عليكم تبيين الحق لأخيكم المسلم وإن لم تعلموا وكانت المسألة من الواجبات مثل التوحيد فالواجب عليكم أن تطلبوا وتحرصوا حتى تفهموا حكم الله ورسوله فى تلك المسألة ، وما ذكر أهل العلم قبلكم فإذا تبين حكم الله ورسوله بيانا كالشمس فلا ينبغى لرجل يؤمن بالله واليوم الآخر أن يرده لكونه مخالفا لهواه أو لما عليه أهل وقته ومشايخه فإن الكفر كما قال ابن القيم فى نونيته .

فالكفر ليس سوى العناد ورد ما ... جاء الرسول به لقول فلان

فانظر لعلك هكذا دون التى ... قد قالها فتبوء بالخسران

ومتى لم تتبين لكم المسألة لم يحل لكم الإنكار على من أفتى أو عمل حتى يتبين

لكم خطؤه بل الواجب السكوت والتوقف فإذا تحققتم الخطأ بينتموه ولم تهدروا جميع المحاسن لأجل مسألة أو مائة أو مائتين أخطأت فيهن فإنى لا أدعى العصمة وأنتم تقرون أن الكلام الذى بينته فى معنى لا إله إلا الله هو الحق الذى لاريب فيه، سبحان الله إذا كنتم تقرون بهذا فرجل بين الله به دين الإسلام ، وأنتم ومشايخكم ومشايخهم لم يفهموه ولم يميزوا بين دين محمد صلى الله عليه وسلم ودين عمرو بن لحى الذى وضعه للعرب بل دين عمرو عندهم دين صحيح ويسمونه رقة القلب والاعتقاد فى الأولياء، ومن لم يفعل فهو متوقف لايدرى ما هذا ولا يفرق بينه وبين دين محمد صلى الله عليه وسلم،فالرجل الذى هدا كم الله به لهذا إن كنتم صادقين لو يكون أحب إليكم من أموالكم وأولادكم لم يكن كثيرا فكيف يقال أفتى فى مسألة الوقف أفتى فى كذا أفتى فى كذا كلها ولله الحمد على الحق إلا أنها مخالفة لعادة الزمان ودين الآباء وأنا إلى الآن أطلب الدليل من كل من خالفنى فإذا قيل له استدل أو اكتب أو اذكر حاد عن ذلك وتبين عجزه لكن يجتهدون الليل والنهار فى صد الجهال عن سبيل الله ويبغونها عوجا، اللهم إلا إن كنتم تعتقدون أن كلامى باطل وبدعة مثل ما قال غيركم ، وأن الاعتقاد فى الزاهد وشمسان والمطيوية والاعتماد عليهم هو الدين الصحيح وكل ما خالفه بدعة وضلالة فتلك مسألة أخرى إذا ثبت هذا فتكفير هؤلاء المرتدين انظروا فى كتاب الله من أوله إلى آخره والمرجع فى ذلك إلى ماقاله المفسرون والأئمة،فإن جادل منافق بكون الآية نزلت فى الكفار فقولوا له هل قال أحد من أهل العلم أولهم وآخرهم إن هذه الآيات لاتعم من عمل بها من المسلمين من قال هذا قبلك، وأيضا فقولوا له هذا رد على إجماع الأمة فإن استدلالهم بالآيات النازلة فى الكفار على من عمل بها ممن انتسب إلى الإسلام أكثر من أن تذكر،وهذا أيضا كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم فيمن فعل مثل هذه الأفاعيل مثل الخوارج العباد الزهاد الذين يحقر الإنسان الصحابة عندهم وهم بالإجماع لم يفعلوا ما فعلوا إلا باجتهاد وتقرب إلى الله وهذه سيرة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيمن خالف الدين ممن له عبادة واجتهاد مثل تحريق على رضى عنه من اعتقد فيه بالنار وأجمع الصحابة على قتلهم وتحريقهم إلا ابن عباس رضى الله عنهما خالفهم فى التحريق فقال ، يقتلون بالسيف وهؤلاء الفقهاء من أولهم إلى آخرهم عقدوا باب حكم المرتد للمسلم إذا فعل كذا وكذا

ومصداق ذلك فى هذه الكتب الذى يقول المخالف جمعوا فيها الثمر وهم أعلم منا وهم وهم، انظروا فى متن الإقناع فى باب حكم المرتد هل صرح أن من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم أنه كافر بإجماع الأمة ، وذكر فيمن اعتقد فى على بن أبى طالب ما يعتقده طالب فى حسين وإدريس أنه لاشك فى كفره بل لا يشك فى كفر من شك فى كفره، وأنا ألزم عليكم أنكم تحققون النظر فى عبارات الإقناع وتقرءونها قراءة تفهم وتعرفون ماذكر فى هذا وما ذكر فى التشنيع على من الأصدقاء عرفتم شيئا من مذاهب الآباء وفتنة الأهواء، وإذا تحققتم ذلك وطالعتم الشروح والحواشى، فإذا إنى لم أفهمه وله معنى آخر فارشدونى، وعسى الله أن يهدينا وإياكم وإخواننا لما يحب ويرضى ولا يدخل خواطركم غلظة هذا الكلام ، فالله سبحانه يعلم قصدى به والسلام.

ومنها رسالة أرسلها أيضا إلى عبد الله بن عيسى وابنه عبد الوهاب قال فيها :

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن عبد الوهاب إلى عبد الله بن عيسى وعبد الوهاب ، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد فقد ذكر لى أنكم زعلانين على فى هذه الأيام بعض الزعل ولا يخفاك أنى زعلان زعلا كبيرا وناقد عليكم نقوداً أكبر من الزعل ، ولكن وابطناه واظهراه ومعى فى هذه الأيام بعض تنغص المعيشة والكدر مما يبلغنى عنكم والله سبحانه إذا أراد أمراً فلا رادّ له وإلا ماخطر على البال أنكم ترضون لأنفسكم بهذا ثم من العجب كفكم عن نفع المسلمين فى المسائل الصحيحة وتقولون لايتعين علينا الفتيا ثم تبالغون فى مثل هذه الأمور مثل التذكير الذى صرحت الأدلة والإجماع وكلام الإقناع بإنكاره ولاودى أنكم بعد ماأنزلكم الله هذه المنزلة وأنعم عليكم بما تعلمون وما لاتعلمون وجعلكم من أكبر أسباب قبول الناس لدين ربكم وسنة نبيكم وجهادكم فى ذلك وصبركم على مخالفة دين الآباء أنكم ترتدون على أعقابكم ، وسبب هذا أنه ذكر لى عنكم أنكم ظننتم أنى أعنيكم ببعض الكلام الذى أجبت به من اعتقد حل الرشوة وأنه مزعلكم فياسبحان الله كيف أعنيكم به وأنا كاتب لكم تسجلون عليه وتكونون معى أنصارا لدين الله وقيل لى إنكم ناقدون علىّ بعض الغلظة فيه على ملقاه والأمر أغلظ مما ذكرنا ولولا أن الناس إلى الآن ماعرفوا دين الرسول وأنهم يستنكرون الأمر الذى لم يألفوه لكان شأن آخر ، بل والله الذى لاإله إلا هو لو

يعرف الناس الأمر على وجهه لأفتيت بحل دم ابن سحيم وأمثاله ووجوب قتلهم كما أجمع على ذلك أهل العلم كلهم لا أجد فى نفسى حرجا من ذلك ، ولكن إن أراد الله أن يتم هذا الأمر تبين أشياء لم تخطر لكم على بال وإن كانت من المسائل التى إذا طلبتم الدليل بينا أنها من إجماع أهل العلم وبالخاطر لا يخفاكم أن معى غيظ عظيم ومضايقة من زعلكم وأنتم تعلمون أن رضا الله ألزم والدين لا محاباة فيه وأنتم من قديم لا تشكون فىّ والآن غايتكم قريبة وداخلتكم الريبة وأخاف أن يطول الكلام فيجرى فيه شئ يزعلكم وأنا فىّ بعض الحدة فأنا أشير عليكم وألزم أن عبد الوهاب يزورنا سواء كان يومين وإلا ثلاثة ، وإن كان أكثر يصير قطعا لهذه الفتنة ويخاطبنى وأخاطبه من الرأس ، وإن كان كبر عليه الأمر فيوصى لى وأعنى له فإن الأمر الذى يزيل زعلكم ويؤلف الكلمة ويهديكم الله بسببه نحرص عليه ولو هو أشق من هذا اللهم إلا أن تكونوا ناظرين شيئاً من أمر الله فالواجب عليكم اتباعه والواجب علينا طاعتكم والانقياد لكم وإن أبينا كان الله معكم وخلقه ، ولا يخفاكم أنه وصلنى أمس رسالة فى صفة مذاكرتكم فى التذكير وتطلبون منى جوابا عن أدلتكم وأنتم ضحكتم على ابن فيروز وتسافهتموه وتساخفتم عقله فى جوابه وانحرفتم تعدلون عدالة لكن ما أنا بكاتب لهم جوابا لأن الأمر معروف أنه منكم وأخاف أن أكتب لهم جوابا فينشرونه فيزعلكم وأشوف غايتكم قريبة وتحملون الأمر على غير محمله والسلام .

ومنها رسالة كتبها إلى عبد الوهاب بن عبد الله بن عيسى قال فيها :

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن عبد الوهاب إلى عبد الوهاب بن عبد الله ، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وبعد فقد ، وصل كتابك وما ذكرت فيه من الظن والتجسس وقبول خبر الفاسق فكل هذا حق وأريد به باطل ، والعجب منك إذا كنت من خمس سنين تجاهد جهادا كبيرا فى رد دين الإسلام فإذا جاءك مساعد أو ابن راجح وإلا صالح بن سليم وأشباه هؤلاء الذين تلقنهم شهادة أن لا إله إلا الله وأن عبادة المخلوقات كفر وأن الكفر بالطاغوت فرض قمت تجاهد وتبالغ فى نقض ذلك والاستهزاء به ، وليس الذى يذكر هذا عنك بعشرة ولا عشرين ولا ثلاثين ولا أنت بمتخف فى ذلك ثم تظن فى خاطرك أن هذا يخفى علىّ وأنا أصدقك إذا قلت ما قلت ولو أن الذى جرى عشرة أو عشرون

أو ثلاثون مرة أمكن تعداد ذلك. وأحسن ماذكرت أنك تقول (ربنا ظلمنا أنفسنا) وتقر بالذنب وتجاهد فى إطفاء الشرك وإظهار الإسلام كما جاهدت فى ضده ويصير ماتقر به كأن لم يكن، فإن كنت تريد الرفعة فى الدنيا والجاه حصل لك بذلك مالا يحصل بغيره من الأمور بأضعاف مضاعفة ، وإن أردت به الله والدار الآخرة فهى التجارة الرابحة وأتتك الدنيا تبعاً، وإن كنت تظن فى خاطرك أنا نبغى أن نداهنك فى دين الله ولو كنت أجل عندنا مما كنت فأنت مخالف فإن كنت تتهمنى بشىء من أمور الدنيا فلك الشرهة ، فإن كان أنى أدعو لك فى سجودى وأنت وأبوك أجل الناس إلى وأحبهم عندى ، وأمرك هـذا أشق على من أمر أهل الحسا خصوصاً بعد مااستركبت أباك وخربته فعسى الله أن يهدينا وإياك لدينه القيم ويطرد عنا الشيطان ويعيذنا من طريق المغضوب عليهم والضالين .

ومنها رسالة كتبها إلى أحمد بن محمد بن سويلم وثنيان بن سعود قال فيها :

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن عبد الوهاب إلى الأخوين أحمد بن محمد وثنيان ، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وبعد فقد ذكر لى عنكم أن بعض الأخوان تكلم فى عبد المحسن الشريف يقول إن أهل الحسا يحبون على يدك وأنك لابس عمامة خضراء والإنسان لايجوز له الإنكار إلا بعد المعرفة فأول درجات الإنكار معرفتك أن هذا مخالف لأمر الله وأما تقبيل اليد فلا يجوز إنكار مثله وهى مسألة فيها اختلاف بين أهل العلم ، وقد قبل زيد بن ثابت يد ابن عباس وقال : هكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت نبينا، وعلى كل حال فلا يجوز لهم إنكار كل مسألة لايعرفون حكم الله فيها . وأما لبس الأخضر فإنها أحدثت قديما تمييزا لأهل البيت لئلا يظلمهم أحد أو يقصر فى حقهم من لايعرفهم ، وقد أوجب لأهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم على الناس حقوقا فلا يجوز لمسلم أن يسقط حقهم ويظن أنه من التوحيد بل هو من الغلو ونحن ماأنكرنا إكرامهم إلا لأجل الألوهية أو إكرام المدعى لذلك، وقيل إنه ذكر عنه أنه معتذر عن بعض الطواغيت، وهذه مسألة جليلة ينبغى التفطن لها وهى قوله تعالى (ياأيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا) فالواجب عليهم إذا ذكر لهم عن أحد منكرا عدم العجلة

فإذا تحققوه أتوا صاحبه ونصحوه فإن تاب ورجع وإلا أنكر عليه وتكلم فيه ، فعلى كل حال نبهوهم على مسئلتين : الأولى عدم العجلة ولا يتكلمون إلا مع التحقق فإن التزوير كثير . الثانية أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يعرف المنافقين بأعيانهم ويقبل علانيتهم ويكل سرائرهم إلى الله فإذا ظهر منهم وتحقق مايوجب جهادهم جاهدهم وغير ذلك عبدالرحمن بن عقيل رجع إلى الحق ولله الحمد، ولكن ودى أن أقرأ عليه رسالة ابن شلهوب وغيرها وأنت ياأحمد على كل حال أرسل المجموع مع أول من يقبل وأرسلها فيه خذه من سليمان لاتغفل تراك خالفت خلافا كبيرا فى هذا المجموع والسلام.

ومنها رسالة أرسلها إلى عبد الله بن سويلم حين غضب على ابن عمه أحمد فى شدته على المنافقين قال فيها :

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن عبد الوهاب إلى عبد الله بن عبد سويلم ، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وبعد ،فقد ذكر لى ابن زيدان أنك ياعبد الله زعل على أحمد بعض الزعل لما تكلم فىّ بعض المنافقين ، ولا يخفاك أن بعض الأمور كما قال تعالى (وتحسبونه هينا وهو عندالله عظيم) وذلك أنى لاأعرف شيئاً يتقرب به إلى الله أفضل من لزوم طريقة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حال الغربة فإن انضاف إلى ذلك الجهاد عليها للكفار والمنافقين كان ذلك تمام الإيمان . فإذا أراد أحد من المؤمنين أن يجاهد فأتاه بعض إخوانه فذكر له أن أمرك للدنيا أخاف أن يكون هـذا من جنس الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين فى الصدقات ، فأنتم تأملوا تفسير الآية ثم نزلوه على هذه الواقعة، وأيضاً فى صحيح مسلم «أن أبا سفيان مرّ على بلال وسلمان وأجناسهما فقالوا ماأخذت سيوف الله من عنق عدو الله مأخذها فقال أبوبكر أتقولون هذا لشيخ قريش وسيدها ثم أتى النبى صلى الله عليـه وسلم فذكر له ذلك فقال : ياأبا بكر لئن كنت أغضبتهم لقد أغضبت ربك» ومن أفضل الجهاد جهاد المنافقين فى زمن الغربة . فإذا خاف أحد منكم من بعض إخوانه قصدا مسيئا فلمينصحه برفق وإخلاص لدين الله وترك الرياء والقصد الفاسد ولا يفل عزمه عن الجهاد ولا يتكلم فيه بالظن السىء وينسبه إلى ما لايليق ولا يدخل خاطرك شىء من النصيحة . فلو أدرى أنه يدخل

خاطرك ماذكرته وأنا أجد فى نفسى أن ودى من ينصحنى كلما غلطت والسلام .
ومنها رسالة كتبها إلى أحمد بن ابراهيم مطوع مرات من بلدان الوشم وكان قد أرسل إليه رسالة فأجابه الشيخ بهذه .

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن عبد الوهاب إلى أحمد بن إبراهيم هدانا الله وإياه .

وبعد ماذكرت من مسألة التكفير وقولك ابسط الكلام فيها فلو بيننا اختلاف أمكننى أن أبسط الكلام أو أمتنع ، وأما إذا اتفقنا على الحكم الشرعى لا أنت بمنكر الكلام الذى كتبت إليك ، ولا أنا بمنكر العبارات التى كتبت إلىّ وصار الخلاف فى أناس معينين أقروا أن التوحيد الذى ندعو إليه دين الله ورسوله وأن الذى نهى عنه فى الحرمين والبصرة والحسا هو الشرك بالله ولكن هؤلاء المعينون هل تركوا التوحيد بعد معرفته وصدوا الناس عنه أم فرحوا به وأحبوه ودانوا به وتبرءوا من الشرك وأهله ، فهذه ليس مرجعها إلى طالب العلم بل مرجعها إلى علم الخاص والعام . مثال ذلك إذا صح أن أهل الحسا والبصرة يشهدون أن التوحيد الذى نقول دين الله ورسوله . وأن هذا المفعول عندهم فى الأحياء والأموات هو الشرك بالله . ولكن أنكروا علينا التكفير والقتال خاصة . والمرجع فى المسألة إلى الحضر والبدو والنساء والرجال هل أهل قبة الزبير وقبة الكواز تابوا من دينهم وتبعوا ما أقروا به من التوحيد وهم على دينهم ولو يتكلم الإنسان بالتوحيد فسلامته على أخذ ماله ، فإن كنت تزعم أن الكواوزة وأهل الزبير تابوا من دينهم وعادوا من لم يتب فتبعوا ما أقروا به وعادوا من خالفه هذا مكابرة ، وإن أقررتم أنهم بعد الإقرار أشد عداوة ومسبة للمؤمنين والمؤمنات كما يعرفه الخاص والعام وصار الكلام فى أتباع المويس وصالح بن عبد الله هل هم مع أهل التوحيد أم هم مع أهل الأوثان بل أهل الأوثان معهم وهم حزبة العدو وحاملو الراية فالكلام فى هذا نحيله على الخاص والعام فودى أنك تسرع بالنفور فتتوجه إلى الله وتنظر نظر من يؤمن بالجنة والخلود فيها ويؤمن بالنار والخلود فيها وتسأله بقلب حاضر أن يهديك الصراط المستقيم هذا مع أنك تعلم ماجرى من ابن إسماعيل وولد ابن ربيعة سنة الحبس لما شكونا عند أهل قبة أبى طالب يوم يكسيه صاية وجميع من معك من خاص وعام معهم إلى الآن وتعرف روحة المويس واتباعه لأهل قبة الكواز ، وسية طالب يوم

يكسيه صاية ويقول لهم طالع أناس ينكرون قببكم ، وقد كفروا وحل دمهم ومالهم وصار هـذا عندك وعند أهل الوشم وعند أهل سدير والقصيم من فضائل المويس ومناقبه وهم على دينه إلى الآن مع أن المكاتيب التى أرسلها علماء الحرمين مع المزيودى سنة الحبس عندنا إلى الآن تتناك ، وقد صرحوا فيها أن من أقر بالتوحيد كفر وحل ماله ودمه وقتل فى الحل والحرم ويذكرون دلائل على دعاء الأولياء فى قبورهم ، منها قوله تعالى (لهم مايشاءون عند ربهم) فإن كانت ليست عندك ولا صبرت إلى أن تجىء فأرسل إلى ولد محمد بن سليمان فى وشيقر ولسيف العتيق يرسلونها إليك ويجيبون عن قوله (أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة) أنهم يدعون على أنهم المعطون المانعون بالأصالة، وأما دعوتهم على أنهم شفعاء فهو الدين الصحيح ومن أنكره قتل فى الحل والحرم وأيضا جاءنا بعض المجلد الذى صنفه القبانى واستكتبوه أهل الحسا وأهل نجد وفيه نقل الإجماع على تحسين قبة الكواز وأمثالها وعبادتها وعبادة سية طالب ويقول فى تصنيفه إنه لم يخالف فى تصنيفه إلا ابن تيمية وابن القيم وعشرة أنا عاشرهم فالجميع اثنا عشر ، فإذا كان يوم القيامة اعتزلوا وحدهم عن جميع الأمة وأنتم إلى الآن على ماتعلم مع شهادتكم أن التوحيد دين الله ورسوله وأن الشرك باطل وأيضا مكاتيب أهل الحسا موجودة فأما ابن عبد اللطيف وابن عفالق وابن مطلق فحشوا بالزبيل أعنى سبابة التوحيد واستحلال دم من صدق به أو أنكر الشرك ولكن تعرف ابن فيروز أنه أقربهم إلى الإسلام وهو رجل من الحنابلة وينتحل كلام الشيخ وابن القيم خاصة ومع هذا صنف مصنفا أرسله إلينا قرر فيه أن هـذا الذى يفعل عند قبر يوسف وأمثاله هو الدين الصحيح واستدل فى تصنيفه بقول النابغة :

أيا قـبر النبي وصاحبيه   ووا مصيبتنا لو تعلمونا

وفى مصنف ابن مطلق الاستدلال بقول الشاعر :

وكن لى شفيعا يوم لاذو شفاعـة   سواك بمغن عن سواد بن قارب

ولكن الكلام الأول أبلغ من هذا كله وهو شهادة البدو والحضر والنساء والرجال إن هؤلاء الذين يقولون التوحيد دين الله ورسوله ، ويبغضونه أكثر من بغض اليهود والنصارى ويسبونه ويصدون الناس عنه ويجاهدون فى زواله وتثبيت

كتاب الله عند الحضر لكن كذبوا وكفروا واستهزءوا عنادا . ومع هذا تنكرون علينا كفرهم وتصرحون بأن من قال لاإله إلا الله لايكفر ثم تذكر فى كتابك أنك تشهد بكفر العالم العابد الذى ينكر التوحيد ولايكفر المشركين ويقول هؤلاء السواد الأعظم مايتيهون . فإن قلتم إن الأولين وإن كانوا علماء فلم يقصدوا مخالفة الرسول بل جهلوا وأنتم وأمثالكم تشهدون ليلا ونهارا أن هذا الذى أخرجنا للناس من التوحيد وإنكار الشرك إنه دين الله ورسوله وأن الخلاف منا التكفير والقتال ، ولو قدرنا أن غيركم يعذر بالجهل فأنتم مصرحون بالعلم والله أعلم .

ومنها رسالة أرسلها إلى عبد الرحمن بن ربيعة مطوع أهل ثادق ، وهى هذه :

بسم الله الرحمن الرحيم

السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم : من محمد بن عبدالوهاب إلى عبد الرحمن ابن ربيعة سلمه الله تعالى :

وبعد ، فقد وصل كتابك تسأل عن مسائل كثيرة وتذكر أن مرادك اتباع الحق ، منها مسألة التوحيد ، ولا يخفاك أن النبى صلى الله عليه وسلم لما بعث معاذاً إلى اليمن قال له « إن أول ما تدعوهم إليه أن يوحدوا الله فإنهم أجابوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات » إلى آخره . فإذا كان الرجل لايدعى إلى الصلوات الخمس إلا بعد مايعرف التوحيد ويقاد له فكيف بمسائل جزئية اختلف فيها العلماء . فاعلم أن التوحيد الذى دعت إليه الرسل من أولهم إلى آخرهم إفراد الله بالعبادة كلها ليس فيها حق لملك مقرب ولا نبى مرسل فضلا عن غيرهم فمن ذلك لايدعى إلا إياه كما قال تعالى (وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا) فمن عبد الله ليلا ونهارا ثم دعا نبياً أو ولياعند قبره فقد اتخذ إلهين اثنين ولم يشهد أن لاإله إلا الله لأن الإله هو المدعو كما يفعل المشركون اليوم عند قبر الزبير أو عبدالقادر أوغيرهم وكما يفعل قبل هذا عند قبر زيد وغيره ومن ذبح لله ألف أضحية ثم ذبح لنبى أو غيره فقد جعل إلهين اثنين كما قال تعالى (قل إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين) الآية. والنسك هو الذبح وعلى هذا فقس . فمن أخلص العبادات كلها ولم يشرك فيها غيره فهو الذى شهد أن لاإله إلا الله ومن جعل فيها مع الله غيره فهو المشرك الجاحد لقوله لاإله إلا الله وهذا الشرك الذى ذكره اليوم قد طبق مشارق الأرض ومغاربها إلا الغرباء المذكورين فى الحديث

(وقليل ماهم) وهذه المسألة لاخلاف فيها بين أهل العلم من كل المذاهب . فإذا أردت مصداق هـذا فتأمل باب حكم المرتد فى كل كتاب وفى كل مذهب وتأمل ماذكروه فى الأمور التى تجعل المسلم مرتدا يحل دمه وماله: منها من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم كيف حكى الإجماع فى الإقناع على ردته ثم تأمل ماذكروه فى سائر الكتب، فإن عرفت أن فى المسألة خلافا ولو فى بعض المذاهب فنبهنى ، وإن صح عندك الإجماع على تكفير من فعل هذا أو رضيه أو جادل فيه فهذه خطوط الويس وابن إسماعيل وأحمد بن يحى عندنا فى إنكار هذا الدين والبراءة منه ومن أهله وهم الآن مجتهدون فى صد الناس عنه . فإن استقمت على التوحيد وتبينت فيه ودعوت الناس إليه بعداوة هؤلاء خصوصا ابن يحى لأنه من أنجسهم وأعظمهم كفرا وصبرت على الأذى فى ذلك فأنت أخونا وحبيبنا وذلك محل المذاكرة فى المسائل التى ذكرت ، فإن بان الصواب معك وجب علينا الرجوع إليك ، وإن لم تستقم على التوحيد علماً وعملا ومجاهدة فليس هذا محل المراجعة فى المسائل والله أعلم .

ومنها رسالة أرسلها جوابا لرجل من أهل الحسا يقال له أحمد بن عبد الكريم وكان قد عرف التوحيد وكفر المشركين ، ثم إنه حصل له شبهة فى ذلك ، بسبب عبارات رآها فى كلام الشيخ تقى الدين ففهم منها غير مراد الشيخ رحمه الله، قال فيها :

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن عبد الوهاب إلى أحمد بن عبد الكريم ، سلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين .

أما بعد، فقد وصل مكتوبك تقرر المسألة التى ذكرت وتذكر أن عليك إشكالا تطلب إزالته ثم ورد منك مراسلة تذكر أنك عثرت على كلام للشيخ أزال عنك الإشكال فنسأل الله أن يهديك لدين الإسلام وعلى أى شئ يدل كلامه على أن من عبد الأوثان عبادة أكبر من عبادة (اللات والعزى) وسب دين الرسول بعد ماشهد به مثل سب أبى جهل أنه لايكفر بعينه بل العبارة صريحة واضحة فى تكفير مثل ابن فيروز وصالح ابن عبد الله وأمثالهما كفرا ظاهرا ينقل عن الملة فضلا عن غيرهما . هذا صريح واضح فى كلام ابن القيم الذى ذكرت وفى كلام الشيخ الذى أزال عنك الإشكال فى كفر من عبد الوثن الذى على قبر يوسف وأمثاله ودعاهم فى الشدائد والرخاء

وسب دين الرسل بعد ما أقر به ودان بعبادة الأوثان بعد ما أقر بها ، وليس في كلامي هذا مجازفة بل أنت تشهد به عليهم ولكن إذا أعمى الله القلب فلا حيلة فيه . وأنا أخاف عليك من قوله تعالى (ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم فهم لايفقهون) والشبهة التي أدخلت عليك هذه البضيعة التي في يدك تخاف تغدى أنت وعيالك إذا تركت بلد المشركين وشاك في رزق الله . وأيضا قرناء السوء أضلوك كما هي عادتهم ، وأنت والعياذ بالله تنزل درجة درجة أول مرة في الشك وبلد الشرك وموالاتهم والصلاة خلفهم وبراءتك من المسلمين مداهنة لهم ثم بعد ذلك طحت على ابن غنام وغيره وتبرأت من ملة إبراهيم وأشهدتهم على نفسك باتباع المشركين من غير إكراه لكن خوف ومداراة ، وغاب عنك قوله تعالى في عمار بن ياسر وأشباهه (من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان) إلى قوله (ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة) فلم يستثن الله إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان بشرط طمأنينة قلبه . والإكراه لايكون على العقيدة بل على القول والفعل . فقد صرح بأن من قال المكفر أو فعله فقد كفر إلا المكره بالشرط المذكور وذلك أن ذلك بسبب إيثار الدنيا لابسبب العقيدة فتفكر في نفسك هل أكرهوك وعرضوك على السيف مثل عمار أم لا ؟ وتفكر هل هذا بسبب أن عقيدته تغيرت أم بسبب إيثار الدنيا ، ولم يبق عليك إلا رتبة واحدة وهي : أنك تصرح مثل ابن رفيع تصريحا بسبة دين الأنبياء وترجع إلى عبادة العيدروس وأبي حديدة وأمثالهما ، ولكن الأمر بيد مقلب القلوب ، فأول ما أنصحك به أنك تفكر هل هذا الشرك الذي عندكم هو الشرك الذي ظهر نبيك صلى الله عليه وسلم ينهى عنه أهل مكة أم شرك أهل مكة نوع آخر أغلظ منه أم هذا أغلظ ؟ فإذا أحكمت المسألة وعرفت أن غاب من عندكم سمع الآيات وسمع كلام أهل العلم من المتقدمين والمتأخرين وأقر به وقال أشهد أن هذا هو الحق ونعرفه قبل ابن عبد الوهاب ثم بعد ذلك يصرح بمسبة ماشهد أنه الحق ويصرح بحسن الشرك واتباعه وعدم البراءة من أهله فتفكر هل هذه مسألة أو مسألة الردة الصريحة التي ذكرها أهل العلم في الردة ، ولكن العجب من دلائلك التي ذكرت كأنها أتت ممن لايسمع ولا يبصر . أما استدلالك بترك النبي صلى الله عليه وسلم ومن بعده تكفير المنافقين وقتلهم فقد صرح الخاص والعام ببديهة العقل أنهم لو يظهرون كلمة واحدة أو فعلا واحدا من

عبادة الأوثان أو مسبة التوحيد الذى جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم أنهم يقتلون أشر قتلة ، فإن كنت تزعم أن الذين عندكم أظهروا اتباع الدين الذى تشهد أنه دين الرسول صلى الله عليه وسلم وتبرءوا من الشرك بالقول والفعل ، ولم يبق إلا أشياء خفية تظهر على صفحات الوجه أو فلتة لسان فى السر وقد تابوا من دينهم الأول وقتلوا الطواغيت وهدموا البيوت المعبودة ، فقل لى ، وإن كنت تزعم أن الشرك الذى خرج عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أكبر من هذا فقل لى وإن كنت تزعم أن الإنسان إذا ظهر الإسلام لايكفر إذا أظهر عبادة الأوثان وزعم أنها الدين وأظهر سب دين الأنبياء وسماه دين أهل العارض وأفتى بقتل من أخلص لله الدين وإحراقه وحل ماله فهذه مسألتك ، وقد قررتها وذكرت أن من زمن النبى صلى الله عليه وسلم إلى يومنا هذا لم يقتلوا أحدا ولم يكفروه من أهل الملة ، أما ذكرت قول الله تعالى (لئن لم ينته المنافقون والذين فى قلوبهم مرض) إلى قوله (ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلا) واذكر قوله (ستجدون آخرين يريدون أن يأمنوكم ويأمنوا قومهم كلما ردوا إلى الفتنة أركسوا فيها) إلى قوله (فخذوهم واقتلوهم) الآية ، واذكر قوله فى الاعتقاد فى الأنبياء (أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون) واذكر ماصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه أشخص رجلا معه الراية إلى من تزوج امرأة أبيه ليقتله ويأخذ ماله فأى هذين أعظم؟ تزوج امرأة الأب أو سب دين الأنبياء بعد معرفته ، واذكر أنه قدهمّ بغزو بنى المصطلق لما قيل إنهم منعوا الزكاة حتى كذّب الله من نقل ذلك ، واذكر قوله فى أعبد هـذه الأمة وأشدهم اجتهاداً « لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد أينما لقيتموهم فاقتلوهم فإن فى قتلهم أجرا لمن قتلهم يوم القيامة » واذكر قتال الصديق وأصحابه مانعى الزكاة وسبى ذراريهم وغنيمة أموالهم ؛ واذكر إجماع الصحابة على قتل أهـل مسجد الكوفة وكفرهم وردتهم لما قالوا كلمة فى تقرير نبوة مسيلمة ، ولـكن الصحابة اختلفوا فى قبول توبتهم لما تابوا والمسألة فى صحيح البخارى وشرحه فى الكفالة ، واذكر إجماع الصحابة لما استفتاهم عمر على أن من زعم أن الخمر تحل للخواص مستدلا بقوله تعالى (ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا) مع كونه من أهل بدر وأجمع الصحابة على كفر من اعتقد فى علىّ مثل اعتقاد هؤلاء فى عبد القادر وردتهم وقتلهم فأحرقهم على بن أبى طالب رضى الله عنه وهم أحياء فخالفه ابن عباس فى الإحراق

وقال يقتلون بالسيف مع كونهم من أهل القرن الأول أخذوا العلم عن الصحابة، واذكر إجماع أهل العلم من التابعين وغيرهم على قتل الجعد بن درهم وأمثاله . قال ابن القيم :

شكر الضحية كل صاحب سنة   لله درك من أخى قربان

ولو ذهبنا نعدد من كفره العلماء مع ادعائه الإسلام وأفتوا بردته وقتله لطال الكلام لكن من آخر ما جرى قصة بنى عبيد ملوك مصر وطائفتهم وهم يدعون أنهم من أهل البيت ويصلون الجمعة والجماعة ونصبوا القضاة والمفتين وأجمع العلماء على كفرهم وردتهم وقتالهم وأن بلادهم بلاد حرب يجب قتالهم ولو كانوا مكرهين مبغضين لهم ، واذكر كلامه فى الإقناع وشرحه فى الردة كيف ذكروا أنواعا كثيرة موجودة عندكم، ثم قال منصور: وقد عمت البلوى بهذه الفرق وأفسدوا كثيرا من عقائد أهل التوحيد نسأل الله العفو والعافية . هذا لفظه بحروفه ثم ذكر قتل الواحد منهم وحكم ماله هل قال واحد من هؤلاء من الصحابة من أصحابه إلى زمن منصور إن هؤلاء يكفر أنواعهم لا أعيانهم . وأما عبارة الشيخ التى لبسوا بها عليك فهى أغلظ من هذا كله ولو نقول بها لكفرنا كثيرا من المشاهير بأعيانهم فإنه صرح فيها بأن المعين لا يكفر إلا إذا قامت عليه الحجة ، فإن كان المعين لا يكفر إلا إذا قامت عليه الحجة فمن المعلوم أن قيامها ليس معناه أن يفهم كلام الله ورسوله مثل فهم أبى بكر رضى الله عنه بل إذا بلغه كلام الله ورسوله وخلا من شىء يعذر به فهو كافر كما كان الكفار كلهم تقوم عليهم الحجة بالقرآن مع قول الله (وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه) وقوله : (إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون) ، وإذا كان كلام الشيخ ليس فى الشرك والردة بل فى المسائل الجزئيات سواء كانت من الأصول أو الفروع ، ومعلوم أنهم يذكرون فى كتبهم فى مسائل الصفات أو مسالة القرآن أو مسألة الاستواء أو غير ذلك مذهب السلف ، ويذكرون أنه الذى أمر الله به ورسوله والذى درج عليه هو وأصحابه ثم يذكرون مذهب الأشعرى أو غيره ويرجحونه ويسبون من خالفه ، فلو قدرنا أنها لم تقم الحجة على غالبهم قامت على هذا المعين الذى يحكى المذهبين مذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه ثم يحكى مذهب الأشعرى ومن معه فكلام الشيخ فى هذا النوع يقول إن السلف كفروا النوع . وأما المعين فإن عرف الحق وخالف كفر بعينه وإلا لم يكفروا. وأنا أذكر لك من كلامه مايصدق

هذا لعلك تنتفع إن هداك الله وتقوم عليك الحجة قياما بعد قيام وإلا فقد قامت عليك وعلى غيرك قبل هذا. وقال رحمه الله فى اقتضاء الصراط المستقيم فى الكلام على قوله وما أهل به لغير الله ظاهره أنه ما ذبح لغير الله حرم سواء لفظ به أو لم يلفظ وهذا أظهر من تحريم ما ذبح للحم وقال فيه باسم المسيح ونحوه فإن عبادة الله والنسك له أعظم من الاستعانة باسمه فى فواتح الأمور فكذلك الشرك بالنسك لغيره أعظم من الاستعانة باسمه وعلى هذا لو ذبح لغير الله متقربا إليه وإن قال فيه بسم الله كما قد يفعله طائفة من منافقى هذه الأمة، وإن كان هؤلاء مرتدين لا تباح ذبيحتهم بحال لكن يجتمع فى الذبيحة مانعان. ومن هذا الباب ما قد يفعله الجاهلون بمكة وغيرها من الذبح للجن انتهى كلامه بحروفه، فانظر كلامه لمن ذبح لغير الله وسمى الله عليه عند الذبح أنه مرتد تحرم ذبيحته ولو ذبحها للأكل، لكن هذه الذبيحة تحرم من جهتين من جهة أنها مما أهل به لغير الله وتحرم أيضا لأنها ذبيحة مرتد يوضح ذلك ما ذكرته أن المنافقين إذا أظهروا نفاقهم صاروا مرتدين فأين هذا من نسبتك عنه أنه لا يكفر أحد بعينه. وقال أيضاً فى أثناء كلامه على المتكلمين ومن شاكلهم لما ذكر عن أئمتهم شيئاً من أنواع الردة والكفر. وقال رحمه الله وهذا إذا كان فى المقالات الخفية فقد يقال إنه فيها مخطىء ضال لم تقم عليه الحجة التى يكفر صاحبها لكن ذلك يقع فى طوائف منهم فى الأمور الظاهرة التى يعلم المشركون واليهود والنصارى أن محمدا صلى الله عليه وسلم بعث بها وكفر من خالفها مثل أمره بعبادة الله وحده لا شريك له ونهيه عن عبادة أحد سواه من النبيين والملائكة وغيرهم فإن هذا أظهر شرائع الإسلام ثم تجد كثيرا من رؤوسهم وقعوا فى هذه الأنواع فكانوا مرتدين، وكثير منهم تارة يرتد عن الإسلام ردة صريحة وتارة يعود إليه مع مرض فى قلبه ونفاق والحكاية عنهم فى ذلك مشهورة. وقد ذكر ابن قتيبة من ذلك طرفا فى أول مختلف الحديث. وأبلغ من ذلك أن منهم من صنف فى الردة كما صنف الفخر الرازى فى عبادة الكواكب، وهذه ردة عن الإسلام باتفاق المسلمين هذا لفظه بحروفه، فانظر كلامه فى التفرقة بين المقالات الخفية وبين ما نحن فيه فى كفر المعين وتأمل تكفيره رؤوسهم فلانا وفلانا بأعيانهم وردتهم ردة صريحة وتأمل تصريحه بحكاية الإجماع على ردة الفخر الرازى عن الإسلام مع كونه عند علمائكم من الأئمة الأربعة هل يناسب هذا لما فهمت من كلامه أن المعين

لا يكفر ولو دعا عبد القادر فى الرخاء والشدة ولو أحب عبد الله بن عون وزعم أن دينه حسن مع عبادته أبى حديدة ولو أبغضك واستنجسك مع أنك أقرب الناس إليه لما رآك ملتفتا بعض الالتفات إلى التوحيد مع كونك توافقهم على شىء من شركهم وكفرهم . وقال الشيخ أيضاً فى رده على بعض المتكلمين وأشباههم والقوم وإن كان لهم ذكاء وفطنة وفيهم زهد وأخلاق فهذا لا يوجب السعادة إلا بالإيمان بالله وحده وإنما قوة الذكاء بمنزلة قوة البدن . وأهل الرأى والعلم بمنزلة الملك والإمارة فكل منهم لا ينفعه ذلك إلا أن يعبد الله وحده لا شريك له ويتخذه إلها دون ما سواه وهو معنى قول لا إله إلا الله . وهذا ليس فى حكمتهم ليس فيها إلا أمر بعبادة الله وحده والنهى عن عبادة المخلوقات بل كل شرك فى العالم إنما حدث بزى جنسهم فهم الآمرون بالشرك الفاعلون له ومن لم يأمر منهم بالشرك فلم ينه عنه بل يقر هؤلا . وهؤلاء وإن رجح الموحدين ترجيحا ما فقد يرجح غيره المشركين وقد يعرض عن الأمرين جميعا فتدبر هذا فإنه نافع جدا وكذلك الذين كانوا فى ملة الإسلام لا ينهون عن الشرك ويوجبون التوحيد فإنما توحيدهم بالقول لا بالعبادة والعمل . والتوحيد الذى جاءت به الرسل لا بد فيه من التوحيد بإخلاص الدين كله لله وعبادته وحده لا شريك له وهذا شىء لا يعرفونه ، والتوحيد الذى يدّعونه إنما هو تعطيل حقائق الأسماء والصفات فلو كانوا موحدين بالكلام وهو أن يصفوا الله بما وصفته به رسله لكان معهم التوحيد دون العمل وذلك لا يكفى فى النجاة بل لا بد أن يعبد الله وحده ويتخذه إلها دون ما سواه ، وهو معنى قوله : لا إله إلا الله فكيف وهم فى القول معطلون جاحدون ولا مخلصون انتهى . فتأمل كلامه واعرضه على ما غرك به الشيطان من الفهم الفاسد الذى كذّبت به الله ورسوله وإجماع الأمة وتحيزت به إلى عبادة الطواغيت فإن فهمت هذا وإلا أشير عليك أنك تكثر من التضرع والدعاء إلى من الهداية بيده فإن الخطر عظيم فإن الخلود فى النار جزاء الردة الصريحة ما يسوى بضيعة تربح تومانا أو نصف تومان وعندنا ناس يجيئون بعيالهم بلا مال ولا جاعوا ولا شحذوا وقد قال الله فى هذه المسألة (يا عبادى الذين آمنوا إن أرضى واسعة فإياى فاعبدون ، وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها وإياكم وهو السميع العليم) والله أعلم .

ومنها رسالة أرسلها إلى إخوانه من أهل سدير بسبب أمر جرى بين أهل الحوطة من بلدان سدير قال فيها :

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن عبد الوهاب إلى من يصل إليه هذا الكتاب من الإخوان ، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وبعد فيجرى عندكم أمور تجرى عندنا من سابق وننصح إخواننا إذا جرى منها شيء حتى فهموها ، وسببها أن بعض أهل الدين ينكر منكرا وهو مصيب لكن يخطئ في تغليظ الأمر إلى شيء يوجب الفرقة بين الإخوان ، وقد قال الله تعالى (ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولاتموتن إلا وأنتم مسلمون . واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا) الآية ، وقال صلى الله عليه وسلم « إن الله يرضى لكم ثلاثا : أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا وأن تعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم » وأهل العلم يقولون الذى يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر يحتاج إلى ثلاث أن يعرف مايأمر به وينهى عنه ويكون رفيقا فيما يأمر به وينهى عنه صابرا على ما جاءه من الأذى ، وأنتم محتاجون للحرص على فهم هذا والعمل به فإن الخلل إنما يدخل على صاحب الدين من قلة العمل بهذا أو قلة فهمه ، وأيضا يذكر العلماء أن إنكار المنكر إذا صار يحصل بسببه افتراق لم يجز إنكاره ، فالله الله فى العمل بما ذكرت لكم والتفقه فيه فإنكم إن لم تفعلوا صار إنكاركم مضرة على الدين ، والمسلم ما يسعى إلا فى صلاح دينه ودنياه ؛ وسبب هذه المقالة التى وقعت بين أهل الحوطة أن صار أهل الدين واجبا عليهم إنكار المنكر فلما غلظوا الكلام صار فيه اختلاف بين أهل الدين فصار فيه مضرة على الدين والدنيا ، وهذا الكلام وإن كان قصيرا فمعناه طويل فلازم لازم تأملوه وتفقهوا فيه واعملوا به فإن عملتم به صار نصرا للدين واستقام الأمر إن شاء الله ، والجامع لهذا كله أنه إذا صدر المنكر من أميراً وغيره أن ينصح برفق خفية مايشترف أحد ، فإن وافق وإلا استلحق عليه رجلا يقبل منه بخفية ، فإن لم يفعل فيمكن الإنكار ظاهرا إلا إن كان على أمير ونصحه ولا وافق واستلحق عليه ولا وافق فيرفع الأمر عنا خفية ، وهذا الكتاب كل أهل بلد ينسخون منه نسخة ويجعلونها عندهم ثم يرسلونه لحرمه والمجمعة ثم للغاط والزلفى والله أعلم .

ومنها رسالة أرسلها إلى أحمد بن يحي مطوع من أهل رغبة قال فيها :

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن عبد الوهاب إلى أحمد بن يحيى، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وبعد ما ذكرت من طرف مراسلة سليمان فلا ينبغى أنها تزعلك : الأولى أنه لو خالف فمثلك يحلم ولا يأتى بغايته هذا ولا أكثر منه . وثانيا أنك إذا عرفت أن كلامه ماله فيه قصد إلا الجهر فى الدين ولو صار مخطئا فالأعمال بالنيات التى هذه مقصده يغتفر له ولو جهل عليك ، ونحن ملزمون عليك لزمة جيدة وربك ونبيك ودينك لزمتهم لزمة تتلاشى فيها كل لزمة وهذه الفتنة الواقعة ليست فى مسائل الفروع التى مازال أهل العلم يختلفون فيها من غير نكير ولكن هذه فى شهادة أن لا إله إلا الله والكفر بالطاغوت، ولا يخفاك أن الذى عادانا فى هذا الامرهم الخاصة الذين ليسوا بالعامة ، هذا ابن إسماعيل والمويس وابن عبيد جاءتنا خطوطهم فى إنكار دين الإسلام الذى حكاه فى الاقناع فى باب حكم المرتد الإجماع من كل المذاهب أن من لم يدن به فهو كافر وكاتبناهم ونقلنا لهم العبارات وخاطبناهم بالتى هى أحسن وما زادهم ذلك إلا نفورا ، وزعموا أن أهل العارض ارتدوا لما عرفوا شيئا من التوحيد وأنت تفهم أن هذا لايسعك التكفى عنه ، فالواجب عليك نصر أخيك ظالما ومظلوما وأن تفضل الله عليك بفهم ومعرفة فلا تعذر لاعند الله ولا عند خلقه من الدخول فى هذا الأمر فإن كان الصواب معنا ، فالواجب عليك الدعوة إلى الله وعداوة من صرح بسب دين الله ورسوله . وإن كان الصواب معهم أو معنا شىء من الحق وشىء من الباطل أو معنا غلو فى بعض الأمور . فالواجب منك مذاكرتنا ونصيحتنا وتورينا عبارات أهل العلم لعل الله أن يردنا بك إلى الحق وإن كان إذا حررت المسألة إذ أنها من مسائل الاختلاف ، وأن فيها خلافا عند الحنفية أو الشافعية أو المالكية فتلك مسألة أخرى .

وبالجملة فالأمر عظيم ولا نعذرك من تأمل كلامنا وكلامهم ثم تعرضه على كلام أهل العلم ثم تبين فى الدعوة إلى الحق وعداوة من حاد الله ورسوله منا أو من غيرنا والسلام.

ومنها رسالة أرسلها إلى عبدالله بن عيسى مطوع الدرعية قال فيها :

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن عبد الوهاب إلى عبد الله بن عيسى سلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أما بعد ، فقد قال ابن القيم فى أعلام الموقعين (فإن لم يستجيبوا لك فاعلم أنما

يتبعون أهواءهم) فقسم الأمر إلى أمرين لاثالث لهما : إما الاستجابة للرسول وإما اتباع الهوى وذكر كلاما فى تقرير ذلك إلى أن قال ، ثم أخبر سبحانه أن من تحاكم أو حاكم إلى غير ماجاء به الرسول فقد حكم الطاغوت وتحاكم عليه يعنى الآيات فى النساء (ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به) قال : والطاغوت كل ماتجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاوع فطاغوت كل قوم من يتحاكمون إليه غير الله ورسوله أو يتبعونه على غير بصيرة من الله أو يطيعونه فيما لايعلمون أنه طاعة لله فهذه طواغيت العالم إذا تأملتها وتأملت أحوال الناس معها رأيت أكثرهم ممن أعرض عن طاعة الله ومتابعة رسوله إلى طاعة الطاغوت ومتابعته وهؤلاء لم يسلكوا طريق الناجين من هذه الأمة وهم الصحابة ومن تبعهم قال الله (فتقطعوا أمرهم بينهم زبرا كل حزب بما لديهم فرحون) والزبر الكتب أى كل فرقة صنفوا كتبا أخذوا بها وعملوا بها دون كتب الآخرين كما هو الواقع سواء وقال (يوم تبيض وجوه وتسود وجوه) قال ابن عباس تبيض وجوه أهل السنة والائتلاف . وتسود وجوه أهل الفرقة والاختلاف ، هذا كله كلام ابن القيم . وقال الشيخ تقى الدين فى كتاب الإيمان قال الله تعالى (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله) الآية وفى حديث عدى بن حاتم أنه قال للنبى صلى الله عليه وسلم «إنا لسنا نعبدهم . قال أليس يحرمون ماأحل الله فتحرمونه ويحلون ماحرم الله فتحلونه قلت بلى قال : فتلك عبادتهم» رواه الإمام أحمد والترمذى وغيره وقال أبو العالية إنهم وجدوا فى كتاب الله ماأمروا به وما نهوا عنه فقالوا لن نسبق أحبارنا بشىء فما أمرونا به ائتمرنا وما نهونا عنه انتهينا لقوله (ونبذوه وراء ظهورهم) انتهى كلام ابن تيمية ، فتأمل هذا الكلام بشراشر قلبك ثم نزله على أحوال الناس وحالك وتفكر فى نفسك وحاسبها بأى شىء تدفع هذا الكلام وبأى حجة تحتج يوم القيامة على ما أنت عليه فإن كان عندك شبهة فاذكرها فأنا أبينها إن شاء الله تعالى والمسألة مثل الشمس ولكن من يهدى الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له ، وإن لم يتسع عقلك لهذا فتضرع إلى الله بقلب حاضر خصوصا فى الأسحار أن يهديك للحق ويريك الباطل باطلا ، وفر بدينك فإن الجنة والنار قدامك والله المستعان ، ولا تستهجن هذا الكلام فوالله ماأردت به إلا الخير ، وصلى

الله على محمد وآله وسلم . ومنها رسالة أرسلها إلى عبد الوهاب بن عبد الله بن عيسى قال فيها :

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن عبد الوهاب إلى عبد الوهاب بن عبد الله بن عيسى، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وبعد أن تفضلتم بالسؤال فنحمد الله إليكم الذى لا إله إلا هو ونحن بخير وعافية جعلكم الله كذلك وأحسن من ذلك . وأبلغوا لنا الوالد السلام سلمه الله من خزى الدنيا وعذاب الآخرة وغير ذلك فى نفسى عليه بعض الشىء من جهة المكاتيب لما حبسها عنا هجسنا فيه الظن الجميل ثم بعد ذلك سمعنا بعض الناس يذكر أنه معطيها بعض السفهاء يقرءونها على الناس ، وأنا أعتقد فيه المحبة وأعتقد أيضاً أن له غاية وعقلا وهو صاحب إحسان علينا وعلى أهلنا فلا ودى يعقبه بالأذى ويكدر هذه المحبة بلا منفعة فى العاجل والآجل ، وأنا إلى الآن ما تحققت ذلك وهو حبس فيه بالهاجوس الجيد وذكر أيضاً عنه بعض الناس بعض الكلام الذى يشوش الخاطر ، فإن كان يرى أن هذا ديانة ويعتقده من باب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فأنا ولله الحمد لم آت الذى أتيت بجهالة وأشهد الله وملائكته أنه إن أتانى منه أو ممن دونه فى هذا الأمر كلمة من الحق لأقبلنها على الرأس والعين وأترك قول كل إمام اقتديت به حاشا رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه لا يفارق الحق ، فإن كانت مكاتيب أولياء الشيطان وزخرفة كلامهم الذى أوحى إليهم ليجادل فى دين الله لما رأى أن الله يريد أن يظهر دينه على غرته . وأصغت إليها أفئدتكم فاذكروا لى حجة مما فيها أو كلها أو فى غيرها من الكتب مما تقدرون عليه أنتم ومن وافقكم فإن لم أجاوبعنها بجواب فاصل بين يعلم كل من هداه الله أنه الحق وأن تلك هى الباطل فأنكروا علىّ وكذلك عندى من الحجج الكثيرة الواضحة ما لا تقدرون أنتم ولاهم أن تجيبوا عن حجة واحدة منها ، وكيف لكم بملاقاة جند الله ورسوله . وإن كنتم تزعمون أن أهل العلم على خلاف ما أنا عليه وهذه كتبهم موجودة ومن أشهرهم وأغلظهم كلام الإمام أحمد كلهم على هذا الأمر لم يشذ منهم رجل واحد ولله الحمد ولم يأت عنهم كلمة واحدة أنهم أرخصوا لمن لم يعرف الكتاب والسنة فى أمركم هذا فضلا عن أن يوجبوه ، وإن زعمتم أن المتأخرين معكم

فهؤلاء سادات المتأخرين وقادتهم ابن تيمية وابن القيم ، وابن رجب عندنا له مصنف مستقل فى هذا ، ومن الشافعية الذهبى وابن كثير وغيرهم وكلامهم فى إنكار هذا أكثر من أن يحصر وبعض كلام الإمام أحمد ذكره ابن القيم فى الطرق الحكمية فراجعه . ومن أدلة شيخ الإسلام (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله) الآية، فقد فسرها رسول الله صلى الله عليه وسلم والأئمة بعده بهذا الذى تسمونه الفقه وهو الذى سماه الله شركا واتخاذهم أربابا لا أعلم بين المفسرين فى ذلك اختلافا . والحاصل أن من رزقه الله العلم يعرف أن هذه المكاتيب التى أتتكم وفرحتم بها وقرأتموها على العامة من عند هؤلاء الذين تظنون أنهم علماء كما قال تعالى (وكذلك جعلنا لكل نبى عدوّا شياطين الإنس والجن يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا) إلى قوله (ولتصغى إليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة) لكن هذه الآيات ونحوها عندكم من العلوم المهجورة، بل أعجب من هذا أنكم لا تفهمون شهادة أن لا إله إلا الله ولا تنكرون هذه الأوثان التى تعبد فى الخرج وغيره التى هى الشرك الأكبر بإجماع أهل العلم، وأنا لا أقول هذا .

الفصل الرابع

فى المسائل التى سئل عنها فأجاب وتركت كثيرا منها لئلا يطول الكتاب .

سئل رحمه الله عن معنى لا إله إلا الله ، فأجاب بقوله : اعلم رحمك الله أن هذه الكلمة هى الفارقة بين الكفر والإسلام وهى كلمة التقوى وهى العروة الوثقى وهى التى جعلها إبراهيم كلمة باقية فى عقبه لعلهم يرجعون ، وليس المراد بقولها باللسان مع الجهل بمعناها فإن المنافقين يقولونها وهم تحت الكفار فى الدرك الأسفل من النار مع كونهم يصلون ويتصدقون ، ولكن المراد بقولها مع معرفتها بالقلب ومحبتها ومحبة أهلها وبغض ما خالفها ومعاداته كما قال النبى صلى الله عليه وسلم «من قال لا إله إلا الله مخلصا» وفى رواية «خالصا من قلبه» وفى رواية «صدقا من قلبه» وفى حديث آخر «من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله» إلى غير ذلك من الأحاديث الدالة على جهالة أكثر الناس بهذه الشهادة ، فاعلم أن هذه الكلمة نفى وإثبات : نفى الألوهية عما سوى الله تعالى من المخلوقات حتى محمد صلى الله عليه وسلم حتى جبريل فضلا عن غيرهما

من الأولياء والصالحين . إذا فهمت ذلك فتأمل هـذه الألوهية التى أثبتها لله ونفيتها عن محمد وجبريل وغيرهما أن يكون لهم منها مثقال حبة خردل فاعلم أن هذه الألوهية هى التى تسميها العامة فى زماننا السر والولاية والإله معناه الولىّ الذى فيه السر وهو الذى يسمونه الفقراء الشيخ ويسميه العامة السيد وأشباه هذا ، وذلك أنهم يظنون أن الله جعل لخواص الخلق منزلة يرضى أن الإنسان يلتجىء إليهم ويرجوهم ويستغيث بهم ويجعلهم واسطة بينه وبين الله . فالذى يزعمه أهل الشرك فى زماننا أنهم وسائط هم الذين يسمونهم الأولون الآلهة والواسطة هو الإله فقول الرجل لا إله إلا الله إبطال للوسائط، وإذا أردت أن تعرف هذا معرفة تامة فذلك بأمرين : الأول أن تعرف أن الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليـه وسلم وقتلهم ونهب أموالهم واستحل نساءهم كانوا مقرين لله سبحانه بتوحيد الربوبية ، وهو أنه لا يخلق ولا يرزق ولا يحى ولا يميت ولا يدبر الأمر إلا الله كما قال تعالى (قل من يرزقـكم من السماء والأرض أم من يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ومن يدبر الأمر؟ فسيقولون الله) وهذه مسألة عظيمة مهمة وهى أن تعرف أن الـكفار شاهدون بهذا كله ومقرون به ومع هذا لم يدخلهم ذلك فى الإسلام ولم يحرم دماءهم وأموالهم وكانوا أيضا يتصدقون ويحجون ويعتمرون ويتعبدون ويتركون أشياء من المحرمات خوفا من الله عز وجل . ولـكن الأمر الثانى هو الذى كفرهم وأحل دماءهم وأموالهم وهو أنهم لم يشهدوا لله بتوحيد الألوهية وهو أنه لا يدعى ولا يرجى إلا الله وحده لا شريك له ولا يستغاث بغيره ولا يذبح لغيره ولا ينذر لغيره لا ملك مقرب ولا نبى مرسل فمن استغاث بغيره فقد كفر ومن ذبح لغيره فقد كفر ومن نذر لغيره فقد كفر وأشباه ذلك، وتمام هذا أن تعرف أن المشركين الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يدعون الصالحين مثل الملائـكة وعيسى وعزير وغيرهم من الأولياء فكفروا بهذا مع إقرارهم بأن الله هو الخالق الرازق المدبر إذا عرفت هذا عرفت معنى لا إله إلا الله وعرفت أن من ناجى نبياً أو ملـكا أو ندبه واستغاث به فقد خرج من الإسلام وهكذا هو الـكفر الذى قاتلهم عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم . فإن قال قائل من المشركين نحن نعرف أن الله هو الخالق الرازق المدبر لـكن هؤلاء الصالحون مقربون ونحن ندعوهم وننذر لهم وندخل عليهم ونستغيث بهم نريد بذلك الوجاهة والشفاعة وإلا فنحن

نفهم أن الله هو المدبر فقل كلامك هذا مذهب أبي جهل وأمثاله فإنهم يدعون عيسى وعزيرا والملائكة والأولياء يريدون ذلك كما قال الله تعالى (والذين اتخذوا من دونه أولياء مانعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى) وقال تعالى (ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله) فإذا تأملت هذا تأملا جيدا عرفت أن الكفار يشهدون لله بتوحيد الربوبية وهو التفرد بالخلق والرزق والتدبير فهم يناجون عيسى والملائكة والأولياء يقصدون أنهم يقربونهم إلى الله ويشفعون لهم عنده وعرفت أن الكفار خصوصاً النصارى من يعبد الله الليل والنهار ويزهد في الدنيا ويتصدق بما دخل عليه منها معتزلا في صومعة عن الناس ؛ ومع هذا هو كافر عدو الله مخلد في النار بسبب اعتقاده في عيسى أو غيره من الأولياء يدعوه ويذبح له وينذر له فقد تبين لك كيف صفة الإسلام الذى دعا إليه نبيك صلى الله عليه وسلم وتبين لك أن كثيرا من الناس عنه بمعزل وتبين لك معنى قوله صلى الله عليه وسلم « بدا الإسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدا » . فالله الله يا إخواني تمسكوا بأصل دينكم وأوله وآخره وأسه ورأسه شهادة أن لا إله إلا الله واعرفوا معناه وأحبوها وأحبوا أهلها واجعلوهم إخوانكم ولو كانوا بعيدين واكفروا بالطواغيت وعادوهم وابغضوهم وابغضوا من أحبهم وجادل عنهم ومن لم يكفرها وقال ما عليّ منهم أو قال ما كلفنى الله بهم فقد كذب هذا على الله وافترى فقد كلفه الله بهم وفرض عليه الكفر بهم والبراءة منهم ولو كانوا إخوانهم وأولادهم فالله الله تمسكوا بذلك لعلكم تلقون ربكم لاتشركون به شيئاً. اللهم توفنا مسلمين وألحقنا بالصالحين. ولنختم الكلام بآية ذكرها الله في كتابه تبين لك أن كفر المشركين من أهل زماننا أعظم كفرا من الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى (وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه فلما نجاكم إلى البر أعرضتم وكان الإنسان كفورا) فقد سمعتم أن الله سبحانه ذكر عن الكفار أنهم إذا مسهم الضر تركوا السادة والمشايخ فلم يدعوا أحدا منهم ولم يستغيثوا به بل أخلصوا لله وحده لاشريك له واستغاثوا به وحده . فإذا جاء الرخاء أشركوا. وأنت ترى المشركين من أهل زماننا ، ولعل بعضهم يدّعى أنه من أهل العلم وفيه زهد واجتهاد وعبادة إذا مسه الضر قام يستغيث بغير الله مثل معروف أو عبد القادر الجيلاني وأجلّ من هؤلاء مثل زيد بن الخطاب والزبير ، وأجلّ من هؤلاء مثل

رسول الله صلى الله عليه وسلم فالله المستعان ، وأعظم من ذلك وأطمّ أنهم يستغيثون بالطواغيت والكفرة والمردة مثل شمسان وإدريس ويوسف وأمثالهم والله سبحانه أعلم . المسأله الثانية سئل رحمه الله عن قوله تعالى فى سورة هود (من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لايبخسون . أولئك الذين ليس لهم فى الآخرة إلا النار وحبط ماصنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون) فأجاب بقوله ذكر عن السلف من أهل العلم فيها أنواع مايفعله الناس اليوم ولا يعرفون معناه فمن ذلك العمل الصالح الذى يفعله كثير من الناس ابتغاء وجه الله من صدقة وصلة وإحسان إلى الناس ونحو ذلك وكذلك ترك ظلم أو كلام فى عرض مما يفعله الإنسان أو يتركه خالصا لله لكنه لايريد ثوابه فى الآخرة إنما يريد أن يجازى به بحفظ ماله وتنميته أو حفظ أهله وعياله أو إدامة النعم عليهم ونحو ذلك ، ولا همة لهم فى طلب الجنة والهرب من النار فهذا يعطى ثواب عمله فى الدنيا ، وليس له فى الآخرة من نصيب . وهذا النوع ذكره ابن عباس وقد غلط فيه بعض مشايخنا بسبب عبارة ذكرها فى الإقناع فى أول باب النية لما قسم الإخلاص إلى مراتب وذكر هذا ظن أنه يسمى إخلاصا مدحا له وليس كذلك وإنما أراد أنه يسمى رياء وإلا فهو عمل حابط فى الآخرة . النوع الثانى وهو أكبر من الأول وأخوف ، وهو الذى ذكر مجاهد فى الآية أن الآية نزلت فيه وهو أن يعمل أعمالا صالحة ونيته رياء الناس لاطلب ثواب الآخرة . وكما ذكر لمعاوية حديث أبى هريرة فى الثلاثة الذين أول من تسعر بهم النار وهم الذى تعلم العلم ليقال عالم وتصدق ليقال جواد وجاهد ليقال شجاع فبكى معاوية بكاء شديدا ثم قرأ هذه الآية . النوع الثالث أن يعمل الأعمال الصالحة ويقصد بها مالا مثل الحج لمال يأخذه لالله أو يهاجر لدنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها أو يجاهد لأجل المغنم فقد ذكر أيضا هذا النوع فى تفسير هذه الآية كما فى الصحيح عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « تعس عبد الدينار [1] » إلى آخره .

وكما يتعلم الرجل العلم لأجل مدارسة أهله أو مكسبهم أو رياستهم أو يتعلم القرآن

---

(١) سقط من أصل الطبعة الأولى أربع كراريس وأثبتناها هنا وهى من قوله: إلى آخره إلى قوله وقال الشيخ رحمه الله ورضى عنه قوله تعالى « واتبعوا ماتتلوا الشياطين على ملك سليمان » الآية . عبد المحسن أبا بطين .

أويواظب على الصلاة لأجل وظيفة المسجد كما هو واقع كثيرا، وهؤلاء أعقل من الذين قبلهم عملوا لمصلحة يحصلونها، والذين قبلهم عملوا لأجل المدح والجلالة فى أعين الناس ولا يحصل لهم طائل . والنوع الأول أعقل من هؤلاء كلهم لأنهم عملوا لله وحده لاشريك له لكن لم يطلبوا الخير الكثير العظيم الدائم وهو الجنة ولم يرهبوا من الشر العظيم وهو النار . النوع الرابع أن يعمل الإنسان بطاعة الله مخلصا فى ذلك لله وحده لاشريك له لكنه على عمل يكفره كفراً يخرجه عن الإسلام مثل اليهود والنصارى إذا عبدوا الله أو تصدقوا أو صاموا ابتغاء وجه الله والدار الآخرة ، ومثل كثير من هذه الأمة الذين فيهم شرك أو كفر أكبر يخرجهم من الإسلام بالكلية إذا أطاعوا الله طاعة خالصة يريدون بها ثواب الله فى الدار الآخرة لأنهم على أعمال تخرجهم من الإسلام تمنع قبول أعمالهم فهذا النوع أيضاً قد ذكر فى الآية عن أنس ابن مالك وغيره وكان السلف يخافون منها . قال بعضهم : لو أعلم أن الله يقبل منى سجدة واحدة لتمنيت الموت لأن الله يقول « إنما يتقبل الله من المتقين » فهذا قصد وجه الله والدار الآخرة ، لكن فيه من حب الدنيا والرياسة والمكث والمال ماحمله على ترك كثير من أمر الله ورسوله أو أكثر فصارت الدنيا أكبر قصده ولذلك قبل قصد الدنيا، وذلك القليل كأنه لم يكن كقوله صلى الله عليه وسلم « فإنك لم تصل » والأول أطاع الله ابتغاء وجه الله لكن أراد الثواب فى الدنيا وخاف على الحظ و العيال مثل مايقول الفسقة فصح أن يقال قصد الدنيا والثانى والثالث واضح، لكن بقى أن يقال إذا عمل الرجل الصلوات الخمس والزكاة والصوم والحج ابتغاء وجه الله طالبا ثواب الآخرة ثم بعد ذلك عمل أعمالا كثيرة أو قليلة قاصداً بها الدنيا مثل أن يحج بعده لأجل الدنيا كما هو واقع فهو لما غلب عليه منهما . وقد قال بعضهم القرآن كثيرا مايذكر أهل الجنة الخلص وأهل النار الخلص ويسكت عن صاحب الشائبتين وهو هذا وأمثاله ولهذا خاف السلف من حبوط الأعمال . وأما الفرق بين الحبوط والبطلان فلا أعلم بينهما فرقا والله أعلم . المسئلة الثالثة قال رحمه الله سألنى الشريف عما نقاتل عليه وعما نكفر به الرجل ، فأجبته وبينت له أيضا الكذب الذى بهت به الأعداء فسألنى أن أكتب له فأقول أركان الإسلام الخمسة أولها الشهادتان ثم الأركان الأربعة، فالأربعة إذا أقر بها و تركها تهاونا ونحن وإن قاتلناه على فعلها فلا نكفره بتركها، والعلماء اختلفوا فى كفر

التارك لها كسلا من غير جحود ولا نقاتل إلا ما أجمع عليه العلماء كلهم وهو الشهادتان، وأيضاً نكفره بعد التعريف إذا عرف وأنكر فنقول : أعداؤنا على أنواع . النوع الأول من عرف أن التوحيد دين الله ورسوله الذى أظهرناه للناس وأقر أيضا أن هذه الاعتقادات فى الحجر والشجر والبشر الذى هو دين غالب الناس هى الشرك بالله الذى بعث الله رسوله ينهى عنه ويقاتل أهله ليكون الدين كله لله ومع ذلك لم يلتفت إلى التوحيد ولا تعلمه ولا دخل فيه ولا ترك الشرك ، فهذا كافر نقاتله بكفره لأنه عرف دين الرسول فلم يتبعه وعرف دين الشرك فلم يتركه مع أنه لا يبغض دين الرسول ولا من دخل فيه ولا يمدح الشرك ولا يزينه للناس . النوع الثانى من عرف ذلك كله ولكنه تبين فى سب دين الرسول مع أعدائه أنه عامل به وتبين فى مدح من عبد يوسف والأشعرى ومن عبد أبا على والخضر من أهل الكويت وفضلهم على من وحد الله وترك الشرك . فهذا أعظم من الأول وفيه قوله تعالى (فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين) وهو ممن قال الله فيه (وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا فى دينكم فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون) . النوع الثالث من عرف التوحيد وأحبه واتبعه وعرف الشرك وتركه ، ولكن يكره من دخل فى التوحيد ويحب من بقى على الشرك ، فهذا أيضاً كافر وهو ممن ورد فيه قوله تعالى (ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم) . النوع الرابع من سلم من هذا كله ولكن أهل بلده مصرحون بعداوة التوحيد واتباع الشرك وساعون فى قتالهم ويتعذر عليهم تركه وظنه يشق عليه ويقاتل أهل التوحيد من أهل بلده ويجاهد بماله ونفسه فهذا أيضا كافر فإنهم لو يأمرون بترك صوم رمضان ولا يمكنه الصيام إلا بفراقهم فعل ولو يأمرونه بتزويج امرأة أبيه ولا يمكنه ذلك إلا بمخالفتهم فعل وموافقتهم على الجهاد معهم بنفسه وماله مع أنهم يريدون بذلك قطع دين الله ورسوله أكثر ممن ذكر لكثير وهذا أيضاً كافر وهو ممن قال الله فيه (ستجدون آخرين يريدون أن يؤمنوكم ويأمنوا قومهم إلى قوله سلطانا مبيناً) فهذا الذى نقول . وأما الكذب والبهتان ، فمثل قولهم إنا نكفر بالعموم ونوجب الهجرة إلينا على من قدر على إظهار دينه وإنا نكفر من لم يكفر ولم يقاتل ومثل هذا وأضعاف أضعافه فكل هذا من الكذب والبهتان الذى يصدون به الناس عن دين الله ورسوله ، وإذا كنا لا نكفر من عبد الصنم الذى على

قبر عبد القادر والصنم الذى على قبر أحمد البدوى وأمثالهما لأجل جهلهم وعدم من يفهمهم فكيف نكفر من لم يشرك بالله إذا لم يهاجر إلينا ولم يكفر ويقاتل (سبحانك هذا بهتان عظيم) بل نكفر تلك الأنواع الأربعة لأجل محادتهم لله ورسوله. فرحم الله امرأ نظر لنفسه وعرف أنه ملاق الله الذى عنده الجنة والنار ، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم . المسئلة الرابعة سأل ثنيان بن سعود عن قوله تبارك وتعالى (فاعلم أنه لاإله إلا الله واستغفر لذنبك) وعن الحديث المذكور فى مسند أحمد «أن نوحا عليه السلام نهى بنيه عن الشرك وأمرهم بلاإله إلا الله» . فأجاب بقوله : من محمد بن عبد الوهاب إلى ثنيان بن سعود سلام عليكم ورحمة الله وبركاته. وبعد ، فقد سألتم عن معنى قوله تعالى (فاعلم أنه لاإله إلا الله) وكونها نزلت بعد الهجرة فهذا مصداق كلامى لكم مراراً عديدة أن الفهم الذى يقع فى القلب غير فهم اللسان. وذلك أن هذه المسئلة من أكثر مايكون تكرارا عليكم وهى التى بوب لها الباب الثانى فى كتاب التوحيد، وذلك أن العالم لايسمى عالما إلا إذا أثمر فيه العلم فإذا لم يثمر فهو جاهل كما قال تعالى (إنما يخشى الله من عباده العلماء) وقال عن يعقوب (وإنه لذو علم لما علمناه) والكلام فى تقرير هذا يطول . إذا ثبت أن العلم هو الذى يستلزم العمل فمعلوم أن تفاضل الناس فى الأعمال تفاضل لاينضبط وكل ذلك بسبب تفاضلهم فى العلم ويكفيك فى هذا استدلال الصديق على عمر فى قصة أبى جندل مع كونها من أشكل المسائل التى وقعت فى الأولين والآخرين شهادة أن محمدا رسول الله . وسر المسألة أن العلم بلاإله إلا الله ليس أمرا واحدا لايتفاضل بل تفاضل الناس فى هذه المسئلة لايعلمه إلا الله وشبه هذا قوله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم (إن الله على كل شىء قدير ـ ألم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض) فإن العلم بهذه الأصول الكبار يتفاضل فيه الأنبياء فضلا عن غيرهم. وأما نهى نوح عليه السلام بنيه عن الشرك وأمرهم بلاإله إلا الله فليس هذا تكرارا بل هذان أصلان مستقلان كبيران وإن كانا متلازمين، فالنهى عن الشرك يستلزم الكفر بالطاغوت ولا إله إلا الله والإيمان بالله، وهذا وإن كان متلازما فنوضحه لكم ، والواقع أن كثيرا من الناس يقول لاأعبد إلا الله وأنا أشهد بكذا وأقر بكذا ويكثر الكلام . فإذا قيل له ماتقول فى فلان وفلان إذا عبد وعبد من دون الله ؟ قال : ماعلىّ من الناس الله أعلم بحالهم ويظن بباطنه أن ذلك لايجب عليه

فمن أحسن الاقتران أن الله قرن بين الإيمان بالله والكفر بالطاغوت والبداءة بالكفر به على الإيمان بالله وقرن أيضاً بين الأمر بالتوحيد والنهى عن الشرك مع أن الوصية بلاإله إلا الله ملازمة للذكر بهذه اللفظة والإكثار منها وتبين عظمة قدرها كما بين النبي صلى الله عليه وسلم فضل (قل هو الله أحد) على غيرها من السور وذكر أنها تعدل ثلث القرآن مع قصدها وكذلك حديث موسى عليه السلام فإن فى ذلك مايقتضى كثرة الذكر بهذه الكلمة كما فى الحديث « أفضل الذكر لا إله إلا الله » ثم أنتم فى أمان الله وحفظه والسلام. المسألة الخامسة سأله الشيخ عيسى بن قاسم وأحمد بن سويلم فى أول إسلامهما عن قول الشيخ تقى الدين من جحد ماجاء به الرسول وقامت به الحجة فهو كافر؟ فأجاب بقوله إلى الأخوين عيسى بن قاسم وأحمد بن سويلم سلام عليكم ورحمة الله وبعد. فما ذكرتموه من قول الشيخ من جحد كذا وكذا وأنكم شاكون فى هؤلاء الطواغيت واتباعهم هل قامت عليهم الحجة أم لا؟ فهذا من العجب العجاب كيف تشكون فى هذا وقد وضحته لكم مراراً فإن الذى لم تقم عليه الحجة هو الذى حديث عهد بالإسلام والذى نشأ ببادية بعيدة أو يكون ذلك فى مسألة خفية مثل الصرف والعطف فلا يكفر حتى يعرف. وأما أصول الدين التى أوضحها الله وأحكمها فى كتابه فإن حجة الله هى القرآن فمن بلغه فقد بلغته الحجة، ولكن أصل الإشكال أنكم لم تفرقوا بين قيام الحجة. وبين فهم الحجة فإن أكثر الكفار والمنافقين لم يفهموا حجة الله مع قيامها عليهم كما قال تعالى (أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا) وقيام الحجة وبلوغها نوع وفهمهم إياها نوع آخر وكفرهم ببلوغها إياهم وإن لم يفهموها نوع آخر فإن أشكل عليكم ذلك. فانظروا قوله صلى الله عليه وسلم فى الخوارج «أينما لقيتموهم فاقتلوهم» وقوله «شد قتلى تحت أديم السماء» مع كونهم فى عصر الصحابة ويحقر الإنسان عمل الصحابة معهم، ومع الإجماع أن الذى أخرجهم من الدين هو التشدد والاجتهاد وهم يظنون أنهم مطيعون لله، وقد بلغتهم الحجة ولكن لم يفهموها وكذلك قتل على رضى الله عنه الذين اعتقدوا فيه وتحريقهم بالنار مع كونهم تلاميذ الصحابة ومع عبادتهم وصلاحهم وصيامهم وهم أيضا يظنون أنهم على حق. وكذلك إجماع السلف على تكفير ناس من غلاة القدرية وغيرهم مع كثرة علمهم وشدة عبادتهم مع كونهم يظنون أنهم يحسنون صنعا، ولم يتوقف أحد من

السلف فى تكفيرهم لأجل أنهم لم يفهموا فإن هؤلاء كلهم لم يفهموا . إذا علمتم ذلك فهذا الذى أنتم فيه وهو الشك فى أناس يعبدون الطواغيت ويعادون دين الإسلام ويزعمون أنه ردة لأجل أنهم مافهموا كل هذا أظهر وأبين مما تقدم إلا الذين حرقهم على فإنه يشابه هذا وأما إرسال كلام الشافعية أو غيرهم فلا يتصور أن يأتيكم أوضح مما أتاكم . فإن كان عليكم بعض الإشكال فارغبوا إلى الله أن يزيله عنكم. وأيضاً ذكر لى محمد بن سليمان أنه جرى عندكم مسئلتان : الأولى صورة المقاصة يريد بعض الناس أن يحتال على المنهى عنه من بيع الطعام قبل قبضه ويقول الخشيد إذا جاء بدراهم التمر بعها على بتمر قدر الذى فى ذمته ثم يتساقطان ويجعل هذه من المقاصة المباحة وكذلك ذكروا إذا اشترى منه سلعة وشرط عليه أن يوفيه بها صح العقد وفسد الشرط إن بعض الناس يريد أن يجعل هذه حيلة إلى قلب الدين الذى فى ذمته. دينا آخر وينسب الصحة إلى الإقناع والمنتهى وهما من أشد الناس كلاما وتحريما لمثل هذا حتى إنهما يحرمان صوراً مع كون المتعاقدين لم يقصدا الحيلة لئلا يتخذ ذريعة مثل العينة وغيرها ، وأنا ذكرت لكم مرارا إذا ادعى أحد فى هذا وأمثاله الجواز فاسألوا عن الحيل المحرمة التى هى مخادعة لله مامعناها وما صورتها. مثال ذلك : أنك لو تسألنى عن رجل اشترى منك سلعة بعشرين مشخصا وهى تساوى العشرين ثيابا أو طعاما أو غيرهم قلت لك هذا صحيح بالإجماع فإذا سألتنى عن إبرائه من العشرين مشخصا بعد ماثبتت فى ذمته قلت هذا من الإحسان بالإجماع فإذا قلت إنه لم يشتر منى ولم أبرئه إلا لأنه يريد أن يقرضنى مائتى مشخص بربح عشرين وقال لى هذا ربا لايصح ولكن بعين سلعة تساوى عشرين ثم بعد ذلك أبرأنى منها. قلت لك هذا صريح الربا والمخادعة لله بلا شك وكذلك أشباه هذه الصورة ، فالذى يجعل التحيل على بيع الطعام قبل قبضه من المقاصة أو يجعل بيع السلعة ليوفيه بها حيلة إلى كون رأس السلم دينا مع تصريحهم بتحريمه بل هذه الحيلة اسألوه ما الفرق بين هذه الصورة وبين تلك فإنه لايجد فرقا إلا بالمكابرة. وهنا فائدة ينبغى التنبيه لها وهى أن الحيل على الربا قد نشأتم عليها أنتم ومشايخكم ويسمونها التصحيح والأمور التى نشأ الإنسان عليها صعب عليه مفارقتها بالكلية والاستجابة لله والرسول وترك مذهب الآباء وما عليه المشايخ إنه عظيم لايوافق عليه أكثر الخلق فأمر الحيل ومسائله مثل أمر الشرك فكما

أنكم لم تفهموا الشرك أول مرة ولا ثانية ولا ثالثة ولم تفهموه كله إلى الآن كذلك الحيل لأجل نشأتكم عليها وتسويتها التصحيح تحتاج منكم إلى نظر وفطنة فأكثروا التدبر لها والمطالعة والتمثيل فى إغاثة اللهفان وغيرها والله أعلم . المسألة السادسة سأله محمد بن صالح عن رشوة الحاكم الذى ورد عنه صلى الله عليه وسلم أنه لعن الراشى والمرتشى وذلك أنه وقع بينه وبين سليمان بن سحيم مجادلة فى ذلك . فقال الشيخ رحمه الله فى الجواب سألتم رحمكم الله عن رشوة الحاكم الذى ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه لعن الراشى والمرتشى وذكر له أن بعض الناس حملها على ما إذا حكم الحاكم بغير الحق وأما إذا أخذ رشوة من صاحب الحق وحكم له به فهى حلال مستدلا بقوله صلى الله عليه وسلم «أحق ما أخذتم عليه أجرا كتاب الله» وأنكم استدللتم بقوله تعالى(ولا تشتروا بآياتى ثمناً قليلا)وأجابكم بأنها نزلت فى كعب بن الأشرف وبأن الناس فرضوا لأبى بكر لما تولى الأمر درهمين كل يوم ، وكذلك قول من قال لا أحكم بينكما إلا بجعل. فأقول أما صورة المسألة فهى أشهر من أن تذكر بل هى تعلم بلا اضطرار فإن حكام زماننا لما أخذوا الرشوة أنكرت عليهم العقول والفطر بما جبلها الله من غير أن يعلموا أن الشارع نهى عنها ولكن إذا جادل المنافق بالباطل فربما يروج على المؤمن فيحتاج إلى كشف الشبهة فنقدم قبل الجواب مقدمة وهى أن الله سبحانه لما أظهر شيئاً من نور النبوة فى هذا الزمان وعرف العامة شيئاً من دين الإسلام وافق أنه قد ترأس على الناس رجال من أجهل العالمين وأبعدهم عن معرفة ماجاء به محمد صلى الله عليه وسلم وقد صاروا فى الرياسة بالباطل وفى أكل أموال الناس ويدّعون أنهم يعملون بالشرع ولا يعرفون شيئاً من الدين إلا شيئاً من كلام بعض الفقهاء فى البيع والإجارة والوقف والمواريث وكذلك فى المياه والصلاة ولا يميزون حقه من باطله ولا يعرفون مستند قائله . وأما العلم الذى بعث الله به محمدا صلى الله عليه وسلم فلم يعرفوا منه خبرا ولم يقفوا منه على عين ولا أثر فقد تزاحمت بهم الظنون(وتقطعوا أمرهم بينهم زبرا كل حزب بما لديهم فرحون) ومصداق هذا كله أن الداعى لما أمرهم بتوحيد الله ونهاهم عن عبادة المخلوقين أنكروا ذلك وأعظموه وزعموا أنه جهالة وضلالة مع كون هذه المسألة أبين فى دين محمد صلى الله عليه وسلم من كون العصر أربعا والمغرب ثلاثا بل اليهود والنصارى والمشركون يعلمون أن محمدا صلى الله عليه وسلم دعا الناس إلى ذلك وما دل

عليه وقاتل عليه فهؤلاء الذين يزعمون أنهم علماء اشتد إنكارهم علينا لما تكلمنا بذلك وزعموا أنه دين ومذهب خامس وأنهم لم يسمعوه من مشائخهم ومن قبلهم. وبالجملة فهذا الحق قد خالف أهواءهم من جهات متعددة: الأولى أنهم لايعرفونه مع كونهم يظنون أنهم من العلماء. الثانية أنه فيه ما ألف عادة نشئوا عليها ومخالفة العادات شديدة. الثالثة أنه مخالف لعلمهم الذى بأيديهم وقد أشربوا حبه كما أشربت بنو إسرائيل حب العجل. الرابعة أن هذا الدين يريد أن يحول بينهم وبين مآكلهم الباطلة المحرمة الملعونة إلى غير ذلك من الأمور التى يبتلى الله بها العباد فلما ظهر هذا الأمر اجتهدوا فى عداوته وإطفائه بما أمكنهم وجاهدوا فى ذلك بأيديهم وألسنتهم فلما غلظ الأمر وبعدهم نور النبوة ولم يجىء على عاداتهم الفاسدة فتفرقوا فيه كما تفرق إخوانهم الأولون، فبعضهم قال مذهب ابن تيمية كما لمزوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بابن أبى كبشة، وبعضهم قال كتب باطلة كقولهم (أساطير الأولين اكتتبها) وبعضهم قال هذا يريد الرياسة كما قالوا (أجئتنا لتلفتنا عن ماوجدنا عليه آباءنا وتكون لكما الكبرياء فى الأرض) وتارة يرمون المؤمنين بالمعاصى كما قالوا لنوح فأجابهم بقوله (وما علمى بما كانوا يعملون) وتارة يرمونه بالسفاهة ونقص العقل كما قالوا (أنؤمن كما آمن السفهاء) فأجابهم الله تعالى (ألا إنهم هم السفهاء) الآية وتارة يضحكون من المؤمنين ويستهزئون بأفعالهم التى خالفت العادات كقوله تعالى (إن الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون) وتارة يكذبون عليهم الأكاذيب العظيمة كقوله (فقد جاءوا ظلما وزورا) وتارة يرمون دين مايوجد فى بعض المنتسبين إليه من رثاثة الفهم والمسكنة كما قالوا (مانراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا) وتارة تقطع قلوبهم من الحسرة والغيظ إذا رأوا الله رفع بهذا الدين أقواما ووضع به آخرين كقولهم (أهؤلاء منّ الله عليهم من بيننا) إلى غير ذلك من الأمور التى يطول ذكرها. وبالجملة فمن شرح الله صدره للاسلام ورزقه نورا يمشى به فى الناس تبينت له هذه الأمور التى وقعت فى وقتنا هذا كثيرا من معانى القرآن وتبين له شىء من حكمة الله فى ترداد هذا فى كتابه لشدة الحاجة إليه فيقال لهؤلاء المردة آكلى أموال الناس بالباطل ومذهبى أديانهم مع أموالهم ماقال عمر بن عبد العزيز: رويدا يا ابن نباتة فلو التقت حلقتا البطان ورد الفىء إلى أهله لأتفرغنّ لك ولأهل بيتك حتى أدعهم على المحجة البيضاء فطالما تركتم الحق وأوضعتم

فى الباطل. وأما المسألة والجواب عنها فنقول قد علم بالكتاب والسنة والفطر والعقول تحريم الرشوة وقبحها والرشوة هو ماياخذه الرجل على إبطال حق وإعطاء باطل وهذه يسلمها لك منازعك وهى أيضاً مايؤخذ على إيصال حق إلى مستحقه بل يسكت ولا يدخل فيه حتى يعطيه رشوة فهذه حرام منهى عنها بالإجماع ملعون من أخذها، فمن ادعى حلها فقد خالف الإجماع . وقوله بأى شريعة حكمت بتحريم هذا ؟ فنقول حكمت به شريعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأجمع على ذلك علماء أمته ، وأحل ذلك المرتشون الملعونون . ومن أنواع الرشوة الهدايا التى تدفع إلى الحاكم بسبب الحكم ولو لم يكن لصاحبها غرض حاضر لاأعلم أحدا من العلماء رخص فى مثل هذا والعجب إذا كان فى كتابكم الذى تحكمون فيه يجب العدل بين الخصمين فى لحظه ولفظه ومجلسه وكلامه والدخول عليه فأين هذا من أكل عشرة حمران على أحد الخصمين وإن لم يعطه أخذ بدلها من صاحبه وحكم له، سبحان الله أين شريعة حكمت بحل هذا أم أى عقل أجازه ماأجهل من يجادل فى مثل هذا وأقل حياءه وأقوى وجهه. وأما أدلته التى استدل بها فلا تنس قوله تعالى (فأما الذين فى قلوبهم زيغ)الآية ولما جادل النصارى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ألوهية عيسى واحتجوا عليه بشىء من القرآن وكذلك الخوارج يستدلون على باطلهم بمتشابه القرآن وكذلك الذين ضربوا الإمام أحمد يستدلون عليه بشىء من متشابه القرآن وما أنزل الله(فأما الذين فى قلوبهم زيغ) إلا لما يعلم الله فى حاجة عباده إليها . وأما استدلال هذا الجاهل الظالم بقوله « أحق ماأخذتم عليه أجرا كتاب الله» فجوابه من وجوه : الأول أن المؤمنين إذا فسروا شيئا من القرآن بكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله وأصحابه وكلام المفسرين ليس لهم فيه إلا النقل اشتد نكيرهم عليهم وتقول القرآن لايحل لكم تفسيره ولا يعرفه إلا المجتهدون وتارة تفترى الكذب وتقول إن ابن عباس إذا أراد أن يفسره خرج إلى البرية خوفا من العذاب وأمثال هذه الأباطيل والخرافات ، ومرادهم بذلك سد الباب فلا يفتح لهم طريق إلى هذا الخير فيكون نقلنا الكلام المفسرين منكرا وتفسيرك كتاب الله على هواك وتحريفك الكلم عن مواضعه حسنا ، هذا من أعجب العجاب. الوجه الثانى أن هذا لو كان على ماأوّلته فهو فى الأخذ على كتاب الله وأنتم متبرئون من معرفة كتاب الله والحكم به وشاهدون على أنفسكم بذلك . الوجه الثالث

أن هذا لو كان فيما ذهبت إليه لـكان مخصوصا بتحريم الرشوة التى أجمع الصحابة على تحريمها . الوجه الرابع أن حمل الحديث على هذا من الفرية الظاهرة والـكذب البحت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن معنى ذلك فى الإنسان الذى يداوى المريض بالقرآن فيأخذ على الطب والدواء لا على الحـكم وإيصال الحق إلى مستحقه ويدل عليه اللفظ الآخر « كل فتى أكل برقية باطل فقد أكل برقية حق » والقصة شاهدة بذلك يوضحه . الوجه الخامس وهو أن يقال لهذا الجاهل الجهل المركب من استدل قبلك بهذا الحديث على أن الحاكم إذا أراد أن يوصل الحق إلى مستحقه يجوز له أن يشترط لنفسه شرطين فإن حصل له وإلا لم يفعل فإن وجده فى كتاب فليبين مأخذه وما ظنه بأهل العلم الأولين والآخرين الذين أجمعوا على ذلك لا يجوز أن يظن أن إجماعهم باطل وأنهم لم يفهموا كلام نبيهم حتى فهمه هو ، ولما استدلاله بأن الناس فرضوا لأبى بكر رضى الله عنه لما ولى عليهم كل يوم درهمين فهذا من جهله ومثل هذا مثل من يدعى حل الزنا الذى لا شبهة فيه ويستدل على ذلك بأن الصحابة يطئون زوجاتهم وهذا الاستدلال مثل هذا سواء بسواء ، وذلك أن استدلاله بقصة أبى بكر رضى الله عنه تدل على شدة جهله بحال السلف الصالح فإن النبى صلى الله عليه وسلم كان يعطى العمال من بيت المال وكان الخلفاء الراشدون يأكلون من بيت المال ويفرضون لعمالهم ولا أعلم عاملا فى زمن الخلفاء الراشدين يأكل من ذلك بل الزكاة التى هى للفقراء جعل الله فيها نصيباً للعمال الأغنياء ، ولـكن أبا بكر رضى الله عنه لما ولى واشتغل بالخلافة فى الحرفة وضع رأس ماله فى بيت المال واحترف للمسلمين فيه فأكل بسبب وضع ماله فى بيت المال وبسبب الحرفة فأين هـذا من أكل الرشوة التى حرمها الله ورسوله؟ وأين هذا من الحاكم الذى إذا وقعت الخصومة كان أكثرهم باطلا (سبحانك هذا بهتان عظيم) فإن قالوا لما عدم بيت المال أكلنا من هذا . قلنا هذا مثل من تقول أنا أزنى لأنى أعزب لا زوجة لى فهو هذا من غير مجازفة وقولهم نفعل هذا لأجل مصلحة الناس فنقول ما على الناس أضر من إبليس ومنكم ، أذهبتم دنياهم وآخرتهم والناس يشهدون عليكم بذلك ، هؤلاء أهـل شقة شرطوا لابن إسماعيل ثلاثة وثلاثين أحمر ويسكت عن الناس ويريحهم من أذاه ولا يحكم بين اثنين ولا يفتى فلم يفعل واختار حرفته الأولى . وأما جوابه لمن استدل عليه (ولا تشتروا بآياتى ثمناً

قليلا) بقوله نزلت فى كعب بن الأسرف . فهذا ترس قد أعده الجهال الضلال لرد كلام الله إذا قال لهم أحد قال الله كذا . قالوا نزلت فى اليهود ونزلت فى النصارى نزلت فى فلان وجواب هذه الشبهة الجاهلة الظالمة الفاسدة من وجوه : الأول أن يقال معلوم أن القرآن نزل بأسباب فإن كان لايستدل به إلا فى تلك الأسباب بطل استدلاله وهذا خروج من الدين . الثانى أنك تقول لايجوز لنا تفسير القرآن فكيف فسرت هـذه الآية بأنها خاصة بأبن الأشرف من نقلت عنه من العلماء أن الآية إذا نزلت فى رجل كافر أنها لاتعم من عمل بها من المسلمين ، من قال بهذا القول قبلك وعمن نقلته . الرابعة أن هذا خروج من الإجماع فما زال العلماء من عصر الصحابة فمن بعدهم يستدلون بالآيات التى نزلت فى اليهود وغيرهم على من يعمل بها ولـكن هؤلاء الجاهلون الظالمون الذين يجادلون فى الله من بعد مااستجيب له حجتهم داحضة عند ربهم وعليهم غضب ولهم عذاب شديد . فأما الكلام فى الطواغيت مثل إدريس وآل شمسان فالكلام على هـذا طويل ، ولـكن هؤلاء الذين يخاصمونك لايعبئون بكلام الله ولا كلام رسوله شيئاً ولا عندكم مافى كتابهم فقل إذا كان كتابـكم قد صرح تصريحا لامزيد عليه ونقل الإجماع على أن من فعل عشر معشار فعل هؤلاء الطواغيت أنه كافر حلال الدم والمال ، وقد صرح بأن من شك فى كفرهم فهو كافر فـكيف إذا مدحهم وأثنى عليهم فـكيف إذا ضم إلى ذلك مدح طريقتهم مثل مايفعله ناس من الظالمين فى الرياض يمدحون طريقتهم ويمدحونهم ويذمون دين الإسـلام ويسبونه وأهله ويسمونه السبابة ومنهم من ينصر مذهب ابن عربى وابن الفارض ويدعون إليه وهؤلاء عند المجادل الذى يدعى أنه يعرف الإقناع ويعمل به من الخواص ولو يقال لايصلى خلفهم ولا تقبل شهادتهم وأنهم فسقة لأنكر علينا هذا الذى يدعى أنه فقيه بل هم أحبابه وأصحابه وأنصاره فكيف لو يقال إنهم كفار مرتدون يجب قتلهم إن لم يتوبوا فى صحة فإن بين من العبادات غير مافهمنا فيذكره بدليله ، وإن زعم أن كتابه باطل فيذكر الدليل على بطلانه ، وإن ذكر جوابا آخر يريد أن يجمع بين كتابه وبين عدم تـكفير هؤلاء فهو كمن يريد أن يجمع بين المجوسية والإسلام ، فإن قال مارأيناهم فعلوا قلنا وأنت أيضاً مارأيت فرعون ولا هامان كفروا ولا رأيت أبا جهل وأبا لهب ولا رأيت ظلم الحجاج ولا رأيت الذين ضربوا الإمام أحمد وأنت تشهد

بهذا كله ، فإن قال هذا متواتر . قلنا وكفر هؤلاء وادعاؤهم الربوبية متواتر عند الخاص والعام والرجال والنساء وهم الآن يعبدون ويدعون الناس إلى ذلك ومع هذا كله (من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا — ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا) ولكن إذا أمر الله بجهاد الكفار والمنافقين فلا بد من ذلك والله أعلم . المسألة السابعة سئل رحمه الله عن هذه المسائل المفيدة . الأولى إذا رأينا حديثا فى بعض الكتب مثل الآداب أو شرح الأربعين لابن حجر الهيتمى أو المنازل أو المشارق أو الإقناع أو المنتهى ونسبه صاحبه إلى الصحيحين أو بعض المساند هل يسوغ الأخذ به والعمل به ولو لم نقف على الأصل . الثانية إذا وجدنا روايتين عن الإمام أحمد مختلفتين أو أقوالا للأصحاب مختلفة وكل يدلى بدليل هل يجوز العمل بكل منهما وإذا حكى بعض العلماء مثل صاحب الفروع أو غيره كلاما للإمام أحمد أو للأصحاب وأمثالهم فى مسألة ولم يذكر استدلالهم على ذلك بشىء أو ذكر أن فلانا قال كذا وفلانا قال كذا بضد القول الأول ما الحكم فى ذلك إذا قال الصحيح أو المذهب كذا هل يعمل به . الثالثة إذا فسر بعض الأصحاب معنى حديث واستدل به على حكم وفسره آخر بضده واستدل به على حكم يقابل الأول أو نقل عن الإمام تفسير حديث أو نقل آخر عنه ضده مثل حديث الإغلاق قال ابن القيم عن الإمام أحمد فسر بالإكراه . الرابعة قولهم لا إنكار فى مسائل الاجتهاد وعلى من اجتهد أو قلد مجتهدا حياً أو ميتاً ، وإذا ورد حديثان متضادان فى الحكم مثل حديث القلتين وبئر بضاعة ذكر بعض العلماء أن حديث بئر بضاعة مطلق وحديث القلتين مقيد فيحمل المطلق على المقيد، وذكر غيره أن هذا أى حديث القلتين استدلوا على صحته وأن غيره يحمل عليه بأنه عليه السلام سئل عن إناء ولغ فيه كلب فأمر بإراقته، ولم يسأل هل تغير أم لا . الخامسة الثلاث طلقات المجموعة ذكر الشيخ منصور فى شرح الإقناع وقوعها، يروى عن ابن عباس وعن عمر وعلىّ وابن مسعود وابن عمر قال وعن مالك بن الحارث قال : جاء رجل إلى ابن عباس فقال إن عمى طلق امرأته ثلاثا فقال إن عمك عصى الله وأطاع الشيطان فلم يجعل له مخرجا ، وروى النسائى بإسناده عن محمود بن لبيد قال « أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن رجلا طلق امرأته ثلاث تطليقات جميعا فغضب وقال أيلعب بكتاب الله وأنا بين أظهركم حتى قام رجل فقال يارسول الله أفلا أقتله » انتهى . وأما ماروى طاووس

عن ابن عباس قال : كان الطلاق على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلافة أبى بكر وصدر من خلافة عمر الثلاث واحدة إلى آخره ، فقال الأثرم سألت أبا عبد الله عن حديث ابن عباس بأى شئ أدفعه قال ادفعه برواية الناس عن ابن عباس بوجوه خلافه ثم ذكر عن ابن عباس خلافه من وجوه أنها ثلاث انتهى . السادسة قول أهل العلم إن اتفاق الأئمة حجة واختلافهم رحمة فما معنى كون اختلافهم رحمة واحتج بهذه من اتبع المجتهدين . السابعة الحلف بالطلاق ذكر الشيخ منصور فى شرح الإقناع نقلا عن اختيارات أبى العباس . قال : أبو العباس تأملت نصوص أحمد فرأيته يأمر باعتزال الرجل امرأته فى كل يمين حلف الرجل عليها انتهى. فهذا من أبى العباس يدل على أن مذهب الإمام أحمد يدل على صحة الحلف بالطلاق. الثامنة مسألة الوقف على الأولاد ذكر مصنف المنتهى فى شرحه عن مسند الحميدى « أن أبا بكر وسعدا وعمرو بن العاص وحكيم بن حزام تصدقوا على أولادهم بدور المدينة » . التاسعة قوله تبارك وتعالى (يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية) وقوله (الظانين بالله ظن السوء) وقوله (وذلك ظنكم الذى ظننتم بربكم أرداكم) مامعنى سوء الظن بالله؟ وقوله (من يعمل سوءا يجز به) مامعناه وما معنى إدخال البخارى إياه فى كتاب الطب وكذلك الحديث الذى أورده « مامن مسلم يصيبه أذى » فإن فسرتم الأذى بجميع المكروهات كما هو المشهور من معنى اللفظ الأخير « مايصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا همّ ولا حزن ولا أذى » فعطف الأذى على ماتقدم والعطف يقتضى المغايرة هل المراد الذى لم يصدر منه شرك بالكلية أم لا؟ وما معنى قولهم من الشرك التصنع للمخلوق المسلم وخوفه ورجاؤه وهل المراد به الشرك الأكبر أو الأصغر وقوله « أنا عند ظن عبدى بى إن ظن بى خيرا فله وإن ظن بى شرا فله » وما معناه؟ والحديث الذى فيه النهى عن قيل وقال وعن كثرة السؤال وإضاعة المال وقوله عليه السلام « الشؤم فى ثلاثة فى المرأة والولد والفرس » مامعناه وترك الخارص الثلث أو الربع هل هو صحيح أم لا؟ فإن قلتم لا فما معنى الحديث الذى استدل به من جوزه وهو قوله للعباس هى علىّ ومثلها معها وقوله « الماهر فى القرآن مع السفرة الكرام البررة والذى يقرؤه وهو عليه شاق له أجران » هل المراد حفظ حروفه ويحصل الفضل بذلك أم لا؟ والحفظ مع فهم المعانى وما معنى المشقة والتعاهد وما معنى قوله « طعام الواحد يكفى الاثنين وطعام الاثنين يكفى الثلاثة » أفتونا مأجورين فأجاب رحمه الله اعلم أرشدك الله أن الله سبحانه وتعالى بعث محمدا صلى الله

عليه وسلم بالهدى الذى هو العلم النافع ودين الحق الذى هو العمل الصالح إذا كان من ينتسب إلى الدين منهم من يتعانى بالعلم والفقه ويصول به كالفقهاء ومنهم من يتعانى العبادة وطلب الآخرة كالصوفية، فبعث الله نبيه بهذا الدين الجامع للنوعين ومن أعظم ما امتنّ الله به عليه وعلى أمته أن أعطاه جوامع الكلم فيذكر الله تعالى فى كتابه كلمة واحدة تكون قاعدة جامعة يدخل تحتها من المسائل مالا يحصى وكذلك يتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكلمة الجامعة ، ومن فهم هذه المسألة فهما جيدا فهم قوله تعالى (اليوم أكملت لكم دينكم) وهذه الكلمة أيضا من جوامع الكلم إذ الكامل لا يحتاج إلى زيادة ، فعلم منه بطلان كل محدث بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه كما أوصانا بقوله « عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة » فهم معنى قوله (فإن تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول) فإذا كان الله سبحانه قد أوجب علينا أن نرد ما تنازعنا فيه إلى الله أى فى كتابه وإلى الرسول أى إلى سنته علمنا . قطعا أن من رد إلى الكتاب والسنة ما تنازع فيه الناس وجد فيه ما يفصل النزاع وهذه كلمات يسيرة تحتاج إلى بسط طويل وتشير إلى حظ جليل وإنما قدمتها لأن من عرفها انجلى عنه إشكالات كثيرة فى مسائل لا تحصر ، منها بعض هذه المسائل والمسئول عنها من ذلك جواب . المسئلة الثانية إذا اختلف كلام أحمد وكلام أصحابه فنقول فى محل النزاع التراد إلى الله والرسول لا إلى كلام أحمد ولا إلى كلام أصحابه ولا إلى الراجح المرجح من الروايتين والقولين خطأ قطعاً ، وقد يكون صوابا وقولك إذا استدل كل منهما بدليل . فالدلائل الصحيحة لا تتناقض بل يصدق بعضها بعضا لكن قد يكون أحدهما أخطأ فى الدليل ، إما مستدل بحديث لا يصح : وإما فهم من كلمة صحيحة مفهوما مخطئا . وبالجملة فمهما رأيت الاختلاف فرده إلى الله والرسول فإذا تبين لك الحق فاتبعه ، فإن لم يتبين واحتجت إلى العمل فقلد من تثق بعلمه ودينه وهل يتخير الرجل عند ذلك أو يتحرى أو يقلد الأعلم أو الأورع ؟ فيه كلام ليس هذا موضعه فتبين بهذا جواب . المسألة الثانية والثالثة والرابعة. وأما المسألة الأولى فإن كان صاحب الدلائل ثقة مأمونا ونسبه إلى الصحيحين وغيرهما جاز العمل بقوله « ولا أحد منع ذلك » . وأما المسألة الخامسة وهى قول من قال : لا إنكار فى مسائل الاجتهاد فجوابها يعلم من القاعدة

المتقدمة فإن أراد القائل مسائل الخلاف كلها فهذا باطل يخالفه إجماع الأمة فما زال الصحابة ومن بعدهم ينكرون على من خالف أو أخطأ كائنا من كان . ولو كان أعلم الناس وأتقاهم وإذا كان الله قد بعث محمدا صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق وأمرنا بالتباعد وترك ماخالفه . فمن تمام ذلك أن من خالف من العلماء مخطئا فيه على خطئه وأنكر عليه ، وإن أريد مسائل الاجتهاد مسائل الخلاف التى لم يتبين فيها الصواب . فهذا كلام صحيح لايجوز للإنسان أن ينكر الشئ لكونه مخالفا لمذهبه أولعادة الناس فكما لايجوز للإنسان أن يأمر إلا بعلم لايجوز أن ينكر إلا بعلم وهذا كله داخل فى قوله تعالى (ولا تقف ماليس لك به علم) . وأما المسألة السادسة وهى قولك إذا ورد حديثان متضادان مثل حديث القلتين وحديث بئر بضاعة الخ . وهذه عبارة لاينبغى إلى أن قال وحاشا كلام الله وكلام رسوله من التضاد بل كله حق يصدق بعضه بعضا، والواجب على المؤمن مثل هذا أن يحسن الظن بكلام الله وكلام رسوله ويقول كما أمر الله به (آمنا به كل من عند ربنا) فإذا تبين له الحق فليقل به ويعمل به وإلا فليمسك وليقل الله ورسوله أعلم . فإن الله تعالى ابتلى الناس بالمتشابه كما ابتلاهم بالمحكم ليعلم من يقف حيث وقفه الله فمن يقول على الله بلا علم ، نعم قد يرد حديثان متضادان ، ولكن أحدهما ليس بصحيح ، وقد يكون أحدهما ناسخا لكنه قليل جدا ومع ذلك لايرد المنسوخ إلا وقد يرد مايثبته . وأما قولك مايسوغ لمثلنا ، فالذى يسوغ بل يجب ماوصفت لك . وهو طلب علم ماأنزل الله على رسوله ورد ما تنازع فيه المسلمون فإن علمه الله شيئا فليقل به وإلا فليمسك ويقول الله أعلم ويجعله من العلم الذى لايعرفه، فلو بلغ الإنسان فى العلم ماعلمه مابلغ لكان ماعلمه قليلا بالنسبة إلى مالم يعلمه . وقد قال تعالى (وما أوتيتم من العلم إلا قليلا) . وأما المسألة السابعة فكونها مروية عن الصحابة فمسلم ويكفى فى ذلك ماورد عن المحدث الملهم الذى أمرنا باتباع سنته ثانى الخلفاء عمر بن الخطاب ، ولكن ليس فى هذا مايرد القول الآخر . وأما الحديث « أيلعب بكتاب الله وأنا بين أظهركم » فهذا يدل على أن جمع الثلاث لايجوز وأما كونه ألزم بها فلم يذكر فى الحديث والذى يقول إنها واحدة لايقول إن التلفظ بها يجوز بل يقول هو منكر من القول وزور كما فى الحديث . وأما رد الإمام أحمد رحمه الله ذلك بمخالفة رواية له . فهذه مبنية على مسألة أصولية وهى أن

الصحابى إذا أفتى بخلاف ماروى هل يقدح فيه والصحيح أنه لايقدح فيه فإن الحجة فى روايته لافى رأيه، وبالجملة فالمسألة مسألة طويلة لعل المذاكرة تقع فيها شفاها. وأما المسألة الثامنة وهى قول من قال : اتفاق العلماء حجة واختلافهم رحمة فليس المراد به الأئمة الأربعة بإجماع الأمة كلهم وهم علماء الأمة . وأما قولهم اختلافهم رحمة . فهذا باطل بل الرحمة فى الجماعة والفرقة عذاب كما قال تعالى (ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك) فلما سمع عمر أن ابن مسعود وأبيا اختلفا فى صلاة الرجل فى الثوب الواحد صعد المنبر وقال : اثنان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ففى أبىّ فتيا كم يصدر المسلمون لاأجد اثنين اختلفا بعد قيامى هذا إلا فعلت وفعلت لكن قد روى عن بعض التابعين أنه قال : ماأحسب اختلاف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا رحمة للناس لأنهم لو لم يختلفوا لم يكن رخصة ومراده شىء آخر غير مانحن فيه ومع هذا فهو قول مستدرك لأن الصحابة بأنفسهم ذكروا أن اختلافهم عقوبة وفتنة . وأما المسألة التاسعة وهى مسألة الحلف بالطلاق فغاية ماذكره أنه مذهب أحمد ومذهب غيره يخالفه، ومن كانت الحجة معه فهو المصيب . وأما مسألة الوقف فالكلام فيها طويل يحتاج إلى مذاكرة، وبالجملة فلا تنكر إلا ماخالف أمر الله ورسوله وطريقة الصحابة وأتباعهم . وأمامافعله الصحابة فعلى الرأس والعين. وأما قوله تعالى (يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية) وقوله (الظانين بالله ظن السوء) فقد بسط الكلام عليها فى الهدى على وقعة أحد وقد فسره بأشياء كثيرة نقولها ونعتقدها ولا نظن إلا أنها عقل وصواب فتأمل كلامه تأملا جيدا . وأما قوله (من يعمل سوءا يجز به) وإدخال البخارى لها فى كتاب الطب فمراد البخارى أن هذه الأمراض التى يكرهها العبد هى مما يكفر الله بها عن المؤمن سيئاته ويطهره بها لأن قوله (من يعمل سوءا يجز به) عام فى جزاء الدنيا والآخرة. وأما إدخاله هذا فى كتاب الطب فواضح وأهل العلم يذكرون فى الباب ماهو أبعد من هذا تعلقا واستطرادا. وأما قوله « مامن مسلم يصيبه أذى » فهو عام وأما عطف الأذى على الوصب والنصب والهمّ فمن عطف العام على الخاص وهو كثير جدا فى كلام العرب وفى كلامنا . وأماسؤالكم هل هذا فى المسلم الذى لم يصدر منه شرك بالكلية، أما الشرك الذى يصدر من المؤمن وهو لايدرى مع كونه مجتهدا فى اتباع أمر الله ورسوله فأرجو أن لايخرجه هذا من الوعد ، وقد

صدر من الصحابة أشياء من هذا الباب كحلفهم بآبائهم وحلفهم بالله وقولهم ماشاء الله وشاء محمد وقولهم اجعل لنا ذات أنواط ، ولكن إذا بان لهم الحق اتبعوه ولم يجادلوا فيه حمية الجاهلية لمذهب الآباء والعادات . وأما الذى يدعى الإسلام وهو يفعل من الشرك الأمور العظام فإذا تليت عليه آيات الله استكبر عنها فليس هـذا بالمسلم . وأما الإنسان الذى يفعلها بجهالة ولم يتيسر له من ينصحه ولم يطلب العلم الذى أنزله الله على رسوله فقد أخلد إلى الأرض واتبع هواه ولا أدرى ماحاله . وأما قول من قال: من الشرك التصنع للمخلوق فلعل مراده التصنع بطاعة الله الذى يسمى الرياء وهو كثير جدا فهذا صحيح فى أمور لايفطن لها صاحبها ، وأما خوف المخلوق فالمراد به الخوف الذى يحملك أن تترك مافرض الله عليك وتفعل ماحرم الله عليك خوفا من ذلك المخلوق، وأما الرجاء فلعل المراد الذى يخرج العبد عن التوكل على الله والثقة بوعده وكل هذه الأمور كثيرة جدا، وأماقوله «الشؤم فى ثلاث» الخ. فهذا أشكل على من قبلنا حتى إن عائشة كذبته وقالت هذا كلام أهل الجاهلية ولكنه صح وقد تكلموا فى تفسيره ولم يتبين لى معناه والله أعلم بمراد رسوله . وأما ترك الخارص الثلث فقد سمع الجماعة فيها ماتيسر؛ وبالجملة فأرجح الأقوال فيها عندى قول أكثر أهل العلم إنه غير مطرد. بل يترك قدر مايأكله ويخرجه رطبا باجتهاد الخارص وعلى هذا تجتمع الأدلة ويصدق بعضها بعضا . وأما ماورد من الفضل فى حفظ القرآن هل المراد حفظه مع حفظ المعانى فلا يحضرنى جواب يفصل المسألة ولكن حفظه مع عدم الفهم لا يوجد . فهذا من النبى صلى الله عليه وسلم والخلفاء لا أعلمه وأظنه لو وجد فى زمانهم لكان مشهورا والذى يسمى عندنا الفروع لما ذكر أنه يحفظ الفروع ولايفهمه وقدقال تعالى (مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا) وذكر ابن القيم أن هذه لو نزلت فى التوراة فالقرآن كذلك لافرق بينهما ولذلك ذم الذين يقرءون بلا فهم كقوله (ومنهم أميون لايعلمون الكتاب إلا أمانىّ) أى تلاوة بلا فهم والمراد من إنزال القرآن فهم معانيه والعمل به لامجرد تلاوته، وأما قوله « طعام الواحد يكفى الاثنين » الخ فلا أعلم له معنى غير ظاهره. وأما إغلاق الباب وقت الجذاذ فلا أتجسر على الجزم بتحريمه ولكن أظنه لايجوز فى هـذا المعنى من الكتاب والسنة وكلام أهل العلم، من ذلك ماذكره الله فى سورة نٓ عن أصحاب الجنة (إذ أقسموا ليصرمنها

مصبحين) وهم لم يغلقوا الباب بل تحيلوا بالصرام فى وقت يأتى فيه المساكين. وأما تأخير الزكاة فلا يجوز، ومن استدل بحديث «هى علىّ ومثلها معها» فقد أخطأ خطأ واضحا الأول أن ظنى أن الحديث لا يدل على المسألة المسئول عنها . فإن المسألة المسئول عنها أن صاحب المال هل يحل له تأخير الزكاة عن وقتها لحاجة أو غيرها، والمسألة التى قال بعض أهل علم الحديث يدل عليها ليست هـذه بل إذ رأى الإمام أو الساعى أن يؤخر الزكاة لمصلحة ، وهذه مسألة غير الأولى والدليل أن أحمد سئل عن تأخير الزكاة فمنعه وتشدد فيه، وسئل عن الساعى إذا أراد تأخيرها فى سنة مجدبة فرخص له واستدل بفعل عمر ، مثال ذلك أن ولىّ اليتيم إذا قيل له إنه يجوز له بيع عقاره لمصلحة هل يحل لأحد أن يستدل بهذه المسألة إذا كان عندهم ليتيم دار أو عقار لا يعلم بها وليه فأراد أن يعطى الولى أو اليتيم عنها لمصلحة المعطى هل يقول أحد إن هذا جائز ولو استدل أحد على جوازه ببيع وليه عقاره لمصلحة لعده الناس ضحكة فينبغى لطالب العلم أن يتفطن لصورة المسألة فى الدليل الذى يدل عليها أو يجيل نظره فى ذلك فإن كثيرا من الأغاليط وقعت فى مسألة واضحة جدا ويستدل بشىء من القرآن أو السنة وهو لا يدل على ذلك كما فعله الرافضة والقدرية والجهمية وغيرهم قال تعالى (هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أمّ الكتاب) الآية ، فنسأل الله تعالى أن يهدينا لما يحبه ويرضاه . المسألة الثامنة سئل الشيخ رحمه الله عن توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية وتوحيد الصفات، فأجاب : توحيد الربوبية هو الذى أقر به الكفار كما قال تعالى (قل من يرزقكم من السماء والأرض أمن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ومن يدبر الأمر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون) وأما توحيد الألوهية فهو إخلاص العبادة لله وحده من جميع الخلق لأن الإله فى كلام العرب هو الذى يقصد للعبادة وكانوا يقولون إن الله سبحانه هو إله الآلهة لكن يجعلون مع الله آلهة أخرى مثل الصالحين والملائكة وغيرهم يقولون إن الله يرضى هذا ويشفعون لنا عنده . فإذا عرفت هذا معرفة جيده تبين لك غربة الدين ؛ وقد استدل عليه سبحانه بإقرارهم بتوحيد الربوبية على بطلان مذهبهم لأنه إذا كان هو المدبر وحده وجميع من سواه لا يملكون مثقال ذرة فكيف يدعونه ويدعون غيره معه مع إقرارهم بهذا. وأما توحيد الصفات فلا يستقيم توحيد الربوبية

ولا توحيد الألوهية إلا بالإقرار بالصفات لكن الكفار أعقل ممن أنكر الصفات والله أعلم . المسألة التاسعة سئل رحمه الله ماقول الشيخ رحمه الله فى تسمية المعبودات أربابا إذ الرب يطلق على المالك والمعبود على الإله ، وكل اسم من أسمائه جل وعلا له معنى يخصه بالتخصيص دون التداخل بالتعميم . والجواب : الرب والإله فى صفة الله تبارك وتعالى متلازمة غير مترادفة فالرب من الملك والتربية بالنعم والإله من التأله وهو القصد لجلب النفع ودفع المضرة بالعبادة ولذلك صارت العرب تطلق الرب على الإله فسموا معبوداتهم أربابا من دون الله لأجل ذلك أى لكونهم يسمون الله ربا بمعنى إلها. المسألة العاشرة سئل رحمه الله عن مسائل: (الأولى) أحاديث الوعد والوعيد وقول وهب بن منبه «مفتاح الجنة: لا إله إلا الله» الخ (الثانية) حديث أنس «من صلى صلاتنا» الخ. (الثالثة والرابعة) شىء من أحاديث الوعد والوعيد (الخامسة) الحديث الذى فيه «يخرج من ثقيف كذاب» الخ (السادسة والسابعة) قوله «ألا أخبركم بأهل الجنة» الخ .

فأجاب : الحمد لله الذى يجب العلم به أن كل ما قال الرسول حق يجب الإيمان به ولو لم يعرف الإنسان معناه ، وفى القرآن آيات فى الوعد والوعيد كذلك وأشكل الكل على كثير من الناس من السلف ومن بعدهم ، ومن أحسن ماقيل فى ذلك اقرءوها كما جاءت معناه لاتتعرضوا لتفسير لاعلم لكم به ، وبعض الناس تكلم فيها ردا لكلام الخوارج والمعتزلة الذين يكفرون بالذنوب ويخلدون أصحابها فى النار أنه ينفى الإيمان عن بعض الناس لكونه لم يتمه كقوله للأعرابى « صلّ فإنك لم تصل » والجواب الأول أصوب وأهون وأوسع وهو الموافق لقوله تعالى (والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا) الآية . إذا فهمت ذلك فالمسألة الأولى واضحة ومراده الرد على من ظن دخول الجنة بالتوحيد وحده بدون الأعمال. وأما إذا أتى به وبالأعمال وأتى بسيئات ترجح على حسناته أو تحبط عمله فلم يتعرض وهب لذلك بنفى ولا إثبات لأن السائل لم يروه. وأما الثانية وهى قوله «من صلى صلاتنا» فهو على ظاهره معناه لو عرف منه النفاق فما أظهره نفاق وعليه وباله، وإلا فمعلوم أن من صدّق مسيلمة أو أنكر البعث أو أنكر شيئاً من القرآن أو غير ذلك من أنواع الردة أنه لم يدخل فى الحديث . وأما الثالثة والرابعة التى فيها أحاديث الوعد والوعيد فسبق لجرائمها . وأما قولها أما الكذاب فقد عرفناه هو رجل من ثقيف خرج يطلب بدم الحسين وأهل البيت

وانتصر وقتل من قتلهم ثم ملك العراق. وغلط مرة فسير إليه ابن الزبير عسكرا فقتلوه وفتحوا العراق لأنه أظهر الزندقة وادعى النبوة ، وأما المبير وهو الذى يفنى الناس بالقتل فهو الحجاج المعروف . وأما السادسة فلا علمت أن الحديث صحيح . وأما السابعة فقوله كل ضعيف فهو ضد القوى. والمتضعف قيل إنه المتواضع ،والعتل قيل هو الغليظ الجافى والزنيم المعروف بالشر والمتكبر معروف والذى لا زبر له فسره بقوله : لا يبتغون أهلا ولا مالا ، والشنظير فسره بالغاش وباقى الأوصاف فى الخير والشر معروفة. المسألة الحادية عشرة سئل رحمه الله عن الوعيد فيمن حفظ القرآن ثم نسيه هل هو صحيح أم غير ذلك أيضا؟ يفهمنى عبد الوهاب فى خط الموصلى أنك ما رضيت قوله أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له فى مشيئته وإرادته حتى إنى أفكر فيها ولا بان لى فيها شىء أيضا سوى المذكور عند النووى «اللهم إنى أسلمت نفسى إليك» الخ بين لى معناه جزاك الله خيرا . الجواب الوعيد فيمن حفظ القرآن ثم نسيه ثابت عند أهل الحديث. فإن كنت قد حفظت القرآن أو شيئا منه ثم نسيته فودى أن تعود إليه. وأما قوله فى الخطبة أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له فى مشيئته وإرادته فعجب كيف يخفى عليك هذا الألوهية ، والمذكور فى الخطبة توحيد الربوبية الذى أقر به الكفار . وأما قوله «اللهم إنى أسلمت نفسى إليك» فترجع إلى الإخلاص والتوكل ، ولو كان بينهما فروق لطيفة والله أعلم. الثانية عشرة قال السائل عفا الله عنك خطبت ووقفت على يوم يبعثر من فى القبور ، ويحصل ما فى الصدور ، ثم قلت جعلنا الله وإياك من الآمنين الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون بارك الله لى ولكم الخ ، ولا فطنت إلا بعد ما انقضت الصلاة وأردت أن آمر المؤذن يؤذن ويعيد الخطبة والصلاة ، ثم تأملت يوم يبعثر ما فى القبور ويحصل ما فى الصدور وإذا كأنها آية تقوم بالمعنى وتجزى ثم كثر علىّ الهمّ والتردد ، وأيضا عفا الله عنك عندى دبيش ولى عيل وحاير تطمع نفسى لمنزلة الفقراء ولو لم يكن إلا سبقهم إلى الجنة بما ذكر ، ويعارض ذلك أىّ الفقير الصابر أو الغنى الشاكر أفضل وقوله صلى الله عليه وسلم «أن تذر ورثتك» الخ بين لى حد الشكر وحد الصبر أيضا. قوله صلى الله عليه وسلم «من قال لا إله إلا الله صادقا» الحديث واللفظ الآخر «مخلصا دخل الجنة». ما معنى الصدق والإخلاص والفرق بينهما. أيضا حديث البطاقة وما معه من سجلات الذنوب حتى وضعت فى كفة والبطاقة

فى كفة فرجحت بتلك السجلات لما تضمنت من الإخلاص، وما تقول فيمن خالف شيئا من واجبات الشريعة ماذا يقع عليه وما معنى «كل ذنب عصى الله به شرك» وهل يقع فى جزء من الكفر ، والمراد به الكفر بالله أو بالإله مع صغره ، وما معنى قول من قال كفر دون كفر وقول من قال نعمة أى نعمة أيضا وماذا ترى فى الرؤيا التى ذكرت لك أيضا تذكرت فى الإيمان قوته وضعفه وإلا فمحله القلب فإن التقوى ثمرته مركبة عليه فبقوته تقوى وبضعفه تضعف ، وهذا فهمى ولكن ورد على شبهة اعرف من خالف دين الإسلام وصد عنه تقوى من بعض التعديات ولا سيما أموال الناس . ألا والعبادة البدنية والمالية مثل الصلاة والزكاة تكون عادة وفطرة أى شىء ترى ذلك منه وماذكرت لك فى أول السؤال صحيح أم لا. الجواب وبالله التوفيق : أما مسألة الخطبة فى الجمعة فلا علمت فيها خلافا وأرجو أن تكون تامة . وأما مسألة الغنى والفقر فالصابر والشاكر كل منهما من أفضل المؤمنين وأفضلهما أتقاهما كما قال تعالى (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) وأما حد الصبر وحد الشكر فلا عندى علم إلا المشهور بين العلماء أن الصبر عدم الجزع والشكر أن تطيع الله بنعمته التى أعطاك . وأما قوله من قال «لا إله إلا الله صادقا» والحديث الآخر «مخلصا» فمسألة الصدق والإخلاص كبيرة . ولما ذكر الإمام أحمد الصدق والإخلاص قال بهما ارتفع القوم ولكن يقربها إلى الفهم التفكر فى بعض أفراد العبادة مثل الصلاة والإخلاص ؛ فالإخلاص فيها يرجع إلى إفرادها عما يخالف كثيرا من الرياء والطبع والعبادة وغير ذلك، والصدق يرجع إلى إيقاعها على المشروع ولو أبغضه الناس فى ذلك، وحديث البطاقة ذكر الشيخ أنه رزق عند الخاتمة قولها على ذلك الوجه والأعمال بالخواتيم مع أن على بقيته إشكال والله أعلم. وأما معنى كل ذنب عصى الله به شرك أو كفر، فالشرك والكفر نوع والكبائر نوع آخر والصغائر نوع آخر. ومن أصرح ما فيه حديث أبى ذر فيمن لقى الله بالتوحيد قوله «وإن زنى وإن سرق» مع أن الأدلة كثيرة. وإذا قيل من فعل كذا فقد أشرك أو كفر فهو فوق الكبائر وما رأيت منى ما يخالف ما ذكرت لك فهو بمعنى الذى هو أخفى من دبيب النمل وقول القائل كفر نعمة خطأ رده الإمام أحمد وغيره . ومعنى أنه ليس يخرج من الملة مع كبره ؛ والرؤيا أرجو أنها من البشرى ولكن الرؤيا سر المؤمن ولا تغره وقولك إن الإيمان محله القلب ؛ فالإيمان أجمع السلف على أن محله القلب

والجوارح جميعا كما ذكره الله تعالى فى سورة الأنفال وغيرها . وأما كون الذى فى القلب والذى فى الجوارح يزيد وينقص فذاك شيء معلوم ؛ فالسلف يخافون على الإنسان إذا كان ضعيف الإيمان سلب الإيمان كله. وأما الشبهة التى وردت عليك إذا كان الرجل مخالفا دين الاسلام ويصد عنه ولكن فيه ورع عن بعض المحرمات فأنت خابر أن الانسان يكفر بكلمة واحدة فكيف الصد عن سبيل الله واذكر قوله تعالى (ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم) فإذا كانت الكراهة تحبط الورع الذى تذكر فكيف الصد مع الكراهة ، واليهود والنصارى فيهم أهل زهد أعظم من الورع والله أعلم . المسألة الثالثة عشرة سئل رحمه الله ما يقول الشيخ شرح الله صدره ويسر أمره فى مسائل أشكلت علىّ فيما يجب علينا من معرفة الله إذا كان موجب الإلهية الربوبية وأشوفك قليل التصريح عليها عند تقرير التوحيد الألوهية ويشكل علينا أيضا كون مشركى العرب أقروا به يكون من غير معرفة لوضوحه أم توغلوا فى التقليد ولم يلتفتوا للحقيقة الموجبة للعبادة أم زعمتم أن هذا شيء يرضاه الرب أم كيف الحال، وأيضا كلمة التوحيد كونها محتوية على جميع الدين من إنزال الكتب وإرسال الرسل إنها نافية جميع المقصودات المسماة بالإلهية الباطلة إذا صيرها القصد فتسمى بذلك من غير استحقاق لأنها مخلوقة مربوبة مقهورة ، والواحد فى القصد هو الواحد فى الخلق، أرى بعض الناس تكلم فى معناها وعلمها وأن لفظها مجردة من غير معرفة لايفيد شيئا لكن نظرت فى حديث الشفاعة الكبرى عند قوله (عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا) وإخراجه العصاة من أمته بإذن ربه حتى قال « أئذن لى فيمن قال لا إله إلا الله » هذا مشكل علىّ جدا وفهمى قاصر عن معرفته إذا كان كلمة التوحيد هى الغاية وتقييدها بالمعرفة ، وإخراجه صلى الله عليه وسلم أدنى أدنى أدنى مثقال ذرة خردل من إيمان فأنت جزاك الله خيرا بين لى معنى هذه الكلمة لا أضل ولا أضل وأخبرك يوم أنا غافل عن الفهم فى الربوبية ما فهمى جيد فى الألوهية فلما بان لى شيء من معرفتها واتضح لى بعض المعرفة فى الألوهية فى ضرب المثل أن فيصل ما استعبد لعدير إلا لأهل كبر ملك عدير مع أنه قبيل له، وأظن غالب الناس كذلك وفيهم من يرى الربوبية ، ولا يعتبرها ويتهاون بها وهذا نسمعه من بعضهم فجزاك الله خيرا صرح لى بالجواب ؟

فأجاب : إلى الأخ حسن، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد سرنى ما ذكرت من

الإشكال وانصرافك إلى الفكر فى توحيد الربوبية، ولا يخفاك أن التفصيل يحتاج إلى طول ، ولكن مالا يدرك كله لايترك كله. فأما توحيد الربوبية فهو الأصل ولا يغلط فى الإلهية إلا من لم يعطه حقه كما قال تعالى فيمن أقر بمسألة منه (ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله فأنى يؤفكون) ومما يوضح لك الأمر أن التوكل من نتائجه والتوكل من أعلا مقامات الدين ودرجات المؤمنين ، وقد تصدر الإنابة والتوكل من عابد الوثن بسبب معرفته بالربوبية كما قال تعالى(وإذا مس الإنسان ضر دعا ربه منيبا إليه) الآية . وأما عبادته سبحانه وتعالى بالاخلاص دائما فى الرخاء والشدة فلا يعرفونها ، وهى نتيجة الإلهية ، وكذلك الإيمان بالله واليوم الآخر والإيمان بالكتب والرسل وغير ذلك. وأما الصبر والرضا والتسليم والتوكل والإنابة والتفويض والمحبة والخوف والرجاء فمن نتائج توحيد الربوبية . وكذلك توحيد الألوهية هو أشهر نتائج توحيد الربوبية وهذا وأمثاله لايعرف إلابالتفكر لابالمطالعة وفهم العبارة. وأماالفرق بينهما فإن أفرد أحدهما مثل قوله (إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا) فهو توحيد الإلهية مثل قوله (فاعلم أنه لا إله إلا الله) وأمثال ذلك ، فإذا قرن بينهما فسدت كل لفظة بأشهر معانيها كالفقير والمسكين . وأما ماذكرت من الجاهلية كيف لم يعرفوا الإلهية إذا أقروا بالربوبية فهل هو كذا وكذا فهو بمجموع ماذكرت وغيره ، وأعجب من ذلك وما رأيت وماسمعت ممن يدعى أنه أعلم الناس ويفسر القرآن ويشرح الحديث مجلدات ثم يشرح البردة ويستحسنها ويذكر فى تفسيره وشرحه للحديث إنه أشرك ويموت ماعرف ماخرج من رأسه . هذا هوالعجب العجاب، أعجب بكثير من أناس لا كتاب لهم ولا يعرفون جنة ولا نارا ولا رسولا ولا إلها . وأما كون لاإله إلا الله تجمع الدين كله وإخراج من قالها من النار إذاكان فى قلبه مثقال ذرة فلا إشكال فى ذلك. وسر المسألة أن الإيمان يتجزأ ولايلزم من ذهاب بعضه ذهاب كله بل هذا مذهب الخوارج فالذى يقول الأعمال كلها من لا إله إلا الله فقوله الحق، والذى يقول يخرج من النار من يقولها وفى قلبه من الإيمان مثقال ذرة فقوله الحق ، والسبب ما ذكرت لك من التجزؤ وسبب الغفلة عن التجزؤ غلط أبى حنيفة وأصحابه فى زعمهم أن الأعمال ليست من الإيمان والإسلام . المسألة الرابعة عشرة سئل رحمه الله عن معنى قول النبى صلى الله عليه وسلم فى حديث معاذ «حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا»

الخ إلى أن قال «أفلا أبشر الناس؟ قال لا تبشرهم فيتكلوا» ومعنى لا يدخل أحد الجنة بعمله أيضا . ما معنى عقد اللحية والضرب بالأرض هو الذى تعرف أن بعضهم يخط خطوطا ثم بعدها إن ظهرت شفعا فكذا وإن ظهرت وترا فكذا أم غير ذلك وتفسير الحسن الجبت برنة الشيطان مارنة الشيطان وحديث «من ردته الطيرة فقد أشرك ، وكفارة ذلك أن تقول : اللهم لا طير إلا طيرك» الخ ، أم كيف يزول ذلك الشرك فهذا اللفظ مع أن الطيرة مخامرة باطنة واللفظ وحده لا يفيد أو فائدة قليلة وما معنى الفخر والطعن وما معنى مكر الله بالعبد وما الفرق بين الروح والرحمة وما معنى «لا يؤمن أحدكم حتى يحب» ذاتا أورثته المتابعة ومعرفة الدين أو إيثار متابعة الأمر والنهى عن ورود الشهوات . وأيضا كسوة المرأة إذا كانت كسوة عرس هل للمرأة أن تطلب من الزوج كسوة بدن أم هى كسوة بدن حتى يحول عليها الحول . وأيضا قيد الكسوة بالحول صواب . وأيضا إذا كان صوابا فهل هو بكل أحد للعالى والمتوسط والدانى أم فيها تفصيل . وأيضا إذا عريت قبل مضى الحول يجب على الزوج أن يكسوها أم لا . وأيضا إن مضى بعض الحول . الجواب أما أحاديث معاذ فالمعنى عند السلف الحلال ظاهر وهو من الأمور التى يقولون أمروها كما جاءت أعنى نص الوعد والوعيد لا يتعرضون للمشكل منه . وأما قوله «لن يدخل أحد منكم الجنة بعمله» فتلك مسألة أخرى على ظاهرها وهو أن الله لو يستوف حقه كما يستوفى السيد حقه من عبده لم يدخل أحد الجنة ولكن كما قال الله تعالى (ليكفر الله عنهم أسوأ الذى عملوا) الآية . وعق اللحية لا أعلمه لكن ذكر فى الآداب ما يقتضى أنه شىء يفعله بعض الناس فى الحرب لا على وجه التكبر . وأما الضرف فهو مشهور جدا حتى إن بعض الناس يخط فمن وافق خطه فذاك ، والذى يبدو للذهن أنه عام فى كل أنواع الخط وخط ذلك النبى عدم لا يوجد من يعرفه ، ورنة الشيطان لا أعرف مقصود الحسن بل عادة السلف يفسرون اللفظ العام ببعض أفراده . وقد يكون السامع يعتقد أن ذلك ليس من أفراده . وهذا كثير فى كلامهم جدا ينبغى التفطن له ، وقوله فى الطيرة «وكفارة ذلك أن تقول» الخ . فالطيرة تعم أنواعا منها ما لا إثم فيه كما قال عبد الله وما منا إلا ولكن الله يذهبه بالتوكل فإذا وقع فى القلب شىء وكرهه ولم يعمل به بل خالفه وقال لم يضره وإن قال من الحسنات شيئاً فهو أبلغ وأتم فى الكفارة ، فلو قدرنا أن تلك الطيرة من الشرك الخفى أو الظاهر ثم تاب وقال

هذا الكلام على طريق التوبة فكذلك . وأما الفخر بالأحساب، فالأحساب الذى يذكر عن مناقب الآباء السالفين التى نسميها المراجل . إذا تقرر هذا ففخر الإنسان بعمله منهى عنه فكيف افتخاره بعمل غيره ؟ وأما الطعن فى الأنساب ففسر بالموجود فى زماننا ينتسب إنسان إلى قبيلة ويقول بعض الناس ليس منهم من غير بينة بل الظاهر أنه منهم . وأما مكر الله فهو أنه إذا أعطاه وأغضبه أنعم عليه بأشياء يظن أنها من رضاه عليه . وأما الفرق بين الروح والرحمة فلا أعرفه ولعله فرق لطيف لأن الروح فسر بالرحمة فى مواضع . وأما قوله «لا يؤمن أحدكم» الخ فسر بأن المراد اعتقاد ذلك بالقلب والعمل بذلك الاعتقاد فإذا كان فى القلب ضده وكرهه وصار الكلام والعمل بمقتضى الأمر الممدوح فهو ذلك . وأما كسوة العرس وتقييد الكسوة بالحول مطلقا ومقيداً فالذى يفتى به أن هذه الأمور ترجع إلى عرف الناس وهو مذهب الشيخ وابن القيم وأظنه المنقول عن السلف، فأما فى العدة فعليه الكسوة والنفقة والله أعلم . المسألة الخامسة عشرة وسئل عفا الله عنه عن كون الأذان أوله التكبير وختم بالتكبير كذلك قول الله عز وجل (شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة إلى قوله سبحانه لا إله إلا هو العزيز الحكيم) ما معنى هذا التكرار هل هو تأكيد أم غير ذلك وعن الإيمان والإسلام هل هما نوع واحد أم نوعان وعن حديث القرض الذى يقال إنه فى ثمانية عشر ضعفا صحيح أم لا . الجواب ذكروا أن التكبير مناسب فى الأذان لأنه مشروع على الأمكنة العالية كقوله « كنا إذا هبطنا سبحنا وإذا علونا كبرنا» وأما قوله شهد الله إلى آخره فذكروا فى تفسيرها أن الكلمة الأولى إعلام بأنه سبحانه شهد بهذا، كذلك كل عالم يشهد به ، وليس هذا ثناء على نفسه مجردا بل هو قيام بالقسط. وأما الكلمة الثانية فهى تعليم وإرشاد . وأما الإسلام والإيمان هل هما نوع واحد فذكر العلماء أن الإسلام إذا ذكر وحده دخل فيه الإيمان كقوله (فإن أسلموا فقد اهتدوا) وكذلك الإيمان إذا أفرد كقوله فى الجنة (أعدت للذين آمنوا بالله ورسله) فيدخل فيه الإسلام ، وإذا ذكرا معا كقوله (إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات) فالإسلام الأعمال الظاهرة والإيمان الأعمال الباطنة كما فى الحديث « الإسلام علانية والإيمان فى القلب » وقوله سبحانه فى الحديث « أخرجوا من النار من فى قلبه مثقال ذرة » إلى آخره يوافق ما ذكرناه فإن الإيمان أعلى من الإسلام ويخرج الإنسان من الإيمان إلى الإسلام ولا يخرجه من الإسلام إلا الكفر فيخرج الإنسان من الإيمان إلى

الإسلام الذى ينفعه وإن كان ناقصا كما فى آية الحجرات (وإن تطيعوا الله ورسوله لايلتكم من أعمالكم شيئاً) وحقيقة الأمر أن الإيمان يستلزم الإسلام قطعا . وأما الإسلام فقديستلزمه وقد لايستلزمه ، وحديث القرض لايصححه الحفاظ والله أعلم .

المسألةالسادسةعشرة سئل رحمه الله تعالى عن مسائل : (الأولى)قوله فى باب حكم المرتد أو استهزأ بالله وكتبه أو رسله كفر وما وصف هذا الاستهزاء المكفر (الثانية) قول الشيخ وكان مبغضا لما جاء به الرسول اتفاقا فمامعنى هذا وقوله أو جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويتوكل عليهم ما وصف هذه الوسائط والتوكل والدعاء والسؤال . (الثالثة) قولهم أوأتى بقول أوفعل صريح فى الاستهزاء بالدين كفرفما وصف هذا الدين والقول المكفر . (الرابعة) قوله أو نطق بكلمة كفر ولم يعلم معناها فلا يكفر بذلك هل المعنى نطق بها ولم يعرف شرحها أو نطق بها ولم يعلم أنها تكفره . (الخامسة) قولهم ومن أطلق الشارع كفره كدعواه إلى غير الله إلى آخره فللعلماء فيه أقوال أيها أقرب إلى الصواب . (السادسة) الذبح للجن قال الشيخ : وأما ما يذبحه الآدمى خوفا من الجن فمنهى عنه ونحن لم نفهم إلاهذا من النهى، فإذا قلنا يكفر من ذبح للجن فما دليلنا على المخالف . (السابعة)قولهم إذا دعاه إمام أونائبه وقولهم ولا يكفر ولا يقاتل قبل الدعاية هل المتغلب على بلد حكمه حكم الإمام فى الدعاية وإقامة الحدود أم لا؟ وهل يلزمه ذلك شرعا أم لا؟ فإذا تركه وهويقدر عليه فماحكمه . (الثامنة) المسائل الفروعية من الطهارات والصلاة والزكاة والحج والمعاملات والأنكحة والدعاوى وغيرها عندنا أتعلمها وتعليمها بعد معرفة الله وتوحيده وإفراد العبادة له أنه هو الفقه المتفق على فضله وهو العلم النافع وهو الأفضل بعد الجهاد وهل الفتوى من كتب الترجيح المسماة عند أهل العلم أفردوا فيها الراجح عندهم وأورد القول المقابل المقوى عندهم فى بعض المسائل أم الفتوى من المطولات فربما أطلقوا الأقوال فلم ندر مانفتى به أو نعمل به من الأقوال إلا من كتب المتأخرين وكتب أهل الترجيح ونحن فرضنا التقليد فما نفتى به منه . (التاسعة) بعض الناس يحتج علينا أن المرتد لايقتل إلا بعد الاستتابة وقبلهاثبوت الردةفما الجواب . (العاشرة) قولهم فى الاستسقاء لابأس بالتوسل بالشيوخ والعلماء المتقين وقولهم يجوز أن يستشفع إلى الله برجل صالح وقيل يستحب ، قال أحمد إنه يتوسل بالنبى صلى الله عليه وسلم فى دعائه؛ وقال أحمد وغيره فى قوله عليه السلام «أعوذ بكلمات الله التامات من شر ماخلق» الاستعاذة لاتكون بمخلوق فمامعنى

هذا الكلام وما العمل عليه منهما أم على قوله فما المعنى؟ وقولهم فى الشرح قال إبراهيم الحربى الدعاء عند قبر معروف الترياق المجيد فمامعنى هذا الكلام قال فى الفروع : قال شيخنا قصده الدعاء عند رجاء الاجابة بدعة لاقربة باتفاق الأئمة فما معنى هذا الكلام.

(الحادية عشرة) قال فى الإقناع فى آخر الجنائز: ولا بأس بلمسه أى القبر باليد وأما التمسح به والصلاة عنده أو قصده لأجل الدعاء عنده معتقدا أن الدعاء هناك أفضل من الدعاء فى غيره أو النذر له ونحو ذلك . قال الشيخ وليس هذا من دين المسلمين بل هو مما أحدث من البدع القبيحة التى هى من شعب الشرك هل هـذا شرك أصغر أم أكبر مع قوله هناك فى باب النذر قال الشيخ النذر للقبور وأهل القبور كالنذر لابراهيم عليه السلام أو الشيخ فلان نذر معصية لايجوز الوفاء به مع قوله فى الجنائز قبله قال فى الشرح : يكره البناء على القبور إلى أن قال ابن القيم يجب هدم القباب إلى أن قال ويكره المبيت عنده وتجصيصه وتزويقه إلى آخره إلى أن قال فالظاهر من هذا الكراهة أو التحريم فهل يترتب على هذا غير الكراهة أو التحريم ؟ أفدنا جزاك الله خيرا؛

فأجاب رحمه الله تعالى بعد السلام فسر لى ماذكرت ألهمك الله التوفيق ولا تعتذر من السؤال فإن هذا هو الواجب عليك وعلى غيرك كما قالوا: مفتاح العلم السؤال، ولكن اعلم أن المسائل والعلوم المهجورة لايفهمها الإنسان إلا بعد المراجعة والمذاكرة ولو كانت واضحة، وهذه المسائل من العلوم المهجورة كما ذكرت فعل الطلبة فى باب حكم المرتد مع أن معرفة الله ومعرفة حقه أجلّ العلوم وأشرفها لاتستح من المراجعة وكثرة السؤال مابقى عليك شئ من الإشكال وقولك إن أهـل العلم لم يشرحوها فكثير من الكتب لم يوجد عندكم وإلا جميع ماذكرت قد شرحوه . فالمسألة الأولى قد استدل العلماء عليها بقوله تعالى فى حق بعض المسلمين المهاجرين فى غزوة تبوك ، (ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب) الآية وذكر السلف والخلف أن معناها عام إلى يوم القيامة فيمن استهزأ بالله أو القرآن أو الرسول ، وصفة كلامهم أنهم قالوا مارأينا مثل قرائنا هؤلاء أرغب بطونا ولا أكذب ألسناً ولا أجبن عند اللقاء ، يعنون بذلك رسول الله والعلماء فى الصحابة فلما نقل الكلام عوف بن مالك أتى القائل يعتذر أنه قاله على وجه اللعب كما يفعل المسافرون فنزل الوحى أن هـذا كفر بعد الإيمان ولو كان على وجه المزح ، والذى يعتذر يظن أن الكفر إذا قاله

جادا أو لاعبا. إذا فهمت أن هذا هو الاستهزاء فكثير من الناس يتكلم فى الله عز وجل بالكلام الفاحش عند وقوع المصائب على وجه الجد وأنه لايستحق هذا وأنه ليس بأكبر الناس ذنبا ، وكذلك من يدعى العلم والفقه إذا استدللنا عليه بآيات الله أظهر الاستهزاء وهذه المسألة لعلك لاتحررها تحريراً تاما إلا من الرأس إذا أوقفناك على نصوص أهل العلم ذكروا أشياء لعل كثيرا من الناس لاينكرها لو سمعها . الثانية قوله أو كان مبغضا لما جاء به الرسول ولم يشرك بالله لكن بغض السؤال عنه ودعوة الناس إليه فما هو حال من يدعى العلم ويقرر أنه دين الله ورسوله ويبغضونه أكثر من دين اليهود والنصارى بل يعادون من التفت إليه ويحلون دمه وماله ويرمونه عند الحكام ، وكذلك الرسول أتى بالإنذار عن الشرك بل هو أول ماأنذر عنه وأعظم ماأنذر عنه ويقرون أنه أتى بهذا ويقولون خلق الله ماينهون وينصرون بالقلب واللسان واليد والتكفير بالإنفاق فيمن أبغض النهى عنه وأبغض الأمر بمعاداة أهله ولو لم يتكلم ولم ينصر فكيف إذا فعل مافعل ، وكذلك من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويسألهم ويتوكل عليهم إجماعا. وذكروا أن هذا بعينه هو الذى يفعله أهل زمانهم عند القبور فكيف بزماننا ؟ يبينه لك قول الشارح لما ذكر هذا وذكر بعده أنواعا من الكفر المخرج عن الله قال : لقد عمت البلوى بهذه الفرق وأفسدوا كثيرا من عقائد أهل التوحيد نسأل الله العفو والعافية انتهى كلامه فى شرح الإقناع . فإذا كان هذا فى زمنه لم يذكره عن عشرة أو مائة بل عمت البلوى فى مصر والشام فى زمن الشارح فأظنك تقطع أن أهل القصيم ليسوا بخير من أهل مصر والشام فى زمن الشارح فتفطن لهذه المعانى وتدبرها تدبراً جيدا . واعلم أن هذه المسألة أم المسائل أو لها مابعدها فمن عرفها معرفة تامة تبين له الأمر خصوصا إذا عرف مافعل المويس وأمثاله مع قبة الكواز وأهلها ومافعله هو وابن إسماعيل وابن ربيعة وعلماء نجد فى مكة سنة الحبس مع أهل قبة بنى أبى طالب وإفتائهم بقتل من أنكر ذلك ، وأن قتلهم وأخذ أموالهم قربة إلى الله وأن الحرم الذى يحرم اليهودى والنصرانى لايحرمهم ثم تفكر فى الأحياء الذين صالوا معهم هل تابوا من فعلهم ذلك وأسلموا وعلموا أن عشر معشار ما فعلوا ردة عن الإسلام بإجماع المذاهب كلها أم هم اليوم على ما كانوا عليه بالأمس والمويس وابن إسماعيل وأحزابهما إلى اليوم علماء يعظمون ويترحم عليهم ومن دعا

الناس إلى التوحيد وترك الشرك هم الخوارج الذين خرجوا من الدين فالله الله استعن بالله فى فهم هـذه المسألة واحرص على ذلك لعلك أن تخلص من هذه الشبكة، فلو سافر المسلم إلى أقصى المشرق أو المغرب فى تحرير هـذه المسألة لم يكف كثيرا والفكرة فيها فى أمرين : أحدهما فى صورة المسألة وما قاله الله ورسوله وقال العلماء .

(الفكرة الثانية) إذا عرفت التوحيد الذى دعت إليه الرسل أولهم نوح عليه السلام وآخرهم محمد صلى الله عليه وسلم وأقر به من أقر كيف فعلوا وكيف أحيوه ودخلوا فيه أم عادوه وصدوا الناس عنه ، وكذلك لما عرفت ماجاء به من إنـكار الشرك والوسائط وعرفوا قول العلماء إنه الذى عمت به البلوى فى زمانهم هل فرحوا بالسلامة منه ونهوا الناس عنه أم زينوه للناس وزعموا أن أهله السواد الأعظم وثبتوه بما قدروا عليه من الأقوال والأعمال وجاهدوا فى تثبيته كجهاد الصحابة فى زواله فالله الله بادر ثم بادر ثم بادر فقد قال النبى صلى الله عليه وسلم . « بدا الإسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدا » . فأنت تعرف بدء يوم قيل للنبى صلى الله عليه وسلم من معك على هذا قال حر وعبد ومعه يومئذ أبو بكر وبلال ، وقد قال الفضل بن عياض وهو فى زمانه وهو قبل الإمام أحمد أتترك طريق الحق لقلة السالـكين ولا يغرك الباطل لـكثرة الهالـكين ومع هذا وأمثاله من البيان أضعاف أضعاف (من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا) وما أشكل عليك من هـذا فراجع فيه ، فإن كلام العلماء فى أنه الشرك الأكبر وأنه اشتهر عند كثير من أن يحصر (وأما الثالثة) فالقول الصريح فى الاستهزاء بالدين مثل ماقدمت لك ، وأما الفعل فمثل مد الشفة وإخراج أدر من العين مما يفعله كثير من الناس عندما يؤمر بالصلاة والزكاة فـكيف بالتوحيد (الرابعة) إذا نطق بكلمة الـكفر ولم يعلم معناها صريحا واضحا أنه يكون نطق بما لايعرف معناه. وأما كونه أنه لايعرف أنها لاتـكفره فيكفى فيه قوله (لاتعتذروا قد كفرتم بعد إيمانـكم) ثم يعتذرون للنبى صـلى الله عليه وسـلم ظانين أنها لاتـكفرهم والعجب ممن يحملها على هذا وهو يسمع قوله تعالى (وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا – إنهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله ويحسبون أنهم مهتدون – وإنهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون) أيظن أن هؤلاء ليسوا كفارا ولـكن لاتستنكر الجهل الواضح لهذه المسائل لأجل غربتها . ومن أحسن مايكشف لك الإشكال

ماقدمت لك بإجماع العلماء أن هذا أكثر من زمانهم، وأيضا علماء بلدانهم أكثر من علماء من بلدانكم (الخامسة) أن من أطلق الشارع كفر بالذنوب فالراجح فيها قولان: أحدها ماعليه الجمهور أنه لايخرج من الملة . والثانى الوقف كما قال الإمام أحمد أمروها كما جاءت يعنى لايقال يخرج والامانة يخرج وما سوى هذين القولين غير صحيح (السادسة) قوله الذبح للجن منهى عنه فاعرف قاعدة أهملها أهل زمانك وهى أن لفظ التحريم والكراهة وقوله لاينبغى ألفاظ عامة تستعمل فى المكفرات والمحرمات التى هى دون الكفر وفى كراهة التنزيه التى هى دون الحرام مثل استعمالها فى المكفرات قولهم لا إله إلا الله لاتنبغى العبادة إلا له وقوله(وماينبغى للرحمن أن يتخذ ولدا)ولفظ التحريم مثل قوله تعالى (قل تعالوا أتل ماحرم ربكم عليكم أن لاتشركوا به شيئاً) وكلام العلماء لاينحصر فى قولهم يحرم كذا لما صرحوا فى مواضع أخر أنه كفر وقوله يكره كقوله تعالى (وقضى ربك أن لاتعبدوا إلا إياه) إلى قوله (كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها) وأما كلام الإمام أحمد فى قوله أكره كذا فهو عند أصحابه على التحريم .

إذا فهمت هذا فهم صرحوا أن الذبح للجن ردة تخرج ، وقالوا الذبيحة حرام ولو سمى عليها ، قالوا لأنها يجتمع فيها مانعان: الأول أنها مما أهل به لغير الله ، والثانى أنها ذبيحة مرتد والمرتد لاتحل ذبيحته وإن ذبحها للأكل وسمى عليها ، وما أشكل عليك فى هذا فراجعنى وأذكر لك لفظهم بعينه (السابعة) إذا ادعاه إمام أونائبه فالأئمة مجمعون فى كل مذهب أن من تغلب على بلد أو بلدان له حكم الإمام فى جميع الأشياء ، ولولا هذا ما استقامت الدنيا لأن الناس فى زمن طويل قبل الإمام أحمد إلى يومنا هذا ما اجتمعوا على إمام واحد ولا يعرف أن أحدا من العلماء ذكر أن شيئا من الأحكام لايصح إلا بالإمام الأعظم ، وقولك هل يجب عليك فنعم يجب على من قدر عليه وإن لم يفعل أثم ، ولكن أعداء الله يجعلون هذه الشبهة حجة فى رد مالا يقدرون على جحده كما إنى لما أمرت برجم الزانية قالوا لابد من إذن الإمام فإن صح كلامهم لم يصح ولايتهم القضاء ولا الإمامة ولا غيرها (الثامنة) مسائل : الحلال ، والحرام ، والبيوع ، والأنكحة وغيرها من أهم أمور الدين وأفضل الأعمال ، ولكن تفصيل ماذكرت من الراجح يحتاج إلى تطويل لاتحتمله الأوراق ولعله بالمذاكرة إذا التقينا

إن شاء الله (التاسعة) لا يقبل المرتد إلا بعد الاستتابة فهذا صحيح ولم أفعل ذلك مع أحد قاتلناه إلا بالاستتابة والتي من الاستتابة (العاشرة) قولهم في الاستسقاء لا بأس بالتوسل بالصالحين وقول أحمد بالتوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم خاصة مع قولهم إنه لا يستغاث بمخلوق فالفرق ظاهر جدا ، وليس الكلام مما نحن فيه فكون بعض يرخص بالتوسل بالصالحين وبعضهم يخصه بالنبي صلى الله عليه وسلم ، وأكثر العلماء ينهى عن ذلك ويكرهه فهذه المسألة من مسائل الفقر ، ولو كان الصواب عندنا قول الجمهور إنه مكروه فلا ننكر على من فعله ولا إنكار في مسائل الاجتهاد لكن إنكارنا على من دعا المخلوق أعظم مما يدعو الله تعالى ويقصد القبر ويتضرع عند ضريح الشيخ عبد القادر أو غيره يطلب فيه تفريج الكربات وإغاثة اللهفات وإعطاء الرغبات فأين هذا ممن يدعو الله مخلصا له الدين لا يدعو مع الله أحدا ، ولكن يقول في دعائه : أسألك بنبيك أو بالمرسلين أو بعبادك الصالحين أو يقصد قبر معروف أو غيره يدعو عنده لكن لا يدعو الله مخلصا له الدين فأين هذا مما نحن فيه . (المسألة الحادية عشرة) في لمس القبر أو قصده للدعاء عنده فليس هذا من دين المسلمين فهذا هو الصواب بلا ريب وكون الشارح ذكر كلام الحربي أن قبر معروف ترياق مجرب فهذا لا ينكر لأن العلماء يذكرون في المسألة القولين أو أكثر ويرجحون الراجح أو يتوقف بعضهم، ولكن كلام الشيخ بضد كلام الحربي مخالف له منكر له، ولكن ليكن منك على بال ما أخرج الصحيحان « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بعث معاذا إلى اليمن قال له : إنك تأتى قوما من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه أن يوحدوا الله فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات » فتدبر هذا وأرعه سمعك وأحضر قلبك إذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم ما أمره أن يدعوهم إلى الصلوات الخمس إلا إن استجابوا للتوحيد فكيف بمن لا يهمه في دينه إلا بعض مسائل الاجتهاد مع ما يراه من سب الناس للتوحيد واستحلالهم دم من دان به وماله ودعوتهم إلى الشرك الأكبر ودعواهم أن أهله السواد الأعظم ، ثم مع هذا إذا أخذهم السيف كرها قالوا ما خالفنا والناس يكذبون علينا وعرفنا الكذب وإلا جميع ما جرى منهم لم يقروا به ولم يتوبوا منه ، والرسول صلى الله عليه وسلم هذه وصيته لمعاذ ، فاتق الله في تدبر هذا الحديث وتدبر ما عليه أعداء الله من العداوة للتوحيد . وأما المسائل التي

ذكر فى الجنائز من لمس القبر والصلاة عنده وقصده لأجل الدعاء أو كذا وكذا فهذا أنواع. أما بناء القباب عليها فيجب هدمها ولا علمت أنه يصل إلى الشرك الأكبر وكذلك الصلاة عنده وقصده لأجل الدعاء فكذلك لا أعلمه يصل إلى ذلك ولكن هذه الأمور من أسباب حدوث الشرك فيشتد نكير العلماء لذلك كما صح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال «لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» وذكر العلماء أنه يجب التغليظ فى هذه الأمور لأنه يفتح باب الشرك : كما أنه أول ماحدث فى الأرض بسبب ودّ وسواع ويغوث ويعوق ونسر لما عكفوا على قبورهم ، ثم صوروا تماثيلهم يتذكرون بها الآخرة ثم بعد ذلك بقرون عبدوا فكذلك فى هذه الأمة كما قال صلى الله عليه وسلم «لتتبعنّ سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه » فأول ما حدث الصلاة عند القبور والبناء عليها من غير شرك ، ثم بعد ذلك بقرون وقع الشرك ، وأول ماجرى من هذا أن بنى أمية لما بنوا مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم وسعوه واشتروا بيوتا حوله، ولم يمكنهم إدخال بيت النبى صلى الله عليه وسلم الذى فيه قبره وقبر صاحبيه ، ولكن أدخلوا البيت فى المسجد لأجل توسيع المسجد ولم يقصدوا تعظيم الحجرة لذلك لكن قصدوا تعظيم المسجد ، ومع هذا أنكره علماء المدينة حتى قتل خبيب بن عبد الله بن الزبير بسبب إنكاره ذلك . فانظر إلى سد العلماء الذرائع . وأما النذر له ودعاؤه والخضوع له فهو من الشرك الأكبر فتأمل ماذكره البغوى فى تفسير سورة نوح فى قوله تعالى (وقالوا لاتذرنّ آلهتكم ولاتذرن) الآية وماذكر أيضا فى سورة النجم فى قوله (أفرأيتم اللاّت والعزى) أن اللات قبر رجل صالح. فتأمل الأصنام التى بعثت الرسل بتغييرها كيف تجد فيها قبور الصالحين والحمد لله رب العالمين وهذا آخر ماوجد فى ذلك وصلى الله على محمد وآله وسلم (المسألة السابعة عشرة) سئل رحمه الله عن الجد هل يكون بمنزلة الأب فى الميراث ، وما حجة من قال بذلك وعن قسم المال جزافا وما معنى الاحتساب فى نفقة الأهل وعن قول إبراهيم عليه السلام (رب أرنى كيف تحيي الموتى) وقوله فى كلام البقر والذيب «آمنت به أنا وأبو بكر وعمر» إلى آخره، فأجاب رحمه الله: أما كون الجد أبا فرجح بأمور : أحدها العموم ، واستدل ابن عباس على ذلك بقوله (يابنى آدم). الثانى محض القياس كما قال ابن عباس : ألايتقى الله زيد يجعل ابن الابن ابنا ، ولايجعل أبا

الأب أبا . الثالث أنه مذهب بى بكر الصديق. الرابع أن الذين ورثوا الإخوة معه اختلفوا فى كيفية ذلك كما قال البخارى لما ذكر قول الصديق ، ويذكر عن على وابن مسعود وزيد أقاويل مختلفة. الخامس أن الذين ورثوهم لم يجزموا بل معهم شك وأقروا أنهم لم يجدوه فى النص لا بعموم ولا غيره . السادس وهو أبينها كلها أن هذا التوريث وكيفياته لو كان من الله لم يتصور أن يهمله النبى صلى الله عليه وسلم مع صعوبته والاختلاف فيه بالكلية. وأما حجة المخالف منهم فمقرون أنه محض رأى لا حجة فيه إلا قياسا فيما زعموا . وأما قسم المال جزافا فأرجو أنه لا بأس به كما فى ثمرة النخل . وأما المساقاة كما أردتم فلا أدرى وأنا أكرهه . وأما معنى الاحتساب فى نفقة الأهل فمشكل علىّ . وأما قوله (رب أرنى كيف تحيي الموتى) فمن أعظم الأدلة على تفاوت الإيمان ومراتبه حتى الأنبياء فهذا طلب الطمأنينة مع كونه مؤمنا فإذا كان محتاجا إلى الأدلة التى توجب له الطمأنينة فكيف بغيره ولذلك قال صلى الله عليه وسلم فى الصحيح «نحن أحق بالشك من إبراهيم» وأما قوله فى كلام البقرة والذيب «آمنت به أنا وأبو بكر وعمر » وليسا فى ذلك المكان فكان هذا من الإيمان بالغيب المخالف للمشاهدة وذلك أن الناس يشاهدون البهائم لا تتكلم فلما أخبر صلى الله عليه وسلم أن هذا جرى فيما مضى تعجبوا من ذلك مع إيمانهم فقال «آمنت به أنا وأبو بكر وعمر» فلما ذكرهما لهذا المقام العظيم الذى طلب إبراهيم فى مثله العيان ليطمئن قلبه مع كونهما ليسا فى المجلس محل ذلك ، على أن إيمانهما أعلى من إيمان غيرهما خصوصا لما قرنهما بإيمانه صلى الله عليه وسلم ، ومع هذا فأمور الإيمان من الأمور المبينة لكن لعلكم تفهمون منها شيئا إذا قرأتم فى كتاب الإيمان والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وسلم (المسألة الثامنة عشرة) سئل رحمه الله عن قوله تعالى قال (رب لم حشرتنى أعمى وقد كنت بصيرا) الآية . فأجاب رحمه الله : اعلم رحمك الله أن الله سبحانه عالم بكل شىء، يعلم ما يقع على خلقه وما يقعون فيه وما يرد عليه من الواردات إلى يوم القيامة ، وأنزل هذا الكتاب المبارك الذى جعله تبيانا لكل شىء وجعله هدى لأهل القرن الثانى عشر ومن بعدهم كما جعله هدى لأهل القرن الأول ومن بعدهم ومن أعظم البيان الذى فيه بيان الحجج الصحيحة والجواب عما يعارضها وبيان بطلان الحجج الفاسدة ونفيها فلا إله إلا الله ماذا حرمه المعرضون عن كتاب الله من الهدى والعلم ولكن لا معطى لما

منع الله وهذه التى سألت عنها فيها بيان بطلان شبه يحتج بها بعض أهل النفاق والريب فى زماننا هذا فى قضيتنا هذه ؛ وبيان ذلك أن هذه فى آخر قضية آدم وإبليس وفيها من العبر والفوائد العظيمة لذريتهما مايجل عن الوصف؛ فمن ذلك أن الله أمر إبليس بالسجود لآدم ولو فعل لكان فيه طاعة لربه وشرفا له ولكن سولت له نفسه أن ذلك نقص فى حقه إذا خضع لواحد دونه فى السن ودونه فى الأصل على زعمه فلم يطع الأمر واحتج على فضله بحجة وهى أن الله خلقه من أصل خير من أصل آدم ولا ينبغى أن الشريف يخضع لمن دونه بل العكس ، فعارض النص الصريح بفعل الله الذى هو الخلق فكان فى هذا عبرة عظيمة لمن رد شيئا من أمر الله ورسوله واحتج بما لايجدى فلما فعل لم يعذره الله بهذا التأويل بل طرده ورفع آدم وأسكنه الجنة فكان مع عدو الله من الحفظ والفطنة ودقة المعرفة ما يجل عن الوصف فتحيل على آدم حتى ترك شيئا من أمر الله وذلك بالأكل من الشجرة واحتج لآدم بحجج فلما أكل لم يعذره الله بتلك الحجج بل أهبطه إلى الأرض وأجلاه من وطنه ، ثم قال : (اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو فإما يأتينكم منى هدى) يقول تعالى لأجلينكم عن وطنكم فإن بعد هذا الكلام وهو أنى أرسل إليكم هدى من عندى لا أكلكم إلى رأيكم ولا رأى علمائكم بل أنزل عليكم العلم الواضح الذى يبين الحق من الباطل والصحيح من الفاسد والنافع من الضار (لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل) ومعلوم أن الهدى هو هذا القرآن ، فمن زعم أن القرآن لايقدر على الهدى منه إلا من بلغ رتبة الاجتهاد فقد كذب الله بخبره أنه هدى فإنه على هذا القول الباطل لايكون هدى إلا فى حق الواحد من الآلاف المؤلفة . وأما أكثر الناس فليس هذا فى حقهم بل الهدى فى حقهم أن كل فرقة تتبع ماوجدت عليه الآباء فما أبطل هذا من قول وكيف يصح لمن يدعى الإسلام أن يظن بالله وكتابه هذا الظن . ولما عرف سبحانه أن هذه الأمة سيجرى عليها ماجرى على من قبلها من اختلافهم على أكثر من سبعين فرقة وأن الفرق كلها تترك هدى الله إلا فرقة واحدة وأن كل الفرق يقرون أن كتاب الله هو الحق لكن يعتذرون بالعجز وأنهم لو يتعلمون كتاب الله ويعملون به لم يفهموا الغموض قال (فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى) وهذا تكذيب هؤلاء الذين ظنوا فى القرآن ظن السوء . قال ابن عباس : تكفل الله لمن قرأ القرآن وعمل

بما فيه لا يضل فى الدنيا ولا يشقى فى الآخرة . وبيان هذا أن هؤلاء الذين يزعمون أنهم لو تركوا طريقة الآباء واقتصروا على الوحى لم يهتدوا بسبب أنهم لايفهمون كما قالوا قلوبنا غلف فرد الله عليهم بقوله (بل لعنهم الله بكفرهم) فضمن لمن اتبع القرآن أنه لا يضل كما ضل من اتبع الرأى فتجدهم فى المسألة الواحدة يحكون سبعة أقوال أو ستة ليس منها قول صحيح والذى ذكره الله فى كتابه فى تلك المسألة بعينها لا يعرفونه .

والحاصل أنهم يقولون لانترك القرآن إلاخوفا من الخطأ ولم نقل على مانحن فيه إلا للعصمة فعكس الله كلامهم وبين أن العصمة فى اتباع القرآن إلى يوم القيامة. وأما قوله (ولايشقى) فهم يزعمون أن الله يرضى بفعلهم ويثيبهم عليه فى الآخرة ولو تركوه واتبعوا القرآن لغلطوا وعوقبوا ، فقد ذكر الله أن من اتبع القرآن أمن من المحذور الذى هو الخطأ عن الطريق وهو الضلال وأمن من عاقبته وهو الشقاء فى الآخرة ، ثم ذكر الفريق الآخر الذى أعرض عن القرآن فقال (ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا) وذكر الله هو القرآن الذى بين الله لخلقه فيه مايحب ويكره قال الله تعالى (ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين) الآيتين ، فذكر الله لمن أعرض عن القرآن وأراد الفقه من غيره عقوبتين : إحداهما المعيشة الضنك ففسرها السلف بنوعين : أحدهما ضنك الدنيا ، وهو أنه إن كان غنيا سلط عليه خوف الفقر وتعب القلب والبدن فى جميع الدنيا حتى يأتيه الموت ، ولم يتهنّ بعيش . الثانى الضنك فى البرزخ وهو عذاب البرزخ ، وفسر الضنك فى الدنيا أيضا بالجهل فإن الشك والحيرة لهما من القلق وضيق الصدر ما لهما فصار فى هذا مصداق قوله فى الحديث عن القرآن «من ابتغى الهدى من غيره أضله الله» فبان لك أن الله عاقبهم بضد قصدهم فإنهم قصدوا معرفة الفقه فجازاهم بأن أضلهم وكدر عليهم معيشتهم بعذاب قلوبهم لخوف الفقر وقلة غناء أنفسهم وعذاب أبدانهم بأن سلط عليهم الظلمة والفقر وأغرى بينهم العداوة والبغضاء فإن أعظم الناس تعاديا هؤلاء الذين ينتسبون إلى المعرفة ، ثم قال تعالى : (ونحشره يوم القيامة أعمى) والعمى نوعان : عمى القلب . وعمى البصيرة ، فهذا المعرض عن القرآن لما عميت بصيرته فى الدنيا عن القرآن جازاه الله أن حشره يوم القيامة أعمى . قال بعض السلف أعمى عن الحجة لا يقدر على المجادلة بالباطل كما كان يصنع فى الدنيا (قال رب لم حشرتنى أعمى وقد كنت بصيرا) فذكر الله أنه يقال له

هذا بسبب إعراضك عن القرآن فى الدنيا وطلبك العلم من غيره. قال ابن كثير فى الآية (ومن أعرض عن ذكرى) أى خالف أمرى وما أنزلته على رسولى : أعرض عنه وتناساه وأخذ من غيره هداه فإن له معيشة ضنكا أى فى الدنيا فلا طمأنينة له ولا انشراح ولا تنعم، وظاهر أن قوما أعرضوا عن الحق وكانوا فى سعة من الدنيا فكانت معيشتهم ضنكا وذلك أنهم كانوا يرون أن الله ليس مخالفا لهم معاشهم من سوء ظنهم بالله، ثم ذكر كلاما طويلا وذكر ما ذكرته من أنواع الضنك والله سبحانه وتعالى أعلم.

(المسألة التاسعة عشرة) سئل رحمه الله عن رجل خاشد خشداء وطلبوا ضمان أخيه وقال له أخوه لا أضمن عليك إلا أن ترهننى رهانة وأرهنه نصف نخلة فى هذا الدين الذى ضمن والنصف الآخر مرهون عند غيره وعليه دين غير هذا كثير وذكر لنا عنك أن الرهن لا يصح وأن ديانيه مشتركون فيما عنده ، وهذه كثيرة الوقوع وغالب من يدينونه الديانون فقير فإن لم يصح له رهن ولا وفاء إلا من الجميع ولم يحجر عليه فاذكر لنا صورة المسألة وأنا طالعتها ولا رأيت الاختلاف إلا فى التبرعات المالية كالعتق والصدقة ، وذكروا أن مذهب الإمام أحمد وغيره نفوذ تصرفه ولو استغرق ماله ، وخالف الشيخ ابن تيمية فى ذلك وقال لا ينفذ لأن عليه واجبا. وأما غير التبرعات فلا وجدنا شيئا فأنت اذكر لنا من مأخذ المسألة والذى ظهر لنا فى هذا أن هذه المسألة إن قيل بها ما احتيج لحجر الحاكم أو من أن يستغرق الدين ماله لم ينفذ تصرفه ويلزم على هذا لوازم كثيرة فأنت اذكر لنا شيئا نعتمد عليه فإن الخطب كبير أفتنا مأجورا.

أجاب رحمه الله صورة المسألة أن الراجح الذى عليه كثير من العلماء أو أكثرهم أن الرهن لا يلزم إلا بالقبض وقبض كل شىء هو المتعارف وقبض الدار والعقار هو تسلم المرتهن له ورفع يد الراهن عنه هذا هو القبض بالإجماع ومن زعم أن قوله مقبوض يصير مقبوضا خارج الإجماع مع كونه زورا مخالفا للحس. إذا ثبت هذا فيجوز ما أفتينا بلزوم هذا الرهن إلا لضرورة وحاجة فإذا أراد صاحبها أن يأكل أموال الناس ويخون فى أمانته لمسألة مختلف فيها فالرجوع إلى الفتوى بقول الجمهور فى هذه المسألة ، فإن رجعت إلى كتاب الله وسنة رسوله فى إيجاب العدل وتحريم الخيانة فهذا هو الأقرب قطعا، وإن رجعت إلى غالب كلام العلماء فهم لا يلزمون ذلك إلا برفع يد الراهن وكونه فى يد المرتهن . وأما قولك لم أخبر الخلاف إلا فى الصدقة والهبة فهذا

هو العجب أتراهم يبطلون العتق الذى هو من أحب الأشياء إلى الله ، وسيرى فى تلك الفقير ويردون الصدقة بعد ماياأخذها الفقير لأجل العدل ووفاء من المدين ويمنعونه فى الرهن ولو كان صحيحا . وأما قولك إن صح هذا لم يحتج إلى الحجر فيقال إن الحجر يمنع تصرفه مطلقا ولو كان فيه إصلاح لنفسه أو للغرماء . وأما هذه المسألة فتصرفه صحيح كله إلا ماعصى الله فيه ورسوله وخان أمانته وظلم الناس فهذا هو المطابق للعقل والنقل ولكن هذا أوحشته الغربة كما استوحش من إنكار الشرك والله أعلم .

(المسألة العشرون) سئل رحمه الله عن هذه المسألة وهى قلب الدين فى ذمة المدين بتمر أوغيره. فأجاب بقوله من محمد بن عبدالوهاب إلى محمد بن عبد الله بن إسماعيل: سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد فقد وصل كتابك فسئل عن المسألة التى يفعلها كثير إذا ورد له على رجل دراهم وأراد أن يقلبها بزاد أوخراج من بيته دراهم وصحح بها وأوفاه بها وأنا قد ذكرت لك أنها من الحيل الباطلة التى ينكرها الإمام أحمد وغيره من الأئمة وأغلظوا القول فى أهلها ، وذلك أن عندهم لابد من كون رأس مال السلم مقبوضا فى مجلس العقد، وعندهم أن كونه دينا أعنى رأس مال السلم ربا وهذه بعينها مسألة إلاأنه اعترف بكونه ربا أحضر من بيته عدة الدين المقلوب وعقد بها والعارف والشهود ومن حضرهم يعلمون أن المكتوب هو الدين الحال" والتاجر يقول له أوفنى أو اكتبها والمشترى يقول ورد له دراهم وكتبتها منه ويفهمون أن الدراهم الحاضرة غير مقصودة ويسمون هذا العقد التصحيح وهذا لاينكره إلامكابر معاند وحينئذ فعباراتهم والحيل التى تحل حراما أو تحرم حلالا لاتجوز فى شئ من الدين وهى أن يظهرا عقدا صحيحا ومرادهما التوسل به إلى عقد غير صحيح هذا معنى عبارة الإقناع وشرحه . فإن جادلكم أحد فى أن هذه الصورة غير داخلة فى ذلك فقل له مثل صورة الحيل المحرمة فإنه لايذكر شيئا من الصور إلا وسئلتم مثلها أو أشد بطلانا ؛ وأعجب من هذا أن ابن القيم ذكر فى أعلام الموقعين فى صورة أحسن من هذه وأقرب إلى الحل ماصورته لو أراد أن يجعل رأس مال السلم دينا يوفيه إياه فى وقت آخر بأن يكون معه نصف دينار ، ويريد أن يسلم إليه دينارا غير معين فى كونه حنطة فالحيلة أن يسلم إليه دينارا غير معين ثم يوفيه نصف الدينار ثم يعود فيستقرضه منه ثم يوفيه إياه فيفترقان وقد بقى له فى ذمته نصف دينار ، وهذه الحيلة من أقبح الحيل فإنهما لايخرجان بها عن تأخير رأس

مال السلم ، ولكن توصلا إلى ذلك بالقرض الذى جعلا صورته مبيحة لصريح الربا ولتأخير رأس مال السلم ، وهذا غير القرض الذى جاءت به الشريعة وإنما اتخذاه المتعاقدان تلاعبا بحدود الله انتهى كلامه .

فانظر فهذا كان كلامه فيمن أراد أن يسلم إلى رجل مائة محمدية من بيته باطناً وظاهرا ولكن لم يحضر فى المجلس إلا خمسين وكتبها عليه ثم استقرضها وكتبها أخرى إلا أنه يخرج الخمسين فى آخر النهار أو غد فكيف بكلامه بالتحيل على قلب الدين وجعله رأس مال السلم ، وإذا كان هذا كلامه فى أعلام الموقعين وهو الذى ينسبون عنه إذا أراد أن يشترى دابة بخمسين وجاء رجل وربحه فى الخمسين خمسا أو أكثر أو أقل وقال أنا موكلكم تشتريها ثم تبيعها على نفسك وهذه الحيلة الملعونة التى هى أغلظ من الربا فاستباح بها إلى الآن أكثر المطاوعة الربا الصريح وينسبونها إلى أعلام الموقعين وحاشاه منها بل هذا صفة كلامه فى رأس مال السلم الحاضر إذا تأخر قبض بعضه إلى آخر النهار فضلا عن هذه وأمثالها ، ومع هذا فالله سبحانه لا مرد لحكمه (يهدى من يشاء ويضل من يشاء — إن الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية) والسلام . (المسألة الحادية والعشرون) قال رحمه الله سألنى رجل عن وقف نخل تطلع و بيع نصفه لإصلاح النصف الآخر بمائة أحمر واستأجروا بمائة الأحمر من يسقى النصف الآخر عشر سنين فمات الذى استأجره لما مضى بعض من المدة وهى سنتان وأراد ورثته أن يتموا باقى مدته وأراد المؤجر الفسخ . فأجبت : إن الإجارة صحيحة ثابتة لا تنفسخ بموت المستأجر فإذا تمم الورثة ما على ميتهم استحقوا ما استحقه وليس للمؤجر الفسخ ، ودليل هذا أن القول بانفساخ الإجارة أو المساقاة قول ضعيف رده أهل العلم بالنص الثابت . من ذلك أن النبى صلى الله عليه وسلم لما ساقى أهل خيبر لم يجد الخلفاء بعده عقدا فإذا ثبت هذا فقد أمر الله بالوفاء بالعقود بقوله (يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود) وهذا اللفظ عام من جوامع الكلم ، فمن ادعى فى صورة من العقود أنه لا يجوز ولا يجوز الوفاء به لأجل موت أو غيره فعليه الدليل (والله يقول الحق وهو يهدى السبيل) . (المسألة الثانية والعشرون) قال رحمه الله تعالى الذى يعلم به ويقف على هذا من الإخوان المتبعين محمدا صلى الله عليه وسلم أن ابن صباح سألنى عما ينسب إلىّ فأجبته فطلب منى أن أكتب له فى ورقة فكتبت له : الحمد لله . أما بعد ،

فما ذكره المشركون عنى أنى أنهى عن الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم أو أنى أقول لو أنى لى أمرا هدمت قبة النبى صلى الله عليه وسلم أو أنى أتكلم فى الصالحين أو أنهى عن محبتهم فكل هـذا كذب وبهتان افتراه علىّ الشياطين الذين يريدون أن يأكلوا أموال الناس بالباطل مثل أولاد شمسان وأولاد إدريس الذين يأمرون الناس أن ينذروا لهم وينتحونهم ويندبونهم كذلك فقراء الشياطين الذين ينتسبون إلى الشيخ عبد القادر رحمه الله وهو منهم برىء كبراءة على بن أبى طالب من الرافضة فلما رأونى آمر الناس بما أمرهم به نبيهم صلى الله عليه وسلم أن لا يعبدوا إلا الله وأن من دعا عبد القادر فهو كافر وعبد القادر منه برىء ، وكذلك من انتحى الصالحين أو الأولياء أو مذهبهم أو سجد لهم أو نذر لهم أو قصدهم بشىء من أنواع العبادة التى هى حق الله على العبيد وكل إنسان يعرف أمر الله ورسوله ولا ينكر هـذا الأمر بل يقرّ به ويعرفه . وأما الذى ينكره فهو بين أمرين إن قال إن دعوة الصالحين واستغاثتهم والتذلل لهم وصيرورة الإنسان فقيرا لهم أمر حسن ولو ذكر الله ورسوله أنه كفر ، فهذا مصرح بتكذيب الله ورسوله ولا خفاء فى كفره فليس معنا له كلام . وأما كلامنا مع رجل يؤمن بالله واليوم الآخر ويحب ما أحب الله ورسوله ويبغض ما أبغض الله ورسوله لكنه جاهل قد لبست عليـه الشياطين دينه ويظن أن الاعتقاد فى الصالحين حق ولو يدرى أنه كافر يدخل صاحبه فى النار فنحن نبين لهذا مايوضح الأمر فنقول : الذى يجب على المسلم أن يتبع أمر الله ورسوله ويسأل عنه ، فالله سبحانه أنزل القرآن وذكر لنا فيه مايحبه ومايبغضه وبين لنا فيه ديننا وأكمله، وكذلك محمد صلى الله عليه وسلم أفضل الأنبياء فليس على وجه الأرض أحد أحب من الصحابة له فهم يحبونه أكثر من أنفسهم وأولادهم ويعرفون قدره ويعرفون أيضا الشرك والإيمان . فإن كان أحد من المسلمين فى زمان النبى صلى الله عليه وسلم دعاه أو نذر له أو ندب له أو أحد من أصحابه جاء عند قبره بعد موته يسأله أو يندبه أو يدخل عليه ملتجئا به عند القبر فاعرف أنه أمر صحيح حسن ولا تطعنى ولا غيرى . وإن كان إذا سألت وجدت أنه صلى الله عليه وسلم تبرأ ممن اعتقد فى الأنبياء والصالحين وقتلهم وسباهم وأولادهم وأخذ أموالهم وحكم بكفرهم فاعرف أن النبى صلى الله عليه وسلم لا يقول إلا الحق ولا يأمر إلا بالحق والواجب على كل مؤمن اتباعه فيما جاء به . وبالجملة فالذى أنكره الاعتقاد فى غير الله فيما لا يجوز

صرفه لغيره ، فإن كنت قلته من عندى فارم به أو من كتاب الله لقيته ليس عليه عمل فارم به كذلك أو نقلته عن أهل مذهبي فارم به أيضا ، وإن كنت قلته عن أمر الله ورسوله وعما أجمع عليه العلماء فى كل مذهب فلا ينبغى لرجل يؤمن بالله واليوم الآخر أن يعرض عنه لأجل أهل زمانه أو أهل بلده أو أن أكثر الناس فى زمانه أعرضوا عنه . واعلم أن الأدلة على هذا من كلام الله وكلام رسوله كثيرة جدا لكن أمثل لك بدليل واحد ينهيك عن غيره قال الله تعالى (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم الأقرب) ذكر المفسرون فى تفسيرها أن جماعة كانوا يعتقدون فى عيسى عليه السلام وعزير فقال الله تعالى « هؤلاء عبيدى كما أنتم عبيدى يرجون رحمتى كما ترجون رحمتى ويخافون عذابى كما تخافون عذابى » فياعباد الله تفكروا فى كلام ربكم تبارك وتعالى إذا كان ذكر عن الكفار الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن دينهم الذى كفرهم هو الاعتقاد فى الصالحين وإلا فالكفار يخافون الله ويرجونه ويحجون ويتصدقون ، ولكنهم كفروا بالاعتقاد فى الصالحين وهم يقولون إنما اعتقدنا فيهم (ليقربونا إلى الله زلفى) ويشفعون لنا كما قال تعالى (والذين اتخذوا من دونه أولياء مانعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى) وقال تعالى (ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله) فياعباد الله إذا كان الله ذكر فى كتابه أن دين الكفار هو الاعتقاد فى الصالحين وذكر أنهم اعتقدوا فيهم ودعوهم وندبوهم لأجل أنهم يقربونهم إلى الله زلفى ، هل بعد هذا البيان بيان : فإذا كان من اعتقد فى عيسى ابن مريم مع أنه نبى من الأنبياء وندبه وانتحاه فقد كفر فكيف بمن يعتقد فى الشياطين كالكلب أبو حديدة وعثمان الذى فى الوادى والكلاب الأخر فى الخرج وغيرهم فى سائر البلدان الذين يأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله؟ وأنت يامن هداه الله لاتظن أن هؤلاء يحبون الصالحين بل هؤلاء أعداء الصالحين وأنت والله الذى تحب الصالحين لأن من أحب قوما أطاعهم ، فمن أحب الصالحين وأطاعهم لم يعتقد إلا فى الله وأما من عصاهم ودعاهم يزعم أنه يحبهم فهو مثل النصارى الذين يدعون عيسى ويزعمون محبته وهو برىء منهم ومثل الرافضة الذين يدعون على بن أبى طالب وهو برىء منهم .
ولنختم الكتاب بكلمة واحدة وهى أنى أقول ياعباد الله لاتطيعونى ولكن تفكروا واسألوا أهل العلم من كل مذهب عما قال الله ورسوله وأنا أنصحكم لاتظنون أن

الاعتقاد فى الصالحين مثل الزنا والسرقة بل هى عبادة الأصنام من فعله كفر وتبرأ من رسول الله صلى الله عليه وسلم، ياعباد الله تفكروا وتذكروا والسلام. (الثالثة والعشرون) قال رحمه الله الذى يعلم به الأخ مقرن بن عبد الله بعد إبلاغ السلام أن ابن صالح سألنى عن التذكير فقلت إنه بدعة فنكر أن عندنا من لايعرف الجمعة إلا به وذكر له أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم منا بصالح أمته وهو سن الأذان ونهى عن الزيادة فإذ فتح الله لكم بابا فى اتباع نبيكم صلى الله عليه وسلم فلا تنتقلوا من قطع العادات فى طاعة الله ورسوله والسلام. (الرابعة والعشرون) قال رحمه الله إلى الأخ سليمان وبعد مسألة الخمس، فاعلم أن الأمر أمران أمر تأمر به وأمر يفعله الغير وتحتاج إلى الإنكار فيه والثانى نتوسع فيه إلا أن نرى منكرا صريحا. إذا ثبت هذا فمسألة الخمس لاأكره فعلهم إذا أخذوه باسم الخمس. وأما سهم النبى صلى الله عليه وسلم وذوى القربى ففيه كلام طويل. وقد ذكر أن أبا بكر وعمر لم يعطيا بنى هاشم فالذى أرى أن يجرى فى المصالح حتى يتبين فيه حكم. وأمامصرف المصالح عندكم فهذا الذى تذكر أنهم يفعلونه ماعلمت فيه خلافا لكن لايقتصر عليه بل من المصالح ماهو أهم منه، وأما عقوبة من تخلف وعصى الأمر يأخذ شيئاً من ماله. فقد ذكر ابن القيم أن بعض السلف أفتى به وظاهر كلامه أنه مقرر له والسلام. (الخامسة والعشرون) قال رحمه الله يعلم من يقف عليه إنى وقفت على أوراق بخط ولد ابن سحيم يريد أن يصدبها الناس عن دين الإسلام وشهادة أن لا إله إلا الله فأردت أن أنبه على مافيها من الكفر الصريح وسب دين الإسلام وما فيها أيضا من الجهالة التى يعرفها العامة. فأما تناقض كلامه فمن وجوه: الأول أنه صنف الأوراق يسبنا ويرد علينا فى تكفير كل من قال لاإله إلا الله وهذا عمدة ما يشبه على الجهال وعقد لها فصلا فى أوراقه يقول: أما من قال لاإله إلا الله لا يكفر ومن أم القبلة لايكفر، فإذا ذكرنا لهم الآيات التى فيها كفره وكفر أبيه وكفر الطواغيت يقول نزلت فى اليهود نزلت فى النصارى نزلت فى فلان ثم رجع فى أوراقه يكذب نفسه ويوافقنا ويقول من قال إن النبى صلى الله عليه وسلم قال: لمس الكف كفر ومن قال كذا كفر، وتارة يقول مايوجد الكفر فينا وتارة يقرر الكفر أعجب ليأتيه. الثانى أنه ذكر فى أوراقه أنه لايجوز الخروج عن كلام العلماء وهو صادق فى ذلك، ثم ذكر فيها كفر القدرية والعلماء لايكفرونهم فكفرنا سالم وأنكر علينا تكفير أهل الشرك. الثالث أنه ذكر معنى التوديك أنها تصرف

جميع أنواع العبادات من الأقوال والأفعال لله وحده ولا تجعل فيها شيئاً لملك مقرب ولا نبي مرسل وهـذا حق ثم يرجع يكذب نفسه ويقول إن دعاء شمسان وأمثاله فى الشدائد وينذر له ليبرءوا المريض ويفرجوا عنه المكروه الذى لم يصل إليـه عبدة الأوثان بل يخلصون لله فى الشدائد ويجعل هذا ليس من الشرك ويستدل على كفره الباطل بالحديث الذى فيه «إن الشيطان يئس أن يعبد فى جزيرة العرب» إلى آخره. الرابع أنه قسم التوحيد إلى نوعين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية ويقول إن الشيخ بين ذلك ثم يرجع يرد علينا فى تكفير طالب الحضر وأمثاله الذين يشركون بالله فى توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية ويزعمون أن حسيناً وإدريس ينفعون ويضرون وهذه الربوبية ويزعم أنهم ينتحون ويندبون وهذا توحيد الألوهية. الخامس أنه ذكر (فى قل هو الله أحد) أنها كافية فى التوحيد فوحد نفسه فى الأفعال فلا خالق إلا الله وفى الألوهية فلا يعبد إلا الله وبالأمر والنهى فلا حكم إلا لله فيقرر هذه الأنواع الثلاثة ثم يكفر بها كلها ويرد علينا ، فإذا كفرنا من قال إن عبد القادر والأولياء ينفعون ويضرون قال كفرتم الإسلام وإذا كفرنا من يدعو شمسان وتاجا وحطابا قال كفرتم الإسلام ، والعجب أنه يقول إن من التوحيد توحيد الله بالأمر والنهى فلا حكم إلا لله ثم يرد علينا إذا عملنا بحكم الله ويقول من عمل بالقرآن كفر والقرآن مايفسر. السادس أنه ينهى عن تفسير القرآن ويقول مايعرف ثم ينحرف يفسر ويقول (قل هو الله أحد) فيها كفاية ، فلما فسرها كفر بها. السابع أنه ذكر أن التوحيد له تعلق بالصفات وتعلق بالذات وقبل ذلك قد كتب إلينا أن التوحيد فى ثلاث كلمات أن الله ليس على كل شىء وليس فى شىء ولا من شىء ، فتارة يذكر أن التوحيد إثبات الصفات وتارة يقول ذلك ويقول توحيد إنكار الصفات. الثامن أنه ذكر آيات وأحاديث فى النهى عن الشرك وقال المراد بهذه الآيات والأحاديث الشرك الخفى والشرك الجلى كشرك عباد الشمس لا على العموم كما يتوهمه الجهال ، فصرح أن مراد الله ومراد النبي صلى الله عليـه وسلم لايدخل فيه إلا عبادة الأوثان وأن الشرك الأصغر لايدخل فيه وسمى الذين أدخلوه الجهال ثم فى آخر الصحيفة يعينه قوله ويطلق الشرك بعبارات أخر وكل ذلك فى قوله (وما أنا من المشركين) فرد علينا فى الصحيفة وكذب على الله ورسوله فى أن معنى ذلك بعض الشرك ثم رجع يقرر ما أنكره

ويقول إن الشرك الأكبر والأصغر داخل فى قوله تعالى (وأما أنا من المشركين) التاسع أنه ذكر أن الشرك أربعة أنواع : شرك الربوبيةوشرك الألوهية وشرك العبادة وشرك الملك وهـذا كلام من لايفهم مايقول . فإن شرك العبادة هو شرك الألوهية وشرك الربوبية هو شرك الملك . العاشر أنه قال فى مسألة الذبح والنذر ومن قال إن الذبح والنذر عبادة فرمومته دليل على الجهل لأن العبادةماأمر بهشرعا من غير اطراد عرفى ولا اقتضاء عقلى والبهم لايفهم معنى العبادة ، فاستدل على النفى بدليل الإثبات الحادى عشر أنه بعد أربعة أسطر أكذب نفسه فى كلامه هذا فقال من ذبح لمخلوق يقصد به التقرب أو لرجاء نفع أو لدفع ضرر من دون الله فهذا كفر فتارة يردّ علينا إذا قلنا إنه عبادة وتارة يكفر من فعله . الثانى عشر أنه قرر أن من ذبح لمخلوق لدفع ضر أنه كفر ثم إنه يقرر أن الذبح للجن ليس بكفر . الثالث عشر أنه رد علينا فى الاستدلال بقوله (فصل لربك وانحر) ثم رجع يقرر ماقلنا بكلام البغوى كان ناس يذبحون لغير الله فنزلت فيهم الآية، فياسبحان اللهمن عقول تفهم أن هذا الرجل من البقر الذى لاتميز بين التين والعنب . السادسة والعشرون مسألة الشيخ أحمد بن مانع عن مسائل ، فأجاب بقوله من محمد بن عبدالوهاب إلىأخيه أحمد بن مانعحفظه الله تعالى سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد فنحمد إليك الله الذى لاإله إلاهو بخير وعافية أتمها الله عليناوعليكم فىالدنيا والآخرة وكل من تسأل عنهفهوطيب والأمور على ماتحب والإسلام يزداد ظهورا والشرك يزداد وهنا،نسأل الله تمام نعمته وسر الخاطر ماذكرت من جهة جماز بن عبد الله أن يهدينا وإياكم الصراط المستقيم صراط الذين أنعم عليهم ، فإنه عليه سهل هين مع كونه سفت عليه الرياح حتى وارته وصاحب الورقة الذى اسمه عثمان بن عقيلى إن كنت تظن أنه صادق مهيب منافق فلا يخلى بلا كشف الشبهة التى أوردها . وأما المسائل التى ذكرت فاعلم أولا أن الذى اتضح لم يضره كثرة المخالف ولا قلة الموافق ، وقد عرفت بعض غربة التوحيد الذى هو دين الإسلام من الصلاة والصوم ولم يضره ذلك . فإذا فهمت قول الله تعالى (ياأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم فإن تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) وتحققت أن هذا حتم على المؤمنين كلهم فاعلم أن مسألة الأوقاف فيها النزاع معروف فى كتب المختصرات.ذكر فى شرح

الإقناع حول الوقف أنهم اتفقوا على صحة وقف المساجد والقناطر يعنى نفعها لا الوقف عليهما واتفقوا فيما سوى ذلك . إذا تبين هذا فأنت تعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «من أحدث فى أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد» وفى لفظ حديث صحيح «من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد» وتقطع أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يأمر بهذا ولو يكن الصحابة أسبق الناس إليه وأحرصهم عليه وتقطع أيضا أن الرسول صلى الله عليه وسلم أنى إليـه وهو من أعظم الأشياء ذريعة إلى تغيير حدود الله هذا على تقدير أن العالم المنسوب إليه أن هـذا يصح مع أوقافنا وأنى ذلك وحاشا وكلا بل هم يبطلون الوقف الذى يقصد به وجه الله على أمد مباح ويقولون لابد منه على أمد قربة . وأما كونه جعل ماله بعد الورثة على بدله فلا يرد إلا بعد انقراضهم وعادتنا نفتى ببطلان مثل هذا ولا نلتفت إلى الصرف الثانى وذكر بطلان مثل هذا فى الشرح الـكبير وغيره . وأما المسألة الثانية وهى مثل وقف المرأة على ولدها وليس لها زوج الخ فـكذلك أن تعرف أن الوقف على الورثة ليس من دين الرسول صلى الله علـيه وسلم ولو شرعه لـكان أصحابه أسرع الناس إليه سواء شرعا على قسم الله أم لا هذا وفى الحقيقة يريد أمرين الأول تحريم ما أحل الله لهم من بيعه وهبته والتصرف فيه والثانى يحرم زوجات الذكور وأزواج الإناث فيشابه مشابهة جيدة ما ذكر الله عن المشركين فى سورة الأنعام ولـكن كون الرسول صلوات الله وسلامه عليه لم يأمر به كاف فى فساده صلحت نية صاحبه أم فسدت . وأما المسألة الثالثة إذا لم يعرف هل هذا وقف على من يرث أم لا ولـكن الإفاضة على أنه من يرث فأنا لا أدرى عن هذه المسألة شيئا لـكن أرى التوقف عنها ولا ينزع من يد من يأكله إلا ببينة. وأما المسألة الرابعة وهى الوقف على المحتاج من ذريته فهو صحيح ذكره البخارى عن ابن عمر أنه وقف نصيبه من دار عمر على المحتاج من آل عبد الله . وأما المسألة الخامسة وهى مسألة الجمعة فهى باطلة لـكونها وقفاً على الجمعة الورثة وأيضا يحرم بعضهم وأيضا لم تشرع . وأما بيع الإنسان نصيبه من هذه الصبرة على صاحب العقار أو غيره فلا يجوز بل الصبرة باطلة من أصلها فإن كان هذا الجواب أزال عنك الإشكال وإلا فلو ذكرت لى طولت لك وذكرت لك العبارات والأدلة والسلام .

الفصل الخامس

فى ذكر كلامه على آيات متفرقة من القرآن وما فتح عليه فى ذلك من البيان

كان رحمه الله تعالى رحمة واسعة وجاد على ضريحه من البر مقذفة هامعة قد أعطى فى القرآن فهما وقادا حديدا ومقولا باهرا مصيبا سديدا ومنطقا موفقا مجيدا ، فكان إذا تكلم على الآيات ونزلها على الواقع بهر السامع كلامه ، وكتب على كثير من السور مسائل كثيرة مثل تفسير سورة يوسف والحجر والزمر والنمل. ونذكر فى هذا الفصل كلامه على الآيات المتفرقة من كل سورة على ترتيب المصحف الكريم ونذكر كلامه على سورة الفاتحة بكمالها لأجل ما فيه من الفوائد العظيمة . وكان سبب تأليفه لسورة الفاتحة أن الأمير عبد العزيز حفظه الله تعالى كتب له وهو إذ ذاك فى بلد العيينة يسأله أن يكتب له تفسير الفاتحة فكتبها له وهو إذ ذاك صغير السن قد ناهز الاحتلام قال رحمه الله : اعلم أن مقصود الصلاة وروحها ولبها هو إقبال العبد على الله فيها والسهو عن حضور القلب ويدل على ذلك الحديث الذى فى صحيح مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « تلك صلاة المنافق تلك صلاة المنافق تلك صلاة المنافق يرقب الشمس حتى إذا كانت بين قرنى شيطان قام فنقر أربعا لا يذكر الله فيها إلا قليلا » . فوصفه بإضاعة الوقت بقوله يرقب الشمس ، وبإضاعة الأركان بذكره النقر ، وبإضاعة حضور القلب بقوله « لا يذكر الله فيها إلا قليلا » إذا فهمت ذلك فافهم نوعا واحدا من الصلاة وهو قراءة الفاتحة لعل الله أن يجعل صلاتك فى الصلاة المقبولة المضاعفة المكثرة للذنوب ، ومن أحسن ما يفتح لك الباب فى فهم الفاتحة حديث أبى هريرة الذى فى صحيح مسلم قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « قال الله تعالى قسمت الصلاة بينى وبين عبدى نصفين ولعبدى ما سأل فإذا قال العبد الحمد لله رب العالمين قال حمدنى عبدى ، فإذا قال الرحمن الرحيم قال الله أثنى علىّ عبدى ، فإذا قال مالك يوم الدين قال الله مجدنى عبدى ، فإذا قال إياك نعبد وإياك نستعين قال الله هذا بينى وبين عبدى ولعبدى ما سأل ، فإذا قال اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين قال الله هذا لعبدى ولعبدى ما سأل . انتهى الحديث ، فإذا قال الإنسان هذا وعلم أنها نصفان نصف لله وهو أولها إلى قوله (إياك

نعبد) ونصف العبد دعاء يدعو به لنفسه وتأمل أن الذى علمه هذا هو الله تعالى وأمره أن يدعو به ويكرره فى كل ركعة وأنه سبحانه من فضله وكرمه ضمن إجابة هذا الدعاء بإخلاص وحضور قلب تبين له ماذا أطاع أكثر الناس .

قد هيئوه لأمر لو فطنت له . فاربأ بنفسك أن ترعى مع الهمل

فأنا أذكر لك معانى هذه السورة العظيمة لعلك تصلى بحضور قلب ويعلم قلبك مانطق به لسانك ، فإن مانطق به اللسان ولم يعتقده القلب ليس بعمل صالح كما قال تعالى (يقولون بألسنتهم ماليس فى قلوبهم) وأبدأ بمعنى البسملة ثم الاستعاذة على طريق الاختصار والإيجاز . فمعنى أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ألوذ وأعتصم بالله وأستجير بجنابه من هذا العدوان الذى يضرنى فى دينى أو دنياى أو يصدنى عن فعل ما أمرت به أو يحثنى على فعل مانهيت عنه لأنه أحرص ما يكون على العبد إذا أراد عمل الخير من صلاة أو قراءة أو غير ذلك وذلك أنه لاحيلة لك فى دفعه إلا بالاستعاذة بالله لقوله تعالى (إنه يراكم هو وقبيله من حيث لاترونهم إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لايؤمنون) فإذا طلبت من الله أن يعيذك منه واعتصمت به كان هذا سببا لحضور القلب فاعرف معنى هذه الكلمة ولا تقلها باللسان كما عليه أكثر الناس . وأما البسملة فمعناها أدخل فى هذا الأمر من قراءة أو دعاء أو غير ذلك بسم الله لابحولى ولا قوتى بل أفعل هذا الأمر مستعينا بالله متبركا باسمه تبارك وتعالى هذا فى كل أمر تسمى فى أوله من أمر الدين أو أمر الدنيا . فإذا أحضرت فى قلبك أن دخولك فى القراءة مستعيناً بالله متبرئا من الحول والقوة كان هذا أكبر الأسباب فى حضور القلب وطرد الموانع من كل خير (الرحمن الرحيم) اسمان مشتقان من الرحمة أحدهما أبلغ من الآخر مثل العلام والعليم قال ابن عباس هما اسمان رقيقان أحدهما أرق من الآخر أى أكثر من الآخر رحمة . وأما الفاتحة فهى سبع آيات ثلاث ونصف لله وثلاث ونصف للعبد فأولها (الحمد لله رب العالمين) فاعلم أن الحمد هو الثناء باللسان على الجميل الاختيارى فأخرج بقوله الثناء باللسان الثناء بالفعل الذى يسمى لسان الحال فذلك من نوع الشكر، وقوله على الجميل الاختيارى الذى يفعله الإنسان بإرادته . وأما الجميل الذى لاصنع له فيه مثل الجمال ونحوه فالثناء به يسمى مدحا لاحمدا والفرق بين الحمد والشكر أن الحمد يتضمن المدح والثناء على المحمود بذكر محاسنه سواء كان إحسانا إلى الحامد

أولم يكن ، والشكر لا يكون إلا على إحسان المشكور فمن هذا الوجه الحمد أهم من الشكر لأنه لايكون على المحاسن والإحسان فإن الله يحمد على ماله من الأسماء الحسنى وما خلقه فى الآخرة والأولى ولهذا قال (الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا) الآية وقال (الحمد لله الذى خلق السموات والأرض) وغير ذلك من الآيات . وأما الشكر فإنه لايكون إلا على الإنعام فهو أخص من الحمد من هـذا الوجه لـكنه يكون بالقلب واليد واللسان ولهذا قال الله تعالى (اعملوا آل داود شكراً)والحمد إنما يكون بالقلب واللسان ، فمن هذا الوجه الشكر أعم من جهة أنواعه والحمد أعم من جهة أسبابه والألف واللام فى قوله الحمد للاستغراق وجميع أنواع الحمد لله لالغيره . فأما الذى لاصنع للمخلوق فيه مثل خلق الإنسان وخلق السمع والبصر والسماء والأرض والأرزاق وغير ذلك فواضح . وأما مايحمد عليه المخلوق مثل مانثنى به على الصبا بخير والأنبياء والمرسلين وعلى من فعل معروفا خصوصا إن إسداه إليك فهذا كله أيضا بمعنى خلق ذلك الفاعل وأعطاه مافعل به ذلك وحببه إليه وقواه علـيه أو غير ذلك من أفضال الله الذى لو يخيل منها لم يحمد ذلك المحمود فصار الحمد كله لله بهـذا الاعتبار. وأما قوله (لله رب العالمين) فالله علم على ربنا تبارك وتعالى ومعنى الإله أى المعبود لقوله (وهو الله فى السموات وفى الأرض) أى المعبود فى السموات والمعبود فى الأرض (إن كل من فى السموات والأرض إلا آتى الرحمن عبدا) الآية . وأما الرب فمعناه المالك المتصرف. وأما العالمين فهم اسم لـكل ماسوى الله تبارك وتعالى فكل ماسواه من ملك ونبى وإنس وجن وغير ذلك مربوب مقهور يتصرف فيه فقير محتاج إليه كلهم صامدون إلى واحد لاشريك له فى ذلك وهو الغنى الصمد وذكر بعد ذلك (مالك يوم الدين) وفى قراءة (ملك يوم الدين) وذكر فى أول هذه السورة التى هى أول المصحف الألوهية والربوبية والملك كما ذكره فى آخر سورة فى المصحف(قل أعوذ برب الناس ملك الناس إله الناس) فهذه ثلاثة أوصاف لربنا تبارك وتعالى ذكرها مجموعة فى موضع واحد فى أول القرآن ثم ذكرها مجموعة فى آخر مايطرق سمعك من القرآن فينبغى لمن نصح نفسه أن يعتنى بهذا الموضع ويبذل جهده فى البحث عنه ويعلم أن العليم الخبير لم يجمع بينهما فى أول القرآن ثم فى آخر القرآن إلا لما يعلم من شدة حاجة العباد إلى معرفتها ومعرفة الفرق بين هـذه الصفات فكل صفة لها معنى غير الصفة الأخرى

فإذا عرفت أن معنى الله الإله وعرفت أن الإله هو المعبود ثم دعوت الله وذبحت له أو نذرت له فقد عرفت أن هذا لله ، وإن دعوت مخلوقا طيبا أو خبيثا أو ذبحت له أو نذرت له فقد زعمت أنه هو الله فمن عرف أنه جعل شمسان أوتاجا برهة من عمره هو الله عرف ماعرفت بنو إسرائيل لما عبدوا العجل فلما تبين لهم ارتاعوا وقالوا لما ذكر الله عنهم (ولما سقط فى أيديهم ورأوا أنهم قد ضلوا قالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين) وأما الرب فمعناه المالك المتصرف، فالله تعالى مالك كل شىء وهو المتصرف فيه وهـذا حق ولـكن أقر به عباد الأصنام الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كما ذكر الله فيهم فى القرآن فى غير موضع كقوله (قل من يرزقكم من السماء والأرض أمن يملك السمع والأبصار) إلى قوله (أفلا تتقون) فمن دعا الله فى تفريج كربته وقضاء حاجته ثم دعا مخلوقا فى ذلك خصوصا إن قرن بدعائه المخلوق فنسبة نفسه إلى عبوديته مثل قوله فى دعائه فلان عبدك أو قول عبد على أو عبدالنبى أو عبد الزبير قد أنزل بالربوبية فى دعائه عليا أو الزبير بدعاء الله تبارك وتعالى وأقر له بالعبودية ليأتى له بهذا من شرائع تسميته نفسه عبد الله قد أقر له بالربوبية ولم يقر بأنه رب العالمين بل جحد بعض ربوبيته، فرحم الله عبدا نصح نفسه وتفطن لهذه المهمات. وسئل عن كلام أهل العلم وهم أهل الصراط المستقيم وهـذه السورة بهذا أم لا . وأما الملك فيأتى الكلام عليه وذلك أن قوله مالك وفى القراءة الأخرى (ملك يوم الدين) فمعناه عند جميع المفسرين كلهم مافسره الله به بقوله (وما أدراك مايوم الدين ثم ما أدراك مايوم الدين يوم لاتملك نفس لنفس شيئا والأمر يومئذ لله) فمن عرف تفسير هذه الآية وعرف تخصيص الملك بذلك مع أنه سبحانه وتعالى مالك كل شىء ذلك اليوم وغيره عرف تخصيصه بهذه المسألة الـكبيرة العظيمة التى بسبب معرفتها دخل الجنة من دخلها وبسبب الجهل بهـا دخل النار من دخلها، فيالها من مسألة لو رحل الرجل فيها أكثر من عشرين سنة لم يوفها حقها فأين هذا المعنى والإيمان بما جاء به القرآن مع قوله صلى الله عليه وسلم « يافاطمة بنت محمد لاأغنى عنك من الله شيئا » من قول صاحب البردة :

ولن يضيق رسول الله جاهك بى ... إذا الـكريم تحلى باسم منتقم
فإن لى ذمة منه بتسميتى ... محمدا وهو أوفى الخلق بالذمم
إن لم يكن فى معادى آخذا بيدى ... فضلا وإلا فقل يازلة القـدم

فليتأمل الناصح لنفسه هذه الأبيات ومعناها ومن فتن بها من العباد وممن يدعى أنه من العلماء اختاروا تلاوتها على تلاوة القرآن هل يجتمع فى قلب عبد التصديق بهذه الأبيات والتصديق بقوله (يوم لاتملك نفس لنفس شيئا والأمر يومئذ لله) وقوله «يافاطمة بنت محمد لا أغنى عنك من الله شيئا» لاوالله لا والله كما لا يجتمع فى قلبه أن موسى صادق وأن فرعون صادق وأن محمدا صادق على الحق وأن أباجهل صادق على الحق والله ما استويا ولن يتلاقيا حتى تشيب مفارق الغربان، فمن عرف هذه المسألة وعرف البردة ومن فتن بها عرف غربة الإسلام عرف أن العداوة لنا واستحلال دمائنا وأموالنا ونسائنا ليس عن التكفير والقتال بل هم الذين بدءونا بالتكفير والقتال بل عند قوله (فلا تدعو مع الله أحدا) وعند قوله (أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب) وقوله (له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لايستجيبون لهم بشىء) الآية، فهذه بعض المعانى من قوله (مالك يوم الدين) بإجماع المفسرين كلهم ، وقد فسر الله سبحانه فى سورة (إذا السماء انفطرت) كما قدمت لك فاعلم أرشدك الله أن الحق لايتبين إلا بالباطل كما قيل*وبضدها تتميز الأشياء*فتأمل ماذكرت لك ساعة بعد ساعة ويوما بعد يوم وشهرا بعد شهر وسنة بعد سنة لعلك أن تعرف ملة إبراهيم ودين نبيك محمد فتحشر معهما ولا تصد عن الحوض يوم الدين كما يصد عنه من صد عن طريقهما، ولعلك أن تمر على الصراط المستقيم يوم القيامة ولا تزل عنه كما زل عنه من زل عن صراطهما المستقيم فى الدنيا . فعليك بإدامة دعاء الله بدعاء الفاتحة مع حضور قلب وخوف وتضرع . وأما قوله (إياك نعبد وإياك نستعين) فالعبادة كمال الخضوع وكمال المحبة والخوف والذل وقدم المفعول وهو إياك وكرر للاهتمام والحصر أى لانعبد إلا إياك ولانتوكل إلا عليك وهذا هو كمال الطاعة والدين كله يرجع إلى هذين المعنيين . فالأول التبرى من الشرك ، والثانى التبرى من الحول والقوة، فقوله (إياك نعبد) إياك نوحد ، ومعناه أنك تعاهد ربك أن لاتشرك فى عبادتك أحدا لاملكا ولانبيا ولاغيرهما كما قال تعالى للصحابة (ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون) فتأمل هذه الآية واعرف ما ذكرت لك فى الربوبية أنها التى نسبت إلى تاج ومحمد بن شمسان فإذا كان الصحابة لو فعلوها مع الرسل لكفروا بعد إسلامهم فكيف بمن فعلها فى تاج وأمثاله، وقوله (وإياك نستعين) هذا فيه أمران:

أحدهما سؤال الله الإعانة وهو التوكل والتبرى من الحول والقوة، وأيضا طلب الإعانة من الله كما مرّ أنها من نصف العبد . وأما قوله (اهدنا الصراط المستقيم) فهذا هو الدعاء الصريح الذى هو حظ العبد من الله وهو التضرع إليه والإلحاح عليه أن يرزقه هذا المطلب العظيم الذى لم يعط أحد فى الدنيا والآخرة أفضل منه ، كما منّ الله على رسوله صلى الله عليه وسلم بعد الفتح بقوله (ويهديك صراطا مستقيما) والهداية هنا الإرشاد والتوفيق ؛ وليتأمل العبد ضرورته إلى هذه المسألة التى تتضمن العلم النافع والعمل الصالح على وجه الاستقامة بالكمال والثبات إلى أن يلقى الله. والصراط الطريق الواضح المستقيم الذى لاعوج فيه والمراد بذلك الدين الذى أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم (صراط الذين أنعمت عليهم) وهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فأنت دائما فى كل ركعة تسأل الله أن يهديك إلى طريقهم . وعليك من الفرائض أن تصدق الله فى أنه هو المستقيم وكل ما خالفه من طريق أو علم أو عبادة فليس بمستقيم بل معوج وهذا أول واجبات هذه الآية وهو اعتقادك ذلك بالقلب . وليحذر المؤمن من خدع الشيطان وهو اعتقاد ذلك مجملا وتركه مفصلا فإن أكثر الناس من المرتدين يعتقدون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم على الحق وأن من خالفه على الباطل فإذا جاء بما لا تهوى أنفسهم يكونون كما قال الله تعالى (فريقا كذبوا وفريقا يقتلون) وأما قوله (غير المغضوب عليهم ولا الضالين) فالمغضوب عليهم هم العلماء الذين لم يعملوا بعلمهم والضالون العاملون بلا علم ، فالأول صفة اليهود ، والثانى صفة النصارى ، وكثير من الناس إذا رأى فى التفسير أن اليهود مغضوب عليهم وأن النصارى ضالون ظن الجاهل أن ذلك مخصوص بهم وهو يقرّ أن ربه فارضه عليهم وأن يدعو بهذا الدعاء ويتعوذ من طريق أهل هذه الصفات، فياسبحان الله كيف يعلمه الله ويختار له ويفرض عليه أن يدعو به دائما مع أنه لاحذر عليه منه ولا يتصور أن فعله هذا من ظن السوء بالله ، هذا آخر الفاتحة . وأما قوله: آمين، فليست من الفاتحة ولكنها تأمين على الدعاء. ومعناها اللهم استجب، فالواجب تعليم الجاهل لئلا يظن أنها من كلام الله والله أعلم تمت ولله الحمد. وقال أيضا رحمه الله فى مسائل ذكرها على سورة الفاتحة: الأولى (إياك نعبد وإياك نستعين) فيها التوحيد . الثانية (اهدنا الصراط المستقيم) فيها المتابعة . الثالثة أركان الدين الحب والرجاء والخوف، فالحب فى الأولى وهى (الحمد لله رب العالمين) والرجاء فى الثانية وهى

(الرحمن الرحيم) والخوف فى الثالثة وهى (مالك يوم الدين). الرابعة هلاك الأكثر فى الجهل بالآية الأولى أعنى استغراق الحمد لله واستغراق ربوبية العالمين. الخامسة أول المنعم عليهم وأول المغضوب عليهم والضالين. السادسة فى ذكر المنعم عليهم ظهور الكرم والحمد. السابعة ظهور القدرة والمجد فى ذكر المغضوب عليهم والضالين. الثامنة دعاء الفاتحة مع قوله «لا يستجيب دعاء من قلب غافل» التاسعة قوله (صراط الذين أنعمت عليهم) فيه حجية الإجماع. العاشرة مافى الجملة من هلاك الإنسان إذا وكل إلى نفسه. الحادية عشرة مافيها من النص على التوكل إذا وكل الإنسان إلى نفسه. الثانية عشرة مافيها من التنبيه على بطلان الشرك. الثالثة عشرة التنبيه على بطلان البدع. الرابعة عشرة آيات الفاتحة كل آية لو يفهمها الإنسان كان فقيها وكل آية أفرد معناها بالتصنيف فقال رحمه الله فى كلامه على آيات من سورة البقرة. وقال الشيخ رحمه الله ورضى عنه قوله تعالى (واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر) إلى قوله (ولبئس ماشروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون) فيه مسائل: الأولى كون أناس من أهل الكتاب إذا وقعت المسألة وأرادوا إقامة الدليل عليها تركوا كتاب الله كأنهم لا يعلمون واحتجوا بما فى الكتب الباطلة. الثانية أن من العجب احتجاجهم بذلك على رسول من الرسل. الثالثة أن الكلام يدل على أنهم يعلمون لقوله كأنهم لا يعلمون. الرابعة أن المسائل الباطلة قد تنسب إلى الأنبياء كذبا عليهم. الخامسة أن الكتب قد تضاف إلى بعض الصديقين. السادسة أن ذلك مما تتلوا الشياطين على زمان الأنبياء كما وقع أشياء فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم. السابعة أن الشياطين مزجت به الحق فى زمن سليمان. الثامنة بيان ضلال من ضل ممن يدعى العلم فى شأن سليمان ممن نسب ذلك إليه واستحسنه أو قدح فى سليمان كما ضل أناس كثير فى على لما قتل عثمان. التاسعة أن من فعل السحر كفر ولو عرف أنه باطل. العاشرة أن الشياطين يعلمونه الناس. الحادية عشرة أن العبد لو بلغ مابلغ فى العلم والعمل فلا يأمن مكر الله. الثانية عشرة لا ينبغى له التعرض للفتن وثوقا بنفسه بل يسأل الله العافية. الثالثة عشرة سعة حلم الله ومغفرته ورحمته. الرابعة عشرة يجعل بعض نظره إلى القضاء والقدر. الخامسة عشرة أن النساء من أكبر الفتن. السادسة عشرة أن طاعة الهوى جماع الشر كما أن مخالفته جماع الخير. السابعة عشرة أن الشرك الأكبر مما يخطر بالبال.

الثامنة عشرة أن التلفظ بالشرك بكلمة واحدة لايشترط فى كفر من تكلم بها عقيدة القلب ولا عدم الكراهة للشرك. التاسعة عشرة أن المتكلم لايعذر ولو أراد أن يقضى به غرضا مهما. العشرون أن قتل النفس أعظم من الزنا. الحادية والعشرون أن المعاصى بريد الكفر. الثانية والعشرون أن بعضها يجر إلى بعض. الثالثة والعشرون أن عقوبة المعصية قد تكون أكبر مما يظن العالم. الرابعة والعشرون أن قبول التوبة بلا عذاب لايحصل لكل أحد بل هو فضل من الله. الخامسة والعشرون أن من النعيم تعذيب العبد بذنبه فى الدنيا. السادسة والعشرون حسن الظن بالله. السابعة والعشرون القاعدة التى هى خاصية العقل وهو ارتكاب أدنى الشرين لرفع أعلاهما وتفويت أدنى الخيرين لتحصيل أعلاهما. الثامنة والعشرون أن السحر نوعان. التاسعة والعشرون أن له تأثيرا لقوله (يفرقون به بين المرء وزوجه) . الثلاثون الإرشاد إلى التوكل بكونه لايضر أحدا إلا بإذن الله. الحادية والثلاثون أن فى من يدعى العلم من اختار كتب السحر على كتاب الله . الثانية والثلاثون أنهم يعارضون به كتاب الله. الثالثة والثلاثون أن اتباع كتاب غير كتاب الله ضلال. الرابعة والثلاثون لاتأمن الكتب ولا من ينتسب إلى العلم على دينك . الخامسة والثلاثون أن فساد العلماء يفسد الرعية . السادسة والثلاثون أن السحر وقع فى زمن خلافة النبوة حتى إن عمر وغيره أمر بقتل الساحر ولم يستتبه كما استتاب المرتد . السابعة والثلاثون أن الحسد سبب لرد كتاب الله. الثامنة والثلاثون أن الحاسد قد يبغض الناصح ويسعى فى قتله . التاسعة والثلاثون أن الحسد يحمله على رد حظه من الله فى الدنيا والآخرة. الأربعون أنه من أخلاق اليهود. الحادية والأربعون أن المحسود يرفعه الله على الحاسد. الثانية والأربعون أن بالطاعة خير الدنيا والآخرة وبالمعصية العكس. الثالثة والأربعون أن فى من ينتسب إلى العلم من يختار الكفر على الإيمان مع علمه أن من اختاره لاحظ له فى الآخرة . الرابعة والأربعون أن الإنسان يجتمع فيه الضدان يعلم ولا يعلم. الخامسة والأربعون بيان غبنهم والتسجيل على فرط جهلهم فى هذا الشرط . السادسة والأربعون أن السبب فى هذا الشرط اشتراء شىء خسيس تافه من الدنيا. السابعة والأربعون أنهم لمحبتهم ماهم عليه من الجاهلية وغرامهم به نبذوا كتاب الله الذى عندهم وراء ظهورهم كأنهم لايعرفونه. الثامنة والأربعون أن حملهم على هذه العظائم أنهم أتاهم أمر من الله موافق لدينهم لكن مخالف لعاداتهم

الجاهلية. التاسعة والأربعون الفرق بين المعجزات والكرامات وبين ما يفعله الشياطين وتشبيهها بذلك. الخمسون التنبيه على قول الصحابي «أو يأتي الخير بالشر» وجوابه صلى الله عليه وسلم. الحادية والخمسون أنه لا ينبغي للإنسان أن ينكر ما لم يحط به علما فقد ضل بالتكذيب بهذه القصة فئام من الناس لظنهم أنها تخالف ما علموه من الحق وتكلم بسببها ناس في نبي الله سليمان بن داود عليه السلام وقوله (ودّ كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره إن الله على كل شيء قدير وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله إن الله بما تعملون بصير) فيه مسائل: الأولى كون أناس ممن ينتسبون إلى العلم والدين يجري منهم هذا عمدا جرأة على الله وما أكثر من ينكر هذا. الثانية التنبيه على كثرة هذا الصنف. الثالثة كون المنتسب إلى العلم يتمنى إضلال غيره إذا عجز عنه . الرابعة أن سبب هذا الأمر الغريب هو الحسد لا خوف مضرة ولا طلب مصلحة. الخامسة أن المنتسب إلى العقل والعلم قد يسعى فيما يعلم أن مصلحته لدنياه ليزيله وفيما يعلم أنه مضرة لدنياه ليأتي به فإنهم يعلمون أن زوال المفاسد وحصول المصالح في هذا الدين وكانوا يستفتحون على من ظلمهم فلما جاء حملهم الحسد على ما ذكر. السادسة أن الحسد سبب للكفر كما وقع لهؤلاء ولإبليس. السابعة ذكر العفو الذي هو من أسباب العز وقهر الخصم كما ورد في الحديث. الثامنة الرفق في الأمر وفعله بالتدريج كما فعل عمر بن عبد العزيز. التاسعة أنه سبحانه يمهل ولا يهمل . العاشرة الإشعار بالنسخ قبل وقوعه . الحادية عشرة تسلية المظلوم المحسود . الثانية عشرة التنبيه على العلة. الثالثة عشرة أن الظالم الحاسد يذله الله كما جرى لهؤلاء إلى يوم القيامة وقوله فيه (إن الله على كل شيء قدير). الرابعة عشرة وهي الاستدلال بالصفات على الأفعال. الخامسة عشرة وهي الاستدلال بالقدرة على ما لا يظن وقوعه السادسة عشرة وهي الاستدلال بها على جعل العفو سببا للعز العافي وذلة المعفو عنه عكس ما يظن الأكثر. وأما الاستدلال بها على ما كذب به الجهال استبعاداً مثل عذاب القبر وغيره أو مثل الصراط والميزان وغيرهما وما يجري في الدنيا من تبديل الأحوال من الغنى إلى الفقر وضده ومن الذل إلى العز وضده فأكثر من أن يحصر ولكن من أحسن ما فيها. المسألة السابعة عشرة وهي تنبيه أعلم الناس على أشكل المسائل بقوله (إن الله على كل شيء قدير) والله سبحانه وتعالى

أعلم وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيراً كلما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون .

ذكر بعض مافي قوله تعالى (قل أتحاجوننا فى الله وهو ربنا وربكم إلى قوله يعلمون) من بيان الحق وإبطال الباطل : الأول إذا كانت المحاجة فى الله سبحانه من قرب إليه من المختلفين فى مسألة التوحيد وبيان ذلك بمعرفة الله تعالى فيما اجتمعنا وإياكم عليه ومعرفة حالنا وحالكم فى مسألة، وذلك أنا مجمعون على استوائنا وإياكم فى العبودية بخلاف ملوك الدنيا فإن بعض الناس يكون أقرب إليهم من بعض بالقرابة وغيرها ، ومجمعون أيضا أنه لايظلم أحدا من عبيده بل كل نفس لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت بخلاف ملوك الدنيا فانهم يأخذون مال هذا ويعطونه هذا فإذا كان الأمر كذلك فكيف تدعون أنكم أولى بالله منا ونحن له مخلصون وأنتم به مشركون، وكيف يظن به أنه يساوى بين من قصده وحده لا شريك له ومن قصد غيره وأعرض عنه ، وهل يظن عاقل أو سفيه برجل من بنى آدم خصوصا إذا كان كريما أن من قصده وضاف عنده يكرهه ولايضيفه ويخص بالرضا والكرامة والضيافة من أعرض عنه وضاف عند غيره مع استواء الجميع فى القرب منه والبعد ؟ هذا لايظن فى الآدمى فكيف يظن برب العالمين ؟فتبين بقضية العقل أن ما جاءت به الرسل من الإخلاص هو الموافق للعقل وما فعل المشركون هو العجاب المخالف للعقل، فيالها من حجة ماأعظمها وأبينها لكن لمن فهمها كما ينبغى .

قال الشيخ رحمه الله ذكر بعض مافى قوله تعالى (وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن) إلى الجزء، ففى الآية الأولى مسائل: الأولى أنه تعالى حكيم لايضع الأشياء إلا فى مواضعها لأنه ماجعله إماما إلا بعد ماأتمّ ما ابتلاه به، وسأل بعضهم أيما الابتلاء أو التمكين ؟ فقال الابتلاء ثم التمكين . الثانية إذا كان يبتلى الأنبياء هم يفعلونه أم لا فكيف بغيرهم. الثالثة الثناء على إبراهيم بأنه أتم الكلمات التى ابتلاه بها. وقيل إن الله لم يبتل أحداً بهذا الدين فأتمه إلا إبراهيم ولهذا قال (وإبراهيم الذى وفى). الرابعة أنه سبحانه جازاه على ذلك بأمورمنها أنه جعله للناس إماما، ولما علم عليه السلام كبر هذه العطية سألها للذرية وهى الخامسة. والسادسة أن الله أجابه أن هذه المرتبة لاينالها ظالم ولو من ذرية الأنبياء. السابعة أن هذا يدل على أن الامامة فى الدين تحصل لغير ظالم فليست بمختصة. الثامنة معرفة قدر هذه المرتبة التى أكرم بها وهى الإمامة فى الدين. وأما الآية الثانية ففيها مسائل: كونه سبحانه جعل البيت الذى بناه إبراهيم مثابة مع المشاق العظيمة وذلك

من الآيات. الثانية أنه جعله أمنا عند الكفار ، وذلك من أعجب الآيات. الثالثة أمره أن يتخذ من مقام إبراهيم مصلى وهذا من الخصائص فليتفطن المؤمن للشبهة المبتدعة لأنه لايجوز أن يتخذ من مقام غيره مصلى . الرابعة أن فيها الرد على أهل الكتاب الذين لايعظمونه مع مافيه من الآيات ومع ماعندهم من العلم بذلك . وأما الآية الثالثة ففيها مسائل . الأولى ذكره أنه عهد إلى إبراهيم وإسماعيل أن يطهراه لهذه الطائفة ولذلك أنزل الله (إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام) .الثانية أن فيها الرد على أهل الكتاب والمشركين . الثالثة العجب العجاب معا كستهم هذا الأمر فلايردون عنه إلى الطائفة المأمور بتطهيرهم له . الرابعة أنه نعتهم بالطواف والركع والسجود والعكوف فدل على أن نفس العكوف فيه عبادة . الخامسة أن التقدم عند الله بالأعمال الصالحة لابالنسب فأمر بتطهيرهم له وإن لم يكونوا من ذريته وأمر بطرد ذريته عنه إذا لم يكونوا كذلك. وأما الآية الرابعة ففيها مسائل : الأولى دعوة إبراهيم للبلد وأهله ولايناقض تحريمه يوم خلق الله السموات والأرض .الثانية دعوة إبراهيم للبلد وأهله بالأمن والرزق. الثالثة الآية العظيمة فى إجابة هذه الدعوة . الرابعة تخصيصه بها من آمن بالله واليوم الآخر . الخامسة قوله ومن كفر فلما دعا بأمر الدين منع الله الظالم من ذريته . ولما خص بالأمر الآخر من آمن بالله، قال الله: ومن كفر، وذلك للفرق بين الدارين . السادسة أنه لما أخبر أن ذلك للمؤمن وغيره فقد يتوهم منه كرامة الجميع فأخبر أنه لو عم العاصى فيه بالأمن والرزق فإنه يضطره إلى عذاب النار . السابعة أن المجاورة عنده كما أنها تنفع المطيع، فهى تضر العاصى لقوله (ثم أضطره إلى عذاب النار) ولذلك انتقل ابن عباس منها إلى الطائف . وأما الآية الخامسة ففيها مسائل: الأولى التصريح بأن الاثنين بنياه . الثانية جلال الله وعظمته فى قلوب الذين يعرفونه لدعوتهما بالقبول . وكان بعض السلف إذا قرأها يبكى ويقول: خليل الله يرفع قواعد بيت الله ويخاف أن لايقبله . الثالثة توسلهما بالصفات . الرابعة طلبهما أن يرزقهما الله الإسلام وهاهما ، والغفلة عن هذه الكلمة من العجائب . الخامسة إشراكها فى الدعوة بعض الذرية ففيها رغوب المؤمن وحرصه على صلاح ذريته . السادسة طلبهما أن يعلمهما المناسك ففيها حرصهما على العمل بالنص مع عصمتهما . السابعة طلبهما أن يتوب عليهما وهاهما ففيها خوفهما من الذنوب . الثامنة التوسل بالصفات . التاسعة التعليل

بكونه التواب الرحيم ، ولولا ذلك لاستحقا العقوبة . العاشرة الرد على المشركين وأهل الكتاب . الحادية عشرة أن دعوتهما بهذه النعمة التى هى أعظم النعم للذرية جعلها الذرية من أعظم المصائب . وأما الآية السادسة ففيها مسائل : الأولى دعوتهما للذرية ببعثة الرسول فكانت عندهم أعظم البلاء مع دعواهم أنهم على ملتهما . الثانية أنهما أرادا بذلك أن يعلمهم الكتاب والحكمة ويتلو عليهم الآيات ويزكيهم ، قيل إن استماع التلاوة والتزكى بها فرض عين . وأما علم الكتاب والحكمة ففرض كفاية . الثالثة أن نسبة الزكاة إلى السبب لابأس به مع أن المزكى فى الحقيقة هو الله وحده . الرابعة التوسل بالصفات . وأما الآية السابعة فهى من جوامع الكلم وأظهر البراهين فنذكر شيئا من ذلك : الأولى أنه بين أن ملة إبراهيم هى الإسلام ومنه تعظيمه وحجه ومع إقرار علماء أهل الكتاب بذلك يرغبون عنه، وهذه مسألة مهمة يدل عليه قوله «ومن رغب عن سنتى فليس منى» . الثانية أن أكثر الناس رغبوا عن اسم الإسلام وعندهم لافضيلة فيه ولابد عندهم من نسبة دين خاص . الثالثة أعجب من ذلك أنهم لايعرفون معنى الإسلام بل هذا عندهم صورة لامعنى لها . الرابعة أعجب من الجميع أنهم إذا بين لهم معناه اشتد إنكارهم لذلك مع قراءة هذه الآية وأمثالها . الخامسة التى سيق الكلام لأجلها أنك إذا عرفت ملته فالواجب الاتباع لامجرد الإقرار مع الرغوب عنها . السادسة أن من فعل ذلك لم يضر إلا نفسه . السابعة أن ذلك فى غاية الجهل والسفه الواضح مع ادعائهم الكمال فى العلم . الثامنة كيف يطلب أفضل من طريقه والله سبحانه هو الذى اصطفاه ووعده فى الآخرة ماوعده بسبب طريقه . وأما الآية الثامنة ففيها مسائل الأولى أن مسألة الإسلام الذى هو سبب الكلام والخصومة أن الله سبحانه هو الذى أمره بذلك . الثانية أنه استجاب لله فيما أمره فقال (أسلمت لرب العالمين) الثالثة وصفه ربه سبحانه بما يوضح المسألة ، وهو الربوبية للعالم كله . فانظر رحمك الله إلى هذا التقرير والثناء والتوضيح للإسلام مع حقارته وإنكاره عند من يقرأ هذه الآيات وما بعدها . وأما الآية التاسعة ففيها العجب العجاب : الأولى أن الله سبحانه ذكر أن إبراهيم وصى بالإسلام ابنيه وهما هما . الثانية أن يعقوب وصى بها بنيه وهم هم . الثالثة تحريضه الذرية على ذلك بأن الله الذى اختاره لهم فلا ترغبوا عن اختيار الله . الرابعة مع هذا التقرير الواضح عند من يدّعى كمال العلم ويدّعى اتباع الملة أحقر الطرائق

ولا مدح فيه ولا يصير من المسكوت عنه إلا من رغب عنه إلى اسم غيره وإلا من اقتصر عليه اتخذوه هزؤا فاعتقدوا غاية جهله بل أفتوا بكفره وقتله. وأما قوله (فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون) فحرضوهم على لزوم ذلك إلى الممات وعدم الزيادة عليه لما فى طبع الإنسان من طلب الزيادة خصوصا مع طول الأمل. وأما الآية العاشرة ففيها مسائل: الأولى وصية يعقوب عند الموت ولم يكتف بما تقدم . الثانية لبنيه وهم هم . الثالثة لشدة التحريض وكبر الأمر عنده أخرجه مخرج السؤال . الرابعة أنه قال (من بعدى) لأن الغالب أن الأتباع بعد موت كبيرهم ينقصون . الخامسة جوابهم له (نعبد إلهك) الآية، لأن فى هذا معنى الحجة وظهور الأمر أن من اتبع الصالحين يسلك طريقهم ، وأما كونه يترك طريقهم بزعمه أنه اتباع لهم فهذا خلاف العقل . السادسة (إلها واحدا) يعنون للخلائق كلهم لكن مهتد وضال . السابعة إخباره لهم بلزومهم الإسلام بعدموته. الثامنة ذكرهم له أن ذلك الإسلام لله وحده لاشريك له ليس لك ولا لآبائك منه شىء . التاسعة أن العم أب لأن إسماعيل عمه لكن مع التغليب . العاشرة أن ذلك من أوضح الحجج على ذريتهم مع إقرارهم بذلك ومع هذا يزعمون أنهم على ملتهم مع تركها وشدة العداوة لمن اتبعها . الحادية عشرة أن فيها ردا عليهم فى المسألة الخاصة وهى اتخاذ الأحبار والرهبان أربابا . وأما الآية الحادية عشرة ففيها مسائل: الأولى المسألة التى ضل بها كثير وهى ظنهم أن صلاح آبائهم ينفعهم . الثانية بيان أن الذى ينفع الإنسان عمله. الثالثة أن الذى يضره عمله ولا يضره معصية أبيه وابنه. وأما الآية الثانية عشرة ففيها مسائل، وهى من جوامع الكلم أيضاً: الأولى من عبر إلى ملة كانت هى من الملل الممدوحة السالم أهلها قيل له(بل ملة إبراهيم) لأنها إن كانت باطلة فواضح وإن كانت صحيحة فملة إبراهيم أفضل كما قال صلى الله عليه وسلم « أحب الأديان إلى الله الحنيفية السمحة » . الثانية وهى مما ينبغى التفطن لها أنه سبحانه وصفها بأن إبراهيم حنيفا بريئاً من المشركين وذلك لأن كلا يدعيها فمن صدق قوله بالفعل وإلا فهو كاذب . الثالثة أن الحنيف معناه المائل عن كل دين سوى الإسلام لله . الرابعة أن من الناس من يدعى أنه لايشرك وأنه مخلص ولكن لايتبرأ من المشركين وملة إبراهيم الجمع بين النوعين . وأما الآية الثالثة عشرة ففيها مسائل : الأولى أمر الله سبحانه أن نقول ماذكر فى الآية ، وليس هذا من إظهار العمل الذى إخفاؤه

أفضل . الثانية الإيمان بجميع المنزل . الثالثة عدم التفريق بينهم . الرابعة التصريح بالإسلام . الخامسة التصريح بإخلاصنا ذلك لله ، وليس هذا من باب الثناء على النفس بل من بيان الدين الذى أنت عليه . ولهذا قال بعض السلف ينبغى لكل أحد أن يعلم هذه الآية أهل بيته وخدمه. وأما الآية الرابعة عشرة ففيها مسائل: الأولى قوله (فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا) وفيها التصريح أن الإيمان هو العمل . الثانية أن هذا الكلام فى غاية إنصاف الخصم. الثالثة أن الذى لاينقاد له ليس داؤه داء جهالة بل مشاقة . الرابعة أنك إذا أنصفته وأصر فهوسبب الانتقام لله منه . الخامسة الاستدلال بالصفات. وأما الآية الخامسة عشرة ففيها مسائل: الأولى قوله (صبغة الله) أى دين الله فدل على أن ذلك هو العمل . الثانية الدلالة الواضحة وهى أنه لاأحسن من الدين الذى تولى الله بيانه والأمر به . الثالثة أنكم أيها الخصوم افتخرتم بإسلامكم بالأنبياء والصالحين فإسلامنا لله وحده، ومعنى ذلك لزوم هذا الدين الذى تولى الله بيانه . وأما الآية السادسة عشرة ففيها مسائل: الأولى أمر الله لنا أن نحاجهم بهذه الحجة القاطعة. فإذن كان الله رب الجميع ،وأيضاً أنه بإقراركم عدل لايظلم بل كل عامل فعمله له وافترقنا فى كوننا قاصدينه مخلصين له وأنتم قصدتم غيره فكيف يسوى بينكم وبيننا أو يخص بكرامته من أعرض عنه دون من قصده؟هذا لايدخل عقل عاقل . الثانية أن الخصوم محاجتهم فى الله لافى غيره مع فعلهم هذا فى الخصومة . وأما الآية السابعة عشرة ففيها مسائل : الأولى إن كانت الخصومة فى الصالحين ودعواهم أنهم على طريقهم فهم يقدرون أنهم يدعون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم على طريقتهم فلا يقدرون بل يصرحون أنهم على غيرها ولكن يعتذرون أنهم لايقدرون عليها فكيف هذا التناقض ؟ يدعون أنهم تابعوهم مع تحريمهم اتباعهم وزعمهم أن أحدا لايقدر عليه . الثانية قوله (ءأنتم أعلم أم الله) فهذه لايقدر أحد أن يعارضها،فإذا سلمها وسلم لك أن العلم الذى أنزله الله ليس هو لعدم القدرة فهذا الذى عليه غيره وهذا إلزام لامحيد عنه . الثالثة أن منهم من يعرف الحق ويكتمه خوفا من الناس مع كونه لاينكره (ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله) فكيف بمن جمع مع الكتمان دفعها وسبها وتكفير من آمن بها . الرابعة الوعيد بقوله (وما الله بغافل عما تعملون) والله أعلم . وقال رضى الله عنه قوله تبارك وتعالى (وما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة

ثم يقول للناس كونوا عبادالى من دون الله) الآيتين. إذا عرفت أن سبب نزولها قول أهل الكتاب نحن مسلمون نعبد الله إلا إن كنت تريد أن نعبدك عرفت أنها من أوضح مافى القرآن من تقرير الإخلاص والبراءة من الشرك ومن أعظم مايبين لك طريق الأئمة المهديين من الأئمة المضلين وذلك أن الله وصف أئمة الهدى بالنفى والإثبات فنفى عنهم أن يأمروا أتباعهم بالشرك بهم أو بالشرك بالملائكة والأنبياء وهم أصلح المخلوقات ، وأثبت أنهم يأمرون أتباعهم أن يصيروا ربانيين ، فإذا كان من أنزله الله بهذه المنزلة لايتصور أن يأمر أتباعه بالشرك به ولا بغيره من الأنبياء والملائكة فغيرهم أظهر وأظهر ، وإذا كان الأمر الذى يأمرهم به كونهم ربانيين تبين طريقة الأنبياء وأتباعهم من طريقة أئمة الضلال وأتباعهم ومعرفة الإخلاص والشرك ، ومعرفة أئمة الهدى وأئمة الضلال أفضل ماحصل المؤمن لكن فيه من البيان قول اليهود إلا إن كنت تريد أن نعبدك كما عبدت النصارى عيسى وقول النصارى تريد ذلك إلا إن كنت تريد أن نعبدك كما عبدت اليهود عزيرا أن عبادة غير الله من أنكر المنكرات ببديهة العقل ، ولكن الهوى يعمى ويصم وفيه معرفة الإنسان بعيب عدوه ولا يعرف مافيه من ذلك العيب بعينه ولو كان فيه منه أضعاف مضاعفة ، وفيه ماعلى من قرأ القرآن من الحق من تعلم معانيه ، وفيه أن عليه أن يعمل به ، وفيه أن يكون ربانيا ، وفيه أن سبب ذلك درس الكتاب وعلمه وتعليمه ، وفيه أن المسلم إذا أشرك بالأنبياء والصالحين كفر بعد إسلامه ، وفيه معرفة أعداء رسول الله صلى الله عليه وسلم بما هو عليه من العدل والتواضع كيف يتفوهون له بهذا الكلام وهم تحت يده محتاجون له، وفيه أن من أشرك بشىء فقد اتخذه ربا. وفيه أن قوله فى القرآن من دون الله ليس كما يقول الجاهلون لأن أهل الكتاب لايتركون عبادة الله وقوله عز وجل (وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة) الآيتين فيه ماهو من أبين الآيات للخاص والعام وكونه صلى الله عليه وسلم مذكورا مبشرا به فى كتب الأنبياء، وفيه حجة على أن دعوته عامة فى الظاهر والباطن، وفيه أن الإيمان به لايكفى عن نصرته بل لابد من هذا وهذا،وفيه أخذه تعالى الميثاق على الأنبياء بذلك دليل على شدته إلا على من يسره الله عليه، وفيه أن من آتاه الله الكتاب والحكمة أحق بالانقياد للحق إذا جاء به من بعده بخلاف ماعرف من حال الأكثر من ظنهم أنه لو اتبعه غيرهم فهو نقص فى حقهم

وفيه مزيد التأكيد بقوله (ءأقررتم وأخذتم على ذلكم إصرى) وفيه إشهادهم مع شهادته سبحانه ، وفيه أن من تولى بعد ذلك فجرمه أكبر ، وفيه أن الآخر مصدق لما معهم لامخالف له فإذا كان هذا فى أهل الملل فكيف بأهل الملة الواحدة إذا ضلوا ثم جاءهم من يرشدهم إلى دينهم الذى أنزل الله عليهم وهو الذى ينتحلونه (فإن تولوا) بعد معرفته (فأولئك هم الفاسقون) فإن جمعوا مع التولى تكذيبه فان جمعوا مع التكذيب الاستهزاء فإن جمعوا مع ذلك عداوته الشديدة فإن أضافوا إلى ذلك تكفير من صدق كتابهم ونبيهم واستحلال دمه وماله فإن أضافوا إلى ذلك كله اتباع دين المشركين أعداء نبيهم ونصره بما قدروا عليه وبذل النفوس والأموال فى نصرته وعداوة دين نبيهم وإزالته من الأرض حتى لايذكر الله فيها فالله المستعان ، و(الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق) ومن قوله (ياأيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب) إلى قوله (وما الله يريد ظلما للعالمين) الأولى سبب النزول يدل على شدة الحاجة لها فإذا احتاجوا فكيف بغيرهم . الثانية الخوف على مثلهم الردة بذلك فكيف بمن دونهم . الثالثة أن فى من أوتى الكتاب من يدعو إلى الردة مثلما أن فيهم من يدعو إلى الله . الرابعة التصريح بأن ذلك بعد الإيمان . الخامسة لطف الله تعالى بعبيده بدعوتهم بهذا الوصف . السادسة استبعاد الكفر ممن تتلى عليه آيات الله وفيهم رسوله ، فإذا مضت الثانية فالأولى باقية . السابعة أن آيات الله لانظير لها فى دفع الشر فى سائر الكلام كما أن رسوله لانظير له فى سائر الأشخاص فى دفع ذلك . الثامنة الرد على أعداء الله الذين يزعمون أن القرآن لايفهم معناه. التاسعة أن الاعتصام بحبل الله جامع . العاشرة أن الطرق فيها المعوج وفيها المستقيم . الحادية عشرة ذكر حق تقاته . الثانية عشرة لطافة الخطاب . الثالثة عشرة لزوم الإسلام إلى الممات . الرابعة عشرة فيه التنبيه على قوله «لاترجعوا بعدى كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض» لأن ذلك سبب النزول . الخامسة عشرة كون الإسلام طاعة الرسول ومعصية أولئك . السادسة عشرة خوفك الردة وإن كنت من الصالحين . السابعة عشرة ذكر الاعتصام بحبل الله وهو القرآن ففيه دليل على أنه عصمة. الثامنة عشرة الأمر بالاجتماع على ذلك. التاسعة عشرة تأكيده ماتقدم بالنهى عن الافتراق . العشرون تذكيرهم بالنعمة العظمى وهى إنقاذهم من النار بعد أن كانوا على شفا جرف منها . الحادية والعشرون ذكره هذا

البيان الواضح فى آياته . الثانية والعشرون أن الفائدة فى تعليمهم العلم تذكر المتعلم واهتداؤه . الثالثة والعشرون ذكر الأمر بطائفة متجرة للدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر . الرابعة والعشرون تخصيصها بالفلاح . الخامسة والعشرون نهيه عن مشابهة الذين تفرقوا واختلفوا من بعد مجىء الآيات . السادسة والعشرون فيه دليل على أن الله ذكر فى دواء هذا الداء مافيه الشفاء . السابعة والعشرون وعيد من ارتكب هذا المنهى عنه بالعذاب الأليم . الثامنة والعشرون بياض الوجوه وسوادها التاسعة والعشرون أن الذين اسودت وجوههم الذين كفروا بعد إيمانهم، ففيه أن الواقعة كفر بعد الإيمان أو تجرد إليه . الثلاثون الوعد الجزيل لمن سلم من ذلك . الحادية والثلاثون أن هذه النصائح والمواعظ هى آيات الله . الثانية والثلاثون أنه سبحانه يتلوها على رسوله لأجلنا . الثالثة والثلاثون تذكيرنا بأن تلك التلاوة بالحق . الرابعة والثلاثون الاعتقاد بأنه لايريد ظلم أحد من العالمين . الخامسة والثلاثون تذكيرنا بأن له مافى السموات ومافى الأرض. السادسة والثلاثون تذكيرنا بالرجوع إليه. وأما قوله تعالى (قل أرأيتكم إن أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة أغير الله تدعون إن كنتم صادقين بل إياه تدعون فيكشف ماتدعون إليه إن شاء وتنسون ماتشركون) .

وفيها من المسائل : الأولى أمره سبحانه وتعالى بمحاجتهم بهذه الحجة الواضحة للجاهل والبليد لكن بشرط التفكير والتأمل ، فيا سبحان الله ما أقطعها من حجة وكيف يخالف من أقرّ بها . الثانية إذا تحققت معنى هذا الكلام مع ذكر الله تعالى له فى مواضع من كتابه عرفت الشرك الأكبر وعبادة الأوثان وقول بعض أئمة المشركين إن الذى يفعل فى زماننا شرك أصغر فى غاية الفساد ، فلو نقدر أن فى هذا أصغر وأكبر لكان فعل أهل مكة مع العزى وفعل أهل الطائف مع اللات وفعل أهل المدينة مع مناة هو الأصغر وفعل هذا هو الأكبر ولا يستريب فى هذا عاقل إلا إن طبع على قلبه. الثالثة أن إجابة دعاء مثل هؤلاء وكشف الضر عنهم لايدل على محبته لهم ولا أن ذلك كرامة وأنت تفهم لو يجرى شىء من هذا فى زماننا على يدى بعض الناس مايظن فيه أهل العلم مع قراءتهم هذا ليلا ونهارا . الرابعة معرفة العلم النافع والعلم الذى لاينفع ، فمع معرفتهم أن ما يكشفه إلا الله ومع معرفتهم بعجز معبوداتهم ونسيانهم إياها ذلك الوقت يعادون الله هذه المعاداة ويوالون آلهتهم تلك الموالاة قال تعالى (أفبالباطل

يؤمنون وبنعمة الله هم يكفرون) وأما قوله تعالى (ولقد أرسلنا إلى أمم من قبلك) إلى قوله تعالى (والحمد لله رب العالمين) ففيها مسائل : الأولى ذكر سنته سبحانه فى خلقه . الثانية أن ذلك تسليطه البأساء وهو القحط والمجاعة والضراء هو الأمراض . الثالثة أنه سبحانه أخبر بمراده أنه سلط ذلك عليهم ليتوبوا فيحصلوا سعادة الدنيا والآخرة ، وليس مراده تعذيبهم على عظم جهالتهم وعتوهم كيف لم يتضرعوا لما جاءهم ذلك ليعرفك أن هذا من أعظم الجهالة والعتو . الرابعة ذكر السبب الذى منعهم من ذلك مع اقتضاء العقل والطبع له وهو قسوة القلب وكون عدوهم زين لهم ما أغضب الله عليهم فلم يعرفوا قبحها بل استحسنوها . الخامسة أنهم لما فعلوا هذه الفعلة العظيمة فتحت عليهم أبواب كل شىء ، فيالها من مسألة . السادسة أنهم استبشروا بسبب عذابهم كما استبشر قوم لوط بسبب أضيافه . السابعة أنه لم يأخذهم حتى وقع الفرح . الثامنة أن ذلك الأخذ بغتة . التاسعة أنه بعد ذلك النعمة . العاشرة أنه سبحانه المحمود على إنعامه لأوليائه ونصرهم . وأما قوله تعالى (قل لا أقول لكم عندى خزائن الله) إلى قوله (ولتستبين سبيل المجرمين) ففيها مسائل : الأولى أمر الله سبحانه رسوله أن يخبرهم بأنه برىء من ادعاء خزائن الله . الثانية إخبارهم بالبراءة من ادعاء علم الغيب . الثالثة إخبارهم بالبراءة من دعوى أنه ملك وأنت ترى من ينتسب إلى العلم كيف اعتقاده فى هذه المسائل بالمعاكسة . الرابعة الاقتصار على ما يوحى إليه واليوم عند الناس هو هو . الخامسة أن الذى يقتصر على الوحى هو البصير وضده الأعمى ومن يدعى العلم بالعكس فى هذه والتى قبلها ولست أعنى العمل بل عقيدة القلب . السادسة حثه سبحانه على التفكر الذى هو باب العلم كما حث عليه سبحانه فى غير موضع . السابعة الإنذار الخاص لهذه الطائفة المنعوتة بهذين الوصفين . الثامنة أن من فقدهما لم تنفعه النذارة . التاسعة فائدة الإنذار وثمرته واحتياج هذه الطائفة لها . العاشرة النهى عن طرد المتصفين بما ذكر . الحادية عشرة عظمة شأن صلاة العصر والصبح . الثانية عشرة عظمة الإخلاص . الثالثة عشرة كون الأمر اليسير كبيراً مع الإخلاص . الرابعة عشرة ذكر القاعدة الكلية المأخوذة منها هذه الجزئية وهى (أن لا تزر وازرة وزر أخرى) . الخامسة عشرة أن طردهم يخاف أن يوصل الرجل الصالح إلى درجة الظالمين ، ففيه التحذير من إيذاء الصالحين . السادسة عشرة أن حسن النية فى ذلك ليس عذرا . السابعة عشرة أن

منعهم من الجلوس مع العظماء فى مجلس العلم هو الطرد المذكور . الثامنة عشرة ذكر فتنته سبحانه بعض خلقه ببعض . التاسعة عشرة ذكر بعض الحكمة فى ذلك . العشرون أن من ذلك رفعة من لايظن الناس فيه ذلك . الحادية والعشرون أن الدين إن صح فهو المنة العظيمة التى لاتساويها منن الدنيا . الثانية والعشرون أن من الفتنة حرمانه سبحانه من لايظن الناس أنه يحرمها . الثالثة والعشرون المسألة العظيمة الكبيرة وهى الاستدلال بصفات الله على ما أشكل عليك من القدرة لأنه سبحانه رد عليهم ما وقع فى أنفسهم من استبعاد كون الله حرمهم وخص هؤلاء بالكرامة . الرابعة والعشرون جلالة هذه المسألة وهى مسألة علم الله لأنه سبحانه رد بها على الملائكة لما قالوا (أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء) الآية كما ترى . الخامسة والعشرون أنه متقرر عند الكفار عبدة الأوثان منكرى البعث أن الله سبحانه حكيم يضع الأشياء فى مواضعها، والأشعرية يزعمون أنه لايفعل شيئا لشئ والله أعلم. وأما قوله تعالى (قل أندعو من دون الله مالا ينفعنا ولا يضرنا) إلى قوله (وهو الحكيم الخبير) ففيه أربعة عشر جوابا لمن أشار عليك بموافقة السواد الأعظم على الباطل لأجل مافيه من مصالح الدنيا والهرب من مضارها ، ولكن ينبغى أن تعرف أولا أن الكلام مأمور به مؤمن نفيه ؛ فالأول أن تجيبه بقوله (قل أندعو من دون الله مالاينفعنا ولا يضرنا) وهذا تصوره كاف فى فساده . الثانى (ونرد على أعقابنا بعد إذ هدانا الله) وهذا أيضا كذلك . الثالث هذا المثل الذى هو أبلغ مايرغبك فى الثبات ويبغض إليك موافقته . الرابع قولك إذا زعم أن الهدى فى موافقة فلان وفلان بدليل الأكثر فتجيبه (إن هدى الله هو الهدى) . الخامس أن تجيبه بقوله (وأمرنا لنسلم لرب العالمين) فإذا أمرتنى بالإسلام لفلان وفلان فالله أمرنى بما لأحسن منه . السادسة أن تقول وأمرنا بإقامة الصلوات وهذه خصلة مسلمة لاجدال فيها ولايقيمها إلا الذى أمرتنى بتركه والذين أمرتنى بموافقتهم لايقيمونها . السابع أنا مأمورون بتقوى الله وأنت تأمرنى بتقوى الناس . الثامن أن هذا الذى أمرتنى بتركه أمره (هو الذى إليه تحشرون) كما قال السحرة لفرعون لما دعاهم إلى ذلك (إنا إلى ربنا منقلبون) . التاسع أنه (هو الذى خلق السموات والأرض بالحق) وهذا مقتضى ما نهيتنى عنه والذى تأمرنى به يقتضى أنه خلقها باطلا . العاشر أن هذا الذى تأمرنى بترك أمره حشر هذا الخلق العظيم

مادونه إلا قوله (كن فيكون) . الحادى عشر أن هذا الذى أمرتنى بترك أمره قوله الحق وقد قال ما لا يخفى عليك ووعد عليه بالخلود فى النعيم ونهى عما أمرتنى به وتوعد عليه بالخلود فى الجحيم وهو لايقول إلا الحق فكيف مع هذا أطيعك . الثانى عشر أن له الملك يوم ينفخ فى الصور ، فإذا أقررت بذلك اليوم وأن عذابه ونعيمه دائمان فما ترجو فى الشفاعات كلها باطل ذلك اليوم ، وقد بين تعالى معنى ملكه لذلك اليوم فى آخر الانفطار . الثالث عشر أنه عالم الغيب والشهادة فلا يمكن التلبيس عليه بخلاف المخلوق ولو أنه نبى . الرابع عشر أنه هو الحكيم الخبير فلا يجعل من اتبع أمره ولو خالف الناس كمن ضيع أمره موافقة للناس حاشاه من ذلك ولهذا يقول الموحدون يوم القيامة إذا قيل لهم قد ذهب الناس فارقناهم فى الدنيا أحوج ما كنا إليهم إلى آخره والله أعلم. ومن قوله تعالى (وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر) إلى قوله (إن هو إلا ذكر للعالمين) : الأولى قوله (أتتخذ أصناما آلهة) السؤال عن معنى الآلهة فإنها جمع إله وهو أعلى الغايات عند المسلم والكافر فكيف يتخذ جمادا وهذا أعجب وأبعد عن العقل من جعل الحمار قاضيا لأن الحيوان أكمل من الجماد فإذا كان هذا من خشب أو حجر لم يعص الله فكيف بمن اتخذ فاسقا إلهاً مثل نمرود وفرعون فإن كان اتخذه بعد موته فأعجب وأعجب . الثانية القدح فى حجتهم لأن السواد الأعظم ليس لهم حجة إلا هى فيدل على الرسوخ فى مخالفتهم بالأدلة اليقينية لقوله (إنى أراك وقومك فى ضلال مبين) . الثالثة قوله تعالى (وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض) فإن ذلك من أعظم الأدلة على المسألة ببديهة العقل لأن من رأى نخلا كثيرا لا يتخالجه شك أن المدبر له ليس نخلة واحـــدة منه فكيف بملكوت السموات والأرض . الرابعة أن هذا النفى إنما نفى لأجل الإثبات . الخامسة (وليكون من الموقنين) فلم يكمل غيره حتى كمل. السادسة عظم مرتبة اليقين عند الله لجعله التعليم علة لإيصاله إليه . السابعة براءته من شركهم نفى أولا كونها لاتستحق ، وثانيا عن نفسه الالتفات إليها . الثامنة نفى النقائص عن ربه . التاسعة ذكر توجهه الذى هو العمل . العاشرة ذكر الدليل الذى دله على النفى والاثبات . الحادية عشرة تحقيقه ذلك بكونه حنيفا وهذه المسألة التى قال الله فى ضدها (وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون) الثانية عشرة تصريحه لهم بما ذكر ولم يدار مع كثرتهم ووحدته . الثالثة عشرة

تصريحه بالبراءة منهم بقوله (وما أنا من المشركين) . الرابعة عشرة قوله (وحاجه قومه) ولم يذكر حجتهم لأن كلامه كاف عن كل مايقولون. الخامسة عشرة أنهم لما خصموا رجعوا إلى التخويف كفعل أمثالهم فذكر أنه لايخاف إلا الله لتفرده بالضر والنفع بخلاف آلهتهم فذكر النفي والإثبات . السادسة عشرة سعة العلم وما قبله سعة القدرة وهما اللتان خلق العالم العلوى والسفلى لأجل معرفتنا لهما . السابعة عشرة من ادعى معرفتهما وأشكل عليه التوحيد فعجب ولذلك قال (أفلا تتفكرون) . الثامنة عشرة قوله (وكيف أخاف ما أشركتم) الخ، يدل على أنها حجة عقلية تعرفها عقولهم . التاسعة عشرة قوله (إن كنتم تعلمون) يدل على أن من أشكلت عليه هذه الحجة فليس له علم . العشرون البشارة العظيمة والخوف الكثير فى فصل الله هذه الخصومة إذا عرف ماجرى للصحابة وما فسرها لهم به النبي صلى الله عليه وسلم . الحادية والعشرون تعظيمه سبحانه هذه الحجة بإضافتها إلى نفسه وأنه الذى أعطاها إبراهيم عليه السلام ردًّا عليهم . الثانية والعشرون أن العلم بدلائل التوحيد وبطلان الشبه فيه يرفع الله به المؤمن درجات . الثالثة والعشرون معرفة أن الرب تبارك وتعالى حكيم يضع الأشياء فى مواضعها . الرابعة والعشرون كونه عليما بمن هو أهل لها كما قال تعالى (وكانوا أحق بها وأهلها) . الخامسة والعشرون ذكر نعمته على إبراهيم بالذرية التى أنعم عليهم بالهداية . السادسة والعشرون أن العلم والهداية أفضل النعم لقوله (ونوحا هدينا من قبل) السابعة والعشرون هدايتهم وأصولهم وفروعهم ومن فى درجتهم . الثامنة والعشرون ذكره الذين هداهم الله وهو الصراط المستقيم وهو المقصود من القصة . التاسعة والعشرون التنبيه على استقامته . الثلاثون القاعدة الكلية أن هذا الطريق هو هدى الله ليس للجنة طريق إلا هو . الحادية والثلاثون التنبيه على أن الهداية إليه بمشيئته ليظهر العجب وشكر النعمة . الثانية والثلاثون العظيمة التى لم يعرفها أكثر من يدعى الدين وهو تكفير من أشرك وحبوط عمله ولو كان من أزهد الناس وأعبدهم . الثالثة والثلاثون أنه أعطاهم ثلاثة أشياء: الكتاب والحكم والنبوة فلا يرغب عن طريقهم إلا من سفه نفسه . الرابعة والثلاثون مافى قوله (فإن يكفر بها هؤلاء) إلى آخره من التحريض على الحرص على طلب العلم من طريقهم وما فيه من التنفير من الجهل وتقبيحه . الخامسة والثلاثون قوله (فبهداهم اقتده) أن دينهم واحد وأن

شرعهم شرع لنا . السادسة والثلاثون النهى عن البدع فإن فى التحريض عليه نهيا عن ضده . السابعة والثلاثون كون النذير البشير مع مقاساة الشدائد فى ذلك لم يطلب منا أجراً عليه . الثامنة والثلاثون كونه ذكرى، ففيه الرد على من يقرأ بلا تدبر . التاسعة والثلاثون قوله (للعالمين) فيه تكذيب من قال لايعرفه إلا المجتهد . الأربعون الحصر فيما ذكر والله سبحانه أعلم. ومن كلامه رحمه الله على آيات من سورة الأعراف الآية الأولى وصفه بأنه كتاب. الثانية كونه منزلا إليه. الثالثة النهى عن الحرج . الرابعة التفريع . الخامسة ذكر الحكمة فى ذلك وهى الإنذار العام والذكرى الخاصة . الآية الثانية فيها الأمر باتباعه . الثانية التحريض على ذلك بأنه منزل إلينا من ربنا. الثالثة النهى عن اتباع ماسواه. الرابعة أنه لابد من هذا وهذا . الخامسة ذكر أن التذكر منا قليل. الآية الثالثة ذكر عقوبات من لم يفعل. الثانية أن ذلك كثير. الثالثة أن البأس جاءهم وقت الغفلة. الرابعة ذكر إقرارهم بالظلم عند نزوله. الخامسة أن ذلك الإقرار ليس لهم دعوى غيره . الآية الرابعة لما ذكر عقوبات الدنيا توعد بالحساب. الثانية أن الحساب على الرسالة. الثالثة أنه عام حتى المرسلين. الرابعة أنه يقص عليهم مافعلوا. الخامسة بسبب أنه شهيد على الجزئيات . الآية الخامسة ذكر الوعيد بالميزان . الثانية أنه الحق لقطع الأطماع . الثالثة أن الفلاح بسبب ثقله. الرابعة أن الخسارة بسبب خفته . الخامسة ذكر سبب الخفة . الآية السادسة ذكر نعمته بالتمكين فى الأرض. الثانية ذكر نعمته بما فيها من المعايش. الثالثة ذكر قلة شكرهم ؛ وأما قوله عز وجل (ولقد خلقناكم ثم صورناكم) إلى آخر القصة قال ابن القيم : قال ابن عباس خلقناكم يعنى آدم وصورناكم ، ومثال هذا ماقال مجاهد خلقناكم يعنى آدم وصورناكم فى ظهر آدم . وفى الحديث المعروف أنه أخرجهم من ظهر آدم فى صورة الذر، ونظيره (فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة) والله سبحانه يخاطب الموجودين والمراد أباؤهم كقوله (وإذ قلتم ياموسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة) وغير ذلك من الآيات. وقد يستطرد سبحانه من الشخص إلى النوع كقوله (ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين) إلى آخره . فالمخلوق من سلالة آدم ومن نطفة ذريته، وقيل إن صورناكم لآدم أيضاً لقوله تعالى (فإذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين) فأضاف النفخ إلى نفسه، وفى الصحيح فى حديث الشفاعة

«فيقولون أنت آدم خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأسجدلك ملائكته وعلمك أسماء كل شىء» فذكروا له أربع خصائص. فالمنفوخ منه الروح المضافة إلى الله إضافة تخصيص وتشريف والله هو الذى نفخ فى طينته عن تلك الروح ، هذا الذى دل عليه النص . وأما كون النفخة مباشرة منه سبحانه كما خلقه بيده أو أنها بأمره كقوله (فنفخنا فيه من روحنا) مع قوله (فأرسلنا إليها روحنا) إلى آخره فهذا يحتاج إلى دليل فإنه أضاف النفخ فى مريم لكونه بأمره ، وإلى الملك لكونه المباشر للنفخ .

وفى القصة فوائد عظيمة . وعبر لمن اعتبر : منها أنه خلق آدم من تراب من أبين الأدلة على المعاد كما استدل عليه سبحانه فى غير موضع وعلى قدرته سبحانه وعظمته ورحمته وهيبته وإنعامه وكرمه وغير ذلك من صفاته ، ومنها أنها من أدلة الرسل عامة ، ومن أدلة محمد صلى الله عليه وسلم خاصة ، ومنها الدلالة على الملائكة وعلى بعض صفاتهم ، ومنها الدلالة على القدر خيره وشره فقد اشتملت على أصول الإيمان الست فى حديث جبريل ، ومنها وهو أعظمها أنها تفيد الخوف العظيم الدائم فى القلب وأن المؤمن لا يأمن حتى تأتيه الملائكة عند الموت تبشره وذلك من قصة إبليس وما كان فيه أوّلا من العبادة والطاعة ، ففى ذلك شىء من تأويل قوله صلى الله عليه وسلم «إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى مايكون بينه وبينها إلا ذراع » إلى آخره ، ومنها ألا يأمن عاقبة العذاب ولو كان قبله طاعات كثيرة وهو ذنب واحد فكيف إذا كانت الذنوب بعدد رمل عالج ، ومن هذا قول بعض السلف : نضحك ولعل الله اطلع على بعض أعمالنا فقال اذهبوا فلا أقبل منكم عملا أو كلاما هذا معناه ، وأبلغ منه قوله صلى الله عليه وسلم « إن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله مايظن أن تبلغ مابلغت يكتب الله له بها سخطه إلى يوم يلقاه » . قال علقمة كم من كلام منعنيه حديث بلال يعنى هذا ، ومنها أنها تخلع من القلب داء العجب الذى هو أشد من كثير من الكبائر ، ومنها وهى من أعظمها أنها تعرّف المؤمن شيئاً من كبرياء الله وعظمته وجبروته ، ولا يدلى عليه ولو بلغ فى الطاعة مابلغ ، وقد وقع فى هذه الورطة كثير من العباد فمستقلّ ومستكثر ، ومنها التحذير من معارضة القدر بالرأى لقوله (أرأيتك هـذا الذى كرمت علىّ) وهذه بلية عظيمة لايتخلص منها إلا من عصمه الله لكن مكثر ومقلل ، ومنها وهو من أعظمها تأدب المؤمن من معارضة أمر الله ورسوله بالرأى

كما استدل بها السلف على هذا الأمر ولا يتخاص من هذا إلا من سبقت له من الله الحسنى، ومنها عدم الاحتجاج بالقدر عند المعصية لقوله (رب بما أغويتنى) بل يقول كقول أبيه (ربنا ظلمنا أنفسنا) الآية، ومنها معرفة قدر المتكبر عند الله خصوصاً مع قوله (اخرج منها فما يكون لك أن تتكبر فيها) ومنها الفخر بالأصل وقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم التشديد فى ذلك، والفخر منهى عنه مطلقاً ولو كان بحق فكيف إذا كان بباطل، ومنها الشهادة لما كان عليه السلف أن البدعة أكبر من الكبائر لأن معصية اللعين كانت بسبب الشبهة ومعصية آدم بسبب الشهوة. ومنها عدم الاغترار بالعلم فإن اللعين كان من أعلم الخلق فكان من أمره ما كان، ومنها عدم الاغترار بالرتبة والمنزلة فإنه كان له منزلة رفيعة وكذلك بلعام وغيره ممن له علم، ومنها معرفة العداوة التى بين آدم وذريته وبين إبليس وذريته وأن هذا سببها لما طرد عدو الله ولكن بسبب آدم لما لم يخضع له؛ وهذه المعرفة مما يغرس فى القلب محبة الرب جل جلاله ويدعوه إلى طاعته وإلى شدة مخالفة الشيطان لأنه سبحانه ماطرد إبليس ولعنه وجعله بهذه المنزلة الوضيعة بعد تلك المنزلة الرفيعة إلا لأنه لم يخضع لنا فليس من الإنصاف والعدل موالاته وعصيان المنعم جل جلاله كما ذكر هذه الفائدة بقوله (أفتتخذونه وذريته أولياء من دونى وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا)، ومنها معرفة شدة عداوة عدو الله لنا وحرصه على إغوائنا بكل طريق فيعد المؤمن لهذا الحرب عدته ولا يعلم قوة عدوه وضعفه عن محاربته إلا بمعونة الله كما قال قتادة: إن عدوا يرانا هو وقبيله من حيث لانراهم إنه لشديد المؤنة إلا من عصم الله، وقد ذكر الله عداوته فى القرآن فى غير موضع وأمرنا باتخاذه عدوا، ومنها وهو من أعظمها معرفة الطرق التى يأتينا منها عدو الله كما ذكر الله تعالى عنه فى القصة أنه قال: (لأقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم).

وإنما يعرف عظمة هذه الفائدة بمعرفة شئ من معانى هذا الكلام. قال جمهور المفسرين انتصب صراط بحذف على، التقدير لأقعدن لهم على صراطك. قال ابن القيم والظاهر أن الفعل مضمر فإن القاعد على الشئ ملازم له فكأنه قال لألزمنه ولأوصدنه ونحو ذلك. قال ابن عباس دينك الواضح ومن بين أيديهم يعنى الدنيا أو الآخرة ومن خلفهم يعنى الآخرة أو الدنيا. وعن أيمانهم، قال ابن عباس أشبه عليهم أمر دينهم.

وعنه أيضاً من قبل الحسنات وقوله وعن شمائلهم الباطل أرغبهم فيه . قال الحسن السيئات يحثهم عليها ويزينها فى أعينهم . قال قتادة أتاك الشيطان يابن آدم من كل وجه إلا أنه لم يأتك من فوقك لم يستطع أن يحول بينك وبين رحمة الله وهذا يوافق قول من قال ذكر هذه الأوجه المبالغة فى التوكيد أى أتصرف لهم فى الإضلال من جميع جهاتهم ولا يناقض ماذكر السلف فإن ذلك على جهة التمثيل ، فالسبل التى للإنسان أربعة فقط فإنه تارة يأخذ على جهة شماله وتارة على يمينه وتارة أمامه وتارة يرجع خلفه؛ فأى سبيل من هذه سلكها وجد الشيطان عليها راصدا له فإن سلكها فى طاعة ثبطه وإن سلكها بالمعصية حداه ، وأنا أمثل لك مثالا واحداً لما ذكر السلف وهو أن العدو الذى من بنى آدم إذا أراد أن يمكر بك لم يستطع أن يمكر إلا فى بعض الأشياء وهى الأشياء الغامضة والأشياء التى ليست بعالية، فلو أراد أن يمكر بك فى أمر واضح بين مثل التردى من جبل أو بئر وأنت ترى ذلك لم يستطع خصوصا إذا عرفت أنه قد مكر بك مرات متعددة ولو أراد ليمكر بك لتتزوج عجوزا شوهاء وأنت تراها لم يستطع ذلك ، وأنت ترى اللعين أعاذنا الله منه يأتى الآدمى فى أشياء واضحة بينة أنها من محارم الله فيحمله عليها حتى يفعلها ويزينها فى عينه حتى يفرح بها ويزعم أن فيها مصلحة ويذم من خالفه كما قال تعالى (لاتحسبن الذين يفرحون بما أتوا) الآية ، وقوله (ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون) وقوله (ولقد علموا لمن اشتراه ماله فى الآخرة من خلاق) وهذا معنى قول من قال بين أيديهم من قبل الدنيا فإنهم يعرفونها وعيوبها ومجمعون على ذمها ثم مع هذا لأجلها قطعوا أرحامهم وسفكوا دماءهم وفعلوا مافعلوا وهذا معنى قول مجاهد من بين أيديهم من حيث يبصرون فهو لم يقنع بإتيانه من الجهة التى يجهلون أنها معصية مثل مافسر به مجاهد خلفهم . قال من حيث لايبصرون ولا من جهة الغيب كما قال فيها بعضهم إلى آخره أشكـكهم فيها لم يقنع بذلك عدو الله حتى أتاهم فى الأمور التى يعرفونها عياناً أنها النافعة وضدها الضار وفى الأمور التى يعرفون أنها سيئات وضدها حسنات ومع هذا فأطاعوه فى ذلك إلا من شاء الله كما قال تعالى (ولقد صدّق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه إلا فريقا من المؤمنين) وقال تعالى حكاية عنه (وقال لأتخذن من عبادك نصيبا مفروضا ولأضلنهم ولأمنينهم ولآمرنهم فليبتكن آذان الأنعام ولآمرنهم فليغيرن خلق الله) الآية . قال الضحاك

مفروضا معلوما وحقيقة الفرض التقدير. والمعنى أن من اتبعه فهو من نصيبه المفروض؛ فالناس قسمان نصيب الشيطان ومفروضه وحزب الله وأولياؤه ، وقوله (ولأضلنهم) يعنى عن الحق (ولأمنينهم) قال ابن عباس تسويف التوبة وتأخيرها . وقال الزجاج أجمع لهم مع الإضلال أن أوهمهم أنهم ينالون مع ذلك حظهم من الآخرة وقوله (ولآمرنهم فليبتكن آذان الأنعام) البتك القطع وهو ها هنا قطع آذان البحيرة وقوله (ولآمرنهم فليغيرن خلق الله) قال ابن عباس دين الله. وقال ابن المسيب والحسن وإبراهيم وغيرهم معنى ذلك أن الله فطر عباده على الفطرة وهى الإسلام كما قال تعالى (فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها) الآية، وفى الصحيح « مامن مولود يولد إلا على الفطرة وأبواه يهودانه » الحديث، فجمع صلى الله عليه وسلم بين الأمرين تفسير الفطرة بالتهويد وغيره وتغيير الخلقة بالجدع وهما اللذان أخبر إبليس أنه لابد أن يغيرهما ثم قال تعالى (يعدهم ويمنيهم) فوعده مايصل إلى قلب الإنسان نحو سيطول عمرك وتنال من الدنيا وتعلو والدنيا دول ستكون لك ويطوّل أمله ويعده الحسنى على شركه ومعاصيه ويمنيه الأمانى الكاذبة على اختلاف وجوهها ، فالوعد فى الخير والتمنى فى الطلب والإرادة ، ومنها أن معرفة هذه القصة تزرع فى قلب المؤمن حب الله تعالى الذى هو أعظم النعم على الإطلاق . وذلك من صنعه بالإنسان وتشريفه وتفضيله على الملائكة وفعله بإبليس مافعل لما أبى أن يسجد له وخلقه إياه بيده ونفخه فيه من روحه وإسكانه جنته ، وقد خاطب الله سبحانه بنى إسرائيل الموجودين فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم بما فعل مع آبائهم وذكرهم بذلك واستدعاهم به وذكر أنه فعل بهم كقوله (وإذ فرقنا بكم البحر فأنجيناكم وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون) وغير ذلك ، وذكر النعم هى أصل الشكر الذى هو الدين لأن شكرها مبنى على معرفتها وذكرها ، فمعرفة النعم من الشكر وهى أم الشكر كما فى الحديث « من أسدى إليه معروف فذكره فقد شكره فان كتم فقد كفره » هذا فى الأشياء التى تصدر من بنى آدم فكيف بنعم المنعم على الحقيقة والكمال؟ واجتمع الصحابة يوما فى داريتذاكرون ما منّ الله عليهم به من بعثة محمد صلى الله عليه وسلم . وجلس الفضيل وابن أبى ليلى يتذاكرون ، ومنها أن التأويل الفاسد فى رد النصوص ليس عذرا لصاحبه كما أنه سبحانه لم يعذر إبليس فى شبهته التى ألقاها كما لم يعذر من خالف النصوص متأولا مخطئا بل

كان ذلك التأويل زيادة فى كفره ، ومنها أن مثل هذا التأويل ليس على أهل الحق أن يناظروا صاحبه ويبينوا له الحق كما يفعلون مع المخطىء المتأول بل يبادر إلى عقوبته بالعقوبة التى يستحقها بقدر ذنبه والإعراض عنه إن لم يقدر عليه كما كان السلف الصالح يفعلون هذا وهذا فإنه سبحانه لما أبدى له إبليس شبهته فعل به مافعل ولما عتب على الملائكة فى قيلهم أبدى لهم شيئا من حكمته وتابوا وقد وقعت هذه الثلاث لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزانه التى فتح الله فيها مكة فإنه لما أعطى المؤلفة قلوبهم ووجدت عليه الأنصار عاتبهم واعتذروا وقبل عذرهم وبين لهم شيئا من الحكمة ، ولما قال له الرجل العابد اعدل قال له كلاما غليظا واستأذنه بعض الصحابة فى قتله ولم ينكر عليه لكن ترك قتله لعذر ذكره، ولما فعل خالد بن الوليد ببنى جذيمة مافعل رد عليهم ما أخذ منهم ووداهم ولا نعلم أنه عاتب خالدا ولا منعه ذلك من تأميره على الناس ، ومنها أن الشبهة إذا كانت واضحة البطلان لاعذر لصاحبها فإن الخوض معه فى إبطالها تضييع للزمان وإتعاب للحيوان مع أن ذلك لايردعه عن بدعته . وكان السلف لايخوضون مع أهل الباطل فى رد باطلهم كما عليه المتأخرون بل يعاقبونهم إن قدروا وإلا أعرضوا عنهم . وقال أحمد لمن أراد أن يرد عليهم اتق الله ولا تنصب نفسك لهذا فإن جاءك مسترشد فأرشده ، وهو سبحانه لما قال اللعين (أنا خير منه قال اخرج منها فإنك رجيم) ولما قالت الملائكة ماقالت (قال إنى أعلم ما لاتعلمون) ثم بين لهم مابين حتى أذعنوا، ومنها معرفة قدر الإخلاص عند الله وحماية الله أهله لقول اللعين (إلا عبادك منهم المخلصين) فعرف عدو الله أنه لاسبيل له على أهل الإخلاص ، ومنها أن كشف العورة مستقرّ قبحه فى الفطر و العقول لقوله (فوسوس لهما الشيطان ليبدى لهما ماووری عنهما من سوءاتهما) وقد سماه الله فاحشة، ومنها أنه لاينبغى للمؤمن أن يغتر بالفجرة بل يكن على حذر منهم ولو قالوا ماقالوا خصوصا أولياء الشيطان الذين تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته فإن اللعين حلف (إنى لكما لمن الناصحين) ، ومنها أن زخرفة القول قد تخرج الباطل فى صورة الحق كما فى الحديث « إن من البيان لسحرا » فان اللعين زخرف قوله بأنواع : منها تسمية الشجرة شجرة الخلد، ومنها تأكيد قوله (إنى لكما لمن الناصحين) وغير ذلك مما ذكر فى القصة؛ فينبغى للمؤمن أن يكون من زخرف القول على حذر ولا يقنع بظاهره حتى يعجم العود ، ومنها أن

فى القصة شاهدا لما ذكر فى الحديث « إن من العلم جهلا » أى من بعض العلم ماالعلم به جهلا والجهل به هو العلم ، فان اللعين من أعلم الخلق بالحيل التى لايعرفها آدم من أن الله علمه الأسماء كلها فكان ذلك العلم من إبليس هو الجهل ، وفى الحديث « إن الفاجر خب لئيم ، وإن المؤمن غرّ كريم » وأبلغ من ذلك وأعم منه قول الملائكة (أتجعل فيها من يفسد فيها؟) فقيل لهم ماقيل وعوتبوا فكانت توبتهم أن قالوا (سبحانك لاعلم لنا إلا ما علمتنا) فكان كمالهم ورجوعهم عن العتب وكمال علمهم أن أقروا على أنفسهم بالجهل إلا ماعلمهم سبحانه ، ففى هذه القصة شاهد للقاعدة الكبرى فى الشريعة المنبه عليها فى مواضع : منها قوله صلى الله عليه وسلم « وسكت عن أشياء رحمة لكم غير نسيان فلاتبحثوا عنها » ومنها أنه لاينبغى أن يغتر بخوارق العادة إذا لم يكن مع صاحبها استقامة على أمر الله فان اللعين أنظره الله تعالى ولم يكن ذلك إلا إهانة له وشقاء له ، وحكمة بالغة يعلمها العليم الخبير؛ فينبغى للمؤمن أن يميز بين الكرامات وغيرها ويعلم أن الكرامة هى لزوم الاستقامة . ومنها أن الأمور التى يحرص عليها أهل الدنيا قد تكون عقوبة ومحنة والجاهل يظنها نعمة مثل المال والجاه وطول العمر فان الله أعطى اللعين من النظرة ماأعطاه. ومنها أن يعلم المؤمن أن الذنوب كثيرة ولا نجاة له منها إلا بمعونة الله وعفوه ، وأن كثيرا منها قد لايعلمه من نفسه فإن أكثر الكبائر القلبية مثل الرياء والكبر والحسد وترك التوكل والإخلاص وغير ذلك قد يتلطخ بها الرجل وهو لايشعر ولعله يتورع عن بعض الصغائر الظاهرة وهو فى غفلة عن هذه العظائم ، ومنها أن يعرف قدر معصية الحسد وكيف آل باللعين حسده إلى أن فعل به مافعل ، ومنها وهو من أحسنها أن يعرف صحة ماذكر عن بعض السلف أن من لم يجاهد فى سبيل الله ابتلى بالجهاد فى سبيل الشيطان ، ومن بخل فى إنفاقه المال فى طاعة الله ابتلى بإنفاقه فى المعاصى وفيما لاينفعه ، ومن لم يمش فى طاعة الله خطوات مشى فى معصية الله أميالا وأشباه ذلك ، والدليل من القصة شىء أبلغ من هذا بكثير فان اللعين أبى أن يسجد لزعمه أن ذلك نقصا فى حقه ثم صار بعد ذلك يكدح جهده فى القيادة والدياثة وأنواع الرذائل ، ومنها أن فى القصة معنى قوله صلى الله عليه وسلم « كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهوّدانه أو ينصرانه أو يمجسانه » إلى آخره. ومن ذلك قوله حكاية عن إبليس (ولآمرنهم فليغيرن خلق الله) فإنهم ذكروا فى معناه

أنه أمرهم بتغيير خلق الله وهى فطرته التى فطر عباده عليها وهى الإسلام لله وحده لاشريك له . ومنها أن فيها معنى القاعدة الكبرى فى الشريعة المذكورة فى مواضع : منها قول النبى صلى الله عليه وسلم «من أحدث فى أمرنا هذا ماليس منه فهو رد» وهى من قوله (ولآمرنهم فليبتكن آذان الأنعام) فإنهم ذكروا أن معناه قطع آذان البحيرة تقربا إلى الله على عادات الجاهلية، ومنها أن تفيد المعنى العظيم المذكور فى قوله تعالى (واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه) ومافى معناه من النصوص وذلك مستفاد من منع اللعين فإنه مع علمه بجبروت الله وأليم عذابه وأنه لامحيص له عنه ويعرف من الأمور ما لا يعرفه كثير من أهل العلم ومع ذلك لم يتب ولم يرجع بل أصرّ وعاند وطلب النظرة لأجل المعصية مع علمه بعقابه وعدم مصلحة من فعله ، وهذا باب عظيم من معرفة الرب وقدرته وتقليبه القلوب كيف يشاء وتيسيره كل عبد لما خلق له فيفعله باختياره ، ومنها أن الله سبحانه قد يعاقب العبد إذا غضب عليه بعقوبات باطنة فى دينه وقلبه لايعرفها الناس مع إمداده إياه فى الدنيا كما قال تعالى (فأعقبهم نفاقا فى قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه) كما فعل إبليس ، ومنها أن فيها شهادة لما ذكر، عن بعض السلف : إن من عقوبة السيئة السيئة بعدها ، ومنها أن تفيد القاعدة المعروفة أن الجزاء من جنس العمل وذلك أن قصده الترفع فقيل له (فاخرج إنك من الصاغرين) فقصد العز فأذله الله بأنواع الذل ، ومنها الشهادة لصحة الكلام المذكور عن بعض السلف فى قوله : والله إن معالجة النقىّ التقوى أهون من معالجة غير التقى الناس ، وقول من قال مصانعة : وجه واحد أهون من مصانعة ألف وجه .

وبيان ذلك أن اللعين لما تخيل أن عليه من أمر الله شيئا من النقص ، فلو قدم طاعة الله وآثرها على هواه وسجد لآدم فلو قدر أن ماتخيله صحيح وأن ذلك غضاضة لكان فى جنب ما آتاه من الشر والهوان والصغار جزاء يسيراً والله المستعان . فكيف ولو فعل ذلك لكان فيه شرفه وسعادته كما هو عادة الله فى خلقه أن من تواضع لله رفعه ، ومنها أن الفاجر قد يعطيه الله سبحانه كثيرا من القوى والادراكات فى العلوم والأعمال حتى فى صحة الفراسة كما ذكر عن اللعين حيث تفرس فيهم أن يغويهم إلا المخلصين فصدق الله فراسته فى قوله (ولقد صدّق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه

إلا فريقا من المؤمنين) فإن قيل فى الحديث « اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله » ولا يناقض ما ذكرناه بل يدل على أن المؤمن أتم فى هـذه الخصلة من غيره وأصدق كما كان فى العلم والإيمان والأعمال والحلم والصبر وغير ذلك ولو كان للفجار شىء من هـذا ، ومنها الشهادة المعروفة للقاعدة المعروفة فى الشريعة أن كل عمل لايقصد به وجه الله فهو باطل لاستثنائه المخلصين . ومنها الشهادة للقاعدة الثانية ، وهى أن كل عمل على غير اتباع الرسول غير مقبول لقوله فى القصة (اهبطوا منها جميعا فإما يأتينكم منى هدى) الآية ؛ فقسم الناس إلى قسمين إلى أهل الجنة . وهم الذين اتبعوا الهدى المنزل من الله ، وأهل الشقاق والضـلال وهم من أعرض عنه فانتظمت هذه القصة لهاتين الآيتين العظيمتين اللتين هما من أكبر قواعد الشريعة على الإطلاق . القاعدة الأولى فيها حديث عمر « إنما الأعمال بالنيات » والقاعدة الثانية فيها حديث عائشة «من أحدث فى أمرنا هذا ماليس منه فهو رد». الثامنة عشرة فيها تذكيره مايوارى السوءتين . الثانية تذكيره بإنزال الريش . الثالثة تذكيره بإنزال لباس التقوى . الرابعة إخباره بخير اللباسين . الخامسة ذكره أن ذلك من آياته . السادسة ذكره الحكمة فى ذلك . التاسعة عشرة إخباره وإنذاره عن فتنة الشيطان . الثانية تمثيله بما لايستطيع أحد دفعه . الثالثة ماجرى فى طاعته من التعب العاجل . الرابعة نزعه عنهما لباسهما . الخامسة مراده فى ذلك . السادسة تنبيه هـذا على المهم وهو كونهم يروننا ولا نراهم . السابعة القاعدة الكلية وهى من مسائل الصفات . العشرون فيها إنكاره عليهم هـذه الفاحشة . الثانية الرد على من أنكر التحسين والتقبيح العقلى . الثالثة إنكار حجتهم الأولى والثانية . الرابعة أمره بالقول الذى فيه تنزيه الله عن ذلك . الخامسة اشتمال هـذا الكلام على مالم يحص من المسائل . السادسة أن معرفة الله نفى ما لايجوز عليه . السابعة إنكاره القول عليهم بلا علم . الحادية والعشرون الأولى أمره أن تقول هذا الإثبات . الثانية الاستدلال بالصفات على الأفعال . الثالثة الاستدلال بالعموم . الرابعة ذكر أمره بالعدل . الخامسة إقامة الوجه عند كل مسجد . السادسة دعوته بالإخلاص . السابعة ذكر المعاد . الثامنة الاستدلال عليه بالمبدإ . التاسعة ذكر الإيمان بالقدر بذكر الهداية والإضلال. العاشرة الإشارة إلى الأمرين . الحادية عشرة ذكر الأمر العظيم وهى اتخاذهم الشياطين أولياء.

الثانية عشرة ذكر حسبانهم أنهم مهتدون . الثالثة عشرة أن ذلك ليس عذرا . الثانية والعشرون ذكر الأمر بأخذ الزينة عند كل مسجد . الثانية ذكر الأكل والشرب . الثالثة ذكر النهى عن السرف . الرابعة ذكره أنه لايحب المسرفين وقوله عز وجل (وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها قل إن الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله مالاتعلمون) إلى قوله (ويحسبون أنهم مهتدون) هذه الآية ذكرها الله سبحانه بعد ماردّ على الكفار عبادات يتقربون بها إليه ولم يشرعها : منها أنهم إذا حجوا طافوا بالبيت عراة يقولون الثياب التى عصينا الله فيها لا نطوف فيها فقال الله رداً عليهم (وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها قل إن الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله ما لاتعلمون) والفاحشة فى هـذا الموضع إخراج العورة للعبادة مثل مايفعل كثير من الناس يكشف عورته للاستنجاء وغيره ينظره يريد بالاستنجاء فى هـذه الحالة التقرب إلى الله فلما رد عليهم الباطل أخبرهم بالحق الذى شرعه فقال (قل أمر ربى بالقسط) وهو العدل (وأقيموا وجوهكم عند مسجد) وهو إقامة الصلاة بحقوقها (وادعوه مخلصين له الدين) يقول ادعوه بهذا الشرط لاتدعوا مع الله أحداً . يقول الأمور التى تعبدونى بها ماأمرتكم بها والأمور التى أمرتكم بها لاتفعلونها ، فالظلم والبغى ضد القسط وهو جاهكم وسمتكم الذى تبذلون فيه الأعمار والأموال وإقامة الوجه عند كل مسجد لاتفعلونها بل إن فعلتم صليتم صلاة لاتجزئ والإخلاص ليس عندكم ، ودينكم الذى ترجون عليه الثواب هو الشرك . إذا فهمت هذا فتأمل أحوال من تعرف ونزل هذه الآية على أحوالهم تر العجب ، ثم قال (كما بدأكم تعودون) أى لابد أن يخلقكم للبعث كما بدأ خلقكم من نطفة ثم قال (فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة) فهذا القدر (يهدى من يشاء ويضل من يشاء) فجمع فى هذه الآية الإيمان بالله والإيمان باليوم الآخر والإيمان بالشرع والإيمان بالقدر وذكر فيها تفصيل الشرع الذى أمر به وذكر حال من عكس الأمر فجعل المنكر معروفا والمعروف منكراً ثم ختم الآية بهذه المسألة العظيمة، وهى (إنهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله ويحسبون أنهم مهتدون) فلا أجهل ممن هرب من طاعة الله واختار طاعة الشيطان ، ومع هـذا يحسب أنه مهتد مع هذا الضلال الذى لاضلال فوقه والله أعلم . الثانية والعشرون ذكر الأمر بأخذ الزينة عند كل مسجد . الثانية إضافتها إلى الله . الثالثة تنبيهه على العلة بقوله من الرزق . الرابعة أمره أن نقول هذا القول .

الخامسة ذكر تفصيل الآيات . السادسة ذكر أهل هذا التفصيل . الرابعة والعشرون أمر أن نقول هذا القول . الثانية حصر المحرمات فيما ذكر . الثالثة تحريم الفواحش. الرابعة تحريم الإثم والبغى بغير الحق . الخامسة تحريم الشرك . السادسة ذكر هـذا القيد العظيم. السابعة تحريم القول على الله بلا علم. قوله (ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه) الآية . فيه مسائل : الأولى تفصيل شئ من قوله (ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا) . الثانية معنى قوله «وكان النبى يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة» . الثالثة الملاطفة فى الدعوة إلى الله لقوله «ياقوم» أضافهم إلى نفسه. الرابعة التى أرسلت الرسل وخلقت الخلق لأجلها . الخامسة تفسير الإله . السادسة دعاؤهم بالرغبة . السابعة دعاؤهم بالتخويف . الثامنة جواب الملأ لهذا الكلام بهذه الجهالة . التاسعة كون أهل الباطل ينسبون أهل الحق إلى الجهالة بل إلى السفاهة بل إلى السحر بل إلى الجنون . العاشرة حسن جوابه لهم ومقابلته الإساءة بالتى هى أحسن . الحادية عشرة تعريفهم بأنهم إنما ردوا وعصوا رب العالمين . الثانية عشرة تعريفهم بما فيه من الخصال التى لاغناء لهم عنها . الثالثة عشرة تعريفهم أن تلك الخصال لاتقتضى الحسد بل تقتضى المحبة والانقياد . الرابعة عشرة لما عرفهم أن الرسالة التى أتتهم منه وعظهم بأنه رب العالمين . الخامسة عشرة تعريفهم أن هذا الذى استغربوا ونسبوا من قاله إلى الجهالة والجنون هو الواجب فى العقل وهو أيضاً حظهم ونصيبهم من الله . ففى هذا الكلام من أوله إلى آخره من تحقيق الحق وذكر أدلته العقلية وإبطال الباطل وذكر الأدلة العقلية على بطلانه مالايخفى على من له بصيرة . السادسة عشرة ذكر أنهم كذبوه مع هذا البيان ففصل الله الخصومة بما ذكر أنه فعل الفريقين . السابعة عشرة ذكر أن ذلك بسبب التكذيب بآياته فدل على أنه أتاهم بآيات الله. الثامنة عشرة أن السبب فى ذلك التكذيب هو العمى والجهالة فهى وصفهم لاوصف خصومهم . وأما قصة عاد فنذكر مافيها من الفوائد خاصة. الأولى التبيين أن أعظم التقوى اتقاء الشرك . الثانية وصفه الملأ منهم بالكفر . الثالثة وصفهم نبيهم بالسفاهة التى هى أبلغ من الجهل . الرابعة وصفهم إياه بالكذب . الخامسة استعطافه إياهم بأمانته . السادسة وعظه إياهم بتلك الآية الواضحة العظيمة . السابعة فيه مايدل على أنهم يعلمون ذلك لقوله (واذكروا) . الثامنة وعظه إياهم بتذكيرهم نعمة الله باستخلافهم فى الأرض بعد قوم نوح.

التاسعة وعظه بزيادة النعمة على أهل زمانهم بزيادتهم فى الخلق بسطة. العاشرة ذكر أن ذلك لايدل على الكرامة بل قد يكون السبب للإهانة الحادية عشرة ذكر أن هذا الذى كرهوه هذه الكراهة هو سبب فلاحهم. الثانية عشرة ذكر ما أجابوه به عن هذا الكلام الذى هو فى غاية الحسن . الثالثة عشرة ذكره أن هذا الخلاف بينه وبينهم فى توحيد العبادة لافى أصل العبادة . الرابعة عشرة ذكر أن عمدتهم اتباع السوادالأعظم. الخامسة عشرة زيادة العقوبة لهم(فأتنا بماتعدنا). السادسة عشرة ذكر أن الصدق ممدوح عندهم وكذلك الكذب مذموم عندهم . السابعة عشرة ذكر المسألة المهمة وهى إنكاره عليهم الاعتماد على ذلك الدليل مع كونه لم ينزل فيه نص من الله . الثامنة عشرة كونه بين لهم كبر جهالتهم كيف تجاسروا على الجدال بذلك . التاسعة عشرة معرفة الأشياء التى لاحقيقة لها من الحقائق . العشرون كون الشىء معمولا به قرنا بعد قرن من غير نكير لايدل على صحته ، الحادية والعشرون أمره إياهم بانتظار الوعيد. وأماقصة ثمود فنذكر مافيها من الزوائد على القصتين أيضا : الأولى وعظه إياهم بالآية العظيمة . الثانية استعطافهم بذكر ربوبية من جاءت منه لهم . الثالثة ذكر إضافة الناقة إلى الله . الرابعة تفسير البينة لهذا . الخامسة تخصيص الله إياهم بناقته . السادسة العجب العجاب من كراهتهم الأمر المطلوب منهم وهو كف الأذى عن ناقة الله التى فيها من نعم الدين والدنيا لمن قبلها مالايظنه الظانون . السابعة أنه مع هذا توعدهم بالوعيد الشديد إن لم يكفوا عنه الأذى . الثامنة تذكيرهم بنعمة الله عليهم بالقصور فى السهل . التاسعة نعمة الله عليهم فى هذه القوة العظيمة وهى قدرتهم على نحت الجبال بيوتا . العاشرة تذكيرهم بنعم الله فدل على أنهم يعرفون ذلك . الحادية عشرة وعظه إياهم أن الذى ينهاهم عنه هو الفساد فى الأرض ، وهو قبيح بإجماع العقلاء . الثانية عشرة ذكر قبح جوابهم لهذه الموعظة البليغة التى جمعت لهم خير الدنيا والآخرة . الثالثة عشرة نعته الملأ منهم بالكبر . الرابعة عشرة أن الذين استجابوا للحق هم الضعفاء ، وأما الملأ المستكبرون فهذا جوابهم وفعلهم . الخامسةعشرة جمعهم بين هذه الثلاث عقر الناقة والعتو عن أمر ربهم وقولهم لرسولهم هذا . السادسة عشرة ذكر قولهم (إن كنت من المرسلين) فلم يذكر إنكارهم الرسل من حيث الجملة . السابعة عشرة ذكر توليهم عنهم لما وقع عليهم ما استعجلوه . الثامنة عشرة ذكره أنه لم يبق من الحرص على دنياهم وعلى آخرتهم ممكن . التاسعة عشرة ذكر أن العلة فى عدم

القبول عدم المحبة للناصح لاعدم البيان . وأما قصة لوط فسنذكر أيضا ما فيها من الزيادة على القصص الثلاث : الأولى التصريح أن هذا الفعل لم يفعل قبلهم . الثانية موعظة نبيهم إياهم بذلك فدل على أنه متقرر عندهم أن أول من ابتدع القبيح ليس لغيره . الثالثة تعظيم هذه الفاحشة بمخاطبتهم بالاستفهام . الرابعة تغليظها بالألف واللام، فدل على الفرق بينها وبين الزنا لقوله (إنه كان فاحشة) . الخامسة تنبيههم على مخالفة العقول والشهوات لقوله (أتأتون الرجال شهوة من دون النساء) فتتركون موضع الشهوة مع حسنه عقلا ونقلا وتتبدلون به غير المشتهى مع قبحه عقلا ونقلا . السادسة تنبيههم على العلة أنها ليست الشهوة بل السرف . السابعة هذا الجواب العجاب تلك النصيحة والبيان بأدلة العقل والنقل . الثامنة إقرارهم أن آل لوط الطيبون وأنهم الخبيثون . التاسعة تصريحهم أن هذا هو الذى نقموه عليهم وجعلوه سبباً لإخراجهم من البلد . العاشرة مافى إهلاك امرأته من الدلالة على التوحيد والدلالة على أن من أحب قوما حشر معهم وإن لم يعمل عملهم . الحادية عشرة ذكر الأمر بالنظر فى عاقبة المجرمين. وقوله عز وجل (واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها) فيه مسائل: الأولى معرفة أن لا إله إلا الله كما فى قصة آدم وإبليس ويعرف ذلك من عرف أسباب الشرك وهو الغلوّ فى الصالحين والجهل بعظمة الله . الثانية معرفة أن محمدا رسول الله يعرفه من عرف عداوة علماء أهل الكتاب له . الثالثة معرفة الدين الصحيح والدين الباطل لأنها نزلت فى إبطال دينهم الذى نصروا وتأييد دينه الذى أنكروا . الرابعة معرفة عداوة الشيطان ومعرفة حيله . الخامسة أن من انسلخ من الآيات أدركه الشيطان ومن لم ينسلخ منها حمته منه ثم صار أكثر من انتسب إلى العلم يظن العكس. السادسة خوف الخاتمة كما فى حديث ابن مسعود . السابعة عدم الاغترار بغزارة العلم. الثامنة عدم الاغترار بصلاح العمل. التاسعة عدم الاغترار بالكرامات وإجابة الدعاء. العاشرة أن الانسلاخ لايشترط فيه الجهل بالحق أو بغضه . الحادية عشرة أن من أخلد إلى الأرض واتبع هواه لو عرف الحق أحبه ، ولو عرف الباطل أبغضه . الثانية عشرة معرفة الفتنة فإنه لابد منها فليتأهب ويسأل الله العافية لقوله (أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لايفتنون) الآيتين . الثالثة عشرة عدم أمن مكر الله . الرابعة عشرة عقوبة العاصى فى دينه ودنياه . الخامسة عشرة ذكر مشيئة الله وذكر السبب

من العبد . السادسة عشرة أن محبة الدنيا تكون سببا لردة العالم عن الإسلام . السابعة عشرة تمثيل هذا العالم بالكلب فى اللهث على كل حال . الثامنة عشرة أن هذا مثل لكل من كذب بآيات الله فليس مختصا . التاسعة عشرة كونه سبحانه أمر بقص القصص على عباده. العشرون ذكر الحكمة فى الأمر به . الحادية والعشرون قوله (ساء مثلا) كقوله (بئس مثل القوم) . قوله (يا أيها الناس إن كنتم فى شك من دينى فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله ولكن أعبد الله الذى يتوفاكم وأمرت أن أكون من المؤمنين وأن أقم وجهك للدين حنيفا ولا تكونن من المشركين ولا تدع من دون الله مالاينفعك ولا يضرك فإن فعلت فإنك إذاً من الظالمين) فيه ثمان حالات: الأولى ترك عبادة غير الله مطلقا ولو حاوله أبوه وأمه بالطمع الجليل والإخافة الثقيلة كما جرى لسعد مع أمه . الحال الثانية أن كثيراً من الناس إذا عرف الشرك وأبغضه وتركه لايفطن لما يريد الله من قلبه من إجلاله وإعظامه وهيبته فذكر هذه الحال بقوله (ولكن أعبد الله الذى يتوفاكم) . الحال الثالثة إن قدرنا أنه ظن وجود الذكر والفعل منه فلا بد من تصريحه بأنه من هذه الطائفة ولو لم يقض هذا الفرض إلا بالهرب عن بلاد كثير من الطواغيت الذين لايبلغون الغاية فى العداوة حتى يصرح بأنه من هذه الطائفة المحاربة لهم. الحال الرابعة إن قدرنا أنه ظن وجود هذه الثلاث فقد لايبلغ الجد فى العمل بالدين والجد والصدق وهو إقامة الوجه للدين . الحال الخامسة إن قدرنا أنه ظن وجود الحالات الأربع فلا بد له من مذهب ينتسب إليه فأمر أن يكون مذهبه الحنيفية وترك كل مذهب سواها ولو كان صحيحا ففى الحنيفية عنه غنية . الحال السادسة أنا إن قدرنا أنه ظن وجود الحالات الخمس فلا بد أن يتبرأ من المشركين فلا يكثر سوادهم . الحال السابعة أنا إن قدرنا أنه ظن وجود الحالات الست فقد يدعو من غير قلبه نبيا أو غيره لشىء من مقاصده ، ولو كان دينا يظن أنه إن نطق بذلك من غير قلبه لأجل كذا وكذا خصوصا عند الخوف أنه لايدخل فى هذا الحال . الحال الثامنة إن ظن سلامته من ذلك لكن غيره من إخوانه فعله خوفا أو لغرض من الأغراض هل يصدق الله أن هذا ولو كان أصلح الناس قد صار من الظالمين أو يقول كيف أكفره وهو يحب الدين ويبغض الشرك وما أعز من تخلص من هذا بل ما أعز من يفهمه ، وإن لم يعمل بل ما أعز من لايظنه جنونا . والله أعلم .

بسم الله الرحمن الرحيم

ذكر مافى سورة هود من العلوم : الأول علم معرفة الله ذكر أنه حكيم . الثانية أنه خبير . الثالثة أنه قدير . الرابعة أنه ذكر شيئا من تفصيل العلم فى قوله (ألا إنهم يثنون صدورهم) الآية . الخامسة ذكر شيئا من تفاصيل القدرة فى قوله (ومامن دابة) الآية . السادسة (خلق السموات والأرض فى ستة أيام) . السابعة كون عرشه على الماء . الثامنة ذكر شيئا من تفصيل الحكمة فى قوله (ليبلوكم أيكم أحسن عملا) . التاسعة كونه وكيلا على كل شىء . الثانى الإيمان باليوم الآخر ذكر أنه إليه المرجع . الثانى (ولئن قلت إنكم مبعوثون من بعد الموت). الثالث ذكر الجنة والنار. الرابع ذكر العرض عليه . الخامس كلام الأشهاد . السادس ضل عنهم افتراؤهم . السابع كونهم هم الأخسرون فى الآخرة . الثالث تقرير الرسالة : ذكر أولا المسألة الكبرى . الثانية أنه نذير من الله وبشير لنا . الثالثة تقرير صحة رسالته باعتراضهم بقولهم إنها سحر مبين مع موافقتها للعقل . الرابعة تقريرها بقولهم (لولا أنزل عليه كنز) . الخامسة تقريرها بمعرفة العلماء بها . السادسة تقريرها بالتحدى . السابعة تقريرها بأنها الحق من الله . الرابع ذكر الوعد والوعيد : ذكر المتاع الحسن لمن قبله . الثانية ذكر عذاب اليوم الكبير لمن أبى . الثالثة (يوم يأتيهم ليس مصروفا عنهم). الرابعة وعيد من أراد الدنيا . الخامسة وعيد من افترى عليه . السادسة وعد المؤمنين المخبتين . السابعة وعيد من كفر . الثامنة (أولئك لهم مغفرة ورزق كريم) بالقرآن . الخامس ذكر الأمر والنهى : فذكر النهى عن الشرك والأمر بالإخلاص. الثانية الأمر بالاستغفار والتوبة. الثالثة الأمر بالمضى على أمر الله بالتحدى . الرابعة نهيه عن المرية فيه . السادس أمور مدحها لنفعلها منها الصبر . الثانية عمل الصالحات . الثالثة مدح العلم الصادر عن اليقين . الرابعة مدح معرفة القرآن . الخامسة ذكر نتيجة الأمرين. السادسة الإيمان. السابعة الإخبات إلى الله . السابع أمور كرهها ذكرها لتترك: منها التولى. الثانية ثنى الصدر. الثالثة الاعتراض على الحق الصريح. الرابعة استبطاء وعيد الله . الخامسة كون الإنسان يئوسا عند الضراء . السادسة كونه كفورا عندها . الثامنة كونه فرحا عند النعماء فخورا عندها ولو كانت بعد ضراء والتى قبلها ولو كانت بعد سراء . التاسعة

نتيجة معرفة الإيمان . العاشرة فائدة النتيجة . الحادية عشرة كونه يريد الدنيا. الثانية عشرة كونه يفترى على الله الكذب. الثالثة عشرة الصد عن سبيل الله . الرابعة عشرة بغى العوج لها. الثامن النشور ذكر أن الأكثر لا يؤمنون به. الثانية ذكر مثل المؤمنين. الثالثة ذكر مثل الكافرين . الرابعة التنبيه على التذكير بالحالين . الخامسة كونهم ما يستطيعون السمع . السادسة الفرق بين العالم والجاهل .

وقوله عز وجل لما ذكر قصة نوح (تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا فاصبر إن العاقبة للمتقين) إذا تأمل الإنسان حاله أول ماتعلم من العلوم من أهله ثم تفكر فى هذه القصة هل علم منها زيادة على ماعنده ولاعرف مسائل: الأولى عظمة الشرك ولو قصد مافيه صاحبه التقرب إلى الله وذلك مافعل الله بأهل الأرض لما عبدوا ودا وسواعا ويغوث ويعوق ونسرا . الثانية شدة بطشه وعقوبته حيث أرسل الطوفان فأهلك الطيور والدواب وغير ذلك . الثالثة معرفة آيات رسول الله صلى الله عليه وسلم حيثما قصه مع كونهم يعلمون أنه لم يأخذ ممن يعلم ما عند أهل الكتاب فلم يستطيعوا أن يردوا عليه مع شدة العداوة . الرابعة التحقيق بكون المخلوق ليس له من الأمر شىء ولو كان نبياً مرسلا لسبب مافيها من قصة ابن نوح . الخامسة تبيين الله سبحانه الحجج الباطلة والتحذير منها مع أنها عندنا أولى وعند أكثر الناس حجج صحيحة . السادسة تبرؤ الرسل من دعوى أن عندهم خزائن الله أو علم الغيب مع أن الطواغيت فى زمننا ادعوا ذلك وصدّقوا وعبدوا لأجل ذلك . السابعة التحذير من استحقار الفقراء والضعفاء لقوله (ولا أقول للذين تزدرى أعينكم لن يؤتيهم الله خيرا الله أعلم بما فى أنفسهم إنى إذا لمن الظالمين) مع أنه سائغ ممن يدعى العلم ويستحسنه الناس منهم . الثامنة وهى من أعظم الفوائد التحذير من الشبهة التى أدخلت أكثر الناس النار وهى السواد الأعظم والنفرة من القليل لقوله (وما آمن معه إلا قليل) . التاسعة معرفة شىء من عظمة الله فى تأديبه الرسل لما قال لنوح (إنى أعظك أن تكون من الجاهلين) . العاشرة وهى من أهمها أن فيها شاهدا لقول الحسن نضحك ولعل الله اطلع على بعض أعمالنا وقال لا أغفر لكم وذلك من قوله (إنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن) مع سخريتهم منه . الحادية عشرة التحذير من اتباع رؤساء الدنيا وقبول حججهم لقوله (قال الملأ) وهم الأشراف والرؤساء

الثانية عشرة بيان الله تعالى لتلك الحجج ، فقوله (ما نراك إلا بشرا مثلنا) فيه القياس الفاسد وقولهم (ما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا) احتجاج بما ليس حجة ، وقولهم (وما نرى لكم علينا من فضل) احتجاج برؤيتهم وهو من أفسد الحجج وقولهم (بل نظنكم كاذبين) احتجاج بالظن . الثالثة عشرة أنهم لم يصرحوا بأن هذا الذى عليه نوح وأتباعه أمر الله ثم جاهروا بعصيانه بل قالوا (نظنكم كاذبين) وقالوا (لوشاء الله لأنزل ملائكة) وغير ذلك ، وأنت ترى الذين يكونون من أهل العلم والعبادة كيف يقرون ويجادلون بالكفر (ويحسبون أنهم مهتدون). وقال رضى الله عنه فى الكلام على قوله تعالى حكاية عن يوسف (ياصاحبي السجن ءأرباب متفرقون) دعاهم يوسف عليه السلام إلى التوحيد بأنواع من الأدلة : أحدها أنه ذكر أن هذا العلم الذى تميز به عليهما وعلى غيرهما أنه من تعليم ربه إياه ، فالذى يعطى ويمنع هو الذى يستحق العبادة . الثانية أنه حكيم يضع الأشياء فى مواضعها فشرفنى بسببين ترك الشرك وفعل التوحيد . الثالثة أن ذلك الفعل والترك هو ملة الأنبياء . الرابعة أن الشرك لم يرخص فيه لأحد من الأنبياء كما قد يرخص فى غيره . الخامسة أنه منفى عما سوى الله فليس يصح منه شئ لغيره ولو علت درجته . السادسة أن الهداية إلى ذلك مجرد منة الله على العبد وهو أفضل النعم . السابعة أن الله إذا يسر لك العلم لذلك فهو من فضله عليك . الثامنة أن الإسلام واتباع ملة الأنبياء هو العلم بذلك والعمل به لا مجرد العلم . التاسعة أنه ذكر لهم ما يحرضهم على القبول ، وهو أن الداعى من أهل ذلك البيت . العاشرة أن مع هذا البيان الواضح أكثر الناس لا يشكر . ثم قرره بالأدلة العقلية وذلك من وجوه : الأول أن الله خير من المخلوقين . والثانى أنه واحد وأولئك أرباب متفرقون . الثالث أنه قهار وهم عاجزون. الرابع العجب العجاب من إعراضكم عنه بإقبالكم على أسماء لا حقيقة لها . الخامس أن تلك الأسماء أنتم ابتدعتموها. السادس نفى الأدلة عنها وهى إنزال الله الحجة بذلك . السابع تقرير القاعدة الكلية أن أمر التشريع من الله لا غيره . الثامن أن الذى له الحكم حكم بهذا وألزم به واختص به عن جميع ما سواه. التاسع أن هذا هو الدين الصحيح فقط . العاشر أن مع وضوحه بالنقل والعقل وإجماع الأئمة وغير ذلك لا يعلمه إلا قليل . ومن قصة أول سورة الكهف : ذكر ابن عباس أن سبب نزولها أن قريشاً بعثت النضر بن الحارث وعقبة بن أبى معيط

إلى أحبار يهود فقالوا سلوهم عن محمد وصفوا لهم صفته فإنهم أهل الكتاب الأول ، ففعلوا فقالوا سلوه عن ثلاث فإن أخبركم بهن فهو نبي مرسل وإلا فهو متقول : سلوه عن فتية ذهبوا فى الدهر الأول فإن لهم حديثاً عجيباً ، وسلوه عن طوّاف بلغ مشارق الأرض ومغاربها ، وسلوه عن الروح فأقبلا فقالا جئناكم بفصل مابينكم وبين محمد . فسألوه عن الثلاث؟ فقال : سأخبركم ولم يستثن فمكث خمس عشرة ليلة لايأتيه جبريل فشق ذلك عليه حتى جاء بالسورة فيها المعاتبة على حزنه عليهم وخبر مسائلهم . ففى الآية مسائل : الأولى حمده نفسه على إنزاله الكتاب الذى هو أكره شىء أتاهم فى أنفسهم مع كونه أجلّ ما أعطاهم من النعم . الثانية أن الإنزال على عبده فيه إبطال مذهب النصارى والمشركين ، وفيه نعمة عليهم حيث أنزل على رجل منهم . الثالثة أنزله معتدلا لاعوج فيه ، ففيه معنى قوله (ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض) . الرابعة أن الأعداء والمشبهين لايجدون فيه مغمزا بل ليس فيه إلا مايكسرهم. وقوله (لينذر بأساً شديداً من لدنه) ذكر الفائدة فى إنزاله فذكر فوائد : الأولى لينذر عذاب الله فيصير سبباً للسلامة منه . الثانية بشارة من انقاد إليه بالحظ المذكور. الثالثة الإنذار عن الكلمة العظمى التى تفوّه بها من تفوه تقربا إليه بتعظيم الصالحين . الرابعة الدليل على أن كلامهم لم يصدر عن علم لامنهم ولا ممن قبلهم . الخامسة تعظيم الكلمة كما قال تعالى (تكاد السموات يتفطرن منه) . السادسة أن الكذب يسمى كذبا ويسمى صاحبه كاذبا ولو ظن أنه صادق ، ويصير من أكبر الكذابين المفترين . وقوله (فلعلك باخع نفسك على آثارهم) أى قاتلها أسفاً على هلكتهم ، ففيه ماعليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من الشفقة عليهم وتسلية الله سبحانه له. وقوله (إنا جعلنا ماعلى الأرض زينة لها) فيه مسائل : الأولى التسلية للمؤمن عمن أدبر عنه . الثانية أن حكمة الله التزيين ليبين الأحسن عملا من غيره . الثالثة أن جميعها يصير صعيداً جرزا أى لانبات ينبت فيه. قوله (أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا) يعنى أن قصتهم مع كونها عجيبة فيها مسائل جليلة أعظمها الدلالة على التوحيد وبطلان الشرك والدلالة على نبوته صلى الله عليه وسلم ،ومن قبله الدلالة على اليوم الآخر . ففى الآيات المشاهدة من خلق السموات والأرض وغير ذلك ماهو أعجب وأدل على المراد من قصتهم مع إعراضهم عن ذلك . وأما دلالتها على التوحيد

وبطلان الشرك فواضح . وأما دلالتها على النبوات فكذلك كما جعلها أحبار يهود آية لنبوته. وأما دلالتها على اليوم الآخر فمن طول مكثهم لم يتغيروا كما قال تعالى (وكذلك أعثرنا عليهم ليعلموا أن وعد الله حق وأن الساعة لاريب فيها) . وقوله (إذ أوى الفتية إلى الكهف) الآية، فيه مسائل : الأولى كونهم فعلوا ذلك عند الفتنة ، وهذا هو الصواب عند وقوع الفتن الفرار منها . الثانية قولهم (ربنا آتنا من لدنك رحمة) أي من عندك لا تحصلها بأعمالنا ولا بحيلتنا . الثالثة قولهم (وهيئ لنا من أمرنا رشدا) طلبوا من الله أن يجعل لهم من ذلك العمل رشدا مع كونه عملا صالحا فما أكثر ما يقصر الإنسان فيه أو يرجع على عقبه أو يثمر له العجب والكبر، وفي الحديث « وما قضيت من قضاء فاجعل عاقبته رشدا ». وقوله تعالى (نحن نقص عليك نبأهم بالحق إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى) إلى قوله (من أمركم مرفقا) فيه مسائل: الأولى من آيات النبوة وإليه الإشارة بقوله (الحق). الثانية (إنهم فتية) وهم الشبان وهم أقبل للحق من الشيوخ عكس ما يظن الأكثر. الثالثة قوله (إنهم آمنوا بربهم) فلم يسبقوا إلا بالإيمان بالله. الرابعة ما في الإضافة إلى ربهم من تقرير التوحيد . الخامسة في قوله (وزدناهم هدى) أن من ثواب الحسنة الحسنة بعدها ، و« من عمل بما يعلم أورثه الله تعالى علم ما لا يعلم » . السادسة أن المؤمن أحوج إلى أن يربط الله على قلبه ولولا ذلك الربط لافتتنوا. السابعة قولهم (ربنا رب السموات والأرض) فهذه الربوبية هي الألوهية. الثامنة المسألة الكبرى أن من ذبح لغير الله ودعا غيره فقد كذب بقول: لا إله إلا الله ، وقد دعا إلهين اثنين واتخذ ربين . التاسعة المسألة العظيمة المشكلة على أكثر الناس مع أنه إذا وافقهم بلسانه مع كونه مؤمنا حقا كارها لموافقتهم فقد كذب في قوله لا إله إلا الله واتخذ إلهين اثنين وما أكثر الجهل بهذه والتي قبلها . العاشرة أن ذلك لو يصدر منهم أعني موافقة الحاكم فيما أراد من ظاهرهم مع كراهتهم لذلك في قوله (شططا) والشطط الكفر. الحادية عشرة قوله (لولا يأتون عليهم بسلطان بين) فهذه المسألة مفتاح العلم، وما أكبر فائدتها لمن فهمها . الثانية عشرة قوله (فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا) ففيه أن مثل هذا من افتراء الكذب على الله وأنه أعظم أنواع الظلم ولو كان صاحبه لا يدري بل قصد رضاء الله. الثالثة عشرة قوله (وإذ اعتزلتموهم وما يعبدون إلا الله) فيه اعتزال أهل الشرك واعتزال معبوديهم وأن ذلك لا يحرك إلى ترك ما معهم من

الحق كما قال تعالى (ولا يجرمنكم شنآن قوم على أن لا تعدلوا) . الرابعة عشرة قوله تعالى (فأووا إلى الكهف فيه شدة صلابتهم فى دينهم حيث عزموا على ترك الرياسة العظيمة والنعمة العظيمة واستبدلوا بها كهفا فى رأس جبل . الخامسة عشرة حسن ظنهم بالله ومعرفتهم ثمرة الطاعة ، ولو كان مباديها ذهاب الدنيا حيث قال : (ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيء لكم من أمركم مرفقا) . السادسة عشرة الدليل على الكلام المشهور أن التعب يثمر الراحة والراحة تثمر التعب. السابعة عشرة عدم الاغترار بصورة العمل الصالح فرب عمل صالح فى الظاهر لا يثمر خيرا أو عمل صالح يهيء لصاحبه مرفقا . العشرون قوله تعالى (وكذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم) فيه مسائل : الأولى كما أماتهم سبحانه لحكمة بعثهم لحكمة . الثانية أن الصواب فى المسائل المشكلة عدم الجزم بشيء بل قول الله أعلم . فالجهل بها هو العلم . الثالثة التورع فى المأكل . الرابعة كتمان السر . الخامسة المسألة العظيمة وهى قولهم (إن يظهروا عليكم يرجموكم أو يعيدوكم فى ملتهم ولن تفلحوا إذا أبدا) عرفوا أنه لا بد من أمرين إما الرجم وإما الإعادة فى الملة، فإن وافقوا على الثانية لم يفلحوا أبدا ولو كان فى قلوبهم محبة الدين وبغض الكفر. وقوله تعالى (وكذلك أعثرنا عليهم) فيه مسائل : الأولى أن الإعثار عليهم لحكمة . الثانية معرفة المؤمن إذا أعثر عليه (أن وعد الله حق وأن الساعة لا ريب فيها) كما رد سبحانه موسى إلى أمه (لتعلم أن وعد الله حق). فتأمل هذا العلم ما هو . الثالثة أن الساعة آتية لا ريب فيها لما وقع بينهم من النزاع، وذلك أن بعض الناس يزعم أن البعث للأرواح خاصة فأعثر عليهم ليكون دليلا على بعث الأجساد . الرابعة أن الذين غلبوا على أمرهم قالوا لنتخذن عليهم مسجدا . فإذا تأملت ما قالوا وأن الذى حملهم عليه محبة الصالحين ثم ذكرت قوله صلى الله عليه وسلم « أولئك إذا مات الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدا وصوروا فيه تلك الصور أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة » عرفت حقيقة الأمر. قوله (سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم) الآية. فيه مسائل: الأولى الإخبار بالغيب. الثانية بيان الجهل والباطل بالتناقض . الثالثة الإنكار على المتكلم بلا علم . الرابعة إسناد الأمر فى هذه المسائل إلى علم الله سبحانه . الخامسة الرد على أهل الباطل بالإسناد إليه . السادسة أن من العلماء من يعرف عدتهم لكنهم قليل . السابعة النهى عن المراء فى شأنهم . الثامنة الاستثناء . التاسعة النهى عن استفتائنا أحدا من هؤلاء فيهم.

العاشرة (ولا تقولن لشىء إنى فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله) فيه مسائل : الأولى النهى عن مثل هـذا الكلام . الثانية الرخصة مع الاستثناء . الثالثة الأمر بذكر الله عندالنسيان . الرابعة الاستثناءيقع فىمثل‌هذا. الخامسة الدعاء بهذا الدعاء عندالنسيان إن صح التفسير بذلك . وقوله (ولبثوا فى كهفهم ثلاثمائة سنين) إلى آخر الكلام، فيه مسائل : الأولى النص على مدة لبثهم. الثانية الرد على المخالف بقوله (الله أعلم بما لبثوا). الثالثة الرد عليه بقوله (له غيب السموات والأرض) . الرابعة الرد عليه بقوله (أبصر به وأسمع) . الخامسة قولهم (مالهم من دونه‌من ولى) . السادسة كونه‌لايشرك فى‌حكمه أحدا . السابعة النهى عن إشراك مخلوق فى حكم الله على قراءة الجزم . الثامنة الحث على تلاوة الوحى وإن عارضه شبهة أو شهوة . التاسعة تقريره ذلك بقوله (لامبدل لكلماته) . العاشرة تقرير ذلك بقوله (ولن تجد من دونه ملتحدا) . الحادية عشرة الكبيرة وهى أمره نبيه أن يصبر نفسه مع من ذكر . الثانية عشرة لايضر المؤمن كراهة‌نفسه لذلك‌إذاجاهدها. الثالثة عشرة أن بلوغهم هذه‌الرتبة بسبب فعلهم‌ماذكر. الرابعة عشرة أن صلاة البردين بإخلاص توصل إلى‌المراتب العالية. الخامسة‌عشرة فيه قوله «رب أشعث أغبر ذى طمرين لايؤبه له لو أقسم على الله لأبره» السادسة عشرة النهى عن طلوع العين عنهم إرادة‌لمجالسة الأجلاء. السابعة عشرة المسألة الكبرى وهى اختلاف أمر الدنيا والآخرة عند الله. الثامنة عشرة أنه لما ذكر المحثوث على‌مجالستهم ذكر ضدهم . التاسعة عشرة نهيه عن طاعة الضد . العشرون سبب ذلك . الحادية والعشرون ذكرالخصال الثلاث: إغفال القلب عن ذكرالله . واتباع الهوى، وانفراط الأمر . الثانية والعشرون إثبات القدر ، وهو الإغفال . الثالثة والعشرون لايخرجه من الذم أن قلبه يفهم غير ذلك فهما جيدا . الرابعة والعشرون قوله (وقل الحق من ربكم) الآية .

وأما قصة موسى والخضر عليهما السلام ففيها مسائل : الأولى مايتعلق بجلال الله وعظمته، وفيه‌مسائل: الأولى سعة العلم‌بقوله «مانقص علمى وعلمك»، وهذامن‌أعظم ماسمعنا من عظمة الله . الثانية الأدب مع الله لقوله فعتب الله عليه . الثالثة الأدب معه أيضاً فى قوله (فأردت أن أعيبها) وقوله (فأراد ربك أن يبلغا أشدهما) . الرابعة معرفة أنواع سعة جود الله تعالى ومن ذلك العلم اللدنى . الخامسة الأدب معه تعالى

بمعرفة أن له أسرارا فى خلقه تخفى على الأنبياء فلا ينبغى الغفلة عن هـذه المهمة . السادسة الأدب معه فى تعليق الوعد بمشيئة الله مع العزم . السابعة معرفة شيء من عظيم قدرة الله من إحياء الموتى وجعله سبيل الحوت فى الماء طريقاوغير ذلك، ومعرفة هذا مع الأولى هما اللتان خلق العالم العلوى والسفلى لأجل معرفتنابهما. الثانية مايتعلق بأحوال الأنبياء، وفيه مسائل : الأولى أن النبي يجوز عليه الخطأ . الثانية أنه يجوز عليه النسيان . الثالثة فضل نبينا صلى الله عليه وسلم بعموم الرسالة لقوله موسى بنى إسرائيل . الرابعة ماجبل عليه موسى عليه السلام من الشدة فى أمر الله . الخامسة أنه لاينكر إصابة الشيطان للأنبياء بمالايقدح فى النبوة لقوله (نسيا حوتهما) مع قوله (وما أنسانيه إلاالشيطان) . السادسة ماعليه الإنسان من البشرية ولو كان نبيا وذلك من أدلة التوحيد وذلك من وجوه : منهاقوله (فاستطعما أهلها). الثالث مسائل الأصول وفيه مسائل أعظمها التوحيد ، ولـكن سبق آنفا فنقول : الأولى الدليل على اليوم الآخر لأن من أعظم الدلالة إحياء الموتى فى دار الدنيا . الثانية إثبات كرامات الأولياء على القول بعدم نبوة الخضر . الثالثة أنه قد يكون عند غير النبي صلى الله عليه وسلم ماليس عند النبي . الرابعة إذا احتمل اللفظ معانى فأظهرها أولاها كما قال الشافعى. الخامسة إثبات الصفات كما هومذهب السلف . الرابعة مافيها من التفسير: الأولى أن المذكور هو الخضر لا كما قال الحر بن قيس . الثانية موسى هو المشهور عليه السلام خلافا لنوف . الثالثة أن النبي صلى الله عليه وسلم فسر لهم ألفاظ القرآن كلها كما بلغها. الرابعة قوله (ألم أقل). الخامسة أن قوله (يأخذ كل سفينة غصبا) المراد سفينة سالمة من العيب . السادسة أن غداءهما هو الحوت . السابعة أن قوله (عجباً) أى لموسى وفتاه . الثامنة لا يجوز تفسير القرآن بما يؤخذ من الإسرائيليات وإن وقع فيه من وقع . التاسعة أن السلف يشددون فى ذلك تشديدا عظيما لقوله «كذب عدو الله» . العاشرة أن الوعد على العمل الصالح ليس مختصا بالآخرة بل يدخل فيه أمور الدنيا حتى فى الذرية بعد موت العامل. الخامس أدب العالم مع المتعلم ففيه مسائل: الأولى تسمية التلميذ الخادم فتى . الثانية أن تلك الخدمة مما يرفع الله بها كما رفع يوشع. الثالثة تعلم العالم ممن دونه . الرابعة اتخاذ ذلك نعمة يبادر إليها لانعمة يبغضها . الخامسة التعلم بعد الرياسة . السادسة الرحلة فى طلب العلم . السابعة رحلة الفاضل إلى المفضول . الثامنة

ركوب البحر لطلب العلم. التاسعة اشتراط الشيخ على المتعلم. العاشرة الشروط والتزام المتعلم الشروط. الحادية عشرة الاعتذار بالنسيان. الثانية عشرة قبول الاعتذار. الثالثة عشرة قبول المتعلم لقوله (هل أتبعك) إلى آخره. الرابعة عشرة قبول نصيحة الشيخ لعلمه منك ما لاتعلمه من نفسك وإن كنت أفضل منه. الخامسة عشرة أن من المسائل ما لا يجوز السؤال عنه. السادسة عشرة أن من المسائل ما لا ينبغى للمسئول أن يجيب عنه. السابعة عشرة إعفاء المتعلم مما يكره. الثامنة عشرة مفارقة المتعلم إذا خالف الشرط. التاسعة عشرة احتمال المشاقّ فى طلب العلم لقوله (لقد لقينا من سفرنا هـذا نصبا).

السادس مافيها من مسائل الفقه: فالأولى عمل الإنسان فى مال الغير بغير إذنه إذا خاف عليه الهلاك. الثانية من شرط الجواز خوف الهلاك بل قد يجوز للإصلاح لقصة الجدار. الثالثة أنه ليس من شرط المسكين فى الزكاة أنه لامال له. الرابعة أنه استدل بها على أنه أحسن حالا من الفقير. الخامسة أنه لا بأس بالسؤال فى بعض الأحوال لقوله (استطعما أهلها). السادسة أنه من لم يعط يتعزّ بهذه القصة، وكم ممن هان على الناس وهو جليل عند الله، وقد قيل:

فإن رددت فما فى الرد منقصة ... عليك قد رد موسى قبل والخضر

السابعة أن الإجارة تجوز بغير بعض الشروط التى شرطها بعض الفقهاء. الثامنة أنه يجوز أخذ الأجرة على العمل الذى لا يكلف خلاف ماتوهمه بعضهم. التاسعة الترحم على الأنبياء، وأنه لاينقص من قدرهم بل هو من السنة. العاشرة أن تمنى العلم ليس من التمنى المذموم. الحادية عشرة أن السلام ليس من خصائص هذه الأمة. الثانية عشرة كيف الجواب إذا سئل أىّ الناس أعلم. الثالثة عشرة خطأ من قال تخلو الأرض من مجتهد. الرابعة عشرة التعزى باختيار الله وحسن الظن فيما تكره النفوس. الخامسة عشرة الخوف من مكر الله عند النعم. السادسة عشرة قوله (لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا) لا يعد من الشكوى. السابعة عشرة الفرق من المسألة المأمور بها والمنهى عنها وإن كان معذورا بل مأجورا. الثامنة عشرة سفر الاثنين من غير ثالث للحاجة. التاسعة عشرة أن الخضر معروف فى ذلك الزمان لقوله «لما عرفوه حملوه بلا نول». العشرون أن احتمال المنة فى مثل هـذا لا بأس به. الحادية والعشرون شكره نعمة الخلق.

السابع المنثور الجامع: الأول القصة بجملتها من أعجب ماسمع ولا يعرف فى نوعها مثلها.

الثانية عين الحياة وما لله من الأسرار فى بعض المخلوقات . الثالثة ما ابتلى به موسى عليه السلام مما لايحتمله وعده الصبر وتعليقه بالمشيئة . الرابعة نسيان الفتى الحوت فى ذلك اليوم وثلث الليلة ونصف اليوم الثانى ، مع أنه لم يكلف إلا ذلك ومع أنه زادهما يحمل على الظهر . الخامسة الأمر العظيم فى الماء صار طاقا حتى قيل إن هذا لم يقع إلا له منذ خلقت الدنيا . السادسة أن الشيطان يتسلط تسلطا لايعرف لكونه تسلط على يوشع بالنسيان العجيب. السابعة الفرق بين العبودية الخاصة والعبودية العامة الثامنة الرد على منكرى الأسباب ، لأنه سبحانه قادر على إنجاء السفينة وتثبيت أبوى الغلام وإخراج الكنز له بدون ماجرى . التاسعة الرد على من قال إن موسى لايجوز له السكوت عنه لأنه اعتذر من النسيان ولأنه لايعد من نفسه ترك واجب . العاشرة الحكم بالظاهر لقوله عليه السلام (نفسا زكية) الحادية عشرة تسمية المدينة قرية. الثانية عشرة أن التأويل فى كلام الله وكلام العرب غيرمايريد المتأخرون . الثالثة عشرة أن المال قد يكون رحمة وإن كان مكنوزا. الرابعة عشرة فائدة طلب العلم للرشد . الخامسة عشرة نصيحة العالم المتعلم إذا أراد السؤال عما لا يحتمله . السادسة عشرة أن ذلك الممنوع قد يكون أفضل ممن يعرف ذلك . السابعة عشرة أن الكلام يقتصر على المتبوع لقوله (فانطلقا) كما قيل (اهبطوا منها جميعا) . وقوله عز وجل (قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلىّ أنما إلهكم إله واحد، فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا) فيها خمس مسائل : الأولى كون الله فرض على نبيه أن يخبرنا عن نفسه الخبر الذى تصديقه (ليس لك من الأمر شيء) بتوحيد الألوهية وإلا فتوحيد الربوبية لم ينكره الكفار الذين كذبوه وقاتلوه . الثالثة تعظيمه بقوله (فمن كان يرجو لقاء ربه) كما تقول لمن خالفك كلامى مع من يدعى أنه من أمة محمد. الرابعة أن من شروط الإيمان بالله واليوم الآخر أن لايشرك بعبادة ربه أحدا ؛ ففيه التصريح بأن الشرك فى العبادة ليس فى الربوبية ، وفيه الرد على من قال أولئك يستشفعون بالأصنام ونحن نستشفع بالصالحين لأنه قال (ولا يشرك بعبادة ربه أحدا) فليس بعد هذا بيان ، وافتتح الآية بذكره براءة النبى صلى الله عليه وسلم الذى هو أقرب الخلق إلى الله وسيلة وختمها بقوله «أحدا» . اعلم رحمك الله أنه لايعرف هذه الآية المعرفة التى تنفعه إلا من يميز بين توحيد الربوبية وبين توحيد الألوهية تمييزا

تاما ، وأيضاً يعرف ماعليه غالب الناس : إما طواغيت ينازعون لله فى توحيد الربوبية الذى لم يصل شرك المشركين إليه ، وإما مصدق لهم تابع لهم ، وإما رجل شاك لايدرى ما أنزل الله على رسوله ولا يميز بين دين الرسول ودين النصارى والله أعلم .

وقوله عز وجل (يأيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا) الآيتين ، فيه مسائل : الأولى أن الله أمر الرسل بهذا مع اختلاف أزمنتهم وأمكنتهم فيدل على أنه من عظيم الأمور . الثانية أن الرسل إذا أمروا بذلك فغيرهم أولى بالحاجة إلى ذلك . فأفاد أن هذا يحتاج إليه أعلم الناس حاجة شديدة . الثالثة إذا فرض هذا على الرسل مع اختلاف الأزمنة والأمكنة فكيف بأمة واحدة نبيها واحد وكتابها واحد . الرابعة أن خطاب الرسل عام للأمم بدليل قوله (فتقطعوا أمرهم) . الخامسة الأمر بالأكل من الطيبات ففيه رد على الغلاة الذين يمتنعون عنها ، وفيه رد على الجفاة الذين لايقتصرون عليها . السادسة الأمر بالإصلاح والعمل مع الأكل من الطيبات ، ففيه رد على ثلاث طوائف : أولها الآكلون الطيبات بلا شكر والشكر هو العمل المرضى . وثانيها من يعمل العمل غير الخالص مثل المرائى وقاصد الدنيا . وثالثها الذى يعمل مخلصا لكنه على غير الأمر . السابعة المسألة العظيمة التى سبق الكلام لأجلها وهى فرض الاجتماع فى المذهب وتحريم الافتراق ، فإذا فرضه على الأنبياء مع اختلاف الأزمنة والأمكنة فكيف بأمة واحدة ونبيها واحد وكتابها واحد ودينها واحد . الثامنة ذكره سبحانه فعلهم الذى صدر منهم بعد ماعرفوا الوصية العظيمة بالاجتماع والنهى عن الافتراق وأنهم تقطعوا أمرهم بينهم زبرا كل حزب بما لديهم فرحون ، فذكر أنهم قابلوا الوصية بعد ماسمعوها بما يضادها غاية المضادة وهو أنهم تركوا الاجتماع وتفرقوا ثم بعد ذلك كل فرقة صنفت لها كتبا غير كتب الآخرين ، ثم قال : كل فرقة فرحت بما تركت من الهدى وفرحت بما ابتدعته من الضلال كما قيل :

حلفت لنا ألا تخون عهودها ... فكأنها حلفت أن لاتفى

بسم الله الرحمن الرحيم

(طسم تلك آيات الكتاب المبين نتلو عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون) فيه مسائل : الأولى التنبيه على جلالة القرآن وعظمته . الثانية التنبيه على وضوحه ، وقوله «بالحق» فيه علامة النبوة . الثالثة أن العلم بين يعرفه أهل القرآن

والإيمان وإن جهله غيرهم. قوله (إن فرعون علا فى الأرض) إلى آخره، فيه ذم العلوّ فى الأرض . الثانية ذم جعل الرعية شيعا . الثالثة التنبيه على كبر هذا الظلم . الرابعة التسجيل عليه أنه من هذه الطائفة ، فمن أراد من الرؤساء أن يكون منهم مثله فهذا فعله ومن أراد اتباع الخلفاء الراشدين فقد بان فعلهم. وقوله (ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الأرض) إلى آخره هذه الإرادة القدرية بخلاف قوله (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس) وأمثالها فهى إرادة شرعية . الثانية أن ابتلاءهم بالاستضعاف سبب المنة عليهم وكونهم أئمة وكونهم الوارثين والتمكين لهم فى الأرض وتعريف عدوهم بما يحذره فهذه خمس فوائد نتيجة تلك البلوى . الثالثة تبيين قدرته العظيمة لعباده . الرابعة أن الحذر لايغنى من القدر . وقوله (وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه) إلى آخره هذا وحى إلهام؛ ففيه إثبات كرامات الأولياء . الثانية أنها أمرت بإلقائه فى اليم وبشرت بأربع. وقوله (فالتقطه آل فرعون) فيه حكمة هذا الالتقاط . الثانية أنّ اللام لام العاقبة . الثالثة أن الإنسان قد يختار مايكون هلاكه فيه . الرابعة أن ذلك القدر بسبب خطيئات سابقة . وقوله (وقالت امرأة فرعون) الخ ، فيه أن المرأة الصالحة قد يتزوجها رجل سوء . الثانية قولها (قرة عين لى ولك) فيه محبة الفأل . الثالثة ذكر الترجى . الرابعة عدم الشعور ، وقوله (وأصبح فؤاد أم موسى فارغا) الآية . فيه ما ابتليت به . الثانية لولا منة الله عليها بالربط . الثالثة (لتكون من المؤمنين) . الرابعة أن الإيمان يزيد وينقص ، وقوله (وقالت لأخته قصيه) الآية ، فيه أن التوكل واليقين لاينافى السبب . الثانية تسبب الأخت أيضاً . الثالثة عدم شعورهم مع ذكائهم وظهور العلامات ، وقوله (وحرمنا عليه المراضع) الآية، هذا التحريم قدرى؛ وأما قوله (حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم) وأمثالها فتحريم شرعى . الثانية أن هذه العلامة الظاهرة فى كلامها ولم يفهموه مع فطنتهم ، وقوله (فرددناه إلى أمه) إلى آخره ، فيه أن الرد لثلاث فوائد . الثانية تفاوت مراتب العلم لقوله (ولتعلم) . الثالثة أن بعض المعرفة لايسمى علما يصح نفيه من وجه وإثباته من وجه . الرابعة المسألة العظيمة الكبيرة تسجيل الله تبارك وتعالى على الأكثر أنهم لايعلمون أن وعده حق، وقوله (ولما بلغ أشده واستوى) فيه أن ذلك الإيتاء بعد بلوغ الأشد والاستواء . الثانية الفرق بين العلم والحكم . الثالثة ذكره أنه يفعل ذلك بالمحسنين كما فعل ضده مع الذين كانوا خاطئين . الرابعة ترغيب

عباده فى الإحسان . الخامسة أن من جزاء الحسنة الحسنة بعدها . السادسة فيه أسرار القدر. وقوله (ودخل المدينة) إلى آخره ، فيه أن الرجل الصالح قد يسخر له الفاجر وينشأ فى حجره . الثانية قد ييسر الكمال العظيم بسبب أعظم المكروهات. الثالثة أن قتل الرجل صار ذنباً . الرابعة نسبة ذلك إلى عمل الشيطان . الخامسة قوله (إنه عدوّ مضل مبين) . السادسة ذكر توبته عليه السلام . السابعة ذكر مغفرة الله له . الثامنة ذكر سبب المغفرة . التاسعة شكر نعمة الخلق . العاشرة كون شكرها عدم مظاهرة المجرمين . وقوله (فأصبح فى المدينة) إلى آخره، فيه أن هذا الخوف غير المذموم فى قوله (ولا يخشون أحدا إلا الله) . الثانية أن ذلك الترقب لايذم . الثالثة ماجبل عليه صلى الله عليه وسلم من الشدة . الرابعة قوله لذلك الرجل (إنك لغوى مبين) أن مثل ذلك لايذم . الخامسة العمل بالقرائن. السادسة الفرق بين الصلاح بالقوة وبين إرادته الفساد فى الأرض بالتجبر. وقوله (وجاء رجل) إلى آخره فيه قوة ملكهم . الثانية ماعليه الرجل من محبة الحق وأهله . الثالثة تأكيده عليه بالأمر بالخروج وذكره أنه له من الناصحين بعد النذارة. وقوله (فخرج منها خائفا يترقب) فيه أن ذلك الخوف والترقب لايذم . الثانية استغاثته بالله مع فعله السبب . الثالثة أن كراهة الموت لاتذم . الرابعة أن الظالم يوصف بالظلم وإن كان فى تلك القضية غير ظالم. وقوله (ولما توجه) إلى آخره : فيه أنه توجه من غير سبب . الثانية سؤاله الله أن يدخله الطرق . الثالثة أن « عسى » فى هذا الموضع سؤال .

وقوله (ولما ورد ماء مدين) إلى آخره؛ فيه ماأعطى عليه السلام من القوة. الثانية إحسانه إليهما فى هذا الحال . الثالثة مخاطبة النساء لمثله . الرابعة ظهور النساء فى خدمة أموالهن للحاجة . الخامسة قائدها فى عدم مزاحمة الرجال. السادسة ذكرها له السبب. السابعة أن المانع له عدم القوة لا الترف . الثامنة سؤاله ربه. التاسعة تأدبه فى السؤال بذكر حاله للاستعطاف. العاشرة أن الشكوى لاتذم. وقوله (فجاءته إحداهما) إلى آخره فيه التنبيه على الحياء . الثانية الثناء على المرأة . الثالثة إرسالها إلى الرجل المجهول للحاجة . الرابعة عدم إنكاره للأجرة على العمل الصالح. الخامسة قوله (لاتخف) لأنهم ليس لهم سلطان عليهم . السادسة كونهم معروفين بالظلم عندهم. وقوله (قالت إحداهما) إلى آخره، فيه أن المرأة قد تصيب وجه الرأى . الثانية ما أعطيت من الذكاء . الثالثة

أن طاعتها فى مثل هذا لاتذم . الرابعة الولاية لها ركنان القوة والأمانة فالأمانة ترجع إلى خشية الله والقوة ترجع إلى تنفيذ الحق. الخامسة أن الاحتياط المال لايذم. وقوله (قال إنى أريد) إلى آخره، فيه أن هذه الإجارة صحيحة بخلاف قول كثير من الفقهاء من منعهم الإجارة بالطعام والكسوة للجهالة . الثانية أن المنفعة يصح جعلها مهرا للمرأة خلافا لمن منع ذلك . الثالثة أن هذه المهنة لانقص فيها ، كيف وقد قال صلى الله عليه وسلم « ما بعث الله نبيا إلا رعى الغنم » . الرابعة أنها صفة كمال لا يكمل إلا بها . الخامسة أن ذكر مثل هذا فى الإجارة وهى قوله (أيما الأجلين قضيت) لايبطل الإجارة . السادسة المسألة الكبيرة الدقيقة وهى قوله صلى الله عليه وسلم «قضى أطيب الأجلين» أن رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قال فعل . السابعة تأكيد العقد بقوله (والله على مانقول وكيل) . وقوله (ولما قضى موسى الأجل وسار بأهله) فيه أنه قام هذه المدة أجرته فيها طعام بطنه وعفة فرجه . الثانية تسمية ذلك النور ناراً . الثالثة هذا الفرج بعد الشدة الذى أفرد بالتضييق ولم يذكروا لهذه نظيرا ولامايقاربها. الرابعة أنهم مع هذه الشدة بالبرد ولا نار معهم . الخامسة أنهم ضلوا الطريق . السادسة جواز مثل هذا السفر للحاجة . السابعة ذكر الموضع الذى ناداه منه . الثامنة إثبات الصفات . التاسعة الرد الواضح على الجهمية فى قولهم هذه عبارة . العاشرة تقريبه نجيا ، فذكر النداء والمناجاة لاختصاص موسى بهذه المرتبة ، ولذلك ذكرها إبراهيم عليه السلام إذ طلبت منه الشفاعة . الحادية عشرة كونه أمر بإلقاء العصا فصارت آية . الثانيةعشرة كونه أمر بإدخال اليدآية أخرى . الثالثة عشرة كونه ولى مدبرا ولم يعقب . الرابعة عشرة قوله (أقبل ولاتخف) . الخامسة عشرة تبشيره أنه من الآمنين . السادسة عشرة كونه أمر بضم جناحه من الرهب . السابعة عشرة تسميتها برهانا . الثامنة عشرة كونه من ربك . التاسعة عشرة كونها إلى فرعون وملئه . العشرون التعليل بأنهم قوم ظالمون . الحادية والعشرون هذه المطية العظيمة فى هذه الشدة العظيمة . الثانية والعشرون اعتذاره بقتل النفس والخوف منهم . الثالثة والعشرون برثاثة لسانه . الرابعة والعشرون طلبه الاعتضاد بأخيه . الخامسة والعشرون طلبه الرسالة . السادسة والعشرون تعليله بخوف تكذيبهم . السابعة والعشرون إجابة الله إياه . الثامنة والعشرون تبشيره أنه يجعل لهما سلطانا فلا

يصلون إليهما. التاسعة والعشرون تبشيره بغلبته وغلبة أتباعه وقوله (فلما جاءهم موسى بآياتنا) إلى آخره ، فيه أنه أتاهم بآيات منسوبة إلى الله وأنها بينات . الثانية أنهم قابلوها بما ذكر . الثالثة أنهم احتجوا بقولهم فيها بعدم سماعهم لهذا فى آبائهم . الرابعة جواب موسى عليه السلام. وقوله (وقال فرعون يا أيها الملأ) إلى آخره هذا الإنكار الذى هو غاية الكفر. الثانية قوله لهامان (أوقد لى) كيف اجترأ على الله فى قول العاصين . الثالثة استدل بها الأئمة على الجهمية. وقوله (واستكبر هو وجنوده فى الأرض) وصفهم بأن فيهم المهلك وأنهم عدموا المنجى ولذلك أخذهم بما ذكر . الثانية أمر المؤمن بالنظر فى عاقبتهم . الثالثة أنه أتى بلفظ الظالمين ليبين أن ذلك مختص بهم. وقوله (وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار) هذا الجعل القدرى، وأما قوله (ماجعل الله من بحيرة) ومثاله فهذا الجعل الشرعى . الثانية أن معرفة هذا يوجب الحرص على النظر فى الأئمة إذا كان منهم من جعله الله يدعو إلى النار ومنهم من قال فيه (وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا) . الثالثة ذكر مالهم فى القيامة . الرابعة ما ألقى على ألسنة الناس فى الدنيا . الخامسة (مالهم فى الآخرة) وأما الزيادة التى فى سورة طه ، فالأولى استفهام التقرير الدال على عظمة القصة والتحريض على إفهامها . الثانية (أوأجد على النار هدى) دليل على أنه ضل الطريق . الثالثة أمر بخلع النعلين . الرابعة إخباره أنه بذلك الوادى . الخامسة الإخبار بأنه مطهر. السادسة تبشيره بأن الله اختاره . السابعة أمره بالاستماع الثامنة أن أول ذلك المسائل على الإطلاق التوحيد وهو إفراده بالعبادة . التاسعة أمره بإقامة الصلاة . العاشرة تعليل ذلك . الحادية عشرة وقت الإقامة . الثانية عشرة قوله (إن الساعة آتية) إلى آخره ، لما ذكر الإيمان بالله ذكر الإيمان باليوم الآخر . الرابعة عشرة أن علامته الإيمان . الخامسة عشرة مبالغته سبحانه فى إخفائها . السادسة عشرة الحكمة فى إقامتها . السابعة عشرة تحذيره من صاحب السوء. وقوله (وما تلك بيمينك ياموسى) إلى آخره فيه سؤاله عنها وهو أعلم . الثانية جوابه عليه السلام . الثالثة أمره بأخذها ولا يخاف فإنه سيعيدها . الرابعة أن ذلك من الآيات الكبرى الخامسة تعليله الذهاب إلى فرعون بطغيانه . السادسة سؤاله عليه السلام . السابعة أنه لم يسأل حل لسانه بل عقدة منه . الثامنة أن مراده ليفقهوا كلامه . التاسعة أنه علمه ماسأله لأجل أن يسبحاه ويذكراه كثيرا . العاشرة تعليله بقوله (إنك كنت بنا بصيرا)

الحادية عشرة إجابة سؤاله . الثانية عشرة ذكر منته عليه من قبل ثمانية أمور . الثالثة عشرة نهيهما أن لا ينيا فى ذكره . الرابعة عشرة رفقه سبحانه ومحبته للرفق . الخامسة عشرة شكواهما إلى الله تعالى الرفق . السادسة عشرة الفرق بين التذكر والخشية . السابعة عشرة شكواهما. وقوله (فأتياه فقولا إنا رسولا ربك) إلى آخره فيه من الرفق والتلطف أمور: أحدها (إنا رسولا ربك) فإن أطعت ما أطعت إلا هو . الثانية (فأرسل معنا بنى إسرائيل ولا تعذبهم) فالمطلوب أن يرسل جيرانه ورعيته ولا يعذبهم . الثالثة (قد جئناك بآية من ربك) فربك قد قطع عذرك . الرابعة إضافته إلى الله . الخامسة (والسلام على من اتبع الهدى) أى هذا هو الذى فيه السلامة التى هى مطلوبة لكل أحد خصوصا الملوك . السادسة (إنا قد أوحى إلينا أن العذاب) أى كما دللناك على أمور السلامة دللناك على طريق الهلاك . السابعة لم يقولا إن العذاب لك إذا توليت بل كلام عام . الثامنة ذكر سبب العذاب . التاسعة الفرق بين التكذيب والتولى . وقوله (قال فمن ربكما ياموسى) إلى آخره هذا جواب اللعين بهذا الكلام اللين . الثانية جواب موسى عليه السلام الجواب الباهر . الثالثة التفكر فى الخلق والهداية . الرابعة جواب اللعين عن هذه . الخامسة جواب موسى عليه السلام عن شبهته ، وهى أن العلم أجلّ الفوائد عند المناظرة . السادسة ذكر العلم والكتاب ، ولأن ذلك الكتاب ليس لخوف نسيان أو خطأ . الثامنة الاستدلال بالآيات الأرضية والسماوية . التاسعة ذكر إسباغ نعمته . العاشرة ذكر أن فى ذلك لآيات لكن لهذه الطائفة . الحادية عشرة لما ذكر الأرض ذكر ما جرى لنا وما يجرى لنا فيها. وقوله (ولقد أريناه آياتنا كلها فكذب وأبى) فيه الفرق بين التكذيب والإباء . الثانية ما أكثر الله له ولقومه من الآيات . الثالثة مكابرته فى تسمية ذلك سحرا . الرابعة رميه موسى بنية طلب الملك . الخامسة معارضة آيات الله بالسحر. السادسة اهتمامه بذلك الموعد . السابعة دعاء الإنصاف بقوله سوى . الثامنة إجابة موسى إياه . التاسعة ذكر جميع كيده قبل إتيانه . العاشرة وعظه إياهم . الحادية عشرة كونه يقول (لاتفتروا على الله كذبا) . الثانية عشرة قوله (وقد خاب من افترى) كلمة جامعة . الثالثة عشرة سرهم بينهم بما ظنوه فى موسى وأخيه . الرابعة عشرة اغترارهم بطريقتهم . الخامسة عشرة ذكرهم الاجتماع والإتيان صفا .

السادسة عشرة قوله (وقد أفلح اليوم من استعلى) . السابعة عشرة دعواهم الإنصاف في الخصومة . الثامنة عشرة احتضار إلقائهم أولا . التاسعة عشرة هذا السحر العظيم . العشرون إيجاس الخيفة في مثل هذا غير مذموم . الحادية والعشرون بشارة الله إياه الثانية والعشرون أمره له بإلقاء العصا . الثالثة والعشرون ما فعلت العصا . الرابعة والعشرون القاعدة الكلية فما فعلوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى . الخامسة والعشرون ما فعل السحرة من سرعة انقيادهم لما عرفوه من فعلهم وقولهم . السادسة والعشرون كون الإيمان برب هارون وموسى . السابعة والعشرون قولهم وما ذكر أنه يفعل بهم . الثامنة والعشرون جوابهم لهذا الطاغي الغادر وهي سبع جمل كل جملة مستقلة .

وفي سورة الأعراف من الزيادة قوله عليه السلام (حقيق على أن لا أقول على الله إلا الحق) . الثانية استعظام الله سحرهم . الثالثة قوله (فوقع الحق) الآيتين . الرابعة قوله لهم (إن هذا لمكر مكرتموه في المدينة) لهذا . الخامسة قولهم (إنا إلى ربنا منقلبون) . السادسة قولهم (وما تنقم منا) إلى آخره . السابعة سؤالهم الله هذه المسألة . الثامنة كلام الملأ . التاسعة جوابه لهم . العاشرة إخبار الله أنه أخذهم بالسنين ونقص من الثمرات . الحادية عشرة ذكر الحكمة في ذلك . الثانية عشرة أنهم لم يفهموا مراد الله بالحسنة والسيئة التي تأتيهم بل عكسوا الأمر . الثالثة عشرة قوله (ألا إنما طائرهم عند الله) . الرابعة عشرة كون الأكثر لا يعلمون هذه المسألة . الخامسة عشرة شدة عنادهم . السادسة عشرة ذكره إرسال الآيات عليهم . السابعة عشرة كونهم مع ذلك استكبروا . الثامنة عشرة (وكانوا قوما مجرمين) . التاسعة عشرة كلامهم لموسى لما وقع عليهم الرجز . العشرون نكثهم ما قالوا . الحادية والعشرون قوله (فانتقمنا منهم) بالفاء . الثانية والعشرون ذكره السبب . الثالثة والعشرون ذكره فضله على الضعفاء . الرابعة والعشرون أن ذلك سبب صبرهم . الخامسة والعشرون تدمير ما استعملوا وما كانوا يعرشون .

وأما ما في سورة الشعراء من الزيادة . فقوله (ألم نربك فينا وليدا) . الثانية جواب موسى عليه السلام . الثالثة قوله (وما رب العالمين) الرابعة جواب موسى عليه السلام . الخامسة قوله (لمن حوله) . السادسة جواب موسى عليه السلام . السابعة قوله (إن رسولكم) إلى آخره . الثامنة جواب موسى عليه السلام . التاسعة كونه فزع

إلى القدرة لما بهرته الحجة. العاشرة جواب موسى عليه السلام . الحادية عشرة أتته الآيات . الثانية عشرة قوله (هل أنتم مجتمعون) . الثالثة عشرة توسلهم بعزة فرعون . الرابعة عشرة قولهم (لاضير) . الخامسة عشرة قولهم (إنا نطمع) الآية . السادسة عشرة كونه أمره أن يسرى بهم . السابعة عشرة كونه ذكر لهم أنهم متبعون . الثامنة عشرة إرساله فى المدائن حاشرين . التاسعة عشرة ذكره لرعيته لما حشرهم . العشرون إتباعهم إياهم مشرقين . الحادية والعشرون ذكره المقام والنعيم والكنوز والجنات التى سلبوها. الثانية والعشرون كونه أورث الجميع بنى إسرائيل . الثالثة والعشرون كون اتباعهم مشرقين . الرابعة والعشرون قوله (لما تراءى الجمعان) الخامسة والعشرون جواب موسى عليه السلام لهم . السادسة والعشرون ذكره أنه أمره أن يضربه بعصاه فكان ماكان . السابعة والعشرون ذكره نجاة هؤلاء وهلاك هؤلاء . الثامنة والعشرون تنبيه العباد على فائدة القصة . التاسعة والعشرون هذا العجب العجاب عدم إيمان الأكثر مع ذلك . الثلاثون أنه هو العزيز الرحيم .

وأما مافى سورة النمل من الزيادة فقوله (أن بورك من فى النار ومن حولها) .الثانية تسبيحه فى هذا المقام . الثالثة قوله (إنى لايخاف لدىّ المرسلون). الرابعة الاستثناء . الخامسة ذكره أن اليد فى جملة تسع آيات . السادسة جحدهم الآيات مع اليقين . السابعة أن سببه الظلم والعلو .

وأما مافى سورة يونس من الزيادة فقول موسى (أتقولون للحق لما جاءكم) إلى آخره . الثانية قوله (أتلفتنا عما وجدنا عليه آباءنا) . الثالثة (وتكون لكما الكبرياء فى الأرض) . الرابعة قوله (ماجئتم به السحر) . الخامسة القاعدة الكلية (إن الله لايصلح عمل المفسدين) . السادسة كونه يحق الحق بكلماته.السابعة (ولو كره المجرمون) . الثامنة ما آمن لموسى إلا من ذكر . التاسعة أنه على خوف من فرعون وملئه . العاشرة وصف فرعون بالعلو والإسراف . الحادية عشرة نصيحة موسى . الثانية عشرة التوكل من لوازم الإسلام والإيمان . الثالثة عشرة جوابهم وقبولهم النصح الرابعة عشرة دعاؤهم ومافيه من الفوائد . الخامسة عشرة قوله (أن تبوآ لقومكما) إلى آخره . السادسة عشرة كون المؤمن داع . السابعة عشرة قوله فى هذا المقام (فاستقيما) إلى آخره . الثامنة عشرة كلام فرعون عند الغرق . التاسعة عشرة ما أجيب به . العشرون ذكر غفلة الجميع عن آياته .

وفى سورة هود قوله (وما أمر فرعون برشيد) . الثانيـة كونه يوم القيامة يقدمهم ويوردهم النار .

وفى سورة الإسراء ذكر أن التسع آيات كلها بينات . الثانية أمره نبيه عليه الصلاة والسلام بسؤال بنى إسرائيل . الثالثة قول فرعون له . الرابعة جوابه . الخامسة أنه عوقب بنقيض قصده . السادسة قوله (وقلنا من بعده لبنى إسرائيل) إلى آخره .

وفى سورة الحج (وكذب موسى فأمليت للكافرين) إلى آخره .

وفى سورة الصافات كون فعل فرعون معهم كرب عظيم . وفى سورة المؤمن قوله (بآياتنا وسلطان مبين) . الثانية إلى الثلاثة . الثالثة جوابهم له . الرابعة ماقالوه لما جاءهم الحق من عند الله . الخامسة أن ذلك الكيد فى ضلال مبين . السادسة قوله (ذرونى أقتل موسى) الآية . السابعة قول موسى . الثامنة كلام المؤمن وما فيه من الفوائد . التاسعة جواب فرعون . العاشرة قول المؤمن الثانى وما فيه من الأصول ووصف القيامة وتذكيرهم برسالة يوسف ومافعلوا . الحادية عشرة قوله (لعلى أبلغ الأسباب) إلى آخره . الثانية عشرة كون كيد فرعون فى تباب . الثالثة عشرة قول المؤمن الثالث وما فيه من المعارف . الرابعة عشرة وقاية الله له مكرهم . الخامسة عشرة كونهم يعرضون على النار . السادسة عشرة استدلال العلماء على عذاب القبر .

وفى سورة الزخرف مقابلتهم آيات الله بالضحك منها . الثانية قوله (وما نريهم من آية) إلى آخره . الثالثة قوله (لعلهم يرجعون) . الرابعة خطبة فرعون وما فيها من استدلاله على النفى والإثبات . الخامسة قوله (فاستخف قومه) إلى آخره . السادسة قوله (فجعلناهم سلفا) إلى آخره .

وفى سورة الدخان قوله (أن أدوا إلىّ عباد الله) . الثانية وصفه نفسه بالأمانة . الثالثة نهيه إياهم عن العلو على الله . الرابعة قوله (وإنى عذت بربى وربكم) إلى آخره . الخامسة قوله (واترك البحر رهوا) . السابعة (فما بكت عليهم السماء والأرض) . الثامنة عدم الإنظار . التاسعة أن فعله لهم عذاب مهين ، وفى سورة المؤمنين كونهم كلهم قوما عالين . الثانية حجتهم على عدم الإيمان لهما . الثالثة التنبيه على أنهم من جملة من أهلك وليس مختصا بهم .

وفى سورة الذاريات (فتولى بركنه) الثانية قوله (ساحر أو مجنون) .

وفى سورة القمر تكذيبهم بالآيات كلها . الثانية تكذيبهم بالنذير . الثالثة ذكر

العبرة لهذه الأمة فيهم . وفى سورة المزمل المسألة الكبيرة لهذه الأمة . وفى النازعات قوله (إلى أن تزكى) إلى آخره . الثانية قوله (ثم أدبر يسعى فحشر فنادى) . الثالثة الكلمة العظيمة . الرابعة الجمع بين الآخرة والأولى . الخامسة (إن فى ذلك لعبرة لمن يخشى) .

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى (قل أفغير الله تأمرونى أعبد أيها الجاهلون ولقد أوحى إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين) إلى قوله (سبحانه وتعالى عما يشركون) فيه مسائل : الأولى الجواب عن قول المشركين هذا فى الأصنام . وأما الصالحون فلا . قوله (قل أفغير الله) عام فيه ماسوى الله . الثانية أن المسلم إذا أطاع من أشار عليه فى الظاهر كفر ولو كان باطنه يعتقد الإيمان فإنهم لم يريدوا من النبى صلى الله عليه وسلم تغيير عقيدته ، ففيه بيان لما يكثر وقوعه ممن ينتسب إلى الإسلام فى إظهار الموافقة للمشركين خوفا منهم ويظن أنه لايكفر إذا كان قلبه كارها . الثانية أن الجهل وسخافة العقل موافقتهم فى الظاهر ، وأن العقل والفهم الذى هو التصريح بمخالفتهم ولو ذهب مالك خلافا لما عليه أهل الجهل من اعتقاد أن بذل دينك لأجل مالك هو العقل وذلك فى آخر الآية (أيها الجاهلون) وأما الآية الثانية ففيها مسائل : الأولى شدة الحاجة إلى تعلم التوحيد . فإذا كان الأنبياء يحتاجون إلى ذلك ويحرصون عليه فكيف بغيرهم ، ففيها رد على الجهال الذين يعتقدون أنهم عرفوه فلا يحتاجون إلى تعلمه . الثانية المسألة الكبرى وهى كشف الشبهة لعلماء المشركين الذين يقولون هـذا شرك ولكن لايكفر من فعله لكونه يؤدى الأركان الخمسة ، فإذا كان الأنبياء لو يفعلونه كفروا فكيف بغيرهم . الثالثة أن الذى يكفر المسلم ليس عقيدة القلب خاصة ، فإن هذا الذى ذكرهم الله لم يريدوا منه صلى الله عليه وسلم تغيير العقيدة كما تقدم بل إذا أطاع المسلم من أشار عليه بموافقتهم لأجل ماله أو بلده أو أهله مع كونه يعرف كفرهم ويبغضهم فهذا كافر إلا من أكره . وأما الآية الثالثة ففى الصحيح « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأها على المنبر وقال إن الله يقبض يوم القيامة الأرضين وتكون السموات بيمينه ثم ذكر تمجيد الرب تبارك وتعالى نفسه وأنه يقول أنا الجبار أنا المتكبر أنا الملك العزيز أنا الكريم . قال ابن عمر

فرجف برسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قلنا ليخرّن به» وفيها ثلاث مسائل أيضاً :
الأولى التنبيه على سبب الشرك وهو أن المشرك بان له شيء من جلالة الأنبياء والصالحين ولم يعرف الله سبحانه وتعالى وإلا لو عرفه لكفاه وشفاه من المخلوق وهذا معنى قوله (وما قدروا الله حق قدره) الآية . المسألة الثانية ماذكر الله تبارك وتعالى من عظمته وجلاله أنه يوم القيامة يفعل هذا ، وهذا قدر ما تحتمله العقول وإلا فعظمة الله وجلاله أجل من أن يحيط بها عقل كما قال : «ما السموات السبع والأرضون السبع فى كف الرحمن إلا كخردلة فى كف أحدكم» فمن هذا بعض عظمته وجلاله كيف يجعل فى رتبته مخلوق لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا . هذا هو أظلم الظلم وأقبح الجهل كما قال العبد الصالح لابنه (يابنى لاتشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم) . الثالثة أن آخر الآية وهو قوله (سبحانه وتعالى عما يشركون) ينبهك على الحكمة على أنه سبحانه يغفر الكبائر ولا يغفر الشرك وتزرع بغض الشرك وأهله ومعاداتهم فى قلبك وذلك أن أكبر مسبة بعض الصحابة مثل أبى بكر وعمر ولم يجعل فى منزلته بعض ملوك زماننا مثل سليمان أو غيره مع كون الكل منهم آدمى ، والكل ينتسب إلى دين محمد والكل يأتى بالشهادتين والكل يصوم رمضان ويصلى . فإذا كان من أقبح المسبة فى زماننا لأبى بكر أن يسوى بينه وبين بعض الملوك فى زماننا فكيف يجعل المخلوق من الماء المهين ولو كان نبيا بعض حقوق من هذا بعض عظمته وجلاله من كونه يدعى كما يدعى ويخاف كما يخاف ويعتمد عليه كما يعتمد عليه . هذا أعظم الظلم وأقبح المسبة لرب العالمين وذلك معنى قوله فى آخر الآية (سبحانه وتعالى عما يشركون) ولكن رحم الله من تنبه للكلام وهو المعنى الذى نزلت فيه هذه الآيات من كون المسلم يوافقهم فى شيء من دينهم الظاهر مع كون القلب بخلاف ذلك فإن هذا هو الذى أرادوا من النبى صلى الله عليه وسلم فافهمه فهما حسنا لعلك تعرف شيئاً من دين إبراهيم عليه السلام الذى بادر أباه وقومه بالعداوة عنده والله أعلم . وهذه مسائل مستنبطة من قوله تعالى (وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا) قال الشيخ رحمه الله فيها عشر درجات . الدرجة الأولى تصديق القلب أن دعوة غيره باطل ، وقد خالف فيها من خالف آخر ما وجدت .

بسم الله الرحمن الرحيم

هذه مسائل مستنبطة من سورة اقرأ : الأولى الأمر بالقراءة . الثانية الجمع بين التوكل والسبب خلافا لغلاة المتفقهة وغلاة المتصوفة . الثالثة السر الذى فى الإضافة

فى قوله (باسم ربك) المقتضى للتوكل . الرابعة وصفه سبحانه بالخلق الذى هو أظهر آياته . الخامسة ذكر خلقه الإنسان خاصة . السادسة كونه من علق . السابعة تكرير الأمر بالقراءة . الثامنة الوصف بأنه الأكرم . التاسعة ذكر التعليم بالقلم الذى هو فى المرتبة الرابعة . العاشرة تعليم الإنسان خاصة مالم يعلم . الحادية عشرة أن الذكر بالقلب واللسان أفضل من الذكر بالقلب وحده . الثانية عشرة الحث على التواضع لقوله (من علق) . الثانية عشرة معنى اعرف نفسك تعرف ربك . الرابعة عشرة معنى أن العلم والإيمان مكانهما من ابتغاهما وجدهما إلى يوم القيامة . الخامسة عشرة الجمع بين الخلق والتعليم . السادسة عشرة الدلالة على النبوة . الثامنة عشرة الرد على الجهمية . التاسعة عشرة أن الاستحالة تطهر . العشرون الرد على القدرية . الحادية والعشرون الرد على الجبرية . الثانية والعشرون أن العبرة بكمال النهاية لا بنقص البداية . الثالثة والعشرون ذكر شرف العلم . وأما آخرها ففيه مسائل :

الأولى أن الغنى من أسباب الطغيان . الثانية أنه ينشأ عن رؤية الغنى لا عن الغنى . الثالثة التنبيه على الفرق بين طلب العلم وطلب المال . الرابعة أن هذا وصف الإنسان فإن خرج عن طبعه فبفضل الله وبرحمته . الخامسة الإيمان باليوم الآخر . السادسة الوعظ بذلك اليوم عن الطغيان . السابعة تسلية المطغى عليه بذلك . الثامنة كونه إلى رب محمد ففيه الجزاء على الأعمال . التاسعة تقرير الشرع بالعقل لقوله (أرأيت). العاشرة كون ذلك النهى عن آثار الطغيان . الحادية عشرة تقرير ذلك بتصوير الحادثة أنه نهى عبداً صلى لربه . الثانية عشرة التوقف عن مالا يعلم وإلا فلا يلوم إلا نفسه . الثالثة عشرة أن ذلك عام فيمن تنكر عليه فيما يفعله وفيما يأمر به غيره . الرابعة عشرة الاستدلال على الناهى واستجهاله بقوله (ألم يعلم بأن الله يرى) . الخامسة عشرة الاستدلال بالقاعدة الكلية على المسائل الجزئية . السادسة عشرة أن العلم بذلك ليس هو الإقرار . السابعة عشرة أن العلم بالأسماء والصفات أجل العلوم . الثامنة عشرة الدلالة على التوحيد . التاسعة عشرة الدلالة على النبوة . العشرون أن السورة فيها ذكر الإيمان بالأصول الخمسة . الحادية والعشرون كون العقوبة قد تعجل فى الدنيا . الثانية والعشرون مايرجى للحق من نصر الله للضعفاء على الأقوياء . الثالثة والعشرون أن المال والقوة قد يكونان سببا لشر الدنيا والآخرة . الرابعة والعشرون أن بعض أعداء الله قد يكشف له فيرى بعينه من الآيات مالا يراه المؤمن كالسامرى .

الخامسة والعشرون الجمع بين قوله (كاذبة خاطئة) فوصفه بفساد القول والعمل . السادسة والعشرون أنه لو دعا ناديه أو دنا من النبي صلى الله عليه وسلم لعوجل ولكن رفع عنه ذلك لكونه ترك مافى نفسه . السابعة والعشرون النهى عن طاعة مثل هذا . الثامنة والعشرون أنه ختمها بالسجود الذى هو أشرف أفعال الصلاة وافتتحها بالقراءة التى هى أشرف أقوالها . التاسعة والعشرون الأمر بالاقتراب من الله ، ففيه معنى « أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد » . الثلاثون تسلية المحق إذا سلط عليه مثل هذا وأمره بالصلاة .

وأما قوله تعالى (يا أيها المدثر) الآيات ، ففيه مسائل : الأولى الدعوة إلى الله لايقتصر على نفسه . الثانية خطابه بالمدثر . الثالثة أن الداعى يبدأ بنفسه فيصلح عيوبها . الرابعة تعظيم الله سبحانه علما وعملا . الخامسة هجران الرجز . السادسة قوله (ولا تمنن تستكثر) . السابعة قوله (ولربك فاصبر) فأمره بالطريق إلى القوة على ماتقدم فهو الصبر خالص ؛ ففيها آداب الداعى لأن الخلل يدخل على رؤساء الدين من ترك هذه الوصايا أو بعضها ، فمنها الحرص على الدنيا فنهى عنه بقوله (ولا تمنن تستكثر) ومنها عدم الجد فنبه عليه بقوله (يا أيها المدثر) ومنها رؤية الناس فيه العيوب المنفرة لهم عن الدين كما هو الواقع ، ومنها التقصير فى تعظيم العلم الذى هو من التقصير فى تعظيم الله ، ومنها عدم الصبر على مشاق الدعوة ، ومنها عدم الإخلاص ، ومنها عدم هجران الرجز والتقصير فى ذلك وهو من أضرها على الإنسان وهو من تطهير الثياب لكن إفراده بالذكر كنظائره . فأول اقرأ فيه الأمر بالعمل به . الثانية أول اقرأ فيه معرفة الله ، وأول المدثر فيه الأدب مع الله . الثالثة أول اقرأ فيه الاستعانة وأول المدثر فيه الصبر . الرابعة أول اقرأ فيه الإخلاص والاستعانة وأول المدثر فيه إخلاص الصبر . الخامسة أول اقرأ فيه الاستعانة وأول المدثر فيه العبادات . السادسة أول اقرأ فيه فضله عليك وأول المدثر فيه حقه عليك . السابعة أول اقرأ فيه أدب المتعلم وأول المدثر فيه أدب العالم . الثامنة أول اقرأ فيه معرفة الله ومعرفة النفس وأول المدثر فيه الأمر والنهى . التاسعة أول اقرأ فيه معرفتك بنفسك وبربك وأول المدثر فيه العمل المختص والمتعدى . العاشرة أول اقرأ فيه أصل الأسماء والصفات وهما العلم والقدرة وأول المدثر فيه أصل الأمر والنهى وهو الأمر بالتوحيد والنهى عن الشرك الحادية عشرة فى أول اقرأ ذكر العلم الذى لايستقيم العمل إلا به وأول المدثر فيه ذكر الصبر الذى لايستقيم العمل إلا به . الثانية عشرة فى أول اقرأ ذكر التوكل وأنه

يفتح المغلق وأول المدثر فيه الصبر الذى يفتحه . الثالثة عشرة فى أول اقرأ العمل المختص وأول المدثر فيه العمل المتعدى . الرابعة عشرة فى اقرأ ست مسائل من الخبر وأول المدثر ست مسائل من الإنشاء . الخامسة عشرة فى أول اقرأ ذكر بدء الخلق وأول المدثر ذكر الحكمة فيه . السادسة عشرة فى أول اقرأ ذكر أصل الإنسان وأول المدثر فيه كماله . السابعة عشرة فى أول اقرأ الربوبية العامة وأول المدثر الربوبية الخاصة . الثامنة عشرة فى أول اقرأ شاهد لقوله «اعقلها وتوكل» وفى أول المدثر الصبر الذى هو من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد . التاسعة عشرة فى أول اقرأ ابتدأ النبوة وأول المدثر ابتدأ الرسالة. العشرون فى السورتين شاهد لقوله العلم قبل القول والعمل .

ومن اقرأ إلى آخره أن قريشا صريح آل إبراهيم وأيضا ولاة البيت الحرام وأيضا خصوا بنعم مثل الرحلتين ودفع الفيل . وأما أهل الكتاب فأهل العلم وذرية الأنبياء وجرى من الكل على رسالة الله ماجرى . الثانية أن هذا من الرئيسين أبى لهب وأبى جهل ذكر عنهما ماذكر . الثالثة أن أهل الكتاب لم يتفرقوا إلا من بعد ماجاءهم العلم بغيا بينهم . الرابعة أنهم لم يؤمروا إلا بما تعرفه العقول وبما ينبغى للعاقل أن يلتزمه ولا يبغى به بدلا لحسنه وسهولته . الخامسة أن الذى استدلوا به من أشق الأشياء وأكثرها عذابا وينبغى للعاقل البعد عنه لقبحه وصعوبته . السادسة أن مع سهولة الذى تركوا وحسنه وقبح الذى انتقلوا إليه ومشقته أشربوه فى قلوبهم فلم ينتقلوا عنه إلا بعد كذا وكذا . السابعة أنه سبحانه توعد بالنار الذين كفروا من أهل الكتاب ومن العامة وقدم أهل الكتاب فى الذكر . الثامنة أن العامة أشربوا حب دينهم وصبروا على المشقة فيه مع أنهم لا يعرفون جنة ولا نارا وهذا من العجائب . التاسعة التنبيه على كبر النعمة بإنزال الكتاب بذكر الليلة التى أنزل فيها . العاشرة أن له سبحانه خصائص من الأزمنة كما له من الأمكنة . الحادية عشرة أن الأعمال تتضاعف وإن تساوت فى الظاهر بما يجل عنه الوصف . الثانية عشرة عطف الروح على الملائكة . الثالثة عشرة أن خشية الله جامعة للدين كله . الرابعة عشرة النص على العبادة بالإخلاص . الخامسة عشرة ذكر الحنفاء . السادسة عشرة عطف العبادتين على ذلك . السابعة عشرة نصه أنه دين القيمة . الثامنة عشرة بأن أن من ساء عمله شر من الجعلان ولو علم . التاسعة عشرة كون الضد خير البرية .

العشرون الآية الجامعة الفاذة . الحادية والعشرون ذكر شيء من تفاصيل القيمة من شهادة الأرض وغير ذلك . الثانية والعشرون معاملة الإنسان ربه لقوله (لـكنود) . الثالثة والعشرون كونه شاهدا لذلك . الرابعة والعشرون نعته بشدة حب المال . الخامسة والعشرون مافيها من ذكر الحساب والحوض والميزان ورؤية النار في الموقف. السادسة والعشرون إخلاص الصلاة . السابعة والعشرون إخلاص النحر . الثامنة والعشرون الأمر بختم العمل بالتسبيح والاستغفار . التاسعة والعشرون الأمر بالتصريح للـكفار بالبراءة من معبوديهم . الثلاثون التصريح لهم ببراءتهم من عبادة الله . الحادية والثلاثون التصريح لهم بالبراءة من معبوديهم . الثانية والثلاثون التصريح لهم بالرضا بالله وبالإسلام دينا وبمحمد نبيا . الثالثة والثلاثون بيان العقيدة السلفية . الرابعة والثلاثون البراءة من عقيدة المتكلمين . الخامسة والثلاثون الأمر بالاستعاذة مما ذكر في سورة الفلق . السادسة والثلاثون الأمر بالاستعاذة من الشيطان . السابعة والثلاثون التنبيه على شدة الحاجة إلى ذلك لـكونه أفرد له سورة وختم بها المصحف . الثامنة والثلاثون النهي عن الهمز واللمز . التاسعة والثلاثون النهي عن الاغترار بالمال . الأربعون النهي عن دع اليتيم . الحادية والأربعون النهي عن عدم الحض على طعام المسكين . الثانية والأربعون النهي عن السهو عن الصلاة . الثالثة والأربعون النهي عن الرياء . الرابعة والأربعون النهي عن البخل . الخامسة والأربعون النهي عن شنآنه صلى الله عليه وسلم . السادسة والأربعون الاعتبار بأبي لهب في كون المال والولد وشرف البيت والسيادة يعطاه من هو من أكفر الناس. السابعة والأربعون النهي عن حمل الحطب. الثامنة والأربعون النهي عن النميمة. التاسعة والأربعون النهي عن الحسد . الخمسون النهي عن النفث في العقد . الحادية والخمسون النهي عن الوسوسة في صدور الناس . الثانية والخمسون الإخبار برؤية الجحيم ثم رؤيتها . الثالثة والخمسون السؤال عن النعيم . الرابعة والخمسون خسران الإنسان إلا المستثنى وفيها ذكر النار ذات اللهب وصليها واطلاعها على الأفئدة وكونها مؤصدة، وفيها من الأعمال الممدوحة الإيمان والعمل الصالح والتواصي بالحق والتواصي بالصبر والحث على الشكر بذكر الرحلتين؛ وفيها أن النعم إذا كانت خاصة فلها شكر خاص، والحث على الاعتبار بأيام الله بقصة الفيل، وفيها من القصص قصة الفيل والرحلتين وقصة أبي لهب وقصة سحر اليهود،

وفيها من الوعظ العجب العجاب . وأما أدلة التوحيد ففى مواضع ، وأما أدلة النبوات ففى مواضع . وقال رحمه الله ورضى عنه قصة سبب نزول تبت إلى آخرها ففيها مسائل : الأولى ما فيها من دلائل الإلهية . الثانية ما فيها من دلائل النبوة . الثالثة ما فيها من فضائل الرسول صلى الله عليه وسلم وقوله الحق الذى لايقدر غيره يقوله . الرابعة أن هذا هو العقل والصواب أعنى صعود الجبل والصياح فى هذه المسألة ولو عدّه أكثر الناس سفها بل جنونا . الخامسة شدة الخطر العظيم فيمن عذل من فعل ذلك . السادسة لعل الكلمة التى لايلقى لها بالا يكتب الله له بها سخطه إلى يوم يلقاه ولعله يعتقدها نصيحة أو صلة رحم . السابعة مراقبة العواقب فى إعطاء الله نعم الدنيا من المال والولد والبيت الرفيع والرياسة . الثامنة تعظيم أمر النميمة . التاسعة أن الولد من الكسب ، ففيه دليل على أن أطيب ما أكلتم من كسبكم وأن أولادكم من كسبكم . العاشرة أن الله سبحانه لم ينزل هذا إلا مصلحة للأمة إلى يوم القيامة ، والله سبحانه وتعالى أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه . قال رحمه الله فى تفسير سورة الإخلاص عن عبد الله بن حبيب قال : « خرجنا فى ليلة مطر مظلمة فطلبت النبى صلى الله عليه وسلم ليصلى لنا فأدركناه فقال : قل فلم أقل شيئاً ، قال : قلت يارسول الله ماأقول؟ قال قل هو الله أحد والمعوذتين حين تمسى وحين تصبح ثلاث مرات تكفك من كل شىء» قال الترمذى حديث حسن صحيح والأحد الذى لانظير له ، والصمد الذى تصمد الخلائق كلها إليه فى جميع الحاجات ، وهو الكامل فى صفات السودد؛ فقوله أحد نفى للنظير والأمثال ، وقوله الصمد إثبات صفات الكمال ؛ وقوله (لم يلد ولم يولد) نفى للصاحبة والعيال (ولم يكن له كفوا أحد) نفى للشركاء لذى الجلال .

تفسير سورة الفلق

بسم الله الرحمن الرحيم

(قل أعوذ برب الفلق من شر ماخلق ومن شر غاسق إذا وقب ومن شر النفاثات فى العقد ومن شر حاسد إذا حسد) فمعنى أعوذ أعتصم وألتجىء وأتحرز ، وتضمنت هذه الكلمة مستعاذا به ومستعاذا منه ومستعيذا به . فأما المستعاذ به فهو الله وحده رب الفلق الذى لايستعاذ إلا به ، وقد أخبر الله عمن استعاذ بخلقه أن استعاذته زادته رهقا ، وهو الطغيان فقال : (وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا) والفلق هو بياض الصبح إذا انفلق من الليل وهو

من أعظم آيات الله الدالة على وحدانيته . وأما المستعيذ فهو رسول الله صلى الله عليه وسلم وكل من اتبعه إلى يوم القيامة . وأما المستعاذ منه فهو أربعة أنواع : الأول قوله (من شر ماخلق) وهذا يعم شرور الأولى والآخرة وشرور الدين والدنيا . والثانى قوله (ومن شر غاسق إذا وقب) والغاسق الليل «إذا وقب» أى أظلم ودخل فى كل شئ وهو محل تسلط الأرواح الخبيثة . الثالث (شر النفاثات فى العقد) وهذا من شر السحر ، فإن النفاثات السواحر التى يعقدن الخيوط وينفثن على كل عقدة حتى ينعقد مايريد من السحر ،والنفاثات مؤنث أى الأرواح والأنفس لأن تأثير السحر إنما هو من جهة الأنفس الخبيثة . الرابع شر الحاسد إذا حسدوهذا يعم إبليس وذريته لأنهم أعظم الحساد لبنى آدم أيضاً ، وقوله (إذا حسد) لأن الحاسد إذا أخفى الحسد ولم يعامل أخاه إلا بما يحبه الله لم يضره ولم يضر المحسود .

تفسير سورة الناس

بسم الله الرحمن الرحيم

وأما قوله (قل أعوذ برب الناس) فقد تضمنت أيضا ذكر ثلاثة أمور : الأول الاستعاذة وقد تقدمت . الثانى المستعاذبه . والثالث المستعاذ منه . فأما المستعاذ به فهو الله وحده لاشريك له رب الناس الذى خلقهم ويرزقهم ودبرهم وأوصل إليهم مصالحهم ومنع عنهم مضارهم (ملك الناس) أى المتصرف فيهم وهم عبيده ومماليكه المدبر لهم كما يشاء الذى له القدرة والسلطان عليهم ، فليس لهم ملك يهربون إليه إذا دهمهم أمر سواه يخفض ويرفع ويصل ويقطع ويعطى ويمنع (إله الناس) أى معبودهم الذى لامعبود لهم غيره فلا يدعى ولا يرجى ولا يخلق إلا هو ، نخلقهم وصورهم وأنعم عليهم وحماهم مما يضرهم بربوبيته وقهرهم وأمرهم ونهاهم وصرفهم كما يشاء بملكه واستعبدهم بإلهيته الجامعة لصفات الكمال كلها . وأما المستعاذ منه فهو الوسواس وهو الخفى الالقاء فى النفس إما بصوت خفى لايسمعه إلا من ألقى إليه ، وإما بغير صوت كما يوسوس الشيطان إلى العبد . وأما الخناس فهو الذى يخنس ويتأخر ويختفى ، وأصل الخنوس الرجوع إلى وراء ، وهذان وصفان لموصوف محذوف وهو الشيطان ، وذلك أن العبد إذا غفل جثم على قلبه وبذر فيه الوساوس التى هى أصل الشر . فإذا ذكر العبد ربه واستعاذ به خنس . قال قتادة الخناس له خرطوم كخرطوم الكلب . فإذا ذكر العبد ربه خنس ويقال رأسه كرأس الحية يضعه على ثمرة القلب

عنيه ويحدثه ، فإذا ذكر الله خنس وجاء بناؤه على الفعل الذى يتكرر منه فإنه كلما ذكر الله انخنس ، وإذا غفل عاد ، وقوله (من الجنة والناس) يعنى أن الوسواس نوعان إنس وجن ، فإن الوسوسة الإلقاء الخفى ، لكن إلقاء الإنس بواسطة الأذن ، والجنى لايحتاج إليها ونظير اشتراكهما فى الوسوسة اشتراكهما فى الوحى الشيطانى فى قوله (وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا شياطين الإنس والجن يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا ولو شاء ربك مافعلوه فذرهم وما يفترون) والله أعلم .

٭٭٭

هذا آخر ما وجدنا من كلام الشيخ محمد عبد الوهاب رحمه الله ورضى عنه وكرمه آمين .

والحمد لله أولا وآخرا وظاهرا وباطنا ، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

تم الجزء الأول ، ويليه : الجزء الثانى

وأوله : كتاب الغزوات البيانية والفتوحات الربانية

فهرس

الجزء الأول من تاريخ نجد

المسمى : روضة الأفكار والأفهام

الصفحة | الموضوع

الصفحة	الموضـــوع

كلمة الناشر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله مسهل الصعاب، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله والأصحاب

وبعد: فإنى لما رأيت تواريخ نجد قليلة الوجود، عزمت بحول الله تعالى على أن أنشرها لأبناء وطنى راجيا من الله المعونة والتوفيق.

وقد اخترت أن تطبع فى:

« شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر »

لعلمى بعنايتهم بالتصحيح والإتقان آخذين بقوله صلى الله عليه وسلم: « رحم الله امرأ صنع صنعة فأتقنها ».

ولا يفوتنى أن أذكر جملة من مطبوعاتنا التى طبعت فى السنوات ١٣٦٥ — ١٣٦٨، وهى: —

١ — إبطال التنديد باختصار شرح التوحيد.

٢ — القول السديد فى مقاصد التوحيد.

٣ — الأصول الثلاثة وأدلتها، وشروط الصلاة، والأربع قواعد.

٤ — الدين وشروط الصلاة.

٥ — دعاء ختم القرآن العظيم.

٦ — استنشاق نسيم الأنس من نفحات رياض القدس.

٧ — التطفلات الأدبية.

٨ — رسالة الأدعية التى تقال فى الطواف والسعى ... الخ

٩ — تحفة الناسك فى أحكام المناسك .

١٠ — حاشية على الأربعين النووية ، ومعها المتن المذكور ، وقد ألحقت بثمانية أحاديث من شرح ابن رجب .

والمصاحف بأنواعها ، والكتب الدينية ، والأدبية ، والتاريخية ، والدواوين الشعرية وغير ذلك .

شعارنا الصدق والأمانة والتضحية فى سبيل نهوض الوطن . نربح قليلا لنكسب كثيرا .

الناشر

عبد المحسن بن عثمان أبا بطين

صاحب المكتبة الأهلية

الرياض — نجد

تاريخ نجد

المسمّى

روضة الأفكار والأفهام

لمرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام

تأليف

الشيخ الإمام وعلم الهداة الأعلام

حسين بن غنام

رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه بفضله دار كرامته

ومشائخه والمسلمين آمين

الجزء الثاني

الطبعة الأولى

١٣٦٨ هـ - ١٩٤٩ م

على نفقة

الشيخ عبد المحسن بن عثمان أبابطين

صاحب المكتبة الأهلية — بالرياض نجد

شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب الغزوات البيانية والفتوحات الربانية

وذكر السبب الذى حمل على ذلك فنقول :

لم يزل الشيخ رحمه الله مقيما فى بلد العيينة على الحالة الموصوفة والطريقة المعروفة ، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، ويعلم الناس دينهم ويميت ماقدر عليه من البدع ، ويقيم الحدود ويأمر الوالى بإقامتها ؛ وفى تلك الأيام جرت قضية استنكرتها قلوب أهل الزيغ والجهل والردى الذين لم يستنشقوا من عرف الشريعة ريح الهدى وهى : أن امرأة من أهل العيينة زنت فأقرت على نفسها بالزنا وتكرر ذلك منها أربعا ، فأعرض الشيخ عنها ثم أقرت وعادت إلى الإقرار مرارا فسأل عن عقلها فأخبر بتمامه وصحته فأمهلها أياما رجاء أن ترجع عن الإقرار إلى الإنكار ، فلم تزل مستمرة على إقرارها بذلك فكانت أقرت أربع مرات فى أيام متواليات . فأمر الشيخ رحمه الله الوالى برجمها لكونها قد أحصنت ، وبذلك الإقرار قد صرحت وأعلنت . فأمر الشيخ عند ذلك أن تشد عليها ثيابها وترجم بالحجارة على الوجه المشروع ؛ فخرج الوالى عثمان وجماعة من المسلمين فرجموها حتى ماتت ، وكان أول من رجمها عثمان المذكور ، فلما ماتت أمر أن يغسلوها وأن تكفن ويصلى عليها . فلما جرت هذه القضية كثر القيل والقال من أهل البدع والضلال ، وطارت قلوبهم خوفا وفزعا ، وانخلعت ألبابهم رهبا وجزعا ، وداخلهم من حصول تلك القضية السوية ، والخصلة المرضية السنية ، والفعلة المحمودة السنية مالم يعاينوا قبله مثله حزن ، ولم يعرج على أسماعهم فى سابق الزمن ، وذلك لما ألفوه من الضلال والشرك ، وما عاشوا فيه من الفواحش والإفك ، كيف وقد أتاهم مالم يحتسبوا ودهمهم مالم يرتقبوا وطاف بهم مالم يسعهم منه أن يهربوا ، ومجت الأسماع ونفرت تلك الطباع ماليس لهم به دفاع مع كونه الحكم المشروع بالسنة والإجماع . فيالله العجب كيف تنكر القلوب والعقول سنة

الرسول وتطاولت ألسنة العلماء على من نصر الشريعة وحميت، ولـكن الحب يعمى ويصم لم يكن لهم عدول ولا إباء عن سنة الأسلاف والآباء ، وكذلك شأن النفوس إلى الباطل تميل ، ولايجد وازعا من نفسه إلى الحق إلا القليل . فنحمد الله المولى الجليل أن جعل الشيخ من هذا القبيل ، وبنصر السنة كفيل . ثم إن الشيخ لما أعياهم رد ما قاله من تلك المسائل الجليلة عدلوا إلى ردها بالمـكر والحيلة فشكوه إلى شيخهم الظالم سليمان آل محمد رئيس بنى خالد والحسا ، وكان قبحه الله مغرما بالزنا مجاهرا به غير مختف بذلك ، وحكاياته فى ذلك مشهورة ، وقصصه فيه غير محصورة، فأغروه به وصاحوا عنده وقالوا إن هذا يريد أن يخرجكم من ملـكـكم ، ويسعى فى قطع ماأنتم عليه من الأمور ويحسم مادة الأمكاس والعشور . فلما خوّفوه بزوال محبوبه وتفويت مطلوبه كتب إلى عثمان المذكور يأمره بقتله أو إجلائه عن وطنه وألزم عليه فى ذلك غاية الإلزام ، وشدد عليه فى حصول القصد والمرام ، وصرح له فى المـكتوب بأنك إن لم تفعل المطلوب فما لك عندى مستباح ، وليس علينا فى ذلك من جناح ، فآثر الدنيا على الدين وسلك منهج المبطلين ، وأمر الشيخ بالخروج ولم يكن إلى قتله سلم ولاعروج، وذلك لما اقتضته الحـكمة الإلهية والعناية الصمدانية من إحياء دارس السنة المحمدية والآثار السلفية، فخرج الشيخ إلى بلد الدرعية والسدة المرعية المحروسة إن شاء الله من كل بلية ، فنزل على عبدالله بن سويلم تلك الليلة فأقام عنده ذلك اليوم . ثم بعده انتقل إلى تلميذه الشيخ أحمد بن سويلم . فلما سمع بذلك الأمير محمد بن سعود أسكنه الله دار الخلود ، قام من فوره مسرعا إليـه ومعه إخوته ثنيان ومشارى ، فأتاه فى بيت أحمد بن سويلم فسلم عليه وبادره بالقبول والتقبيل ، وأبدى له غاية الإكرام والتبجيل ، وأخبره أنه يمنعه بما يمنع به نساءه وأولاده من جميع من عاداه وكاده ، إلا أنه طلب من الشيخ رحمه الله العهد والميثاق أن لايرحل عن بلده إلى سائر الآفاق ، وهذا من عناية الله تعالى بهذا الرجل وتوفيقه وإهدائه إلى سبيل الخير وطريقه و (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم) وكان الأمير محمد بن سعود فى جاهليته بحسن السيرة معروفا ، وبالوفاء وحسن المعاملة موصوفا ، مشهوراً بذلك دون من هنالك . فعند ذلك أعطاه الشيخ عقد المرام أن لايخرج عنه إلى بلاد ، وبعد ذلك قام يدعو الناس إلى ماخلقوا لأجله ويحثّ على ذلك بخيله ورجله حسب الاستطاعة لايفتر عن ذلك ساعة ،

وكذلك قام معه وزراؤه وأعوانه وأنصاره من أهل الدرعية وإخوانه . ومن مشاهيرهم ثنيان بن سعود ومشارى بن سعود وفرحان بن سعود والشيخ أحمد بن سويلم والشيخ عيسى بن قاسم ومحمد الحزيمى وعبد الله بن دغيثر وسليمان الوشيقرى وحمد ابن حسين وأخوه محمد وغيرهم ؛ فجردوا للدعوة أمضى سنان ، وأرخوا فى ذلك العنان من غير تراخ ولا نوان ، وشهروا سيف العزم وباتر الهمة والحزم ، جزاهم الله خيراً . وكانت هذه الأمور المذكورة والأفعال المقررة المسطورة فى حدود سنة سبع وخمسين بعد المائتين والألف من الهجرة النبوية . فلما استقرّ به القرار فى محروسة تلك الديار وساعده على إعلان تلك الدعوة الملك القهار ومن ذكرناهم آنفا من الأخيار حشرهم الله فى زمرة الأبرار ، بقى رحمة الله عليه وأجزل ثوابه لديه قريباً من سنتين من غير شك ولا مين يناصح الناس ، ويكشف عن الحق حجب الالتباس ، ويشيد السنة النبوية بأقوى أساس . وفى خلال هذه المدة أقبل إلى الدرعية للهجرة من أحسن الله قصدهم : منهم عبدالله بن محسن وإخوته زيد وسلطان المعامرة وعبد الله بن غنام وأخوه موسى، وهاجر مع هؤلاء خلق كثير. وبعد أيام قليلة لم يجد عثمان من القدوم على الشيخ وابن سعود من حيلة لما رأى من جماعته وشاهده، وعلم أن الله رفع للدين مصاعده . فأقبل إليهم وقدم عليهم وحاول الشيخ فى الرجوع إلى بلده فأحال الأمر على محمد بن سعود فأبى ولم يسعفه بالمقصود ، فرجع على عقبه ولم يفز بغاية طلبه . فأضمر العداوة والشر وجدّ فى الغدر والمكر . وفى أثناء تلك المدة أيضاً ناصح الشيخ والأمير محمد بن سعود دهام بن دواس رئيس البلدة المعروفة بالرياض ، فاجتهدوا فى ذلك غاية الاجتهاد . فلم يكن له إلى قبول الحق ارتياض ، بل أعرض عنه نهاية الإعراض واعتاض الدنيا عن الآخرة وبئس الاعتياض ، وحمله على ذلك البغى والحسد اللذان قلّ أن يخلو منهما جسد وينجو منهما أحد ، وإلا فهو قد أقر بأن هذا هو الدين وأن مايدعو إليه هو الحق المبين، وقد صح النقل عنه والنطق بذلك منه ، ولكن حقت عليه كلمة العذاب وسبق له ذلك فى أم الكتاب، فأبطن عداوة هذا الدين ، وأظهر موالاة المبطلين ، وكان هذا الدين قد فشا فى بلده ودخل فيه كثير منهم ، فإذا رأى من جماعته من يحب هذا الدين ويفشيه أخذ يصادره ويؤذيه ، وإذا رأى عدوا يقربه ويؤويه ، فجعل يتزايد فى العداوة ويتظاهر بقمع الحق لما كتب له من الشقاوة، ويعلن

بالقبائح الشنيعة والفضائح الفظيعة ، إذ كانت من أخلاقه القديمة وأفعاله القبيحة الذميمة.
وكان أبوه رئيساً فى بلد منفوحة متغلبا عليها فقتل أناسا من جماعته من المزاريع ظلماً وعدواناً ، فبقى بعد ذلك زمانا ثم مات . وتولى بعده ابنه محمد ، فقام عليه ابن عمه زامل بن فارس هو وبعض أهل منفوحة فقتلوه وأجلوا إخوانه ، ومن جملتهم دهام وإخوته عبد الله وتركى ومشلب وفهد ، فاستوطنوا الرياض وكان واليها إذ ذاك زيد بن موسى أبا زرعة . فلما قتل زيد المذكور على غير سبب مأثور ، وكان الذى قتله أحد بنى عمه ، وكان معتوه العقل صعد إليه وهو نائم فى علية له فذبحه بسكين معه . فلما قتله جاءه عبد لزيد يقال له خميس فقتله ورماه من رأس العلية ، فتغلب العبد المذكور على بلد الرياض ، وكان أولاد زيد إذ ذاك صغارا وزعم أنه قابض لهم حتى يتأهلوا لذلك . فأقام والياً عليهـا مدة يسيرة نحو ثلاث سنين ثم هرب خميس من الرياض خوفا من أهلها لأمور جرت منه . فأقام فى الحاير مدة ثم أتى منفوحة فأقام بها مدة ، ثم عدا عليه رجل من أهلها كان قتل أباه زمن رياسته على الرياض فقتله ثم بقيت الرياض مدة يسيرة بلا رئيس ، وكان دهام بن دواس مدة تغلب خميس على الرياض خادما له . فلما بقيت الرياض بعد هروب خميس بلا رئيس ترأس فيها دهام ابن دواس بشبهة أن ابن زيد أبا زرعة هو ابن أخت دهام، فزعم أنه يكون نائبا عنه فى ذلك حتى يكبر ويعقل ثم بعد ذلك يتخلى له عن الولاية ويتصل ، وهيهات الرجوع عن الأخلاق والطباع وردع النفوس المجبولة على البغى والأطماع، فجرى مع ابن أخته على عادته وسنته وعامله بما رسخ فيه من جوره وسطوته ، فأجلاه عن البلاد وأخلفه ذلك الميعاد، فبعد صدور هذه القضية واشتهاره بهذه الفعلة الردية كرهه أهل الرياض وسعوا فى عزله إذ لم يكن لهم حيلة إلى قتله ، فاجتمعوا عليه وأحاطوا بقصره وحصروه فيه ؛ وكانوا عامة وغوغاء ليس لهم رئيس يرجعون إلى أمره ولا مصدر يصدرون عن رأيه وفكرته . فأرسل أخاه مشلباً راكبا فرسا إلى محمد بن سعود أمير الدرعية يطلب منه النجدة والنصرة على تلك الرعية ، ويتضرع أن يعينه على دفع تلك البلية فعند ذلك قام له محمد بالنصرة أتم قيام ، وأرسل إليـه من الجنود فئام ورئيسهم مشارى بن سعود ، فبلغ دهام بمجيئهم المرام والمقصود، فخرج من قصره مع تلك الجنود وقتلوا من أهل الرياض ثلاثة أو أربعة رجال ثم فروا بلا توان ولا إمهال . فبعدها

قرّ ملكه فيها ، وأقام رئيسها وواليها وأقام مشارى عنده شهورا ، ولم يتوقع ماصدر من الخبيث من الشرور ، فاستفحل أمره وتعاظم فجره ونكره وتزايد على الرعية شره وتوالى عليهم ضره وتظاهر بأمور ، وأعلن بفجور تحاكى الأفعال النمرودية والقضايا الفرعونية : فمنها أنه غضب يوما على امرأة فأمر بفمها أن يخاط ويتكرر فى شفتيها تردد المخاط . ومنها أنه غضب يوما على رجل فقطع من فخذه قطعة وقال : لابد أن يسيغها مضغة مضغة فحاول الرجل المعذب بعد أن لم يجد له مهربا أن يأكلها بعد أن تشوى فلم يسعفه بذلك فأكلها نعوذ بالله من البلوى . ومنها أنه غضب يوما على رجل مسجون ذكر له أنه فك بأسنانه الحديد ، فأمر بمقمعة من حديد فضربت بها أسنانه فتساقطت فى مرة بلا ترديد . ومنها أنه غضب على رجل آخر فأمر بقطع لسانه فقطعه بعض أعوانه ، وله قضايا مثل هذه كثيرة ، ونظائر محققة شهيرة ، فلم يزل فى تلك الحال وأهل بلده يعانون منه التنكيل والوبال ، ثم لما من الله تعالى بظهور هذا الدين ولمعت شوارق الحق المبين ونادى منادى المولى الكريم (إنك لعلى هدى مستقيم) دعى دهام إلى هذا الحق الواضح والبرهان الساطع اللائح ، فأبى ونفر وأعرض واستكبر بل صد الخلق عن الدخول فيه وحذّر ، وأخذ يسعى لأهله بالمكائد ويترصد فى عداوتهم المراصد ويستليح كل معاند وجاحد . فأول ماتظاهر فى هذا الدين بالعداوة والحرابة وجمع لذلك أعوانه وأحزابه أخزاه الله تعالى وجعل النار مآبه أنه خان أهل منفوحة وهم إذ ذاك قد دخلوا فى هذا الدين ، وللأمير محمد بن سعود من المتبعين ، وهو إذ ذاك مظهر لمحمد بن سعود الصداقة والاتفاق ، ولم يتبين منه قبل هذه الخيانة شقاق . وحاصل ما جرى منه ، وصفة ماصدر عنه أنه عدا عليهم صباحا ومعه بعض البوادى فرقان من آل ظفير وأهل منفوحة على غرة وغفلة ، لم يتبين من العداوة لهم شئ ، فكمن لهم فى أحد دور البلد ليلا وأمر البوادى والخيل أن تغير على بعض الزروع والنخيل لكى يخرج أهل البلد فيعقبهم الكمين على البيوت . فلما أصبح الصباح وغارت الخيل والبادية على النخيل وفزع أهل البلد عليهم ، ولم يبق فى البلاد أحد من المقاتلة ، خرج الكمين ودهام معهم فلم يخطئوا قصر الإمارة فصعدوه وقهروا البلد وأقاموا فى ذلك ساعة . فلما علم بذلك من خرج رجع على عقبه وانزعج وهموا بالرحيل والنقلة بلا تثبيط ولا مهلة حتى إن الله أعقبهم بالنصر والفرج . فانشرح

صدر كل موحد وابتهج . وسبب ذلك أن على بن مزروع وطائفة معه من أهل الدين ثبت الله أقدامهم وأعانهم وأعظم إكرامهم صعدوا بعض البيوت المشرفة على قصر الإمارة ، وبقوا يرمونهم منه حتى قتلوا منهم أناسا . فلما أعيتهم الحيل وضاقت عليهم السبل ، وتحققوا أنهم إن بقوا ساعة هلكوا ، بعد ماجزموا أنهم ولوها وملكوا ، رموا بأنفسهم من وراء الجدار إذ لم يكن لهم على معاينة الحمام اصطبار ، فهربوا وقد لبثوا ثياب الخزى والخيانة والعار ، وتردوا برداء الردى والشنار ، وصاروا عقبى من ثاواهم وأخفاهم عنده فى تلك الدار . شناعة السمعة ، وحلول الدمار ، وقتل من أشرارهم ورؤسائهم وفجارهم درع الصمعر وخضير الصمعر وزهمول الفضلى ،وغيرهم نحو الأحد عشر ، وأصيب دهام صوابين وقتل حصانه وقطعت أصابع رجله وهرب هو ومن معه يعضّ أنامله من شؤم فعله ، ويتجرع حرارة الجرح والصلف ، ويتحسى مرارة الندم والأسف . ثم لما تظاهر بعداوة الدين وعداوة بن سعود وتمزى بذلك وتميز ، وسوّل له الشيطان أنه للسياسة قد أحرز حاربه ابن سعود . فلما تيقن ذلك حمله الشيطان من التيه والطغيان على نذر جزور لتاج بن شمسان إن قطع ابن سعود على الفوارة عادين على بلادى . فلما بلغ ابن سعود وإخوانه المسلمين ذلك تعاهدوا على أن أول عدوة يعدونها عليه تكون فى قصره فوفوا بذلك الوعد ، وبذلوا لتحقيقه الجهد فأتوا إلى باب القلعة التى فيها قصره فشذبوا الباب بالمنشار ، ودخلوا بيت ناصر بن معمر وتركى بن دواس ، فعقروا فيهما إبلا كثيرة ورموه بالرصاص وهو فى عليته ثم خرجوا سالمين ولله الحمد ، ثم بعد ذلك بيسير عدا ابن دواس على العمارية فقتل عبد الله بن على وعقروا إبله . فلما بلغ ابن سعود ذلك جمع أهل الدرعية وأهل عرقة فرأى أنه يرصدهم ، ويكمن لهم فى فيضة لبن لأنها طريقهم الذى يرجعون منها ، وكان ابن دواس قد كمن فيها ورصد هو وإخوانه خوفا على عدوته أن يسد عليهم الطريق ، ولم يشعر بذلك ابن سعود وجماعته حتى توافى الفريقان فى الغيضة ، واقتتلوا ساعة ثم انهزم دهام وجماعته والمسلمون بأثرهم ، حتى طلعت عليهم عدوة ابن دواس التى صدرت من العمارية ، فلم يشعر المسلمون إلا وهم خلفهم فانكسروا ، ولم يقتل إلا رجلان أو ثلاثة منهم أكرمهم الله بالشهادة ورجع كل منهم وقصد بلاده . ثم بعدها بمدة يسيرة جرت واقعة مذكورة شهيرة تدعى وقعة الشياب لأنه قد قتل منها شياب

من آل ابن شمس من أهل الرياض . وصفتها أن عثمان بن معمر مع جماعته من أهل العيينة ومحمد بن سعود مع جماعته من أهل الدرعية ساروا جميعا إلى أهل الرياض ، فلما قربوا من البلد أغار بعضهم على نواحيها وكمن بعضهم . فخرج دهام مع أهـل الرياض فالتقوا بمكان يسمى الوشام خارج السور . فلما خرج الـكمين عليهم انهزموا ولم يأل أحد على أحد ، بل كل منهم عربد وشرد ، وقتل منهم نحو العشرة من المشهورين : منهم أحمد بن على بن ناصر وشايبان من آل شمس . ثم بعدها الوقعة المسماة بوقعة العبيد ، وذلك أن ابن سعود خرج فى أهل الدرعية وقرأها خاصة ، وصار على أهل الرياض وعبأ كمينه فى جرف يقال له جرف عبيان ، ثم أغار على البلد فخرج ابن دواس ومن معه من المقاتلة خارج السور . فلما التقى الفريقان خرج الـكمين فرجع دهام ومن معه مكسورا ، وقتل منهم نحو العشرة غالبهم عبيد ، ولهذا سميت بهم الوقعة بلا ترديد ، وتسمى أيضاً وقعة غيبة لأن القتلى بقوا فيها أياما بلا دفن . وكفى بذلك مصيبة ، وبقى دهام بعدها متحسراً ، وفى أمره متندما متحيراً إلا أنه للحرب فى تهيؤ واستعداد ، وفى التأهب للملاقاة وجمع الأمداد طلباً للمقاضاة والأخذ بالثأر ليشفى الفؤاد . فأجمع أمره وصمم رأيه وفـكره أن يأتى إلى الدرعية ويغير ويجعل الـكمين فيما خفى من الحفير ، فجمع الحاضرة والبادية فأصبحت خيله على البلاد عادية ، فخرجوا إليه سرا ولم تأل المقاتلة غير القتال دفاعا . بل باعوا النفوس دفعاً عن الحرم حتى كشفه الله تعالى فانهزم ، غير أن المسلمين لما ظهر عليهم الـكمين ولى غالبهم مدبرين وقتل خمسة من المسلمين ومن مشاهيرهم فيصل بن الأمير محمد بن سعود وأخوه سعود ابن الأمير محمد ، وكان الأمير محمد رحمة الله عليه حين خرج ورأى أن الغارة لم تفد ولم تعرج على نقش أحد أشار برأى مبارك ميمون ، وهو أنهم إلى بلادهم يرجعون ولا يناشبونهم القتال خوفا من الـكمين بالرجال ، ولـكن كان ذلك فى الـكتاب مسطوراً وكان أمر الله قدرا مقدورا . وبعد هذه شمر الأمير محمد للحرب ساعده ولم تـكن همته عن القتال قاعدة ، بل كانت إلى ذرى المعالى صاعدة ، وفى هذه الواقعة من الفوائد النافعة والمصالح الجامعة لمحمد والمسلمين مالا نحده ولا نعده تحريرا ، (وعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيرا كثيرا) ، وكانت هذه الوقائع المسطرة والأفعال المقررة فى حدود السنة التاسعة والخمسين بعد المائة والألف . ثم دخلت سنة

الستين بعد المائة والألف ، وفيها وقعة تسمى وقعة دلقة . وذلك أن أهل العيينة
وأهل حريملا وأهل الدرعية وقراها وأهل منفوحة خرجوا فى ربيع الأول يريدون
الرياض ومصادمة أهلها فيها ، فانفلت رجل من أهل حريملا يقال له أبو شيبة من آل
داود فأنذر دهاما وجماعته ، فلم يأتهم المسلمون إلا وهم مستعدون للقتال فصبحهم
المسلمون فى جوف البلد فلذا سميت وقعة دلقة فاقتتلوا فيها قتالا شديداً وحمى القتل عند
باب القصر والتقى دهام بن دواس مع حمد بن محمد بن منيس وكان فاتكا وتقاتلا
راجلين ، فضرب حمد بن محمد دهاما ضربات بالسيف فى جسده ورأسه حتى أتى موسى
ابن عيسى الحريص إلى حمد بن محمد من خلفه فقتله وصار سبباً لسلامة دهام بعد أن
أشرف على الحمام ، ثم لم يكن جزاؤه له مع فعله فيه الجميل إلا المعاقبة والتنكيل ، وذلك
أن موسى بن عيسى بان له الإسلام وأراد الهجرة فذكر ذلك لدهام فأمر بقطع يده ورجله
فقطعتا ونفاه إلى الدرعية فلم يبرح إلا ثلاثة أيام فمات ، وقتل فى ذلك اليوم من أهل
الرياض محمد بن سوداء وسرحان البكاى وابن مسيفر وثمانية غيرهم . وأما الجراحات
فكثيرة ، واستشهد من المسلمين حمد بن محمد وحمود بن حسين بن داود وسليمان الزير
وحسن الشميرى وغيرهم ، وكانت تلك الغزوة من غير رضاء عثمان بن معمر ومشورته
لما يتهمونه من النفاق وموالاته لأهل الباطل خفية إلا أن هذه الوقعة زادته رجسا
إلى رجسه وخبث بها دغل نفسه ، ثم لما رجع كل إلى بلده وآب إلى مسكنه ومعهده
ومر أهل حريملا على العيينة طلب عثمان بن معمر من أمير حريملا محمد بن مبارك العهد
والميثاق على الإخاء والمصافاة والاتفاق ، وذلك لما أبطن من الشر كما كان شأن ذوى
النفاق مع أن قلبه قد ملئ من الرعب والوجل وخالطه الخوف والذل والخجل ؛ ثم
إن عثمان غشيه الندم وجلله الفشل حيث لم يكن مع الغزاة قد عزم وخشى وقوع
الاذلال والإهانة وتصديق ما يرمى به من النفاق والخيانة ، فأرسل إلى الشيخ وإلى
الأمير محمد بن سعود يستشفع إليه بكل صديق وودود فى قبول العذر والاعتذار
والصفح عن التخلف الذى صار . فقبلا منه جلىّ عذره رجاء منهما أن لا يعود إلى مكره
ثم إنه قدم إليهم ووفد عليهم ومعه وجوه أهل حريملا والعيينة وعاهد الشيخ ومحمد بن
سعود على الجهاد والقيام بالنصرة والاستعداد ولو إلى أية بلاد فتوهموا فيه الصدق
والوفاء وغاب عنهم ما كمن بقلبه واختفى ، فعندها رأسوه وكبروه ورفعوه على المسلمين

وأمروه وصار ابن سعود له منقاداً ولأمره طالباً مرتاداً ولا يخالفه ولا يشاققه بل يتابعه ويوافقه في السفر والبلاد والغزو والجهاد ، وكان من أعظم ما على عثمان به نقم وأوضح مارمى به واتهم،أنه أرسل إلى إبراهيم بن سليمان أمير ثرمدا وأمره أن يركب إلى دهام مع جماعته ويسوسه ويزين له الاتفاق مع عثمان والقدوم عليه إلى العيينة ويتفوه في المجالس والمحافل أنه لمنهج الإصلاح مائل ولتكثير سواد المسلمين فاعل والله أعلم أنه خائن خاتل،فحسن له تلك الأفعال وقدم إبراهيم مع دهام بلا إمهال فاجتمعوا عند عثمان في ذلك المكان وكان ذلك من غير مشورة للشيخ وابن سعود ولا غيرهما من الأعيان فصار سببا لما ناله من الذل والهوان فحين علم بذلك أهل البلد ورأوا دهاما إليه قصد شق عليهم ذلك وعابوه ، ولكنهم من الفتك به هابوه ، وذلك أنهم عرفوا مراده وقصده وتحققوا ما بذل فيه طاقته وجهده لما يشاهدونه منه ويأثرون عنه من موالاته أهل الضلال والمبطلين وإبعاده عن حزب الموحدين ، فاجتمع أهل البلد جميعا وساروا إليه سريعا ، فلما اجتمعوا عنده ورأى ما أصابهم من الكآبة والشدة موه عليهم مطلوبه وقصده ، وقال لهم ليس لي مراد إلا الإرسال للشيخ من تلك البلاد حتى يحضر عقد الصلح ويتم بمجيئه المرام والصلح ويدخل دهام في دائرة الإسلام ويحكم عليه العهد غاية الإحكام ، فاطمأنت نفوس القوم لأجل قوله ذلك اليوم ؛ ثم إنه أرسل إلى الشيخ تلك الليلة وأعملوا في قدومه الحيلة يحثه على المجيء والحضور ويستدعيه إلى ما دبره من الأمور ، وقد ألقى الله في روع الشيخ خيانته وتحقق أنه لم يوف أمانته بل حكي أن الشيخ جاءه النذير يحذره عن الحضور والمسير ، وأبدى غاية الامتناع واعتذر عن الموافاة والاجتماع ،فلما أخبرهم الرسول بعدم القدوم والمثول عرف المسلمون من أهل البلد ما أعمله عثمان من المكر واجتهد فحصروا ابن دواس في قصر عثمان وهموا به إذا خرج بلا استئذان فلما جن الظلام خرج دهام هاربا ولبلده طالبا وللهوان والخزي كاسبا ، وكان صدور هذا الأمر منه والتفوه بالمكر عنه قبل أن يأتي إلى الشيخ والأمير محمد ويأخذ منهما العهد المجدد ، فلما تحقق عثمان من جماعته الغيظ والغضب خاف من وقوع الشقاق وارتقب وأخذ يصانعهم ويرضيهم بقوله ويعتذر إليهم مما صدر عن فعله لعلهم إلى ما كانوا من محبته يرجعون ، وما ربك بغافل عما يعمل الظالمون ؛ ثم لما أبطل الله تعالى كيدهم وما أرادوا وعلموا أنهم تضمخوا بقذر

الخيانة وما أفادوا ، ووصل إبراهيم بن سليمان إلى ثرمدا تدرع لباس الحرابة وارتدى وتنصل عن الدين واعتدى وفارق منهج الحق والهدى وبادر المسلمين بالحرب وابتدا .

ثم دخلت السنة الحادية والستون بعد المائة والألف وفيها جرت وقعة تسمى وقعة البنية وذلك أن عثمان بن معمر لما أعطى العهد وأمر كما ذكرنا سار بمن معه من أهل العيينة وأهل حريملا ومحمد بن سعود وأهل الدرعية وقراها وأهل ضرما إلى الرياض فأتوها من شرقيها يمشون فى وادى الوتر حتى نزلوا بين العود والبنية ، فلم يجر ذلك اليوم قتال إلا أن رجالا من المسلمين تراموا مع أهل البلد من بعيد ، فقتل من أهل الرياض سليمان بن حبيب وأناس معه وأصيب منهم كثير ودخل قلوبهم من الرعب أمر كبير واستشهد من المسلمين عبدالله بن عبيكة وابن عقيل ، فلما كان آخر اليوم سار المسلمون إلى منفوحة وأقاموا بها ثلاثة أيام يتداولون الرأى ويبرمونه غاية الإبرام حتى انتظم الرأى واتفق واجتمع الفكر وانتسق على المسير إلى الرياض والمكابرة ومنازلتهم بالجد والمصابرة ، فتعبأ المسلمون للقتال وافترقوا فرقتين للمحال فعمدت فرقة إلى صياح فدخلوه وقت الصباح فاستولوا على مافيه من الأموال وذلك بعد شدة القتال وقتل من مشاهيرهم موسى بن عبد القادر والفرقة الأخرى ساروا إلى أهل حريملا وأهل عرقة فعمدوا إلى مقرن فدخلوها حتى وصلوا إلى الظهيرة وكان جملة أهل البلد قد اجتمعوا فيها عند قصر دهام بن دواس فاقتتلوا مليا ، ثم خرج من ذكرنا من المسلمين بعد ما اجتمع عليهم أهل البلد منهزمين وقتل من المسلمين خمسة وعشرون رجلا فخرجوا مسرعين، ثم إن دهاما وقومه لما فرغوا من قتال تلك الطائفة أسرعوا فى المسير إلى صياح وكان من وليها من المسلمين إذ ذاك فى البيوت والنخيل متفرقين فدهمهم فيها دهام وأكرم الله بالشهادة من قرب له الحمام وجاءهم بمن معه بغتة وكان افتراقهم ذلك اليوم فلتة فقتل منهم عشرين وكان جملة من استشهد ذلك اليوم خمسة وأربعين ، ثم لما ظهر المسلمون على البلاد اجتمعوا خارجها فهدموا جدران البنية ، وهدموا تلك المربعة المبنية فلهذا سميت بهذا الاسم ووسمت بهذا الوسم ثم رجع كل إلى بلاده ووطن أهله وأولاده ، وفى السنة المسطورة جرت وقعة تسمى وقعة الحزيزة وسميت بذلك لكون القتال فى مكان يقال له الحزيزة وذلك أن عثمان بن معمر سار بأهل العيينة وحريملا وعبد العزيز بن محمد بأهل الدرعية وقراها وأهل ضرما ، فساروا

جميعاً وأميرهم عثمان بن معمر حتى نزلوا بصياح، فلم يكن لأهله عن الخروج من براح ،
فخرجوا إليهم سراعا وراموا عن البلد دفاعا فاقتتلوا قتالا شديدا وقتل من أهل الرياض
ستة تقريباً لا تحديدا ، وقتل من أهل العيينة نحو عشرة رجال ومن أهل الدرعية
ومنفوحة ستة بلا إشكال، وقطعوا من الثمار المعلقة أربعة من النخيل محققة ثم رجعوا
إلى بلدانهم وساروا إلى أوطانهم . وفى السنة المسطورة أيضا جرت وقعة عظيمة
تسمى وقعة البطين لكون الواقعة والقتال صدر فى مكان يقال له البطين وذلك أن
عثمان بن معمر سار بأهل العيينة وحريملا وعبدالعزيز حرسه الله تعالى بأهل الدرعية
وقراها وأهل ضرما والأمير على الجميع عثمان فساروا إلى ثرمدا فنزلوا بها ليلا حتى
انفلق الصبح وبدا وقد جعل المسلمون لهم خارج البلد كمينا يكون لهم إذا نشب القتال
معينا ، فلما أصبح الصباح واتضح النور ولاح خرج أهل البلد إليهم وأقبلوا للقتال عليهم
وتناشبت الرجال وضاق مجال القتال خرج إذ ذاك عليهم الكمين فولى الكفار
مدبرين ومنح الله تعالى المسلمين أكتافهم وقتل أشرافهم وكانت القتلى نحو السبعين
على سبيل التحقيق لا التخمين ، ثم بعد ذلك التجئوا إلى قصر يسمى قصر الحريّص
فتحصنوا فيه وخلت البلاد من المقاتلة فأشار عبدالعزيز وجماعة معه على عثمان بدخول
البلد والمعاجلة فأبى عثمان من ذلك وكانت منه مكيدة ومخاتلة ، فعند ذلك استطال عليه
عبد العزيز بالكلام ووبخه ولامه غاية الملام ثم إن عبد العزيز حفظه الله تعالى نهض
مريدا دخول البلاد من غير توقف ولا استرداد وأمر بذلك جميع أتباعه فبادروا
لامتثال أمره واتباعه ولكن كان الذى معه ذلك اليوم نزر يسير ومع عثمان الجم
الغفير ، ثم إن عثمان بن معمر بعد تلك المراجعة وصدور تلك المنازعة ارتحل راجعا
إلى بلاده وبقى عبد العزيز متحيرا بين الدخول فيفوز بمراده أو اللحوق بعثمان فيوافقه
فى ارتياده حتى اختار الله تعالى له ما اختار فجد فى لحوقه فلم يأته إلا آخر النهار وأعظم
ما صرف رأى عبد العزيز عن دخول البلاد قلة من بقى معه من الأجناد فأشار عليه
وجوه من بقى معه أن يلحق بعثمان فلحق به وتبعه إلا أن الأحوال متغايرة والقلوب
بينهما متنافرة فلما أضاء صبح الليلة وأسفر جمع عبد العزيز حرسه الله تعالى جميع
الغنيمة وأحضر ونادى بالرحيل فى قومه وثور وأخذ سائرا على طريق الخبرة لما أجمع
على المفارقة أمره وقال لا بد من إحضارها عند الشيخ وابن سعود حتى يقسماها على

المنهج المحمود فقدم بها عليهم وأحضرها لديهم . وفى تلك السنة أيضا غزا المسلمون ثرمدا مرة ثانية ، ولم تكن همتهم عن الجهاد وانية والأمير عليهم عثمان ، ولم يخرج من أهل البلد للقتال إنسان فدمر المسلمون المزارع إذ لم يحل دونها من مدافع ، ثم انقلبوا مسرعين وإلى بلدهم راجعين . وفيها أيضا غزا المسلمون ثادق فلما وصلوا إلى قرب تلك المرافق وكان وصولهم ليلا وعبئوا الجيش واستعد الكمين حتى ينشب القتال ويستبين فلما خرج المقاتلة ظهر الكمين بالمعاجلة فأخذوا عند ذلك منهج الفرار ولم يكن لهم على لقاء المسلمين من قرار ، وقتل منهم عند الانكسار محمد بن سلامة وستة معه وأخذوا جميع الغنم المرتبعة . ثم دخلت السنة الثانية والستون بعد المائة والألف وفيها وقعة تسمى الحبونية سميت بذلك لأن القتال بها صار وهدم مابها من جدار ، وذلك أن المسلمين ساروا إلى الرياض وأميرهم محمد بن سعود رحمه الله تعالى ، فلم يصلوا إليها إلا وضوء الصبح قد انتشر وخرج أهل البلد إذ لم يأتهم مايوجب الحذر هذا وجيش المسلمين قد استعلى على تلك البروج ، فلم يكن لأهل البلد إليها من عروج وأخذوا يترامون معهم بالرصاص ، ولكن ليس إلى المقاربة من سبيل ولا مناص ، وقد قتل بينهم رجال فى ذلك المجال فقتل من المسلمين ثلاثة عبد الله بن شوذب وعبد الله بن حمود وغنام بن دعيج وقتل من أهل الرياض سبعة منهم عبدالله ابن سبيت ، فلما غربت الشمس ذلك اليوم سار المسلمون إلى منفوحة ، وقد وقعت فى هذه السنة وقعات كثيرة لكنها صغار فلهذا لم يكن لنا إلى تعدادها اعتبار . ثم دخلت السنة الثالثة والستون بعد المائة والألف وفيها مقتل عثمان بن معمر جزاء لما أبطنه وأضمر وذلك أنه لما تزايد شره على أهل التوحيد وأخذ يعمل فى إذلالهم بلا ترديد وظهر للمسلمين بغضه وبدا لهم منه هجرانه ورفضه وتبين لهم موالاته لأهل الباطل وماربك عما أراده بغافل وتحقيق تقريبه للمنافقين واستئلافه واشتهر شقاقه للمسلمين واختلافه وكانت حاله بذلك شهيرا (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ماتولى ونصله جهنم وساءت مصيراً) فلما تحقق الشيخ عنه ما ذكر وتيقن ما سطر وجاءه أهل البلاد كافة وشكوا إليه خشية الغدر والمخافة وتثبيت فى تسطير هذه الانقال وتحرير ما يرمى به من سيء الأفعال وتحقق ماله أنمى وخشى على المسلمين وقوع مابه رمى قال لمن قدم إليه ووفد عليه من أهل العيينة أريد

منكم البيعة على دين الله ورسوله وعلى موالاة من والاه ومعاداة من حاربه أو ناوأه ولو أنه أميركم عثمان فأعطوه على ذلك صفقة الايمان فتتابعوا على البيعة أفواجا فملىء قلب عثمان من ذلك رعباً وانزعاجا ؛ فعند ذلك زاد ما به من الغل والحقد وزين له الشيطان أنه لايفوز بالقصد حتى يفتك بأهل الإيمان ويجلى من يسلم لأقصى البلدان فينجلى مابقلبه من الهم والأحزان ، فأرسل لابن سويط وإبراهيم بن سليمان يحثهم ويدعوهم إلى المجىء عنده والاجتماع حتى ينفذ ما عزم عليه بالمسلمين من الايقاع ، فلما تحقق أهل الإسلام ماعزم عليه من ذلك المرام وأبرز الملك العلام لذوى الألباب من الأنام مصداق قوله (إن الله عزيز ذو انتقام) فتعاطى الأيمان على قتله من أهل التوحيد أناس أرادوا بذلك القربة وإراحة الناس وإزاحة ما عزم عليه من إيقاع النقمة والباس ومن مشاهيرهم حمد بن راشد وإبراهيم بن زيد فأبطل الله بهم ذلك المكر والكيد ، فلما انقضت صلاة الجمعة وخرج سرعان الناس مسرعين قتلوه فى مسجده ومصلاه وأريح المسلمون من أذاه فلم ينتض لذلك سنان بل لم تنتطح لمقتله عنزان بل أغمدت والله المحمود قواضب الفتنة وأخمدت لواهب المحنة واطمأنت المسلمون (أم أبرموا أمرا فإنا مبرمون ـ ومكروا مكرا ومكرنا مكرا وهم لايشعرون)) فلما قدم إلى الدرعية بتحقيق هذه القضية وأسرع بذلك إلى الشيخ والأمير محمد البشير عجل الشيخ إلى العيينة المسير ، وذلك لما خشيه من الاختلاف وعدم الموافقة والائتلاف ، وقدم عليهم ثالث يوم فهدأت لمقدمه نفوس القوم وتجاذبوا عنان الرأى والمشورة والقضية فى ذلك مشهورة فى الترئيس والتأمير وتفويض الرياسة والتدبير ، والكل بما يوافق مراده مشير ، إلا أن أهل التوحيد والإيمان ، لاسيما من باشر أو سعى فى قتل عثمان ، حاولوا أن لايؤمر من حمولة ابن معمر ولا يولى عليهم منهم إنسان ، خشية أن ينالهم منه ذل وهوان ، فلم يوافقهم الشيخ فى مرادهم ، ولم يعرج على اجتهادهم ، بل أبى وأعرض عن ذلك ، وجنح إلى تمهيد المسالك وإيضاح المحجة للسالك ، فرأس عليهم مشارى بن معمر وكبره فيهم وأمر ، وكان ذلك منتصف رجب ، كما حققه من حسب . وفى هذه السنة أيضاً ، وقعة تسمى وقعة البطحاء ، وذلك أن المسلمين عدوا على الرياض ليلا فدخلوا البلاد ، واستحر القتال والجلاد عند باب المروة بعد مادخلوها بجوة ، فلما تراجع على المسلمين الإفزاع نهض غالبهم إلى الخروج والإسراع ، ودارت

رحى الحروب على سبعة ، وحصلت لهم من الله إعانة ومنعة ، منهم على بن عيسى الدروع ، وسليمان بن موسى الباهلى ، ومحمد بن حسن الهلالى ، وعلى بن عثمان ابن ريس ، وعبد الله بن سليمان الهلالى وإبراهيم الحر ، فاقتتلوا أشد القتال مع ضيق المعترك والمجال ؛ فقتل تلك الساعة من مشركة تلك الجماعة : ناصر بن معمر وجنيدل وخمسة أخر ، ولم يقتل من المسلمين إلا عبد الله بن سليمان ، وسليمان بن جابر من الأولين . وفيها أيضاً جرت وقعة تسمى وقعة الوطية ، وكانت من أعظم قضية ، وذلك أن المسلمين غزوا وأميرهم عبد العزيز حفظه الله وساروا إلى ثرمدا سريعا ، فجاءهم النذير ، فاجتمعوا مع أهل وثيثا ومراة جميعا ، فلم يأتهم الجيش والأجناد إلا وهم فى أتم الاستعداد ، وتأهب للجلاد ، وقد برزوا خارج البلاد ، ولكن المسلمون قد أعدوا لهم كميا ، فلما استمر القتال مليا خرج عليهم ذلك الكمين ، فانهزموا مدبرين ، وقتل منهم خمسة وعشرون ، منهم أمير وثيثة على بن زامل ، وسيهان وكثير من تلك الشجعان . ثم دخلت السنة الرابعة والستون بعد المائة والألف ، وفيها عدا المسلمون على الرياض فاقتتلوا داخل البلد حتى ذهب الصبر والجلد ، وتلاحقت أهل البلاد على المسلمين فخرجوا بعد القتال منهزمين ، وقد قتل أناس من المشركين وقتل نحو الثمانية من المسلمين ، منهم على بن عيسى الدروع خانه القضاء ، فلم يفر لما كثرت عليه الجموع رحمه الله ، وكان من الفتاك والشجعان المشهورين بالعلو على الأقران والصبر عند الطعان فى ذلك الوقت والزمان . وفيها ارتد إبراهيم بن محمد ابن عبد الرحمن أمير ضرما ، ورجع عن الإسلام وخان وقتل من أشراف جماعته وقومه لشؤم فعله ولؤمه عمر الفقيه ورشيد العيزار وابن عيسى لكونهم من أهل الإسلام والدين ، وفى الدنيا من أهل الثروة والتمكين ، فأخذ مالهم بعد قتلهم أجمعين ، فلم يقم بعد هذه الفعلة سوى أربعة شهور فى المهلة حتى قتل هو وأولاده عيدان وسلطان وأناس غيرهم من الأعوان المشهورين بالتعدى والطغيان ، وهرب من سلم إلى سائر البلدان . وصفة ما صدر أن آل سيف السيارة صقر وإخوانه وإبراهيم ابن سلطان آل ذباح ، تعاهدوا وتعاطوا الأيمان على الفتك به لما ارتد وخان فأتوه مع جماعته وهم فى المجلس قعود ، فقتلوهم وفازوا بالمقصود ، ثم بعد هذه القصة المسطورة ، ولى الأمير محمد بن سعود عبد الرحمن إمارة ضرما المذكورة ، وفيها

غزا المسلمون الزلفي وأميرهم إذ ذاك عبد العزيز ، فلما وصلوا الحسا حمّ عبد العزيز حفظه الله فأمر على الغزو عبد الله بن عبد الرحمن وانقلب راجعا فأغار الغزو على الزلفي وأخذ غنما كثيرة ثم رجع . ثم دخلت السنة الخامسة والستون بعد المائة والألف ، وفيها جرت خيانة أهل رغبة ، لأهل سدير والوشم ، وذلك أن أهل سدير والوشم وجرواد معهم آل ظفير وحزبوا على أهل رغبة ، وهم إذ ذاك قد دخلوا فى الإسلام وجرت عليهم الأحكام فحصروهم فى البلد أيام ؛ ثم إن بعض أهل البلاد جنحوا إلى طريق الفساد وأدخلوا تلك الأحزاب والأجناد وحقن الله دماء أهل التوحيد من ذوى الإفساد ، إلا أنهم أخذوا جميع أموال البلاد وصب الله على أهلها سوط عذاب إن ربك لبالمرصاد ، فأصبحوا بعد حلول هذه المصايب عليهم والنقم يعضون أنامل الأسف والندم ، على ما حل بهم ودهم . وفيها أيضاً حزب أهل الضلال ، أهل الوشم ، وأهل سدير ، وأهل الجنوب ، وآل ظفير وجلوية ضرما ، فساروا إلى ضرما وحصروا أهلها أياما ، وعزموا أن يطيلوا بها مقاما ، وفى مدة هذه الإقامة كل شد للقتال ساعده ، وشدد سهامه حتى إنهم فى بعض أيام الحصار نصبوا السلالم على رفيع ذلك الجدار وأرخصوا فى نيل مطلوبهم غالى الأعمار طلبا للفوز بالمنى والأوطار وأخذا بأنفة الثار ، فصعد منهم السور من قرب أجله من الحضور ، وكانوا نحو الثلاثين ، فلم يرجع منهم أحد ، وقتل غيرهم خلق كثير يزيدون على العشرين فى العدد ، وغالب القتلى من أهل الحريق ، ومنهم حمد بن عثمان الهزانى على التحقيق؛ ثم رجعوا بعد ذلك خاسرين ومن مرادهم خائبين . وفيها غزا المسلمون الخرج وأميرهم فى تلك الغزوة ، مشارى بن معمر فأغار على الدلم وأخذوا جميع سوايم الغنم ثم انقلبوا راجعين ولبلدانهم طالبين ، فاقتفى طلب أهل الخرج آثارهم بعد ما تحقق عدتهم وعرف أخبارهم فوقعت فى عفجة الحاير الموافاة وحصلت المصادمة والملاقاة فأناخ لهم المسلمون وكلهم للموت مستوطنون ، لأن عددهم على الأربعين لايزيد ، والفزع فوق المائة بالتوكيد ، فوطنوا نفوسا عن الفرار أبية ، وأخلصوا عند ذلك النية لخالق البرية ، وصبروا عند هـذه البلية ، فجرى القتال من بعيد والـكل يرمى بالبنادق ويجيد ، فلما رأى المسلمون ذلك لايجدى ولا يفيد ، نهضوا عليهم للاختلاط وعاجلوهم لقصد الارتباط ؛ فلما عاينوا من المسلمين الموت عرفوا أن لامنجا سوى

الهروب والفوت ، فكل منهم امتطى راحلته ونادوا إثر الهروب والفرار ، ولم يكن لهم على ملاقاة المسلمين اصطبار ، وقتل المسلمون منهم قريبا من الثلاثين رجلا ، منهم شريقان قرب له الأجل وأخذوا كثيرا من الركائب والسلاح ، وبدا للمسلمين فى ذلك الطلب الفلاح ، وكان خيرة لهم وصلاح كما قيل :

الصبر كالصبر مرّ فى مذاقته　　لكن عواقبه أحلى من العسل

وأعلى من ذلك وأرفع وأعلى منه وأنفع قوله تعالى : (إن الله مع الصابرين) .

وفيها غزا المسلمون وأميرهم عبد العزيز متع الله به المسلمين وأغاروا على فريق بدو يقال له دهيمان ، فأخذوهم أجمعين ، وقتل من المسلمين اثنان : على بن عثمان ابن ريس وابن جرى عمران . وفيها وقعت من أهل حريملا الردة والافتتان ، واجتمع على ذلك كل إنسان من أهل الفساد والعصيان ، وتمالئوا على قتل من عندهم من أهل التوحيد والإيمان ، وحملهم على ذلك الشيطان وزين لهم ما كانوا عليه سابقا من البغى والطغيان ، وزخرف لهم سننهم القديمة فى غابر الزمان ، وأظهر لهم أن شوارق الدين والإيمان تعقبها الذلة والهوان ، فصار كل منهم إلى الفتنة ظمآن ، وإلى لقاء الردة ولهان ، فلهذا أوضحوا سبيل الفتنة والردة ، وأخذوا فى تهيئة أسبابها المعدة وأقاموا جهرا أعوجها ، وشادوا طريقها ونهجها ، وتبينت لها منهم أسباب ، وتوهم المسلمون منهم قبل وقوعها فتح باب ، وعرفوا أنهم على الدين ليسوا بما كثين ، بل ناقضين للعهد ناكثين ، واستنشق الشيخ من أخيه سليمان أنه لأسباب الردة معوان ، وأنه يلقى إلى الرؤساء وخاصة من الجلساء شبها كثيرة ، وإنما دعاه إلى هذا الحسد لأخيه والغيرة ، فلأجل إلقائه عليهم الشبهة وترويجه عليهم بما خفى علينا واشتبه كاتبه الشيخ وناصحه ، بل أنبه وكافحه وحذره شؤم العاقبة ، وبين له أنه لايدرك مطالبه ، فلم تجده النصائح والإنذار ، ولم يجنح إلى منهج الاعتبار ومحجة الاستبصار والطمأنينة والسكنى فى تلك الديار ، بل طلب واختار ركوب كواهل الأخطار ، وكان سليمان قبل أن يطير من الردة اللهب حين عذله الشيخ وعتب ، أرسل إلى الشيخ رسالة حبر فيها كلامه ومقاله وزخرف فيها أقواله — ولكنها للعهد قد تضمنت ، ولعقد الإيمان قد حوت وأحكمت — أنه إن وقع من أهل حريملا ارتداد لايقيم يوما فى تلك البلاد ؛ فلم يف بذلك الوعد بل أخلف الميثاق والعهد وآثر السكنى والبقاء أيام الفتنة والشقاء ، كيف لا وهو أبو عذرها ، والباعث على تأسيس

أمرها والداعى إلى تأسيس قبيحها ونـكرها ، وصفة ما جرى وصدر وظهر منهم وبدر ، أن كبار القرية الذين تعاهدوا على الفرية عزلوا محمد بن عبد الله بن مبارك وكان هو الأمير وولى التنفيذ والتدبير ، وأصابه منهم إنسان يسمى ابن وحشان ثم أجلوه مع أولاده عن مسكنه وبلاده وفر غيره من أهل الدين إلى بلدان المسلمين : منهم عدوان بن مبارك ، وابنه مبارك بن عدوان ، وعثمان بن عبدالله أخو الأمير وعلى بن حسن وناصر بن جذيع وغيرهم ، فأتوا إلى الشيخ وإلى الأمير محمد ابن سعود فأخبروهم بذلك الأمر المشهود وشرحوا لهم تلك الأفعال وبينوا لهم من نهد فيها من الرجال ثم بعد ذلك بأيام قلائل أرسلوا حمولة الأمير وعصابته إليه الرسائل وزينوا له المجىء والقدوم وحسنوا له الإقبال والهجوم ووعدوه بعد الوصول المساعدة على المأمول والقيام معه والتبيين ورده فى منصبه والتمكين ، فاستشار الشيخ فى ذلك والأمير ، ولم يكن أحد منهما بذلك مشير ، وقالا إن كان لابد أنت فاعل فإنى لمددك معك جاعل يكون لك عونا على من هو خاتل ، فأبى عن المراد وأقبل بمن معه من العباد حتى دخل تلك البلاد ، وكان دخوله فى غسق الدجى ، فلم يشعر به جماعته إلا حين توغل وفجا ، فلما تلألأ من الفجر نوره وولى من الظلام ديجوره تبين عند أهل البلد مجيئه وحضوره ، فلم يكن لهم عليه بد من القيام . فأقبل عليه منهم فئام وجرعوه كأس الحمام وكتب له الشهادة ومن معه الملك العلام إلا مبارك بن عدوان ، فهرب وأعجزهم فى الطلب ، وكان جملة المقتولين ثمانية ، كانت مناياهم دانية ، ولم يحصل من رفاقته النصرة له والنجدة ولم ينحوا مراده وقصده ، بل خذلوه وتركوه مع من جاء وحده ، ولا ينفع الحذر إذا حم القدر (ولن يؤخر الله نفسا إذا جاء أجلها) بل ينقطع أمدها وأملها ، ثم بعد ذلك اجتهدوا فى أسباب الحرابة وأعدوا للحرب عدته وأسبابه ، وانتفخ منهم السحر لما جرى وصدر ، ولم يكن لهم عزم ولا هم بعد إتيانهم تلك المدلهمة إلا البناء على البلاد والتسوير مخافة الخراب والتدمير ، ثم أرسلوا إلى مشارى ابن معمر أن يدخل معهم فى هذا الأمر المقرر ، فأعرض عن ذلك وأنكر ، وبقوا على ذلك الحصار ومكابدة الأضرار بقية تلك السنة لاتخالط أجفانهم فى الدجى سنة ، وكانت تلك القضية فى شوال من غير شبهة ولا إشكال . ثم دخلت السنة السادسة والستون بعد المائة والألف ، فعدا أهل حريملا على أهل الدرعية فلم يحصلوا من

ذلك بالأمنية ، ثم عدا المسلمون عليهم مرات وكروا عليهم فى بلادهم كرات ؛ وفى أواخر تلك السنة ارتد أهل منفوحة عن الدين ونبذوا عهد المسلمين وطردوا محمد بن صالح إمام المصلين (والله لايهدى كيد الخائنين) . فلما وقعت هذه الواقعة خرج مهاجرا من نفسه إلى الحق وازعة ، وإلى الدين نازعة، وللباطل وأهله رادعة ، وللشيطان قامعة ، وفى أسباب الخير طامعة ؛ وكان من خرج منهم فى يوم سبعين ثم بعده تلاحق أناس منهم مسترسلين . ثم دخلت السنة السابعة والستون بعد المائة والألف وفيها طلب دهام ، من الأمير محمد بن سعود الدخول فى الذمام، وأن تجرى عليه وعلى بلاده أحكام الإسلام، ويقوم بتلك الوظائف والأحكام ، وقصده بذلك الخديعة وإحكام حبلها أشد الاحكام ، فطلب منه خيلا وسلاحا ، فلم ير بذلك بأسا ولا جناحا ، ورغب فى منهاج الإصلاح فبذل ماطلب ، وجنح للهدية ورغب، واستدعى من الشيخ رجلا إماما يطيل عنده مقاما، وينشر فى بلده للرعية أحكاما، فأرسل إليه عيسى بن قاسم فكان بشرائع الإسلام حاكم وبتعليم التوحيد ، قائم يقوم بذلك ويقعد ويدل على الله تعالى ويرشد ، ويجد حسب طاقته ويجهد ، فانتفع به من أهل الرياض جماعة حصلوا من التوحيد على بضاعة ، وصارت لهم فيه قدم ولهذا هاجروا لما نبذ دهام العهد وخرم ، وسيأتى ذكرهم فى محله عند تحرير الارتداد ونقله . وفيها جمع الشيخ أهل الإسلام من جميع البلدان وبين المواعظ فى الكلام غاية البيان ، لما تظاهر من تظاهر بالردة والخذلان، وأوضح مايجرى على أهل التوحيد من فجار العبيد (وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد) وكشف لهم معانى آيات القرآن، وما ذكر فى محكم التبيان ، وكلهم لقوله رحمه الله منصتون ، ولما يلقيه من الحكم والمواعظ يسمعون ، ويتلوا عليهم ما به ينتفعون (الم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لايفتنون) وبشرهم بالنصر والظفر وحصول المنى وقضاء الوطر إن برحوا على الدين واستقاموا ، ولم يبرحوا عنه بل ثبتوا عليه وداموا وأمرهم بالرجوع إلى الله والتوبة وصدق النية والأوبة وتصدقوا بصدقات كثيرة وسألوا الله النصر وتيسيره . وفيها مقتل أولاد سيف السيارة صقر وإخوانه لما قاموا مع الباطل وأعوانه وهموا بقتل الأمير فأخبره بذلك النذير ، فبادر إلى قتلهم خشية فعلهم ، فبادر بذلك وأسرع وقتلهم بغوره أجمع ، ولم يعاود على قتلهم أحد بل جد فى ساعته واجتهد ؛ وفيها مقتل سليمان بن خويطر . وسبب ذلك أنه قدم بلدة حريملا خفية وهم

إذ ذاك بلد حرب ، فكتب معه سليمان بن عبد الوهاب إلى أهل العيينة كتابا وذكر فيه شبها مزخرفة ، وأقاويل مغيرة محرفة ، وأحاديث أوهى من نسج العنكبوت ، وأمره أن يقرأها فى المحافل والبيوت ، وألقى فى قلوب أناس من أهل العيينة شبها مضرة شينة غيرت قلوب من لم يتحقق بالإيمان ، ولم يعرف مصادر الكلام بالإتقان ، فكان يفعل ما به أمر ، فلما تحقق حاله واختبر أمر الشيخ به أن يقتل فقتل وامتثل أمره وقبل ، ثم إن سليمان على حالته لم يزل يرسل الشبه فى الكتب لأهل العيينة مع من خرج منهم ودخل ، ويبذل فى ذلك الجد فى العمل. ثم إن الشيخ أرسل لأهل العيينة رسالة أبطل فيها ما موه به سليمان وما قاله وعطل فيها كلامه وأقواله ، نحا فيها منهج الصدق وبين واضح الثواب والحق ، فهى بحر زخر تياره وطمى وسحاب همل ودقه ، وهى زين فلكها بنجوم الحق الزواهر وأشحن فلكها بعلوم التوحيد الزواخر ، تلين قلوب السامعين لقولها ويصغى لها أهل الهدى بمسامع دلايلها محروسة عن كل معارض وآياتها محفوظة عن كل مدافع وهذا فصلها بحروفها .

فصل

قال الشيخ رحمه الله : بسم الله الرحمن الرحيم . روى مسلم فى صحيحه عن عمرو ابن عبسة السلمى رضى الله عنه قال : « كنت وأنا فى الجاهلية أظن أن الناس على ضلالة وأنهم ليسوا على شىء وهم يعبدون الأوثان ، قال فسمعت برجل فى مكة يخبر أخبارا فقعدت على راحلتى حتى قدمت عليه ، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم مستخفيا جرآء عليه قومه فتلطفت حتى دخلت عليه بمكة فقلت وما أنت ؟ فقال أنا نبى ، قلت وما نبى ؟ قال أرسلنى الله . فقلت بأى شىء أرسلك ؟ قال أرسلنى بصلة الأرحام وكسر الأوثان ، وأن يوحد الله لايشرك به شيئا ، فقلت ومن معك على هذا ؟ قال حر وعبد ، قال ومعه يومئذ أبو بكر وبلال . فقلت إنى متبعك ، فقال إنك لا تستطيع ذلك يومك هذا ألا ترى حالى وحال الناس ولكن ارجع إلى أهلك فإذا سمعت بى قد ظهرت فأتنى . قال فذهبت إلى أهلى وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وكنت فى أهلى ، فجعلت أتخبر الأخبار وأسأل الناس حين قدم المدينة حتى قدم نفر من أهل يثرب من أهل المدينة . فقلت ما فعل هذا الرجل الذى قدم المدينة ؟ فقالوا : الناس إليه سراعا وقد أراد قومه قتله فلم يستطيعوا ذلك ، فقدمت المدينة

فقلت يارسول الله أتعرفنى ؟ قال أنت الذى لقيتنى بمكة ؟ قال : فقلت يا نبى الله أخبرنى عما علمك الله وأجهله ، أخبرنى عن الصلاة ، قال صل صلاة الصبح ثم اقصر عن الصلاة حتى تطلع الشمس وحتى ترتفع فإنها تطلع حين تطلع بين قرنى شيطان وهى حينئذ يسجد لها الكفار ثم صل فإن الصلاة مشهودة محضورة حتى يستقل الظل بالرمح ثم اقصر عن الصلاة فإنها حينئذ تسجر جهنم فإذا أقبل الفىء فإن الصلاة محضورة حتى تصلى العصر ثم اقصر عن الصلاة حتى تغرب الشمس فإنها تغرب بين قرنى شيطان وحينئذ يسجد لها الكفار» وذكر الحديث.

قال أبو العباس رحمه الله : فقد نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن الصلاة وقت طلوع الشمس ووقت الغروب بأنها تطلع وتغرب بين قرنى شيطان وأنه حينئذ يسجد لها الكفار ومعلوم أن المؤمن لايقصد السجود إلا لله ، وأكثر الناس قد لايعلمون أن طلوعها وغروبها بين قرنى شيطان ولا أن الكفار يسجدون لها ، ثم إنه صلى الله عليه وسلم نهى عن الصلاة فى هذا الوقت حسما لمادة المشابهة . ومن هذا الباب أنه كان إذا صلى إلى عود أو عمود جعله على حاجبه الأيمن ولم يصمد إليه صمدا ولهذا نهى عن الصلاة إلى ما عبد من دون الله فى الجملة ، ولهذا ينهى عن السجود لله بين يدى الرجل لما فيه من مشابهة السجود لغير الله انتهى كلامه . فليتأمل المؤمن الناصح لنفسه ما فى هذا الحديث من العبر فإن الله سبحانه وتعالى يقص علينا أخبار الأنبياء وأتباعهم ليكون للمؤمن من المستأخرين عبرة فيقيس حاله بحالهم ، وقص قصص الكفار والمنافقين لتجتنب ويجتنب من تلبس بها أيضا ؛ فما فيه من الاعتبار أن هذا الأعرابى الجاهل لما ذكر له أن رجلا بمكة يتكلم بالدين بما يخالف الناس لم يصبر حتى ركب راحلته فقدم عليه وعلم ما عنده لما فى قلبه من محبة الدين والخير ، وهذا فسر به قوله تعالى : (ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم) أى حرصا على تعلم الدين لأسمعهم أى أفهمهم ، فهذا يدل على أن عدم الفهم فى أكثر الناس اليوم عدل منه سبحانه لما يعلم ما فى قلوبهم من عدم الحرص على الدين ، فتبين أن من أعظم الأسباب الموجبة لكون الإنسان من شر الدواب هو عدم الحرص على التعليم ، وإذا كان هذا الجاهل يطلب هذا الطلب فما عذر من ادعى اتباع الأنبياء وبلغه عنهم ما بلغه وعنده من يعرض عليه التعليم ولا يرفع بذلك رأسا ، فإن حضر أو استمع

فكما قال تعالى : (ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث إلا استمعوه وهم يلعبون . لاهية قلوبهم) . وفيه من العبر أيضا أنه لما قال أرسلنى الله قال بأى شيء أرسلك قال بكذا وكذا فتبين أن زبدة الرسالة الإلهية والدعوة النبوية هى توحيد الله بعبادته وحده لاشريك له وكسر الأوثان ، ومعلوم أن كسرها لايستقيم إلا بشدة العداوة وتجريدالسيف فتأمل زبدة الرسالة ؛ وفيه أيضا أنه فهم المراد من التوحيد وفهم أنه أمر كبير غريب ولأجل هذا قال من معك على هذا قال حر وعبد،فأجابه أن جميع العلماء الملوك والعامة مخالفون له ولم يتبعه على ذلك إلا من ذكر ، فهذا أوضح دليل على أن الحق قد يكون أقل القليل وأن الباطل قد يملأ الأرض ، ولله در الفضيل ابن عياض رحمه الله حيث يقول :لا تستوحش من الحق لقلة السالكين ولا تغتر بالباطل لكثرة الهالكين ، وأحسن منه قوله تعالى (ولقد صدق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه إلا فريقا من المؤمنين) . وفى الصحيحين «إن بعث النار من كل ألف تسعة وتسعون وتسعمائة ، وفى الجنة واحد من كل ألف . ولما بكوا من هذا لما سمعوه قال صلى الله عليه وسلم : إنها لم تكن نبوة قط إلا كان بين يديها جاهلية فيؤخذ العدد من الجاهلية فإن تمت وإلا أكملت من المنافقين» قال الترمذى حسن صحيح . فإذا تأمل الإنسان مافى هذا الحديث من صفة بدء الإسلام ومن اتبع الرسول صلى الله عليه وسلم إذ ذاك ثم ضم إليه الحديث الآخر الذى فى صحيح مسلم أيضا أنه قال صلى الله عليه وسلم «بدأ الإسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ» تبين له الأمران هداه الله وانزاحت عنه الحجة الفرعونية . (فما بال القرون الأولى)والحجة القرشية (ما سمعنا بهذا فى الملة الآخرة) وقال أبو العباس رحمه الله تعالى فى اقتضاء الصراط المستقيم فى الكلام على قوله تعالى (وما أهل به لغير الله) وأيضا فإن قوله (وما أهل لغير الله به) ظاهره أنه ما ذبح لغير الله سواء لفظ به أو لم يلفظ ، وتحريم هذا أظهر من تحريم ماذبح للحم ، وقال فيه بسم المسيح ونحوه كما أن ماذبحناه متقربين به إلى الله كان أزكى مما ذبحناه للحم وقلنا عليه بسم الله فإن عبادة الله بالصلاة له والنسك له أعظم من الاستعانة باسمه فى فواتح الأمور والعبادة لغير الله أعظم كفرا من الاستعانة بغير الله ، فلو ذبح لغير الله متقربا إليه لحرم وإن قال فيه باسم الله كما يفعله طائفة من منافقى هذه الأمة وإن كان هؤلاء مرتدين لا تباح ذبيحتهم بحال لكن يجتمع

فى الذبيحة مانعان ، ومن هذا مايفعل بمكة وغيرها من الذبح للجن انتهى كلام الشيخ ، وهو الذى ينسب إليه بعض أعداء الدين أنه لا يكفر المعين . فانظر رحمك الله إلى تكفيره من ذبح لغير الله من هذه الأمة وتصريحه أن المنافق يصير مرتدا بذلك وهذا فى المعين إذ لايتصور أن تحرم إلا ذبيحة معين. وقال أيضا فى الكتاب المذكور وكانت الطواغيت الكبار التى تشد إليها الرحال ثلاثة اللات والعزى ومناة ، وكل واحد منها لمصر من أمصار العرب فكانت اللات لأهل الطائف وذكروا أنه فى الأصل كان رجلا صالحا يلت السويق للحاج فلما مات عكفوا على قبره . وأما العزى فكانت لأهل مكة قريبا من عرفات ، وكانت شجرة يذبحون عندها ويدعون . وأما مناة فكانت لأهل المدينة ، وكانت حذو قديد من ناحية الساحل ، ومن أراد أن يعلم كيف كانت أحوال المشركين فى عبادة أوثانهم ويعرف حقيقة الشرك الذى ذمه الله وأنواعه حتى يتبين له تأويل القرآن فلينظر إلى سيرة النبى صلى الله عليه وسلم وأحوال العرب فى زمانه وما ذكره الأزرقى فى أخبار مكة وغيره من العلماء .

ولما كان لأهل الشرك شجرة يعلقون عليها أسلحتهم ويسمونها ذات أنواط فقال بعض الناس يارسول الله اجعل لنا ذات أنواط فقال الله أكبر إنها السنن « لتركبن سنن من كان قبلكم » فأنكر صلى الله عليه وسلم مجرد مشابهتهم الكفار فى اتخاذ شجرة يعكفون عليها معلقين عليها سلاحهم فكيف بما هو أطم من ذلك من الشرك بعينه إلى أن قال : فمن ذلك عدة أمكنة بدمشق مثل مسجد يقال له مسجد الكف الذى فيه تمثال كف يقال إنه كف على بن أبى طالب حتى هدم الله ذلك الوثن . وهذه الأمكنة كثيرة موجودة فى أكثر البلاد ، وفى الحجاز منها مواقع ؛ ثم ذكر كلاما فى نهيه صلى الله عليه وسلم عن الصلاة عند القبور فقال العلة لما يفضى إليه ذلك من الشرك وذكر ذلك الشافعى وغيره ، وكذلك الأئمة من أصحاب أحمد ومالك كأبى بكر الأثرم عللوا بهذه العلة ، وقد قال تعالى (وقالوا لاتذرن آلهتكم ولاتذرن ودا ولا سواعا ، ولا يغوث ويعوق ونسرا ، وقد أضلوا كثيرا) ذكر ابن عباس وغيره من السلف أن هذه أسماء قوم صالحين كانوا فى قوم نوح ، فلما ماتوا عكفوا على قبورهم وصوروا تماثيلهم ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم ، ذكر هذا البخارى فى صحيحه وأهل التفسير كابن جرير وغيره ومما يبين صحة هذه العلة أنه لعن من يتخذ قبور الأنبياء مساجد ،

ومعلوم أن قبور الأنبياء لايكون ترابها نجسا ، وقال فى نفسه « اللهم لاتجعل قبرى وثنا يعبد » فعلم أن نهيه عن ذلك كنهيه عن الصلاة عند طلوع الشمس وعند غروبها ، فسدّ الذريعة لئلا يصلى فى هذه الساعة وإن كان المصلى لايصلى إلا لله ولا يدعو إلا إياه لئلا يفضى ذلك إلى دعائها والصلاة عندها وكلا الأمرين قد وقع ، فإن من الناس من يسجد للشمس وغيرها من الكواكب ويدعوها بأنواع الأدعية ، وهذا من أعظم أسباب الشرك الذى ضل به كثير من الأولين والآخرين حتى شاع ذلك فى كثير ممن ينتسب إلى الإسلام ، وصنف فيه بعض المشركين كتابا على مذهب المشركين مثل أبى معشر البلخى وثابت بن قرة وأمثالهما ممن دخل فى الشرك وآمن بالجبت والطاغوت وهم ينتسبون إلى الكتاب كما قال تعالى (ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب) انتهى كلام الشيخ رحمه الله تعالى .

فانظر رحمك الله إلى هـذا الإمام الذى نسب عنه من أزاغ قلبه عدم تكفير المعين كيف ذكر عن مثل الفخر الرازى وهو من أكابر أئمة الشافعية ، ومثل أبى معشر وهو من المشهورين المصنفين وغيرهما أنهم كفروا وارتدوا عن الإسلام والفخر هو الذى ذكره الشيخ فى الرد على المتكلمين لما ذكر تصنيفه الذى ذكر هنا قال وهذه ردة صريحة باتفاق المسلمين وسيأتى كلامه إن شاء الله تعالى ، وتأمل ماذكر أيضا فى اللات والعزى ومناة ، وجعله بعينه هذا الذى يفعل بدمشق وغيرها ، وتأمل قوله على حديث ذات أنواط هذا قوله فى مجرد مشابهتهم فى اتخاذ شجرة فكيف بما هو أطم من ذلك من الشرك بعينه فهل للزائغ بعد هذا متعلق بشىء من هذا كلام الإمام ، وأنا أذكر لفظه الذى احتجوا به على زيغهم . قال رحمه الله أنا من أعظم الناس نهيا عن أن ينسب معين إلى تكفير أو تبديع أو تفسيق أو معصية إلا إذا علم أنه قد قامت الحجة الرسالية التى من خالفها كان كافرا تارة وفاسقا أخرى انتهى كلامه .

وهذا صفة كلامه فى المسألة فى كل موضع وقفنا عليه من كلامه لايذكر عدم تكفير المعين إلا ويصله بما يزيل الإشكال أن المراد بالتوقيف عن تكفيره قبل أن تبلغه الحجة ، وإذا بلغته حكم عليه بما تقضيه تلك المسئلة من تكفير أو تفسيق أو عصيان ، وصرح رضى الله عنه أيضا أن كلامه أيضا فى غير المسائل الظاهرة ، فقال

فى الرد على المتكلمين لما ذكر أن بعض أئمتهم توجد منهم الردة عن الإسلام كثيراً قال وهذا إذا كان فى المقالات الخفية فقد يقال إنه مخطىء ضالّ لم تقم عليه الحجة التى يكفر تاركها ، لكن يصدر هذا منهم فى أمور يعلم الخاصة والعامة من المسلمين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث بها وكفر من خالفها مثل عبادة الله وحده لا شريك له ، ونهيه عن عبادة أحد سواه من الملائكة والنبيين وغيرهم فإن هذا أظهر شعائر الإسلام ، ومثل إيجابه للصلوات الخمس وتعظيم شأنها ، ومثل تحريم الفواحش والزنا والخمر والميسر ثم تجد كثيراً من رءوسهم وقعوا فيها فكانوا مرتدين ، وأبلغ من ذلك أن منهم من صنف فى دين المشركين كما فعل أبو عبدالله الرازى يعنى الفخر الرازى قال وهذه ردة صريحة ، فتأمل هذا وتأمل مافيه من تفصيل الشبهة التى يذكرها أعداء الله ، لكن من يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا ، على أن الذى نعتقده وندين الله به ونرجو أنه يثبتنا عليه أنه لو يغلط أو أجلّ منه فى هذه المسألة وهى مسألة المسلم إذا أشرك بعد بلوغ الحجة أو المسلم الذى يفضل هذا على الموحدين أو يزعم أنه على حق أو غير ذلك من الكفر الصريح الظاهر الذى بينه الله ورسوله وبينه علماء الأمة أنا نؤمن بما جاءنا عن الله وعن رسوله ولو غلط من غلط ، فكيف والحمد لله ونحن لانعلم عن واحد من العلماء خلافا فى هذه المسألة ، وإنما يلجأ من شاقّ فيها إلى حجة فرعون (فما بال القرون الأولى) أو حجة قريش (ماسمعنا بهذا فى الملة الآخرة إن هذا إلا اختلاق . ءأنزل عليه الذكر من بيننا) .

وقال الشيخ رحمه الله فى الرسالة السنية لما ذكر حديث الخوارج ومروقهم من الدين ، وأمره صلى الله عليه وسلم بقتالهم . قال فإذا كان على عهد النبى صلى الله عليه وسلم وخلفائه ممن انتسب إلى الإسلام من مرق منه مع عبادته العظيمة حتى أمر صلى الله عليه وسلم بقتالهم ، فيعلم أن المنتسب إلى الإسلام أو السنة فى هذه الأزمان قد يمرق أيضا من الإسلام ، وذلك بأسباب منها الغلوّ الذى ذمه الله فى كتابه حيث قال (يا أهل الكتاب لاتغلوا فى دينكم) الآية ، وعلى بن أبى طالب رضى الله عنه حرّق الغالية من الرافضة فأمر بأخاديد خدت لهم عند باب كندة فقذفهم فيها واتفق الصحابة على قتلهم لكن ابن عباس كان مذهبه أن يقتلوا بالسيف بلا تحريق ، وهو قول أكثر الصحابة وقصتهم معروفة عند العلماء ، وكذلك الغلو فى بعض المشايخ بل الغلو

فى على بن أبى طالب ، بل الغلو فى المسيح ونحوه ؛ فكل من غلا فى نبى أو رجل صالح وجعل فيه نوعا من الإلهية مثل أن يقول ياسيدى فلان انصرنى أو أغثنى أو ارزقنى أو اجبرنى وأنا فى حسبك ونحو هذه الأقوال فكل هذا شرك وضلال يستتاب صاحبه فإن تاب وإلا قتل فإن الله إنما أرسل الرسل وأنزل الكتب ليعبد وحده لايجعل معه إله آخر (والذين يدعون مع الله إلها آخر) مثل المسيح والملائكة والأصنام لم يكونوا يعتقدون أنها تخلق الخلائق وتنزل المطر وتنبت النبات ، وإنما كانوا يعبدونهم أو يعبدون قبورهم أو صورهم ويقولون (مانعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى — ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله) فبعث الله رسوله ينهى أن يدعى أحد من دونه لادعاء عبادة ولا دعاء استغاثة . وقال تعالى (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا. أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب) الآية . قال طائفة من السلف كان أقوام يدعون المسيح وعزيرا والملائكة ثم ذكر رحمه الله آيات ، ثم قال عبادة الله وحده لاشريك له هى أصل الدين وهى أصل التوحيد الذى بعث به الرسل وأنزل الكتب قال تعالى (ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) وقال (وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحى إليه أنه لاإله إلا أنا فاعبدون) . وكان صلى الله عليه وسلم يحقق التوحيد ويعلمه أمته حتى قال له رجل « ماشاء الله وشئت قال أجعلتنى لله ندا؟ بل ماشاء الله وحده » ونهى عن الحلف بغير الله ، وقال « من حلف بغير الله فقد أشرك » ، وقال فى مرض موته « لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » يحذر مما فعلوا ، وقال « اللهم لاتجعل قبرى وثنا يعبد » وقال « لاتتخذوا قبرى عيدا ، ولا بيوتكم قبورا ، وصلوا علىّ حيثما كنتم فإن صلاتكم تبلغنى » ولهذا اتفق أئمة الإسلام على أنه لايشرع بناء مسجد على القبور ولا الصلاة عندها ، وذلك لأن من أكبر أسباب عبادة الأوثان كان تعظيم القبور ، ولهذا اتفق العلماء على أنه من سلم على النبى صلى الله عليه وسلم عند قبره أنه لايتمسح بحجرته ولا يقبلها لأنه إنما يكون لأركان بيت الله فلا يشبه بيت المخلوق ببيت الخالق ، كل هذا لتحقيق التوحيد الذى هو أصل الدين ورأسه الذى لايقبل الله عملا إلا به ويغفر لصاحبه ولا يغفر لمن تركه كما قال تعالى (إن الله لايغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ، ومن يشرك بالله فقد افترى إثما عظيما) .

ولهذا كانت كلمة التوحيد أفضل الكلام وأعظمه ؛ فأعظم آية فى القرآن آية الكرسى (الله لا إله إلا هو الحى القيوم) وقال صلى الله عليه وسلم « من كان آخر كلامه من الدنيا لا إله إلا الله دخل الجنة » والإله هو الذى يأله القلب عبادة له واستغاثة له ورجاء له وخشية وإجلالا انتهى كلامه . فتأمل أول الكلام وآخره فيمن دعا نبيا أو وليا مثل أن يقول : ياسيدى فلان أغثنى ونحوه أنه يستتاب فإن تاب وإلا قتل هل يكون هذا إلا فى المعين والله المستعان . وتأمل كلامه فى اللات والعزى ومناة وما ذكر بعده يتبين لك الأمر إن شاء الله تعالى ، وقال ابن القيم رحمه الله فى شرح المنازل فى باب التوبة : وأما الشرك فهو نوعان : أكبر وأصغر . فالأكبر لا يغفره الله إلا بالتوبة منه وهو أن يتخذ من دون الله ندا يحبه كما يحب الله ، بل أكثرهم يحبون آلهتهم أعظم من محبتهم لله ويغضبون لمتنقص معبودهم من المشايخ أعظم مما يغضبون إذا انتقص أحد رب العالمين ، وقد شاهدنا هذا نحن وغيرنا جهرة ، وترى أحدهم قد اتخذ ذكر معبوده على لسانه إن قام وإن قعد وإن عثر وإن استوحش لا ينكر ذلك ، ويزعم أنه باب حاجته إلى الله وشفيعه عنده وهكذا كان عباد الأصنام سواء ، وهذا القدر هو الذى قام بقلوبهم وتوارثه المشركون بحسب اختلاف آلهتهم فأولئك كانت آلهتهم من الحجر وغيرها اتخذها من البشر قال الله تعالى حاكيا عن أسلاف هؤلاء (والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى إن الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون إن الله لا يهدى من هو كاذب كفار) . فهذا حال من اتخذ من دونه وليا يزعم أنه يقربه إلى الله تعالى ، وما أعز من تخلص من هذا بل ما أعز من لا يعادى من أنكره ، والذى قام بقلوب هؤلاء المشركين وأسلافهم أن آلهتهم تشفع لهم عند الله وهذا عين الشرك ، وقد أنكر الله ذلك عليهم فى كتابه وأبطله وأخبر أن الشفاعة كلها له ، ثم ذكر الشيخ رحمه الله فصلا طويلا فى تقرير هذا الشرك الأكبر ، ولكن تأمل قوله : وما أعز من تخلص من هذا بل ما أعز من لا يعادى من أنكره يبين لك بطلان الشبهة التى أدلى بها الملحدون ، وزعم أن كلام الشيخ فى هذا الفصل أعنى الفصل الأول فى الشرك الأكبر على الآية التى فى سورة سبأ (قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة فى السموات ولا فى الأرض) وتكلم عليها ، ثم قال والقرآن مملوء من أمثالها ولكن أكثر الناس لا يشعر بدخول

الواقع تحته ويظنه فى قوم قد خلوا ولم يعقبوا وارثا وهذا هو الذى يحول بين القلب وبين فهم القرآن ، كما قال عمر بن الخطاب : إنما تنقض عرى الإسلام عروة عروة إذا نشئ فى الإسلام من لايعرف الجاهلية . وهذا لأنه إذا لم يعرف الشرك وما عابه القرآن وما ذمه وقع فيه وأقره ، وهو لايعرف أنه الذى كان عليه أهل الجاهلية فتنتقض بذلك عرى الإسلام ويعود المعروف منكرا والمنكر معروفا والبدعة سنة والسنة بدعة، ويكفر الرجل بمحض الإيمان وتجريد التوحيد، ويبدّع بتجريد متابعة الرسول ، ومفارقة الأهواء والبدع ، ومن له بصيرة وقلب حى يرى ذلك عيانا، والله المستعان .

فصـــل

وأما الشرك الأصغر فليسير الرياء والحلف بغير الله وقول هذا من الله ومنك وأنا بالله وبك مالى إلا الله وأنت وأنا متوكل على الله وعليك ولولا أنت لم يكن كذا وكذا ، وقد يكون هذا شركا أكبر بحسب حال قائله وقصده . ثم قال الشيخ رحمه الله بعد ماذكر الشرك الأكبر والأصغر :ومن أنواع الشرك سجود المريد للشيخ.ومن أنواعه التوبة للشيخ فإنها شرك عظيم . ومن أنواعه النذر لغير الله وابتغاء الرزق من عند غيره والتوكل على غير الله والعمل لغير الله والإنابة والخضوع والذل لغير الله وإضافة نعمه لغيره . ومن أنواعه طلب الحوائج من عند الموتى والاستغاثة بهم والتوجه إليهم ، وهذا أصل شرك العالم فإن الميت قد انقطع عمـــله وهو لايملك لنفسه نفعاً ولا ضرا فضلا عمن استغاث به أو سأله أنه يشفع إلى الله ، وهذا من جهله بالشافع والمشفوع عنده ، فإن الله تعالى لايشفع عنده أحد إلا بإذنه ، والله لم يجعل سؤال غيره سببا لإذنه ، وإنما السبب لإذنه كمال التوحيد ؛ فجاء هذا المشرك بسبب يمنع الإذن والميت محتاج إلى من يدعو له كما أو صانا النبى صلى الله عليه وسلم إذا زرنا قبور المسلمين أن نترحم عليهم ، ونسأل الله لهم العافية والمغفرة فعكس المشركون هذا وزاروهم زيارة العبادة وجعلوا قبورهم أوثانا تعبد فجمعوا بين الشرك بالمعبود وتغيير دينه ومعاداة أهل التوحيد ونسبتهم إلى تنقص الأموات ، وهم قد تنقصوا الخالق بالشرك وأوليائه الموحدين بذمهم ومعاداتهم وتنقصوا من أشركوا به غاية التنقص إذ ظنوا أنهم

راضون منهم بهـذا وأنهم أمروهم به وهؤلاء أعداء الرسل فى كل زمان ومكان ، وما أكثر المستجيبين لهم ، ولله در خليله إبراهيم حيث يقول (واجنبنى وبنىّ أن نعبد الأصنام . رب إنهن أضللن كثيرا من الناس) وما نجا من شرك هذا الشرك الأكبر إلا من جرد توحيده لله وعادى المشركين فى الله وتقرب بمقتهم إلى الله انتهى كلامه .

والمراد من هذا أن بعض الملحدين نسب إلى الشيخ أن هذا شرك أصغر وشبهته أنه ذكره فى الفصل الثانى الذى ذكر فى أوله الأصغر ، وأنت رحمك الله تجد الكلام من أوله إلى آخره فى الفصل الأول والثانى صريحا لايحتمل التأويل من وجوه كثيرة أن دعاء الموتى والنذر لهم ليشفعوا له عند الله هو الشرك الأكبر الذى بعث عليه النبى صلى الله عليه وسلم فكفر من لم يتب منه وقاتله وعاداه ، وآخر ما صرح به قوله آنفا وما نجا من شرك هـذا الشرك الأكبر إلا من عادى المشركين إلى آخره ؛ فتأمل أن الإسلام لايصح إلا بمعاداة أهل هذا الشرك فإن لم يعادهم فهو منهم وإن لم يفعله . وقد ذكر فى الإقناع عن الشيخ تقى الدين أن من دعا على بن أبى طالب فهو كافر ، ومن شك فى كفره فهو كافر ، فإذا كان هذا حال من شك فى كفره مع عداوته له ومقته له فكيف بمن يعتقد أنه مسلم ولم يعاده فكيف بمن أحبه فكيف بمن جادل عنه وعن طريقته ؟ وتعذر أنا لانقدر على التجارة وطلب الرزق إلا بذلك وقد قال تعالى (وقالوا إن نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا) ، فإذا كان هذا قول الله تعالى فيمن تعذر عن التبيين فى العمل ومعاداة المشركين بالخوف على أهله وعياله فكيف بمن اعتذر فى ذلك بتحصيل التجارة ، ولكن الأمر كما تقدم عن عمر إذا نشأ فى الإسلام من لايعرف الجاهلية فلهذا لم يفهم به معنى القرآن وأنه أشر وأفسد من الذين قالوا إن نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا ، ومع هذا فكلام هؤلاء الكفار نفاق وإلا فهم يعتقدون أن أهل التوحيد ضالون مضلون وأن عبدة الأوثان أهل الحق والصواب كما صرح به إمامهم فى الرسالة التى أتتكم قبل هذه خطه بيده ، ويقول بينى وبينكم أهل هذه الأقطار وهم خير أمة أخرجت للناس وهم كذا وكذا ؛ فإذا كان يريد التحاكم إليهم ويصفهم بأنهم خير أمة أخرجت للناس فكيف يصفهم أيضا بالشرك ومخالطتهم للحاجة ، وما أحسن قول أصدق القائلين (والسماء ذات الحبك إنكم لفى قول مختلف . يؤفك عنه من أفك — بل كذبوا بالحق لما جاءهم فهم فى أمر

مريج) فرحم الله امرأ نظر لنفسه وتفكر فيما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم من عند الله بمعاداة من أشرك بالله من قريب أو بعيد وتكفيرهم وقتالهم حتى يكون الدين كله لله وعلم بما حكم محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيمن أشرك بالله مع ادعائه الاسلام وماحكم به فى ذلك الخلفاء الراشدون كعلى بن أبى طالب وغيره لما حرّقهم بالنار مع أن غيرهم من أهل الأوثان الذين لم يدخلوا فى الإسلام لايقتلون بالتحريق والله الموفق . وقال أبو العباس بن تيمية فى الرد على المتكلمين لما ذكر أحوال بعض أئمتهم قال وكل شرك فى العالم إنما حدث برأى جنسهم فهم الآمرون بالشرك والفاعلون له ، ومن لم يأمر منهم بالشرك فلم ينه عنه بل يقر هؤلاء وهؤلاء وإن رجح الموحدين ترجيحا فقد يرجح غيره المشركين ، وقد يعرض عن الأمرين جميعا ، فتدبر هذا فإنه نافع جداً ولهذا كان رؤوسهم المتقدمون والمتأخرون يأمرون بالشرك ، وكذلك الذين كانوا فى ملة الإسلام لاينهون عن الشرك ويوجبون التوحيد بل يسوّغون الشرك أو يأمرون أو لايوجبون التوحيد ، وقد رأيت من مصنفاتهم فى عبادة الملائكة وعبادة الأنفس المفارقة أنفس الأنبياء وغيرهم ماهو أصل الشرك وهم إذا ادّعوا التوحيد فإنما توحيدهم بالقول لابالعبادة والعمل والتوحيد الذى جاءت به الرسل لابد فيه من التوحيد بإخلاص الدين لله وعبادته وحده لاشريك له وهذا شىء لايعرفونه ، فلو كانوا موحدين بالقول والكلام لكان معهم التوحيد دون العمل وذلك لا يكفى فى السعادة والنجاة بل لابد أن يعبد الله ويتخذه إلها دون ما سواه ، وهو معنى قوله لا إله إلا الله انتهى كلام الشيخ ؛ فتأمل رحمك الله هذا الكلام فإنه مثل ما قال الشيخ فيه نافع جداً ومن أكبر ما فيه من الفوائد أنه يبين لك حال من أقر بهذا الدين وشهد أنه الحق وأن الشرك هو الباطل ، وقال بلسانه ما أريد منه ولكنه لايدين بذلك إما بغضاله أو عدم محبته كما هو حال المنافقين الذين هم بين أظهرنا ، وإما إيثارا لدنيا مثل تجارة وغيرها فيدخلون فى الإسلام ثم يخرجون منه كما قال الله تعالى (ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا) الآية ، وقال (من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان) وقوله (ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة) . فإذا قال هؤلاء بألسنتهم نشهد أن هذا دين الله ورسوله ونشهد أن المخالف له باطل وأنه الشرك بالله غر هذا الكلام ضعيف البصيرة ، وأعظم من هذا وأطم أن أهل حريملا ومن وراءهم

يصرحون بمسبة الدين وأن الحق ما عليه أكثر الناس ويستدلون بالكثرة على حسن ماهم عليه من الدين ويفعلون ويقولون ما هو من أكبر الردة وأخسها فإذا قالوا التوحيد حق والشرك باطل وأيضا لم يحدثوا فى بلدهم أوثانا جادل الملحد عنهم وقال إنهم يقرون أن هذا شرك وأن التوحيد هو الحق ولا يضرهم عنده ماهم عليه من السب لدين الله وبغى العوج له ومدح الشرك وذبهم دونه بالمال واليد واللسان والله المستعان . وقال أبو العباس أيضا فى الكلام على كفر مانع الزكاة والصحابة لايقولون هل أنت مقر بوجوبها أوجاحد لها هذا لم يعهد عن الخلفاء والصحابة بل قال الصديق لعمر رضى الله عنهما : والله لو منعونى عناقا كانوايؤدونها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعها ، فجعل المبيح للقتال مجرد المنع لاجحد الوجوب ، وقد روى أن طوائف كانوا يقرون بالوجوب لكن بخلوا بها ومع هذا فسيرة الخلفاء فيهم جميعهم سيرة واحدة وهى قتل مقاتلتهم وسبى ذراريهم وغنيمة أموالهم والشهادة على قتلاهم بالنار وسموهم جميعهم أهل الردة وكان من أعظم فضائل الصدّيق عندهم أن ثبته الله عند قتالهم ولم يتوقف كما توقف غيره فناظرهم حتى رجعوا إلى قوله . وأما قتال المقرين بنبوة مسيلمة فهؤلاء لم يقع بينهم نزاع فى قتالهم انتهى ، فتأمل كلامه فى تكفير المعين والشهادة عليه إذا قتل بالنار وسبى حريمه وأولاده عند منع الزكاة فهذا الذى ينسبون عنه أعداء الدين عدم تكفير المعين . قال رحمه الله بعد ذلك وكفر هؤلاء وإدخالهم فى أهل الردة قد ثبت باتفاق الصحابة المستند إلى نصوص الكتاب والسنة انتهى كلامه . ومن أعظم ما يجلو الإشكال فى مسألة التكفير والقتال عند من قصده اتباع الحق إجماع الصحابة على قتال مانع الزكاة وإدخالهم فى أهل الردة وسبى ذراريهم وفعلهم فيهم ماصح عنهم ،وهو أول قتال وقع فى الإسلام على من ادعى أنه من المسلمين ، فهذه أول واقعة وقعت فى الإسلام على هذا النوع أعنى المدعين للإسلام وهى أوضح الواقعات التى وقعت من العلماء عليهم من عصر الصحابة إلى وقتنا هذا وقال الإمام أبو الوفاء بن عقيل لما صعبت التكاليف على الجهال والطغام عدلوا عن أوضاع الشرع إلى تعظيم أوضاع وضعوها لأنفسهم فسهلت عليهم إذ لم يدخلوا بها تحت أمر غيرهم وهم عندى كفار بهذه الأوضاع مثل تعظيم القبور وخطاب الموتى بالحوائج وكتب الرقاع فيها يامولاى افعل بى كذا وكذا وإلقاء الخرق على الشجر اقتداء بمن عبد اللات والعزى انتهى كلامه؟

والمراد منه قوله وهم عندى كفار بهذه الأوضاع . وقال أيضا لقد عظم الله الحيوان لاسيما ابن آدم حيث أباحه الشرك عند الإكراه ، فمن قدم حرمة نفسك على حرمته حق أباحك أن تتوقى عن نفسك بذكره بما لاينبغى له سبحانه لحقيق أن تعظم شعائره ، وتوقر أوامره وزواجره ، وعصم عرضك بإيجاب الحد بقذفك ، وعصم مالك بقطع يد مسلم فى سرقته ، وأسقط شطر الصلاة لأجل مشقتك ، وأقام مسح الخف مقام مسح الرجل إشفاقا عليك من مشقة الخلع واللبس ، وأباحك الميتة سدا لرمقك وحفظا لصحتك ، وزجرك عن مضارك بحدعاجل ووعيدآجل وخرق العوائد لأجلك ، وأنزل الكتب إليك ، أيحسن بك مع هذا الإكرام أن ترى على مانهاك منهمكا وعما أمرك مرتكبا ، وعن داعيه معرضا ولداعى عدوك فيه مطيعا ، يعظمك وهو هو وتهمل أمره وأنت أنت هو حط رتب عباده لأجلك ، وأهبط إلى الأرض من امتنع من سجدة يسجدها لك ! هل عاديت خادما طالت خدمته لك لترك صلاة ؟ هل نفيته من دارك للإخلال بفرض أو لارتكاب نهى ؟ فإن لم تعترف اعتراف العبيد للموالى فلا أقل أن تقتضى نفسك إلى الحق سبحانه اقتضاء المكافى المساوى ، وما أوحش ما تلاعب الشيطان بالإنسان بينا أن يكون بحضرة الحق ، وملائكة السماء سجودا له تترامى به الأحوال والجهالات إلى أن يوجد ساجدا لصورة فى حجر أو لشجرة من الشجر أو لشمس أو لقمر أو لصورة ثور خائر أو لطائر صفر ! ما أوحش زوال النعم وتغير الأحوال والحور بعد الكور ، لايليق بهذا الحى الكريم الفاضل على جميع الحيوانات أن لايرى إلا عابدا لله فى دار التكليف أو مجازى لله فى دار الجزاء والتشريف ومابين ذلك فهو واضع نفسه فى غير موضعها انتهى كلامه .

والمراد أنه جعل أقبح حال وأفحشها من أحوال الإنسان أن يشرك بالله ، ومثله بأنواع : منها السجود لشمس أو لقمر ، ومنها السجود لصورة كما يسجد للصور التى فى القباب على القبور . والسجود قد يكون بالجبهة على الأرض ، وقد يكون بالانحناء من غير وصول إلى الأرض كما فسر به قوله تعالى (ادخلوا الباب سجدا) قال ابن عباس أى ركعا . وقال ابن القيم فى إغاثة اللهفان فى إنكار تعظيم القبور ، وقد آل الأمر بهؤلاء المشركين إلى أن صنف بعض غلاتهم فى ذلك كتابا سماه مناسك المشاهد ، ولا يخفى أن هذا مفارقة لدين الإسلام ودخول فى عبادة الأصنام ، وهذا الذى ذكره

ابن القيم رجل من المصنفين يقال له ابن المفيد فقد رأيت ما قال فيه بعينه فكيف ينكر تكفير المعين . وأما كلام أتباع سائر الأئمة فى التكفير فنذكر منه قليلا من كثير . أما كلام الحنفية فكلامهم فى هذا من أغلظ الكلام حتى إنهم يكفرون المعين إذا قال مصيحف أو مسيجد أو صلى صلاة بلا وضوء ونحو ذلك ، وقال فى النهر الفائق : واعلم أن الشيخ قاسما قال فى شرح درر البحار إن النذر الذى يقع من أكثر العوام بأن يأتى إلى قبر بعض الصلحاء قائلا ياسيدى فلان إن رد غائبى أوعوفى مريضى فلك من الذهب والفضة أو الشمع أو الزيت كذا باطل إجماعا لوجوه إلى أن قال : ومنها ظن أن الميت يتصرف فى الأمر ، واعتقاد هذا كفر إلى أن قال : وقد ابتلى الناس بذلك ولاسيما فى مولد الشيخ أحمد البدوى انتهى كلامه . فانظر إلى تصريحه أن هذا كفر مع قوله إنه يقع من أكثر العوام ، وأن أهل العلم قد ابتلوا بما لاقدرة لهم على إزالته . وقال القرطبى رحمه الله لما ذكر سماع الفقراء وصورته قال هذا حرام بالإجماع ، وقد رأيت فتوى شيخ الإسلام جمال الملة أن مستحل هذا كافر . ولما علم أن حرمته بالإجماع لزم أن يكفر مستحله ، فقد رأيت كلام القرطبى وكلام الشيخ الذى نقل عنه فى كفر من استحل السماع مع كونه دون مانحن فيه بالإجماع بكثير كثير . وقال أبو العباس رحمه الله : حدثنى الخضيرى عن والده الشيخ الخضيرى إمام الحنفية فى زمانه . قال :كان فقهاء بخارى يقولون فى ابن سينا كان كافراً ذكيا ، فهذا إمام الحنفية فى زمنه حكى عن فقهاء بخارى أنهم يقولون فى ابن سينا وهو رجل معين مصنف يتظاهر بالإسلام . وأما كلام المالكية فى هذا فهو أكثر من أن يحصر . وقد اشتهر عن فقهائهم سرعة الفتوى والقضاء بقتل الرجل عند الكلمة التى لايفطن لها أكثر الناس ، وقد ذكر القاضى عياض فى آخر كتاب الشفاء من ذلك طرفا . ومما ذكروا أن من حلف بغير الله على وجه التعظيم كفر ، وكل هذا دون مانحن فيه بما لانسبة بينه وبينه . وأما الشافعية فقال صاحب الروض رحمه الله : إن المسلم إذا ذبح للنبى صلى الله عليه وسلم كفر ، وقال أيضا من شك فى كفر طائفة ابن عربى فهو كافر وكل هذا دون مانحن فيه ، وقال ابن حجر فى شرح الأربعين فى الكلام على حديث ابن عباس «إذا سألت فاسأل الله» مامعناه أنه من دعا غير الله فهوكافر ، وصنف فى هذا النوع كتابا مستقلا سماه [الإعلام بقواطع الإسلام] ذكر فيه أنواعا كثيرة من الأقوال

والأعمال كل واحد منها ذكر أنه يخرج من الإسلام ويكفر به المعين وغالبها لا يساوى عشر معشار مانحن فيه . وتمام الكلام فى هذا أن يقال الكلام هنا فى مسئلتين : الأولى أن يقال هذا الذى يفعله كثير من العوام عند قبور الصالحين ومع كثير من الأحبار والأموات والجن من التوجه إليهم ودعائهم لكشف الضر والنذر لهم لأجل ذلك هل هو الشرك الأكبر الذى فعله قوم نوح ومن بعدهم إلى أن انتهى الأمر إلى قوم خاتم الرسل قريش وغيرهم فبعث الله الرسل وأنزل الكتب ينكر عليهم ذلك ويكفرهم ويأمر بقتالهم حتى يكون الدين كله لله ؟ أم هذا شرك أصغر وشرك المتقدمين نوع غير هذا ؟ فاعلم أن الكلام فى هذه المسألة سهل على من يسره الله عليه بسبب أن علماء المشركين اليوم يقرون أنه الشرك الأكبر ولا ينكرونه إلا ما كان من مسيلمة الكذاب وأصحابه كابن إسماعيل وابن خالد مع تناقضهم فى ذلك واضطرابهم فأكثر أحوالهم يقرون أنه الشرك الأكبر ، ولكن يعتذرون أن أهله لم تبلغهم الدعوة ، وتارة يقولون لايكفر إلا من كان فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم ، وتارة يقولون إنه شرك أصغر وينسبونه إلى ابن القيم فى المدارج كما تقدم ، وتارة لايذكرون شيئا من ذلك بل يعظمون أهله وطريقتهم فى الجملة وأنهم خير أمة أخرجت للناس وأنهم العلماء الذين يجب رد الأمر عند التنازع إليهم وغير ذلك من الأقاويل المضطربة ، وجواب هؤلاء كثير فى الكتاب والسنة والاجماع ، ومن أصرح مايجابون به إقرارهم فى غالب الأوقات أن هذا هو الشرك الأكبر ، وأيضا إقرار غيرهم من علماء الأقطار مع أن أكثرهم قد دخل فى الشرك وجاهد أهل التوحيد لكن لم يجد بدا من الإقرار به لوضوحه . المسألة الثانية الإقرار بأن هذا هو الشرك الأكبر لكن لايكفر به إلا من أنكر الإسلام جملة ، وكذب الرسول والقرآن واتبع يهودية أو نصرانية أو غيرها ، وهذا هو الذى يجادل به أهل الشرك والعناد فى هذه الأوقات وإلا المسألة الأولى قل الجدال فيها ولله الحمد لما وقع من إقرار علماء الشرك بها .

فاعلم أن تصوّر هذه المسألة تصوراً حسناً يكفى فى إبطاله من غير دليل خاص لوجهين : الأول أن مقتضى قولهم إن الشرك بالله وعبادة الأصنام لا تأثير لها فى التكفير لأن الإنسان إن انتقل عن الملة إلى غيرها ، وكذب الرسول والقرآن فهو كافر وإن لم يعبد الأوثان كاليهود . فإذا كان من انتسب إلى الإسلام لا يكفر إذا

أشرك الشرك الأكبر لأنه مسلم يقول لا إله إلا الله ويصلي ويفعل كذا وكذا لم يكن للشرك وعبادة الأوثان تأثير بل يكون ذلك كالسواد فى الخلقة والعمى والعرج وإن كان صاحبها يدعى الإسلام فهو مسلم وإن ادعى ملة غيرها فهو كافر وهذه فضيحة عظيمة كافية فى رد هذا القول الفظيع. الوجه الثانى : أن معصية الرسول صلى الله عليه وسلم فى الشرك وعبادة الأوثان بعد بلوغ العلم كفر صريح بالفطر والعقول والعلوم الضرورية ، فلا يتصور أنك تقول لرجل ولو من أجهل الناس وأبلدهم ماتقول فيمن عصى الرسول ولم ينقد له فى ترك عبادة الأوثان والشرك مع أنه يدعى أنه مسلم متبع إلا ويبادر بحسب الفطرة الضرورية إلى القول بأن هذا كافر من غير نظر فى الأدلة أو سؤال أحد من العلماء ، ولكن لغلبة الجهل وغرابة العلم وكثرة من يتكلم بهذه المسألة من الملحدين اشتبه الأمر فيها على بعض العوام من المسلمين الذين يحبون الحق ، فلا تحقرها وأمعن النظر فى الأدلة التفصيلية لعل الله أن يمن عليك بالإيمان الثابت ويجعلك أيضا من الذين يهدون بأمره . ومن أحسن مايزيل الإشكال فيها ويزيد المؤمن يقينا ماجرى من النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه والعلماء بعدهم فيمن انتسب إلى الإسلام كما ذكر أنه صلى الله عليه وسلم بعث البراء ومعه الراية إلى رجل تزوج امرأة أبيه ليقتله ويأخذ ماله ، ومثل همه بغزو بنى المصطلق لما قيل إنهم منعوا الزكاة ، ومثل قتال الصديق وأصحابه لمانعى الزكاة وسبى ذراريهم وغنيمة أموالهم وتسميتهم مرتدين ، ومثل إجماع الصحابة فى زمن عمر على تكفير قدامة بن مظعون وأصحابه إن لم يتوبوا لما فهموا من قوله تعالى (ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا) حل الخمر لبعض الخواص ، ومثل إجماع الصحابة رضى الله عنهم فى زمن عثمان رضى الله عنه على تكفير أهل المسجد الذين ذكروا كلمة فى نبوة مسيلمة مع أنهم لم يتبعوه وإنما اختلف الصحابة فى قبول توبتهم ، ومثل تحريق على بن أبى طالب رضى الله عنه أصحابه لما غلوا فيه ، ومثل إجماع التابعين مع بقية الصحابة على كفر المختار بن أبى عبيد ومن اتبعه مع أنه يدّعى أنه يطلب بدم الحسين وأهل البيت ، ومثل إجماع التابعين ومن بعدهم على قتل الجعد بن درهم وهو مشتهر بالعلم والدين وهلم جرا من وقائع لاتعد ولاتحصى ، ولم يقل أحد من الأولين والآخرين لأبى بكر الصديق وغيره كيف تقاتل بنى حنيفة وهم يقولون لا إله إلا الله ويصلون ويزكون ،

وكذلك لم يستشكل أحد تكفير قدامة وأصحابه لولم يتوبوا وهلم جرا إلى زمن

بنى عبيد الذين ملكوا المغرب ومصر والشام وغيرها مع تظاهرهم بالإسلام وصلاة الجمعة والجماعة ونصب القضاة والمفتين لما أظهروا من الأقوال والأفعال ما أظهروا ولم يستشكل أحد من أهل العلم والدين قتالهم ولم يتوقف فيه وهم فى زمن ابن الجوزى ، وصنف ابن الجوزى كتابا لما أخذت مصر منهم سماه النصر على مصر ولم يسمع أحد من الأولين والآخرين أن أحداً أنكر شيئا من ذلك أو استشكله لأجل ادعائهم الملة أو لأجل قول لا إله إلا الله أو لأجل إظهار شىء من أركان الإسلام إلا ما سمعنا من هؤلاء الملاعين فى هذه الأزمان من إقرارهم أن هذا هو الشرك ، ولكن من فعله أو حسنه أو كان من أهله أو ذم التوحيد أو حارب أهله لأجله أو أبغضهم لأجله أنه لا يكفر لأنه يقول لا إله إلا الله أو لأنه يؤدى أركان الإسلام الخمسة ، ويستدلون بأن النبى صلى الله عليه وسلم سماها الإسلام هذا لم يسمع قط إلا من هؤلاء الملحدين الجاهلين الظالمين ، فإن ظفروا بحرف واحد من أهل العلم أو أحد منهم يستدلون به على قولهم الفاحش الأحمق فليذكروه ، ولكن الأمر كما قال اليمنى فى قصيدته :

أحاديث لا تعزى إلى عالم فلا تساوى فلسا إن رجعت إلى النقد

ولنختم الكلام فى هذا النوع بما ذكره البخارى فى صحيحه حيث قال باب تغيير الزمان حتى تعبد الأوثان ، ثم ذكر بإسناده قوله صلى الله عليه وسلم « لا تقوم الساعة حتى تضطرب أليات نساء دوس حول ذى الخلصة » وذو الخلصة صنم لدوس يعبدونه فقال صلى الله عليه وسلم لجرير بن عبدالله « ألا تريحنى من ذى الخلصة ، فركب إليه بمن معه فأحرقه وهدمه ثم أتى النبى صلى الله عليه وسلم ، قال فبرك على خيل أحمس ورجالها خمسا » وعادة البخارى رحمه الله إذا لم يكن الحديث على شرطه ذكره فى الترجمة ثم أتى بما يدل على معناه مما هو على شرطه ولفظ الترجمة وهو قوله يتغير الزمان حتى تعبد الأوثان لفظ حديث أخرجه غيره من الأئمة ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

ولنذكر من كلام الله ورسوله وكلام أئمة العلم جملا فى جهاد القلب واللسان ومعاداة أعداء الله وموالاة أوليائه ، وأن الدين لا يصح ولا يدخل الإنسان فيه إلا بذلك فنقول :

باب وجوب عداوة أعداء الله
من الكفار والمرتدين والمنافقين

وقول الله تعالى (وقد نزل عليكم فى الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا فى حديث غيره إنكم إذا مثلهم) وقول الله تعالى (ومن يتولهم منكم فإنه منهم) وقوله (يا أيها الذين آمنوا لاتتخذوا عدوى وعدوكم أولياء) إلى قوله (كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده) الآية وقوله (لاتجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حادّ الله ورسوله) .

قال الإمام الحافظ محمد بن وضاح : أخبرنا غير واحد أن أسد بن موسى كتب إلى أسد بن الفرات : اعلم يا أخى أن ما حملنى على الكتاب إليك ماذكر أهل بلادك من صالح ماأعطاك الله من إنصافك الناس وحسن حالك مما أظهرت من السنة وعيبك لأهل البدعة وكثرة ذكرك لهم وطعنك عليهم ، فقمعهم الله بك وشد بك ظهرأهل السنة وقواك عليهم بإظهارعيبهم والطعن عليهم ، فأذلهم الله بك وصاروا ببدعتهم مستترين ، فأبشر أى أخى بثواب ذلك واعتدّ به من أفضل حسناتك من الصلاة والصيام والحج والجهاد ، وأين تقع هذه الأعمال من إقامة كتاب الله وإحياء سنة رسوله ؟ وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من أحياشيئاً من سنتى كنت أنا وهو كهاتين فى الجنة وضم بين أصبعيه » . وقال « أيما داع دعا إلى هدى فاتبع عليه كان له مثل أجر من تبعه إلى يوم القيامة » فمتى يدرك هذا أجر شىء من عمله ، وذكر أيضاً « إن لله عند كل بدعة كيد بها أهل الإسلام وليا لله يذب عنها وينطق بعلامتها » فاغتنم يا أخى هذا الفضل وكن من أهله فإن النبى صلى الله عليه وسلم قال لمعاذ حين بعثه إلى اليمن وأوصاه « لأن يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك من كذا وكذا » وعظم القول فيه ، فاغتنم ذلك وادع إلى السنة حتى يكون لك بذلك ألفة وجماعة يقومون مقامك إن حدث بك حدث فيكونون أمة بعدك فيكون لك ثواب ذلك إلى يوم القيامة كما جاء فى الأثر ، فاعمل على بصيرة ونية وحسبة فيرد الله بك المبتدع المفتون الزائغ الحائر ، فتكون خلفاً من نبيك صلى الله عليه وسلم ، فإنك لن تلقى الله بعمل شبهه . وإياك أن يكون لك من أهل البدع أخ أو جليس أو صاحب

فإنه جاء الأثر «من جالس صاحب بدعة نزعت منه العصمة ووكل إلى نفسه، ومن مشى إلى صاحب بدعة مشى فى هدم الإسلام» وجاء «مامن إله يعبد من دون الله أبغض إلى الله من صاحب هوى» وقد وقعت اللعنة من رسول الله صلى الله عليه وسلم على أهل البدع وأن الله لايقبل منهم صرفا ولا عدلا ولا فريضة ولا تطوعا، وكلما ازدادوا اجتهادا وصوما وصلاة ازدادوا من الله بعدا؛ فارفض مجالسهم وأذلهم وأبعدهم كما أبعدهم الله وأذلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأئمة الهدى من بعده انتهى.

واعلم رحمك الله أن كلامه وما يأتى من كلام أمثاله من السلف فى معاداة أهل البدع والضلال ضلالة لاتخرج من الملة لكنهم شددوا فى ذلك وحذروا منه لأمرين: الأول غلظ البدعة فى الدين فى نفسها، فهى عندهم أجل من الكبائر يعاملون أهلها كما يعاملون به أهل الكبائر كما تجد قلوب الناس اليوم أن الروافض عندهم ولو كان عالما أو عابداً أبغض وأشد من السنى المجاهر بالكبائر. الأمر الثانى أن البدع تجر إلى الردة الصريحة كما وجد من كثير من أهل البدع. فمثال البدعة التى شددوا فيها مثال تشديد النبى صلى الله عليه وسلم على من عبدالله عند قبر رجل صالح مما وقع من الشرك الصريح الذى يصير المسلم مرتدا، فمن فهم هذا فهم الفرق بين البدع وبين ما نحن فيه من الكلام فى الردة ومجاهدة أهلها أو النفاق الأكبر ومجاهدة أهله وهذا هو الذى نزلت فيه الآيات المحكمات مثل قوله تعالى (ياأيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه) الآية وقوله (ياأيها النبى جاهد الكفار) الآية. وقال ابن وضاح فى كتاب البدع والحوادث بعد حديث ذكره أنه سيقع فى هذه الأمة فتنة الكفر وفتنة الضلالة لايحل فيها السبى والأموال وهذا الذى نحن فيه فتنة ضلالة لايحل فيها السبى ولا الأموال انتهى كلامه.

وقال رحمه الله أيضا: أخبرنا رجل عن ابن المبارك قال: قال ابن مسعود «إن لله عند كل بدعة كيد بها أهل الإسلام وليا من أوليائه يذب عنها وينطق بعلامتها فاغتنموا حضور تلك المواطن وتوكلوا على الله». قال ابن المبارك (وكفى بالله وكيلا). ثم ذكر باسناده عن بعض السلف قال «لئن أرد رجلا عن رأى سيئ أحب إلىّ من اعتكاف شهر». أخبرنا أسد عن أبى إسحاق الحذاء عن الأوزاعى قال كان بعض أهل العلم يقول: لايقبل الله من ذى بدعة صلاة ولاصياما ولا صدقة ولاجهادا ولا حجا ولا صرفا ولا عدلا، وكانت أسلافكم تشتد عليهم ألسنتهم وتشمئز منهم قلوبهم ويحذرون الناس

بدعتهم ، قال ولو كانوا مستترين ببدعتهم دون الناس ، ما كان لأحد أن يهتك عنهم سترا ولا يظهر منهم عورة الله أولى بالأخذ بها أو بالتوبة عليها . وأما إذا جهروا فنشر العلم حياة والبلاغ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم رحمة يعتصم بها على مصر ّ بالحاده ثم روى بإسناده قال : جاء رجل إلى حذيفة وأبو موسى الأشعرى قاعد فقال : أرأيت رجلا قاعدا حتى ضرب بسيفه غضبا لله حتى قتل أفى الجنة هو أم فى النار ؟ قال أبو موسى فى الجنة ، فقال حذيفة استفهم الرجل وأفهمه ما تقول حتى فعل ذلك ثلاث مرات ، فلما كان فى الثالثة قال والله لا نستفهمه فدعابه حذيفة فقال : رويدك إن صاحبك لو ضرب بسيفه حتى ينقطع فأصاب الحق حتى يقتل عليه فهو فى الجنة وإن لم يصب الحق ولم يوفقه الله فهو فى النار ، ثم قال : والذى نفسى بيده ليدخلن النار مثل الذى سئلت عنه أكثر من كذا وكذا ثم ذكر بإسناده عن الحسن قال : لا تجالس صاحب بدعة فإنه يمرض قلبك ، ثم ذكر بإسناده عن سفيان الثورى قال : من جالس صاحب بدعة لم يسلم من إحدى ثلاث : إما أن يكون فتنة لغيره ، وإما أن يقع فى قلبه شىء فيزل به فيدخله النار ، وإما أن يقول والله ما أبالى ما تكلموه وإنى واثق بنفسى ، فمن آمن الله على دينه طرفة عين سلبه إياه . ثم ذكر بإسناده عن بعض السلف قال : من أتى صاحب بدعة ليوقره فقد أعان على هدم الإسلام . أخبرنا أسد قال أخبرنا حماد بن زيد عن أيوب قال : قال أبو قلابة : لا تجالسوا أهل الأهواء ولا تجادلوهم فإنى لا آمن أن يغمسوكم فى ضلالتهم أو يلبسوا عليكم ما تعرفون . قال أيوب وكان والله من الفقهاء ذوى الألباب : أخبرنا أسد عن محمد بن طلحة قال : قال إبراهيم : لا تجالسوا أصحاب البدع ولا تكلموهم فإنى أخاف عليكم أن ترتد قلوبكم ، أخبرنا أسعد بالإسناد عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الرجل على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل » أخبرنا أسد أخبرنا مؤمل بن إسماعيل عن حماد بن زيد عن أيوب قال : دخل على محمد بن سيرين يوما رجل فقال : يا أبا بكر أقرأ عليك آية من كتاب الله لا أزيد على أن أقرأها ثم أخرج فوضع إصبعيه فى أذنيه ثم قال : أحرّج عليك إن كنت مسلما لما خرجت من بيتى ، قال . فقال يا أبا بكر إنى لا أزيد على أن أقرأ ثم أخرج قال : فقال بإزاره يشده عليه وتهيأ للقيام فأقبلنا على الرجل فقلنا قد حرّج عليك إلا خرجت ، أفيحل لك أن تخرج رجلا من بيته ؟ قال فخرج فقلنا يا أبا بكر

ما عليك لو قرأ آية ثم خرج ؟ قال إني والله لو ظننت أن قلبي يثبت على ما هو عليه ما باليت أن يقرأ ولكني خفت أن يلقى فى قلبي شيئا أجهد أن أخرجه من قلبي فلا أستطيع . أخبرنا أسد قال أخبرنى حمزة عن سودة قال : سمعت عبد الله ابن القاسم وهو يقول : ما كان عبد على هوى فتركه إلا إلى ما هو أشر منه قال فذكرت هذا لبعض أصحابنا ، فقال تصديقه فى حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم « يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية ثم لايرجعون حتى يرجع السهم إلى فوقه » . أخبرنا أسد قال أخبرنى موسى بن إسماعيل عن حماد بن زيد عن أيوب قال : كان رجل يرى رأيا فرجع عنه فأتيت محمداً فرحا بذلك أخبره فقال أشعرت أن فلانا ترك رأيه الذى كان يرى؟ فقال انظروا إلى ماذا يتحول إن آخر الحديث أشد عليهم من أوله يمرقون من الإسلام لايعودون إليه . ثم روى بإسناده عن حذيفة أنه أخذ حصاة بيضاء فوضعها فى كفه ثم قال إن الدين قد استضاء استضاءة هذه ثم أخذ كفا من تراب فجعل يذرّه على الحصاة حتى واراها ثم قال : والذى نفسى بيده ليجيئنّ أقوام يدفنون هذا الدين كما دفنت هذه الحصاة . أخبرنا محمد بن سعيد بإسناده عن أبى الدرداء قال : لو خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إليكم اليوم ماعرف شيئا مما كان عليه هو وأصحابه إلا الصلاة . قال الأوزاعى فكيف كان اليوم قال عيسى يعنى الراوى عن الأوزاعى فكيف لو أدرك الأوزاعى هذا الزمان . أخبرنا محمد ابن سليمان بإسناده عن على قال « تعلموا العلم تعرفوا به واعملوا به تكونوا من أهله فإنه سيأتى بعدكم زمان ينكر الحق فيه تسعة أعشارهم » . أخبرنا يحي بن يحي بإسناده عن أبى سهيل بن مالك عن أبيه أنه قال : ما أعرف شيئا مما أدركت عليه الناس إلا النداء بالصلاة . حدثنى إبراهيم بن محمد بإسناده عن أنس قال : ما أعرف منكم شيئا كنت أعهده على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس قولكم لا إله إلا الله . أخبرنا أسد بإسناده عن الحسن قال : لو أن رجلا أدرك السلف الأول ، ثم بعث اليوم ماعرف من الإسلام شيئا قال ووضع يده على خده ثم قال إلا هذه الصلاة ثم قال : أما والله لمن عاش فى هذه النكر أو لم يدرك هذا السلف الصالح فرأى مبتدعا يدعو إلى بدعته ورأى صاحب دنيا يدعو إلى دنياه فعصمه الله من ذلك وجعل قلبه يحن إلى ذكر هذا السلف الصالح يسأل عن سبيلهم ويقتص آثارهم ويتبع سبيلهم ليعوض أجراً عظيما فكذلك فكونوا إن شاء الله . حدثنى عبد الله بن محمد بإسناده

عن ميمون بن مهران قال : لو أن رجلا نشر فيكم من السلف ماعرف فيكم غير هذه القبلة . أخبرنا محمد بن قدامة بإسناده عن أم الدرداء قالت : دخل عليّ أبو الدرداء مغضبا فقلت له ما أغضبك؟ فقال والله ما أعرف فيهم من أمر محمد شيئا إلا أنهم يصلون جميعا ، وفى لفظ : لو أن رجلا يعلم الإسلام وأهمه ثم تفقده ماعرف منه شيئا . حدثنى إبراهيم باسناده عن عبد الله بن عمرو قال : لو أن رجلين من أوائل هذه الأمة خليا بمصحفهما فى بعض هذه الأودية لأتيا الناس اليوم ولا يعرفان شيئا مما كانا عليه . قال مالك وبلغنى أن أبا هريرة تلا قوله تعالى (إذا جاء نصر الله والفتح) فقال والذى نفسى بيده إن الناس ليخرجون اليوم من دينهم أفواجا كما دخلوا فيـه أفواجا . قف وتأمل رحمك الله إذا كان هذا فى زمن التابعين بحضرة أواخر الصحابة فكيف يغرّ المسلم الكثرة أو تشكل عليـه ولا يستدل بها على الباطل . ثم روى ابن وضاح بإسناده عن أبى أمية قال أتيت أبا ثعلبة الخشنى فقلت يا أبا ثعلبة كيف تصنع فى هذه الآية ؟ قال أية آية ؟ قلت قول الله تعالى (لا يضركم من ضل إذا اهتديتم) قال أما والله لقد سألت بها خبيرا سألت عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال . « ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى إذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا ودنيا مؤثرة وإعجاب كل ذى رأى برأيه، فعليك بنفسك ودع أمر العوام فإن من ورائكم أياما الصبر فيهن مثل قبض على الجمر للعامل فيهن مثل أجر خمسين رجلا يعملون مثل عمله ، قيل يارسول الله أجر خمسين منهم؟ قال أجر خمسين منكم » . ثم روى بإسناده عن عبد الله بن عمر أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « طوبى للغرباء ثلاثا قالوا يا رسول الله ومن الغرباء ؟ قال أناس صالحون قليل فى ناس سوء كثير من يبغضهم أكثر ممن يحبهم » . أخبرنا محمد بن سعيد بإسناده عن المعافرى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « طوبى للغرباء الذين يمسكون بكتاب الله حين يترك ويعملون بالسنة حين تطفأ » . أخبرنا أسد عن سالم بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « بدأ الإسلام غريبا ولا تقوم الساعة حتى يكون غريبا فطوبى للغرباء حين يفسد الناس ثم طوبى للغرباء حين يفسد الناس » . أخبرنا أسد بإسناده عن عبد الله أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول . « بدأ الإسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ فطوبى للغرباء ، فقيل وما الغرباء يارسول الله؟ قال الذين يصلحون عند فساد الناس » .

هـذا آخر ما نقلته من كتاب الحوادث والبدع للإمام الحافظ محمد بن وضاح رحمه الله تعالى . قال المؤلف : وتأمل رحمك الله تعـالى أحاديث الغربة وبعضها فى الصحيح مع كثرتها وشهرتها، وتأمل إجماع العلماء كلهم أن هذا قد وقع من زمن طويل حتى قال ابن القيم: الإسلام فى زماننا أغرب منه فى أول ظهوره ، فتأمل هذا تأملا جيدا لعلك أن تسلم من الهوة الـكبيرة التى هلك فيها أكثر الناس وهى الاقتداء بالأكثر والسواد الأكبر والنفرة من الأقل فما أقل من سلم منها ، ما أقله ما أقله !

ولنختم ذلك بالحديث الصحيح الذى أخرجه مسلم عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ما من نبى بعثه الله تعالى فى أمة قبلى إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره » وفى رواية « يهتدون بهديه ويستنون بسنته ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل » انتهى ما نقلته والحمد لله رب العالمين .

وقد رأيت للشيخ تقى الدين رسالة كتبها وهو فى السجن إلى بعض إخوانه لما أرسلوا إليه يشيرون عليه بالرفق بخصومه ليتخلص من السجن أحببت أن أنقل أولها لعظيم منفعته قال : الحمد لله نستعينه ونستهديه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا صلى الله عليه وسلم تسليما .

أما بعد : فقد وصلت الورقة التى فيها رسالة الشيخين الجليلين العالمين الناسكين القدوتين أيدهما الله وسائر الإخوان بروح منه وكتب فى قلوبهم الإيمان وأدخلهم مدخل صدق وأخرجهم مخرج صدق وجعل لهم من لدنه ما يتم به من السلطان سلطان العلم والحجة بالبيان والبرهان وسلطان القدرة والنصرة بالسنان والأعوان وجعلهم من أوليائه المتقين وحزبه الغالبين لمن ناوأهم من الأقران ومن أئمة المتقين الذين جمعوا بين الصبر والإيقان والله محقق ذلك ومنجز وعده فى السر والإعلان ومنتقم من حزب الشيطان لعباد الرحمن لـكن على ما اقتضت ومضت به سنته من الابتلاء والامتحان الذى يميز الله به أهل الصدق والإيمان من أهل النفاق والبهتان إذ قد

دل على أن لابد من الفتنة لكل من ادعى الإيمان والعقوبة لذوى السيئات والطغيان فقال تعالى (ألم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لايفتنون . ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين . أم حسب الذين يعملون السيئات أن يسبقونا ؟ ساء ما يحكمون) فأنكر سبحانه على من يظن أن أهل السيئات يفوتون الطالب الغالب ، أو أن مدعى الإيمان يترك بلافتنة تميز بين الصادق والكاذب، وأخبر فى كتابه أن الصدق فى الإيمان لايكون إلا بالجهاد فى سبيله فقال تعالى (قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا) وقوله (إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله أولئك هم الصادقون) وأخبر سبحانه بخسران المنقلب على وجهه عند الفتنة التى يعبد الله فيها على حرف وهو الجانب والطرف الذى لايستقر من هو عليه بل لايثبت على الإيمان إلا عند وجود مايهواه من خير الدنيا ، فقال تعالى (ومن الناس من يعبد الله على حرف فإن أصابه خير اطمأن به) الآية ، وقد قال تعالى (أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين ــ ونبلو أخباركم) وأخبر سبحانه أنه عند وجود المرتدين لابد من وجود المحبين المحبوبين المجاهدين فقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه) الآية ، وهؤلاء الشاكرون لنعمة الإيمان الصابرون على الامتحان كما قال تعالى (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفائن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم) فإذا أنعم الله على الإنسان بالصبر والشكر كان جميع مايقضى له من القضاء خيرا له كما قال النبى صلى الله عليه وسلم «لايقضى الله للمؤمن من قضاء إلا كان خيرا له إن أصابته سراء فشكر كان خيرا له وإن أصابته ضراء فصبر كان خيرا له» والصابر الشكور هو المؤمن الذى ذكر الله فى غير موضع من كتابه ، ومن لم ينعم الله عليه بالصبر والشكر فهو بشر حال وكل واحدة من السراء والضراء فى حقه تفضى به إلى قبح المآل فكيف إذا كان ذلك فى الأمور العظيمة التى هى من محن الأنبياء والصديقين وفيها تثبيت أصول الدين وحفظ الإيمان والقرآن من كيد أهل النفاق والإلحاد والبهتان فالحمد لله حمداً كثيرا طيبا مباركا فيه كما يحب ربنا ويرضى وكما ينبغى لكرم وجهه وعز جلاله ، والله المسئول أن يثبتكم وسائر المؤمنين فى الحياة الدنيا والآخرة ويتم نعمته عليكم الباطنة والظاهرة وينصر دينه

وكتابه ورسوله وعباده المؤمنين على الكافرين والمنافقين الذين أمرنا بجهادهم والإغلاظ عليهم فى كتابه المبين ، انتهى كلام أبى العباس رحمه الله .

ومن جواب له رحمه الله لما سئل عن الحشيشة ما يجب على من يدعى أن أكلها جائز ؟ فقال أكل هذه الحشيشة حرام وهى من أخبث الخبائث المحرّمة سواء أكل منها كثيرا أو قليلا لكن الكثير منها المسكر حرام باتفاق المسلمين ، ومن استحلّ ذلك فهو كافر يستتاب ، فإن تاب وإلا قتل كافراً مرتداً لا يغسل ولا يصلى عليه ولا يدفن بين المسلمين ، وحكم المرتد شر من حكم اليهود والنصارى سواء اعتقد أن ذلك يحل للعامة أو للخاصة الذين يزعمون أنها لقمة الذكر والفكر وأنها تحرك العزم الساكن وتنفع فى الطريق ، وكان بعض السلف ظن أن الخمر يباح للخاصة متأولا قوله تعالى (ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا) فاتفق عمر وعلى وغيرهما من علماء الصحابة على أنهم إن أقروا بالتحريم جلدوا وإن أصروا على الاستحلال قتلوا انتهى ما نقلته من كلام الشيخ . فتأمل كلام هذا الذى ينسب إليه عدم تكفير المعين إذا جاهر بسب دين الأنبياء وصار مع أهل الشرك ويزعم أنهم على الحق ويأمر بالمصير معهم وينكر على من لا يسب التوحيد ويدخل مع المشركين لأجل انتسابه إلى الإسلام ، انظر كيف كفر المعين ولو كان عابدا باستحلال الحشيشة ولو زعم حلها للخاصة التى تعينهم على الفكرة واستدل بإجماع الصحابة على تكفير قدامة وأصحابه إن لم يتوبوا وكلامه فى المعين وكلام الصحابة فكيف بما نحن فيه مما لا يساوى استحلال الحشيشة جزءا من ألف جزء منه ، والحمد لله رب العالمين انتهى .

وفى هذه السنة أيضا جرت وقعة تسمى وقعة الغفيلي وهو رجل فى قصر من قصور ظرما فعزم على الردة وصمم عليها قصده فأرسل إلى إبراهيم بن سليمان يخبره بذلك الأمر والشان ويستنجده بأن يرسل إليه أعوانا فأرسل إليه بعض الجيش لكى تطمئن نفسه ويسكن ما بها من الطيش فعثر على ما نواه وأراد واطلع على حاله أمير البلاد فأرسل إلى الأمير محمد بن سعود يخبره بالأمر المعقود فجهز الأمير جيشا فى ساعته من أهل العيينة وأهل الدرعية وغيرهما من جماعته وبادروا إلى قصر ظرما بالمسير ليعاجلوا ذلك التدبير وسار معهم محمد بن عبد الله أمير ظرما وغالب

قومه بعد التهيؤ فى الحال والاستعداد فى القتال ، فلما قارب البلد كمن فى زرع الذرة وقعد ، فلما مضى هزيع من الليل سمعوا وقع حوافر الخيل فبدروهم بالحملة وقتلوهم فورا من غير مهلة ولم يسلك منهم فج الانهزام إلا من نجا برأس طمرّة ولجام ، وقتل من أهل ثرمدا ممن أقبل منهم واعتدى على سبيل التحقيق لا التخمين قريبا من نحو سبعين وأسر أناسا من الأماثل منهم عبد الكريم بن زامل . ثم دخلت السنة الثامنة والستون . وفيها فتح الله تعالى للمسلمين حريملا فأخذوها بالسيف عنوة وبغتوا أهلها بها فجوة ، وذلك أن عبد العزيز فسح الله له فى الأجل وبلغه غاية الأمل ، غزا بالمسلمين وكانوا نحو الثمان من المئين وخيلهم لا تزيد على عشرين فأناخ شرقى البلاد وقد اشتد ظلام الدجنة فى السواد ، وقد عبأ المسلمين وجعل ذلك الكمين فى موضعين فصار الأمير عبد العزيز فى شعب عوجا ومبارك ابن عدوان مع مائتى رجل أقاموا بالجزيع فوجا ، فلما بدا جبين النهار وأسفر وجهه واستنار وأخذ أهل الفلاحة فى الانتشار شن الشعواء وأغار ، فلم يكن لأهل البلد عن الظهور اصطبار ، فعند ذلك نشب القتال وتلاحمت الأبطال وظهر الكمين الأول فكان كل من أهل البلد على الصبر قد عوّل ، وأرخصوا عند ذلك المهج ولم يكن أحد لمنهج الفرار قد انتهج حتى بدا لهم الكمين الثانى فلم يكن أحد على القرار ثانى بل جدوا فى الفرار بلا توان وملك المسلمون أعقابهم وحققوا مطالبهم فقتلوا منهم مائة عجل الله ذهابهم وأراد استئصالهم وعذابهم ، ونال المسلمون بذلك غاية الآمال والمنال وغنموا تلك الذخائر والأموال ، وطاف على أهل ذلك الأفعال طائف العذاب والوبال وقتل من المسلمين سبعة رجال ، ودخل المسلمون البلد ولم يكن أحد من أهل الشرك إلا شرد وأعطى عبد العزيز بقية الناس الأمان وكانت البلد فيئا من الله على سبيل الامتنان وخرج هاربا منها مختفيا ابن عبد الوهاب سليمان وأمر عبد العزيز مبارك بن عدوان وبئس الأمير كان لأنه آثر بعد ذلك سبيل الشيطان كما يأتى بيان ردته فى شهره وسنته وقد أعطاه عبد العزيز من الأموال كل نفيس عزيز وخيره فى البيوت والمنازل وفى البساتين والأصائل وأخذ ما شاء من تلك الدار واختار ما طاب من العقار .

ولما توقف فى حكم أموال أهل هذه البلدة الناس كشف الشيخ رحمه الله تعالى

عن ذلك حجب الالتباس وأماط عن وجه الحكم الأدناس وبتّ الحكم بأنها على المسلمين من جملة الإلباس نظير ماصدر وجرى من أفعال السلف الكبرى ، وكان ما ذكر لثمان مضت من جمادى الأولى يوم الجمعة ، وأقبل عبد العزيز بتلك الأموال والغنائم إلى الدرعية ثم وقعت فيها المقاسم . وفيها تظاهر على نصرة الدين ومحاربة أهل الضلال والمشركين عامة أهل شقرا فأدركوا بذلك عزاً وفخرا وأحرزوا ثوابا وأجرا فاجتمعوا على ذلك بعد الافتراق ، واضمحل ماكان منهم قبل ذلك من الاختلاف والشقاق. وفيها محاربة ابن دواس الثانية فى شعبان بدت الردة من دهام واجتمع هو وابن فارس على محاربة المسلمين والإسلام بلا سبب من المسلمين لذلك باعث ، بل على سبيل الاختيار أصبح للعهد ناكث ، فأول ماجرى منه أنه عداعلى أهل أبى الكباش وانقلب راجعا منحاش ، ولما تظاهر دهام بذلك الاعتداء وعدل عن سنن الاهتداء وتبين ذلك منه وبدا حناق على أهل الدين والهدى من أهل بلده السكنى عند أهل الردّا ، فأجمعوا على الهجرة وكل حقق عليها رأيه وأمره فتركوا الأموال والوطن وباعوها بأغلى وأعلا ثمن على مولى المنن فمن مشاهيرهم محمد بن صالح وسعيد بن عمران أهل الهجرة الأولى من الرياض إلى منفوحة ابن ذهلان عبد الرحمن وابن صالح وسعيدبن عمران وحمدا بالحويل ومحمدبن دخيل وعياله أحمد وموسى وعبدالله وموسى بن محمد وقاسم ومانع وعيسى بن نوح وعلى بن نوح وسعد بن نوح وأخوه موسى وعبد الرحمن بن جندل وموسى بن زياد وابنه محمد وعبد الرحمن بن سويدان وسليمان بن سحيم وسليمان بن حمد صالح وراشد بن نفيسة وعلى بن نفيسة وإبراهيم بن نفيسة وسليمان بن نفيسة وموسى أبو الحويل وعبدالرحمن أبوالحويل. ثم هاجر جميع ماذكرنا من منفوحة إلى الدرعية لماثبت أسباب الردة من ابن فارس. ثم هاجر معهم من مشاهير أهل منفوحة حسين بن عثمان وعثمان بن حسين وسليمان بن حسين ومحمد بن حمد بن حسين وسلطان بن عبد الله ومحمد ابنه وإبراهيم بن سلطان وسليمان بن حسين وإخوته ناصر وسلامة وموسى والمخاضيب عبد الرحمن وعياله عبد الله وحمد وعيسى وعيال محمد على يحي وموسى وعلى بن مزروع وعبد الله وحسن والسحوم دهمش وعمر وحمد ومطلق ، ومن الزمامات يحي وموسى وآل نديان ثلاثة محمد والمغيليث وراشد وعلى ومنصور بن قاسم وسويلم بن قراش وعثمان بن مجلى وعربيد وعثمان العليوى ومحمد

ابن طفل ومبارك بن مرجان وغيث بن سحيم وولده ومحمد بن هلال وأخوه حمد وثالثهم على وراشد التحنيفي وعثمان التحنيفي وسلمان الشعيبي وعبد الله بن نفيسة وعبد القادر وعيسى بن سرحان وعبد الله بن رشيدان ومفرج بن رشيدان ومفرج ابن جلال وعيسى بن سعدون وولده محمد . وفيها اجتمع دهام بن فارس وأهل الوشم وأهل سدير وأهل ثادق وجلوية حريملا فغزوا حريملا وحزبوا عليها وساروا جميعا فوصلوها وسلطان الليل قائم والسكرى على الأجفان حاكم وغالب الأحراس نايم فدخلوا فى حلة تسمى الحسيان ، ولم يشعر بهم من البلد إنسان حتى ملكوا تلك البساتين والحلة واستعد كل منهم للقتال وملك محله فأخبر بذلك الشأن مبارك بن عدوان فنهض عليهم مع جماعة معه فى الليل فرجعوا ولم يخرجوهم من النخيل ، فلما أصبح الصباح اغتدى للحرب وراح واجتمع مبارك مع قومه والتقى معهم صبح يومه وحمى بينهم القتال وأخرجوا طائفة من تيك الجبال وبقى طائفة من الرجال وغالبهم من أهل حريملا من الجلوية محصورين فى البيوت خوف الاغتيال ، ومكثوا نحو خمسة أيام فى أشرّ مقام ؛ وفى مدة هذه الإقامة كل يشد للرمى سهامه وقتلوا من أهل البلد نحو ثمانية عشر من العدد ثم بعد ذلك تسوّر المسلمون عليهم الدور وحاق عليهم المكر والفجور ، وحان عليهم القضاء المحتم المسطور ، فقتلوا قتلة رجل واحد ، وكان دهام على مقتلهم واجد ، وأخذوا مامعهم من سلاح ، وغدا دهام بالخزى وراح ، وكان جملة المقتولين من الأحزاب ستين وقد دعا مبارك أناسا من أهل حرمة محصورين وأعطاهم ذمة المسلمين فخرج منهم على الأسر عشرة فخان بهم وقتل منهم ستة قضى بهم وطره ولم يشعر بذلك الشيخ وابن سعود ولما جاءهم الخبر نقموا عليه بما صدر كيف وفى الحديث «ثلاثة أنا خصمهم وذكر رجلا أعطى بى فغدر» فأخذ منهما الغضب غايته وبلغ حده ونهايته . ثم دخلت السنة التاسعة والستون وفيها تقشع عن أهل القويعية غمام الشرك والشر والأذى ، وزال عن أبصار بصائرهم القذى ، واستنشقوا من عرف الحق شذى ، وداخل أفئدتهم من التوحيد شائبة وهبت لهم من ذلك سايبة ، فصارت قلوبهم للدخول فيه طالبة ولالتزام أحكام الإسلام راغبة ، فأقبلوا على الشيخ والأمير محمد حين أرادوا ذلك الطريق الأحمد وقدم محروس الدرعية كبار أهل القويعية فبايعوا على الإسلام والتزموا جميع الأحكام ولقد صدقوا فى تلك البيعة ووفوا وأقاموا متجملين بجمال ذلك اللباس فما خانوه ولانفوا ، وكان أول من صار إلى التوفيق

وداعيه ووعته منه أذن واعية ناصر بن جماز العريفى وسعود بن حمد فكل منهما سارع إلى ذلك الشأن ونهد ، وبادر إلى الوفود فوفد ، وهاجروا إلى ديار الإسلام فنالوا الفوز والمرام . وفيها سار المسلمون وأميرهم عبد العزيز متع الله تعالى به المسلمين فى رفعة وتمكين إلى منفوعة والرياض فعدوا على منفوحة ودخلوا نخيل الصبيحة وأخذوا دواب كثيرة إبلا وبقرا وحميرا، ثم خرج عليهم الأفزاع ، فهزمهم المسلمون بالقتل والدفاع وقتل منهم على أبو الماسح وغيره ثم جاءهم بعد ذلك أهل الرياض بالمدد واستحرّ بينهم وبين المسلمين القتال والجلاد وكل شمر للجلاد واجتهد حتى صاح بأحزاب الضلال منادى الهوان والإذلال فولوا مدبرين وابلدهم طالبين ورجعوا بالخيبة والحسرة وكم لهم مثلها من مرة وكان دهام فى تلك الأيام باديا على أهل سدير والوشم فى تدبير الحرب والانتظام والسياسة والمواعدة على المسلمين والإسلام ، وكان عند عبدالعزيز بذلك خبر قبل أن يرحل إلى منفوحة وبعد ماصدر ، فلما رجع إلى الدرعية وتحقق القضية خرج مسرعا يريد له الرصد . فكمن له قرب ظرما فإذا هو قد وفد ولكنه شعر بالمسلمين فولى مع من معه مدبرين، فطلبه المسلمون أشد الطلب ولكنه جدّ فى الفرار والهرب ورمى عن الركاب كل ثقيل وترك من المطى كل ظهر لايسرع فى الغارة والذميل وأخذ المسلمون ماطرحه وترك ولحق ببلده عبد العزيز وانفرك ، ثم إن عبد العزيز حرسه الله تعالى استأذن الغزاة فى إعطاء جميع الغنيمة المهاجرين فطابت بذلك نفوسهم أجمعين فأذنوا له فى ذلك . ثم دخلت السنة السبعون بعد المائة والألف وفيها وقعة تسمى وقعة الرشا عند من ترعرع فى ذلك الوطن ونشا ، وكانت على أهل منفوحة لأن المسلمين نقضوا البناء المعدّ لحجر السيل على النخيل المسمى عند أهل البلد بذلك ، ودخل المسلمون عليهم البيوت والدور ؛ ثم إن دهاما أتاه الخبر المسطور فنهض من ساعته مع مقاتلة جماعته بعد ما قال لمن جاءه بذلك المقال اثبتوا لهم ساعة فإنى أدهمهم مع الجماعة ، فأقبل ابن دواس على المسلمين وقد صاروا بهدم أساس الرشا مشتغلين فقاتل من المسلمين من عند ذلك الأساس حتى هزمهم مقاتلة أهل الرياض مع ابن دواس ، وتصادم دهام فى ذلك الظلام مع واحد من فرسانه وحفدته وأعوانه ، وتصافق الفرسان عند ذلك الطعان وسقط كل منهما على الأرض وأخذ المسلمون على هيئة واجتماع وخرج الذين دخلوا وسط الدور بعد قتال مشهور قتل

فيه عبد الوهاب بن مشرف وخرجوا عنها بعد ما قارب كل منهم الحمام وأشرف ، وصادفوا بعد أن خرجوا من تلك البلاد دهام بن دواس ومن معه من الأجناد ، فلم يعرفوهم وظنوهم من أهل الدور أمداد ، وقد عرف المسلمون دهاما وقومه وظن كل منهم أنه ملاق حمامه ويومه ، فحقن الله تعالى دماءهم وأنجح سؤلهم ومناهم إلا أنهم قتلوا ثلاثة رجال من أهل الرياض ذوى الضلال قد عرفوهم بالرؤوس فجرّعوهم من الحمام مرّ الكؤوس ، ورجع المسلمون إلى بلادهم وقد استشهد منهم عشرة فى تعدادهم . وفيها أيضاً حزّب أهل الوشم وأهل سدير على شقرا وراموا بذلك من الهتك أمرا ، فساروا وقد ملئت قلوبهم بالحقد والضغائن فنزلوا بأجمعهم فى قرية القرائن ، وأقاموا بها من الأيام ثلاثة وكل يوم يناوشون أهل شقرا الحرب من غير توان ولا رثاثة ، ويقع بينهم فى قتال وطعان ومجال حتى أراد الكبير المتعال الخذلان لأهل الضلال ، فجاء محمد بن سعود الخبر وتيقنه خبرا ، فجوّد صارم العزم للمسير وأخبر بذلك أهل شقرا ، وعين لهم الزمن المعلوم وبين لهم يوم القدوم الذى أجرى الله فيه القضاء المحتوم على من هو لاستئصال المسلمين يروم ؛ فلما جاء ذلك اليوم وحان الذل بالقوم خرج إليهم أهل شقرا ليشغلوهم بالحرب قسرا ، خشية أن ينهزموا إن نالوا من مجىء المسلمين خبرا ؛ فلما نشب القتال وحمى ، طلع عليهم عبد العزيز والكمى ، فلم يجدوا غير الهزيمة ملاذا ولا سوى قرية القرائن معاذا ، فولوا إليها مدبرين وبقوا بها منحصرين ، وولى المسلمون أكتافهم فى الهزيمة ولولا قرب القرية لكانت المقتلة عظيمة ، وقتل المسلمون منهم نحو خمسة عشر وكان منهم من هو مشتهر : منهم حمد المعي وسويد بن زايد وغيرهما وأخذوا ركابا وسلاحا وفرسا ثم حصروهم فى القرائن وأطالوا لهم مجسا وأقاموا قريبا من عشرين يوما فى الحصار فى غاية الضنك والضيق حتى أيقنوا بالدمار ولكن الله لما أراد لهم السلامة أقبل ابن سويط وقومه ففهموا أخباره وإعلامه فخرجوا ليلا مختفين وللنجاة طالبين . وفيها قتل غزو بن فايز فى مكان يقال له الحسى ؛ وذلك أن المسلمين جاءهم عنه الخبر فجرد له عبد العزيز ونفر وكمن له فى الحسى ورصد حتى جاء إليه ووفد ، فاستأصل المسلمون شأفته وقتلوا جماعته وأضحى ابن فايز فى أيديهم أسيرا حتى بذل فى فداء نفسه مالا كثيرا وكان جملة ما أعطى وأظهر خمسمائة أحمر . وفيها أيضاً وقعة باب القبلى وذلك أن عبد العزيز حرسه الله تعالى شمر ساعده للحرب

والانتهاض وسار بالمسلمين حتى نازل الرياض وأعدّ فى الليل الكمى والكمين قبل أن يفلق عمود الصبح ويستبين ، فلما انجلى من الليل ظلامه ونشرت من الصبح أعلامه وانتشر فى الطريق الأنام ظهرت غارة المسلمين والإسلام ، فأسرع أهل الرياض إليهم وشرّعوا الأسنة عليهم وأطلقوا الأعنة لديهم ؛ فلم يكن غير لحظة أو ساعة حتى كان الهروب طريق تلك الجماعة وسبب ذلك حين عاينوا الموت فى الكمين وتيقنوا أن الله تعالى لهم معين ، فعمدوا إلى الباب من الهرب وكل أراد الدخول قبل الآخر وطلب ، وتضايقوا عند الباب وتكسرت فى الدخول الحراب ، وقتل منهم ثمانية رجال دنت منيتهم بلا إمهال : منهم كنعان الفريد وصالح وابن نعران ورطيبان وغيرهم ، وقتل من المسلمين عبد الله بن نوح . وفيها سار عبد العزيز حرسه الله تعالى إلى الرياض ونزل البنية وخرب جميع زروع الشمسية . وفيها غزا المسلمون الوشم وأميرهم إذ ذاك محمد بن عبد الله أمير ظرما ، فوافق المسلمين فى طريقهم ذلك غزو للصملة أكثر من المسلمين هنالك ، ففر المسلمون منهم وجدّوا فى الفرار عنهم وأسروا منهم بعض الناس ففدوا أنفسهم من الأحباس . وفيها غزا المسلمون وشيقر وأميرهم عبد العزيز ، فلما وصلوا إلى تلك البلاد وكمنوا لهم فى تلك الوهاد وخرج المقاتلة للجلاد واشتد الحرب وكثر بينهم الطعن والضرب ، طلع عليهم ذلك الدفين وأقبلوا إلى المعركة مسرعين ؛ فلم يثبت أهل البلاد بعد شدة ذلك الجلاد بل ولوا على أعقابهم مدبرين ، وقتل منهم أربعة رجال محققين . وفيها غزا المسلمون أهل ثادق وأميرهم عبد العزيز سلك الله تعالى به أحسن الطرائق ، فلما وصلوا إلى حائها نزلوا قريبا من نخلها ومحلتها ، فناوش المسلمين الحرب أهلها وكان الحائل بينهم نخلها فترامو بالرصاص بينهم من بعيد وكان ذلك الرامى يصيب ويفيد ، وقطع المسلمون عليهم نخلا وعرفوا أن هذا شأن المسلمين فعلا وقتل منهم ثمانية رجال وأقاموا محتصرين يديرون الفكرة والاحتيال ، فلم يكن لهم سوى الإقبال على الإسلام من غير إمهال وطلبوا ذلك من عبد العزيز فأعطاهم وحقق لهم مطلوبهم ومناهم ، وقدموا مع الغزو إلى الشيخ فى الدرعية وأخبروه بحاصل القضية وأمر عليهم دخيل بن سويلم وأرسل معهم أحمد بن سويلم يعلمهم التوحيد والأحكام ويحكم لهم الشرائع غاية الإحكام ، وقد قتل من المسلمين ثمانية رجال منهم محمد بن دغيثر ومحمد بن مانع وغيرهما . وفيها غزا المسلمون أهل جلاجل وعبد العزيز حرسه الله

تعالى أميرهم الذى ترجع إليه سياستهم وتدبيرهم فسار بالمسلمين ممن معه وساعده وتبعه ، فنازل أهل جلاجل وكان لإعداد الكمين فاعل ، فلما خرج إليه منهم كل مقاتل ونشب القتال وكان كل قرم لقرنه خاتل ، هزم الله تعالى أهل جلاجل فولوا مدبرين على الأعقاب ، ودخلوا البلد وغلقوا دونهم الأبواب ؛ ونهب المسلمون من بيوت البلد ماستطرف ثم رجع عبد العزيز بمن معه وانكف ، وأقبل معه من مطاوعة سدير حمد بن غنام وإبراهيم المنقور وابن عضيب وذلك لما طلبهم عبد العزيز وقصده قدومهم على الشيخ وموافاتهم له وقراءتهم عليه وأخذهم عنه ، وأقبل معه أيضاً ابن سعدون وابن حماد مخافة أن يزينا لأهل العودة الارتداد ، ولما قدم عبدالعزيز الدرعية ومن معه من تلك الجلوية أتاه أمير العودة عبدالله بن سلطان وطلب منه المنة والإحسان على ابن حماد وابن سعدون ، واختار حرسه الله تعالى طريق الموافقة والهون وإلا فهو قد تفرس فيهما أن أسباب الردة منهما تكون ، فأطلقهما لأجل وجاهته ولم يدر مايصدر عليه من جماعته ، فلما وصلوا البلاد أخـذوا للردة فى الاستعداد ، فلما هيئوا أسبابها على المراد لم يجدوا ماتطيب به النفس ويتم لهم به السرور والأنس سوى قتل من غمرهم بذلك الجميل ومقابلته بالصنع الوبيل ، فقتلوا عبدالله بن سلطان مقابلة لذلك الإحسان ، وهذا شأن من وضع المعروف فى غير محله وصرفه إلى غير أهله يجازيه بقبيح فعله كما قالت العرب فى أمثالها « سمن كلبك يأ كلك » وقال الشاعر :

ومن يصنع المعروف فى غير أهله ... يلاقى الذى لاقى مجير أم عامر

وقال المتنبى :

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته ... وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا

فوضع الندا فى موضع السيف بالعلا ... مضر كوضع السيف فى موضع الندا

وفيها غزا المسلمون الرياض وأميرهم عبد العزيز وقصدهم أن يرصدوا دهاما إذا خرج إلى منفوحة يوم العيد وكان عادته يوم العيد يخرج للسلام على ابن زامل ، وأقاموا بين البلدين يرصدون ولم يكونوا بما نووا يظفرون إلا أنهم فى تلك الإقامة خرج زيد الصمعر فوافقوه فجرعوه حمامه ، ثم رجع عبد العزيز ومن معـه من المسلمين إلى بلادهم سالمين .

ثم دخلت السنة الحادية والسبعون . وفيها غزا المسلمون ثرمدا وأميرهم عبد العزيز أعزه الله بالطاعة ونصره وأتباعه ، فساروا إلى ثرمدا وجرت وقعة تسمى وقعة النقيب ؛ وذلك أن المسلمين لما اشتد غسق الدياجى لم يكن لهم دون دخول البلد من مفاجى ، وقد جعلوا لهم خارج البلد كمينين للرصد ، فلما زال سواد الظلام وذهب ذلك الإظلام وسعى العباد خارج البلاد وقد أخبروا بالمسلمين وما هم عليه مجتمعين وعرفوا أن المسلمين دخلوا حائطا نقبوا لهم نقبا فى جداره وأقاموا فيه متوارين بين نخيله وأشجاره ، والكمين الثانى خارج البلد لم يشعر به أحد ؛ فاجتمع أهل تلك البلاد والحلة على من عرفوا فى النخل مكانه ومحله ، وبقوا ساعة بقربه وحياله ينتظرون من يخرج من ذلك النقب ورجاله ، فلما أراد من فيه الخروج لم يكن لهم عن ذلك النقب من عروج ، فقاموا يخرجون منه واحدا واحدا ولم يكن أحد منهم لغيره فاقدا ، واستمروا على ذلك يخرجون منه أرسالا ولا يفهمون لمن يخرج منه حالا حتى اسودّ النقب وأظلم وسد ضوءه بعد أن أعلم ، فتيقنوا مصاب أصحابهم وتحققوا مصارعهم فى انقلابهم ، فلما تبين للمسلمين ذلك خرج جميع من هنالك ووقعت معركة بينهم عظيمة وحقق الله تعالى على تلك البلاد الهزيمة ، وقتل منهم اثناعشر : منهم عبدالمحسن بن إبراهيم رئيس ثرمدا ومنهم بشر بن بلاع ، واستشهد من المسلمين فى تلك الغزوة قريب من عشرين : منهم عيسى بن ذهلان ومحمد بن عبد الرحمن ابن موسى ومفرج بن جلال . وفيها غزا مبارك بن عدوان بركب معه من أهل حريملا فوافق عبدالله بن سليمان معه أسيرا ، ثم بعد وصوله حريملا منّ عليه وأطلقه من غير قليل من المال ولا كثير ولم يستشر فى ذلك الشيخ ولا محمد بن سعود فنقموا عليه بذلك الفعل الغير المحمود . وفيها غزا المسلمون وأميرهم عبد العزيز وساروا إلى سدير فاستولوا على الحوطة والجنوبية ، وذلك لأن أهل البلدين أرسلوا للأمير يريدون منه القدوم والتيسير ومرادهم الدخول فى الإسلام والاستمرار تحت الذمام ، فأسعفهم بالمقصد والمأمول وأسرع إليهم المجىء والوصول ؛ فلما دخلها عبدالعزيز ومن معه فزع عليهم أهل سدير ولم يفوزوا بمرام ، ثم رجع عبدالعزيز بعد أن نصب لهم فى كل بلدة أميرا وإماما . وفيها خرب المسلمون زروع منفوحة . وفيها غزا المسلمون جلاجل أيضا وأميرهم عبد العزيز فأخذوا منها سوارح الغنم ثم لحقهم

الطلب ، فاقتتل مع المسلمين ثم بعد ذلك ولى وانهزم وملك المسلمون أعقابهم ولم يكن سوى البيوت مآبهم ، وقتل منهم ستة رجال فى تلك الساعة والحال . وفيها أتى المسلمين الخبر أن عريعرا كبير الحسا يريد التخريب على الإسلام وأهله ، وقد صرح بذلك فى قوله لا فى فعله ، وأخذ المسلمون للحرب فى الاستعداد وتحصين البلاد . وفيها فى شهر رمضان سار المسلمون وأميرهم عبد العزيز إلى الرياض وجرت وقعة عظيمة على أهل الرياض تسمى وقعة أم العصافير؛ وذلك أن المسلمين قدموها ليلا وجعلوا لهم رجالا وخيلا أعدوا لهم رجالا فى مكان يقال له القبة كمينا ؛ فلما أصبح الصباح وخرج إليهم أهل البلاد كان الله للمسلمين معينا ، فاستمر بينهم القتال وضاق فى المعترك المجال حتى كشف الله تعالى جميع أفزاع الضلال وقتل منهم تركى بن دواس وابن فريان والجبرى وحمود بن ماجد ، ولم يقتل من المسلمين غير واحد ثم انقلب المسلمون إلى بلادهم بعد تحصيل مرادهم . وفيها سار المسلمون وأميرهم عبد العزيز حرس الله مهجته إلى الرياض فنزلوا البنية وملكوها وتلاحقت عليهم الأفزاع من منفوحة والرياض . فاقتتلوا فى تلك الأراضى والبقاع وكان القتال من بعيد بالبنادق والكل من الطائفتين غير مقارب ولا موافق . وقتل بالرمى ذلك اليوم من أولئك القوم ثنيان ابن مبيريك عبد الدرعات وآخر يقال له الدفين ، واستشهد من المسلمين راشد بن غانم وحميد بن قاسم وغيرهم نحو ثلاثة ، ثم ثوّر الأمير عبد العزيز من تلك الأماكن فأناخ بالغدوانة فى ذلك الباطن ، فأمر المسلمين جزاه الله تعالى خيرا وأعظم له أجراً أن يبنوا فى ذلك الباطن قصرا يكون للمسلمين حصنا وثغرا ، فأقاموا سبعة أيام فى ذلك البناء والإحكام ؛ ثم بعد الفراغ منه والتمام ، أرخص لمن أراد من الغزاة أهله والقدوم عليهم من المشاة على الأقدام وبقى هو مع الجيش بعض أيام . وفيها جرت ردة مبيريك بن عدوان وأتباعه منهج الشيطان ، وذلك أنه لما رجع من غزو البنية وبناء القصر إلى الدرعية عزله الشيخ ومحمد بن سعود الأمير عن الإمارة فى حريملا والتدبير ، وأمرا أحمد بن ناصر بن عدوان وأرسلا معه مفرج بن شعلان وذلك لأنهما تخوفا على المسلمين منه لأمور صدرت نسبت عنه فاسترخص مبيريك الشيخ ومحمد الأمير أنه يريد العيينة ثم يسرع إليهما بالمسير فأرخصا له فى ذلك ؛ فلما خرج مورّيا بالسير إلى هنالك اجتمع فى ذلك الطريق مع أناس من أهل حريملا فعاودهم على الردة

فلبى له منهم فريق ثم سار يريد حريملا مع من وافقه من جماعته ، فلم يصل إليها إلا بعد ماملك حمد بن ناصر ومن معه قصر إمارته ، فدعا مبيريك أهل البلد لنصره ومعونته فلم يجبه أحد إلا بخذلانه ومهانته ، فحين تحقق الأمر وعاينه وعرف من جماعته المعاداة والمباينة ولى على وجهه مدبرا وبقى على فعله نادما متحسرا وصارت منيخ له وجهة ، فولى حريملا دبره ومنح تيك وجهه وقتل ممن ساعده على الردة رجال وفر الباقون باستعجال ، ولما أتى الشيخ ومحمد الأمير بما رامه مبيريك من التدبير أرسلا إلى عبد العزيز وأخبراه بذلك فجمع من عنده من الغزاة هنالك فأخبرهم بالواقع والحادث وأن ابن عدوان للعهد ناكث وطلب منهم تجديد العهد والمبايعة على الموت والمتابعة ، فلما صدقوا فى النية وأخلصوا لله الطوية وساروا يريدونه ودخلوا فى طريقهم الدرعية لقضاء بعض الحوائج والأغراض ، فلما عزموا على النهوض والانتهاض وراحوا سائرين إلى النعمية فإذا البشير يفاجئهم بحصول الأمنية ، فرجع عبد العزيز من فوره إلى الدرعية ليبشر الشيخ ووالده بالقصة والقضية فحمدا الله تعالى وشكراه وسبحاه وكبراه ، ثم سار بعد ذلك عبد العزيز إلى حريملا تركيدا للبلاد وتطييبا لقلوب أولئك العباد . وفيها حزب مبيريك بن عدوان وجمع من أهل سدير والوشم والمجمعة من كل مريد شيطان وقصده بذلك حريملا ليشفى منها الفؤاد ويفوز منها بالظفر والمراد فأتى الأمير محمدا والشيخ الخبر بما جرى وصدر ، فأرسلا عبد العزيز والمسلمين إلى تلك البلاد ليساعدوا أهلها ويحفظوها عن ذوى الفساد ، فجاء الخبر مبيريك بن عدوان فلم يقدر على وصول ذلك المكان ولكنه سار مع أصحابه وجملة أعوانه وأحزابه فأناخ على البلدة المسماة رغبة ، فقاتلهم ثم طلب من أناس من أهلها الخيانة له فوافقه على ماأراده وطابه وأدخل بعض البيوت والدور ثم أخرج منها بعد الحرب والقتال مكسور إلا أن أمير رغبة وابنه راضيا قتلا وولى مبيريك بمن معه خاسرا لمأموله لم ينل ، ثم قدم عبد العزيز رغبة ومن معه من المسلمين وأجلى من وافق مبيريك أجمعين وأمر بهدم السور خشية وقوع مثل ذلك الأمر المحظور .

ثم دخلت السنة الثانية والسبعون بعد المائة والألف . وفيها أتى الخبر الشيخ ومحمدا الأمير أن عريعرا يريد الخروج على نجد والتسيير فأمروا جميع بلدان المسلمين بالبناء والاستعداد والتحصين ، وقام عبد العزيز حرسه الله تعالى بالجد والاجتهاد وشمر

ساعده فى البناء والاستعداد ، فبنى على الدرعية سورين منضودين بالبروج خشية التسوّر والعروج ، ثم خرج بعد ذلك عريعر مع أهل الحسا وكافة بنى خالد وأهل سدير والوشم والرياض والخرج وكل منكر للحق جاحد وعلى الباطل معين مساعد وللضلال مؤيد معاضد ، فأناخ أهل سدير والوشم والمحمل ورئيسهم مبيريك بن عدوان على أهل حريملا وأقاموا يقاتلونهم ثلاثة أيام ، فلم يكن لهم سبيل على أهل الإيمان بل قتل منهم رجال فى أيام ذلك القتال ثم رحلوا عنها وثوّروا منها وطلبوا من عريعر المدد والأمداد ومساعدتهم بالجيوش والأجناد فأمدهم بآل عبيد الله من بنى خالد وفرقان من عنزة كبيرهم ابن هذال فأناخ الجميع على تلك البلدة والكل منهم قد بذل جده وجهده وأرهف سنانه ونحا أصحابه وأعوانه فأحاطوا بالبلاد ودخلها منهم ثلاث جنادب للجلاد فانتدب إليهم أهل تلك المحلة وأخرجوهم مهزومين من النخيل والمحلة وأركبوهم ولله الحمد غارب الهوان والذلة ، وكفى بذلك عارا ومذلة ، وقتلوا منهم رجلا عشرة والجرحى أكثر من أن نعدهم ونحصرهم ، ثم خرج أهل البلاد بعد ذلك النصر والناموس وصدور ذلك الفعل المأنوس وساروا واجملة مسرعين إلى مناخ تلك الأحزاب المجتمعين؛ فحين عاينوا ذلك الإقبال ووجوه الرجال ولوا على أعقابهم مدبرين وانهزموا راجعين وأخذوا من أهل البلاد كثيرا من الأمتعة والزاد ثم اجتمع ما ذكرناه آنفا ممن هو للتوحيد محاربا مجانفا وحصل التوافق مع عريعر ومن معه واتفق رأيه مع من ساعده واتبعه أنهم يلقون عصى التسيار بالجبيلة محلة الصحب الأخيار وينزلون تلك الفيافى والقفار ويقاتلون أهلها إذا أسفر النهار ، فعند ذلك ساروا جميعا إليها ونزلوا بأجمعهم عليها وطنبوا تلك الخيام على ذلك المقام وأثبتوا العمد والأطناب على رفيع تلك الهضاب وراموا تغيير منهج الحق والصواب بما جاءوا به من الباطل والضلال والإعجاب (إن ربك لسريع العقاب) فأمدهم المسلمون برجال وبقوا أياما فى أشد الجلاد والقتال ، ثم إن أهل الباطل والضلال عدوا على القلعة وحاولوا الدخول فلم يكن لهم إليه سبيل ولا وصول وجاءهم وهم فى ذلك المكان من ورائهم أناس من أهل الإيمان فلم يلو منهم أحد على أحد بل كل منهم امتطى قدميه وشرد ، وقتل منهم فى أيام القتال ستون من الرجال وقتل من المسلمين نحو العشرة ، ثم ولت تلك الأحزاب منهزمة منكسرة . وفيها طلب أهل المحمل من الشيخ ومحمد بن سعود الدخول فى الإسلام فأعطوا ذلك المرام وطلب منهم

نصف الزرع وربع الثمرة فالتزموا بتلك الأمور المقدّرة . وفيها غزا عبدالعزيز بالمسلمين فساروا ونزل بالقصب وجعل له كمينا خارج البلد يشد أعقاب من بادر إلى ذوى الغارة وطلب ، فلما تبين الفجر وانجلى وارتفع ضياؤه وعلا وتبينت لأهل البلاد حال المسلمين خرجوا إلى القتال أجمعون ، فلما استمر بينهم القتال خرج عليهم الكمين باستعجال ، فولوا مدبرين وبقوا ببلدهم منحصرين ، وقتل منهم سيف بن ثقبة ثم بعد ذلك طلبوا من عبد العزيز الدخول فى الإسلام وأن تجرى عليهم تلك الشرائع والأحكام فوافقهم على ذلك المرام وصالحهم على النخيل بثلاثمائة أحمر فقبلوا ذلك المقرر .

ثم دخلت السنة الثالثة والسبعون بعد المائة والألف . وفيها غزا عبد العزيز أعزه الله تعالى على الأعداء وأعلا به منار الهدى ، فسار بأهل التوحيد وغلب العنق على التوحيد ، فلم تطب له راحة فى ذلك المسير ، حتى أصبح على المجمعة مغير ، وعدا على تلك البلد وقتل فيها من وجد ، فقتل فى ذلك اليوم على بن دخان وأربعة من أولئك القوم وعقروا كثيرا من الدواب ، ثم انصرف إلى بلاده بحسن مآب . وفيها غزا عبد العزيز بلدان الخرج فسار إلى الدلم ودخلها ليلا وهجم وقتل من أهلها ثمانية رجال وأخذ من دكاكين كثير أموال ثم خرج منها وانصرف عنها وعدا على قرية نعجان فظهر عليهم أهلها فكسروهم بلا توان وقتلوا منهم عودة بن على ثم رجعوا سالمين . وفيها أيضا سار المسلمون وأميرهم عبد العزيز إلى ثرمدا فنازلوها بعد أن استنار الصبح وبدا وكمنوا لأهلها على العادة طلبا للإفادة ، فلما خرج أهلها إليهم وأسرعوا إلى الفزع عليهم وجرى بينهم القتال انكسر أهلها بعد ظهور الكمين بلا إمهال ، فقتل المسلمون منهم نحو أربعة رجال وأصيب مبارك بن مزروع من المسلمين فى ذلك المجال ، ثم بعد ذلك أرخص عبدالعزيز لمن معه من الرجالة أن يعمدوا إلى أهلهم وسار هو بالجيش إلى الخرج وأجمع رأيه عليه وحاله فشنّ على أهل الدلم الغارة وقد سبقه عليهم النذارة ، فلما أغار عليهم خرجوا مسرعين فاقتتلوا أشد القتال مع المسلمين ثم شدّ المسلمون عليهم وعمدوا بالصدق إليهم ، فانكشفوا مسرعين إلى الديار وتحصنوا بذلك الجدار وقتل المسلمون منهم سبعة وأخذوا إبلا مجتمعة ، ثم بعد ما صدر من الدلم جمع رأيه وعزم أن يغزو الوشم ، فسار على وجهته وتصمم عزمه

وهمته فأناخ على وشيقر ليلا وهيأ الكمين ، فشعر أهل البلد بالمسلمين فخرجوا جميعا إليهم وأقبلوا للقتال عليهم والكل قد صدق الطعان فى ذلك الوقت والزمان حتى غشيتهم حملة الكمين وخالطتهم أسنة الدفين ، فولوا على أعقابهم مدبرين وقتل نحو العشرين ، ثم انقلب عبد العزيز بمن معه إلى بلادهم راجعين . وفيها عزل الأمير محمد والشيخ مشارى بن معمر عن إمارة العيينة لأمور كثيرة ثبتت عنه شينة ، وقدم الشيخ العيينة تلك الأيام وأمر سلطان بن محيسن المعامرة على من بها من سائر الأنام وأمر بهدم قصر آل معمر ، فهدم ذلك القصر لما حقق عليه الشيخ الأمر . وفيها غزا المسلمون منفوحة وحرقوا الزروع ثم كان منهم إلى بلدانهم العودة والرجوع . وفيها جرت وقعة آل ريس فى بلد الرياض فقتلوا من آل ريس أربعة بلا ارتياض منهم على وقتل معهم غيرهم . وفيها غزا المسلمون وأميرهم عبدالعزيز حرسه الله تعالى آل عسكر من آل ظفير وكانوا على الثرمانية فصبحهم عبد العزيز بالغارة الشعوائية فوقع بينهم القتال واحتنك القضاء فى المجال حتى قتل رئيس أولئك الأبطال وكان يقال له فوزان الذبيحة من رءوس آل عكر ، فانكسر ذلك الفريق وأدبر وقتل منهم عشرة رجال وأخذ المسلمون منهم عظيم الأموال ثم انقلبوا إلى بلادهم راجعين . وفيها غزا المسلمون وأميرهم عبد العزيز فسار إلى الوشم وحقق عليهم العزم فوافق فى طريقه خمسة عشر رجلا من أهل ثرمدا ، فشنّ عليهم الغارة وعدا فزبنوا بلدا يقال لها الحريق فنازلها المسلمون وطلبوا منهم أولئك القوم يخرجون ، فأبى عن الموافقة والطاعة من بالبلد من الجماعة وقالوا هذه بئس الشناعة . فلما ألح عليهم عبد العزيز وعرفوا أنه ليس دونهم أو الفدا من تجويز افتدوهم منه بألف وخمسمائة زر فقبل ذلك منهم وتركهم وصدر .

ثم دخلت السنة الرابعة والسبعون بعد المائة والألف . وفيها غزا عبد العزيز أدام الله تعالى فوزه وكثر من الخير حوزه ، فسار بأهل الدين يريد سدير وحث لأجل ذلك السير فلم يصل إليهم حتى سبقه النذير عليهم فتأهبوا لإقباله واستعدوا لقتاله ولم يكن معه من الركاب سوى ثمانين من غير ارتياب ، فأغار على بلدة يقال لها الروضة وجرى بينهم قتال وصار عن قتل شهيل بن سحيم الانفصال ولم يقتل سواه من المسلمين ، ثم أقبل عبد العزيز بمن معه راجعين . وفيها غزا عبد العزيز بالمسلمين سدير فصارت

على الروضة منهم الغارة ، فخرج أهلها وابتدروا الحرب أعظم ابتدارة، وشدوا للقتال إزاره ، فلما اشتد القتال وأججوا استعاره ظهر عليهم الكمين فانكسروا أى انكسارة وقتل منهم نحو الستة حين أعطى كل واحد منهم المسلمين استه ثم رجع المسلمون إلى بلادهم بعد نيل مرادهم . وفى تلك الغزوة أغار المسلمون على الزلفى فجوة فأخذوا سارح الأغنام ثم أدركهم فزع الأقوام فتركوا ما معهم من الغنم وصمموا على قتال من قصدهم ودهم ، وجرى بينهم القتال ساعة ثم كل إلى محله ارتجاعه . وفيها سار عبد العزيز أعز الله تعالى به المسلمين وأدام له التأييد والتمكين فنزل على الرياض بالمسلمين وأعدّ فى ظلم الديجور ما شاء من الكمين ، فلما قارب الفجر فى الانبلاج تبين حال المسلمين ووقع فى البلد الارتجاج وخرج أهلها ووقع القتال بينهم وعجل الله لأهل الباطل حينهم ، فبعد ما حمى الحرب واستعر وشد لها تلك الأفزاع الأزر ظهر عليهم من المسلمين الكمين ، فلم يكن لهم عون ولا معين ، فولوا سراعا مدبرين وقد كسرت رجل رئيسهم فهيد بن دواس ولم يكن بعد كسرها لهم صبر ولا احتباس ، وعاش فهيد نحو أربعين يوما بعد كسره ثم حواه لحد قبره ، وقتل منهم ثمانية رجال واستشهد من المسلمين ستة فى ذلك المجال . وفيها غزا عبد العزيز بالمسلمين فنزل منفوحة بالمريقبات وأقام فيها بقية ليلته وبات ، فلما انبلج من الفجر الضياء وتشعشع نوره وأضاء وقد أعد الكمين فى دياجر الليل وكان المسلمين إلى تخريب زروع منفوحة الميل ، فلما تحقق أهل منفوحة ذلك الشأن وتبين لهم فى العيان لم يكن لهم عن اللقاء من توان ؛ فلما خرجوا إليه مسرعين وأقبلوا عليه مهطعين وناوشوا القتال المسلمين ظهر عليهم الكمين المذكور وحان بينهم القضاء المسطور ، فأضحى أهل منفوحة وأفزاع الرياض كل منهم منهزم مكسور ، وقتل من جميع تلك الأفزاع سبعة رجال بلا نزاع . وفيها غزا المسلمون وأميرهم عبد العزيز المذكور ضاعف الله تعالى له الأجور فصبح مساعد بن فياض مع قومه بالعتش فى تلك الغياض ، فلما طلعت عليه المسلمون بقوامدة يقتتلون وراموا حمايته ذلك الفريق ، فلم يكن لهم إليها طريق ؛ فشد المسلمون عليهم الحملة فلم يكن لهم دون الهزيمة مهلة فاستولى المسلمون بعد الهزيمة على جميع أموالهم فكانت غنيمة واستاقوا جميع الأغنام والإبل واحتووا على الأمتعة والأسلحة والأموال وقتلوا منهم عشرة رجال منهم سعد القروا وأولاده وقتل من المسلمين ابن عزاز

كما بان تعداده ، ثم رجع المسلمون إلى بلادهم . وفيها سار عبدالعزيز بالمسلمين إلى قصر الغذوانة يريد زيادة بنائه وتحصينه ثم يرجع بعد حينه ولكن إذا أراد الله تعالى أمرا فلا بد من إنفاذه وتكوينه ، فلما أراد الله عز وجل أن يبرز للخلق ما سبق فى الأزل ويبلو الناس بما فعل ويهيء الأسباب لمن دنا له الأجل همّ عبدالعزيز بلغ الله به الأمل أن يهجم على الرياض ليلة العيد ويبيت أهلها ويبيد ، فسار بعد ما أظلم الليل وأغلس والصبح لم يتنفس فدخل البلد من المسلمين عدوه فرآهم رجاجيل لابن دواس صادرين من ناد أوندوه فعجلوا إليه بالأخبار ، فلم يكن له دون ركوب الخيل من بدار ، فخرج بخيله ورجاله ودولته يريد ركن المسلمين مع جماعته فبادر إلى الركن المعد قبالة البلد فلم يدرك منهم أحدا ثم ظهرت العدوة التى دخلت البلاد وقطعت ساقة ابن دواس ومن معه من الأجناد ، وشنّ المسلمون عليهم الغارة بالخيل والجيش والتهبت نار الحرب وزاغت الألباب من الجزع والطيش ، ثم انهزم دهام مع دولته بعد إذلاله وكسر حدته ، وقد قتل كثير من رجاله ومشاهير فرسانه وأبطاله منهم حمد بن سودا وعبد الرحمن الحريص وأبو المجبر واستشهد من المسلمين خزام بن عبيد وعثمان بن مجلى .

ثم دخلت السنة الخامسة والسبعون بعد المائة والألف . وفيها سار عبدالعزيز بالمسلمين إلى منفوحة ليلا وقد أعد الكمين ، فلما أخذ الصبح فى الضياء والتبيين تبينت لأهل البلاد غارة المسلمين ، فنهدوا إلى اللقاء وبادروا من غير بقاء ، فاقتتل الفريقان وحمى بينهم الطعان ، فلما ظهر عليهم الكمين أدبروا منهزمين وقتل منهم سعد ابن محمد بن فارس وشبيب الصنان ولم يقتل من المسلمين إنسان . وفيها سار المسلمون وأميرهم عبد العزيز إلى الخرج وكمن لأهل نعجان ولم يفطن بذلك من أهلها إنسان ، فلما تبين الصبح وأنار خرج أهلها للقتال على البدار ، فاستعجل كمين المسلمين بالظهور ، وذلك لما قدره الله من الأمور واشتد بينهم القتال ثم انكسروا على استعجال ، وقتل المسلمون منهم سبعة رجال وحصروهم فى تلك القرية أياما وليالى وقطعوا من تلك النخيل العوالى ، ثم سار عبد العزيز بمن معه إلى الوشم ودخل ضرما لأجل فقد الأزواد ثم ساروا ولم يكن لهم دون مراة من مراد ؛ فلما وصل فى الليل إليها وقدم فى الظلام عليها هيأ للحرب كمينه ، وأمرهم بالصدق وإخلاص النيه ،

فلما تبين الفجر وانكشف وولى مدلهم الليل وانحرف ، تبين لأهل مراة الحال ، فلم يكن لهم دون اللقاء من مجال فخرجوا للحرب مستعدين وللموت مستوطنين ، فلم يلبثوا غير ساعة بعد ظهور الكمين ثم ولوا على أعقابهم مدبرين ، وقتل المسلمون منهم قريبا من عشرين وقتل من المسلمين رجلان ثم انقلب المسلمون إلى البلدان . وفيها أيضا سار عبد العزيز ومن معه إلى الوشم ونزل بأهل الفرعة وأناخ عليها في الليل جيشه وجمعه ، فلما خرج أهلها لقتال المسلمين واستمروا على القتال مجتمعين خرج عليهم بعد ذلك الكمين فولوا مسرعين وقتل منهم سبعة رجال ولم يقتل أحد من المسلمين في ذلك المجال ، ثم بعد ذلك بأيام طلب أهل الفرعة من أهل شقرا الدخول معهم في الإسلام فأجابوهم إلى ذلك المرام . وفيها أيضا غزا عبد العزيز بالمسلمين يريد ثرمدا وقد جد لأجل ذلك المسير فسبقه إليهم النذير ، فلما أغار عليهم لم يدرك المراد لتحصن أهل البلاد وجرى الرمي من بعيد ولكنه لايجدى ولا يفيد ولم يقتل من أهل البلد سوى شخص في العدد ، ثم سار في وجهته وطريقه ذلك وغزوته ونزل بين الفرعة ووشيقر وبنى هنالك قصرا يكون للمسلمين ثغرا ويضيق على وشيقر وأهله وهذا من سديد رأيه وفعله وأعد فيه للحرب والقتال شرذمة من الرجال ، ولم يزل ذلك القصر مأهولا وبالمسلمين موصولا جامعا لأسباب العمارة والنظام حتى دخل أهل وشيقر الإسلام .

وفي تلك الغزوة أيضا وضع عبد العزيز في شقرا خيلا ورجالا زيادة على من فيها ليحسنوا بذلك حالا ويزيد أهل الباطل بهم ذلة ووبالا . وفيها غزا جدعان ابن قعية بأهل عشر ركاب من المسلمين فوافقهم ابن فياض مع غزو معه فثاروا عنه مجتمعين وتربنوا قارة في ذلك المكان ثم دعاهم شخص من عرينة بالأمان ، فلما أقبلوا إليهم نبذ العهد وخان ، ولا غرابة في هذا فقد وقع نظيره في سابق الزمان وقتل من تلك الغزاة عبد الله بن براك ومهين بن ذباح وجدعان بن قعية وغيرهم نحو العشرة . وفيها عدا المسلمون على ضرب مقرن في الرياض فاقتتلوا معهم وقتل من أهل الرياض ثلاثة وأصيب شعلان بن دواس ، واستشهد من المسلمين عبد الرحمن المشهوري وحمد بن سليمان القاضي . وفيها أكل الدبى والجراد جميع زروع نجد وأشجاره وحمى الله أثماره .

ثم دخلت السنة السادسة والسبعون بعد المائة والألف . وفيها غزا عبد العزيز فسار بالمسلمين يريد الرياض والهجوم عليها فجد السير حتى نزل حواليها وعبأ كمينه وعدوته وهيأ فى ليله سطوته ، فدخل البلدة العادون وأقاموا بها يرتادون حتى لمع بريق الفجر فعلم ذلك الشأن والأمر ، وأقبل أهل الرياض فى أشد عزمة وانتهاض فتجالدوا مع العادين وكانوا لهم مبادين ، واستمر ذلك القتال فى ذلك المجال بين أولئك الرجال ؛ فقتل أربعة من أهل البلد فولوا مدبرين وقتل دهمش بن سحيم من المسلمين . وفيها أيضا سار عبــد العزيز بالمسلمين وكانوا لأهل الرياض منتدبين فأسرعوا لذلك الشأن حين تحكم الرقاد فى الأجفان فوصل إلى تلك البلاد ، فعبأ للعداوة من أراد وكانوا نحو المائتين من غير شك ولا مين ، فدخلوا البلد واختفوا منها فيما اطمأنّ وعندهم أن أهل البلد لم يكن لهم فطن وظنوا أن عيونهم قد حكم عليها الوسن ، وقد أراد الله تعالى أن يعلم دهام بما دبروه حالا فأتاه من أصدقه مقالا ، فعند ذلك شمر هو ومن معه عجالا وأتاهم فى مكانهم فرسانا ورجالا وأراد أن يقتطعهم دون الجيش الذى أبدى عن البلد اعتزالا ، فبادره المسلمون حملة واحتمالا وشمروا له جلادا وقتالا ، وأقبل بعد ذلك الجيش مشمرا للجلاد أذيالا فاقتتلوا ساعة ، ثم انهزم دهام وقد قتل من قومه ستة رجال وثلاث من الخيل ونال ولله الحمد هوانا ووالى ، وقتل من المسلمين شريان ورجعوا بعد ذلك بالأجر والإحسان . وفيها عدا دهام ابن دواس وأبدى غاية الكيد والإبلاس ، ورام بالمسلمين قاصمة الظهور ، ولم يدر أن الله تعالى مريد لهم التمكين والظهور ، فأعد لإبطال ذلك الكيد عدة وأعدّ لذلك الأمر أهل النجدة واختار ذوى البأس والشدة ولم يكن عند المسلمين توهم ولا يقين مما دبر من حاله وقبيح أفعاله حتى جاء المسلمين النذير يخبرهم بوصوله واستعجاله ، فتفاوض المسلمون فى الرأى والتدبير ومن أين يكون الخروج للعدو والمسير ، فأشار عبدالعزيز على والده محمد برأى مبارك رشيد وتدبير ميمون سديد ، وذلك أن المسلمين يخرجون من القرى لكونه طامنا خفى وأرسلوا لها سبرا يحققه خبرا ، فلم يرعهم إلا الرمى بصوته فبادروا إليه قبل فوته . فالتقت الخيل مسرعة وأطلقوا أعنتها متبعة حتى لجئوا دواسا ومن تبعه ، فاشتد بينهم القتال ، ثم تلاحق الجيش والأبطال وحمى الحرب واستعر ، ولم يكن لأحد دون الذب عن عمره من مفر حتى إن الله تعالى

جلت حكمته وعمت رحمته أيد المسلمين ونصر ، ورزقهم على عدوهم الظفر ، فقتلوا من أهل الرياض خمسة وعشرين ثم ولوا بعد ذلك مدبرين وغنموا أربعا من الخيل وأخذوا جميع الركاب ولم يكن لهم غير بلدهم من طلاب وقد كان عبد العزيز قبل قدوم هذا الخبر يشتكى من ألم الحمى بعض الضرر ، فلما جاءته بذلك الأخبار لم يبال بما معه من الإضرار بل شمر ساعده وشد الإزار للقاء الأعداء والفجار ، وقام فى ذلك الأمر وقعد وجد فيه طاقته واجتهد حتى أنجح الله تعالى له ما قصد وحقق له فى أعدائه سؤله وبلغه فى أهل الباطل مأموله ، وحمده فى تلك الأفعال أهل الإيمان والكمال وقتل من مشاهير خيالة أهل الرياض على القروا وسعد المرابع ومانع بن مشوط ومبيريك بن مبارك فشفا الله تعالى بذلك قلب عبد العزيز والمؤمنين وأذهب غيظ قلوبهم أجمعين . وفيها غزا المسلمون وأميرهم عبد العزيز الحسا فأزال الله تعالى بذلك الغزو عن قلوب المسلمين الهم والأسى وكانت خيل المسلمين قريبا فى العدد من ثلاثين فوصل إلى تلك الديار بعد ما أخذ النهار فى الإدبار وذهب ضوء شفق النهار فأناخ قريبا من البلاد وأرسل عينه إلى المطيرفى ليرتاد ، فأفاهم وقد أخذ الرقاد من أجفانهم المراد وحكم عليهم السكرى بالإجهاد ، فأخذ فى أهبة دخول البلاد بالتهيئة ، والاستعداد ، فلما انجلت من الليل غياهبه وبدت من الصبح سوافره ومذاهبه ، هجم عليهم المسلمون فيها وجالوا فى قاصيها ودانيها واستداروا فى بيوت تلك البلد يقتلون من يشاهدونه من أحد ، فلم يسلم إلا من اختفى أو شرد فقتلوا نحو السبعين من أولئك المشركين وأخذوا من الأمتعة والسلاح والدواب مالا يحصره العد والحساب وحسن للمسلمين فى ذلك المآب . فلما أرادوا إلى نجد الرجوع والانقلاب أغاروا على أهل المبرز فى ذلك الصباح وقتلوا أيضا فى طريق تلك النخيل من أهل الفلاحة بعض الرجاجيل ثم انقلب المسلمون راجعين ، فلما أتوا العرمة وافقوا أناسا مجتمعين من أهل الرياض وحرمة فقتلوا أهل الرياض وأخذوا أموالهم وتركوا أهل حرمة وحالهم لأنهم إذ ذاك مهادنون وفى السلم داخلون ؛ ولما وصل المسلمون إلى الرياض فى هذه الغزوة أغاروا على أهلها جوة وأخذوا لأهل منفوحة أغنام ورجع كل إلى بلاده بالسلامة والأغنام ، وقسمت تلك الغنائم فى الدرعية بين الغزاة بالسوية . وفيها وقعت الردة من أهل وثيثا وذلك أن أهل وثيثا لما أرادوا أن ينبذوا الإسلام ويبدوا

للعهد نكثا أرسلوا إلى إبراهيم بن سليمان أمير ثرمدا يخبرونه بما عزموا عليه من الشأن ويستنجدونه على القدوم ويحثونه على الوصول إليهم والهجوم ، فقال ذلك ما كنا نريد وهذا هو الرأى السديد فقتلوا عند ذلك عبد الكريم بن زامل ودخلوا مع إبراهيم فى طريقه وعهده وانتظموا فى سلكه وعقده . وفيها غزا عبدالعزيز حرسالله مهجته بالمسلمين وآل كثير يريد سبيع لما نقضوا العهد ، فجد فى السير وأخذ سائرا فى الجنوب يريد سرعة الوصول فوافقهم على سيح الدبول ، فأغارت عليهم من المسلمين الخيول ولحقتهم الجيوش مثل السيول ، فوقع بينهم المصادمة والقتال ثم كان عن قتل مائق بن شلية الانفصال وأخذ المسلمون منهم نحو المائتين من الإبل ثم رجعوا إلى بلادهم وقد أدركوا الأمل . وفيها غزا المسلمون سدير وقصدهم بذلك بعض العربان فلم يوافقوا أحدا فى ذلك الزمان .

ثم دخلت السنة السابعة والسبعون بعد المائة والألف . وفيها كاتب دهام ابن دواس الشيخ والأمير محمد بن سعود على أنه يريد الدخول فى المنهج المحمود ويلتزم القيام بجميع شرائع الإسلام ويحافظ على الوفاء بالعقود ويقسم أعظم الإقسام إنه يوفى العقود فوافقوه على ما طلب وأراد ، مع علمهم بأنه لايوفى بوعد ولا ميعاد ، ولكن لايسعهم أن يصدوا عن طريق الحق والرشاد ، من أراد الدخول فيه من العباد وطلب الدلالة والإرشاد ، ولكن طلبوا منه على سبيل التوبيخ له والتنكيل وطريق التأديب عن التغيير والتبديل ألفى زر معجلة وأموال المهاجرين يرد كل لمن هو له ، فالتزم بذلك الصدق والقيام وأظهر غاية الانقياد والالتزام ، وأرسل إلى الشيخ والأمير ما شرط عليه من النقد فى التقدير . وفيها سار المسلمون وأميرهم عبدالعزيز حرسه الله تعالى وأفاض عليه بره ووالى إلى سدير لملاقاة ذلك العدو الكثير ، فلما وصل إلى جلاجل والظلام قد أخذ فى التراجل وأقام يهيئ التدبير لملاقاة العدو الكثير ، فلم ينبلج من الصبح عموده حتى استعدت أحزابه وجنوده وكمن فى موضعه الكمين وعرف أهل الغارة من المسلمين ، فلما استنار بياض الصباح وخرجوا للقاء والكفاح ، فلم يلبثوا للقتال إلا يسيرا ثم صار ذلك الفزع ينهزم مكسورا ، ولم يكن لهم عن دخول القرية من براح وفى الحقيقة ليس عليهم فى ذلك من جناح ، إذ لاطاقة لهم ولا لغيرهم بالمسلمين فى الكفاح ، وقتل من أهل البلاد عشرة رجال فى التعداد

وقطع المسلمون عليهم بعض النخيل ثم انصرفوا راجعين بالتأميل ، وقتل من المسلمين فرحان التمامى وصالح بن محمد بن صالح ؛ فلما وصل المسلمون إلى رغبة فإذا غزو من أهل اليمن قد أخذوا فريقا من سبيع فى الدمة ونهبه ، واستولى على مال ذلك الفريق وسلبه ، فأخبر ذلك الفريق عبدالعزيز فى أثناء الطريق فشمر ساعد الجد والعزم ورفع إزار الهمة والحزم ، وسار فى يومه ذلك من ساعته مع من معه من أحزابه وجماعته وحث على ذلك الجياد ، لم يثنه حرسه الله البعد والبعاد ولا خوف ملاقاة الأجناد ، وسأل الله تعالى أن يعينه على ذلك المرام والمراد ويبلغه ما أمله من أهل الفساد وأخذ سائرا فى آثارهم متطلبا لأخبارهم حتى وصل إلى فيفاء سهلة تسمى إذ ذاك قذلة ، فإذا غزو اليمن قد ألقى بها رحله وطرح فيها ثقيله وثقله ، فلم يكن لهم دون لقائهم ساعة ولا مهلة حتى تلاحمت الخيول والأبطال وتلاحقت بالجيوش والرجال وطال بينهم الطعان فى ذلك المجال ، وصدق المسلمون النية لمولاهم فأنجح قصدهم ومناهم فشدوا على أهل الشرك والضلال ، ولم يكن لهم دون هزيمتهم من إمهال فقتلوا منهم نحو الخمسين وأسروا مائتين وأربعين وأخذوا ما معهم من الخيل والركاب ولم ينل المسلمين مصاب ، وكانت ركائب المسلمين فوق المائة على التحقيق لا التخمين وخيلهم نحو الأربعين ، وانقلب المسلمون إلى أهلهم راجعين ، وكانت هذه الوقعة العظيمة والمنة الجسيمة فى شهر رمضان فحصل السرور والتهان .

ثم دخلت السنة الثامنة والسبعون بعد المائة والألف . وفيها غزوة تسمى غزوة المديهيم وكانت فى صفر ؛ وذلك أن عبدالعزيز أعزه الله تعالى بالإسلام وأنجح له السول والمرام غزا بالمسلمين ومعهم فى تلك الغزوة دواس بن دهام مع قومه فسار عبد العزيز مجدا فى يومه ولم يزل فى السير مجدا يبذل فيه جهدا يؤثر الوخد فيه على الدميل ولا ينيخ فيه إلا القليل وقصده بذلك الغزو والمسير فرقان من آل ظفير يسمون مديهيم وقد كانوا على جراب ماء بنجد مقيم ، فنزل بمن معه قريب ظلمة الليل البهيم وأرسل عينه إليهم فنظرهم وأشرف عليهم فإذا هم على التحقيق فريقان ولقاؤهم لا يطاق ولا يدان وليس لأحد به يدان ، فلم يكن لعبد العزيز سوى طلب المعونة والانتصار من الملك القهار على أولئك الأشرار وبذل الجد والاجتهاد فى قتال ذوى البغى والفساد وتفاوض المسلمون بينهم فى صفة القتال والتلاق لأن الفريقين كانوا فى المنزل على افتراق ، فتخوف

المسلمون منهم أنهم إذا صبحوا فريقا غشيهم الفريق الثانى بالتطبيق وكان المسلمون إذ ذاك ليسوا بالكثير وركابهم لا تزيد على مائة وثلاثين بالتقدير فأشار عليهم المبارك الميمون برأى به النجاح يكون وذلك أنهم يجتمعون ويحملون على فريق رجالا فإذا انكسروا انقلبوا إلى ركابهم فركبوها عجالا فيحملون بعد ذلك كافة مجتمعين فيهزمونه أجمعين فلما أضاء الصبح ونوّر أخذ المسلمون فى ذلك الرأى المدبر، فلم يفجأ تلك الأعراب إلا أسنة المسلمين الأحباب فبقوا معهم ساعة فى جلاد وبذل وجد واجتهاد حتى عاينوا ماليس لهم به قبل، فولوا سراعا على عجل وقتل منهم نحو الثلاثين وأخذوا أموالهم أجمعين وقتل من المسلمين المفيليث ورجعوا إلى بلادهم بتلك الغنائم ولم يقع لهم مثلها فى المقاسم. وفيها فى ربيع الثانى جرت على المسلمين وقعة الحائر ذات اللقب المشهور والاسم الظاهر وذلك لما اقتضته الحكمة الربانية والقدرة الصمدانية من وقوع أسباب المحن وفتح أبواب الشر والفتن وابتلاء أهل التوحيد والإيمان بذوى الضلال والعصيان وتسويل أولياء الشيطان لكل ضعيف اليقين والإيقان أحوال الردة والافتتان وتمييز أهل الباطل والفجور والضلال من ذوى التوحيد والكمال حتى يتميز ذلك لدى الناس ويظهر الطيب المبرأ من الأدناس من الخبيث المتضمخ بالأرجاس ويشاهد حاله ويستبين (ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين) فكان سبب تلك الواقعة والنازلة الجامعة أن أهل اليمن لما أخذوا وأسروا وقتلوا فى قذلة وقهروا شمروا للثار أطراف الذيل وجدوا فى السير للنهار والليل، فلم يخطئوا عن الوصول والقدوم والمسير إلى نجران والهجوم فشكوا لهم الحال وما عاينوا من الوبال وشرحوا لهم على التحقيق ماصدر عليهم بذلك الطريق وأن أصحابهم فى الأسر والأغلال يعذبون كل يوم على التوال ودعوهم إلى المسير والتسيار والأخذ لهم بالثار وانتدب لهم بالمراد تلك الجماعة والكل منهم مد للشر باعه وكان الداعية فى ذلك الشأن رئيس نجران واسمه الحسن بن هبة الله قبحه الله وأخزاه، فجمع جميع أهل نجران من الحضر والبدوان والتأم معه قبائل اليمنان فأقبلوا سائرين على عجل حتى اجتمعت تلك القبائل والدول ووطئوا بلاد المسلمين فجاءهم خبرهم اليقين على التفصيل والتعيين، فجمع عبدالعزيز رحمه الله تعالى مقاتلة المسلمين والإسلام ممن بلغ سن الاحتلام وأمرهم بالتأهب والقتال والاستعداد للقاء ذوى الضلال وسار بهم جميعا يريد قرية الحائر وكانت من بلاد المسلمين

وقد أرسل لهم قبله مددا يكون عونا وناصرا فلما وصل إليها وأشرف عليها وقد كان رئيس نجران بها نازل ولأركانها حافل وبقى بها مـدة أيام وليال كل يوم يقع بينه وبين أهلها قتال ، وقد كان المسلمون فى مسيرهم إلى الحائر الذى نزل به ذلك العدو الجائر والجند المارق الفاجر يتكلمون فى مسيرهم إلى العدو والذهاب بدلائل الخيلاء والإعجاب الذى يكون غالبا به المعاقبة والعقاب ويصير سببا إلى الابتلاء من رب الأرباب ، فحين التقى المسلمون بأولئك الأحزاب وقد وطنوا أنفسهم فى ذلك الموقف على ابتغاء الثواب وبذل غالى الرقاب حمى بينهم الوطيس، ولم يحصل بين الأبطال تنفيس ، وبقى فرسان الإسلام تجول ورجالتهم تسأل الله النصر وتصول ، حتى قاربوا أن يكشفوا أولئك الأعداء ويلبسوهم ثياب الردى ولـكن أراد الله تكرمة أوليائه وخـذلان أعدائه وتبيين حزب المؤمنين (وليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الـكاذبين) فكتب على المسلمين الهزيمة فى ذلك اليوم وتبع ساقتهم أولئك القوم وحقت عليهم الهزيمة وقتل منهم مقتلة عظيمة تقارب على التحقيق واليقين أربعا من عقود المئين فصارت هـذه الحادثة والنازلة الـكارثة طهرة وتمحيصا للمؤمنين ومحقا للضلال والمعتدين ورفع درجات للمستشهدين وعبرة للمعتبرين ، وأقام رئيس نجران أياما بذلك المـكان ثم ارتحل بالغذوانة فكان ذلك الباطن مكانه ، ولما نزل بذلك الموضع المذكور خرج أهل ذلك القصر المشهور إلى إبل له نحو عشرين وأخـذوها وانقلبوا راجعين ثم تحصنوا فى مكانهم وقتلوا من جماعته ثلاثة أشخاص من ساعته ثم بدا عليه دهام بن دواس وأهدى عليه هدايا لقصد الإيناس ورغبة مما فى قلبه من الشر والإفلاس أن يمشيه ويسير به على بقية المسلمين والناس ووعده على ذلك كثيرا من الأموال وأنك إن جردت سيف الجهاد والقتال فى هؤلاء الذين اعتـدوا فى الفعال وفتحت بلدانهم وقتلت أعوانهم فزت بالسودد والمحامد ، وألقت إليك نجد بالمقالد وصرت رأسها ورئيسها وغرتها ونفيسها وغـدوت حاكمها وواليها تنفذ التدبير فى أسافلها وأعاليها ، فهش الخبيث عند زخرف ذلك المقال وبش حين ماوعى ماموه عليه من الأقوال ولم يدر حاله ولم يختبر أفعاله بل بدا له أنه ناصح أمين يريد له الظهور والتمـكين وماعرف أنه خئون أفاك ومعتد سفاك وحثه على التأخر والإقامة، وأظهر حشيمته وإكرامه ثم أرسل أيضا دهام إلى عريعر بالخبر والإعلام وحثه على الظهور إلى نجـد ويقرب له المرام

والقصد ويستجيشه فى ذلك العام ويخبره أن أهل نجد فى غير نظام وأن كلمتهم متفرقة وأحوالهم متشتتة متمزقة ، وفى إقامة رئيس نجران تلك المدة كاتب المسلمين فى القوم الذين كانوا عندهم مأسورين فقبلوا ذلك الحال وكان الشرط بينهم فى المقال أن يطلق ماعنده من أسرى المسلمين ويطلقوا من عندهم أجمعين ، وقد كان الرئيس المذكور عنده من أهل الإسلام ماهو مأسور نحو الثلاث من المئين فأطلقهم جميعا مكرمين ، وقد مكث فى ذلك المكان نحو خمسة عشر يوما من الزمان ، وقدم عليه أيضا فى ذلك المكان ذوو الضلال والطغيان زيد بن زامل وفيصل بن سويط وأثنوا عليه بتلك الأفعال وحمدوه فى ذلك القتل والقتال والتزموا له إن بقى جزيل الأموال ، فلم يلق إليهم بالا ولم يرع لباطل ذلك المقال وأرسل عريعر إليه يندبه أن يقيم بمكانه حتى يقدم عليه وأرسل إليه بالصحف والمكاتيب وزخارف الأباطيل والأكاذيب ومموهات الرسائل والأرقام الموعود فيها بنفائس الأموال والحطام وأجاويد الخيل الكرام إن بقيت فى ذلك المقام حتى أقدم عليك بالجيوش العظام ويمنيه منكرا وزورا ويعده باطلا وفجورا (يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورا) فلم تجد تلك الوعود فيه ولم يجنح إلى ما يعده ويمنيه ، ولم ترض للاقامة شكيمته ولم ترض بباطل الوعود شيمته ، ولم تركن لما زخرفوه همته ولم تصغ لها عزيمته ولم تكن نفسه أبية عن الأطماع بل تطمع فى المال غاية الإطماع وتنزع إلى حبه أشد النزاع ، ولكن لما قذفه الله تعالى فى قلبه من الرعب والافزاع والخوف والاجزاع لم يقم غير ماذكرنا فى تلك البقاع ، وأزاله الله تعالى عنها وطرده وقذفه فى هوة الذل وأبعده ، ولم يحسن له بعد تلك الأفعال شأن ولا حال بل كتب عليه الهوان والاذلال وأصيب بالنقمة من الكبير المتعال وقال المصنف فى ذلك الحال :

عين جودى بواكف هتان	واسكبى عبرة من الأجفان
وأفيضى على الخدود دموعا	تحكى صوب الغمام فى الهملان
واهجرى لذة الكرى فى الدياجى	قد كفى ما جرى من الأحزان
واذكرى معشرا وابكى مصابا	ماجرى مثله بماضى الزمان
لهف نفسى على فراق صحاب	قد تتالوا بطاعة الديان
نهدوا للجهاد صدقا وباعوا	غالى النفس فى رضى الرحمن

أسرعوا فى امتثال أمر إله إذ دعاهم إلى قصور الجنان
صدقوا بيعة عليه وأوفوا ومضوا مسرعين للغفران
فأنيلوا الحياة مع مشتهى ال جنات والحور فى رفيع المكان
وانقضى راجعا بخزى وذل من أتى غازيا مع النجران

وفيها خرج عريعر إلى الدرعية مع بنى خالد كافة وأهل الحساء وسائر الرعية ، فلم تصل جيوشه وأجناده وعساكره وأمداده إلى رمال الدهناء حتى اختلج رئيس نجران ذهنا ومزج الخوف لبه وملأ الله بالرعب قلبه ، فلم يلبث بعده إلا قليلا ثم جد السير إلى بلاده وخدا ودميلا وآثر الليل هاديا ودليلا ، فلما وصل عريعر إلى فياض الجلسا ، وارتوى من تلك الحياض القعسا طاب كثير من أهل البلدان نفسا .

ولما استقر به القرار فى معمور تلك الديار ، وانتشرت جنوده فى فسيح ذلك الوهاد ، وملئت تلك الفيافى والمهاد ، تبين من أهل نجد الارتداد ونجم الضلال والنفاق وقام الباطل على ساق ودعا ، فلبت بسرعة له أعوانه وأجابته على الفور أخدانه وسارعت إلى دعوته شياطينه وإخوانه ، وأوّل من أجاب لداعيه ولبى الصوت مناديه وبادر إليه عجلا وسار له هرولة ورملا ، ورام أن يبلغ بذلك الباطل أملا ، وشهر راية الفتنة والإبلاس دهام بن دواس فكان مما رام بها على خيبة وإفلاس وأهل منفوحة سلكوا معه فى ذلك العرين وتتابع نجد من ذوى الإسلام والعهد أجمعين (ومن الناس من يعبد الله على حرف فإن أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين) ثم إن عريعرا استشار من أهل نجد ذوى المعرفة والشأن فى المنزل الذى ينزله من الدرعية مع تلك العربان ويسع الحضر والبدو من أهل الحسا وسائر البلدان ، فاستقرت الفكر والأذهان على أنه ينزل بين قرى القصير وقرى عمران كما هو معروف بذلك إلى الآن فوجلت قلوب أهل البلاد مما جاء به وكاد ، وما جره عليهم وقاد ، وملئت قلوبهم مخافة ومهابة حين ضرب خيامه ومدّ أطنابه ودهشوا من ذلك الكيد بالإرعاب وأزعجهم ما رأوا من الأجناد والخيلاء والإعجاب وما شاهدوا من عظيم تلك الأسباب وبهرت قلوبهم تلك المدافع التى ليس أحد دونها بممانع ، ولم يكن للمسلمين . غير الله دافع ولا سواه من معين

ولا مدافع ، فأنابوا إلى الله واستسلموا ولجئوا إليه فى كشف مابه دهموا وتحققوا أنهم على الدين المنصور وجزموا ، وجردوا سيوف الهمة على القتال وعزموا ، وعلموا أنهم يرحمون ، فأعينوا ورحموا وكل صدق النية لله وأناب ، وأخلص فى الإيمان والاحتساب رجاء من الله فى جزيل الثواب وتأميلا من المولى أن يحسن لهم المآب ، فلما أناخ بذلك المكان الفسيح أقام ذلك اليوم ولم يبد حربا ليستريح ، فلما بدا اليوم الثانى نهض مسرعا من غير توان حين أكملت الطلوع شمسه مشمرا للقتال طيبة نفسه وقرب المدافع والآلات وتلك الجيوش المزعجات إلى قريب من الجدارات ، وأقام يرمى بها رميات يريد أن يهد تلك اللبنات ، ويقض تلك البروج المستكينات ، وأخذ يحث الرماة ويزجر ويرد عليهم ويصدر ، فلم ينل ولله الحمد المراد وصدر وما أفاد ولم ترم مدافعه لبنة من جدار ؛ فكان للمسلمين ذلك اليوم أعظم اعتبار وزيادة يقين فى دينهم واستبصار ، وقوة رجاء فى الإعانة والانتصار فكأنما والله قد نشطوا من عقال أو خرجوا من حبس واعتقال ، بل كأن الخوف لم يخطر لهم على بال ولا ريب أن هذا تثبيت من الكبير المتعال ، وتأييد من ذى العزة والجلال ، وإلا فقلوب البشر لاتطيق بعض ما صدر ولكن كما قال تعالى (وليربط على قلوبكم ويثبت به الأقدام) وقال تعالى (ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز) ولما كان آخر النهار قبل وقت الأعصار من ذلك اليوم المذكور خرج المسلمون للعرضة خارج السور وكان ذلك بأمر عبدالعزيز حرسه الله تعالى من جميع الشرور ، ففرح بذلك أولئك الجنود وقالوا هذا المنى والمقصود ، فأسرع عليهم الأقوام وكانوا على تهيئة فى الانقسام فأطلقت الفرسان على من خلف السور كان ، وأسرعت الدول تسير على عجل تريد من علو الباطن الدخول حتى يفوزوا بالمأمول ، فدخل عند ذلك عبد العزيز ومن معه من أهل النجدة وكان علوّ الباطن مراده وقصده ، فسابقهم إليه قبل الدخول ولم يكن لهم إلى التمكين فيه وصول فلم يكونوا من مأمولهم على حصول ، وأخرجهم المسلمون منه قسرا ونحوهم عنه قهرا ، وقتلوا منهم رجالا وأخذوا فرس ديوان ، وكان لعريعر خيال وقتل من المسلمين سلطان بن عدوان وهو يدعى ابن نعران وبنى عبد العزيز فى ذلك ما هدم وأحكم بناؤه وردم ، وأقاموا على ذلك أياما قلائل كل يوم ينصبون

للحرب الحبائل ، ويعملون الآراء والفكر فيما يقع بالمسلمين من الإضرار والضرر ، وقد أقاموا من الأيام مدة فى أعظم ضيق وحرج وشدة ، وقد بلغ الضرر منهم حده والكل منهم يتحسر ويتندم على مجيئه الذى تقدم ويسوف ترياق الأسف والحسرة ويعض أنامله من الندم حيث أجمع على المسلمين أمره ، وأضحى عريعر ذلك الجبار مما شاهده وعاينه وصار يدعو بالخيبة والعثار والويل والدمار على من عليه أشار بذلك المسير والتسيار ، فكانوا فى المنزل فى غاية الذل يقاسون من الظمأ والعطش شدائد لبعدهم عن المياه والموارد وكل يوم تغيب شمسه وتطلع تطلب نفسه الهروب وتنزع ويروم الرحيل والترحال لما وقع به من الوبال ، وتأتيه شياطين أولئك الأعوان وتثبطه على الإقامة بذلك المكان مثل دهام بن دواس وزيد بن زامل وأمثال هؤلاء الذين كل منهم لغرضه محاول ولقمع الدين وأهله آمل ، فيلين لهم بعض اللين وينخون أيضا بنى عمه عليه فيأتونه للراضة ويستكين حتى نفخ الله تعالى سحره وطاش وأراد العجلة والانحياش ، فأتوا إليه وتلببوه وحاولوه بطنا وظهرا وقلبوه ، فلم يروا فيه وجدا ولم يجدوا به وردا ولكنهم أدركوا منه تسييرا ومعدا وحدوا له فى ذلك حدا وذلك بعد ما أتوا إليه عتاة أهل الحريق وزينوا له الإقامة وقالوا نحن نعرف المسبا والطريق ونحن لك القادة وسترى منا لك الإفادة ، فراض إلى قولهم وقصد معرفة فعلهم ، فلما توثقوا من راضته شرعوا فى الرأى وإفاضته ، واستقرت المشاورة والمعاودة ، على أن غدا تكون بيننا وبينهم المناهدة ونصدقهم الحرب والمجاهدة ، ونتفرق عليهم ثلاث فرق ، ونظموا رأيهم ذلك حين انتظم سواد الغسق وأخذ الرأى جهده من الحدق ، فوعت ذلك الترتيب آذان واعية من قريب ، فأسرع بذلك من وعاه وهو سالم بن جمهور أثابه الله خيرا وجزاه ونقله إلى عبدالعزيز ونماه ، فلم تستنر بالضياء جهات الأرض حتى قضى عبد العزيز من الاستعداد للقائهم الغرض ، فلما ارتفع سناء النهار سارت تلك الأجناد الكبار تروم الحصن والجدار ، وأخذت القنبرة والمدافع فى لفح الشرار واستعظم الأمر واستطار ، وزاغت القلوب والأبصار ، وأخلصت أهل التوحيد السرائر لعالم الضمائر ، فصارت المهاشير ومن معهم على الزلال وكافة بنى خالد وأهل الحسا ذوى الضلال نحروا جدران سمحان وأهل الحريق وابن دواس

وابن فارس وأهل سدير والوشم وبقية العدوان ، قصدوا قرى قصير وصار قصدهم فى ذلك المسير واكتنفوا جميع البلدة والكل قد بذل جهده وأرهف من ماضيه حده وراموا فى ذلك أمرا إدّا ، وكل قد حارب ربه وتعدّى ، فلم ينل كل منهم رشدا ولا حاز مفخرا وسعدا ، ولا نال من مراده مطلوبا ولا حصل من سؤله مراما ولا مرغوبا بل رجع كل منهم خائبا مرهوبا خائفا وجلا مرعوبا ، وقتل منهم نحو الخمسين وهربوا عن المدافع مدبرين ، فلو يلو أحد منهم إليها ولا عرجوا تلك الساعة عليها ، لما عاينوا من الإرعاب (وصب عليهم ربك سوط عذاب) ، وكان عيد بن تركى فى المقتولين ، وكان والده يديم عليه البكاء والحنين ، ويتفجع عليه فى كل ساعة وحين ، وانهزم رئيس المدافع بعد ما قطع الله يمناه وتنحت يده قدر ميل فى الفلاة ، ولم يحصل له بعض ما تمناه ، ثم لما ولى عنهم الارتياع كروا على مدافعهم بالارتجاع ، فلم يجرد بعد هذه المرة ومذاقتهم لتيك المرة ومقاساتهم تلك الأهوال المرة قواضب قتال ، ولم تسدّد للرمى سهام ولا نصال بل باءوا بالخزى والوبال وشتات الشأن والحال وهموا فى غدهم بالمسير والارتحال ، وكان جملة من قتل من المسلمين ستة رجال محققين . قال المصنف :

نفوس الورى إلا القليل وكونها ... إلى الغى لا يلفى لدين حنينها
فسل ربك التثبت أى موحد ... فأنت على السمحاء باد يقينها
وغيرك فى بيد الضلالة سائر ... وليس له إلا القبور يدينها
وأنت بمنهاج الشريعة سالك ... وسنة خير المرسلين تبينها
فكن صابرا إن حلّ أو جل حادث ... فعاقبة الصبر الفتى يستزينها
وإياك أن تبدى لخطب مخافة ... ولا جزعا من حادثات تشينها
وإن شمت من سحب الحوادث بارقا ... فلا تخش لو يزجى إليك هتينها
فكم فرجت من شدة إثر شدة ... وكم محنة مرت فسرت سنينها
وكيف نفوس المخلصين ينالها ... هموم وخلاق البرايا عوينها
فقد سارت الأحزاب يوم عريعر ... محزبة غث الورى وسمينها
وجاءوا بأسباب من الكيد مزعج ... مدافعهم يزجى الوحوش رنينها
وأبدوا أمورا يذهب اللب عندها ... ويسقط من بطن الرداح جنينها

وأقبل قادة الضلالة والردى وساداتها تبغى الهداة تهينها
وتبغى لأهل الدين فى الأرض وقعة يغنى بها فى كل قطر مهينها
وهتك حمى البطحا ومن حل سوحها وسلب غوان ماتبـدل عينها
وراموا أصول الحق والدين والهدى يريدون أن يجتث منها متينها
وهـدم دعامات المحجة بعـدما أشيد ذراها واستقر رصينها
وتغيير منهاج تألق نوره فابصره غرب النواحى وصينها
ولكنهم حادوا عن الرشد وابتغوا مناهج آباء تغير دينها
ومن يعش عن ذكر الإله تضله شياطين لاينفك عنها قرينها
فخانت لهم نجد لما قد أتوا به ولم يبق فى الإسلام إلا أمينها
وهز ذوو الإسـلام أعظم هزة على الدين بالبلوى فبان كمينها
لقد زاغت الأبصار ساعة أقبلت بنـو خالد أظعانها وظعينها
ولكن مولى النصر ثبت أهلها كما هو فى دفع الأعادى يعينها
فقام بها عبد العـزيز مشمرا وساعـده فى الحروب متينها
فآبت قلوب الناس من بعد طيشها وقرت عيون واستسرّ حزينها
فآضوا وقد راضوا يقينا وجردوا قواضب عضب ليس ينبو سنينها
وقـد وطنوا للموت والله أنفسا لنيل الرضى والعز هان ثمينها
وليس لها إلا التصبر واللقا من الله جيش والثبات كمينها
فنالوا عظيم الفوز والعز والمنى وما نال هـذا بالنفوس ظنينها
وآبت جيوش الفسق بالخزى والردى وليس لها إلا الشنار رهينها
أبى الله أن تعلى على الدين راية فتربو ضلالات ويسمو مهينها
وأن يطأ الفساق فى ذلك الحمى ويهتك من تلك العوالى حصينها
فلا زالت البيضا يسمو منارها ويزهو محياها ويصفو معينها
بحكم إمام المسلمين وعـدله تحاط نواحيها ويحمى عرينها
ولا برح المولى معزا وناصرا سعود الذى يهوى العلا ويزينها

وفيها طلب دهام بن دواس الهدنة من الشيخ والأمير محمد فأجاباه إلى ذلك المقصد واتفق على ذلك منهما الرأى والنظر وكان ذلك من أدق الفكر ، فهودن مجانا وأقام فى الهدنة زمانا يقصر عن السنة عدده بل نحو عشرة أشهر أمده . وفيها فى ذى القعدة قتل محمد بن فارس وولده عبد المحسن وذلك أن أولاد زامل أخيه وأناسا من جماعته تحققوا الردة منه وفيه فأرسلوا إلى الشيخ والأمير يخبرونهم بذلك الأمر الخطير ويعاودونهم على قتله وولده قبل أن يقع ذلك منه ويصير ، فنهوهم عن ذلك وأبوا ولم يسعفوهم على ما طلبوا بل زجروهم غاية الزجر عن ذلك المرام وأن عقد الهدنة قوىّ الإحكام ، فلم يجد فيهم ذلك التهديد ولم يبالوا بذلك الوعيد ، ولا أثر فيهم ذلك الكلام بل أثخنوهما بالكلام وسددوا لهما من الردى مصيب السهام وأوردوه وابنه حياض الحمام فى مجلسه الذى لا يرام ، وأسرع إلى ابن دواس تلك الأخبار فنهض من ساعته فى المبادرة والابتدار إلى منفوحة مع جماعته وقد وصل الخبر بذلك إلى الدرعية فى ساعته ، فأخذ عبد العزيز وكافة المسلمين فى السير إلى منفوحة مسرعين مخافة أن يسرع إليها دهام بمن معه من المبطلين . وقد تقدم أمامه كتاب من الشيخ إلى ابن دواس يخبره أن هؤلاء الجماعة الذين فعلوا تلك الأفعال طلبوا ذلك منا وعاجونا عليه قبل لما تحققوا من ابن فارس الاختلاف والاختلال فزجرناهم عن ذلك وأغلظنا عليهم المقال إلا أنا ذكرنا لهم أنا لا ننفيكم بل نذب عنكم ونؤويكم ، فإن كنت تريد على الهدنة البقاء فإياك أن تسلك سبيل الهلاك والشقاء وان كنت تريد النكث والحرابة فاسلك منهجه وأسبابه ، وجاءه الرسول وقد قربه إلى منفوحة الوصول ، وجرى بينهم من القتال فصول ، وقتل من أهلها رجلين تلك الساعة وقتلوا منه واحد ، حين مد لدخولها باعه ، فلما قدم عليه الرسول بالكتاب وعرف فحوى الخطاب بادر إلى بلده بالانقلاب ، فلم يصل عبد العزيز إليها ومن معه إلا وقد آب ؛ ثم إن عبد العزيز بعد ما خرج من منفوحة سار إلى قصر الغذوانة وأقام فيه أياما يصلح شانه ، ثم خرج منه وقصد مكانه .

ثم دخلت السنة التاسعة والسبعون بعد المائة والألف . وفيها فى ربيع الأول اعتدى دهام بن دواس وأبدى الخيانة والإبلاس ، فجمع زيد بن زامل وغيرهم فعدا على الصبيحات وأخذ منها طرشا كثيرا ، وخرج أهل منفوحة فاقتتلوا معه وقتل منهم ستة أو سبعة وقتلوا منه نحو ذلك وكان لهم عنه أقوى منعة وثارت بينه وبين المسلمين

بعدها الحرابة وهو الذى فتح من الشر بابه ودعا إلى ذلك أعوانه وأحزابه ، وفى ذلك من السر المصون والغيب المكنون مالا تحيط به الأفهام ولا تدركه أفكار الأنام ، بل تقع التقادير والأقدار وتصدر إرادة الجبار على غير ما يجول فى الخلد والأفكار وما لا يتخيله المتفكرون ولا ينتجه المتفرسون ليتذكر أولو الألباب ويقفوا بالتسليم والاحتساب لما دبره رب الأرباب، ويحصل لهم الأجر والثواب إذ كانوا لأحكامه وإبرامه يسلمون (وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون) فكانت هذه القضية وصدور هذه الخيانة الردية سببا لخروجه عن بلده بالكلية ومبدأ لذهابه وأنموذجا على عذابه .

وفى منسلخ ربيع الأول توفى الأمير محمد بن سعود رفعه الله إلى جنات الخلود وآمنه يوم الفزع والورود وسقاه من حوض محمد المورود . وفيها بايع عبد العزيز أهل الإسلام وأعطوه على الإمامة عقد الأحكام وأقبل على المبايعة والمعاهدة والمتابعة جميع الخاص والعام من سائر الأنام ، وقدم لذلك المسلمون من البلدان القاصى منهم والدان وتتابع على ذلك الحضر والبدوان ، والشيخ رحمه الله تعالى هو رأس ذلك النظام والمحكم للعقد بالإبرام ، وكان يتلو عليهم أحكاما وموعظه وتعليما (فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجرا عظيما)وأسقط حرسه الله تعالى جميع المظالم وأبطل كافة المغارم وارتفع عمود الحق واستقام وانتظم أعظم انتظام وتأود غصن المحجة البيضا وأقبلت الدنيا على رعيته فيضا وملئت قلوب العدا مما شاهدوا من سيرة الهدى حسرة وغيظا وشهرت رايات الإسلام فى الأقطار وسارت بالفتوح الركبان فى سائر الأمصار وطارت قلوب أهل الضلال أىّ مطار ، وزاد أهل الإيمان بذلك يقينا وتسليما وجدوا فى الدين والتوحيد تفهما وتفهيما (ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما) .

وفيها غزا المسلمون وأميرهم عبد العزيز الرياض ، وذلك أنه حرسه الله تعالى سار بمن معه إليها وملك بروج جسان وأدرك منها نيلا ، فلما تبين الصبح وانتشر الناس بلغ الخبر دهام بن دواس فأرسل سريعا فى الحال رجلا من جماعته خيال إلى سبيع وكانوا قريبا منه فعاجلوا بالمجىء والإقبال وبادروا فى سرعة الامتثال ، فلم يشعر المسلمون إلا بخيلهم فى اقتبال ، ثم خرج ابن دواس مع جماعته لما علم مجىء سبيع من ساعته وقصده الخديعة والمكر بالمسلمين (ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين) فحينئذ أمر عبد العزيز

المسلمين بالظهور والخروج والنزول عن تلك البروج ، ثم إن دهام بن دواس خرج مسرعا إليهم يريد أن يناوشهم الحرب ويشغلهم حتى تقدم سبيع عليهم، فعند ذلك سدد الله تعالى عبدالعزيز وثبته وحماه من ذلك المكر وجماعته وصارت بينهم جولة قتال قتل فيها من المسلمين عدة رجال ، وأقبلت خيل أولئك البدوان ، فابتدرهم من المسلمين فرسان وحمى بينهم الطعان ثم بعد ذلك انفصل الفريقان وكل قصد له مكان ، ولم يدرك دهام من المسلمين مارام . وفيها غزا المسلمون العودة وأميرهم عبد الله بن محمد فلم يجر بينهم قتال ثم رجع إلى حريملا فغزا إلى شلية من سبيع وهم بالعرمة فصبحهم وأخذ إبلهم وخيلهم ومامعهم من الغنم والأمتعة. وفيها أتى برد عظيم لم يعهد مثله فمات الزرع والعشب. وفيها جرت وقعة تسمى وقعه العدوة، وذلك أن المسلمين عدا منهم على الرياض ستون رجلا فخرج ولد زيد بن سليمان عجلا مرتدا من الدرعية ، فأخبر أهل الرياض بالقضية، فلم تأتهم تلك العدوة إلا وهم مجتمعون لها فى ندوة ، فعدوا على صياح فارتفع عند ذلك الصياح، ووقع بينهم الكفاح ؛ ثم انهزم المسلمون والخيل لهم وراءهم متبعون فقتلوا منهم ثمانية رجال وخمسة أسروا فى الاعتقال . وفيها غزا المسلمون وأميرهم عبد العزيز فساروا إلى الرياض وأعدوا فى الليل الكمين ، فلما انتشر ضوء الصبح شعروا بالمسلمين فبادروا إلى القتال ولم يكن لهم عنه بدّ ولا احتيال، فلما حميت نار الحرب واستقر الطعن والضرب وظهر عليهم كمين المسلمين انهزموا جميعا مدبرين ، وقتل منهم ستة رجال وانقلب المسلمون راجعين . وفيها هم دهام بن دواس بأهل منفوحة فوصل المسلمين الخبر فأسرعوا إليهم بالنفر . فلم يستقر دهام فى تلك النخيل حتى جاءه مجىء المسلمين بالتعجيل فولى على عقبه هاربا لبلده راغما طالبا .

ثم دخلت السنة الثمانون بعد المائة والألف، وفيها غزا المسلمون وأميرهم عبدالعزيز ثرمدا وأتاها بعد أن هدأ الأنام ، فكمن حتى استكملت الخروج للمرعى جميع مابها من الأغنام فاستاقها ذوو الإسلام وفزع من فى البلد من الأقوام حتى وقع الاختلاط والالتحام ، وجرى بينهم القتال وضاق المجال وخرج الكمين فشدت عليهم فرسان المسلمين ، فعند ذلك ولوا مدبرين : وقتل منهم نحو العشرين ، منهم محمد بن عيد وحمد بن راشد ابنا إبراهيم بن سليمان ، وقتل من المسلمين فواز التمامى وابن غدير وتسمى هذه الغزوة غزوة الصحن عند أهل ذلك الوطن ، لأن القتال وقع فى مكان

يقال له ذلك ، ثم انصرف المسلمون راجعين وتوجه عبدالعزيز بالجيوش إلى منفوحة؛ وفي أثناء ذلك الطريق وافق ركبا لابن دواس فقتلهم منهم محيسن بن قاري المعلومي على التحقيق ، ثم دخل عبدالعزيز منفوحة بالسرور والابتهاج لإرادة عقـد الدخول ببنت زامل الزواج . وفيها في الفطر الأول سار عبدالعزيز حرسه الله تعالى بالمسلمين فنزل بالبنية من الرياض فخرج أهلها للقتال من غير ارتياض ، فقتل منهم المسلمون أربعة رجال ولم يبرزوا للطعان في مجال ، وقتل من المسلمين مرشد بن حصين .

ثم دخلت السنة الحادية والثمانون بعدالمائة والألف وفيها ارتفعت الأسعار والأثمان ونفق الزاد في جميع البـلدان وبقي الناس في مقاساة البأس ، وبلغ الأنام من غلاء الطعام هم وضني ، وحزن وعنا ، حتى بلغ الصاع جديد ونصف ووزنه ونصف بجديده . وفيها غزا المسلمون العربان ، فلما سار المسلمون إليهم سبقه النذير عليهم ، فلم يصل إليهم من المسلمين فرسان ، إلا بعد ما أخذوا الأهبة للطعان ، وكانت خيولهم تزيد على ست من عقود المئين ، ورام المسلمون أنهم يجدونهم مغفلين ، فلما شنت خيل الإسلام الغارة على أولئك الأقوام وأخذوا بعض الإبل السوام أطبقت عليهم خيل المطران وفرسان أولئك العربان ، فاشتد بينهم الطعان ، ولم يكن لهم إلى الفرار من إمكان ، فثبت الله أهل الإيمان وتخاصوا من شر ذوي الطغيان وقتل بينهم بعض رجال من المسلمين دوخي الصيخي وابن ربيع ورجعوا على اعتجال . وفيها غزا المسلمون وأميرهم هذلول بن فيصل ومعه سعود بن عبد العزيز ، وهذه أول غزوة غزاها فساروا يريدون العودة فأتوا تلك البلاد وقد هجع العباد وقد حكم على المقل الـكرى ، وما شعر أحد بدخولهم وما دري ، وقد أعدوا لهم في مكان كمينا من الشجعان وأوصوهم أنهم إذا استكمل أهل البلد الفزع والظهور يعقبونهم على تلك القلعة والدور ، فلما تبين ضياء النور وأدبر ظلام الديجور أغار المسلمون على أطراف البلدة ، وكل من جيشه وكمينه عرف قصده ، فبدرهم بالقتال من أهل البلدة ذوو النجدة فلم يأخذ المجال حده حتى دخل الـكمين البلاد فقتلوا نور بن سعدون وأناسا من أهل الفساد ، فلما علم بما جرى وصدر من خرج من أهل البلاد وظهر رجعوا للقلعة فإذا هي عنهم في منعة ، وقتل المسلمون منهم رجالا ونودي بالأمان بعد انقضاء ذلك الحال وصار ابن حماد فيها هو الأمير ولم يغير عليه فيها بتغيير حتى صدر على المسلمين منه مايضير ثم رجع المسلمون . وفيها سار عبد العزيز

حرس الله ذاته بالمسلمين إلى الرياض فنزل بالمشيقيق وأقبل فزع أهل البلد إليهم وصدقوا الحملة عليهم ولكن الله منّ على المسلمين بالثبات ولم يكن لهم إلى الفرار التفات ، فقتل من أهل الرياض ستة من الأشرار ، وقتل من المسلمين ناصر بن عبد الله ومحمد بن حسن الهلالى ورجع المسلمون إلى بلادهم . وفيها كاتب أهل الوشم عبد العزيز على مجيئهم ودخولهم فى الإسلام فأجابوهم بحصول ذلك المرام ، فأقبل أهل الوشم بلده وقراه، ولم يبق منهم أحد حتى أهل مراه ، فدخلوا فى الدائرة الحصينة والكل منهم رفض دينه ، وبايعوا أهل الإسلام ؛ واستمرت عليهم تلك الأحكام. وفيها غزا المسلمون وأميرهم عبد العزيز فوطئ جلاجل وطلب من سويد النكال لكونه مرتدا قبل ذلك الحال فأعطاه عن ذلك من الخيل خمسا فطاب بها عبد العزيز نفسا لكونها خيلا بالجودة معروفة وبالنجب مشهورة موصوفة ، ثم سار عبد العزيز حرسه الله تعالى فى طريقه ذلك مجدا ، وكان فريق من اليمن على المربع له قصدا، فصبح الفريق بالغارة وأخذ عليهم إبلا ثم طلب أثره ورجع إلى بلده سالما وللمال غانما . وفيها سار عبد العزيز بالمسلمين إلى الرياض وجرت بينهم وقعة تسمى وقعة المجوز ، لكون الوقعة بمكان يسمى بذلك ، وكان القتال بينهم من بعيد بالبنادق هنالك ، ولم يقع بينهم للقتال مقاربة ولكن كل أدرك بالرمى مطالبه فقتل المسلمون من أهل الرياض خمسة رجال ومن الخيل أربعا ، وقتل من المسلمين نحو عشرة صارت لهم الجنة مرتعا منهم مبارك بن سبيت وزيد ابن سعيد وابن رشيدان ، وأقام عبد العزيز بقصر الغذاونة أياما يغير على الرياض ورجع مكانه .

ثم دخلت السنة الثانية والثمانون بعد المائة والألف . وفيها استمر غلاء الزاد وبرح كافة العباد من المعيشة فى مكابدة ونكاد ، وتسمى هذه سنة سوقه لأن السعر بلغ حده وطوقه . وفيها غزا سعود بالمسلمين ، وهو أول غزو تأمر فيه فأغار على الزلفى وقتل ثلاثة رجال ثم رجع بلا إمهال . وفيها سار عبد العزيز حرسه الله تعالى بالمسلمين إلى سبيع وكانوا حينئذ على الحائر فلم يزل يجد السير إليهم حتى قارب الهجوم عليهم فسبقه عليهم النذير لما اقتضته الإرادة الإلهية الأزلية من التدبير ، فلم تقبل عليهم المسلمون إلا وهم للقائه مستعدون ، فحين طلعت عليهم طلائع الخيل كان منهم إليها أسرع ميل ، فالتحم الفرسان وحمى بينهم الطعان ، والتزم الثبات كل من الأقران حتى نصر الله تعالى

المسلمين وأعان ، فشد عليهم المسلمون الحملة، فلم يكن دون هزيمتهم مهلة ، فانهزموا جميعا وعمدوا إلى قصر الحائر سريعا فأقاموا به محتمين وكان أهله إذ ذاك مرتدين ، وأخذ المسلمون ما معهم من الأمتعة والخيل والإبل ورجعوا فائزين بغاية الأمل . وفيها غزا المسلمون وأميرهم سعود بلغه الله تعالى المقصود ، فأغار على فريق من اليمن بعد ماقاربهم واستكن ، فلما صبحتهم منه الغارة لم يثبتوا غير ساعة فلزموا الانكسارة وتبعتهم إلى بيوتهم الخيول ولم يكن لهم سواها وصول ، وقتل منهم رجال ولكن الله أراد لهم السلامة ، ولم يشعر غزو المسلمين لاشتغاله بمن أمامه إلا بالتئام بعض العربان عليهم وإقبالهم إليهم ، واستحر الطعن فى أعقابهم ورجعوا من حيث مآبهم ، وأقبلت بعد ذلك العرب المكسورة واجتمعوا على المسلمين فكانت بينهم وقعة مشهورة ، فاحتمى المسلمون وسلموا ، وقتل منهم سبعة غفر الله لهم ورحموا : منهم ناصر بن عثمان وفوزان بن ناصر ، ورجع المسلمون إلى بلادهم . وفيها غزا سعود بالمسلمين وركابهم نحو المائة على التخمين ، فأغاروا على عنيزة وخرج أهلها مجتمعين وكانوا ذوى عدد من المئين ، فوقع بينهم وبين المسلمين القتال ، وأبدى المسلمون فى ذلك اليوم المجال من النجدة والإقدام وفرط البأس والالتزام ، مابهر عقول أولئك الأقوام وأدهش أذهانهم والأفهام حين رأوا فعلهم بعد المخالطة والالتحام ، فلم يكن حينئذ لأهل البلد عزم ولا اهتمام سوى الفرار إلى البيوت على الأقدام، وقتل المسلمون نحو العشرة وكل من أهل الإسلام حمد ربه وشكره ، وقتل من المسلمين ثلاثة رجال ثم رجعوا إلى بلادهم من غير إمهال .

ثم دخلت السنة الثالثة والثمانون بعد المائة والألف . وفيها سار عبدالعزيز حرسه الله تعالى بالمسلمين يريد الرياض ، فوافق فى ساعة خروجه من غير ارتياض خيلا كثيرة لدهام على الدرعية عادية ، وقد أخذت إبلا كثيرة لسبيع البادية فأطبقت عليهم خيل المسلمين مبادية ، واستقر بينهم المجال ساعة ثم أدبرت خيل ابن دواس خجلة مرتاعة ، وقد قتل منهم المسلمون أربعة يعرفون مطرود الفريد وابن المرابع وحسن الجعفرى ودوخى بن مروان ، ورجع عبدالعزيز فلم يسر إلى ذلك المكان . وفيها غزا عبدالعزيز بالمسلمين من أهل الدرعية وقراها ، فلما وصل إلى حريملا حرسها الله تعالى وحماها أمر من هناك من بلدان المسلمين أن يخرجوا له الدول مجتمعين فأخرج أهل سدير وأهل المحمل جمعا كثيرا من الدول وقصد ما يريد من محل فأناخ بالمسلمين على

المجمعة وكان المسلمون عليها مجتمعة وجرى بينهم وبين أهلها القتال ودخل قلوب أهلها من المسلمين الأوجال وقتلوا منهم تلك الساعة عدة رجال منهم عبد الله وقويفل ابنا عثمان وهما أخوا حمد رئيس المجمعة ثم إن عبد العزيز أمر بالرجوع على من مشى معه من الدول وتبعه حين فرغ من أمر المجمعة وغزا بالجيش من ذلك المكان ، وكان ذلك فى أثناء شهر رمضان نجد" سائرا فى ذلك الزمان حتى وصل إلى قرية الهلالية وقد هجعت البرية وكانت من قرى القصيم ، فأناخ عندها فى ظلمة الليل البهيم ورتب كمينه وحاله قبل أن يزيل النور من الظلام أوجاله ، فلما أغار بعد انتشار النهار وخرج أهلها إلى القتال وبذلوا فى ذلك غاية الحال ، ولكن الله الكبير المتعال . سلط عليهم الرعب والإذلال فانكسروا والمسلمون يقتلون فى أثرهم باستعجال وهتك المسلمون البلد فى ذلك المجال ودخلوها فى تلك الحال ، وأخذوا جميع مابها من الأموال ثم نودى فيها بالأمان بعد ما قتل من أهلها رجال ، وأقام بها عبد العزيز بعض ليال فذل أهل القصيم كافة وغشيهم أمر عظيم من المخافة فرغبوا فى الدخول فى الإسلام والانقياد لمنير تلك الأحكام ورفض مايعبد من الأوثان والأصنام ، وأقبلوا على عبد العزيز فى تلك الأيام فأخذ عليهم عقد الإبرام ووضع عندهم معلمين للتوحيد والشرائع والأحكام ، ثم رجع عبد العزيز يريد الدرعية ليقسم الغنيمة فيها بالسوية ؛ وفى أثناء ذلك عثر على أثر غزو لبنى خالد كبيرهم بطين هنالك ، فعرفوا أنه غزو المسلمين فقالوا لا طاقة لنا بأهل الدين، وكان هذا من رأيهم أجمعين ، فتركوا المسلمين ومنازلتهم بعد ماحققوا مشاورتهم (وكفى الله المؤمنين القتال) وكتب على أولئك الغزو والمذلة والإذلال وذلك أنهم أغاروا على عدة فرقان من سبيع بأرض ضرما مقيمين فى ذلك المكان ، فجرى بينهم قتال وطعان وحمى الحرب بين الفرسان وساعد أهل البلد من الحضر أولئك العربان وشمروا للقتال مع تلك البدوان ، فهزم الله تعالى أهل الطغيان وقتل منهم تلك الفرسان ، وأخذ المسلمون منهم أموالا كثيرة وخيلا نحوست شهيرة . وفيها غزا المسلمين ركب فصادف الشريف منصور فأخذ مع ركب معه وأتى به مأسور فمن" عليه عبد العزيز بالإطلاق دون الفدا فرجع بعد ذلك برخصته من شريف مكة فى الحج لذوى الهدى ، فاغتنم لذلك من المسلمين طائفة وسارت للحج آمنة غير خائفة وقضت ركن الإسلام وأدت المناسك على التمام فى ذلك العام ، ورجعت بالحشيمة والإكرام .

ثم دخلت السنة الرابعة والثمانون بعد المائة والألف . وفيها غزا عبد العزيز بالمسلمين يريد آل ظفير ، فأغار على المحمرة منهم فى ذلك المسير وكانوا قبل مجيئه على حذر لسبق النذير ، ولكن أخذوا عليهم إبلا كثيرة وصارت بينهم مقاتلة شهيرة قتل منهم بعض رجال ، وانصرف المسلمون بتلك الآبال. وفيها غزى عبد العزيز بالمسلمين وأقاموا فى الحائر مجتمعين ، ولم يخرج إليه من أهلها أحد ، فشرع فى قطع النخل واجتهد ، فلما عاينوا ذلك أهل البلاد طار منهم اللب والفؤاد ، وحين شاهدوا هذه القضية عظمت عليهم الرزية وأحاطت بهم البلية ، فلم يجدوا سوى الاستسلام منهجا وإظهار الانقياد والإسلام معاذا وملتجا فطلبوا من عبد العزيز فى الإسلام الدخول فأجابهم إلى ذلك السول وأسعفهم بالمأمول ، فبايعوه على الإسلام والتزموا فى الأحكام بالقيام ورجع عبد العزيز بمن معه .

ثم دخلت السنة الخامسة والثمانون بعد المائة والألف . وفيها غزا سعود حرسه الله تعالى يريد منيخ فلما وصل حريملا بمن معه من المسلمين ذكر له غزو لآل ظفير مجتمعين وكان رؤوس ذلك الغزو آل ضويحي ووهق بن فياض فجد فى ساعته فى الانتهاض وحث السير فى أثرهم بعد تحقق أخبارهم ، فأدركهم فى أرض غيانة وأسرعت إليهم بها فرسانه ، فلما عرفه آل ظفير وعلموا شأنه كل منهم انهزم يريد أهله ومكانه فعض المسلمون عليهم الساقة ، وأسروا بعض أولئك الرفاقة وقتلوا منهم رجالا منهم وهق بن فياض وشقتوهم حالا ، فلم يسلم من القتل والإسار إلا من طلب الفرار ، ثم رجع المسلمون. وفيها أرسل الشيخ وعبد العزيز إلى والى مكة أحمد بن سعيد الشريف هدايا وكان قد كاتبهم وراسلهم وطلب منهم أن يرسلوا فقيها وعالما من جماعتهم يبين لهم حقيقة ما يدعون إليه من الدين ويحضر عند علماء مكة ، فأرسل إليه الشيخ وعبد العزيز الشيخ عبد العزيز الحصين وكتب معه إلى الشريف رسالة ، وهذه نسختها وهى :

" بسم الله الرحمن الرحيم المعروض لديك أدام الله فضل نعمه عليك حضرة الشريف أحمد بن الشريف سعيد أعزه الله فى الدارين وأعزبه دين جده سيد الثقلين إن الكتاب لما وصل إلى الخادم وتأمل مافيه من الكلام الحسن رفع يديه بالدعاء إلى الله بتأييد الشريف لما كان قصده نصر الشريعة المحمدية ومن تبعها وعداوة من خرج عنها وهذا هو الواجب على ولاة الأمور ، ولما طلبتم من ناحيتنا طالب علم امتثلنا الأمر وهو واصل

إليكم ويحضر فى مجلس الشريف أعزه الله تعالى هو وعلماء مكة ، فإن اجتمعوا فالحمد لله على ذلك وإن اختلفوا أحضر الشريف كتبهم وكتب الحنابلة ، والواجب على كل منا ومنهم أن يقصد بعلمه وجه الله ونصر رسوله كما قال تعالى (وإذ أخذ الله ميثاق النبيين) إلى قوله (لتؤمنن به ولتنصرنه) فإذا كان الله سبحانه قد أخذ الميثاق على الأنبياء إن أدركوا محمدا صلى الله عليه وسلم على الإيمان به ونصرته فكيف بنا يا أمته فلا بد من الإيمان به ولابد من نصرته لايكفى أحدهما عن الآخر وأحق الناس بذلك وأولاهم أهل البيت الذين بعثه الله منهم وشرفهم على أهل الأرض وأحق أهل البيت بذلك من كان من ذريته صلى الله عليه وسلم وغير ذلك ، يعلم الشريف أعزه الله أن غلمانك من جملة الخدام ثم أنتم فى حفظ الله وحسن رعايته ؛ فلما وصل إليهم عبد العزيز المذكور نزل على الشريف الملقب بالفعر واجتمع هو وبعض علماء مكة عنده وهم يحيى بن صالح الحنفى وعبد الوهاب بن حسن التركى مفتى السلطان وعبد الغنى بن هلال وتفاوضوا فى ثلاث مسائل وقعت المناظرة فيها : الأولى ما نسب إلينا من التكفير بالعموم . والثانية هدم القباب التى على القبور . الثالثة إنكار دعوة الصالحين للشفاعة ، فذكر لهم الشيخ عبد العزيز أن نسبة التكفير بالعموم إلينا زور وبهتان علينا . وأما هدم القباب فهو الحق والصواب كما هو مسطور فى غير كتاب ، وليس لدى العلماء فيه شك ولا ارتياب . وأما دعوة الصالحين وطلب الشفاعة منهم والاستغاثة بهم فى النوازل فقد نص عليه الأئمة الفواضل وقرروا أنه من الشرك الذى فعله الأوائل ولا يجادل فى جوازه إلا كل ملحد جاهل فأحضروا من كتب الحنابلة الإقناع فرأوا عبارته فى الوسائط وحكايته الإجماع فصار لهم بتلك العبارة اقتناع ولهم إلى الإقرار إسراع وتفوهوا بأن هذا دين الله وانتشر فيما بينهم وشاع وقالوا هذا مذهب الإمام المعظم ، وانصرف عنهم عبد العزيز مبجلا مكرم . وفيها سار عبد العزيز بالمسلمين يريد الرياض فعدوا منها على معكال وخرج أهلها فجرى بينهم قتال ، فلما استقر جلادهم للمسلمين خرج عليهم الكمين فلم يلبثوا غير ساعة ثم كان منهم إلى البلدان تجاعة ، وقتل المسلمون منهم ستة رجال منهم عتيق ابن زائد ، ثم هم المسلمون بالارتحال فلما وصل المسلمون إلى بعض بلدانهم انقلبوا راجعين يريدون الرياض لشأنهم فكان من القضاء والقدر أن دهام بن دواس قد سار وظهر عاديا على أهل عرقة وليس عند المسلمين منه خبر فلما خرجوا فى ذلك الشأن التقوا جميعاً قريبا

من ذلك المكان فأطبقت عليهم من المسلمين فرسان ، فلم يلبثوا ساعة للطعان بل انهزموا إلى تلك البلدان فكان أول قتيل منهم دواس بن دهام ثم جد فى أثرهم أهل الإسلام وهم فيهم يقتلون حتى قتل منهم عشرون وآخرهم ابن لدهام واسمه سعدون ، وكان الذى باشر قتل دواس عبد العزيز أمير الناس صرف الله عنه كل باس ، فرجع دهام بأعظم الباس مرتديا من الذل والخزى أضفى لباس ، متجرعا من الهم أصفى كاس ، فلم تزل له بعد هذه عين قريرة ولا حالة من المعاش سريرة ، بل كلما غفت العيون أبدى من الأسف المكنون مالا يعرف ولا يقاس ، لاسيما على مفارقة سعدون ودواس ، فنودى عليه بلسان الحال من بعيد (ذلك بما قدمت يداك وأن الله ليس بظلام للعبيد). وفيها سار عبد العزيز بالمسلمين حتى نزل الرياض وخرج أهلها مسرعين ولم يكونوا عن القتال منثنين وطال القتال بينهم فعجل الله لبعض أهل الباطل حينهم وشد عليهم المسلمون فأسرعوا يجهدون ، وقد قتل منهم أربعة رجال منهم ابن رومى الذى فى ذلك المجال .

ثم دخلت السنة السادسة والثمانون بعد المائة والألف . وفيها غزا عبد العزيز بن محمد بالمسلمين فلم يبرحوا فى ذلك السير مجدين يريدون آل حبيش وكانوا نازلين بأرض صبحا ؛ فلما قاربوهم كمنوا حتى يحققوا أمرهم مراما ونجحا ويستعدوا لملاقاة أولئك الفرسان طعانا وكفحا ، فلما انجلى الديجور وعم ضياء النور وفرغوا من الصلاة صبحا شنت عليهم عاديات المسلمين صبحا فأخذوا عليهم آبال وفزع أهلها للقتال وراموا لها فكاك ولم يكن لهم إلى ذلك إدراك ، بل وقعوا فى هوة الأدراك ، وقتل منهم أناس ورجع المسلمون بإيناس . وفيها غزا سعود حرسه الله بالمسلمين يريد من الرياض الإبل والغنم السارحة ، فلم تزل همته على الجد فى السير بارحة حتى وصل إليها بعد الهجود فكمن كمينه هناك سعود ، فلما خرجت السوائم للرعاية بدت غارة المسلمين إليها بداية فالتجأت إلى البلد الإبل وخرج الفزع إليها بالعجل ، فتقابل كل من الفريقين واقتتل حتى صدتهم فرسان المسلمين فانهزموا مدبرين ، وقد قتل منهم سبعة منهم مرخان بن فريان وعبد الله السارى . وفيها غزا عبد العزيز فسار بأهل الدين يريد أهل الرياض المسرفين ، فوصل لذلك قريب السحر فقضى قبل الصبح من التعبئة الوطر فلما بدا الصبح مسفرا منيرا وقضى الصلاة تبدى مغيرا وارتفعت الأصوات فى البلاد وخرج بعد الاستعداد من يريد القتال والجلاد ، فلما عاينوا أهل الإسلام جللهم الرعب والإحجام فلم يحصل

لهم بعد الالتحام فرط إقدام بل مكثوا فى القتال زمان مرتدين ثياب الهوان ، فلما شد عليهم أهل الإيمان انهزموا من غير توان وقتل منهم مرزوق المطيرى ومحمد بن فائز وقتل من المسلمين على بن محمد الأمير . وفيها مات الشيخ أحمد بن مانع رحمه الله تعالى فى رمضان . وفى آخره مات ثنيان بن سعود أسكنهما الله تعالى دار الخلود وكان لهما بهذا الدين المنهج المحمود .

ثم دخلت السنة السابعة والثمانون بعد المائة والألف وفيها سار عبد العزيز بالمسلمين متع الله تعالى به سنين ، فنزل بالرياض وألقى رحله فى تلك الغياض ونازل أهلها مدة من الليال وكل يوم يجرى بينهم قتال ، واستولى المسلمون على بروج وجدوان فأسرعوا إلى تهـديم ذلك البنيان وهدموا ذلك المرقب الشامخ فصار الدمار لارتفاعه ناسخ وقتل من أهل البلد رجال وبات أهلها فى غاية الأوجال يسامرون فى الدياجى السها مما حل بهم ونزل بساحتهم ودهى وقد عرتهم الذلة والدهشة وغشيتهم الرجفة والرعشة لاتهدأ لهم قلوب ولا عيون وقد أيسوا من أنفسهم وخابت منهم الظنون ، وقد قارب أن يفتحها إذ ذاك المسلمون لما بان لهم من الانتصار وما ظهر على أهلها من الرعب والانذعار ولـكن إرادة المولى غالبة على العباد وليس يجرى إلا ما اختاره وأراد ، فانصرف عنهم جميع المسلمين وأخر الفتح إلى حين ، وقد قتل من المسلمين اثنا عشر رجلا نالوا من الشهادة أملا منهم عقيل بن نصير وسلطان بن حفيتان وكانت هذه الوقعة فى صفر ولم يشرق بعدها لدهام عز ولا سفر بل همّ بالرحلة والسفر والجلاء عن ذلك الوطن الذى ثوى فيه وقطن وحل به وسكن ، فأخذ فى تدبير النقلة والارتحال مما داخله من الرعب والأوجال وخالط قلبه من الخوف والإذلال ، فبقى أياما وليالى لايحسن له حال ولا ينشرح له بال مخافة على أهله والعيال وأسفا على ذهاب تلك الأموال وأسفا على فراق الحلة والبعد عن تلك المحلة ومعاناة الجلاء والنقلة والأرض به راجفة وريح الهروب عليه عاصفة ، وهو يصبر نفسه ويتصبر ويتجرع مرارة الأسف ويتحسر ، وينادى بالويل على نفسه كل ساعة وهى إلى الفرار نزاعة لاتروض إلى البقاء والاستقرار ولا تميل إلى المـكث فى هاتيك الديار حتى نادى عليه منادى الذل والصغار إلى متى التصبر والاصطبار والحلول والقرار وحتى متى تقدم فى ذلك رجلا وتؤخر الأخرى والجلاء هو الأولى لك والأحرى ، وصاح به قلاع الحصون إلى متى هنا السكون

فقد آذن ليل الباطل بالزوال وأعلمت سحب الشرك بالارتحال وتقشعت غياهب الزيغ والضلال ولاح نور الهدى والهداية وانجلت دياجى الضلالة والغواية وتلألأ عمود الصباح وأشرق لأهل الإسلام السعد ولاح وغدا البلاء على الباطل وراح وأعلن عليهم لسان الفتح وهم يسمعون (ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون) فلما حان من شمس الباطل غروبها وآن لأهلها جلاؤها وهروبها وأن تثبت فى روضة الرياض قواعد الدين وتمحق دولة المفسدين ويظهر لأهل الإسلام النصر والظفر والتمكين وتعلو كلمة الحق على المبطلين وتمحى آثار ذوى المكر والمعتدين (فانظر كيف كان عاقبة مكرهم أنا دمرناهم وقومهم أجمعين) جمع جميع أعيان بلده وأخبر بحقيقة عزمه ومقصده وأنه يريد الهروب والجلا، وأن فؤاده ملئ رعبا ووجلا فصاحوا كلهم عليه وأقبلوا بأجمعهم إليه، وقالوا ماحملك على هذه الأفعال وما الموجب لها من الأحوال أهذا انا مكر وخداع حتى تعرف منا الصدق بإجماع أم حدث بك من الجن انتزاع فاستعذ بالله من الشيطان فلن تراع، فقال دعوا عنى هذا الهذيان فليست الرياض لى بأوطان وليس عيالى فيها بسكان وما شاء الله كان، ولم يرعو من ذلك المقال والمحاولة عن الارتحال، ولم يستطع إلى ذلك سبيلا ولاوجد من قلبه عليه دليلا بل انتفخ سحره ولبه وطاش فؤاده وقلبه وتعاظم منه فى الحشا (ومن يهن الله فماله من مكرم إن الله يفعل مايشاء) فانفضوا من حوله سراعا وعرفوا أنهم لايدركون به دفاعا فازدادوا ذعرا وارتياعا وتحققوا أنهم منها مخرجون وأنهم له متبعون (وبدا لهم من الله مالم يكونوا يحتسبون) فتردوا رداء القنوط والإياس وكل ساعة ينتظرون حلول النقمة والباس (فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون) فلما انتصف ربيع الثانى خرج عبد العزيز حرسه الله تعالى بالمسلمين يريد الرياض وحربها وتدميرها وخرابها وقد جرد أهل الإسلام لذلك صوارم الاعتزام ونهضوا كافة وليس لهم دونها مرام، وقد ارتجوا الفتح من الملك العلام ووطنوا نفوسهم على حصارها ليالى وأيام، ولم يكونوا بما فى الغيب مشعرين (ادخلوها بسلام آمنين) فلما وصل حرس الله مهجته وأيد عزه ودولته فى مسيره ذلك إلى قريب عرقة انبلج له عمود الأنس والسرور وانسلخ مدلهم ذلك الديجور وطلع له طالع السعد وبرق له بارق الفخر والمجد وتبدى له فى أفق ذلك الطريق لوامع المسرة واللطف والتوفيق، وكان بذلك جديرا وحقيق وناداه لسان المبشر والبشير

إلى م تسعى وتسير ؟ وجميع عداك فى تدمير وإلى كل بلد فى مطير ، فأرخ ذيول الهنا فقد جاءك القصد والمنى وزال عنك النصب والعنا ، فسعيك إن شاء الله مشكور وأنت على ذلك مأثور ، وقد ضوعفت لك فى هذه المدة الأجور وصارت لك العقبى على ذوى الفجور ، والغلبة والنصرة على أهل الفساد والشرور ، فقد خلت لك القصور وتأهبت إلى لقائك الصدور ، وقد أقفرت تلك الدور ممن كان بها يتعدى ويجور ، وقد حقت كلمة العذاب على الفاسقين ، وجاء وعد الله لحزبه الفائزين (ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين) فحمد الله تعالى على هذه الأنعام وشكره على هذه المواهب الجسام والعطايا الوافرة العظام وقال وهو خاضع لربه مستكين حامدا لله رب العالمين (رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت علىّ وعلى والدى وأن أعمل صالحا ترضاه وأدخلنى برحمتك فى عبادك الصالحين) فسار يريد ماهيأ الله تعالى له من مكان وما خوّله من تلك الأوطان وشيعه فى ذلك الطريق الأمن والأمان وحفه فيه الأنس والتهان ووصل إليها قبل غروب الشمس بأكمل فرح وأنس وطيب قلب ونفس ، فدخل تلك البلد فإذا دهام قد ولى منها وشرد ، وذلك أن دهام بن دواس لما حاق به من ربه الباس وقرب أن يسقى كؤوس الأحزان ويلقى المذلة والهوان وتكون الدائرة عليه لأهل الإيمان جمع كافة ماله من أعوان وما أراده من الشان فكل بقى متحسرا حيران يعض أنامله ندمان ، فخرج هو وأولاده وأعوانه وغالب أهل البلد شأنهم شأنه ولم يبق فى البلاد إلا القليل مخافة من فعلهم الوبيل وقصدوا جميعا الدلم ونوى سكناها وعزم وجدّ فى الطريق ومن معه ومات نحو أربعمائة من الخلق ممن تبعه لأن جلاءهم كان فى القيظ فزادوا حرارة مع ما بقلوبهم من حرارة الغيظ فصلتهم لواعج القيظ وجمرته وحرقتهم عواصفه وحدته . هذا والمسلمون قد جدوا فى أثرهم المسير ينقذون بالماء كل ضعيف وفقير ويقتلون كل شيطان مريد وكل ذى بأس شديد حتى وصلوا إلى الدلم المعروفة وقطعوا تلك المفاوز المخوفة ونادى عبد العزيز فيها بالأمان إلا من كان مشهورا بالسوء بإعلان ، فعند ذلك ظهر من كان مختفيا وبان ، ولم يقتل إلا عبد المحسن بن شاخص وصالح المهشورى وبراك بن حميدان ومحمد بن سليمان ، ولم يقتل غيرهم إنسان ، وأرسل عبد العزيز إلى أهلها الذين ثاروا وخرجوا مع دهام وساروا يدعوهم إلى الرجوع فلم يكن أحد عنه بممنوع إلا من تميز بالشر والفساد وتوغل فى طريق العناد وتسربل

بالبغى والإفساد ففاءوا إليها وآبوا ، وقد ربحوا فى ذلك وماخابوا وسكنوا بها فطابوا ، وكانت جميع تلك الأموال والنخيل ذوات الأغلال فيئا من الله ذى الجلال لكونها لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب ، فكانت لبيت المال من غير ارتياب وحسن تملكه لها وطاب ؛ وأقام بها عبدالعزيز أياما ونصب فيها أميرا وإماما وكتب الشيخ لعبد العزيز فى تلك الأيام رسالة أرسلها إليه فقدمت فى الرياض عليه وقال فيها : أحب لك ما أحب لنفسى وقد أراك الله فى عدوك مالم تؤمل ، فالذى أراه لك أن تكثر من قول الحسن البصرى كان إذا ابتدأ حديثه يقول : اللهم لك الحمد بما خلقتنا ورزقتنا وهديتنا وفرجت عنا لك الحمد بالإسلام والقرآن ولك الحمد بالأهل والمال والمعافاة كبت عدونا وبسطت رزقنا وأظهرت أمننا وأحسنت معافاتنا ومن كل ماسألناك ربنا أعطيتنا فلك الحمد على ذلك حمدا كثيرا طيبا حتى ترضى ولك الحمد إذا رضيت .

خاتمة

يحتاج لها كل طالب وتتشوق إليها نفس كل راغب ويرتدع بها كل عدو محارب ويتعظ بها كل خائف من الله مراقب ، ومن نال من التوحيد رفيع المراتب

وهى أن الله القادر الحكيم والآخذ الشديد الأليم أقام دهام بن دواس يصادم أجناد الدين ويبذل جده فى حرب ثلاثين من السنين والأعوام لا يكاد يهنأ له طعام ولا تستغرق عيونه فى دجى الظلام بلذيذ المنام إلا أنه أظهر الاستعانة وأبدى الاسكانة فى ثلاث سنين للدخول مع المسلمين وأقام فى بلده الأحكام والشعائر ولكنه يتربص بأهل الدين الدوائر فكان إذا أتاه من الدرعية أحد قام فى توقيره وإكرامه وقعد وأظهر له فى الاسلام الغبطة والرغبة وإن كان قد ملئ من بغضه قلبه ، وإذا رأى أحدا من جماعته مبديا التوحيد والديانة أخفى له الذلة والإهانة وكانت هذه الثلاث سنين متفرقة من السنين فى عشرين والذى قتل من الفريقين فى هذه المدة أربعة الآف فى الحساب والعدة ألف وسبعمائة من المسلمين نالوا الكرامة ، وألفان وثلاثمائة من الضلال صارت عقباهم الندامة ، قال المصنف :

كشف الحق ظلمة الاغلاس ومحا الدين جملة الأرجاس
وأزال الصباح ديجور ليل طال ماساعد الأسى فى احتباس
فظلام الضلال والشرك ولى وضياء الرشاد والرشد راسى

وتجلت غياهب البغى لما أذن الزيغ والردى بانتكاس
ورياح القبول والنصر هبت فالأعادى قلوبهم فى ارتجاس
ومنادى السرور أضحى ينادى بالهنا والمنى بغير التباس
وليالى الهموم ولت سريعا وتقضت بلا قنوط ويأس
زانها الصبر فى اللقا فاستنارت بضياء السعود من غير ياس
وطيور الافراح بالفتح غنت فوق أفنان غصنه المياس
حين أمّ الإمام بالفتح ساع مخبر عن جلا بنى دواس
فاستزاد الإسلام حوزا وفوزا وسرورا وعاد باستيناس
ومضى الهم والعنا وتجلى يوم أخلى الرياض ذو الإبلاس
كم بدا من أبى سعود سعود وفتوح ومفخر لأناس

قد علت رتبة الشريعة لما شاد أركانها بأقوى أساس
وسما منهج المحجة سمكا واستبانت معالم فى اندراس
وتبدى الهدى فأضحى سناه ساطع النور لامع النبراس
وأضاءت بذاك بلدان نجد ومضوا بعده بغير احتراس
وأتت بعد ذا الفتوح وأضحى طالب الدين فى مزيد التماس
فاستقرت قواعد الدين فيها واستمرت سكانها فى اقتباس
وأتى التوحيد يتلو جهارا سورة الفتح لانتصار الناس
وبدا الدين وجهه مستنيرا حين ميطت براقع الأدناس
خلد الله فى النعيم إماما أظهر الدين بعد طول ارتكاس
وغدا معلنا بدعوة حق والورى فى مناهج الخناس
أوضح السبل للأنام وأحيا ميتا غيبوه فى الأرماس
وجلا الوقر عن مسامع قوم والعمى عن بصائر فى انطماس
ساعدته عصابة الحق حتى لبسوا للحروب أقوى لباس
عصبة لاتهاب هول المنايا كلهم فى اللقاء صعب المراس
عزروا الدين بالقنا والقواضى وأزالوا عنه قذا الأنجاس
بذلوا للجهاد فيه نفوسا روّضوها الموت بعد شماس
كم تجلت لهم خطوب شموس جلوها بكل لدن وقاس

أيد الله نصرهم وعلاهم ببقاء الإمام في إيناس
وأدام الإله نصر سعود ناصر الدين لابني العباس

وفيها وقع الطاعون في بغداد والبصرة وما بينهما من البلاد وتزايد أمره وتفاقم وجل الخطب وتعاظم ، وكل يوم يموت من البشر ويدفن في تلك الحفر مئات من الأنام وطال ذلك عليهم ليالي وأيام حتى فني أكثر أهل البصرة ومن والاها من قرى المجرة ويذكر أنه مات في ذلك الطاعون مائة الألوف من جميع البلدان متفرقون . وفيها أرسل عبد العزيز حرسه الله تعالى إلى زيد بن زامل رئيس الدلم بنبذ العهد والأمان وليس هنا إلا الدخول في دائرة أهل الإسلام والإيمان ، فلم يثن إلى ذلك الشأن منه عنان ولا التفت إليه مختالا بما لديه وسعى في حشد الناس والأحزاب لما أراد الله تعالى عليه تعجيل العذاب وأرسل إلى رئيس نجران يستجيشه ويستدعيه ويعده على مجيئه الأموال ويمنيه ويضعف أمر هذا الدين ويوهيه فلم يرعو إلى ذلك المقال وقصده زيادة الشرط في المال والتوثق قبل الشروع في الحال .

ثم دخلت السنة الثامنة والثمانون بعد المائة والألف . وفيها أيضاً أرسل زيد بن زامل إلى رئيس نجران يدعوه إلى ذلك الشان ، ويحثه على القدوم في ذلك الزمان وتعجيله قبل طوارق الحدثان ، فلان إلى ذلك فؤاده لأن طلب المال هواه ومراده وغارت لنيل المال عيونه وحارت في ذلك أوهامه وظنونه وصارت أنامل يده ينادمها عثنونه فتأمل ساعة وفكر ثم أجمع عزمه ودبر وحرر مقصوده وقدر وحقق مطلوبه وقرر فأرجع إليه الرسول يريد أن يبين له المبذول ويعرفه بالعائد والموصول وفائدة المحصول حتى يكون بعد ذلك الحصول وينجح السير والوصول وينجز له كم المرام والسول فأرجع إليه بما راض جأشه عليه وأن ذلك يتمثل لديه فوقع بينهما المشارطة وانبرام العقد والمرابطة ، وحصل التقارر بعد المعاودة والمفاوضة على قريب من ثلاثين ألف زر تعجل بها المقابضة وطلب زيد بن زامل من رئيس نجران أن يرسل إليه أرهان حتى يرسل إليه الذي استقر واستبان ، فأرسل إليه الرئيس رهنا من جماعته وأعيان قومه وخاصته وعجل بهم له في ذلك العام رغبة في تعجيل الحطام وأداء ذلك الشرط والالتزام ، فلما قدموا على زيد أولئك الأقوام جد في تحصيل ذلك المال واستيفائه من الرعية بالإذلال وأقاموا على ذلك ليالي وأياما لاتذوق عيونهم في الدجى مناما ويعانون من ذلك جهدا وسقاما وضيقا وإلزاما ويرتجون لهم مآبا (فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذابا)

فلما نضّ له ذلك المال أرسل به فى الحال لقصد نجح المرام بقدوم أولئك الطغام . وفيها نزل عريعر مع بنى خالد وعنزة على بريدة وأعمل فيها مكره وكيده وأقام بها بعض أيام وهو يحاول فى أهلها بالخديعة والإبرام وتليين الجناح لهم فى الكلام ، فجاشت إلى ذلك قلوبهم وحاطت بهم ذنوبهم فاستدعى عريعر أميرها عبد الله بن حسن للخروج إليه والمواجهة حتى يكون الخطاب مشافهة فاغتر بذلك وظهر وسار إليه وابتدر ؛ فعند ذلك حجر عليه وأسر ، فدخلت المدينة على حين غفلة من أهلها ولعل ذلك من شوم ، وكان ذلك على حين غفلة بلا تثبت ومهلة وبئس هذه الفعلة وما أقبحها من خصلة فجالت فى البيوت أولئك الأعراب وكسروا لتلك الأبواب فلم يجد أهلها من ذلك مهربا ولا ألموا للنجاة مطلبا وشمر راشد الدريبى لذلك إزاره وقصد فى ساعته قصر الإمارة وكان قبل ذلك منه جاليا وذلك البلد منه خاليا وفر من يخاف من المسلمين على نفسه من المبطلين وتفرقوا فى البلدان حتى جاءهم من ربهم الصلة والإحسان، فكاتب عبد العزيز أهلها الذين خرجوا منها ونفروا هاربين عنها وهم آل عليان على أنهم يقبلون عليه ويقيمون عنده أحسن الله قصده فأسرعوا إليه المجىء والإقدام وقابلهم بغاية الإكرام ورعا لهم تلك الذمام وأقاموا فى نهاية الاحتشام وأقام عريعر فى ذلك المكان بعض أيام وليال ، ثم شمر فى المسير والارتحال فسار منها وظعن عنها ومعه عبد الله بن حسن ذلك الأمير ، ولم يزل عنده فى حكم الأسير حتى جاءه قضاء العظيم الكبير وحان أن يسقى ذلك الكأس المرير وينفذ فيه الإرادة والتقدير ويتجرع كأس الحمام بعد ذلك العز التام ، فنزل به فى أرض الخابية السام فخر من ذلك المقام السام وضمه ضيق اللحود وصار أكلة للدود بعد ذلك القنا والقنابل ومسايرة الجيوش والجحافل ، وهذه سنة الله فى جميع المخلوقات والعبيد ومفاجأة الحمام بغتة لذوى البأس العتيد (وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهى ظالمة إن أخذه أليم شديد) . وفيها غزا سعود حرسه الله بالمسلمين يريد الدلم ، والسعد قد قارنه وألمّ ، فسار حتى قرب إليها وشارف الهجوم عليها فأناخ على حين غفلة من الناس وقد هجع أهل الأندية والأحراس ، فعبأ عند ذلك من الكمين ما أرادوه وهيأ أهل الغارة من أولئك الأجناد فلم تستقر الشمس طالعة حتى صارت خيول المسلمين إلى الغارة نازعة فوافت كثير أغنام فاستاقها على التمام وخرج بعد ذلك من أهل البلد من فيه نجدة وكان استرداد تلك الأغنام قصده ، فناوشهم المسلمون القتال والكل قد بذلوا فيه طاقة الحال حتى ظهر

الكمين عليهم وبدا فصاح بهم صائح الذل والردى ، فانكسروا ولكن بعد ماجهدوا وجدوا فانهزموا مدبرين وما ألووا على الساقة وما ردوا ، وقتل المسلمون عشرة من رجالهم ودخلوا بلدهم بكسافة بالهم وتشتيت حالهم ، وقتل من المسلمين رجلان عوض بن ذيب وراشد بن مطيع ، ثم بعد ذلك ارتحل سعود ، فلما وصل إلى الحاير جهز سرية من المسلمين وأمر عدامة بن سويرى عليهم أجمعين وأمره أن يقصد الزلفى ويأخذ مايجده هناك ويلفى ، فسار من ساعته ومن معه عدامة فوافاه ركب من أهل الزلفى أمامه فشن عليهم الغارة ولم ينج أحد منهم بنيارة ولا أواه حين شمر فيه إزاره فكل منهم تجرع حمامه وكان الموت غايته ومرامه وكانوا نحو العشرين فقتلوا أجمعين .
وفيها وفد أهل حرمة والمجمعة على الشيخ وعبد العزيز يريدون الإسلام فعاهدوا على ذلك والتزموا القيام بجميع الوظائف والشعائر والأحكام ، غير أنهم طلبوا منهما عدم المطالبة بالجهاد حتى يتوفر أهل تلك البلاد وكان مرادهم الإمهال سنتين ثم يشمرون بعد ذلك من غيرمين ، فلما عرفا منهما الحقيقة والرغبة ساعداهم على الموافقة والطلبة ثم كانت إلى بلادهم الرجعة والأوبة بعد ماأدرك كل مطلوبه . وفيها وفد محمد بن رشيد الهزانى وأعيان أهل الحريق يريدون الإسلام الذى هو أسهل طريق ، فقدموا على الشيخ وعبدالعزيز سلك الله بهما مسلك التوفيق ، فبايعوا على الإسلام والتزموا القيام بجميع الأحكام ثم بعد ذلك رجعوا إلى بلادهم بعد حصول مرادهم .
ثم دخلت السنة التاسعة والثمانون بعد المائة والألف . وفيها سار عبد العزيز بالمسلمين يريد الخرج ، فجد المسير حتى إذا قارب الضيعة بعد الهجوع أناخ يهيئ الجموع ويعبئ أهل الغارة والكمين ، فلم ينجل الظلام ويضمحل الإظلام إلا وقد أخذ من التعبئة أحسن نظام ، فعند ذلك شن الغارة على أهلها وأخذوا من الأغنام ، فخرج عند ذلك أهل البلاد وناوشوا المسلمين الجلاد حتى بدت لهم من الكمين أسنة فأطلقوا للفرار أعنة وولوا جميعا مدبرين ، وأقاموا فى البلاد محتصرين ، وقد قتل منهم تلك الساعة اثنا عشر رجلا ورجع المسلمون على أعقابهم وقد أدركوا أملا . ثم إن المسلمين أخذوا فى قطع الأشجار والنخيل فقطعوا من ذلك ماليس بالقليل وذلك جميع نخل الشدى . ثم ارتحل عبدالعزيز بالمسلمين ونزل بالدلم ونوى حصار أهل زميقة وعزم ، فأقام عليها للحصار وأشرف أهلها على الدمار وخرب من نخلها وزروعها وقطع من أصلها وفروعها ثم انصرف راجعا إلى بلاده بعد نيل مراده واستأذن الغزاة فى إعطاء تلك الغنيمة آل عليان

فأجابوه بطيب لسان وجنان ، وقد استشهد من المسلمين ثمانية رجال منهم فهد بن سلمان رحمهم الله تعالى . وفيها سار رئيس نجران يريد أهل الإيمان ومحاصرتهم كافة فى البلدان فأقبل معه من سائر الأعراب مالايقدر على عده حساب ولا تحصره الألباب ، وقد انضم إليه والتأم كل جلف وطغام وأشخاص كالأنعام بل هم أضل منها فى الافهام ، وكل من بلغه ذلك المسير والتسيار سارع إلى المسارعة والبدار خصوصا سكان الفيافى والقفار فأقبلت معه وبعده خيب الله قصده أصناف قبائل البادية كلها على أهل الحق عادية وجدّوا لأهل التهيئة سيرا (ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا)وساعده فى ذلك الأمر والشان كل رئيس وحاكم شيطان من أهل نجد وغيرهم من الحضر والبدوان وأعانوه على طمس هذا النور وإطفاء مصباحه المضىء فى الديجور جميع أهل المعاصى والفجور بأنواع كثيرة من الأموال وأمدوه من النقود بما لايخطر على البال ولا يحصره لسان المقال ، وبارزوا فى ذلك الكبير المتعال وحاربوا ذا العزة والجلال، فلم تنجح لهم آمال ولم يحصلوا من القول على حال ، وأرسل له بطين بن عريعر من النقود ماناف عنده على المقصود فذكر أنه أرسل له بما يزيد على ستة آلاف مشخص وأظهر له من أحمال الطعام من الحسا وأشخص ، فقدم عليه من الحساء ثلاثمائة من الزاد فزال عنه الجوع والهم والأسى ، وتلاحقت عليه الأمداد من الجموع والزاد وهو مقيم على الحائر من تلك البلاد وكل يوم يجرى بينه وبين أهلها القتال والجلاد، وقد قتلوا منه فى تلك المدة قريبا من أربعين رجلا فى العدة فزال ولله الحمد عن أهل تلك البلدة كل رعب وخوف وشدة وزعم من معه من أجلاف الأعراب وعرفوا أن من قصده خسر وخاب وما أطمعهم فى المجىء معه والاقدام إلا ماصدر عنه قبل ذلك العام وماعرفوا مافى ضمن تلك المرة للمسلمين من العز والمسرة وما انطوت عليه من الحكم والأسرار ما لاتحيط به الأفهام والأفكار بل يحسبون أن ذلك لعقة عسل فرجعوا بخيبة الأمل وظنوا أن المسلمين أكلة جزور فآبوا بالثبور والعثور ، وكان عبدالعزيز حرسه الله تعالى فى تلك المدة والإقامة قد أرهف حده واعتزامه وصقل جده واهتمامه فى تجهيز الجيوش والأمداد فى كل قرية وبلاد ، فأرسل إلى الرياض مددا فأقاموا بها أمدا وخرج سعود بلغه الله المقصود بالمسلمين فعمد إلى ضرما وأقام فى نواحيها وغاراته تراوح الأعادى وتغاديها وتباغت البوادى العادية وتفاجيها ، فأغار هو وجنده المنصور على اليمن ذوى الكفر والفجور وكانوا بأرض العرمة يسيمون

فيه وكل يوم يشنون الغارة على أمير بريدة وتؤذيه وبقوا أياما لاتسرح لهم سائمة ولا تبقى لهم عين نائمة وبوادر الحرب كل يوم عليهم قائمة وفرسان ذلك الثغر لاستيلائهم رائمة ، فلم يجد أميرها راشد الدريبي من الأسباب إلا بعثه إلى جذيع بكتاب يستعينه ويستنجده ، فلم يكن إلى ما يريده يسعده فرجع منه الرسول بخيبة المأمول ؛ فلما جد به الحصار والضيق وضاقت عليه مناهج التسديد والتوفيق لم يجد إلى سلامة عمره منهجا ولا طريق ، سوى أخذ الأمان على عمره وحاق به شؤم غدره ومكره فأرسل إلى عبد الله بن حسن يطلب لنفسه خاصة الأمان وخروجه من تلك الأوطان فأعطاه عبد الله ذلك بإعلان وبادر إلى مواجهة عبد الله بذلة وهوان ودخل عبد الله بن حسن وجماعته البلد فقتل من قوم الدريبي كل من عثر عليه ووجد ، فقتل في ذلك اليوم والحين من أولئك الجماعة نحو الخمسين واستولوا على جميع ما فيها من الأموال وتأمر عليها عبد الله بعد الفراغ من تلك الحال ، وصارت تلك القضية وصدور هذه الموهبة السنية إنقاذا لأهل القصيم وما فيها من البرية من غمرة الضلال الوبية الردية ، فأظهروا الإسلام ودانوا بجميع الأحكام ثم بعد مضى ذلك بأيام وليال وفد عبد الله بن حسن مع رجال من وجوه أهل القصيم على الشيخ وعبد العزيز لأجل المعاهدة والتسليم . فتلقوا بأتم إقبال ، وقبول وفازوا بأعم مطلوب وسول ، وعاهدوا على الإسلام والقيام بالأحكام على التمام ، وأقر عبد العزيز كل أمير بلد في بلده أميرا وزادهم حشمة وتوقيرا ، وأمر عبد الله بن حسن على جميع بلدان ذلك الوطن لا يعارضه منهم أحد فيما أراده وقصد ، واستمروا على حالة مرضية سنين ثم تغيروا وانقلب كثير منهم لأجل فتنة يأتى ذكرها بعد حين . وفيها غزا محمد بن جماز مع جماعة من أهل الوشم فوافاهم بطين بن عريعر بأرض النبقية فقتل غالب أهل تلك السرية ونار باقيهم وسلم ووهى عز بطين بعد تلك القضية وهدم ، وتضعضع أمره وحاله وتشتت عزمه وباله ، ونقم عليه لقبح أفعاله إخوانه ورجاله وأخذ سلطانه في الضعة والانحطاط وحاق به أمر الله وأحاط . وفيها قدم زيد بن زامل على عبد العزيز في الدرعية فجاءت من غير إشعار ولا إخبار القضية ولا معاودة ولا أخذ أمان ولا مفاوضة ولا روية فلم يشعر عبد العزيز إلا بقدومه ومفاجأته له وهجومه مع أناس من أعيان قومه فبايعوا على الإسلام فتراضت تلك النفوس التى نشأت في التكبر والإعظام وألفت في ذلك منهج آبائهم القدام ، فدانوا بشريف تلك

الأحكام والتزموا بجميعها القيام وطلب عليهم كثير من أنواع السلاح وعدة من الخيل المطهمة الملاح ، فلم يلقوا بذلك نجاحا ولا جناح ، ولا رأوا به حوبا ولا بأسا ولا رفعوا للإباء والامتناع راسا ، فأتوا سريعا بما طلب وأرسلوا بجميع ما أريد وكتب وحقق عليهم وحسب فلما وصل إلى عبد العزيز جميع المطلوب وأحضر لديه المقرر المكتوب أخذ منه جزاه الله خيرا بعضا وبعض تركه لهم رفضا مسامحة لقلوبهم وتطييبا وتأليفا لأولئك الأشرار وترغيباً .

ثم دخلت سنة التسعين بعد المائة والألف ، وفيها قتل زيد بن زامل فواز بن محمد من أهل الحوطة ، وذلك أنه أتى ابن زامل فى بلاده لما أراد الله كرامته واستشهاده ، فطلب منه المحاكمة للشرع وسرعة انقياده لمشاجرة بينهم سابقة ، فلم ينقد له ولا وافقه بل نفر عنه ولاطابقه ، وأنبه على ذلك الكلام وقال أأنقاد فى بلادى إلى الأحكام ، وينفذ علىّ فى الشرع النقض والإبرام ، وأنا رئيس من فى هذه البلدة من الأنام ؟ فكيف أهان وأسام ويلوى عنقى وأضام ؟ فجرد عليه صارما غير كهام ، وجرّعه كأس الحمام ، وارتدى برداء الغدر وتسربل بالخزى والذل والإهانة ، فلم يحصل له ولله الحمد الإعانة ، بل مزقه الله تعالى وأعوانه ، وملك الله تعالى المسلمين تراثه ومكانه ، واستولوا على ساحته وأوطانه واحتووا على رعيته وحيطانه ، فسبحان من لا يعجزه شىء ولا يفوته حى سبحانه ، فلما صدر عنه هذا الغدر والفتك وظهر منه هذا المكر والهتك وبلغ ذلك على الجزم واليقين عبد العزيز إمام المسلمين ، أمر بغزو المسلمين عليه وإرسال الجند إليه ، فجد المسلمون فى الوصول إليه ، فلم يلبث إلا قليلا حتى أحاطت به الجيوش فى النزول ونزل بساحته الجحافل والخيول ، فلم يستقر بهم هناك القرار ، بل لم يقيموا بها شطر نهار حتى شمر للجلاء الساعد والإزار وحاق به ما اقترف من الآثام والأوزار ، وما صنع من العلو والاستنكاف والاستكبار ، فهرب على ظهر فرسه مع ولده وبعض خواصه الأشرار ، فدخل عبد العزيز وحزبه البلد فلم يغر منها على أحد ، بل أعطى أولئك الأمان إلا أصهار من تعدى وخان وماله من خاصة وأعوان ، فأمر على جميع أولئك القوم والملا بالخروج عن تلك البلد والجلا ، وأمر عليهم سليمان بن عفيصان واستمروا على ذلك شطر زمان وعليهم سيمة الإسلام والإيمان حتى أراد الله الرحيم الرحمن أن ينحطوا إلى حضيض الذل والهوان ، وينخرطوا فى سلك أهل الضلال والخذلان .

وفيها قدم أهل منيخ وأهل الزلفى على الشيخ وعبد العزيز لأداء السلام وتجديدا لعهد الإسلام ، ووفد معهم سليمان بن عبدالوهاب ولم يكن له إلى منيخ رجوع وانقلاب ، بل حسن له فى الدرعية السكنى والمآب ، فقوبلوا بالقبول والإكرام والبشاشة ، وكان من الشيخ إلى أخيه سليمان أعظم تحنن واهتشاشة ، فدثر حاله حينئذ وأراشه ووسع عليه قوته ومعاشه ، وكان هذا شأنه مع غيره طيب الله فى ضريحه مهاده وفراشه ، فكان ذلك سببا لإنقاذ سليمان وصدقه مع أهل الإيمان وتحققه بهذا الشان ، فقام فى هذا الدين بتحقق وجزم ويقين ، وأقر على نفسه واعترف بما قدمه قبل وأسلف ، ووفى بما عاهد عليه وما أخلف ، ومات ولله الحمد على حالة رضى بعد ما جرى منه وما مضى ، فلم يوافه القضا إلا بعد ما رفض ما كان عليه وانقضى . وفيها وفد أهل اليمامة وأميرهم البجادى حسن ، فقدموا على الشيخ وعبد العزيز فى ذلك الوطن جددوا للاسلام عهدا ، وأرسل معهم معلما فى ذلك المبدإ وهو حمد العريني ، فسار معهم لأجل نشر التوحيد والتعليم ، ومكث عندهم حتى صدر منهم ذلك الأمر العظيم والخطب الجسيم ، وذلك أن أهل تلك القرية شرعوا ينسجون أردية الغدر والفرية وينظمون أحوال الخيانة والردة بلا مرية ، ويدبرون فيها مظلم الأراء ويديرون أسباب التعدى والاجتراء ويحاولون الفتك بمن عندهم من أهل الدين ، حتى اجتمعوا عليه بيقين وتعاهدوا عليه مجتمعين وتجاهروا به غير مختفين ، فلما تحقق منهم ذلك حمد العريني وابن داعج وعرفوا أنهم من غير شك يريدون الردة ، وأنهم يبغونهم بالقتل غدا أو بعده خرجا منهم هاربين وكانا للسلمية طالبين ، ثم بعد ذلك أسرعا إلى عبد العزيز بذلك الخبر ، فأمر المسلمين فورا بالتجهز للغزو ، فخرج سعود بهم وظهر وجد السير إليهم ليلا ونهارا لاينيخ إلا وقت الراحة اضطرارا أو جنوح الشمس اصفرارا ، حتى وصل إلى السلمية فألقى الرحال ووضع فيها من المسلمين عدة رجال ، وأرسل إلى الدلم والضبيعة ونعجان مرابطية كثيرة من أهل الإيمان خشية معاجلة الردة والافتتان ، وبقى أياما كثيرة يكاتب أهل اليمامة من جهة تلك القضية ، ويحث حسن البجادى على إخراج أهل الشر من بلاده والأعادى الذين صدرت منهم تلك السعاية ، واجتمعوا على المسلمين بالفتك والنكاية ، فوعده الامتثال والإخراج وليس دون ذلك من إرتاج ولا عن جلائهم من إفراج ولكن بعد ما ترحل عن هذه البلدة يعنى السلمية

وتحط الأثقال فى الدرعية وكان هذا منه خديعة ومكرا وقد حاق به شؤم فعله قسرا، وما أغنى كيده ومانوى بل حطه فى قعر الإذلال والخزى فثوى ، وذلك أن سعودا لما جاءه منه الوعود بأنه ينفى عن بلده اليمامة كل من لا يحسن له بها الإقامة ولا يعرف أهل التوحيد قبل ذلك إسلامه ولاتبينت له قبل صلاحية واستقامة وبعد ماتشرع فى الارتحال تكون منا الطاعة والامتثال رضى بذلك منه وما جال فى خلده ماصدر عنه ، وماشعر أن وراءه من الغدر نسيجه ، وأن بارتحاله تبـدو له النتيجة ، فحينما ماأخذ سعود فى الارتحال والمسير شرع حسن مع جماعته لأسباب الردة فى تدبير ، فلم تنخ له فى البطحاء الركاب وتحط الأثقال أولئك الأصحاب إلا والردة قد أحكمت لها الأسباب وولج إليها من كل باب وأظل أهلها مدلهمّ العقوبة والعذاب . وحاصل ماصدر وتحقيق ماجرى وظهر أنه خرج مع أهل النجدة من أصحابه وكافة رجاله وأحزابه يريد من فى السلمية من المسلمين ، وكانوا بذلك الأمر مشعرين ولقدومهم مستعدين وللقائهم متأهبين ؛ فلم ينور الصبح بالإسفار حتى هجم أولئك الأشرار وكان لهم إلى حلل النخل البدار، وراموا أن يسابقوا المسلمين على القلعة المسورة ، فلم يكن ولله الحمد لهم عليها مقدرة ، فبذل دونها أهل التوحيد المعذرة وأرخصوا ذلك اليوم الأعمار ، وكان لهم فيه الغاية من الثبات والاصطبار ، وطال بينهم القتال والـكل شمر الساعد والأذيال وأنف من المعرة والإذلال ، وبذل فى ذلك جده وجهده وتبين فيه أهل البأس والنجدة وأنجز الله تعالى للمسلمين وعده ، فحمى الله تعالى عباده المؤمنين وصرف عنهم كيد المعتدين (إن الله لا يصلح عمل المفسدين) فرجعوا على أعقابهم من حيث جاءوا وانقلبوا بالعار والخزى إلى مكانهم وفاءوا ، وقتل من المسلمين اثنان ورجع أعداؤهم بالهوان . وفيها صاح إبليس بأهل الخرج وتنفس وسول لهم الخروج عن الحق ووسوس وزين فى الارتداد منهاجه وحث على إغوائهم أعوانه وأفواجه ، وأقبل عليهم بخيله ورجله ركضا ، فقاموا بذلك وأسرعوا إليه نهضا ، وفتح لهم اللعين ذلك الباب وطرح بهم فى مفازة الهلاك والعذاب وجمع عليهم من أنواع الذل أسباب ، ثم نادى فيهم بالخراب والذهاب فقال : ليس لى إليكم رجوع ولا إياب ، فقد صارت عقباكم الندامة ، وليس لـكم على ملامة . وحاصل ما جرى منهم من قبيح الأفعال وما وقع بهم من الإهانة والإذلال ، أنهم لما حسنت لهم الردة وحقق كل منهم فيها قصـده لم يجدوا قيما ورئيس ،سوى قرين إبليس وهو زيد بن زامل،وكان إذ ذاك عن الأمر غافل وبادروه وراموه جاهل، وليس

للرياسة حينئذ بآمل ، فأرسلوا إليه بالقدوم فقد جاءك ما تريد وتروم ، فأسرع إلينا بالإياب فالمنى أتاك بغير ارتياب ، فلم يرعو إلى ذلك الباطل والأذى ، وقال من رام هذا فقد وسوس وهذى ولا أقدم عليكم إلا إدّا ولكن أرسل إليكم ابنى وهو نائب فيكم عنى ويقف على حقيقة الحال وما صار إليه المآل ، فخرج ابنه يريد الدلم ونوى ذلك وعزم ، فلم يرعهم حتى قدم عليهم وهجم ، فأرسلوا عندذلك إلى آل مرة وكانوا قريبا منهم ليقضى الله فيهم أمره ، وأعلم بذلك أيضا أهل اليمامة فعجل كل منهم مجيئه وإقدامه واجتمعوا يريدون المسلمين الذين فى البلاد وليس عندهم خبر بمن ناوأ وكاد بل هجموا عليهم من غير تأهب ولا استعداد ووقع معهم فى جوف البلاد المقاتلة والمقابلة والجلاد ، فقتل من المسلمين نحو عشرة رجال ونادوا غالب المسلمين من غير إمهال ، وتفرقوا فى بلدان المسلمين وبقى أهل الباطل فى الدلم مجتمعين ، ولما جاء زيد بن زامل ذلك الخبر وتحقق من أهل بلده ماجرى وصدر أسرع إليهم بالمسير والارتحال وقدم عليهم بعد مضى أيام وليال ، وما تصور فى ذهنه أنه يخرج منها بهوان وإذلال ، ويعجل له الإخراج منها والجلاء والانتقال ، وحين وصل خبر ذلك الأمر الصادر والفعل القبيح الهادر إلى إمام المسلمين متع الله تعالى به فى تمكين جهز إليهم سعودا وأصحابه وعجله فى المسير وأحزابه ، فجد السير حتى قدم إليهم هو ومن معه عليهم فأناخ فى بلد السلمية لأجل إخراج من فيها من رعية ، فأقام فيها نحو يومين حتى تجهز للارتحال وتهيأ منها للجلاء والانتقال جميع أهل التوحيد بسكينة وتأييد ، ثم سار مرتحلا بعد مانال منها أملا ، وخرج معه من غير المرابطية حمائل كثيرة من أهل السلمية بجميع مالهم من أهل وحيوان وأثاث من غير تلبث ولا ارتثاث ولا مبالاة بذلك الوطن ولا اكتراث ، بل هم لما عند الله محتسبون (وما عند الله خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون) . وفيها غزا المسلمون وأميرهم عبد العزيز حرسه الله تعالى وأفاض عليه جوده دوالى يريد الخرج وآل مرة الذين فيها ومن ساعد على تلك الردة ومقوّيها ، فجد حرسه الله فى ذلك يريد جميع من هنالك ، وقد اجتمع فى تلك الأراضى جميع من له فى الردة ارتياض وعنّ له إلى بعثها انتهاض ، وقد ملأ تلك الفيافى الفجاج من له فى الباطل والزيغ انتهاج ، واحتسبوا فى ذلك للقتال والمقاومة وتأهبوا للجلاد والمصادمة ، بل هم كل ساعة إليها فى انتظار وليس لهم عنها بدّ ولا اصطبار ، فتقرب

إمام المسلمين إلى الله رب العالمين بالدعاء بالنصر على المبطلين ، وحثّ إليهم النجائب وأعمل فى النص الركائب حتى قاربهم حين الهجود وكانوا عفاة رقود ؛ فعند ذلك عبأ أهل الغارة والـكمين حتى أخذ الفجر يبدو ويستبين . فلما انكشف غيهب الدجى وزال وجدّ الضوء فى الاشتعال ، وفرغ من سبحة الصبح شرع فيما كان فيه له السرور والنجح فأمر أهل الغارة وغاروا فربحوا فى سعيهم وما باروا وبادروا إلى أمره وما حاروا ، فاستاقوا جميع الآبال وما كان لهم دونها إهمال ، فلما شعرت قبائل العرب والبادية أقبلت جميعها عليهم عادية ، فاختلطت الفرسان والأبطال وكان بينهم أعظم مجال ، وكان المسلمون قد وطئوهم فى مضيق شعب من الشعاب ، فلما نهدت إليهم أولئك الأعراب وعاجلوهم بالفزع والانتداب ، فأمسكوا من الشعب المضيق ولم يكن للمسلمين فيه فسيح طريق ، فرمى من المسلمين بعض الناس وكان سببا لحصول الضرر والباس فانكشف أهل الدين وجد فى ساقتهم فرسان المبطلين ، وأخذوا يجاهدونهم ساقة والكل قد بذل فيه الطاقة ، واحتمى أهل الإسلام فى ذلك المكان والمقام وصبروا على مصادمة أولئك الفرسان الأجلاف وثبتوا لطعانهم فى حالة الانكشاف ، غير أن المسلمين قتل منهم نحو الأربعين على سبيل الحدس والتخمين ، وفك أهل الباطل غالب الإبل ، واستاق المسلمون على عجل ، ورجع المسلمون إلى بلادهم ، وأكرم الله تعالى من تقدم باستشهادهم . ولما وصل عبد العزيز إلى الحائر جهز سرية إلى اليمامة ثمانين راكبا فعقروا فيها إبلا ثم رجع كل إلى أهله آتيا ، وقتل من المسلمين المشهورين عبد الله ابن حسن أمير القصيم وهذلول بن نصير .

ثم دخلت السنة الحادية والتسعون بعد المائة والألف . وفيها غزا المسلمون وأميرهم سعود يريد الخرج ، فذكر لأهل تلك البلاد أن هنا غزوا للمسلمين ، فتأهبوا له فى الاستعداد ونفر منهم كل جرىء الفؤاد ومن مارس الحرب والجلاد ، فخرجوا إلى لقائه قبل غارته واعتدائه ، فتوافق الفريقان وتصادف الجمعان فى أرض السهبا والكل منهم قد روّض على الصبر قلبا ورام لعدوه استيلاء وسلبا ، وقوى جأشه حتى ينال غنيمة ونهبا ويفك نفسه مما أحاط به داهية وكربا ، فطال بينهم المجال واستحرّ القتل والقتال وقتل من الكل رجال ، ثم حصل بعد أن جهد كل منهم الانفصال ورجع كل إلى بلاده ولم يحصل على نيل مراده . وفيها عثر على أهل سدير ومنيخ بنسج أردية

الردة وبرود ، وسعاية فى فتح بابها المرتج المسدود ، وتبين من أناس فيه قيام وقعود ، وأتى الشيخ وعبد العزيز الأمير من حقق له ذلك النسج والتدبير ، وحق له أن ينشد على لسان التحذير :

أرى خلل الرماد وميض جمر ويوشك أن يكون لها ضرام
فإن لم يطفها عقلاء قوم يكون وقودها جثث وهام

فلما أعلم الشيخ وعبد العزيز عثمان بن عبد الله بمن قام فيها وقعد ، جهز عبد الله ابن محمد فى المسير إلى تلك البلد ، فسار فى يومه ذلك ونهد ؛ فلما وصل عبد الله ومن معه من المسلمين إلى بلدان سدير ومنيخ ، أمر على الحسينى ومحمد بن إبراهيم وحمد ابن عبد الله من أهل حرمة ومن أهل سدير صعب بن مهيدب رئيس الحوطة ومنصور ابن حماد رئيس العودة وعياله بالجلاء عن ذلك الوطن الذى نووا به إيقاع الفتن ، لكون تلك الأمور المسطورة والأحوال المشهورة المزبورة جميعها منسوبة لهؤلاء الجماعة المذكورة ، فأتى بهم إلى الدرعية لأجل نسخ تلك القضية ، فلم تقم أولئك الغزاة فى الأوطان بل بادروا بالخروج إلى الخرج بإعلان ، فجد عبدالله بن محمد بمن معه من المسلمين فى ذلك المقصد ففاز بالمكان الأسعد ، وذلك أنه صبح الدلم بالغارة وأشعل فيهم ناره ، فقتل ستة رجال وعقر عليهم كثيرا من البقر والآبال . وفيها ثارت للردة فى حزمة ثائرة وأضرمت للحرب نائرة ، وذلك أن ذوى القلوب الشريرة الفاسدة والأفئدة المغلولة الحاقدة ، والنفوس التى هى للمسلمين فى الحقيقة حاسدة ، وللحق منكرة جاحدة حصل بينهم تواطؤ وتوافق وتساعد وتطابق على إشعال نار الردى وإطفاء مصباح الهدى . فصارت منهم الأيمان والمعاهدة والحلف والمعاقدة ورئيسهم فى ذلك الغدر وناسج أردية الخيانة والمكر جويسر الحسينى . فوطأ لقلوب رءوسا سدير وهم سويد بن محمد وآل ماضى وحمد بن عثمان على الغدر بأهل الإيمان وأن أهل كل بلد تقتل من المسلمين من بها قام وقعد ، فأعطوه على ذلك ما أراد وأطاعوا له بالمراد ، فلم يكن لهم ولله الحمد عون ولا إسعاد ولا ظفروا برشاد وخابوا وآبوا بسخط رب العباد ، فلما أرادوا أن يبادروا بالإنجاز ويعاجلوا الفرصة بالانتهاز أرسلوا إلى كبار المسلمين الذين فى المجمعة أن يأتوا إلى حرمة يعلمون ، فهنا متعلمون ومستمعة ، وقد انتظم العقد والإبرام وأتقن مرادهم بالإحكام على قتل أولئك الأقوام ،

ولـكن أراد الله تعالى إذلال أولئك العتاة اللئام ، فلم يجىء أهل الدين والاسلام ولم يحصل منهم إلى حرمة إقدام ، فجاء أهل الدين والإسلام إلى حرمة وهم محمد بن شبانة ومحمد بن عثمان التميرى وكنعان بن عيسى وغيرهم ، فلما كان لهم المجىء والإقدام أرسل جويسر ومن معه من الأقوام إلى أميرهم عثمان بن عبد الله ، وكان فى نخل له يعلمونه بقدوم تلك الجماعة ويودون تعجيله وإسراعه ، وقد أعدوا له ستة رجال لقتله ساعة المجىء والإقبال منهم أخوه خضير وابن عمه عثمان فتكفلوا لهم بذلك الشان ؛ فلما قدم يريد البلاد وكان أولئك له فى طريقه بمرصاد ، ولقتله فى تأهب واستعداد ، قاموا عليه فقتلوه ونال جويسر وقومه منهم ما أملوه ، ثم بادروا إلى حبس من عندهم ومن استدعوه ومن قصدهم وهم محمد بن شبانة وكافة إخوانه ، وشمروا إلى المجمعة الأذيال وخرجوا يريدونها بلا إمهال ، وغايتهم قتل من بها من المسلمين وإمساك قلعتها للتحصن والتحصين ، فلم يصلوا إلى فنائها بالأقدام حتى كان لأهل الدين ممن فى البلد إلى القلعة سرعة وإقدام ، فأقاموا مدة يحاولون الولوج فيها والدخول ، فلم يكن لهم إلى ساحتها وصول ، فرجعوا منها بخيبة السول . وأرسل أهل المجمعة بعـد انقضاء القضية إلى عبد العزيز رسولا على مطية يخبره بما صار ، فعجل إليه التسيار حتى وصل إليه الخبر عن الوقعة ثانى نهار ، فأمر سعودا والمسلمين بالتجهز مجتمعين مجد سعود لنيل المقصود وبادر فى الأهبة فى الحال وخرج على غاية الاستعجال ، فلم يلق عصا الاستراحة حتى كانت حرمة مناخه ومراحه ، فطنب على تلك الهضاب رفيع تلك الخيام والقباب ، وبقى عليها أياما مقيما وكل يوم ينالون من القتال أمرا عظيما ، لاينفكون عنه ليلا ولا نهارا ، والـكل يبدى على ذلك الجلد والاصطبار ، وقتل بينهم من الرجال ذوو عدد فى تلك المصابرة والأمد ، فلما جهد الحصار أهل البلاد وأضناهم القتال والجلاد وتحققوا أن سعودا لايكاد ينصرف عنهم بغير المقصود ، وأيسوا من باطل الوساوس والآمال وجزموا أنهم لايحصلون على طائل ولا حال ، طلبوا من سعود الدخول فى الإسلام والإقبال وأبدوا له الندم والأسف والإذلال ، فأسقط عنهم النكال ، وتلقاهم بالقبول وكان لهم إلى مرامهم وصول ، واشترط عليهم أن ينفوا جميع الأشرار وهو جويسر الحسينى فأسرعوا فى البدار فبايعوه على الإسلام والتزموا له جميع الأحكام ، وأمر عليهم ناصر ابن إبراهيم وأطلقوا محمد بن شبانة وإخوانه الذين معه ، ثم لما عزم سعود على المسير

والإقبال عزل رئيس المجمعة ، فأمره وأهله بالارتحال لما صار منه من تلك الأفعال ، ثم لما وصل إلى جلاجل عزل سويد بن محمد عنها فأمره وأهله بالانتقال منها ، وأمر فى المجمعة عثمان بن عثمان وفى جلاجل ضويحى بن سويد ، وسار رئيس المجمعة إلى القصب وأقام فيها وقصد سويد شقرا ، ورجع سعود بمن معه من المسلمين ، ثم أمر عبد العزيز على حمد بن عثمان وسويد بالمجىء إلى الدرعية ، فكانت لهم سكن والكل ثوى فيها حتى مات فظعن . وفيها سارت للمسلمين فرسان يريدون الغارة على الدلم ، فقضى الله تعالى وحكم أن أهل الخرج يوافونهم قبل الإراكة ، فلم يسع المسلمين الانصراف والانفراكة بل كل أمل من عدوه مرامه وإدراكه ، فجالت تلك الفرسان وجرى بينهم الطعان وقتل من المسلمين منيف بن نصير وابن شبهى وأصيب من الخرج عدة رجال ورجع المسلمون بعد ذلك الحال .

ثم دخلت السنة الثانية والتسعون بعد المائة والألف . وفيها سار المسلمون وأميرهم عبد العزيز حرسه الله تعالى يريد الدلم وقد صمم على حصارها وعزم ، فجد السير إليها حتى أناخ عليها وكان وقت لذة السكرى فما أبصره أحد ولا درى . فتوهل بعض الحال ونال منها المراد والأمل وبقى ينتظر الصباح حتى يحصل له من مراده النجاح ؛ فلما أسفر ضوءه ولاح وفرغ من صلاة الإصباح نهد إلى الحرب وأشعل جمرة الطعن والضرب وأحاط المسلمون بجميع تلك الحلل وأحكموا الأسباب لأخذ الآراء والعمل ، وما يشعرون أن أهلها ممتعون إلى حين (وأملى لهم إن كيدى متين) فجدوا إلى تحصيل المطلوب وإدراك المنى والمرغوب ، ولم يحيطوا علما بأن ذلك غير مقدر لهم ولا مكتوب ، فأرجف أهل البلاد وأيسوا من أنفسهم فى مصابرة الجلاد وطمع أهل الإسلام فى الفتح لما عاينوا من علامات النصر والنجح ، وذلك أن أهلها لما خرجوا لقتال المسلمين ونهضوا إليهم ضحوة مجتمعين والتقوا معهم فى تلك الحلل فكسرهم الله تعالى وهزمهم على عجل فولوا سراعا على غير مهل فعند ذلك داخل أهلها الذل والخلل وملأ قلوبهم الرعب والوجل حتى إن بعض أهل تلك الأوطان طلب لنفسه الأمان ولكن أمر الله غالب ولا يفوته سبحانه هارب ، وكان من قضاء الله تعالى القدر وحكمه النافذ المراد المدبر أن زيد بن زامل كان ذلك اليوم فى اليمامة عند أولئك القوم ، فلما سمعوا الرمى فى تلك البلاد فزع هو ومن فيها من العباد ونهدوا إلى ذلك سريعا وأقبلوا جميعا وكان

غالب مقاتلة المسلمين بأهل تلك البلد محيطين وبمحالهم محدقين وعلى أخذهم مشرفين ، فانصب زيد ومن معه على محطة الجيش المجتمعة من غير فكرة ولا خبرة ولا اختبار ولا تدبر ولا استصبار ، بل قضاء الملك القهار وقدر ميسر من الأقدار وذلك أنه عدل من المحلة التي يسمع بها اللغط والأصوات وعليها المقاتلة والرماة ورام أن يدخل البلد من الباب يظن أن ليس هنالك أحد ، فإذا الجيش بحذائه نازل بقربه وفنائه ، ولم يشعروا إلا بالجلبة والصياح وتشريع أسنة الرماح وإطلاق أعنة الجياد الملاح ، فانذعر الجيش وطاش واندهش حيرة وارتعاش ، وأخذ زيد من ركاب الجيش نحو الخمسين وقتل حينئذ بعض المسلمين ، ثم اجتمع المسلمون وتراجعوا سريعا وتلاحقت مقاتلتهم جميعا وقربوا إلى البلاد كافة وخرج أهلها للقتال بعد الذلة والمخافة ، فوقع بينهم في تلك الساعة قتال وقتل بينهم رجال ثم بعد ذلك وقع التفرق والانفصال ، وسار عبد العزيز حرسه الله تعالى ومن معه من المسلمين فأناخوا على نعجان أجمعين ، وبقوا أياما لها محاصرين حتى فتح الله تعالى على المسلمين منها بعض الحلل فأخذوها وفر أهلها على عجل وقتل فيها رجال وفاز المسلمون بكثير أموال ورجع المسلمون إلى بلادهم وقد أكرم الله نحو العشرين من المسلمين في تلك الغزوة باستشهادهم ، وقتل من جميع أهل الخرج فيها قريب من ذلك . وفيها نزل سعدون بن عريعر الخرج وأرسل لعبد العزيز يطلب الصحبة فوافقه على ذلك وشرط عليه أن لا يقرب البلد إن قصده مكر وخديعة يزين لأهل البلد الردة ، ثم بعد ذلك نزل مبايض فبان قصده فنبذ إليه عبد العزيز عهده ، فأقام مدة ثم خاف من المسلمين فارتحل في القيظ وتوعر في مضماة الدهنا والصمان وتوسط فيها ذلك الزمان فناله وقومه أعظم النصب وتعبوا أشد التعب ومات ما عندهم من الأغنام وكابدوا طلائع الحمام وأوهن الله تعالى كيده ومارام .

ثم دخلت السنة الثالثة والتسعون بعد المائة والألف . وفيها عزم أهل حرمة على الردة ونووا وخلعوا ملابس الدين وطووا ، ونشروا للخيانة والردى علما وسعوا إليها أمما وهيئوا لأسبابها وفتح بابها أمرا محكما وعقدا رصينا في زعمهم الفاسد مبرما وذلك أنهم أرسلوا إلى سعدون رئيس بني خالد بما دبروه فكان على ذلك الشأن واجد وعلى القيام فيه والنصرة له بجد مساعد ، فاستدعوا أيضا أهل الزلفي فكان كل منهم على ذلك مستلفي ولإنجازه كل حين منتظر مشفي ، فلما لباهم أولئك الأقوام وأجابوهم على

المساعدة فى ذلك المرام ، وأوعدوهم على يوم من الأيام ينفذ فيه ذلك الإبرام، ويصدر فيه العقد والأحكام وتراق فيه دماء ذوى الدين والإسلام ؛ فلما قرب سعدون من البلاد وتحققوا إنجاز المراد وعرفوا أنه يصبحهم غدا عمد أهل الباطل والردى فألبسوا أناسا منهم ثياب النساء الغوانى ، وأمروهم أن يسيروا إلى المجمعة من غير توانى، ويصعدوا إلى بروج القلعة حتى يدهموا المسلمين فى البلد ثم تكون لهم فيها منعة فلما بادروا إلى ذلك الأمر وعجلوا لنيل ذلك القصر وصعدوا إلى تلك البروج فأمسكوها حتى بدا من جماعتهم المجىء والخروج ، فتنبه أهل الدين لكيد المعتدين فسددهم الله تعالى وأعانهم وخذل تلك الطائفة وأهانهم فلم يظفروا بمرام ونقض الله تعالى حبل ذلك الإبرام ، وأقبل سعدون بن عريعر وبنو خالد وأهل الزلفى وأهل حرمة فأناخوا على المجمعة أياما وحاصروها وراموا بها من الفتك مراما ، وكان تلك الأيام حسن بن مشارى مقيما فى جلاجل مع جماعة من المسلمين ، فلما حاصر أهل المجمعة أحزاب المبطلين نهد هو ومن معه إلى المجمعة ليلا فكانوا لأهلها مددا ونالوا بهم نيلا وأقامت أولئك القبائل والأحزاب فى حصار للبلد وإضرار وخراب وعمدوا إلى قطع النخيل والأشجار رجاء أن يدين أهلها إلى السلم والنزولة والانحدار إذا شاهدوا هذا الإضرار ولا يكون لهم على ذلك صبر ولا قرار ، فثبت الله تعالى المسلمين وأوهن كيد المعتدين وكان أعظم من امتحن فى ذلك الأمر قبل وبعد فبذل فى ذلك غاية الصبر والجهد ، وأوذى فيه وابتلى وصدر عنه فى القيام ذلك الأمر الجلى أحمد التويجرى رحمه الله تعالى ؛ ولما وصل عبد العزيز الخبر عن ذلك الحال وما دبره أهل الباطل والضلال وما اجتمعوا عليه من الردى أمر بالنفير والمسير على ذوى الهدى ، فخرجوا بعد الاستعداد والأهبة ولم تكن لهم سوى الأحزاب مراد ولا طلبة وأمر عليهم عبد الله بن محمد فأسرع إلى ذلك الأمر وأنجد ؛ فلما وصل الخبر إلى تلك الأحزاب أن المسلمين فى قدوم وإياب وليس لهم غيركم طلاب ، عاجلوا بالارتحال وبادروا المسير باستعجال، وشمروا فى الرجعة والانقلاب ولم يظفروا مما راموا بحسن مآب ؛ فلما وصل عبد الله بن محمد ومن معه من المسلمين إلى حرمة وكانوا إذ ذاك نائمين ، فعبأ الجيش والكمين ، فلم يسفر بضوئه الفجر وتقض صلاته ذات القدر حتى أخذ كل حزب مكانه وثبت على القتال جنانه ؛ فلما شعر أهل البلاد بما دهم ساحتهم من العباد وماحاط بهم من الهلاك والهم والأنكاد

انذعرت قلوب ذوى الشر والفساد وارتعش منهم اللب والفؤاد وتمنوا أنهم لم يكونوا لما قدموا فاعلين (ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين) فأحاطوا بهم من كل ناحية وجزموا عند ذلك بنزول الداهية ، فأقام المسلمون لها محاصرين ولفتحها آملين ، كل يوم ينهدون إلى القتال والقتل ويجدون فى تقطيع الأشجار والنخل ، فقطعوا نخل المويس جملة ولم يكن قطع غير بغير أناة ولا مهلة ، فأيس من الأعمار من فى البلد من الأشرار ونزل بهم الجهد والحصار وأزعجهم ذلك التخريب والدمار ، وآخر يوم القتال هجم عليهم المسلمون فيها من بعض الأقطار ووقع بينهم الجلاد والجلد والاصطبار ، وبذل المسلمون عند ذلك النفوس الغالية وآثروا الباقية على الفانية ، وقتل من الأشرار من منيته دانية وهم عشرة رجال كل بالغ حده فى الشر والضلال منهم مدلج المعى ومحمد بن إبراهيم ، ثم رجع المسلمون إلى بلادهم وأبقى عبد الله بن محمد رجالا من المسلمين وخيلا فى المجمعة حتى ينال أهلها بذلك عزا وتحصنا ومنفعة وليضيقوا على أهل حرمة المعاش فلا يكون لهم إليه سبب ولا انتعاش . وفيها فى شهر رجب غزا عبد العزيز يريد السلمية فلما قاربها شعر به من بها من البرية ، وانصرف راجعا بعد ما كان بها طامعا ولم يصدر منه على أهلها منازلة ولا غارة لأمر اقتضاه رأيه واختاره ونهد من ساعته فى ذلك الطريق لإرادة الله له بالتوفيق ، فجد السير والمسير يريد فرقانا فى أرض عروى نجد من مطير ، فصبحتهم فرسان المسلمين والإسلام واستقبلتهم مقاتلة أولئك الأقوام وحمى بينهم الطعان وثبت الله أهل الإيمان ، فشدوا عليهم وصمموا الحملة إليهم فولوا هاربين وأخذوا تلك الأسلاب أجمعين وحازوا من الآبال فوق المراد والآمال ، ثم رجعوا إلى بلادهم من غير إمهال ، وقتل من المسلمين ثلاثة رجال منهم عدامة بن سويرى . وفيها غزا سعود أسعده الله تعالى وأفاض عليه بره ووالى ، فسار بالمسلمين يريد حرمة ويرجو الله أن ينزل بهم البأس والنقمة فجد السير إليها ليلا ونهارا فلم يجد دونها قرارا حتى أناخت تلك الجموع المؤيدة المنصورة بساحة تلك الطوائف المكسورة ، وأقام أياما عليها كل يوم ينهد للقتال إليها ويقع بينهم جلاد وقتال وتقتل بينهم رجال فى كل جولة ومجال ، فصابرهم على ذلك أياما وليال وهم فى غاية من الذل والإذلال ، واستولى المسلمون على النخل وحالها فآيس أهل البلد من رجائها وأملها وضيق عليهم بعد ذلك أهل الإسلام واحتنك عليهم فضاء ذلك المقام وحاق بهم قضاء الملك العلام

وتحققوا أن البلد يدخل عليها من أقطارها ، وقد ذل جميع حماتها وأنصارها ، فلم يجدوا منهجا ينتهجونه ولا عونا يرتقبونه ويرتجونه سوى النزول على الإسلام وحقن دماء أولئك الأقوام وإزالة مايخشى على أهل الدين ويحذر ، فدانوا بذلك وثبت الله الأمر وتقرر فنزلوا وعاهدوا واشتروا من سعود جميع مافى البيوت من الأموال والطعام وتعاقدوا ، فأمر بهدم جميع القصور وإزالة مافيها من الدور وبجلاء آل مدلج كافة فطاروا إلى البلد من المخافة ، فأضحوا على ما أسلفوا من الأعمال متندمين ، (فأصبحوا لايرى إلا مساكنهم كذلك نجزى القوم المجرمين) .

ثم دخلت السنة الرابعة والتسعون بعد المائة والألف . وفيها غزا سعود بالمسلمين زاده الله تعالى نصرا وتمكين ، فحث الأعوجية والجياد وقصده الزلفى لأجل ماجرى منهم من الفساد ، فشمر إليهم المسير وفاجأهم قبله النذير فلم تصل إليهم تلك الجيوش والأجناد إلا وهم فى غاية من الأهبة والاستعداد ، فشمروا الإزار والذيل ، للخروج إلى لقاء غارة الخيل ، فانتهزوا لذلك وانتدبوا وأسرعوا إلى مطاعنتها وطلبوا فالتحمت الفرسان واستمر بينهم الطعان وقتل بينهم رجال فى ذلك المعرك والمجال ثم وقع منهم الانفصال ، ورجع سعود ومن معه من المسلمين إلى بلدانهم أجمعون . وفيها غزا المسلمون وأميرهم عبد الله بن محمد ، فسار بالمسلمين إلى الزلفى وقصد فأعجل الركائب فى نيل ماهو طالب فلم يصل لذلك المحل حتى سبقه النذير على عجل ، فكانوا متأهبين للقدوم ، وكل يوم ينتظرون الهجوم ، فلما أغار على تلك البلاد لم يحصل له منها مراد فانصرف عبد الله راجعا ، فلما وصل إلى رغبة رجع مع أهل العارض ورجع أهل سدير وأهل الوشم يريدون بلدانهم وإذا سعدون بن عريعر مع جموع بنى خالد لهم مواف معارض . فأطبقت عليهم تلك الجيوش والجموع ولم يكن أحد منهم مسلما ممنوع ، فجالوا على جميع ذلك الجيش وسلم الله تعالى من له بقية من العيش ، وثارت خيول المسلمين وولى الباقى فرسان المبطلين ، وقتل من المسلمين نحو من الثلاثين منهم حسين ابن سعيد أمير العودة وعبد الله بن سدحان من كبار أهل شقرا ، وفى ذلك اليوم أغارت خيل لبنى خالد على فريق من المسلمين سبعان فاذا عندهم أناس من أهل ضرما منصرفون من غزو عبد الله ركايب وفرسان ، فحين غارت خيول بنى خالد خرج إليهم كل شهم شجاع مجالد فجالدوهم ساعة وزمانا وأسر المسلمون منهم فرسانا منهم سعدون ابن خالد وفدى نفسه بثلاثة آلاف زر أضحى لغالبها ناقد . وفيها سار سعود بالمسلمين

يريد الحوطة فجد السير إلى تلك البلاد وأعمل فى ذلك غاية الاجتهاد ، فأناخ وسط الليل حولها ولم يشعروا بذلك أهلها فرتب أصحاب الكمين وأهل الجيش أجمعين ، فلم يضىء الفجر بإسفار ويخرج أهل الحاجة للانتشار إلا والغارة غادية وغرر الجياد عليهم بادية والأصوات عالية بعد ما كانت هادئة ، فأسرع الخروج أولئك الأقوام وكان لهم إلى اللقاء إقدام ، فطال بينهم المجاولة والالتحام وكل ارتدى برداء الصبر والاعتزام ، وقتل من أهل البلد فى ذلك المجال خمسة عشر من الرجال ، وقتل من المسلمين بطى المطيرى ، ورجع المسلمون إلى بلادهم .

ثم دخلت السنة الخامسة والتسعون بعد المائة والألف . وفيها سار المسلمون وأميرهم سعود بلغه الله تعالى المنى والمقصود ، فحث على السير جياده وركابه ، وكانت الدلم مراده وطلابه ، فتوغل فى تلك الأراضى وقد هدأت بلذة الإغماض ، فعند ذلك قام فى أداء أكيد الافتراض من التهيئة والتعبئة عند إرادة الانتهاض ، فلم يكن له عن ذلك صدود ولا إعراض ولا انحراف ولاميل إلى الراحة حتى أشعل الفجر مصباحه ، وركض الصبح على الدجى وبدره بعموده ونجا ، فعند ذلك أذن للمكتوبة وسأل الله تعالى فيها أن ينيله مطلوبه ؛ فلما فرغ من صلاته نهد إلى تعبئاته وأخذ الكمين مكانه وحرض على الصبر جماعته وإخوانه ؛ فلما أخذت الشمس فى الإسفار كان له إلى الغارة البدار وقبض جميع من فى الدلم من المقاتلة وراموا الجلاد والمقابلة ، فأورث فيهم أهل التوحيد والإيمان مشعل النيران وأرووا من نحورهم أسنان المران ، فطاشت لذلك قلوبهم وزاغت أبصارهم ورعبت كماتهم وأنصارهم ، فولوا عند ذلك الأدبار ، ولم يكن لهم على ذلك الهول اصطبار ، وانهزموا على أعقابهم مدبرين وبرحوا فى بلدهم متحصنين . وأقام المسلمون أياما فى قتالهم وحصارهم مجتهدين فى حربهم ودمارهم كل يوم يصابحون قطع نخيلهم وأشجارهم ، فقطعوا خضر بن عشبان فى ذلك الزمان فعرتهم الذلة والهوان وعلتهم هموم وأحزان وقتل منهم فى ذلك الوقت والأمد رجال من غير حصر وعدد ، ثم إن سعودا حرسه الله تعالى نوى بناء قصر فى ذلك المكان ويجعل فيه من أهل الدين والإيمان من يضيق على أهل تلك الأوطان ، وصمم على ذلك الرأى والبنا ، فنال بذلك الرفعة والثنا ، وقد كان بذلك الرأى والده مشير ، وهو مبارك المشورة مسدد التدبير ، فرفع قواعد بدع الحق الشامخ العال ، فكان ولله الحمد سببا لهدم بدع الغى والزيغ

والضلال ؛ فلما فرغ من بنائه وإتمامه وقضى من تشييده وإحكامه ، وضع فيه من الأبطال عدّة ، وجعل فيه خيلا ومن آلة الحرب عدة ، وكان جميع من فيه ذوى بأس فى اللقاء والشدة ، وصبر عند الإقدام ونجدة ، وأمر عليهم محمد بن غشيان وكان ذا شجاعة وحدة ثم انصرف سعود راجعا وفى بلده راغبا طامعا . وفيها غارت من المسلمين خيل من قصر البدع فتوافقت مع خيل لأهل اليمامة ، فجالوا معهم ساعة فقتل المسلمون فرحان بن راشد البجادى وجرّعوه حمامه . وفيها ارتد جديع بن هذال بعد ما ادعى الإسلام وعاهد وكان عليه من إقبال ، فولى هاربا وفى الضلال راغبا وانهجه طالبا فأراد الله أن يوافقه مطير فى ذلك السير فناوخه أولئك العربان ، وقتل جديع وأخوه وثلاثة معهما فباءوا بالخسران . وفيها حزب أهل البغى والعدوان وذوو التعدى والطغيان على قصر البدع الذى فيه ابن غشيان ، وذلك أن هذا القصر لما أسس وبنى واهتم بأمره واعتنى ، واختير من الرجال حماته وفرسانه والمرابطون فيه وسكانه ، فكانوا أولى بأس شديد وإقدام ليس فى اللقاء عليه مزيد ، ومصابرة فى الطعان والإقدام وعدم الخوف من الحمام ، ولم يتبين من أحد منهم فى اللقاء إحجام ، وكانوا فى غالب الليالى والأيام يعدون على أهل الخرج وينالون منهم المرام ، ويقعدون لهم المراصد ويأخذون كل قادم وقاصد من الأقارب فضلا عن الأباعد ويقتلون كل صادر ووارد ، واستمر عليهم ذلك الحال وتجرعوا منهم غصص الوبال ، وأقاموا فى أكسف بال لا يطعمون لذة المنام فى دياجى الظلام ، قد حاربوا الرقاد وصالحوا السهاد والحرب توقد عليهم غاية الاتقاد ، فلما سقمت منهم الأجسام وضاق عليهم فى بلادهم المقام وحالت وجوههم ذلك الزمان ، وتغيرت منهم الألوان وضوت منهم الأبدان ، وعميت عليهم مناهج الحيل وسدت عليهم مناهج جميع السبل ، ولم يلفوا فى إزالة ذلك القصر سبب استعانوا فى ذلك بأفكار العجم والعرب ، حتى جاءهم شخص من تلك النواحى ممن تسمى بالمعرفة وانتسب ، فشكوا له حالهم ومصابهم وما نزل بساحتهم وأصابهم ، فقال : ثكلتكم الأمهات وعدمتم الترفهات معشر الحمق والسفاهات وأرباب الجهل والترهات ، لم تلدكم النساء للحروب ومكافحات الخطوب وإنما ولدتم للغى والهوى والبطالة ، فلستم مساعير الحرب ولا رجاله ، أغرتكم من هذا القصر أحزان حتى ذهب منكم اللب والجنان ، أغشيتكم منه الذلة والهوان وتشبهتم بالغوانى ذوات الأخدان وتلفعتم بمروط النسوان ؟

فقالوا سبحان الله يا أخا العربان : كيف ينطق بالتأنيب منك لسان وتسرع إلينا بهذا الإغلاظ والهذيان ونحن الكماة الشجعان ؟ ولكن قدالتقت حلقتا البطان واحتنكت علينا الأوطان ، فعسى أن يكون للراحة منك يدان . فقال :

بشراكم بالفرج فما بكم من حرج سوف أريكم فكرة ليس بها من عوج
وتبصرة وهمة تلقى العدا فى رهج إذا رأوها ذهبت قلوب تلك الهمج
أبدى من العز لكم فخرا رفيع الدرج ففكرتى منقادة وقادة كالسرج
فقد تولى عنكم غيهب خطب مزعج وجاكم مرادكم فأصبحوا فى بهج

فقالوا دعنا من هذه الغمغمة واتركنا وهذه الجمجمة ، فبين لنا بالإفصاح حتى نفوز بالأرباح فقال آتونى بأقوى الأخشاب حتى أصنع لكم ما بقى من الرصاص من الأبواب ، وأجعلها مثل الصندوق وأعلاه مطبوق ، والرجال فيه مداريع وبأيديهم المفاتيح والمصاريع ، ويحمل ذلك الصندوق على عجل وأهله فيه قعود على مهل ويدفعونه أولئك القعود فيسير بالدراريج غير مردود ، فإذا وصل إلى السور يفتح ويحصل المراد وينجح فيهدم السور وينقض ويوهى أساسه وينفض ، وترمى أحجاره وتقتل بعدذلك أنصاره وتدخل فيه الأجناد ولا يبقى فيه أحد من أولئك العباد ، فلما أخبرهم بهذه الحيلة وفاه ، أقبل منهم كل يقبل فاه ، وقالوا (إنك اليوم لدينا مكين) فاحكم بما تريد من أموالنا وتستكين ، فقال : ذلك بعد مايتم المراد ويحصل لكم الإسعاد ، فعجلوا إلىّ بالأخشاب والأعواد ، فأسرعوا فى الاستعداد وأتوه بما طلب وأراد ، وشرعت الصناع تصنع فى الحديد وأقاموا على ذلك أياما بلا تعديد وهم فى تعب شديد حتى فرغ من أمره ذلك الشيطان وأبرز كيده من غير توان وقعدفيه أناس متدرعون عتاة مردة وأخذوا يدفعونه ويعطى مقوده وهيئوه إلى السور ومرصده . فلما توسط فى الطريق عند القصر ومشهده أبى إلا الوقوف ، وكأنه عن المسير مصروف ، فعجل الله لكثير من فيه الحتوف وحاولوا فى ذلك أعظم حيلة ، فلم يكن إلى ما راموه وسيلة وقالوا قد زال الفرح وجاء الترح إن بقى هذا العجل فى هذا المكان والمحل هبط من فى القصر ونزل فقادوه علينا وأوصلوه إلينا ، فكنا كمن ألقى نفسه فى الهلاك ووضع لإتلافها حبائل وأشراك ، وكان القوم الذين فيه لا يقدرون على رده ومن جاء من الأحزاب قتل قبل أن يصل إلى حده ، فخاروا وخاروا وخسروا وباروا ويوم تعدوا وجاروا ، وبقوا

ساعة وزمانا يعانون هما وأحزاناً . وقد تسربلوا بلباس الإحجام وأبت أن تسير إلى رده الأقدام حتى جرى بينهم عتاب وملام وتنادب وبكاء بدموع سجام، فانتدب له رجال وناداه بعض منهم وقادوه قريب الحال ، ثم بعد ذلك شبوا عليه النار وقالوا لاتستطيع تشاهده منا الأبصار ، فلما غربت الشمس ذلك اليوم وأقبل الإظلام اجتمع أهل الحريق والحوطة وأهل الخرج بالتمام وساروا يريدون الهجوم على القصر والصعود وقد تعاهدوا على ذلك بالأيمان والعقود ، فوصلوا إليه بالمحامل والسكل للصعود آمل ، فشرعوا فى الرقى والصعود ، وقتل منهم جمع غير محصور ولا معدود ، وبذلوا جد الاجتهاد فلم يشتفوا بمراد ورجعوا وقد قتل منهم خمسة وعشرون وباءوا بالخزى والهون ، ثم لما أعياهم ذلك القصر وعناهم ونكد عليهم معاشهم ودنياهم وحاروا فى أقصاهم وأدناهم ولم يحصل لهم فيه مناهم حدد منهم جماعة من آل زامل وآل بجاد إلى سعدون بن عريعر فى تلك البلاد وطلبوا منه المساعدة والإسعاد ، فأجابهم إلى ذلك المراد فتواعدوا على الخروج معه ، فخرج بعد ذلك هو والبدوان ممن تبعه ونزل على البدع مع تلك العربان ، ثم بعد ذلك أقبل جميع أهل البلدان وهم أهل الحريق واليمامة والحوطة وأهل الخرج فاجتمعوا على سعدون وهم لهدم ذلك القصر رائمون ومع سعدون المدافع ، فاشتعلت بينهم نار الحرب والسكل دون عمره يدافع ، وبقوا يرمون بالمدافع السور ، فلم يقع فيه من الرمى محذور وكان عن الهدم موقى محظور ، حتى تبين لهم الباس وعرفوا أن الله تعالى قد نصر أولئك الناس وأنهم عن الوصول إليهم لايقدرون ، فعند ذلك عزم على الرحيل سعدون وقالوا هذا لايكون فبعدك يقع علينا عذاب الهون ، فقال : إنا لله وإنا إليه راجعون ، اختاروا منهجا فيه تسلكون فاستم بعد ذلك تلامون ، فظعن وارتحل ، وكل قصد ماله من محل وتفرقت ولله الحمد تلك الدول ، وبقى سعدون بمدافعه مهتما وعلى إتيانه بها نادما مغتما ، لايدرى كيف يفعل ويصنع وهو إلى الهروب قد أسرع وعلى الانهزام قد عزم وأزمع ، فهو يجد فيه ويربع فاقتضى رأيه الشنيع أن يتركها فى اليمامة على سبيل التوديع ، فسار وتركها فى اليمامة ، فأخذها أهل الإسلام حين كان للدين بها إقامة . وفيها غزا عبد الله بن محمد بالمسلمين فسار يريد اليمامة ، وأرسل عيونه أمامه وطلائعه قدامه ، حتى أناخ عند البلد وسط الليل وكان له على تعبئة جيشه ميل فرتب الكمين ، فلما أخذ الضوء ينير ويستبين أغار الجيش على البلاد ،

فخرج أهل الجلاد وتطاعنوا قليلا وصبر أهل الدين صبرا جميلا حتى ظهر كمين الموحدين ، فأسرع أهل الباطل مولين وعلى أعقابهم منهزمين وقتل من أهل البلد دون العشرين منهم أحمد بن رشيد وعبد الله البجارى ، ثم بعد ذلك انصرف عبد الله بن محمد ومن معه من المسلمين فأغاروا على الحريق فألفاهم يحشون مجتمعين . وكان لهم جماعة معهم مجنبين فناوشوا القتال ثم انهزموا بانجفال وقتل منهم عشرون من الرجال ورجع أهل الإسلام بأحسن حال . وفيها غزا سعود بالمسلمين زاده الله تعالى عزا وتمكين ، يريد أسلافا مجتمعة من قبائل العربان من آل ظفير وعنزة مقيمين على ماء مبايض فى ذلك الزمان ،فانتضى سنان الهمة والعزم،وجرد صارم الجد والحزم إلى ذلك الأمر والشأن حتى وصل إليهم بعد آن ، فشنت عليهم الغارة الفرسان،وكانوا على أهبة واستعداد للقاء الشجعان ، فجال معهم المسلمون وهم على العزم والصبر ثابتون ولأنفسهم على الموت موطنون ، فلم يدرك منهم أهل الدين وأهل الإسلام فى ذلك اليوم غاية ولا مرام وانصرفوا عنهم بسلام ،وكان هذا أمرا من الملك العلام ليرى خواص الأنام ، ماخفى فى الغيب من الأسرار والحكم والأحكام ،فارتحل سعود عنهم ونزل بأرض تمير ، ثم أرسل إلى مدد من أهل سدير فأقبلوا سراعا إليه وقدموا فوراعليه،فظعن بعد ذلك وارتحل وجد يريد تلك العربان الأول ، فأسرع النزول مع أولئك الدول ، فلم يعد إليهم بعد ذلك اليوم إلا وقد جاء الإمداد من العربان أولئك القوم فحين رأوا أهل الإسلام قادمين ، فرحوا بذلك لأنهم كانوا على انصرافهم نادمين فأبدوا بالمسلمين الاستهزاء والاستخفاف ، ولم يدخل قلوبهم منهم مخافة ولا إرجاف ، بل جزموا أنهم لهم غنيمة وأنهم مهما شدوا عليهم شمروا للهزيمة ، فكان البلاء موكلا بالمنطق فصير الله عليهم ذلك وحقق ، فحين حمل عليهم المسلمون طاعنوهم ساعة ثم جدوا فى الفرار لايلوون ، فتولى المسلمون أكتافهم حين حقق الله تعالى انكشافهم،وقد قتل منهم فى ذلك الحال فوق المائة من الرجال ، وغنم المسلمون ما معهم من أمتعة وأثاث وأموال وجميع السلاح والأغنام والآبال ، وكان دهام أبا ذراع ممن كان لروحه فى ذلك الحين انتزاع .

ثم دخلت السنة السادسة والتسعون بعد المائة والألف . وفيها سار عبد العزيز حرسه الله تعالى من كل مكروه وبلغه مايرجوه بالمسلمين يريد الحوطة ، فحث السير إليهم حتى قدم إليهم وكان وقت القدوم والإقدام حين عسعس الظلام ، واستقام غيهب

الإظلام ؛ فلما أناخ وأقام لم يسرع إلى لذة الراحة والمنام بل أخذ فى التدبير والاستعداد لمقاتلة أهل تلك البلاد، فلما قضى من ذلك المراد والغرض، وأدى من الدعاء ما أوجبه الله وافترض ، بادر إلى القتال وانتهض ، فأغارت الفرسان على طارفة البلد ؛ فلما عاينوا ذلك لم يتخلف عن الخروج منهم أحد ، فالتقوا أهل الدين وكانوا من الصبر على يقين إلا أن الله تعالى ليس لأمره رادّ ولا يقاومه سبحانه أحد من العباد، فحين صمم المسلمون عليهم باروا وقصدوا البلد وثاروا ، وقتل منهم فى ذلك الوقت والمجال خمسة عشر من الرجال ، وأقاموا فى بلادهم فى جهد وضيق لا يتيسر لهم إلى الخروج طريق ، والمسلمون فى تلك المدة قد بذل كل منهم فى التخريب وقطع النخل جهده، فقطع جميع نخل الرحيل ثم كان للمسلمين إلى نعجان ميل فساروا إليها وأقاموا حواليها وقطعوا شيئا من النخل ثم انصرفوا إلى أهلهم راجعين . وفيها جرى ذلك الأمر العظيم والخطب المدلهم الجسيم وهو ارتداد أهل القصيم ، فقدر المولى الرحيم أن يرتعوا فى ذلك المرتع الوبئ الوخيم وذلك أن كافة أهل القصيم إلا بريدة والرس والنومة لما أراد الله تعالى لهم المسكنة والذلة ، وقضى عليهم فى سابق الأزل بالهوان والمذلة وأن يلبسوا ثياب الخزى والعار ويتدرعوا بمدارع أهل النار ويتحلوا بحلية الأشقياء الفجار، ويسلكوا مسالك الأشرار (وينجى الله الذين اتقوا بمفازتهم) من شر من أراد بهم الفجور والإضرار ، ونوى بهم قاصمة الظهر وأصروا على ذلك غاية الإصرار فرجع آيبا بالخيبة والأوزار اجتمعوا على الغدر بأهل الدين وقتل من عندهم من أهل التوحيد وخصوصا المعلمين ، فحضر كافة رؤسائهم وكبرائهم وقدمائهم فى ذلك الوقت والزمان يوم الجمعة فى خفى مكان فتفاوضوا الأمر وأبرموه وشدوا عقدته وأحكموه وتعاطوا بينهم الأيمان والعهود وحققوا الوفاء بالعقود على قتل أهل كل بلد من عندهم من المسلمين موجود ، فى يوم معين عندهم معدود وزمن مؤجل معروف وقته مشهود ، فحين تم ذلك الأمر وانقضى انصرف كل إلى بلده ومضى ولم يكن عند المسلمين من ذلك خبره ، إلا أنهم على مايصدر عليهم فى حالة يقين ورضى ، فأرسل أهل تلك الأوطان إلى سعدون بن عريعر يخبرونه بذلك الحال والشان حتى يقدم ومن معه من البدوان ، فكان قدوم ذلك الرسول عنده هو المنى والسول فبادره بإعطاء البشارة بعد ما أعلمه بالمأمول وأنه سريع الحصول ، فبادر إلى الأمر فى الحال وآذن فى جميع البوادى بالارتحال، فأقبل

بنو خالد كافة وعنزة وجدوا فى السير والإقبال تعجيلا لذلك المرام الذى لم يخطر له على بال ، وقد داخله من السرور والاستيناس ما لا يعرف حده ولا يقاس ، وقال الآن حان للزمان أن يفى فننتهز الفرصة ونشتفى وقد قرب أن يطلع لى بأفق نجد نجم العز والفخر والمجد وينتشر صوت صيتى فى الأقطار فأكون حامل راية الشرف والافتخار فتنحط لهيبتى رقاب الملوك فلا يروم أحد لمنهجى سلوك ، ولم يختلج فى لبه أن شمس عزه قد آذنت للغروب بدلوك ، وأن جيشه مقدر عليه أنه موتور به مفتوك وأنه يرجع من حيث جاء معثورا مقروحا منهوك فسار بمن معه من الحماة والكماة والأنصار يريد أهل تلك الديار حتى ينجز منهم مادبر وصار ولسان الحال يتلو عليه ولكن لا تأمل ولا اعتبار (إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار) وحين قارب أن يلقى عصى السير والترحال ويحط عن الظهر الأثقال فى أرض تلك البلدان أسرع أهل الشر والعدوان وشرعوا الأسنة على أهل الإيمان ، فقتل أهل الخير إمامهم فى الصلاة منصورا بالخيل يوم الجمعة وهو للصلاة مريد ، فقطعوا منه الوريد وقتل ثنيان أبا الخيل وقتل آل جناح رجلا من أهل الدين مكفوف البصر وصلبوه بعصبة رجله وفيه رمق من الحياة ، وقتل آل شماس أميرهم على بن جوشان وفعل بقية أهل البلدان مثل ذلك الفعل والشان ومن لطف الله تعالى بأهل بريده وسلامتهم من الشيطان وكيده ، وتوفيق الله لهم وكرامته وحفظه لهم وعنايته أن سليمان الحجيلانى وابن حصين وغيرهم عزموا على الردة وثبت ذلك عند حجيلان ؛ فلما أقبلت تلك العربان بادر حجيلان إلى قتلهم فقتلوا ولم يدركوا ما أملو ، ثم أرسل إليه أهل عنيزة على سبيل السلام والإكرام وإظهار المبادرة فى الامتثال والاعتزام من عندهم من معلمة الأحكام ومفهمة التوحيد الذى خلقت لأجله الأنام وهما عبدالله القاضى وناصر الشبلى وقالوا هؤلاء إليك قربة ومن تقرب إلى الله تعالى بهم كفر ذنبه ، وهم منا إليك هدية وليس فى قتلهم علينا ولا عليك عار ولا وزر ولا خطية ولا مسبة عند الناس ولا رزية فجرد عليهم صارمه وبأسه وأسقى كلا من صرف الحمام كأسه ، فلبس من الخزى لباسه ، فقتلهم حين جاءوه صبرا فنال من مولاه حربا ووزرا وحقق الله تعالى لأهل الدين شهادة وأجرا ؛ فلما استقر فى تلك الفجاج الفسيحة الوسيعة مع تلك الجيوش وأسلاف الهائلة المنيعة لبس أهل الشر

والفساد وأهل الشقاق والنفاق والعناد من أهل تلك الأوطان والبلاد ملابس السرور والفرح ، وزال عنهم ما كان في قلوبهم من الهم والأسى والترح ، وجاءت منهم جموع وأجناد وأنصار وأمداد . كيف لا وهم الذين قدحوا في ذلك الزناد وأوروا جمرة الفتنة أعظم الإيراء والإيقاد ، وأرووا شبى المواضي من ثغور أولئك العباد (لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد، متاع قليل ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد) ولما نزل بذلك المحل عجل الله لأناس من جماعته الأجل ، فبادروا إلى بريدة في الإسراع وراموا ههنا حصول الأطماع ، فلم يؤب إليه منهم إلا الأقلاع فداخله الرعب والارتياع حين أرسل إلى بريدة بريد الخيانة ، فأرسلوا إليه تلك الرءوس وقالوا هذه ضيافته وحشيمة الإقامة والجلوس فتبشط غيظا وغضبا وآلى إن ظفر بأهلها أن يقطعهم إربا إربا ويوقع فيهم من الفتك والهتك أمرا عجبا ، وشمر إلى أهلها في المنازلة وكانت منه إليها معاجلة ، ولم يحسب أنها تبقى إلى أمد بعيد ، فضلا عن كونه يرجع عنها ولا يفيد ، بل جزم أنها مفتوحة عن قريب وأن سعيه لا يضيع ولا يخيب ، فآب أول يوم المنازلة بالخيبة والحرمان والقتل والذل والهوان ، وقتل جماعة من قومه في ساعته تلك لا يومه ثم عاود الحملة يوما آخر على السور ، فرجع منقوصا موتور . وقتل من أولئك الحمر السود وكل من رام الهدم للسور والصعود ، وبقيت قتلاهم لا تنتقل ولا ترفع للدفن ولا تحمل بل بقي غالبهم ملقى مهمل . غير أنهم صاروا للعاديات مائدة ، فهي إليهم تلك الأيام كل حين قاصدة وصادرة وعائدة ؛ فبقي أياما حائرا متندما ثم أجمع رأيه وعزمه محققا مصمما أنه يسوق عليهم جميع الآلات والخلق مزدحما ويلجها بعد هدم بروجها وأسوارها مقتحما ، وأنه يعاقب من الجيوش من لم يره متقدما ، فنهض إلى إنجاز ذلك العزم وإنفاذ تلك الهمة والحزم ، وبادر على تؤدة من الصباح متيمنا بالبكور في النجاح وحصول الأرباح كما يروى في الأحاديث غير الصحاح «بورك لأمتي في بكورها» وليس على راويه من جناح ، فأقبل بكيد عظيم مهول ، يحق للألباب عند رؤيته الإزالة والذهول ، فصبر أهل الدين وصابروا وجد أهل الباطل وكابروا ، وراموا اقتحام البروج والسور ، وهدم تلك الحصون والقصور ، والهجوم على أهل تلك الدور فثبت الله لأهل الحق القلوب ولم يكن أحد منهم بمذعور ولا مرهوب ؛ فرجع ولله الحمد مذعورا مرعوب مهزوما مغلوب وما أغنى عنه ذلك الكيد شيئا وكانت له الذلة والمقتلة فيئا ؛ ثم بعد ما صدر منه ما صدر

وجرى منه ماتبين وظهر ، عض من الغيظ الأنملة ، حيث لم يرجع بما كان أمله ، وبقى على أفعاله السالفة وقضاياه التى هى للشرع مخالفة ، متحسرا متأسفا متندما متحيرا متحسفا؛ فتفاوض مع أولئك الرؤسا الذين هم لايزالون عنـده جلسا . فيما يدفع عنه الهم والحزن والأسا واتفق الرأى السديد الجامع ، والأمر الذى هو للمراد قاطع ، وللعدو مذلة قامع ، وللمقاتلة مزعج رادع . أنك نصبت لأجل هدم السور مدافع ويأتى لها بحكم ومدافع . فلا يبقى لأهل البلد عن ذلك دافع ، ويصير لك معاند ومشاقق متابع ولحـكمك منقادا طائع ؛ فأجابهم أن هذا هو الرأى السديد وسينجز هذا قريبا غير بعيد ، فشرع فى أسباب ما كان لهم به مجيب وإنجاز ذلك الأمر الذى هو فى زعمهم صائب مصيب ، وجمع له أهل تلك الأوطان من جميع البلدان من أنواع الصفر جملة ، وأنجزوا له فى قريب مدة ومهلة فلم تمض من الأيام مدة حتى اتفق عنده من ذلك عدة وشرع فى صبها الصانع فكان فى إحكام هيئتها طامع وأقام يعالجها فى إحكامها أياما فلم ينل من ذلك مراما ، بل حاز ذلة وخيبة وآثاما ، وأطال فى ذلك الأمر مكثا ومقاما ، وكلما صبها أبت وكلما أفرغها فى القالب خبت ، فلم يتم لها حال ولا استقامة ولم يدرك منها مقصوده ولا مرامه ، وعرف فى باطنه إن لهذه شأنا وإن لم يفه بذلك لسان ، وكل يوم أو غالب الأيام يجرى قتال وجلاد مع أولئك الأقوام وأهل الدين والهدى لم يبالوا بمقام أهل الردى بل هم كل يوم من الحزم فى مزيد ومن البأس والنصرة فى تجديد ومن الله تعالى فى إعانة وتأييد ، فكان حالهم عبرة من الله تعالى للعبيد وآية يستيقنها قلب كل جبار عنيد ؛ وفى أثناء تلك الإقامة بنى قصرا وأنجز إعامه وجعل فيه عدة من الرجال وذوى الباس فى الجبال وكان موضع ذلك ليس إلى الحلة إليه من سبيل فانتدب المسلمون إليه ليلا فنالوا من مرادهم نيلا ، وقد أعلمهم أهل الإسلام أنهم يريدونهم جنح الظلام فعجلوا لهم بالإعلام وبادروهم فى ذلك القصر فهدم وأزيل وبقى كل من فيه مجندلا قتيل ولم ينج منهم سوى واحد وكان بالخبر عن قومه وارد ، وفى أثناء تلك المدة أغار سعد بن عبد الله أمير الرس مع جماعة من قومه على سارحة أولئك الأعراب فأخذوا غنم سعـدون وكانوا نحو أربعمائة فى الحساب تسمى تلك الغنم الدغيموات كثير من غنم تلك البريات ، وفى أثنائها أيضا عدا أهل بريدة على بيت من الشعر جعله عبدالله بن رشيد للحرب من التيه والبطر ، وكان فوق النهير مشهورا وفيه آلات

للحرب ورهبة ، فأضحى لديهم مجرورا وقتلوا فيه أربعة رجال ورجعوا فى ضحوتهم فى أحسن حال ، فلما مضت من الشهور مدة نحو خمسة فى العدة وتحقق له من مراده الحرمان والخيبة وأراد لأهله الانصراف والأوبة عزم على اقتحام البلاد والدخول على أولئك العباد ، وقد صنع منتريسا من الخشب يسمى عجلا عند أولئك العرب يرد الرصاص عمن فيه فلا يضره ولا يؤذيه ، فلما ساقوه إلى مرقب البلد وكان فى ذلك المرقب عشرة من العدد تكلموا مع أهل المرقب ، وذلك أن عثمان آل أحمد استفتح وهو مع ساقة العجل وجد فى الدعاء واجتهد ورفع صوته وقال بفصيح اللسان والمقال : اللهم انصر من هو منا على حق ، فأمن على دعائه أولئك الخلق ، وصار أهل المرقب عند سماعه من المؤمنين فكانوا هم أهل الحق فلذا صاروا من سطوتهم مؤمنين وحاولوا فيهم نكاية فلم يحصلوا على غاية ، واجتهدوا أن يدركوا إليهم وصولا فلم يجدوا إلى ذلك سبيلا ورد كل منهم خاسرا خائبا ذليلا وترك أكثرهم ذليلا ثم بعد ذلك حمل على البلاد حملة هائلة وأصبحت تلك الأمم عليها صائلة وعلى جميع أركانها جائلة ، وإلى تسور الأسوار مائلة ، يساقون بالسيف من أعقابهم فى مسيرهم وذهابهم فازدحموا عند السور والبروج ، فلم يفوزوا منها بصعود ولا عروج بل قطعت عندها الخناجر وأعان الله تعالى من بها من محاصر ، وكان له عونا وناصر ، فطار عند ذلك الاقتحام وهول ذلك الازدحام كثير من الروءس والهام من تلك الأقوام ، وانقلبوا بخيبة المقصود والمرام من ذلك البأس والإقدام . فلم تسر إليها بعد ذلك أقدام ، ورجع أهل الحق بالفوز والأجر الجسيم والعناية والقبول من الله الكريم كما قال سبحانه فى الذكر الحكيم (فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم) وارتحلت قبائل أولئك الأحزاب والعربان عن ذلك الموضع والمكان بأمر عظيم من الخزى والهوان ، ولما سارت تلك العشائر خرج حجيلان ومن معه مسارعا مبادر ففاجأ بريدة آل شماس وقتل من وجد بها من أولئك الناس ، فأوقع بها النقمة والباس وخرج غالب أهلها ثائرين مع تلك الجيوش السائرين وعرفوا أنها ليست لهم بدار مقام ، فهربوا مع أولئك الأقوام وشددوا فى الانهزام ثم بعد صدور تلك القضية وانصراف العساكر بالرزية ضاق وسيع الفجاج على من ساعد ذلك المنهاج وانزعجت قلوبهم أشد الانزعاج فلم يجدوا عن الدخول فى حوزة الإسلام بدا ولم يبصروا سواه

قصدا ، فأقبلوا على حجيلان يريدون الإسلام والإيمان وأعطاهم الأمان وأجابهم إلى ذلك الشان بعد ماشرط عليهم النكال فكل بذلك دان ، وأقبلوا إليه مسرعين وحدانا ومجتمعين ووفدوا بلدا بلدا ولم يبق إلا أهل عنيزة بعدا . وفيها غزا ركب لأهل بريدة فى أثر سعدون يطلبون الاختلاس من تلك البوادى ويريدون فوافقوا ظهرة مع النفيشى بأرض المستوى فكان ذلك الركب لجميع الظهرة محتوى وقتلوا جميع الرجال وأخذوا مامعهم من الأموال ، وقد كان مع تلك الظهرة لأناس من أهل المدينة مال كثير فأمر بأدائه عبد العزيز الجليل منه والحقير فأدى تاما من غير نقص ولا تغيير لأنها كانت أوقافا وأحباس ، فلم يرد أخذها لأولئك الناس وإن لم يكن فيه معرة ولا باس. وفيها ارتداد أهل الروضة لما كان من سعدون إليهم أوضة وأقبل إليهم بالعساكر والأجناد عجلوا بالردى والارتداد وخلعوا ذلك العهد فخابوا وخسروا ولم يفوزوا بقصد فلما ظهر منهم ذلك الحال والشان بادر أهل التوحيد والإيمان إلى قلعة البلد فشمر كل ساعده فيها واجتهد وتحصنوا فيها ، وأقبل سعدون وجموعه فطاف بها هو ربوعه وجد تلك الأجناد مع أهل البلاد فى محاصرة أولئك العباد ، وأقاموا على ذلك أيام حتى حاول فى قطع مائهم أولئك الأقوام ، فلما شعروا بذلك فزعوا وخافوا على أنفسهم وجزعوا فطلبوا لأنفسهم الأمان وخرجوا بعد الاستئمان ، واستولى سعدون وآل ماضى على البلاد ثم نهضوا بعد ذلك إلى أهل الداخلة ، وكان فيها محمد بن غشيان وأناس من أهل النجدة الفرسان فحاولوا إليهم الوصول فلم يكن لهم إلى ذلك حصول ونالوا من أولئك الحماة ورصاص المجيدين الرماة ماأذهل منهم الألباب وردهم على الأعقاب فلم يكن لهم على الإقامة مصابرة ، ولا على تلك العصابة مكابرة ، فانصرفوا بالخيبة والحرمان وقد قتل منهم أشخاص غالبهم من الأعيان وثبت بلدان سدير على الدين والإسلام بعد ما كان من سعدون القدوم والإقدام والأمور الهائلة العظام ، وكان إذ ذاك حسن بن مشارى رحمه الله فى جلاجل مقيم فصانهم الرحمن الرحيم عن تعاطى أسباب الجحيم . ولما بلغ عبد العزيز حرسه الله ما صدر من أهل الروضة وجرى وعلم به يقينا ودرى أمر سعودا أن يتجهز والمسلمين حتى ينقذوا أولئك المحصورين فبادروا فى الأهبة والجهاز وكان ذلك سريع الحصول والإنجاز فظهر سعود يريد التعجيل إليهم والانتهاز وحين وصل إلى ثادق نزل حتى يتلاحق الجموع والدول ثم يسير بتمام أهبة على عجل فيدرك

عند ذلك الأمل ، فلما بلغ سعدون ظهور العصابة المنصورة وأن ألوية العز عليهم خافقة منشورة ورايات الإمداد مرفوعة على رؤوسهم مشهورة ، حصل له الرعب والإرجاف فلم يكن له عند ذلك صبر ولا ائتلاف بل أخـذته الذلة والارتعاش ولم يحصل لأهل البلد منه بعد ذلك انتعاش بل ولى مدبرا وانحاش . فلما ارتحل وشرع فى السير انتدب أهل الإيمان من قرى سدير مع ما معهم من الإمداد مثل حسن بن مشارى وابن غشيان وقومهما من الأنجاد ، فبادروا أهل الروضة بالقتال والجلاد ، فخرج إليهم أهل الشر والفساد وطال بينهم القتال فى ذلك المجال وقتل منهم عدة رجال منهم أميرهم عون بن ماضى ثم ولوا مدبرين وأقاموا بعد ذلك منحصرين ثم أقبل سعود بجيوش المسلمين فنزل على أولئك القوم المحصورين فأخذ جميع الحلل التى كانت فى النخل ومكث أهل البلد فى البلد حلتهم متحصنين فى محلتهم وفى قلعة البلد أناس من آل ماضى ورجاجيل لسعدون بن عريعر . فطال عليهم الحصار وشرع سعود فى قطع النخل والأشجار ، فلما تحققوا بهم نزول النقمة والباس من رب الناس وغلبهم القنوط واليأس طلبوا من سعود الأمان واللحوق بأهل الإيمان ، فأجاب طلبتهم ولبى دعوتهم ونزلوا على حكمه وما اقتضاه منير فهمه ، فعاهدوه على الإسلام والتزموا بجميع الأحكام واعتذروا من سوء ذلك القيام وقبح ذلك المرام ، واشتروا منه جميع ما فى البلد من الأموال بدراهم نقد ، وهاله فى الحال وأمر بجلاء آل ماضى ومن ساعدهم من الرجال فخرج عنها جميع أهل الشر والفساد وأمر عبـد الله بن عمر على تلك البـلاد وانصرف سعود راجعا .

ثم دخلت السنة السابعة والتسعون بعد المائة والألف . وفيها سار سعود بالمسلمين يريد أهل الخرج ذوى الفساد والهرج ، فلما وصل إلى قرية الحائر أخبر فى أثناء طريقه وهو سائر أن آل مرة هنالك فأمر على الدول بالرجوع وانصرف عن قصده ذلك وسار بالجيش يريد فريقا من مطير يدعون الصهبة فعمد إلى ذلك الفريق وطلبه وحث الجياد فى السير لئـلا ينتذر فريق مطير وكانوا على المستجدة ، فبذل فى التعجيل جهده ، فلم يفجؤهم إلا غارة الخيل وكانوا فى سرعة اللقاء كالسيل وشدوا للارتحال فى الاظعان والهروب عن ذلك المكان وبقيت حماة الفرسان مشمرة للذب عنهم فى الطعان حتى أعياهم الأمر وعالهم وغشيهم من مرارة المران ما هالهم وكدر بالهم ، فمزق الله تعالى

رجالهم وشتت حالهم ، فأخذوا بذلك المكان عن قريب ولم يكن لهم فى السلامة نصيب ، وقتل منهم رجال كثيرة وشجعان شهيرة مثل خلف الفغم ودخيل الله بن جاسر ، وغنم المسلمون مامعهم من الأموال وانصرفوا فى أحسن حال . وفيها غلا الزاد جدا وبلغ فى الغلاء حدا وأخذ الناس من ذلك الجهد والبلا وكان سببا للفناء والبلا وطال ذلك على أهل نجد وسكانها ولم يروا مثله فى أزمانها وعم ذلك جميع بلدانها فسقموا من الجوع ، وليس إلا إلى الله الرجوع واستمر ذلك سنين وبقوا تلك المدة مستقين وقد حالت عليهم السنين والأحوال وشاهدوا أشد الأهوال ومات من ذلك كثير من النساء والرجال فضلا عن البهائم والأطفال فكان كثير إذا شرع فى الصلاة خر وسقط حتى يظن رائيه أنه من الجن قد اختبط ووسوس فى عقله واختلط ، فالتجئوا إلى مولاهم فى كشف ماأهم ودفع مانزل بهم ودهم ، فأجاب جل وعلا دعاء ذلك الملا وهو الذى يجيب المضطر إذا دعاه وينجح أمله ورجاه ، فأنزل الله تعالى فى قلب عبدالعزيز الرأفة والرحمة والتحنن بضعفاء تلك الأمة ، فأمر جميع البلدان فى تلك السنين والأزمان أن أهل كل بلد ومكان يحصون ماعندهم من المساكين والضعاف ويقيتونهم من الطعام مابه قوام وكفاف ، فامتثلوا أمره وقوله وانتهجوا عمله وفعله وقام حرسه الله فى الناس حين حلول البأس أعظم قيام فأفاض من الإنعام على أولئك الأنام خصوصا أهل الحاجة والأرامل والأيتام وشمر بالإحسان منتدبا وجد فى المعروف والبر محتسبا وكان لأجره من الله مرتقبا ، ولم يزل على تلك الحالة مستمرا حتى كشف الله تعالى عن الخلق ضرا ، فنال بذلك ثوابا وأجرا وحاز مجدا وفخرا . وفيها مقتل زيد بن زامل . وذلك أنه أغار على أهل سبيع وهم إذ ذاك على الرياض فأخذ عليهم إبلا ثم انصرف من ساعته من غير ارتياض . ففزع على أثره سليمان بن عفيصان وليس معه إلا جماعة يسيرة من أهل الإيمان فجد السير فى طلبه وحث المطى فى عقبه فأدرك ابن زامل مع قومه وكانوا يزيدون على ثلاثمائة راكب بأرض يقال لها الحنية من نجد فشن عليهم الغارة فنال بذلك أعظم قصد ، وقتل زيد بن زامل وانهزم جميع من معه من القبائل وأخذ بعضا من ركابهم وفك الإبل وولوا على أعقابهم ، ورجع سليمان ومن معه بالنصر والأمان . وفيها أهدى عبد العزيز حرسه الله تعالى على سرور والى مكة المشرفة خيلا وركابا وكرمه بذلك وشرفه وقصده بذلك التشريف والإكرام وإهدائه ذلك النفيس الذى هو أجل

الحطام الرخصة لأهل الدين والاسـلام فى أداء واجب الافتراض والالتزام خامس أركان هذا الدين على التحقيق والجزم واليقين الذى منعوه من سنين وكانوا على أدائه متوجدين ، فجاء الأمر منه فى ذلك بالرخصة ، فشمر المسلمون وانهزوا الفرصة فحجوا ذلك العام وكانوا نحو ثلاثمائة من الأنام .

ثم دخلت السنة الثامنة والتسعون بعدالمائة والألف . وفيها عدا براك بن زامل وأهل اليمامة على منفوحة فسبق النذير أمامه ، فلم يردوا أهل البلد حتى تأهب كل منهم واستعد فحين أغاروا عليهم بادروا فى الخروج إليهم فاعتنقوهم سراعا وأرهقوهم بأسا ووقاعا وجالدوهم فجلدوهم وفرقوا جمعهم وبددوهم وقتلوا من القوم المعتدين نحو خمسة عشر وفيهم أناس من المرتدين ، فأتى سعود بذلك الخبر فجرد عزمه لطلابهم وظهر وجد فى أثرهم فلم يدركهم فرجع وصدر . وفيها غزا سعود حرسه الله تعالى بالمسلمين يريد الحسا فأعمل فى ذلك العيس وجد فى السير والسرى فلم ينخ ما سوى المكتوبة والتغليس حتى هجم من ذلك الوطن وقرى تلك السكن على قرية يقال لها العيون فألفاهم وقد استولى السكرى على العيون ، فدبر أحواله وشئونه وأهل القرية لم يأتهم عنه خبر ولا يظنونه فلما أن نسخ حالك الديجور شعاع الضياء والنور وفرغ فى صبحته من دعائه وسبحته نهض إلى ماهيأه وأراد ووطىء ماخرج عن الحصن من مساكن تلك العباد وأخذ جميع ما فى تلك الدور والبيوت من الحيوانات والأمتعة والقوت . وبقى ابن مهنا وجماعته فى الحصن متحصنين وناوشهم المسلمون القتال وكانوا من الخوف على أعمارهم مجتهدين . فلم يدركوا منهم مراما ولم يطيلوا عندهم مقاما ، وانصرف المسلمون عنهم ورجعوا منهم ، وقدقتل ناصر بن عبدالله وعبدالعزيز ديان . ولما أقبل سعود بلغه الله تعالى المقصود من الاحسا راجعا ولأمله طامعا اقتضى رأيه السديد وفكره الصيب الرشيد أن يعبر على اليمامة فألفاهم وقد خرجوا جميعهم أمامه وساقهم القضاء والتقدير ونفوذ حكم الإرادة والتدبير لما أراد الله عزه ونصره وإكرامه وأن يحل بأعداء هذا الدين بأسه وانتقامه ويسقى كلا من أهل الشر كأسه وسهامه وحمامه ، فاشتاقت نفوسهم إلى الخروج للتنزه والابتهاج ومطالعة أزهار الرياض فى تلك الفجاج ، فلم يستقروا فى تلك الرياض حتى وردوا من المنايا الحياض ، فدهمتهم الفرسان من أهل الدين والإيمان فى ذلك الموضع والمكان فراموا عند ذلك الشجاعة ومد كل

إليها باعه وحسبوا أن لهم بها استطاعة ، فلم يكن لهم ذلك ولم يقدر ودنا لهم أجلهم المحتم المقدر ، فجالت عليهم الخيول وهب على المسلمين الصبا والقبول ، فشمروا عند ذلك للهزيمة الذيول وولوا على أعقابهم مدبرين وقصدوا بلادهم متمزقين وقد قتل المسلمون منهم نحو الثمانين على التحقيق لا التخمين . وفيها غزا سعود رحمه الله تعالى بالمسلمين وقصد عنيزة من بلدان القصيم وحث السير فى ذلك مشمرا لا ينيخ إلا فى الضرورة ولا يقيم ، فلما وطىء فى جنح الدجى من تلك البلد أرضها وقضى من صلاة الصبح سنتها وفرضها أغارت على طارفة البلد فرسانه وطافت بفنائها شجعانه ، فخرج إليها من أهلها كل ذى بأس شديد واستمروا مع المسلمين فى تصدير وتوريد وبذلوا من الشجاعة ماليس فوقه مزيد ، وقتل بينهم فى ذلك المجال بعض من الرجال منهم من المسلمين ثنيان بن زويد وغيره ، وجرى بينهم مع سعود كلام فى الصلح فلم يتم المقصود ثم بعد ذلك انصرف عنهم وارتحل منهم .

ثم دخلت السنة التاسعة والتسعون بعد المائة والألف . وفيها غزا سعود فأخذ إبلا معاويد لأهل الحريق كانت مودعة عند سبيع . فأخذها من ذلك الفريق . وفيها غزا سعود بالمسلمين يريد أرض أهل الجنوب وكانت فرقان اليمن له المطلوب ، فألح السير إليهم حتى قدم عليهم فألفاهم فى أرض الرويضة يرعون وألفى رئيسهم فى قصر الرويضة فأخذه وقتله وقرب الله له أجله ، ثم غارت خيوله ورجاله على أولئك الأعراب وغشيهم من عظم العذاب أعظم سحاب . فلم يكن لهم على المقابلة قدرة ولم يكن لهم فى الرجاء حيلة ولا فكرة ، فولوا مدبرين على الأعقاب وشمروا فى الهزيمة والانقلاب ولكن الله تعالى قضى أمرا وقدر ، واختاره ودبر ، وذلك أن المسلمين لما كشفوا ذلك الفريق وراموا أخذهم على التحقيق أقبلت عليهم من فرقان السهول كراديس من الخيول ، فرجع عنهم حينئذ المسلمون لأنهم إذ ذاك لم يكونوا لهم يعرفون وفك الله أولئك الأقوام بعد ذلك الانهزام ، ولم يعرف السهول جيش المسلمين إلا بعد ما ألفوهم مدبرين وكانوا معهم داخلين ولحكمهم تابعين فكانوا على تلك القضية نادمين . وفيها قتل براك بن زيد آل زامل بنو عمه زويمل ومعهم عبد الله بن محمد بن راشد وظنوا أنهم يدركون حكم الدلم والرياسة ، فسدت عليهم تلك المقاصد ولم ينل كل منهم ما هو قاصد وطردوهم أهل البلاد وكانوا ذوى بغى وفساد فقصدوا الدرعية وطلبوا خطة

الدين السوبة ولم يكن يردّ عن دخولها أحد من البرية ، ثم بعد ذلك الحين هربوا إلى الحساء مرتدين . وفيها غزا سعود يسر الله تعالى له المقصود فشمر مع المسلمين يريد الخرج فذكر له وهو فى أثناء ذلك النهج أن هنا ظهرة كبيرة وأمما من أهل الخرج والفرع كثيرة ومعهم من الأموال وأصناف الأحمال مالا يخطر على البال ، فأقام سعود ومن معه على الثلما يرصد تلك الخلق المجتمعة حتى أقبلوا يريدون الماء وكانوا إذ ذاك على ظمأ ، فشن الغارة عليهم المسلمون فأخذوا السابقين الذين هم للماء مسرعون وقتلوهم قتلة رجل واحد ثم أناخت الظهيرة ورام كل منهم أن يجالد فاستمروا معهم ساعة فى جلاد ووقع المصابرة والاجتهاد حتى تبين لهم أنهم لا يظفرون من السلامة بمراد ، فعندها طلبوا من سعود السلامة على الرقاب فأعطاهم ذلك وأجاب ، ومنح الله تعالى عباده المؤمنين السلامة والنصر والتمكين ، وغنموا تلك الأموال وفازوا بالأجر والإقبال ، وقتل فى ذلك المجال نحو سبعين من الرجال منهم ابن زيد زامل وابن زيد الهزانى وسنان بن شاهين وغيرهم مشاهير ، وقتل من المسلمين نحو ثلاثة رجال . وفيها قدم ربيع وبدن ابنا زيد وهما رئيسا الخاريم وجماعة من قومهما على الشيخ وعبد العزيز راغبين فى الإسلام طالبين منهج الأمن والاستسلام ، فعاهدوا على ذلك الطريق وكان لهم فى القيام بذلك هداية وتوفيق ، وقد هدى الله تعالى بهم أناسا من أهل الشرك وفريق ، وصاروا ردءا فى الوادى لا يروم رأس الباطل هدم الحق فيه ولا يطيق . وفيها غزا سعود بالمسلمين متعهم الله تعالى بنصره سنين ، فجد السير يريد الدلم من الخرج وسأل الله تعالى أن يسهل له ذلك النهج ، فناداه منادى الإقبال بلسان الحال وهو ينص فى تلك البيد الفساح : سر فليس عليك جناح ، وقد قدر لك الخير والصلاح ، وأعد لك الربح والأرباح وتقدمك النصر والفلاح وهيئ لك فى فتح البلد مفتاح ، فاطو القفار فى الدجى فعندك من حسن الرجا ضياء ومصباح فسار لذلك وشمر وحث الجياد الضمر فلم يطل لركابه إراحة الجران ولم يلق لخيله رسن ولا عنان حتى استقر فى تلك البلدان ورأت بالعيان ملتف تلك الجنان ، فحينئذ ذاق طعم الكرى المقل والأجفان بعد تعبئته الكماة والشجعان وتدبير جميع ما له من شان ، فلم يضمحل سواد الظلام وينتشر سرعان الأنام إلا وفرسانه عادية مغيرة وسنابكها للعثير مثيرة فكانت لمن صادفته مردية مبيرة غير مؤمنة ولا مجيرة فعند ذلك علت فى البلاد ضجة العباد وغشيهم

أصوات الفزع والارتياء والحزن والالتياع ، فأقبل جميع من في البلد من المقاتلة والأفزاع وراموا عن خلل النخل مجالدة ودفاع ، فلم يجدوا إليه من سبيل ولم يلفوا لهم به كفيل ، فرجع كل منهم خاسئا ذليل وقتل رجال من أولئك القبيل ، واستولى سعود على جميع النخل وحللها فنالت نفوسهم سؤلها وأملها ، ومكث أهل البلاد كافة محاصرين في القلعة من المخافة وسحائب الذلة عليهم مظلة ونوائب الجلاء بهم مطلة وشجعانهم من الرعب مستذلة وأقدامهم إلى الهروب مستقلة لا يجدون ساعة من الراحة ، وحزب الدين مشمر في الحرب صباحه ورواحه وقد أظهروا التجلد علامه وظنوا أنه يخفف مقامه وحسبوا أنه يكون وسيلة لسآمة والتضجر ولا يزالون يعللون النفوس بالمحال منه والمأيوس تعلل المسجون بالآمال والمحبوس حتى انقطع منهم الأمل والرجا وعراهم الخطب وفجا وشاهدوا منه مدلهم الدجى وناء عليهم بكلاكله وسجا ، وذلك أن سعودا لما رأى ما هم به من الحصار وأنهم لا يطول لهم مكث ولا قرار اقتضى رأيه وفكرته واستجمع نظره ومشورته أن يبني قصرا للمسلمين بين النخل وتلك الحلل ويجيد بناءه عن الخلل حتى ينقطع من أهل القرية الأمل وينزلوا إلينا على عجل ، فلما فرغ بناؤه وتم ونوى سعود المسير ويترك أناسا فيه وعزم ، خرج جميع من في القلعة اليه وعزموا على البيعة بين يديه ، فحملوا حملة رجل واحد وتقدم كل من هو في الحرب يجالد ومن هو على الثبات والصبر يساعد ، فتلقاهم المسلمون بعزم باتر وبأس مجد غير فاتر حتى أدار الله تعالى عليهم الدوائر وكان لأهل الدين معينا وناصر ، ولأولئك الفجار مذلا وكاسر فرجع كل منهم على عقبه خائبا خاسر ، وتمنى أنه لم يكن للقتال بارزا ظاهر ، وقتل منهم رجال كثيرة منهم تركي بن زيد ورجال غير شهيرة يزيدون على العشرين وأقاموا في القلعة محتصرين وهموا بعد ذلك اليوم أن ينزل على سعود جميع القوم ولكن أسر إليهم بعض آل زامل ممن كان مع المسلمين نازل فقال اثبتوا مكانكم والزموا أوطانكم فأنا آخذ لكم الأمان وأحكم لكم عقد الاستئمان ، فكان بينهم وبين سعود واسطة ولاحكام العهد رابطة فأخذ لهم من الأمان عقدا وعم لهم عهدا واشتروا منه ما في تلك البيوت والدور من الحيوانات والأمتعة والسلاح والطعام مما ليس بمحصور واستقرت بينهم الأثمان فانتقدوها بذلك المكان ودخلوا في حصن الأمن والأمان وفي دائرة أهل الإيمان وأمر عليهم سليمان بن عفيصان وكانت كافة نخلها في بيت مال فاء الله تعالى به ذو الجلال وأجلى عن البلاد كل من جد في الفتنة واجتهد ومن كان قبل ذلك

بالسباب لهذا الدين معروفا وبالبغض له مشهورا موصوفا. وفيها تبين ذلك الحال واشتهر وشاع بين الناس وانتشر ، ورجفت قلوب أهل الجنوب وحل من البأس والكروب وغياهب الخطوب مالم يدع لهم قلبا ولم يثبت لهم لبا ، فكل منهم أرسل إلى سعود بالطاعة ولبى فأقبل أهل الحوطة وأهل الحريق وأهل اليمامة والسلمية وكافة الخرج على سعود فأحكموا للإسلام العهود واشترط عليهم فى النكال ماشاء من النقود ، فكان جميع ذلك لديه محضرا منقود ، ثم انصرف بذلة لمولاه واستكانة مكثرا لحمد مولاه وشكره سبحانه وقصد أهله ومكانه ، ثم بعد انقضاء هذه الأمور وصدور ماهو مزبور وفدوا راغبين فى الإسلام أهل الإفلاج فأتوا الشيخ وعبدالعزيز طلبا لسلوك ذلك المنهاج فعاهدوا على الإسلام والتزام جميع الأحكام فحسن منهم ذلك القيام .

ثم دخلت السنة التى هى للمائة ختام وبها يكون الثانى عشر للقرون تمام ، ويتم بها العقد والانتظام . وفيها دبت بين بنى خالد الفتن واستحكمت فى قلوبهم الشحناء والإحن وسعوا فى أسباب الحوادث والمحن ، وجدوا فى أسباب القطيعة بما قدروا عليه من الأمور الشنيعة فأضاعوا شجنة الأرحام وقام فيها ذوو الأحلام فأراقوا بينهم الدما وسلبوا البيض الدما ، وغدا بعضهم للبعض سالبا وللهلاك كل مريدا وطالبا ، فأصبحت الأرض من أفعالهم تعج والخلق تجأر إلى الله وتضج وتدعو الله عليهم بالإذلال وتعجيل الوبال ولسان حال القضاء ينادى على أولئك الضلال (إن الله لايغير ما بقوم حتى يغيروا مابأنفسهم وإذا أراد الله بقوم سوءا فلا مرد له وما لهم من دونه من وال) وفيها جرت وقعة جمعة بين بنى خالد ، وسميت بذلك لأن المهاشير وآل صبيح خانوا لعبد المحسن والمنتفق ورئيسهم ثوينى فأخذوا من يليهم من العربان فوقعت بينهم النهبة وبدا كل منهم فى الآخر الرغبة فثار سعدون وجماعته على ظهور الخيل وقصد المسلمين وترأس عبدالمحسن ودويحس فى بنى خالد والحسا ، فصار ذلك لعز الإسلام ولا علاء كلمة الحكيم العلام أعظم مقدمة وطليعة ولا ستيطان التوحيد فيها ذريعة فلم تكن بعد ذلك قوة تلك الأسباب عن ذلك مانعة ولا منيعة وبشارة بالفتح معجلة ونصرة للدين لوقتها مؤجلة . فأقبل سعدون وقومه وأرسل لعبدالعزيز يطلب منه الأمان فنهاه عن المجىء إلى البلد حتى يقف على ماعند ثوينى من الخبر باستيقان ويتحقق حقيقة الأمر والشان لأن بينه وبين ثوينى قبل ذلك مهادنة ومصاحبة فأراد أن يسد من ذلك أبواب المطالبة

فلم يبال سعدون لما ناله من الذلة والهون بما نهاه عبد العزيز عنه فصار ذلك الاقبال منه فتلقاه بعد ذلك عبد العزيز فلم يشعر عبد العزيز إلا بقدومه وسرعة دخوله البلد وهجومه وكان لصلاته الجمعة خارجا ولسنة التكبير لها ناهجا . فالتقى مع سعدون عند باب القصر فرجع معه إليه وأمر بتعجيل النزول عليه وهيء له ما أراد ثم رجع إلى طاعة رب العباد وقد حصل له من الكرب ما ناء بالفؤاد وحصل له غاية المساءة والأنكاد حين رأى قدوم أولئك العباد ولكنه لما أتم الصلاة وحصل له إن شاء الله من ربه الصلات أسر بذلك الخبر وأعلن للشيخ الذى هو للتوحيد أسن وأتقن، وشرح له الحال وبين له أن ذلك كدر عليه البال فجلا عنه الإمام جميع الشبه والأوهام وتلا عليه ماجلا الرين عن الأوهام من الآيات المحكمات العظام كما يفهمه كل ذى قلب سليم (عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة والله قدير والله غفور رحيم) فلم يفرغ من قراءتها بالاكمال حتى سرّى عن عبد العزيز ذلك الحال وانجلى عن قلبه الكدر حين تبين له المعنى وظهر ، فلما بلغ ذلك ثوينى تعاظم وتجبر وصعر خده وتكبر ،وأرسل إليه عبد العزيز بألطف كلام يستعطفه فى قبول ذلك الأنام ويبين له أنى لم أنقض للهدنة عهدا ولم أفتل لحبلها عقدا ، ولكن لا أجد عن قبول هؤلاء مندوحة ولا بدا وأنا لك بما تريد منهم كفيل فلا تخش منهم أحدا لا عزيزا ولا ذليل فلم يجنح إلى ذلك الكلام وأنف من الاستعجاب والاستعظام وجدّ فى الحرب وشمر وأجمع رأيه عليه ودبر فأرسل إلى البلدان يستعين على ذلك الشان وشرع فى إحكام الأسباب والآلات وتهيئته عددها المحكمات، وبارز فى ذلك رب البريات، ونال من ذلك أعظم الرزيات وأقبح الخزى والعقوبات . وفيها غزا سعود نال من مطلوبه كل مقصود فسار بالمسلمين ومعه بنو خالد وآل ظفير مجتمعين ، فحث السير ليلا ونهارا لأجل تعجيل المطلوب وإنجاز المراد له والمرغوب وقصده أسلاف قحطان وكانوا مقيمين بأرض الجنوب فأعنق التسيار إليهم ونص اليعملات عليهم حتى طوى بأيديهم صحف الفيافى والقفار ولم يجد دونها تلافيا ولا اصطبار وسهل له سهلها وحزنها ، وحاط بأولئك همها وحزنها وعجل إليهم الإنذار بما قد كان وصار فأخذوا فى تعداد وأهبة وكان لهم إلى لقاء المسلمين رغبة ففرحوا بذلك وطربوا وودوا قدومهم وطلبوا وقالوا لظى الحطوب ونار الوغى والحروب لنا معشر أهل الجنوب ، والهيجاء هى المراد والمنى ونحن لها وهى لنا . أيظن

سعود أننا مثل من لقي من الجنود ومن مارس من البوادي القرود ؟ نحن الشم العرانين الكماة وذوو البأس والنجدة في الوطيس والحماة وسيعلم ذلك ويعاين ويدري حينئذ على من هو كائن ويتحقق ويشاهد ما لم يكن معه يعاود ونقض كل منهم مذرويه وكان شؤم ذلك القول راجعا عليه فما أصبحتهم تلك الجنود والأجناد أظهروا من البأس ما يذهل الفؤاد وتدرعوا مدارع النجدة في الجلاد فشاهدوا فرسان الإسلام منهم أسنة حداد، وأحساما صلابا صلاد، وقلوبا قوية شداد، فخف الله تعالى المسلمين باللطف والامداد وأعاد عليهم عادته في أهل الفساد فشد عليهم الحملة أهل الدين والتوحيد وأيدهم الله تعالى بالنصر والإعانة والتسديد وأنفذ في أعدائه الوعيد فشردوا أعظم تشريد وبددوا أقبح التبديد وصاروا بين طعين وشريد ومقطوع منه الوريد ومزقوا كل ممزق وأجرى عليهم عادته وحقق رغم المسلمون غنيمة عظيمة وانهزم الأعداء أخزى هزيمة، واستولى أهل الدين والإسلام على جميع الأمتعة والأثاث والآبال والأسلحة والأغنام . وفيها غزا حجيلان بأهل القصيم ومعه من عنزة فرقان فذكر له أن هناك ظهرة عظيمة خارجة من البصرة وسوق الشيوخ حضر وبدوان فأم لهم منار الطريق، وكان من خبرهم على يقين وتحقيق فأسرع بمن معه وتبعه حتى وصل إلى بقعا وأقام ينتظرهم حتى قدموا بعد ذلك عليه ووصلوا بما معهم من الأموال والأحمال إليه ، فتلقاهم بغارة مزعجة مرهقة وأسنة ماضية للأرواح مزهقة فطاعنوا ساعة وحينا ثم انكشفوا بعد ذلك انكشافا رهينا وكان كل منهم للذلة موثقا رهينا فغنم المسلمون تلك الأموال واستاقوا جميع الأعمال وقتلوا عددا من الرجال .

ثم دخلت السنة الحادية فوق المائتين والألف ، وفيها غزا سعود بالمسلمين فنزل أرض ملهم وأقام ينتظر إجماع المسلمين فأتاه رؤساء الروسة من اليمامة وأخبروه أن آل نجادي يريدون الارتداد وقد دبروا إحكامه وأجادوا على أهل التوحيد إبرامه، فشمر من ذلك الحين لإنقاذ المسلمين وحقن دماء الموحدين فوصلها ليلا وأدرك من التمكن منها نيلا فلما أصبحوا وتحققوه هموا بلباس الإسلام أن يمزقوه فجالوا نظرهم فيه فنظر كل منهم أن ذلك لا يمسكه ولا ينجيه فرموا جميعا بأنفسهم إلى سعود وقدموا إليه النساء لكي يوافق بالمقصود فأنالهم شطر البغية وأدركوا بعض المنية وألزم عليهم الشيخ وعبد العزيز في البداية وأجلا عنهم أهل الفساد والإذاية ثم بعد ذلك يرجعون إلى بلادهم وأظهروا

لسعود الامتثال وشرعوا فى المسير إلى عبد العزيز والارتحال . فلما توسطوا في قلب الفلاة كان فى قلوبهم أعظم هناة ، ولووا إلى الحساء الأعناق وجدوا فى الوخد إليها والإعناق وصمموا البعد عن اليمامة والفراق، فأمر عبدالعزيز بهدم محلتهم التى تسمى البنة وقد كانت باللهو مرنة فهدمت ديارهم وحقق دمارهم وأمر سعود عبد الله الرويس فى البلاد وبنى حصنا فيها وجعل فيه آلة الحرب والاستعداد وأمر فى الحصن محمدبن غشيان وأقام فيه مدة من الزمان. وفيها جر ثوينى تلك الجرائر وقاد على المسلمين تلك الجموع والعساكر وتجاوز فى ذلك المسير طوق البشر فى التدبير ورام أن يغالب الحكيم الخبير المدبر القدير فتطاول فى خروجه وتمطى وبغى فيه وتخطى ودبر من الكيد والأسباب والشئون مالايقدر على مثله ولا يكون بل يعجز عن تحصيله الآخرون وجزم أهل المعرفة بزعمهم ومن يدعى العلم بفهمهم أن جيوشه لأهل الدين يغلبون وأعرضوا عن وعد الله للذين هم يؤمنون (وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن أكثر الناس لا يعلمون) فسار بتلك الجحافل الجمة الغزار والجيوش التى لا يحصى عدتها إلا عالم الأسرار ولا يحيط بها إلا الجبار حافة بتلك المدافع والقنابل الكبار التى لا يقوم عندها حصن ولا جدار ولا يثبت عند رؤيتها قلوب الصغار والكبار ، فلم يزل يجدّ إلى نجد السير والمسير ويستدعى فى ذلك أصحاب الرأى والتدبير من كل رئيس بالحرب خبير وجليس سىء البطانة شرير يحلل له دماء أهل التوحيد ويحثه على ذلك ويشير ويدعى مع ذلك أنه من العلم والمعرفة بالمكان الكبير ولم يدر أنه قاصر الباع قليل الاطلاع طافح الغور غير غزير وأنه لا يملك من ملك الله فتيلا ولا قطمير وأن الله تعالى وعد أهل التوحيد والدين بالنصرة والظهور على المبطلين وفتح البلاد لهم والتمكين (وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولى المتقين) فلم يثن لهم صارم عزم ولا همة بل جد فى ذلك الشأن وهمه حتى أنزل فى أرض التنومة جميع تلك الأمة وأحاطت بهم تلك المهمة وغطتهم تلك الخطوب المدلهمة وحلت بهم الكربة والشدة والغمة ، والتجئوا إلى المفزع عند الشدائد وطلبوا حسن تلك العوائد والتحفوا القمص والأكفان وقال كل منهم الموت على الشهادة والإيمان وسنة من لنا من السلف والإخوان ويأبى الله أن نتضمخ بوضر الذلة والإذعان ونبين عند الله والمؤمنين أننا غير صبر فى الطعان ولا عند حلول الرزايا والامتحان ونعوذ بالله من عاقبة الشرك والافتتان وتسويل مكايد الشيطان والاستسقاء من حوض الردى والذل والهوان

فليس هنا إلا التطلع إلى قصور الجنان وما فيها من الحور والولدان . ولما ثوى فى ذلك المكان والمحل واستقر به ونوى الإقامة ونزل شرع فى مجال القتال وأحدقت بهم تلك الفرسان والأبطال وأضرمت عليهم المدافع شرر النار ولم يكن فى قلوبهم منها انذعار لما أفرغ الله تعالى عليهم من النصر والاصطبار وربط على قلوبهم فكان لهم من التثبت أجل قرار وحث أهل المدافع والرماة وندب الشجعان والكماة وحرض ذوى النجدة والحماة وجلب عليهم بخيله ورجله ورام هدم التوحيد بأمله ، فأبطل الله تعالى كيده ومكره وأظهر فيه وفى جنوده بأسه وقهره ، فحاق به سوء عمله فشرب حياض المر والهم بالأسف عللا بعد نهله ورأى عقوبة ذلك عاجلا قبل موافاة أجله واستمرت تلك الأحوال الشديدة من أولئك الجموع العديدة يقاسون كل ساعة منهم حدة وبأسا ولكن لا يرفعون إلى المذلة رأسا وبقوا أياما فى ذلك المقام كل يوم تحيط بهم خطوب الحمام ويتجرعون مرارة السام ولكنهم صبروا تلك النفوس الكرام عن معاطاة أسباب الآثام وآثروا دار السلام وما عند الملك العلام على هذه الدار الفانية واشتاقوا إلى دار قطوفها دانية ؛ فلما أيس ثوينى من مصادمتهم وتعب من مزاحمتهم وا كترب من مقامه هناك واضطرب لبه فقيل (ذلك بما قدمت يداك) مد أسباب الغدر ونسج رداء الخيانة والمكر فأرسل إليهم بالأمان وزين لهم الاستئمان والنزول عن ذلك المكان والخروج إلى سائر الأوطان وحاولهم فى ذلك واجتهد وكان الواسطة بينهم عثمان حمد وكان هو من أولئك الجماعة فظنوا أنه لا يروم بهم مكرا ولا خداعة وإن كان نفسه إلى الشر نزاعة فرضوا بذلك وراضوا بعد ما تحدثوا فيه وفاضوا ؛ ولما استقر ذلك الأمان بينهم دخلوا عليهم القلعة سريعا فعجلوا المسلمين حينهم وقتلوا غالب من وجد ولم ينج إلا من هرب وفقد ونهبت تلك القرية ونال ثوينى من ذلك خزيه وعجل الله تعالى له فى الدنيا العقوبة ولقى من قبيح صنعه وزره وحوبه ، ثم لما بدت منه هذه الخيانة وبدرت وظهرت منه وصدرت ظعن من ذلك الوطن ونزل على بريدة واستكن وناوش أهلها الحرب من بعيد وهم أن ينزل بهم بأسه الشديد ويمكر بهم ويكيد ، فأخذه الله (إن أخذه أليم شديد) فأرجف قلبه وفؤاده وأظهر له من الرعب ما حمله أن يؤم منهزما بلاده وشتت شمله وجمعه وأجناده وأضاع هدرا عليه من المال طريفه وتلاده فولى خاسئا مهزوما مشتتا مبعدا مرجوما ؛ ولما عزم على المسير خرج

من أهل بريدة لنفوذ التقدير نحو سبعة رجال وراموا أن يوقعوا فى آخر الجيش نكال ، فعجلت إليهم من تلك الخيول فرسان فاقتطعوهم قبل وصول الجدران . وجدّ السير يريد البصرة وقد أبدى الله تعالى فيه عبرة وأراه شؤم تلك الأفعال وجعل عاقبته تشتيت الحال ، فحين وصل البصرة وقدم إليها رأى الخروج على الباشة والتغلب عليها ، وساعده على ذلك المتسلم وكان لأمره مطيعا مسلم وفى خدمته متقدم ورسمت باسمه الخطب وأبدى من التجبر العجب فحذر عليه الباشة سليمان فى ذلك الزمان والتقوا عند سفوان مع تلك البدوان فانهزم ثوينى وثار وهدم الله عزه وبار وفلّ الله من له من أنصار وعمد إلى الكويت وسار وأقام فيها ذليلا يقاسى الهم زمانا طويلا ثم جاء إلى الدرعية يريد الإسلام فعاهد على الوفاء بالذمام ثم نكث ذلك الإبرام ؛ ولما بلغ عبد العزيز حرسه الله تعالى وصول ثوينى إلى نجد جد فى التأهب والاستعداد وجمعه من الغزاة كل نجد فجهز سعود عليهم أميرا حتى يكون لأهل البلد ظهرا وظهيرا ؛ فلما انهزم ثوينى وانصرف وقصد بلاده وانحرف جدّ سعود فى أثره بالمسلمين وكانت تلك الجيوش منهزمين فلم يبرح حرسه الله تعالى يجهد فى السير الركاب ويجد فى ذلك الطلاب حتى أدرك أسلافا من شمر ، فشن الغارة عليهم وشمر ورئيس ذلك الفرقان وكبير تلك العربان ابن جدى فكان إليه مهتدى فلما غطاهم من الغارة الغبار ركب الفرسان الجياد والمهار وأقبلوا لتلقى الأبطال كأنهم فى قرن وصمموا على بذل الأعمار دون الأموال والظعن وبذلوا فى ذلك مجهودهم ولكن الله لم ينلهم مقصودهم فغلبتهم كلمة الحق ، فلما عاينوا من أهل الدين الصدق انهزموا وفروا وما ثبتوا ولا قروا ، فقتل المسلمون منهم رجالا كثيرة العدد وأخذوا ما عندهم من العدد واستولوا على جميع تلك الأموال من أثاث وأمتعة وزلال وغنم وآبال ورجعوا بأحسن الآمال . وفى أثناء خروج سعود فى ذلك المطلاب ظهر عبد المحسن ودويحس وبنو خالد أهل الحسا يظنون أن ثوينى لهم فى انتظار وارتقاب وأن بلدان نجد قد عمها من ثوينى الخراب وأنه مقيم هناك مع الأحزاب لأنهم قد ثبت عندهم بلا شك ولا ارتياب ونقله إليهم عدول ليسوا بكذاب أن ثوينى ألزم على أهل الزبير أن لا يخرج أحد إلا بامرأته وعياله فى ذلك السير فامتثلوا أمره فى الحال وأظهروا مامعهم من الأموال للتجارة والابتياع ولم يجل فى خلدهم أنهم إليها يعجلون الارتجاع لما يداخلهم من الذعر والرعب والارتياع بل زعموا

أنهم يقيمون أزمانا عديدة فى تلك البقاع ولا يرجعون عنها حتى يدعوها صفصفا قاع ، فلذا ظهرت بعد ذلك بنو خالد وكل على ذلك معين مساعد ، فلم يرع بنى خالد وأهل الحسا وهم إذ ذاك قد قطعوا الدهنا يؤمون نجدا ويؤملون بها إقامة وسكنا إلا الخبر اليقين والعلم المحقق المستبين أن سعودا قد جد فى السير والتسيار وأن ثوينى قضى عليه العزيز القهار بالذل والانكسار وكتب عليه الهوان والذلة والعار والخزى والدمار . فكان ذلك عندهم من أشنع الأخبار وأفظع ما يطرق القلوب والأفكار ، واضطربوا غاية الاضطراب وشمروا منهزمين فى الانقلاب ، وأرسل الله عليهم رجزا من العذاب . فكان لا يلوى منهم أحد على أحد والكل قد طار عقله وارتعد وارتدى بأردية الموت واستعد وقطعوا الدهنا فى ذلك الصيف والصمان والكل منهم صاد ظمآن ، فمات كثير من أهل الحسا ونالوا مؤلم الهم والأسى وتفرقوا فى ذلك أيادى سبا وكانوا لمن بعدهم عبرة ونبا . وفيها غزا حجيلان بأهل القصيم ومن حوله من العربان وقصد أهل الجبل ، فاستقر بذلك المكان وأقام فيه مدة أيام وليال ، وغالب أهل تلك البلاد إلى الدخول فى الإسلام فى إقبال فقدم عليه فى ذلك الزمن كثير من بلدان ذلك الوطن ، وعاهدوا على الإسلام ورغبوا فى الدخول والاستسلام ، ومن أعرض عن ذلك وصد ، تصدى حجيلان لحربه وقصد ، وتأهب له واستعد وأقبل عليه بالحروب والحرابة حتى يدين للاسلام ويفتح بابه ، وأخذ أموال من امتنع فى ذلك الوقت والحال حتى طاعوا للتوحيد بالاجمال . فلم يشد حجيلان للسير عنهم الرحال حتى تلقى جميعهم الاسلام بأحسن استقبال . وفيها وفد هادى بن غانم المعروف بأمه قرملة على عبد العزيز أناله الله تعالى فى الدارين مأمله . وكان هادى إذ ذاك فى الاسلام راغبا وللدخول فى الايمان والتوحيد طالبا ، قد انشرح له صدره وتبين فيه حاله وأمره ، وبرق له من الدين بارق ولمع منه له ضوء شارق قبل أن يعرف الحقائق ويسلك فى أبيض الطرائق ، فجاء مرغما لكل عدو منافق ومشرك ضال زاهق وهجر من كان محبا له مرافق ومن كان على الباطل مصادق . ولم يكن ذلك الوقت والحين فى رياسة قحطان من المعدودين ولا من كبارهم المشهورين ولكنه رأس بالدين وصار له الاقبال من إمام المسلمين لما صدق وتبين على المشركين ونصح فى جهاد المبطلين فصار له تمكن عند المسلمين ، فعاهد حين قدم على الاسلام واقد وفى العهد والذمام وقام بوظائفه أحسن القيام وبدا له فيه طالع

حسن وجاهد فيه من عبد الوثن ، وأخلص لله فى السر والعلن ، وتنصل عن الضلال الذى ترعرع فيه ونشا والشرك الذى ملأ جميع الحشا (إنك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء) .

ثم دخلت السنة الثانية بعد المائتين والألف . وفيها تظاهر كثير من أهل الوادى بالاسلام ورغب فيه جماعة من تلك الأقوام ، وسبب ذلك الاعلان والاشتهار وتبين تلك الدعوة والانتشار أن ربيعا وأخاه بدن ابنى زيد رئيسى الخاريم فى الشرف والأيد لما وفدا مع أناس من قومهم على الشيخ وعبد العزيز وعاهدوا على الاسلام ودخلوا فى حصنه الحريز والتزموا الوفاء بجميع الأحكام والقيام بذلك أتم القيام ، وكان وفودهم قبل ذلك العام ، فنفع الله تعالى به منهم خاصا وعاما ، فلما أرشده الله تعالى وكان له مرشدا وهادى ، وتبين بدعوة التوحيد على أهل ذلك الوادى أصبح كثير من أهل الضلال بل أغلبهم له مبغضا ومعادى ، ولرد قوله ومعارضته بالباطل ممار مبادى ، وأطلقوا عليه أعنة الألسنة وحاولوا البقاء على تلك السنن الباطلة المزمنة والطرائق الخبيثة الضالة المنتنة ، فعند ذلك الحال والأمر بنى ربيع له ولأهل الدين قصرا وشرع فى تهيئة بنائه حتى أتمه وبناه ، فلما فرغ من القصر والبنا جهر بالدعوة مجدا معلنا ، وبادر بإزالة ما فى ذلك الوطن من صنم ووثن ، فأشعل فى شجرة نارا وكانت معبدا لأولئك الأشرار يزعمون أنها تجلب النفع وتدفع الأضرار ، فلم يرعهم إلا دخان تلك الشجرة وقد قضى منها الإحراق وطره ، فعند ذلك تأسفوا عليها وتحرقوا وتجمعوا على الباطل بعدما تشتتوا وتفرقوا وانتدبوا إلى عداوة من يتبين بالدين ونهضوا ثانى يوم على ربيع فى قصره مجتمعين وساروا يريدونه ، وهموا بأنهم يذلونه ويردونه وينزلونه من قصره ويهدمونه ويجرعونه الحمام ويسقونه ، فحصروهم فى القصر ثلاثة أيام فصبر على ذلك أهل الاسلام وقطعوا مالهم من نخل وبدا منهم قبيح فعل ، وقتل المسلمون منهم رجلا ولم يدرك أهل الضلال منهم أملا ، فلما أيس أهل الباطل إليهم من الوصول وعرفوا أنهم لا يدركون منهم مأمول ، وأن المسلمين أكثروا فيهم الجراح ولم يكن على أهل الدين من جناح وتحققوا أن ليس فى مقامهم لهم صلاح وعزموا على المسير عنهم والرواح ، أخذوا حمارا مذبوحا وجعلوه فى ماء أهل القصر مطروحا ، وكان ماؤهم خارج القصر من قريب إلى حد ما يجيد الرامى به ويصيب ، فأنتن بعد ذلك عليهم الما ووجدوا لفقده

ألما وقاسوا منه شدة وظما ، فبادروا إلى الحفير فأظهر الله ماء عين غزير فشربوا منه وارتووا وتيقنوا النصر من ربهم وارتجوا وحكموا به لقوة رجائهم وقضوا ، فنالوا بذلك الأجر والفوز وحووا ، ولكنهم دفعوا بالتى هى أحسن فأعطوا فرسا من تظاهر بالشر وأعلن ، فقبلوها منهم وانصرفوا ورحلوا عنهم وانكفوا ، فأرسل ربيع بن زيد يخبر عبد العزيز بذلك الكيد ويعلمه بما صدر وجرى إذ لم يكن به درى ، فأمده بكثير مال وزاد ، وأعطاه سلاحا وأهبة الاستعداد ، وأرسل عبد العزيز إلى مبارك بن عبد الهادى بأن يساعد ربيع ويقوم معه على أهل الوادى ، فحين أتاه الرسول والمكتوب بادر إلى ذلك المطلوب وسار حتى نزل ذلك القصر وشد الله تعالى به لربيع الأزر ، فحاول جماعة الخطاطبة بناء قصر مشرف على ربيع ، وكانت لذلك طالبة وفى إخراجه من قصره راغبة ، فنهاهم ربيع وحذرهم وخوّفهم وأنذرهم فلم ينتهوا عن المراد وشمروا فى طرق الفساد ونصبوا راية الحرابة وشمر كل منهم فى البناء ثيابه ، فحين شرعوا فى البنا زادهم الله وهنا ، وقتل المسلمون ذلك البنا ، فحين قتل منهم بناؤهم ولم يدركوا من البناء مناهم بعد ما غرهم الشيطان ومناهم ، ألب عليهم جميع أهل الوادى وتغلبوا وراموا هلاك الموحدين وتطلبوا وجمعوا لهم كثيرا من الآلات ، وسعوا إلى ذلك بأسباب وصناعات تسمى الزحافات وكانت صناديق من خشب مطبقة لا يدرك من بها ولم يصب ، وفيها من ذوى البأس رجال وبأيديهم مفاتيح تلك الأقفال ، وتسير محمولة على دراريج يسمونها العجل أهل ذلك المحل ، يرومون إذا قربوا من السور من هدمه بلا محذور ، وكان من به الناس متحصنين بدروع الباس ، وفى كل صندوق ثلاثون من الأبطال ، فساروا يريدون السور من غير إمهال ، فلما قارب الجدار لم يكن لهم إليه تسيار ولا وصول ولا اقتدار ، بل وقفت الزحافتان دونه بعد انكسار إحداها وانكشاف الأخرى فتبين من فيها ؛ فأخذ المسلمون يرمونه فقتلوا منهم تسعة ولم يكن فيهم ولله الحمد منعة . وزحفت تلك الجموع وتداعت إلى هدم السور تلك الربوع فرجعوا بالحرمان والخذلان ولم يفدهم ذلك الكيد والشان ، وأخذ أهل الاسلام منهم سلاحا ودروع ، ولم يكن أحد منهم بما شاهد من الكيد مروع ولا جبانا ولا جزوع ، ثم بعد مضىّ ليال وأيام أراد الملك العلام على بعض البروج الانقضاض فصار لأهل الباطل على أهل الاسلام ركضة وانتهاض ، فبادروا فى الحال بلا أناة ولا إمهال

وساروا على أهل القصر وراموا بهم وقوع أمر ، فحمى الله سبحانه وتعالى المسلمين وقتلوا ثلاثة من المشركين ورجعوا ولله الحمد مجروحين مقروحين ، ثم بعد ما انقضى زمان وأمد تجمع كل من أهل الباطل ونهد وحزب كل منهم وقصد على أولئك الأقوام وذلك حين وقع من السور بعض الانهدام ، فوقع عند السور القتال والازدحام وحمى الحرب وحان الحمام وحقن الله دماء ذوى الإسلام ، وقتل من ذوى الشرك والضلال فى ذلك الوقت والحال أربعة من شجعان الرجال ، ثم طلبوا من المسلمين النزول والخروج فكان للمسلمين إلى ذلك ميل وعروج ، فأخذوا منهم الأمان بشرط ما أخذوا منهم من السلاح فى ذلك الزمان والخروج عن ذلك المكان ، فنزل المسلمون منه وخرجوا بعد ذلك عنه ، وقصدوا مبارك بن هادى فكان بإكرامهم مبادى ، ثم بعد ذلك بأيام قدموا على عبدالعزيز الإمام فأكرمهم — جزاه الله سبحانه وتعالى خيرا — غاية الإكرام ، وأمدهم جميعا بكثير من الطعام ووفدهم منه بجزيل من الحطام فرجعوا من عنده بأعظم المقام وكان لهم فى الدين أوفر قيام فبنوا لهم قصرا وشاع لهم بذلك ذكر ، وكان مقابلا لقرية تمرة ، فنفذ الله سبحانه وتعالى بسببه فى الوادى أمره ، فأقاموا فى ذلك القصر مدة شهور وللدين منهم انتشار وظهور وغارات أبدا لا تفارق ولا تبارح بل تفاجىء وتغادى وتراوح جميع تلك القرى والقصور ، فلم يكن لأهل ذلك القصر عن جهاد من حولهم تقصير ولا قصور ، ثم بعد ذلك تقضت أيام وطال لهم فيه مقام ورغب جماعة كثيرة وفئام فى منهج الدين وتجريده والقيام بنصره وتأييده وهم الحنابجة والعمور والولامين ، فأرسلوا إلى ربيع ومبارك يريدون الدخول فى الدين ويطلبون منهم أنهم يأتون إليهم ويقدمون عليهم ، فأجابوهم إلى ما أرادوا وطلبوا فأنيلوا فضيلة الإسلام وحبوا لما أحبوه ورغبوا وحاولوا كغيرهم فى إطفائه سابقا وتعبوا ، فلم يحصلوا ما أملوه بعد أن سئموا ونصبوا فعاهدهم على الحق والهدى والتبين فى طمس منار الضلال والردى ، وطلبوا من ربيع ومبارك النزول معهم حتى يجاهدوا معهم العدا ويجالدوا من تعدى عن الحدود واعتدى وراح فى طرق الشرك واغتدى ، فكان منهما إلى الدعوة ميل وإزماع وإلى الإجابة لما أرادوا حث وإسراع ، فخرج ربيع من القصر وسار وكان له فى الدراسة عند الحنابجة مقام وقرار ، فأعلن عندهم لله تعالى بدعوة التوحيد ، وكان للدين فيهم تصدير وتوريد ولأهل الضلال فيهم تنغيص وتنكيد ورعب ليس وراءه مزيد ، لا يطيب لهم فى الوادى مسكن ولا تطعم

عيونهم لذّة الوسن ويدعون على من جر ذلك عليهم وسن ، وأرهف المواضى على إظهاره وسن ، وأحمى عليهم الغارة وشن ، فلما طال عليهم الأمد والزمان وقاسوا منه مصايب وامتحان ، ولم يجدوا لهم نفعا مما كانوا يعبدون ويستغيثون بهم فى الشدة ويدعون ويخافونهم أشد الخوف ويرهبون ويؤثرونهم فى المحبة على الحق ويرغبون من يكشف عنهم هذا الخطب ويفرج لهم هذا الكرب، كلا لقد خابوا وخسروا وضل سعيهم وعثروا وأشركوا بالله تعالى وكفروا ، فلم يعانوا ولم ينصروا ، فعند ذلك اجتمع رؤساء ذلك الشان ومن تظاهر بالفسق والعصيان وتفكروا فى الحال والمصير وشرعوا فى إبرام حبل التدبير ، وهيهات قد نفذ القضاء فيهم والتقدير ولكنه فى إبانه وحينه يصير . فلم يلفوا لهم إلى المراد سببا ولا ملاذا ولا مرتجى ولا ملجأ ولا معاذا إلا إلى الوصول إلى نجران كى يستجيشوا من هناك من العربان ، فاجتمع رأيهم على ذلك المنوال وظنوا أنهم يدركون من المسلمين به منال ، ويطفئوا نور الله الذى ربا فى الضياء والاشتعال وأزال دياجر الإشراك والإضلال . فخرج رؤساؤهم الفجار وقوادهم الأشرار وهما جماهر كبير الرجبان وحويل كبير الوداعين ذوى العصيان ، فعمدوا إلى رئيس نجران وأخبروه بجميع ما كان وبثوا له ما جرى عليهم من أهل الايمان ، وشكوا عنده بث الهموم والأحزان وندبوه على إغاثتهم سريعا من غير توان وأخبروه أنه إن لم يبادر إلى حسم هذه المادة ويقطع السير والسلوك فى هذه الجادة ، وتصير أسنة عزمه مشحوذة حادّة وأهل الدين من فرط حده وحدّته نادة ، فليس والله دون بلدانك والهجوم عليك فى أوطانك لنا فئة مانعة رادّة ولا جنود لهم مصادرة صادة ، فاختر لنفسك قبل اتساع الخرق على الراقع وراموا من عداوتهم وسخف عقولهم مدافعة النازل الواقع والمقدر فى سابق الأزل فليس له من الله دافع . فتعالى وتقدس من لا تحيط بغيبه النهى ويقف إذعانا لهيبته المخلصون فيما أمر ونهى ؛ فلما سمع الرئيس مقالهم الفظيع وتخويفهم الشنيع سرى إليه الرعب والوجل ومزج شغاف قلبه ودخل وغره الشيطان والنفس والأمل وما رأى من الخول ومن يسير معه حيث سار من الدول فعز ربنا وجل حيث لم يأخذ الظالم على عجل ولا يدعه أيضا هملا بل ينتقم منه على مهل فيما قدر له من الأجل ، فنهد إلى تلك الإجابة واستدعى للسير أصحابه وأزمع على ذلك طلابه فكان ولله الحمد الذل غايته ومآبه ، فسار مجدّا يريد سرعة الوصول

حتى يفوزوا بالمأمول فنزل على الرجبان والوداعين الذين كانوا لمجيئه من الساعين، فاجتمع عنده خلق لا تعد ولا تحصى ولا تحسب ولا تستقصى، فحين رأى تلك الأمم سلك معهم ذلك الأمم وارتحل بمن معه ممن نهج مناهجه. فسار حتى نزل على الحنابجة فتراموا معه من بعيد واقتتلوا قتالا شديدا، فلم ينل منهم ما يريد وأقام على هذه الحالة يسدد عليهم سهامه ونصاله ويعد من أسباب المكر ما ينتجه الرأي والفكر وكل يوم تطلع شمسه وتغيب يجري ويصدر من القتال فيه بينهم أوفر نصيب، ولكن القريب المجيب ثبت أقدام أهل التوحيد وكان لهم معينا ورقيب وربط على قلوبهم فلم يمازجها إرجاف ولا وجيب بل كان صدر كل واحد منهم منشرحا رحيب، فلما بان له منهم الإفلاس وكان من المراد على ياس رأى أن ليس عليه في الارتحال باس، فارتحل ولله الحمد رغما على ذوي الإبلاس وأهل الضلال من الناس، فلما ذهب رئيس نجران منصرفا وولى ذليلا منحرفا ورجع إلى بلاده متأسفا وجفت قلوب قرى الدواسر فكان بعضهم إلى طلب الإسلام مبادر فطلب الرجبان من ربيع الدخول في الإسلام والإيمان، فأجابهم إلى ما طلبوا وأرادوا وعاهدوا على ذلك فزادوا واستزادوا، وأقبل جميع الوداعين وكانوا في الإسلام راغبين وتتابع على ذلك كافة القرى فأغناهم الله تعالى بعدما كانوا فقرا ولكن نفوسهم لم تكن بذلك تطيب ولم يكن لهم إذ ذاك من النور حظ ولا نصيب، ولكنهم يقولون ما برحنا حربا يصاب منا ولا نصيب، فانقادوا مستسلمين وأذعنوا للدين مكرهين؛ فلما صدر ذلك عنهم وفد ربيع وجماعة منهم على الشيخ وعبد العزيز وأخبره بما صدر، فحمد الله تعالى وشكر وقابلهم بالحشمة والإكرام وأجزل عليهم الصلة والإنعام وطلبوا منه معلما للتوحيد والأحكام، فأرسل معهم عبد الله بن فاضل فكان لوظيفة التعليم فاعل وبقوا على ذلك نحو ستة شهور ثم كان لهم عن الدين إعراض ونفور، وللشرك ورد وصدور وانشرحت لهم به صدور، واجتمع على ذلك الرجبان والوداعين وخلعوا عرى التوحيد والدين، ودخلوا فيما كان لهم معتاد وسنن الآباء والأجداد وشربوا كؤوس الغي والفساد وأقاموا على الضلال في استبداد، وجاء الخبر عبد العزيز بذلك، فجهز لهم سليمان بن عفيصان مع جيش يجاهدهم هنالك ويوردهم من الهلاك مسالك ويقحمهم منه أعظم المهالك، فسار بمن معه ممتثلا وقدم عليهم عجلا فصب عليهم من العذاب عارض سكوب وشب فيهم لظى الحطوب. ودام فيهم القتل

والقتال حتى أنكأ أهل الضلال ونكد عليهم العيش والبال وضاق عليهم الحال وعاينوا عقوبة الأفعال عاجلا من غير إمهال ، فبعد ذلك رفضوا وهانوا ورغبوا فى الاسلام ودانوا فطلبوا ذلك من سليمان ، فأجابهم من غير توان وشرط عليهم القدوم على عبدالعزيز معه فى الحال والرضى بما يريد من النكال ، فقدموا معه إلى الدرعية راضين بما يصدر عليهم من قضـية . فعاهدوا عبد العزيز على الاسلام وشرط عليهم فى عقد الأحكام ألفى ريال وألف اتفق أن نسلم فى الحال ، فالتزموا ذلك وتحملوه ووفوا به وسلموه . وفيها غزا سعود بالمسلمين أدام الله تعالى له النصر والتمـكين ، فحث سيره ومسراه وكان وصوله عنيزة هو الذى اقتضاه ورآه ، وذلك أنه نمى إليه صحيح الخبر أن بعضا من أهل عنيزة بحث عن أسباب الارتداد وحفر وتحقق ذلك عنه واشتهر ، فعند ذلك أجمع على السير إليهم وظهر ، فنزل عليهم بعد أيام وليال ومكث عندهم يستبرىء الحال ويتحقق ذلك على يقين لئلا يقدم على ما يريده بتخمين فيخالف قول رب العالمين (يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على مافعلتم نادمين) فلما لاحت له شمس التيقن والإيقان من عدول أهل الاسلام والايمان من سكان ذلك المـكان وتحقق ذلك الأمر واستبان . وكان آل رشيد من ذلك النفر والملا أمر عليهم بالجلاء وكل من لهم تابع وفى أسباب الشر طامع وأزال منها كل من يحذره ويخشاه وأمر عليهم علىّ بن يحى لاختياره ورضاه ثم انصرف راجعا . وفيها غزا سعود بالمسلمين يريد بنى خالد ، فأقام فى الدهنا يريد أن يتحسس ويتفحص الأخبار عنهم ويتجسس ، فاستقر الخبر أنهم قد أشملوا وثبت عنده فبدا له عنهم ورفض قصده وانصرف . وفيها غزا سـليمان بن عفيصان وجمع من الموحدين وكانوا لأهل قطر فى تلك الغزوة مريدين ، فأسرع فى سيره لأجل قضاء الوطر فلم يلبث أن صبح الغارة آل أبى رميح من أهل قطر ، فدهمهم فى تلك الأرض على اغترار فلم يتقدم قبله إنذار وحصل منهم للحرب بدار وجولان دون المال والأعمار ، حتى أراد الله المسـلمين عليهم الانتصار فانهزموا وولوا الأدبار وقتل منهم نحو الخمسين وأخذ جميع ما عندهم من الغنم والسلاح والأمتعة والركاب ورجع بنيل المطلوب وآب ، وفى تلك الغزوة صبح سليمان بن عفيصان بلد الجشة من الحسا فلم يشعروا إلا بعد الحرب والهم والأسى وقد ملك عليهم السور وأحاط بهم المـكروه والمحظور فانتدبوا للقتال وتداعوا المجال

ولقاء الأبطال وبذلوا الجد فى الجلاد مخافة الاستيلاء على البلاد واستئصال العباد وطال الحرب بينهم ذلك اليوم وقتلت بعض رجال من أولئك القوم . وفيها أمر شيخ الزمان وعلامة الوقت والزمان وحائز قصب السبق فى الميدان ذو الحجج التى بهرت حين ظهرت والقواطع التى صدعت حين صدحت والبراهين التى قمعت إذ لمعت وسطت على الأعداء لما سطعت ، المزيل عن التوحيد برقعه المبين لذوى الألباب حسنه وموقعه الجالى دجى الضلال والفالى للغواة الضلال ، كاشف غيهب البدع والإشراك القائم فى ذلك حسب الطاقة والإدراك وليس بمداهن فيه ولا تراك ناهج منهج البيان والصواب محمد بن عبدالوهاب — المسلمين أن يبايعوا سعودا على الإمارة بعد أبيه أطال الله تعالى عمره وصرف عنه السوء وأجاره وكثر جنده وأنصاره ومد فى أجله طول الأمد وأنجح له ما أراده وقصد ، فنهض إليه كافة الناس وتناوبت البيعة أنواعا وأجناس وأعطوه الصفقة المحققة من غير التباس ، فاتضح له نهجها واستبان حتى بايع على ذلك كافة أهل التوحيد والإيمان وتعاقدوا على التزام الطاعة بالإيمان فثبتت له عند ذلك الإمارة واستمرت وحققت له بعد والده واستقرت وكانت بيعة معلومة مشهورة متقنة بأحكام الشرع معدودة ، مؤسسة دعائمها على القانون المطلوب الشرعى والمنهج المرغوب المرعى لاينازعه أعاذه الله من ذلك إلا شرير ظالم ولا يقوم عليه إذ ذاك فيها قائم إلا وهو متعمد غاشم وصل الله تعالى بالائتلاف حبلهم وجمع على المحبة والاتفاق شملهم وأجارهم عن ركوب خطر الاختلاف وانتهاج منهج القطيعة والاجناف وحماهم عن الوقوع فيما دمر أولئك الجموع وأخلى منهم المنازل والربوع وطهر عن الشحناء قلوبهم وأنالهم سؤلهم ومطلوبهم وذب عنهم مادب فى الأمم قبلهم من الحسد الذى أهلك الديار وأهلها ، فلم يبق منهم على أحد وذلك بعد ما عرف أبوه حاله ومسيره وتحقق سيرته واختبره فترجح عنده بيقين العلم والفهم على التحقيق والجزم ما شرف به من الدهاء والحزم وما خول من السياسة والعزم وما تلألأ فى غرته من طالع السعادة وما لاح فى جبينه من بارق السيادة وما عاناه فى رفع منار الهدى من مصادمة أهل الردى حتى رفع الله تعالى به الملة الوسطى عمودا وعاد معينها بعد ما كان آجنا مورودا وأورق به غصن الحق بعد ذبوله وأسفر قمر التوحيد بعد أفوله فرآه أهلا للسياسة وكفؤا لمنصب الرياسة فحمل أعباءها كاهله فكانت إليه آيلة آهلة . وفيها غزا سعود بالمسلمين

فوافق البيعة أسلاف من عنزة مجتمعين وكانوا إذ ذاك بأرض قنى من نجد مقيمين ولم يكونوا أوائلك نتيجة سيره وقصده ولكن عرضوا له فى طريقه وجده وغنمه الله تعالى لإسعاده وسعده . فلما رأتهم من المسلمين أولو التقدم والسبق قالوا هؤلاء أتوك وفق وعرفوهم على اليقين والتحقيق وكان هذا الطريق أعين طريق فقد نالوا منه مرادهم من غير نصب ولا تعب ولا تعويق ، فشن عليهم الغارة المسلمون وأتوا من حيث لايظنون فتبادر من عندهم من فارس وشجاع وانتدب إلى الإفزاع وتسربل للطعان والدفاع ولاحق من عندهم من العدد ولم يبق منهم أحد ومنتهم أنفسهم الغرارة أنهم يقمعون أهل الغارة فطاعنوا زمنا يسيرا ورأوا أن ذلك لايجدى ولا يضير وليس دون الفرار من مصير ولقد صدقوا فى العزم والأفعال ولكن عادة الله تعالى فى أهل الضلال سرعة الخذلان والإذلال فانهزموا على الأعقاب وليس لهم دون الذلة والخزى من مآب وقتل منهم فى ذلك المجال عدة من الرجال وغنم المسلمون منهم غنيمة كثيرة من أنواع المال . وفيها غزا سليمان بن عفيصان مع جمع من قومه أهل الإيمان وقد أمره عبد العزيز أن يغزو من الحساء العقير فحث لذلك القصد والمرام والسير ، فأسرع فى ذلك المنهاج وطوى تلك الفجاج حتى وصل إلى ماء حرض فإذا عويس بن عفيان مع غزو أهل الحمامة خارجا من الحسا قد عرض وكانوا نحو الخمسين وقد خرجوا من الحساء مغترين وبلدان المسلمين مريدين . فالتقى معهم أهل التوحيد ونازلوهم منازلة الأبطال الصناديد فبذلوا دون أعمارهم الجهد الجهيد وأبدوا من الاقدام ما ليس وراءه مزيد فأحانهم القوى المتين فقتلهم المسلمون أجمعين كذلك نجزى القوم الظالمين فأخذوا ما معهم من ركاب وسلاح ثم سار لقصده فرحا مرتاح ، فجد السير حتى صبح العقير فأخذ ما فى الخان من الأموال وصعد القلعة من فيه من الرجال فأقاموا فيها متحصنين وأصبح بيوت الجريد به محرقين . أضرم فى جميعها النيران سليمان بن عفيصان .

ثم دخلت السنة الثالثة بعد المائتين والألف . وفيها غزا سعود بلغه الله تعالى المقصود ومعه جموع كثيرة هائلة وجنود لايحصى لها عدد ولا يحصرها أحد . وتوجه يريد بنى خالد وكان على لقائهم جاهد فجد إلى مراده السير والسرى وطرد عن عيونه فى ذلك الكرى حتى أراد الله تعالى أن يلتقى الجمعان فى أرض بنى خالد بمكان وكانت جموع بنى خالد قليلة العدد وأكثرهم متفرقون فى أرض تلك البلد ووافى منهم من

العربان والأسلاف قوم دويحس وعبد المحسن من غير خلاف ، فلما طلع عليهم سعود وجنوده كان كل منهم الهروب مقصوده ولم يعزموا على إقامة وبقا فضلا عن مقاتلة ولقا ولكنهم برحوا تلك الساعة يدبرون من الرأى فسيحه واتساعه فأسرعت إليهم من تلك الجنود فرسان وناوشوهم بعض الطعان ولم يطل بينهم ميدان ولم تتفق محاولة طويلة بين الفرسان وكان ذلك لموجب وشان ، وذلك أن سعودا حرسه الله تعالى أمر له فى ذلك اليوم أن بعض من عنده من القوم يريد الخيانة لبنى خالد وأنه على ذلك مواعد وتحقق ذلك الإخبار فلم يكن له إلى اللقاء اختيار فسأل الله تعالى ودعاه واستخار فأرشده لخيرته وإرشاده وهيأه إلى إرادته وإسعاده ، فانصرف راجعا إلى بلاده ومن بلدان أهل القرى فأخذ ما عندهم لبنى خالد من الزاد وقتل عيونا قبل الملاقاة لعبد المحسن ، ولما رجع سعود مع ما أتى معه من تلك الجنود ولم يلتق مع تلك الشرذمة القليلة كان ذلك إلى طغيانهم وعتوهم وسيلة وعلى فنائهم وإذلالهم حيلة وأى حيلة ، ولكنها لم يحكم الرأى لها عقدا ولم ينظم الفكر لها عقدا ولا أحسن إبرامها التدبير بل القضاء والتقدير . وفيها غزا سعود حرسه الله تعالى بالمسلمين الحاضرة منهم والبادية بعد ما بعث إليهم بالجهاز مناديه فأسرع كل منهم إليه مباديه ، وسار حتى نزل خفيسة الدحانى ينتظر من قومه القاصى والدانى ، فلما اجتمعت الجيوش عنده أرسل إلى والده يبين له قصده ويشير عليه بما يشاء ويريد لأن أباه مبارك الرأى رشيد ، فأشار عليه إلى ثوينى بالوصول فعسى أن يحصل منه المأمول ، فسار إلى ذلك المراد يريد أولئك الشداد وجاءته فى أثناء طريقه عيونه حتى تخبره بتوفيقه ، فأعلموه أن جميع الأعدا وأهل الزيغ والردى كلهم على حمض مجتمعون ، فعجل إليهم لئلا يكونوا بمجيئه يعلمون فلم يجتهر أحد قبل الغارة فكانت لهم هى النذارة ، ولما أقبلت عليهم فرسان الإسلام كان لبنى منتفق إليها بأس وإقدام وسرعة اختلاط والتحام ، فانكسرت فرسان المسلمين فأمر عليهم سعود أن ينيخوا أجمعين وأخبر أهل الدين والإسلام أن ليس عنا إلا الصبر على ما قدر العلام وتجريد مواضى العزم والهمم ، فعاقبة الفشل والفرار تذم ويحصل بها لفاعله الندم ، فوطنوا أنفسهم على الزحام وعرفوا أنهم على إحدى الحسنيين الغنيمة أو دار السلام ، فاصطفوا ميمنة وقلبا وميسرة وأقبلت تلك الجموع تصادم كلا منهم فلم يلفوا على المسلمين مقدرة وقد بذلوا دون الهزيمة المعذرة فلما لم يجدوا بدا إلى العز والسلامة

وعرفوا أنهم مهما أقاموا ذاق كل منهم حمامه فامتطوا الأقدام فى الفرار والانهزام ولم يصبروا على الزحام ، وكل من أولئك الشجعان رضى بالذل والهوان وأرخى له الأرسان وطاع بها قهرا من غير إذعان، فغنم أهل الدين والإسلام ما معهم من جميع الحطام على كثرة أجناسه وأصنافه وفرط تباينه واختلافه من بعض الخيل والأثاث والأمتعة والخيام والصيوان المشهور الأعلام ، ولما حقق الله تعالى لسعود الإسعاد وأناله من أعدائه المراد وأراد الانصراف إلى البلاد ظن كافة غزاة المسلمين أنهم يصيرون لقرية واردين بل جزموا بذلك وتحققوه على اليقين لكن أراد أمرا فأراد الله ضده ليخذل الباطل وجنده ويظهر شرف من أراد عزه ومجده، فلما أناخ سعود الراحة فى القائلة كانت نفسه عن ورود ذلك الماء مصروفة مائلة وبدا له عن ذلك الطريق لما أراد مولاه له التوفيق وأعرض عن ذلك المراد ، فلم يكن له إليه إلمام لما أراد الله له العز والإكرام فلما استقلت به راحلته وثارت وصرف وجهها إلى غير قرية بهتت الغزاة وحارت ووجلت قلوبهم من ذلك وطارت ، فبادر إليه صالح أبو العلا وأخبره بتململ أولئك الملا ، وكان أبو العلاهو الدليل فأخذ يلاطف سعودا ويستعطفه ويستميل حتى أعلمه أنه يريد الشرب من الوفرا ليقضى الله تعالى له أمرا ، فلما علم الدليل ذلك الحال واستولى منه صحيح المقال أخذ يشدد ذلك عليه ويعسر المسير إليه وقال له وهو فى ذلك صادق تصل إلى بلادك فى أحسن الطرائق قبل أن تصل إلى ماء الوفرا فاختر لنا ولنفسك الطريق الأحرى ، فلم يجد فيه ذلك الكلام فسار حتى ورد الماء تلك الأيام فشرب من الوفرا ونوى بعدها الحفر وجد فى سيره يريد الورد والصدر حتى إذا توسط وقارب البيد عن لهم أن على ماء الحفر طلبا رصيد وحزبا يريدهم قعيد ، فعلم الله حالهم فلطف بهم وأنالهم وسقاهم من فيض السحاب شؤبوب وأمطرهم من الرحمة عارض سكوب فاستقوا من ذلك العذب الزلال فطاب لهم الحال ولكن لم يعد خطتهم ذلك الوابل بل كان لإغاثتهم نازل ولريهم هامل ، فنزل عليه يريد جميع الغنيمة فساق الله تعالى من أياديه الكريمة وأهدى له من مواهبه الجسيمة ركبا من آل سحبان كبيرهم ابن مغجل فقتلوا أجمعين وكانوا قريبا من التسعين، ثم انصرف إلى بلاده مؤيدا منصورا مأنوس القلب مسرورا ورايات الإقبال عليه خافقة والألسنة بتوفيق الله له ناطقة . وفيها غزا سعود أناله الله تعالى مراتب السعود فسار بالمسلمين

يريد الاحساء فحث السير لذلك المرام والهجوم على أولئك الأنام حتى أشرف على البلادوظهر لهمنها السواد والقتام ، فأناخ على المبرز حين غطى الضياء الظلام واستحكم السكرى والمنام فى مقتل أولئك الأنام ، فلم يتبين من النهار ضوءه وبياضه ويبد من إظلام تقشعه وانتهاضه حتى بدت خيله وحماته وشهرت أصوات البنادق رماته وقد كانوا قبل ذلك الوقت والأوان محيطين بفريق العتبان فحينما نهضوا يريدون الأصوات أجاد كثير منهم أولئك الرماة ، فلم يكن لهم سبيل إلى الخروج بل كانوا إلى السطوح فى عروج فدافعوا عن الدخول والهجوم، فلم يكن للمسلمين عليهم إقدام بعد القدوم ثم بعد ذلك اجتمع أهل المبرز فخرجوا إلى الفضاء وجالوا مع المسلمين ساعة ثم رأى سعود الانصراف عنهم وارتضى وأحكمه واقتضى فكره فانصرف عنهم وسر بالهفوف ولم يرد عندهم وقوف ثم مضى من ساعته يريد الوصول إلى قرية الفضول فأناخ عليهم وسط النهار وشمر للحرب معهم الإزار وأحاطت أجناد الموحدين بأولئك القوم المبطلين وأحدقت الفرسان والرماة والأبطال بقرية أهل الزيغ والشرك والضلال وغطاهم من فوقهم سحاب الهلاك وحان لهم الاستئصال والإهلاك وأمطرهم من غيم العذاب عارض فكان لنفوسهم الخبيثة قارض وراموا المسلمين دفعا وظنوا أن البلد تنال بهم امتناعا ومنعا ، فجدوا واجتهدوا كافة ودعوا آلهتهم كما هو عادتهم عند المخافة ورفعوا أكف الدعاء والسؤال وأخلصوا التضرع والابتهال إلى من لم يفرج عن نفسه أدنى الكروب فضلا عن كونه يدفع النوائب والخطوب ؟ فلما فرغ سعود من صلاة المسا هب له نسيم الصبا فزال عنه الأسا ودعا ربه بحضور قلب وبال أن يحسن له العاقبة والحال ويمكنه من هؤلاء الضلال ، فاستجاب له ربه دعوته وعجل له طلبته وأنجح له سؤله وحقق له مأموله فنهد إليهم مسرعا ونهض ، وحفه النصر وأقبل عليه الإقبال وعرض ، فشدوا على القرية الحملة فانتدبوا إلى الفرار جملة ، فلم يلفوا لهم هداية ولا توفيق لكون المسلمين قد ملكوا عليهم كل فج وطريق . فعند ذلك كلهم راموا الاختفاء فى البيوت والدور فنزل بهم قضاء الله المحتم المقدور وحل بهم الأمر المشهور فدخل عليهم فى تلك المنازل فوردوا من الحمام أمر المناهل وشربوا منه كأسا وأنزل الله تعالى عليهم بأسا ، فقتلوا قتل النعم وسحبوا سحب البهم وكان أكثر الرجال وجدهم المسلمون وهم فى بيت من البيوت مجتمعون وكانوا ثلاثمائة نفس فقتلوا جميعا من غير لبس وقتل غيرهم

ذلك اليوم ممن اختفى من أولئك القوم ، وأخذ المسلمون جميع ما فى القرية مما ينقل من المال وأنواع السلاح والحيوان والأمتعة والأوانى وبعض الطعام شىء له بال وانصرف سعود إلى بلاده راجعا وقد كان عسكر الحساء ذلك اليوم مقيم ، فلما برزوا أراد منهم المسير إلى الفضول مع جميع أهل المبرز فأبى كل منهم وما آحرز بل أبدى الذل والرعب وأبرز ونادى على نفسه بالجبن والذلة ورضى لها بالمذلة. وفيها توفى الشيخ عيسى ابن قاسم وكان بنشر الدين مجدا قائم ولتعليم الناس ملازم رحمه الله تعالى .

ثم دخلت السنة الرابعة بعد المائتين والألف. وفيها وقعة غريميل ؛ وذلك أن سعودا حرسه الله تعالى وأسبغ عليه نواله ووالى جميع المسلمين ومن لهم من البوادى والعربان وسار معه بعض بنى خالد الجلوية مثل زيد بن عريعر وقصد بنى خالد وجد فى ذلك الشان وجاءت إلى بنى خالد بذلك الأخبار وأسرعت قبله إليهم الأنذار فأرسل عبد المحسن إلى أهل الحسا يريد منهم الدول وحثهم على ذلك فلم يطع قوله ولم يمتثل وحاولهم أخوه ثواب وخوفهم فلم يجد فيهم ، فانصرف منهم على عجل بخيبة القصد والأمل فنزل بنو خالد بأرض غريميل المعروف وكانوا حينئذ جماعة كثيرة وصفوف يزيدون على آحاد الألوف ، وأقبل سعود بأهل التوحيد فنزل تجاههم بتؤدة وتأييد فتقابلت تلك الصفوف وتقاتلت تلك الألوف وبرحوا أول النهار فى تجلد واصطبار وجولان بينهم وطراد ومناوشة بعض وجلاد حتى بان وقت العصر وحان وأديت فريضتها على سكينة واطمئنان ونشق أهل الدين نسيم الصبا وسبق كل منهم إلى الجلاد وصبا وباعوا على الله ثمين الأعمار آخر ذلك النهار ، فصبر عند ذلك بنو خالد ورام كل منهم أن يقاتل دون ماله ويساعد ، فلم يكن المولى لهم مساعد فزحزحهم المسلمون عن مصافهم العالية وأمست رمتهم عن مواقفهم جلية وأمسى المسلمون لأعقابهم تالية وانهزم جميع تلك الأمم ولكن أقبح فرار ومنهزم ، فانحدرت الرماة من رفيع تلك الآكام مشمرة فى الفرار والانهزام ، وملك المسلمون محلهم وشتت الله شملهم ولم يبرحوا بعد ذلك النزول والانحدار فى تشمير الساعد والإزار للانهزام والفرار وكانوا آخر نهارهم وبقية ليلهم إلى أسحارهم فى هزيمة وانكسار وضياع أموال ودمار . لا يلوى أحد على ماله وأهله ولا يروم سوى نجاة عمره لقبح فعله وحق للمسلمين ولله الحمد عادة الله ووعده وعمهم فضله وإحسانه ورفده وتفضل عليهم بتلك الغنيمة

العظيمة فخووا تلك الأموال الجسيمة ولكن سعودا نهج معهم منهج الكرم المعدود وأحسن فيهم السيرة ولم يؤاخذهم بما سلف منهم من الأمور الكبيرة وسابق تلك الجريرة وما راموا من الأمور الضريرة، فما جار فيهم ولا قطع بل أعطى ومنع ووصل ورفد ولم يعاقب منهم أحد، وأسدى إليهم المعروف وتطول وأبدى إحسانه عليهم وتفضل واختلف حال أولئك العربان بعد ماحق عليهم الذل والهوان فبعض صار وجهه من ساعة الهزيمة الفرار إلى الأحساء فازداد هوانا وتعسا، ولم تزل فرسان الموحدين في أثرهم طالبين ولأكثرهم مدركين فلم ينج بما عنده إلا القليل مثل ابن جرذي وغيره فما كان عليهم من سبيل وبعض صار وجهه إلى سيف قطر وذلك عبد المحسن وعيال عريعر الذين معه وبعض من جماعتهم فكل قصد الزيارة، وصدر واختارها لنفسه بعد التأمل والنظر والفكر، وأكثر أهل البوادى والعربان اختاروا الاستقرار في الحساء والاستيطان فشمروا في طلب الأمان من سعود والدخول في حوزة أهل الإيمان فأعطاهم ذلك وأنالهم فأدركوا منالهم، ولما انقضى شأن غريعل كما سطر. وقيل أراد سعود حرسه الله تعالى من زيد بن عريعر أن يسير معه إلى الحساء حتى يقيم فيها علم التوحيد والدين ويزيل ما فيها من بدع المبطلين، ويحقق على أهلها العهود في الدخول في الطريق المحمود حتى يستمروا على سنة خير المرسلين ويقلعوا عما كانوا عليه من سنة آبائهم الذين كانوا لهم مقلدين وبآثارهم وآصارهم مقتدين فأبى عن ذلك وتعلل وتضجر وتململ. فأراد سعود إليهم الوصول حتى يتم المقصود والسول فارتحل من ذلك المكان يريد ذلك الشان، وفي أثناء ذلك الطريق عن في قلبه أمر وخطر صرفه عما إليه بدر فشمر للظهور وال نجد فظهر. وفيها غزا ربيع المسمى قاعد بجماعة من قومه فشمر لعزمه الساعد وسار بمن معه وساعده وتبعه يريد بعض البدوان ممن صد وأعرض عن الإيمان، فلما أشرف على بنى هاجر وكاد أن يكون عليهم غائر وجمعهم مشتتا كاسر سول الشيطان لأكثر من معه من البدوان وغزاة العربان أن يخلعوا حلة الدين ويفتكوا بالمسلمين، فلما أغار على عرب بنى هاجر انخذل عنه أكثر من كان معه سائر وصار غالب أهل البادية على من بقى معه عادية ولم يثبت مع جيش المسلمين سوى ابن قرملة وأحمد بن نجان فكان لهما ثبات على الإيمان، فعند ذلك اشتد الكرب والبلا على المسلمين من ذلك الملا ووقع بينهم القتال وحمى بينهم

المجال واستمر الطعان والضرب واشتد الخطب والكرب من آخر النهار إلى هزيع من الليل والأبطال تقحم فى ذلك المعرك الخيل ، فقتل من المسلمين نحو العشرين وأخذوا منهم مثلهم مأسورين وكانت تلك الوقعة تسمى الليلية عند أولئك البرية فبعد صدور تلك القضية طمعت فى الردة النفوس الشريرة وأهل الأفعال الردية ، فارتد جماهر وحويل ومن معهم من الأقوام وعدلوا عن مناهج الإسلام. وفيها أرسل غالب الشريف إلى عبد العزيز حرسه الله تعالى كتابا وذكر فى أثنائه أنه يريد إنسانا عارفا من أهل الدين حتى يعرف حقيقة هذا الأمر المبين ويكون فيه على بصيرة ويقين ،فأرسل إليه عبدالعزيز الحصين كى يشرح له بلسان الخطاب وجه الحق والصواب ويزيل عن محياه النقاب فيبدو عند ذلك لألأ السنة فيدعو حينئذ لمن أوضح هذا السبيل وسنه وكتب معه الشيخ إليه رسالة بين فيها دعوته ومقاله : ونصها بعد البسملة من محمد بن عبد الوهاب إلى العلماء الأعلام فى البلد الحرام نصر الله بهم سيد الأنام عليه أفضل الصلاة والسلام وتابعى الأئمة الأعلام ، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد جرى علينا من الفتنة مابلغكم وبلغ غيركم وسببه هدم بنيان فى أرضنا على قبور الصالحين ومع هذا نهيناهم عن دعوة الصالحين وأمرناهم بإخلاص الدعاء لله ، فلما أظهرنا هذه المسألة مع ماذكرنا من هدم البناء الذى على القبور كبر على العامة وعاضدهم بعض من يدعى العلم لأسباب ما تخفى على مثلكم أعظمها اتباع الهوى مع أسباب أخر فأشاعوا عنا أنا نسب الصالحين وأنا على غير جادة العلماء ورفعوا الأمر إلى المشرق والمغرب وذكروا عنا أشياء يستحيي العاقل من ذكرها وأنا أخبركم بما نحن عليه بسبب أن مثلكم ماروج عليه الكذب على أناس متظاهرين بمذهبهم عند الخاص والعام فنحن ولله الحمد متبعون لامبتدعون على مذهب الإمام أحمد بن حنبل وتعلمون أعزكم الله أن المطاع فى كثير من البلدان لو يتبين بالعمل بهاتين المسألتين أنها تكبر على العامة الذين درجوا هم وآباؤهم على ضد ذلك وأنتم تعلمون رحمكم الله أن فى ولاية الشريف أحمد بن سعيد وصل إليكم الشيخ عبد العزيز بن عبد الله وأشرفتم على ما عندنا بعد ما أحضروا كتب الحنابلة التى عندنا عمدة كالتحفة والنهاية عند الشافعية، فلما طلب منا الشريف غالب أعزه الله ونصره امتثلنا وهو إليكم واصل ، فإن كانت المسألة إجماعا فلا كلام ،وإن كانت مسألة اجتهاد فمعلومكم أنه لا إنكار فى مسائل الاجتهاد

فمن عمل بمذهبه في محل ولايته لاينكر عليه وأنا أشهد الله وملائكته وأشهدكم أني على دين الله ورسوله وأني متبع لأهل العلم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، فقدم عبد العزيز الحصين مكة المشرفة فأكرمه غالب وشرفه واجتمع معه مرات عديدة وعرض عليه رسالة الشيخ المفيدة فعرف مابها من الحق والهدى وما نفته من الباطل والردى فأذعن بذلك وأقر ثم بعد مدة أبى وكفر وتمسك بقديم سنته وأصرّ وطلب منه عبد العزيز الحصين أن يحضر العلماء معه فيقف على كلامهم ويسمعه ويناظرهم في أصول التوحيد فأبوا عن الحضور وقالوا هؤلاء الجماعة ليس عندهم بضاعة إلا إزالة نهج آبائك وأجدادك ورفع يدك عن معتادك وجوائز بلادك ، فطار لبه وارتعش قلبه .

ثم دخلت السنة الخامسة بعد المائتين والألف . وفيها غزا سعود أدام الله له السعود فسار بالمسلمين وجدوا السير مشمرين وأنضوا الجياد والركاب في ذلك التسيار والذهاب ، ولم يزل يعنق وينص في ذلك السير حتى قارب أن يشرف على عربان من مطير كبيرهم الحميداني وأسلاف آخرون في أرض الجريسية مجتمعون وقد سبق إليهم الإنذار ولكن لايرد الحذر الأقدار فعجلت لهم قبلة وكانوا مع ذلك على مهلة ، فرحلوا وهجوا وجدوا فيه وعجوا ونادوا بالويل وضجوا ، فلم يكن لهم عن الأقدار من مطير ولا فرار فخانهم بأرض الجريسية الجبار وخانهم كما هو عادته الغرار فصبحهم الجند الكرار والحزب الذي هم ليسوا في اللقاء فرار والعصابة التي هم للدين أنصار وللتوحيد حماة وأعوان وأصهار ، فحاولت تلك البوادي أن يردوا الفرسان العوادي وجالوا معهم في الميدان وصار بينهم قتال وقتل وطعان حتى علاهم البأس الشديد والهلاك الأكيد من حماة التوحيد فأخذوا غير بعيد ونفذ فيهم الوعيد فانهزموا أجمعين واستولت أعقابهم خيل الموحدين وقتلوا منهم نيفا وخمسين وغنم المسلمون مامعهم من الأموال من الأمتعة والأثاث والزاد والغنم والآبال ورجع المسلمون بنيل الآمال . وفيها مات عبد العزيز بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب أحسن الله تعالى له المآب . وفيها أظهر الشريف غالب كيدا لم يظهره قبله محارب ورام أنه لأمر الله غالب فقاد من الجيوش والأحزاب والحضر والعرب والأعراب ما لا يكاد يحصر رقمه القلم في كتاب وحشد البدوان من كل شعب وفج وساقهم من كل واد ونهج وجمعهم من كل ناحية وبلاد فأقبلوا يهرعون إليه من كل واد وجاءوا بأهبة واستعداد وسارت له الرسل والركبان إلى

جميع القرى والبلدان تطلب العون والنصرة والكل ساعده وأنجح أمره ؛ فلم يدع بلدا ولا قرية له أو حوله أو يظن منها الإعانة إلا أرسل إليها فورا رسله وركبانه ووصلوه بما يصلح شأنه ويقوى تجبره وتكبره وشيطانه وتمالأ معه الخلق كافة وما كان لهم من الله تعالى مخافة بل جدوا معه وقاموا وسهروا فى منامهم الليالى وما ناموا فياخيبتهم وما طلبوا وما راموا أيحارب رب العزة والجبروت ومن بيده الملك والملكوت ؟ أينادي بالحرابة أصل الإسلام ؟ أينادى على هدم أساسه جميع الأنام ؟ أيسعى بالوهن إلى حمى التوحيد ويتداعى على إزالته بعد التشييد ؟ أينسلون إليه من كل حدب وينسل له ذوو الحاجة والأرب ولا يهاب جناب الرب ويرتقب . كلا لقد عميت الأبصار والبصائر وانسد نهج الإنصاف فليس إليه عابر وعدل عن منهج البيان فأضحى محياه غابر وتركت عين الشريعة فكاد نميرها أن يكون غائر حاموا على سلف الجدود والأبوة وبذلوا فيها النجدة والفتوة وتمسكوا فى الحقيقة بتلك السنة والطريقة والتزموها أشد التزام ، فلم ينكفوا عنها على الدوام رخص عندهم فى استقامتها نفيس الحطام وهان لديهم فيها البذل والتسلم والاستسلام بل رخص عندهم ماهو أعظم وأجمل وأفخم وأكمل وأجل وأعلى وأرفع قدرا وأغلى الأعمار وجواهرها وأرادوا المناصب وظواهرها فهانت عندهم الرقاب والأعمار وركبوا لها ركاب الأخطار وطرحوها فى ميدان القمار وألقوها فى ذلك المضمار فكانت عقباهم الخسران والدمار ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله وكل يجازى بفعله ، فلما رأى ما اجتمع فى فنائه ورحابه وما نزل فى أوديته وشعابه وما ضمه إليه تطلاب ركابه من أولئك الخلق والجموع والأسباب والملا الذى طبق وأوسع الفجاج والفلا ركض برجله وتجبر وعلا وشمخ بأنفه واعتلا وزين له الشيطان أملا وسعى إليه عجلا وتحكم فى قلبه أبو مرة ونفذ فيه غيه وأمره وزخرف له مكره وغدره وحقق له فى مرامه سولا وحثه على التسيار وصولا وكان ذلك إلى تسويلة حيله ، فأسرع إليه وحرض عليه قبيله فبادروا إلى الخروج وسعى إلى ذلك المنهج المنهوج وأظهر سريعا امتثال الطاعة لما رأى عنده من قوة الأسباب والاستطاعة فكانت ولله الحمد بضاعته أخسر بضاعة فلما آن أن يبدو لظهوره شموس وحان أن يتبين فى جبينه نحوس وخسف فى أفقه نجم سعده ويكسف بدر توفيقه ورشده ويقف الخلق على ما أملوه من نجاح ونجح أبصارهم خاسئة بعد مطالعتهم لبركته ويمنه وجده

ومشاهدتهم فلول صارم عزمه وجده وأفول كوكب عزه ونصره وفقده فقد جزموا وحكموا
وفهموا وعلموا أنه يفتح نجد بنجده ويكسر حزب الموحدين بأسبابه ووجده والأسرار
التي وصلت إليه من جده (سبحانك هذا بهتان عظيم) يشهد به كل ذي علم عليم وقلب
على الحق مستقيم ، جهز عبد العزيز الشريف مع كثير من تلك الأجناد والأمم وعجله
في المسير إلى نجد فسار إليها وأم ، وانثالت أيضا إليه من الأعراب قبائل وأصبح كل
سوادهم إليه نائل وأقبلوا بأجمعهم إليــه عاجل وارتد كثير من أسلم لأجل ذلك
التسيار والسير منهم حسين الدويش وعربان من مطير وتظاهر بأسباب الردة في كل
بادية وبلدة خلق كثير لا يحصون ولا يعدون ولا يستقصون ، وبدا للشرك دخان وضرام
وعلا منه بالأفق قتام وجنح إلى الضلال بعد الإسلام من الناس فئام وتبين العناد جهرا
والشقاق ونفق والله سوق النفاق بل نجم وقام على ساق ، ولــكن ولله الحمد لم يحصل
لأهل ذلك مراد ولا اتفاق ، ولم يبد لشمس مطلوبهم إشراق ، بل شاهدوا من الهم
والغم على نصرة الدين وأهله ما أوصل أرواحهم إلى التراق وأسقاهم من صرف الأسف
والحسرة كأسا مريرة المذاق ، فلم يبرحوا حتى الساعة في قيد من البلا وأعلاق ، وأسر
دائم وإقلاق حتى يكون من الثرى تحت أطباق ، فسار عبد العزيز الشريف مع تلك
العربان وكافة الأعراب والبدوان وأكثر الأسلاف إذ ذاك معه قحطان فنزل سريعا
على قصر في السر يقال له قصر بسام ولم يكن فيه إلا قريب العشرين من الأنام ، فأناخت
تلك الجموع حوله وكان لهم عنده ضوضاة وعوله وأصوات وزعقات وجلبة هائلة
وضجات ، وحملوا على ذلك القصر أعظم حملات وراموا الصعود إلى تلك الشرافات
وراموا الأسباب والسلالم والـكل على التسور عازم ، فأبعدهم الله تعالى عنه وأزاحهم
منه فصارت تلك الحملات عليهم خزيا ونقمات وأعقبتهم هوانا ومذلات ، فلم يدرك منهم
فائدة ولم يحصل على مراد ولا عائدة ، فانصرف خاسئا ذليلا وأقام في أرض السر زمانا
طويلا نحوا من أربعــة شهور ينتظر من أخيه غالب الظهور وفي أثناء تلك المدة
المذكورة والإقامة المسطورة عزم على الرجوع إلى ذلك القصر والعود فرجع إليه فلم
ينل ما أمل من الربح والفود ، فلما نزل عليه وأناخ حواليه عزم ، وآلى وأقسم بالله تعالى
أن لا يبرح عنه حتى يقتل أهله ويخرجهم منه وعزم على ذلك الأمر وصمم على اليمين
فجزم جميع من معه أنهم يستولونهم على يقين وينالون منهم التولي والتمكين ، فدهموا

بالسلالم الجدار محتدين ولبس الدروع من يريد الصعود لأجل التحصين وأتوا ذلك اليوم بكيد أزعج ألباب أهل الدين ورعبت قلوب الموحدين ولكن أراد الله لهم النصرة والتمكين وإعلاء كلمة المسلمين ونجاة عباده المؤمنين فظهرت حكمة رب العالمين وبان خزى المبطلين وتحقق حينئذ أهل الإيمان والإسلام أن جميع الأنام لا يقدرون على إيجاد ذرة فضلا عن إيصال مضرة فزادهم إيمانا مع إيمانهم وأقرهم فى أوطانهم ، وقد قتل من جماعة الشريف وقومه فى المرة الأولى والثانية فى يومه رجال كثيرة وصارت حاله فى الذل شهيرة ، وفى أثناء تلك الليالى والأيام أمر عبد العزيز الإمام أهل الإيمان والإسلام أن يجردوا مواضى العزيمة ويصدقوا النية فى الجهاد لذى العطايا الجسيمة فقد أقبلت إليكم الفتنة العظيمة والمحنة التى أرجو أن تكون لكم منحة عميمة وأرسل بهذا الإعلام والإخبار إلى المسلمين فى جميع الديار وحثهم على سرعة المجىء والتسيار فأقبلوا بعد الجهاز إليه وأمر سعود بالظهور فظهر ونزلوا عليه وأقام سعود فى أرض رمحين عند البلدان حتى تلاحق به جميع أمداد أهل الإيمان ثم بعد ذلك أمر حسن بن مشارى مع بعض البادية أن يغزوا تلك العربان المعادية التى هى بالشر مبادية فنهضوا سراعا ، فلم يفجأ بعض العربان التى مع الشريف إلا بالخيل العادية ، فأخذوا بعض الإبل ورجعوا بعد حصول الأمل ، وفى تلك الأيام أرسل سعود حرس الله مجده وخلد سعده نغيمشا مع جمع من المسلمين إلى أهل الوادى لكون أكثرهم عن الإسلام مرتدين وهم قوم حويل وجاهر ، وقد أرسل إليهم غالب الشريف بعض العساكر وأمر فيهم شريفا يسمى شاكر وكان أكبر تلك الأقوام بنى هاجر ، فسار نغيمش لذلك السبيل ولم يكن له دون ربيع ومبارك من تأميل ولا مرام ولا تحصيل ، فأسرع بهم اللحاق وحصل بهما له الاتفاق واستضاءت بقدومه لأهل التوحيد تلك الآفاق فلما قدم تلك البلاد شمر مع ربيع ومبارك ومن معهما للجهاد فخرجوا إلى اللدام سائرين ولأهل الباطل المجتمعين فيه قاصدين ، وكان أهل الردة وجميع العسكر قد نزل حوله وعنده فقصدهم أهل الإسلام فى بعض الأيام وجرى بينهم قتال والتحام والتهبت نار الطعان وثبت الله تعالى للمسلمين الجنان فشدوا على أهل العصيان فانهزموا ولم يبق منهم للجلاد اثنان وبادروا البلاد وقتل منهم ذلك اليوم عشرون فى التعداد منهم من آل شرى أربعة رجال وقتل من المسلمين ثلاثة ورجعوا بأحسن حال . ثم بعد ذلك وصدوره

بأمد غزا سعود بمن معه ونهد وجرد مرهف البأس على أولئك القوم وجرد فأوخد وأعنق بذلك السير حتى صبح أسلاف مطير عربان حسين الدويش الذين هم للحرب بحد السنان وتريش ، فلم يرعهم إلا رجفة الأرض من سنابك العراب والأسنة تلمع فى ضياء الشمس مثل ضوء الشهاب والبواتر التى تميض مثل البروق فى خلل السحاب أو لمعات النار فى الالتهاب فتلقتهم أولئك المطران وأقبلوا عليهم مجتمعين فى قران كأنهم أجنحة النسور والغربان ، فرام أولئك العربان أن يسقوا عطاش المران من نحور أهل الإيمان ، فأبى الله أن يدنس واضح غررهم هوان أو ينال من ضررهم إنسان أو يصل إلى تلك النحور التى هى ممر لألفاظ القرآن من أيدى الأعداء سنان ، فأيدهم الله تعالى بعزه ونصره وخذل العداة بقدرته وقهره ، فقتل المسلمون منهم فوق العشرين وأخذوا بعض الإبل ورجعوا سالمين ولما جرى على عبد العزيز الشريف وقومه ما جرى من الذل والخزى بقى حائرا متندما متفكرا فلم يجد له الرأى ما ينتج له المراد إلا الكذب على أخيه غالب حتى يخرج من مكة إلى تلك البلاد فأرسل إليه الرسل أننا قد أدركنا الأمل وأنا أخذنا بلدانا فأتنا أنت والأمداد على عجل فقد رعب أهل الوطن والمحل والكل قد جبن وذل فلما جاء ذلك الخبر بادر إلى ذلك وظهر فرجع ولله الحمد بالذلة وصدر وناوأ المسلمين وناواهم بالقطيعة فما قدر وبذل وسار بمدافعه وقنابره وجاء والله بالكبر وأتى معه من الأسباب والآلات ما لا يؤمله البشر ولا تعبر تياره الفكر وكانت حاله لكل معبر عبرة من العبر وآية دالة على الوحدانية وصدق هذه الدعوة لكل من سمعها فضلا عمن شاهدها وحضر وبرهانا لائحا لأهل التوحيد من يأتى بعد ومن غبر ودليلا فاضحا لأهل الضلال والزيغ والغير فسبحان من حجب عقول من شاء عما أبدى من الآيات وأنشأ وطبع على قلوب الضالة عن إدراك المعرفة له وقذفها فى مهواة الدرك الأسفل من الدرك وألقاها تعالى فيه ما أعده لها وأودعها فيه وترك وأخذ بمن أحب ذات اليمين فاختار كل منهم ذلك الطريق وسلك . اللهم لا تهلكنا فيمن هلك واجعلنا ممن دان نفسه وقرنها وملك واجعل لنا من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا وفلك . وكان خروج غالب فى شهر رمضان الذى فيه تغلق أبواب النيران ؛ فلما خرج غالب ظعن عبد العزيز ومن معه من أرض السر وارتحل حتى وافى أخاه غالبا على الشعرى فاجتمع معه ونزل واستقر بهم القرار

فى تلك الأرض وكل يوم يصدر منهم إلى تلك القرية نهض ويجرى منهم بأس وشدة واصطلام وحدة وسفط للأعمار وعرض، وقد عزموا على استئصال أولئك الأنام وثلم الدين والإسلام ولم يخشوا قبيح الآثام يوم الوقوف والعرض، كيف لا وأكثر البوادى به لا يصدقون (كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) وأقام غالب وجموعه وجنوده وكل يوم تزجى سحب العذاب على تلك القرية رعوده ويهددهم بالاستئصال والإهلاك وعوده وأسبابه وآلاته وكيده على مصداق قوله شهوده ويقسم بالله العظيم الواجب وجوده لا تفارق نجدا حتى تدمرها عساكره وراياته وبنوده ويتم له مراده وسؤله ومقصوده، فأبى الله إلا أن يدوم عليه حزنه ونكوده ويشمت بهوانه وذله وخزيه عدوه وحسوده ويتألم لما ناله محبه وودوده. فرجع ولله الحمد ذليلا متندما هو وقروده وعادت سنانير أشباله وأسوده وأرضت أرانب قفر وبغاث نسوره وفهوده فتبارك الذى بيده الآيات البينات ويرفع الأعلام على انفراده بالألوهية والعبادات ويأبى أهل الزيغ والضلالات إلا إصرارا ونفورا، صرف سبحانه الأحكام للناس وبين، وصرف قلوب أعدائه عن الهدى لما تبين، وأبدع الأرض وما فيها والسموات وحفظها وزين (فأبى أكثر الناس إلا كفورا) ولما انصرف الشريف غالب مرعوبا غير مدرك لما هو طالب بل مقتول من جنوده كثير من الرجال مشتت الفكر مكدر البال وجاء الخبر سعودا عن رحيله وانصرافه أمر محمد بن معيقل مع بعض من المسلمين أن يتبع أثره ويغير عليه من خلافه، فبادر محمد لما أمر وجد فى ذلك الأثر فأغار على فريق من قحطان فأخذ عليهم إبلا كثيرة ففزع عليهم منهم فرسان وجالدوا لردها فلم يقضه الله لهم فما كان وأخذ من الأفزاع خمسة عشر فرسا بخيبة كريمة ورجع بأوفر غنيمة.

وفيها غزا سعود أدام الله تعالى له بالتمكين والسعود فسار بالمسلمين وأدلج فى ذلك السير يريد شمر وعربان مطير ولم يبرح بجد فى مسيره وينتضى فيه عزما ويجرد له همة وحزما حتى أدركهم عند جبل سلمى ولم يفهموا عن مجيئه خبرا ولا علما، فأناخ فى ذلك المكان عند ماء يقال له العدوة وكان عنده عربان يدعون البراعصة والعبيات قد نزلوا حذوه، فلما قضى من الصلاة شأنه ودعا الله أن ينزل عليه نصره وسكينته ويثبت جنانه وأن يذل ويهزم بحوله وقوته عدوانه وصبح أولئك الأسلاف والعربان وشنت خيله غارة على البدوان، فعندذلك نهض أولئك المردة العتاة الأباليس وكلهم ما بين معلم ومقاص

وشاكي السلاح ملابيس ورئيسهم ذلك اليـوم حصان إبليس ، فطاعنوا حتى وهنوا وشاهدوا من الأهوال ما اختاروا عنده الذل وركنوا وجدوا فى الدفع عن الأعمار والأموال والظعن ، وبذلوا فى ذلك من البأس مالم يبذله أحد من الناس فى سابق الزمن حتى كتب الله تعالى عليهم ما كتبه على ذوى الضلال والفتن وأجرى الموحدين عليهم ما أجرى على إخوانهم من ذلك السنن فشمروا فى الانهزام والفرار وجـــدوا فى الادبار والانكسار وكان للموحدين عليهم الدولة والانتصار فمنح الله تعالى المسلمين جميع أموال الـكفار واستولوا على تلك الأمتعة والأثاث والغنم والإبل وقتل حصان إبليس وولده ولـكنه ركب غيره فماذل ولا انخذل بل أخذ يركب العقول ويملو قلوب الفحول فضلا عن صهوات الخيول وقتل أيضا منهم أبو هليبة وغيرهم رجال وانهزموا بأقبح حال . ولما قطع الله تعالى وصلهم وجذ حبلهم وشتت شملهم تفرقت تلك البوادى والفرسان تندب من حولهم من العربان وتخبرهم بما صدر وكان ، وكانت تلك البوادى ترعى الغنم وقسيم الهم فى فياض أراضى سلما ، وتحسب أنها تنال بذلك أمنا وسلما ، وترد على رغم العداة زلال ذلك الما ، وقد أغراها الشيطان فى نفسها وأغواها وزين لها أن ليس أحد يرومها ويقواها فضلا عن كونه يود مصادمتها ويهواها حتى أوردها من الهلاك مهواها وحينئذ وقف عليهم وناداها بدعواها هذا جزاء الغواة ومثواها إنها تهلك النفوس بطغواها . فلما جاءتهم الأخبار من أولئك الأشرار بشرح حال تلك الواقعة جرعتهم كؤوس السم الناقعة وكانت ألبابهم منها نادة فاقعة فتداعوا إلى النصرة أفواجا وملئوا لها مهامه وفجاجا وهيئوا لها سببا ومنهاجا وانضم إليه ممن حولهم كل ذى عمود وكان إلى تلبية الداعى إجابة وعمود ومبادرة للاغاثة ونهود واجتماع على ذلك الباطل وشهود وعقود ، وإحكام الثبات وعدم الفرار بأوثق العهود ، فأقبل كل منهم يولى على عدم التولى وبذل المجهود وجاءوا بالنساء والأطفال والمطافيل والآبال وجميع الغنم والأموال حتى يصدقوا البأس ولا يكون عنها صدور ، فأوردهم ذلك البغى الطريق المسدود والذل الذى كان لهم إلى حياضه ورود ونال المسلمون بذلك الأمر المحمود . فحين أقبلوا على المسلمين يزحفون وهم على ذلك الماء أجمعون تأهبت للقائهم الفرسان واستعدت لطعانهم الشجعان والـكل صدق ذلك اليوم من أهل الإيمان فلم يستتر بالذل والجبن منهم إنسان سوى بعض فرسان من البدوان ، وكان

ورودهم على المسلمين مساء قبل الغروب وقد أبرموا الحيلة فيه فقالوا ندهمهم قرب الليل فإن كان منهم الهروب اشتفت منهم القلوب وحصل لنا المنى والمطلوب وإن كان الفرار منا كان الليل منجاة للمطلوب فلا يدرك الطالب منه مرامه ويجد السير والسرى والليل أمامه وقد نشر على السارى أعلامه ويعمى أثره وأعلامه فحملوا على أهل التوحيد حملة ليس وراءها مزيد وقد زين لهم إبليس أن يجعلوا الإبل لهم عن الرصاص متريس، فساقوها أمامهم وصبر المسلمون حتى قاربت خيامهم فحملوا بعد ذلك على من ساق تلك البهائم فهزموهم وصارت الإبل لهم غنائم وقتل من المشركين كثير فى تلك الحملة منهم ابن الجربا من غير مهلة وأبرزت فرسان الكفر والإشراك من التهور فى الشجاعة مالم يصل إلى أدناه دراك ولم يذكر له نظير فى العرب والأتراك ولكن تلقتهم الحماة بالصدور وسمحوا كما هو العادة بالأرواح والنحور وصدقوا فى الاشتراء والابتياع وقالوا والله لانضيع ولا نضاع فأمسى كل منهم ببذل العمر مطواع وإلى الشهادة قلبه نزاع حتى حفهم مولاهم بوعده ونال منهم غاية قصده وأنزل عليهم النصر والسكينة وكانت قلوبهم على الثبات راسخة رصينة وأجرى فى أعدائه سنته وأجزل على المؤمنين فضله ومنته ، فانهزم أهل الضلال بعد ما أفرغوا الجهد والحال (وما كان لهم من الله من وال) وكان ظلام الليل فى بدو وإقبال وولوا على أعقابهم فى الأدبار وكان ضوء النهار فى إدبار، وكان ذلك من نتائج الأفكار ولكن الله الكريم بفضله العميم أنال المسلمين من أموالهم مالا يخطر على البال وأذاق الأعداء أليم الوبال. فشمر المسلمون فى أثرهم الأذيال بعد أداء المكتوبات من غير استعجال وتناول بلغة من الزاد على إمهال، واستمر الطلب فى أثرهم أياما وليال والمسلمون فى أثرهم مجدون حتى تركوا أغلب الأموال وهربوا بالنفوس يسرعون فتراجع حينئذ المسلمون عنهم وجمعوا جميع ما حووا منهم من الخيل والأمتعة والغنم مالا يكاد يحصل مثله ويغتنم فالذى اجتمع عند المسلمين من الإبل يزيد على ستة آلاف ومن الغنم فوق مائة ألف بلا منازعة ولا خلاف ولا غلو فى القول ولا إسراف سوى ما مات فى الفلاة ، فلم يكن إليه التفات ورجع المسلمون بالعز والإقبال وباء أهل الضلال بالإذلال وقتل منهم بعض رجال منهم مسلط بن مطلق الجربى الذى زاد فى الشر وأربى .

ثم دخلت السنة السادسة بعد المائتين والألف. وفيها غزا سعود لازال إلى المعالى

فى صعود فسار بالمسلمين يريد القطيف وبلدانها حين أراد الله تعالى ذلها وهوانها
وأن يدمر أهلها وسكانها ويمزق منها أصنامها وأوثانها ويخزى أربابها وأعوانها. فسار
فى ذلك مجدا ولبغتتهم مستعدا ، فلم يستكمل الليل راحة وإناخة حتى كان الحظ مراحه
ومناخه،فأمست رواحله به مناخه وحطت خيله وفرسانه فيه يمينا ويسارا وخطر خطيه
فى فنائه تبخترا وافتخارا وسابق النصر الاقبال إليه وجارى ، وألفى جميع تلك القرى
بلا شك ولا امتراء قوما فجارا قد خلعوا من أعناقهم شعار الحنيفية وحملوها آصارا
وخرقوا الملة السنية فنالوا به أوزارا وأطفئوا مصابيحها السنية ورفعوا للرفض منارا
وأقبلوا على عبادة آلهتهم ليلا ونهارا وزادوا فى ذلك غلوا وعلوا واستكبارا ، ولقد
جاءتهم النصائح فأعرضوا عنها ازورارا (وقالوا لاتذرن آلهتكم) وأصروا عليها إصرارا
وبارزوا فى ذلك إعلانا وإسرارا من أحاط بالأشياء علما خفية وجهارا واستمرت
جياده تجول وتتبارى حتى عرف قصده وحققه معرفة واختبارا فأحاطوا بسيهات بعد
ما تلألأ الضوء وزاد إسفارا و كبروا فى نواحيها إعظاما لله وإكبارا فملئت قلوب
أهل الضلال حين شاهدوا ذلك الحال ورأوا ذلك القتال مهابة واندعارا وصبروا
ساعة تجلدا واصطبارا وهموا أن يحفظوا جوانب البلد فلا يهتك المسلمون منها دارا ،
فأرغم الله تعالى أنوفهم وعجل لهم هلاكا ودمارا فتسورها المسلمون وهجموا فيها زمرا
وأقطارا وقتلوا من فيها فلم يجدوا لهم من آلهتهم أنصارا وأسقتهم قواضب الموحدين
وأسنة المسلمين كؤوس الردى فنالوا هوانا وخسارا وشربوا منها عبيطا يزيد احمرارا
فقتل منهم ذلك اليوم خمسة عشر مائة إقلالا وإكثارا واستولوا على جميع مافيها من
الأموال التى لاتعد ولاتوصف ولا تحد استعظاما واستكثارا، ثم قصد المسلمون القديح
فقدحت فيه زنادهم فأورت نارا ودهمهم المسلمون فأشعلوا فيها للموت نارا واستولوا
على مافيها من الأموال التى لاتماثل ولاتبارى ، فعند ذلك أبدت بلدان القطيف جفلة
وهزيمة وانكسارا،فاستولى المسلمون على العوامية وعنك وغيرهما فأخرجوا أهلهم وعمدوا
إلى الفرضة وراموا بها حصارا ، فأحاط بها المسلمون ودعوهم إلى الاسلام فأبوا إلا
كفورا ونفارا وأقاموا أياما يقاسون ذلة وجهدا واحتصارا حتى بذلوا للمسلمين ثلاثة
آلاف زر فقبلوا ذلك وعجلوا بها إحضارا ولما أزال المسلمون ما فيها من الأوثان ،
ومعبودات الشيطان وكنائس الرفض والطغيان فأصبح أهلها عليها حسارا وأحرقوا

تلك الكتب القبيحة بعد ما جمعوا منها أحمالا وأوقارا ارتحلوا إلى تلك الأوطان في غاية من السرور والتهان وقد حازوا أجرا وفخارا . وفيها توفي شيخ الإسلام وعلم الأئمة الأعلام المتبحر في العلوم النافعة المفيدة والمعاني التي لم تبرزها سوى فكرته المجيدة ذو الفكر الوقاد والذهن المنقاد الغائص على درر التوحيد في قعر البحور الفالق عن جواهره الأصداف حتى زين بها النحور المستنبط من كتاب الله تعالى ما يقصر عن بعضه الفهم ولا يقدر على إبراز شذرة منه ذوو التدقيق في العلم المتفنن في فهم القرآن والاستنباط فلا يقاس قعر تبوئه ولا يغاص ولا يحاط ، المنفرد في نشر أعلام التوحيد القائم فيها لله تعالى بالتجريد المؤيد فيها بالإعانة من الحميد المجيد المسدد فيما يبدى فيه من الدقائق ويعيد المنصور من الله تعالى على كل جبار عنيد وعالم ضال مضل مريد الذي بهر علمه حين ظهر وشاع صوت فضله واشتهر وطبق أطباق الأرض صيته وانتشر قامع أهل الشرك والضلال ورادع ذوى الزيغ والضلال معز أهل الدين والإخلاص والجمع ومذل ذوى الإلحاد والأهواء والبدع من أصبح محيا الدين به وأضحى منيرا وظلام الضلال متقشعا مستطيرا وثغر الحق متبسما تبجحا وتبشيرا وأصبحت به السمحاء مرفوعة العماد ثابتة الأطناب والأوتاد قائمة على نهجها في البادية والبلاد يؤمها الحاضر منهم والباد، فأرشد الله تعالى بدعوته كثيرا من العباد وهلك من أراد الله عليه ذلك فأعرض وناد، فلم يحضر للدعوة ناد، المقيم من السنة لاحبها ونهجها المقوم منها مائلها ومعوجها، ناهج منهج الصواب الشيخ محمد بن عبد الوهاب طيب الله ثراه وجعل الجنة مثواه، فلما أراد الله تعالى أن يصب سحاب الرحمة عليه ويوصل تمام جوده وإحسانه إليه ويدنيه من حضرته ويقربه لديه اختار له منزلة الدنو من الحضرة حتى يوفيه بفضله أجره ويمحو عنه ازره ، وكان ابتداء المرض به رحمه الله تعالى في شوال ثم كان يوم الاثنين من آخر الشهر وفاته والانتقال ، فنقله الله إلى جواره وحضرته وقربه إلى حظيرة قدسه وجنته وأدناه إلى دار رضوانه وكرامته ومحل تفضله وإحسانه ومبرته وكانت حاله من العبادة في الصلاة والصيام مشهورة بين الأنام لايزال سميره القرآن في دجا الظلام ودأبه إحياء غالب الليل بالقيام والتأني والتثبت في تنفيذ الأحكام حتى يتيقن ذلك ويحكمه أتم الإحكام، لايميله الهوى عن الشرع ولايصده ولا تحمله على ضده عداوة ولا ترده بل يحكم بما ترجح له وجه صوابه وتبين له فصل خطابه

من كتب الأئمة الأربعة المقلدة فى ذلك المتبعة لايعدل إن لم يجد نصا من كتاب الله أو سنة نبيه صلى الله عليه وسلم إلا إليها ، ولا يعول إن لم يلف قاطعا إلا عليها بعد المراجعة والتحقيق للنص وشدة البحث والكشف عن معارض والفحص . وكان رحمه الله تعالى وأفاض عليه سحب غفرانه ووالى هو الذى إليه بيت المال يجبى ويدفع إليه ذلك ويجبى من جميع بلدان المسلمين ويفرقه عليهم أجمعين ، وكان على حالة رضية وطريقة من الزهد مرضية ، وكان عن ذلك المال متكففا وعن كثرة الأكل منه متعففا بل يعجله خروجا ومصرفا ولا يأكل منه إلا بالمعروف وليس أحد عنه من ذوى الفقر مصروف وكان سمحا جوادا كريما لايلفى عنده المال مقيما ، وكان لايرد السؤال إما أثاب عاجلا أو بعد حال فيرجع سائله بنجح الآمال . وتوفى رحمه الله ولم يخلف دينارا ولا درهم فلم يوزع بين ورثته مال ولم يقسم ، بل كان عليه دين كثير فأوفى الله عنه الجليل والحقير . وقال المصنف يرثيه :

إلى الله فى كشف الشدائد نفزع ... وليس إلى غير المهيمن مفزع
لقد كسفت شمس المعارف والهدى ... فسالت دماء فى الخدود وأدمع
إمام أصيب الناس طرا بفقده ... وطاف بهم خطب من البين موجع
وأظلم أرجاء البلاد لموته ... وحل بهم كرب من الحزن مفظع
شهاب هوى من أفقه وسمائه ... ونجم ثوى فى الترب واراه بلقع
وكوكب سعد مستنير سناؤه ... وبدر له فى منزل اليمن مطلع
وصبح تبدى للأنام ضياؤه ... فداجى الدياجى بعده متقشع
لقد غاص بحر العلم والفهم والندى ... وقد كان فيه للبرية مرتع
فقوم جلا عنهم صدا الرين فاهتدوا ... فأسماعهم للحق تصغى وتسمع
وقوم ذوو فقر وجهد وفاقة ... حووا واقتنوا ما فيه للعيش مطمع
لقد رفع المولى به رتبة الهدى ... بوقت به يعلى الضلال ويرفع
أبان له من لمعة الحق لمحة ... أزيل بها عنه حجاب وبرقع
سقاه غزير الفهم مولاه فارتوى ... وعام بتيار المعارف يقطع
فأحيا به التوحيد بعد اندراسه ... وأقوى به من مظلم الشرك مهيع
فأنوار صبح الحق باد سناؤها ... ومصباحه عال ورياه ضيع

سما ذروة المجد التى ما ارتقى لها ... سواه ولا حاذى فناها سميدع
وشمر فى منهاج سنة أحمد ... يشيد ويحيي ما تعفى ويرفع
وينفى الأعادى عن حماه وسوحه ... ويدمغ أرباب الضلال ويدفع
يناظر بالآيات والسنة التى ... أمرنا إليها فى التنازع نرجع
فأضحت به السمحاء يبسم ثغرها ... وأمسى محياها يضىء ويلمع
وعاد به نهج الغواية طامسا ... وقد كان مسلوكا به الناس تربع
وجرّت به نجد ذيول افتخارها ... وحق لها بالألمعى ترفع
فآثاره فيها سوام سوافر ... وأنواره فيها تضىء وتسطع
لقد وجد الإسلام يوم فراقه ... مصابا خشينا بعده يتصدع
وطاشت أولو الأحلام والفضل والنهى ... وكادت له الأرواح تترى وتتبع
وطارت قلوب المسلمين بيومه ... وظنوا به أن القيامة تقرع
فضجوا جميعا بالبكاء تأسفا ... وكادت قلوب بعده تتفجع
وفاضت عيون واستهلت مدامع ... نخالطها مزج من الدم يهمع
بكته ذوو الحاجات يوم فراقه ... وأهل الهدى والحق والدين أجمع
فمالى أرى الأبصار قاص دمعها ... وايست على فقداه تهمى وتدمع
ومالى أرى الألباب تبدى قساوة ... وايست على ذكراه يوما توجع
لقد غدرت عين تضن بمائها ... عليه وكبد قد أبت لا تقطع
يحق لأرواح المحبين أن ترى ... مقبوضة لما خلت منه أربع
وتتلو سريرا فوقه قمر الهدى ... وشمس المعالى والعلوم تشيع
فما بالها قرت بأشباح أهلها ... ولم تك فى يوم الوداع تودع
فيالك من قبر حوى الزهد والتقى ... وحل به طود من العلم محرع
لئن كان فى الدنيا له القبر موضع ... فيوم الجزا يرجى له الخلد موضع
سقا قبره من هاطل العفو ديمة ... وباكره سحب من البر همع
وأسكنه بحبوحة الفوز والرضى ... ولا زال بالرضوان فيها يمتع

وفيها غزا سعود أدام الله تعالى له السمو والصعود فسار بالمسلمين يطوى المهامه ويتحمل فى ذاك المشاق والمكاره وينضى الاجسام والقلوب فى قطع تلك المفاوز والدروب حتى وطأ بيمنى اليمن أرض الحروب فشرب هو وجنوده من الحناكية فروى وارتوى فعزم أن يصبح حربا ومطيرا على الشقرة ونوى فما أقام بعد ذلك ولا ثوى بل سار حين ألفته منه العيون وذكروا أنهم كلهم على الماء يسقون وأنهم عنه منهزمون وقد ظنوا أن المسلمين لهم لايطلبون فلم يتم لهم على ماء الشقرة شرب ولا ورود إلا والمسلمون من عليهم نهود فكل فر بنفسه يجود ولم يستطع الوقوف فضلا عن القعود فهزمهم الله تعالى بالذل والإرعاب فشمروا للهروب بين تلك الشعاب وكان للمسلمين خلفهم طلاب فشدوا فى أثرهم بالسير والذهاب فلم يبرحوا عنهم ولم ينفصلوا منهم حتى صاروا شذر مذر وتوعروا الريعان والحجر وتجللوا صلد ذلك المدر فرجع عنهم المسلمون وشرعوا فيما منحهم الله يجمعون وغنموا غنيمة عظيمة وكانت على المشركين أخزى هزيمة وأخذوا ثلاثين من الخيل وحازوا مجدا وفخرا ونالوا مع ذلك أجرا واجتمع من الإبل فى تلك الغنيمة ثلاث آلاف فقسمت على التسوية والإنصاف وقتل من أهل الضلال بعض من الرجال ورجع المسلمون بنيل الآمال فى أحسن حال وأنعم قلب وبال رغما على أنوف أناس من ذوى الشر والإبلاس الذين زين لهم إبليس أعمالهم وزخرف لهم أفعالهم وأحوالهم وأحال عليهم غرورهم وأوحى لهم فظنوا أن الطريق الذى عليه الموحدون ضلالة وحمق وبدعة وجهالة وسفاهة محققة مفهومة ووسوسة عند العقلاء معلومة وبالخروج موسومة وستموت بعد موت صاحبها وينطفى منير مناهجها ولاحبها ويندم حينئذ قلب طالبها فلا تلفى لها من الناس داعيا ولا تجد بعده سامعا ولا واعيا فأبطل الله تعالى فاسد تلك الدعوى وأخزى ذوى النفاق والأهوا وألقاهم بقدرته فى القعر الأهوى وطبع على قلوبهم بطابع البلوى وأعطى أهل الإسلام الغاية القصوى. وفيها غزا هادى بن قرملة مع جمع كثير العدد وليس معهم غير البدو أحد فجد فى سيره ذلك واجتهد مع أولئك الأعراب حتى وافق مطير على ماء الحنابج فى ذلك الطلاب فصبحهم على ذلك الماء المورود فالتقته فرسانهم فبذلوا فى الذب المجهود فاجتلدوا ساعة حتى من الله الودود بالنصر على المسلمين فأصبح كل من ذوى الشر مشرود وأخذ المسلمون ثلاثة آلاف بعير وفاءوا بأحسن بشير .

ثم دخلت السنة السابعة بعد المائتين والألف وفيها غزا إبراهيم بن عفيصان بأهل

الخرج والفرع وأناس من البدوان فشمر لقصده وابتدر حتى بدت له أعلام قطر فأغار على من بدا منهم وظهر فأخذ ما معهم من غنم وركاب بعد مجالدة وضراب وصدر إلى وطنه وبلاده بعد نيل مراده . وفيها غزا سعود سلك الله به مناهج السعود فسار بالمسلمين يريد بني خالد وكانوا مجتمعين فشمر في ذلك وجد السير والسرى ولم يكن عنده خبر بما قدر الله لأولئك الورى من ظهور برّاك وجماعته، وكان ذلك بعد قتل أبيه ورياسته في بني خالد والحسا وولايته وأخذه لفرقان من سبيع وغيرهم واعتدائه عليهم وغارته ؛ فلما توسط المسلمون تلك الفجاج وتسنموا ذروة ذلك المنهاج ورأوا مابذلك العربان من الانذعار والانزعاج علموا عند ذلك خبره وفهموا غارته وضرره ، فأحضر سعود غزاة الإسلام ونشر لهم تلك الأعلام وطلب منهم المشورة والإفهام وما يترجح عندهم من المرام هل يقتفي أثر هؤلاء الأقوام أو يقصد أهلهم ومحلهم فليس عندهم من يحول دونه من الأنام فأشاروا عليه بعد الاستشارة والأفهام أن يعمدوا إلى أهلهم عاجلا فيصبحهم ويرجع آملا فذلك لدينا أولى وأرجح وأسرع للمراد وأصلح فأبى ما دعوا إليه وقال : إن الأولى والأصلح مصادمة هؤلاء الأشرار فهو إنكاء لهم وأسدّ في الرأي والأفكار وصمم على ذلك الشان بعزم مرهف وحزم باتر وسنان، فلم يثنه عن ذلك رأي إنسان وكان ذلك توفيقا من الله وإحسان : فنهض بعد فكرته في حينه وساعته بعد سؤاله مولاه واستخارته وجدّ في السير عازما وللملاقاة رائما وقال بعد رفعه أكف السؤال بخضوع وإذلال: يامن لاتخفى عليه خافية في السر والعلانية مكنا من هؤلاء واجعل مناياهم دانية واجعلهم خبرا بعدعين وأدر عليهم دائرة البلاء والحين ، فعجل مولاه له الإجابة وأدرك منه ثأره وطلابه ، فلما وصل إلى ماء اللصافة وقد انجلى عن من معه الوجل والإخافة نزل بها يرصد من أولئك القدوم ويتحرى لهم كل ساعة الهجوم حتى أنجح الله تعالى مراده، وجاءه بشير السعادة : قم إلى السعد والإسعاد، فقد تبدى لك كوكب المدد والإمداد وأشرق يمنك في الآفاق وتلألأ حظك في الإشراق ولن ترى لأعدائك من باق ، فنهض مسرعا لذلك الندا فإذا المراد قد طلع وبدا فأسرعت من قومه خيل العرب البادية فناوشهم الطعان الفرسان العادية وظنوا أن هـذا غزو لبعض البدوان فطمعوا عند ذلك في الطعان وراموا أن يدركوا منه أسباب التهان، فأبى الله تعالى عليهم إلا تشتيتهم في البلدان ؛ فلما تناشبت القواضب والحراب وتلاحمت فرسان الأعراب طلع عليهم علم الاسلام وأظلهم من الحمام

غمام وأمطرت عليهم من العذاب سحائب وجرعتهم من كؤوس الردى مصائب وحلت
بهم خطوب ونوائب واستقلت عليهم كروب غرائب وسدت عليهم مناهج المطالب
وأبدى الله تعالى فيهم أمورا عجائب وصار كل منهم للنجاة طالب وفى سلامة عمره
راغب وعن حومة الوغى هارب، فأخذ المسلمون يقتلون فيهم قتلا ذريعا حتى قتلوا منهم
ذلك اليوم ستمائة سريعا وأخذوا ما معهم من خيل وركاب وجدوا فى أثرهم الطلاب
وهم يأخذون فيهم ويقتلون والمسلمون لهم مقتفون ، والذى غنمه المسلمون من الخيل
مائتان مختلفة النوع والألوان، وفى تلك الأيام أغار من آل ظفير أقوام وأناس من الحجاز
لم يدركوا سعودا فصار لهم إلى بنى خالد انحياز فصبحوا أهلهم وأخذوا كثيرا من الإبل
وحووا غالب المحل وجرى بينهم قتال فرجع أهل الغارة على عجل وقد فازوا بالأمل ،
ولما فرغ شأن أهل الشيط وانقضى سار سعود يريد الحسا ومضى وأرسل غنيما
أبا العلا ومهوس بن شقير إلى من فى الحسا من الملا وكتب معهما كتبا يدعوهم
إلى الدخول فى دائرة الأمان ويطلب منهم الاسلام والإيمان ويرغبهم فى الانقياد
والاستسلام لدعوة الملك العلام ويحث على ذلك جميع أولئك الأنام ويحذرهم الصد
والإعراض فكان أغلبهم ذلك اليوم به راض وكانوا إلى الاجابة فى مبادرة وانتهاض
بل لم يحصل منهم تردد ولا ارتياض فأجابوا جميعا أولئك الدعاة وكل أطاع بذلك
وأحاط به علما ووعاه ، وأسرعوا إلى خط الكتاب وقد بينوا فيه غاية الطاعة وعدم
الارتياب ولم يدخل قلوبهم إذ ذاك ارتياب ولا اضطراب وحثوا سعودا على القدوم
إلى البلاد حتى يبايعه أولئك العباد ويعهدهم أحسن المهاد ، ولما أرسل سعود غنيما
ومهوسا إلى الحسا أرسل بعدهم سعود بن غيث مع ركب من المسلمين وأمرهم أن
يكونوا فى طريق الحساء مكمنين حتى يكونوا لمن أراد الهروب مدركين ، فلما قدموا
ذلك المحل وافقوا غزوا لأهل عمان قد جدوا فى الهروب على عجل فقتلوهم وكانوا
يزيدون على مائة رجل وأخذوا ما معهم من الخيل والابل، فلما قدم إلى سعود الكتاب
والرسل تم له السرور وحصل وأقبل إليهم تلك الأيام بعد ذلك الانتظام وكان قدوم
الرسل فى وسط شعبان وقدوم سعود أول رمضان ، فلما قارب القدوم والوصول كان
لكثير من أهل الحساء إلى ملاقاته حصول وإسراع إلى رؤيته محبة له وقبول ، فنزل
قرب عين نجم وطلع لسعوده فى أفقها نجم وخرج إليه جميع أهل البلاد وعاهدوه على الاسلام

بالانقياد والاعتصام بحبل الله والقيام على أعـداء الله وأحكموا عقود الالتزام بجميع الشرائع والأحكام والاهتمام بها أوفر اهتمام وأقال أولئك الأنام من الجهاد أعوام ترغيبا لهم فى البقاء على الإسلام وتأليفا لأولئك الأقوام فأبوا إلا الذل والصغار حين أراد الله تعالى لهم الهلاك والدمار؛ ولما أخذ منهم أوثق العهود وأحكم عليهم فى البيعة العقود وقلد بالبيعة رقابهم وعرف حالهم ومآبهم وأنهم قد طوقوا بها الأجياد ولم يدر أنهم من الخيانة على ميعاد شرع فيما يطلب به شرعا وألقى فى إنجازه بصرا وسمعا، فأمر بجميع مافيها من المعبدات والقبب والقبور التى يستغاث بها وتدعى وتندب أن يزال ما فيها من المحظور وأن يسلك بها سنة القبور وأن تستوى على المنهج المشهور وأن لايصرف إليها نذور وأمر بهدم ما فيها من كنائس الرفض والبدع فالتزم أهلها الصلوات الخمس والجمع ، وبعثرت أماكن الزيغ والأهواء والضلال ومعتقدات ذوى السفاهة والاعتزال وذوى الضلالة والإضلال وأمر بإقامة شرائع التوحيد والاسلام وإبطال ماخالف الشرع من الأحكام، وبالمواظبة على إظهار الصلوات فى المساجد ومعاقبة كل متخلف عنها معاند وقتل كل منكر جاحد ، ونادى على أنواع الربا بالإبطال فلا يسعى فى أسبابها ولاينال وإفساد كل حيلة داعية إليه أو طريقة هادية عليه ،فأضحى أهل العقود الفاسدة والحيل وذوو العقول القاصرة التى لم تدرك المعرفة ولم تنل يتحسرون على مذاهبهم الأول وذهاب أهل تلك الدول ، وأمر بالتدريس فى جميع الأربعة المذاهب وتأييد كل سالك إليها وذاهب،وتعليم العلم ونشره وإحيائه بالمذاكرة فيه وذكره والتجرد والتجريد فى تفهم التوحيد ، فقاموا فيه بعد ما قعدوا وشمروا فى العلوم واجتهدوا وأقر الأئمة فى مساجدها وأكل حاصلها وفوائدها ، وقرر العلماء فى المدارس فأصبح كل فى كتب مذهبه دارس، فلم يكن منهجها مطموسا ولا دارس وأقر الأحباس والسبل ،فلم يصل إلى أربابها خلل،وأبطل جميع أوقات الرفضة وعطل ذلك الطريق وهجر كل واحد من أربابه ورفضه ، وأبطل جميع أنواع المظالم ، وعفى أثر المغارم فكسد سوق الأخماس وعطلت العشور والأمكاس فاستقامت الحنيفية السمحاء على المنهاج وزال مابها من الاعوجاج .فأسفر وجه الحق بعد ظلامه وتقشع منه كثيف قتامه وانجلى عن بدر السنة متراكم غمامه فأضاء نوره وأسفر واستكمل التمام بعد ما أقر فصدحت حمائم النصر بألحانها وصدعت بنغمات العز على أفنانها

وتغنت فى روح الأنس على أشجارها بأفنانها مذكرة بالشكر والحمد لأهل الحسا وسكانها بإزالة المحذور وحلول التوحيد فى أوطانها . ولما أفرغ جهده فى مهد سنن الحق والهدى ومحق مناهج الضلال والردى وفرغ من إكماله وأسباب أعماله وتم له فى ذلك المراد وعزم أن يرحل عن تلك البلاد ، فأشار عليه كثير من أهل البلدان أن يبنى له حصنا وجدّ كل منهم فى ذلك واجتهد ، وأتوا إليه مرارا عديدة فكانت أقوالهم عنده غير راجحة ولا سديدة ومشورتهم غير مفيدة واستعانوا عليه بجماعة من قومه من ذوى الشأن على إنجاح ذلك البنيان وتعجيله لهم فى ذلك الزمان ؛ فلما لم يجد بدا من ذلك سمح لهم باللسان وأشار بأن يكون موضعه فيما يصلح له من المكان ، فاجتمع الرأى والنظر والمشورة والفكر على أن ليس له مكان يصلح ويليق سوى بيوت آل حميد وما حولها من الفريق فطاع بذلك ودان وهدمت تلك البيوت فى ذلك الأوان وكل بيت ليس ببيت مال واحتيج إليه أمر أن تدفع إلى ربه قيمته كاملة وتحضر لديه فلا يضيع ملكه عليه وحث على ذلك قيمه وأوصاه وحذره شؤم العاقبة إن خالف أمره وتعداه ، وشرع أهل ذلك الوطن والمحل فى إحكام ذلك البناء والعمل ، فلم يرد إتمامه عز وجل . ثم ظعن سعود حرسه الله تعالى عن مكانه وارتحل وقصد قرية أنطاع من القرى ونزل ولما أراد الله تعالى الذل والهوان بأهل ذلك المكان وحكم عز وجل بدمار ذلك المحل وأن تكون العزة لله ولرسوله والمؤمنين والذلة لأهل الإلحاد والمبطلين فتح لجميع الضلال والغواة أن يدعوا مسلك الفوز والنجاة ويلوذوا إلى مناهج البغاة ويجنحوا إلى ظلم تلك الظلالات ويقتلوا أولئك القوم الهداة والجماعة الذين هم للتوحيد دعاة ويسقوهم صرف الحمام والردى ويطمسوا بعد ذلك منار الحق والهدى ويعلنوا بأمور الفسق والردى ، ويحسبون أن الله تعالى يتركهم سدى ، كلا وعزته لايفوته من بغى واعتدى فسعى فى نسج برود الإثم والأوزار وهيئوا لها أردية وإزار ، وقام فى ذلك الأزر والآثام أناس كثيرة وأقوام ينسبون إلى الكرم والإكرام وأكثرهم فساق وطغام ورفضة وفجار وعوامّ ، منهم محمد بن سعدون ومحمد بن عبدالعزيز ومن العتبان مهينى بن عمران ، ومن أهل الهفوف سعد آل ملحم وابن عفاف والحبابى وعلى بن أحمد وابن حبيل وصويلح النجار فاجتمعوا فى بعض ليالى تلك الأيام خارجين عن البلد والأنام حين استحكم دجى الظلام

وأناخ بجرانه على العيون بالمنام، فتعاطوا بينهم مفاتيح الكلام، وتجارت خيول أفكارهم في ميدان ذلك المرام، وتبارت في ذلك المضمار على الإنفاذ والإبرام ولكن لا يدرك ولا يرام إلا بعد المعاهدة والمعاقدة والانتظام، وتوثيق ذلك بالحلف والأقسام والتغليظ في ذلك والإعظام. فحكموا أمرهم بينهم وأبرموا غدرهم وشينهم ولفظوا بنقض العهود في ذلك الميعاد، وأجمعوا على نكث العقود في ذلك الإنفاذ، فأسرعوا بعاشر شوال يوم الجمعة في الارتداد وقتلوا كثيرا من أهل التوحيد والرشاد الذين مكثوا عندهم للتعليم والإرشاد، وتعاطى ذلك الأمر وباشره أهل الشر والفسق والفساد وغيرهم من ذوي الشقاق والعناد فأصبحوا وقد أشفوا من دماء المسلمين الفؤاد فأطفئوا بتلك الدماء المراقة لواعج الحزن الذي أربى في الاتقاد وأوقده الأسف غاية الإيقاد، فباءوا بسخط رب العباد ودخلوا في دائرة أهل الإبعاد ومهدوا لأنفسهم من الهلاك مهاد (إن ربك لبالمرصاد) فاستقلت عنهم حينئذ أظلة السعد والإسعاد ولوّح بهم في خصلة الطرد والبعاد، فنالوا بعد ذلك أعظم الأنكاد، وقتل غالبهم بعد أمد من الآماد وجلا بقيتهم في كل البلاد فهم كل يوم في عناء وضنا وسقم ومقاساة هموم وأحقاد، ولا يزالون في مزيد وازدياد. وجرى ذلك اليوم بتلك الصيحة حين وقعت تلك الفتنة القبيحة في البلد ضجة هائلة عظيمة، وأظلتها حينئذ خطوب جسيمة وقتل ذلك اليوم عبد الله بن فاضل ومحمد بن حسين وإبراهيم بن حسن بن عيدان وهؤلاء يعلمون الناس التوحيد في تلك الأوطان، وقتل أمير المرابطية محمد بن سلمان وقتل محمد الحلي الأمير وحسين أبو سبيت الوزير وسطا في ابن عياش ومبارك وأخيه شهيل وناجم ونهبوا بيت أبي سبيت والحلي، وأخذوا ما فيها من المال وباءوا بأقبح الأحوال. ثم بعد ذلك أمروا على مبارك بن خليفة وأخاه وصالح بن عياش وأخاه وأحمد بن هديب بأن يحسبوهم في الطرف فأقاموا عندهم مدة، وكان جملة من قتل نحو الثلاثين، وقتل في المفوف عبد العزيز اليمني. ولما سمع محمد بن غشيان وكان أميرا على مرابطية من في الكوت من أهل الإيمان أصوات الناس والضجة وذلك اللغط والعجة ركب خيلا مع قومه وابتدر الأصوات وكان مقيما في بيت الباشات؛ فلما عرف الحال وتحققه وفهم أن الأمر قد عاجله وأرهقه قصد كويت الحصار وكان إذ ذاك لم يكمل له الأسوار فتحصن هو وقومه فيه عمن يريده ويؤذيه، وكان قد أخذ على

ركابه بعض الزاد لأجل التهيؤ فى الحصار والاستعداد ، فأطبق خلفه تلك الأمم حين قصد ذلك القصر وأم ، وراموا له وقومه إدراكا ونظموا له عقودا وأسلاكا ، وأسرعوا إليهم ونهدوا وحاولوا فى ذلك وجهدوا وحرصوا على ذلك وجردوا وأخزاهم الله تعالى فما ربحوا ولا سعدوا . ثم بعد ذلك بأيام اجتمع أهل الحسا فى انتظام واتعدوا على السور أولئك الأقوام فخرجوا كأنهم جراد منتشر وقصدوا ذلك القصر ومن فيه من البشر وحاولوا فيه بأنواع من الضرر وجاءوا بأمور بعضها أدهش وحير الفكر وبهت العقول وبهر ، وأضحى كل من فى ذلك القصر محاطا به محتصر يجزم كل من شاهد تلك الحال أن أجلهم قد قرب واحتضر فأيدهم الله تعالى وثبتهم ونصر وخذل أعداءهم وأذلهم وقهر حتى إن محمد بن غشيان عدا عليهم فى غفلة وقتل أربعة منهم وصدر ، وقتل منهم رجال كثيرة فى تلك الأيام ممن قاتل وحصر ، فرجعوا خائبين ولم يكن لهم عليهم مقتدر (ولقد جاءهم من الأنباء ما فيه مزدجر) ولم يفيئوا إليه ولم يقبلوا عليه ولم يكن منهم مدكر (حكمة بالغة فما تغنى النذر) وبقى ابن غشيان فى ذلك القصر أياما ولم يدرك منه تلك الأحزاب مراما وثبت الله تعالى للمسلمين فيه أقداما ، فلم يتيسر للأعداء عليهم فيه إقداما ونالوا ذلا وخزيا وهوانا وإحجاما ، فكانت هذه الحال آية من الله تعالى وإعلاما تزيد الموحد لله فى الله إعظاما ، ولما قل الزاد وطال الحصار والجهاد ولم يبق عند محمد وقومه شىء من الطعام ولا رهبة يقاتل بها تلك الأقوام خرج ليلاونار وسلك سبيل الفرار وخرج من الحصار وجد فى السير والذهاب ، ولم يكن لهم إليه طلاب فشمر إلى إخوانه وبلده وأوطانه .

ولما خرج ابن غشيان وافاه غزو المسلمين من العتبان فرجع ومن معه معهم وصبحوا قرية الشعبة وهجموا عليهم بين الدور ووقع القتال فى تلك القصور وقتلوا منهم رجالا وأخذوا منها حيوانات وأموالا ورجعوا سالمين ، وجاء سعود حرسه الله تعالى الخبر وشاع الحال واشتهر وهو إذ ذاك مقيم على أنطاع وقد امتلأت بذلك الأسماع ، فاستشار أهل الدين والإسلام فى الظهور إلى نجد أو الإقبال على أهل الحساء والإقدام ، فاختلف لسان المقال وتدبير الفكر والبال فى ذلك الشأن والحال فبعض رأى الإقدام عليه وصوبه وبعض رأى تأخير ذلك إلى حين وطلبه حتى يأذن الله تعالى فيه ويهىء مطلبه وينزل على أهل تلك الفتنة شدته وكربه وبأسه وخطبه ونوبه ، فسار يريد نجدا ويجد

السير ذميلا ووخدا ، ويدعو الله أن ينجز له فيهم وعدا ، ويمكنه من تلك الأعداء ويهيء له من أمره رشدا ورشدا ويوليه إسعادا وسعدا ، فوصل إلى بلاده في ذلك الزمان وصار مجيئه الحسا بعد آن . وفيها غزا حجيلان بأهل القصيم وبعض البادية فسار يريد بني عمرو وكانت للمسلمين معادية فصبحهم بالغارة ، فلم يشد كل منهم للحرب إزاره بل جد وصدق في النيارة ، وقتل المسلمون منهم رجالا وأدركوا من الابل منالا .

ثم دخلت السنة الثامنة بعد المائتين والألف . وفيها سار سعود سلك الله تعالى به السنن المحمود يريد الإحساء وإحصارها وتدميرها وتجارها وفساقها وكفارها وأرفاضها وأسوارها وذوى الردة والذين أطاروا شرارها وقتلوا معلمة التوحيد وأضيافها وخطارها ، فأغضبت ملك الملوك وقهارها وأسخطت خالقها وجبارها وغافر الذنوب وستارها ، فأسرع في المسير بالمسلمين وقد اتفق رأى الموحدين على الحصار والمضايقة والمنازلة وبذل الجد في الاجتهاد والمقاتلة . وكان زيد بن عريعر وإخوانه وجماعته حين تلك النازلة في بلد الكويت نازلة فأقبلوا بعد مدة على الحسا فزادهم الله تعالى حزنا وأسى وبقوا مع أهلها تلك الأيام وهم مستعدون لقتال أهل الاسلام ؛ فلما كان آخر عاشوراء المحرم عزم سعود على النزول وتقدم فنزل على قرى الشمال وكان في الشقيق ستمائة من الرجال فأضرمت نار الحروب وأحاطت بهم سوء الخطوب فأوقدت أعظم الوقود وأحدقت بهم أولئك الضراغمة الأسود ؛ فلما نزل سعود في ذلك المكان خرج أهل الشقيق ومن معهم نحو ستمائة من العسكر من أهل العصيان ووقع بينهم وبين المسلمين قتال وقتل ذلك اليوم بينهم رجال ، فلما أضاءت شمس ثاني يوم بالنور بدر المسلمون إلى القتال فلم يكن من أهل الشقيق ظهور فسار إليهم أهل الإيمان وأرادوا البروز ، فما كان وبقوا محتصرين في ذلك المكان وجرى بينهم قتال بالبنادق قضى الله بالموت على من كان لأجله موافق ، وشرع المسلمون في قطع النخل حتى منّ الله تعالى عليهم بالفتح والفضل . فلما كان أول الليلة الثالثة حين استحكم الظلام هرب من في الشقيق من أولئك الأنام وتفرقوا في القرين والمطيرفي والمبرز والكل طلب النجاة ولنفسه أحرز ، فأتى الخبر اليقين إلى سعود والمسلمين في ساعة الهروب والانهزام فأرسل أناسا يحفظونها من أهل الاسلام فألفوها من أهلها خالية وأخذوا الأموال التي فيها حالية لما كانت حماتها عنها جالية ثم بعد ذلك اجتمع أهل تلك القرى في القرين وهموا بالاشتداد

وعزموا على القتال حين أرادوا تلك البلاد والأمداد، فأطال المسلمون عليهم المحاصرة وناوءوهم بطول الاقامة والمصابرة ، فكتب الله عليهم الهوان والذلة ، وطلبوا من سعود الصلح عن القرية والمحلة ، فصالحهم عنها على نصف ذلك فتناصفوا جميع ماهنالك من أمتعة وسلاح وحيوان وجميع أنواع المال وطعام وغيره فاقتسموا على تلك الحال ونحى أهل المطير فى ذلك المنهج ، وكل من قرى أهل الشمال على المناصفة عرّج ، فلما انقضى شأن الشمال فى قليل من الأيام والليال وأطاعت تلك القرى مما حل بهم واعترى وذلت أنصارها وهانت وألقى المقاليد بعضها للاسلام ودانت ، وأمر على أهل القرين بالجلاء عن الوطن فكل ارتحل عنه وظعن سار بعض الخيل والجيش إلى أهل المبرز فخرجوا جميعا ومعهم من عندهم من أولاد عريعر وفرسانه والكل قد أبدى شأنه وأبرز فالتقوا مع المسلمين وجالت معهم فرسان الموحدين وجرى فى ذلك المجال طعان وقتال فشدت فرسان التوحيد على تلك الجموع العظيمة فلم يلبثوا إلا ساعة فشدوا فى الهزيمة وقتل ذلك اليوم من أولئك القوم غدير بن عمر وحمود بن غرمول ، فرجع المسلمون إلى رحالهم ومحلتهم بعد ماجدّ الأعداء فى هزيمتهم ، ثم بعد أيام نهد المسلمون إلى أهل المبرز مرة أخرى وتقابلوا معهم عصرا وخرج أهل المبرز للقتال وكان المعترك دون نخيل أهل الشمال فتداعى الجميع فى ذلك المجال ولم يقدر فيه انقضاء آجال فرجع كل إلى ماله من موضع ومآل ؛ فلما عرف المسلمون من أهل المبرز تلك الحال واختبروا سيرتهم فى القتال سعوا لهم فى تهيئة أسباب الحيلة والخداع باظهار بواعث الطمع والأطماع حتى يرغب أهل تلك الجموع والاجتماع ، وليستمروا بالمسلمين فى اقتفاء واتباع حتى يبعدوا بهم عن تلك المواضع والبقاع ويحطوهم عن ذرى تلك التلاع فلا يكون لهم صعود ولا ارتفاع ، ثم بعد ذلك يكرون عليهم للدفاع ويعطفون عليهم كضوارى السباع والنسور الجياع فيكون حينئذ منهم هروب واندفاع ورعب واندعار وارتياع ، فيشدّ المسلمون عليهم فى الاتباع بقلوب متوجدة عليهم ذات التياع وأفئدة لم يفارقها حزن ذلك الافتجاع ومواض مصقولة الشبا خدها بارتقطاع ، وأسنة كالبرق اللماع سريعة الانتهاب للأرواح والانتزاع ؛ فلما كان يوم الثلاثاء شمر المسلمون للقتال فى الاسراع واجتمع من أهل الحسا مالايقدر عليه ولا يستطاع ولم يطرق السمع فى قتال العرب مثله سماع حتى كادت ألباب المسلمين أن تزيل القناع ، فناداها هاتف الاقبال بصوت ملأ

الأسماع قد جاءكم الفتح والنصر فلا ترجف القلوب ولا تراع ، فسكنت وراضت وكان منها لذلك قبول واستماع ، وأقبلوا على أولئك الجنود التى عدمت النفع والانتفاع ، وقد عزموا على الوفاء لله تعالى وصدق الابتياع ، وكل ينشد بعد الحوقلة والاسترجاع قول شاعر مقدم شجاع :

أقول لها وقد طارت شعاعا   من الأبطال ويحك لاتراعى
فصبرا فى مجال الموت صبرا   فما نيل الخلود بمستطاع
فان الموت غاية كل حى   وداعيه لأهل الأرض داع

فصد قولهم الحملة فامتقعت ألوان تلك الجموع من الرعب أعظم امتقاع ، فكان لهم إلى الهزيمة إسراع بعد إزماع ، ولم يحصل منهم ولله الحمد مطاعنة ولا نزاع ، بل غالب تلك الأمم لم يقفوا ساعة فى المجال فضلا عن الجلاد والقراع ، فجفلوا كأغنام صاحت بها أسود بقاع ، فصار لهم إلى البيوت معاجلة وانقطاع ، وقتل منهم نحو الستين ذلك اليوم ومثلها فى سائر الأيام فكان بها اقتناع . وانهزم زيد بن عريعر إلى بلدان المشرق ، فلم يكن له إلى المبرز رجوع ولا ارتجاع إلا بعد طلوع الشمس ثانى يوم حين علم حال البلد بتحقيق الاطلاع . ثم بعد أيام سار المسلمون إلى أهل بلاد ابن بطال ، فجرى فيها قتل كثير من أولئك الضلال وانهزم جميع أهلها فلم يثبتوا فيها ساعة المجال ، وأخذ المسلمون مافيها من الأمتعة والحيوان والطعام والأموال ؛ ثم بعد أيام سار المسلمون إلى بلدان المشرق يريدون عليها الإقدام ، فهجموا على مضيق تلك الدروب ، وطاف على الجبيل طائف الخطوب ، فاقتحم المسلمون عليهم وأرادوا الوصول إليهم ، فوقع عند البلاد قتل وجلاد ، ثم انصرف المسلمون إلى مكانهم وارتجف أهل المشرق فى أوطانهم وبقى كل من أهل الإسلام تلك الليالى والأيام يجدّ فى القتال ويجدّ فى الضرام ، فأسرع المسلمون خصوصا العربان وسائر أولئك الأعراب والبدوان يباكرون صرم النخل والأثمار ، ولا يبرحون عنه حتى يدبر النهار وأهل الحسا فى مضايقة وبأس ودمار وضيق معيشة وحصار ؛ فلما أراد الله تعالى أن يبرز فى مقام الإظهار ماقضاه سبحانه لأوليائه واختار ، ويسلك بهم الطريق السهل الخيار ، وينشر لهم أعلام الظفر والتمكين والانتصار ، ويستقر قواعد التوحيد فى تلك القرى والأمصار ، فيشتهر ذلك فى سائر الأقطار أتى براك بن عبد المحسن سعودا حرسه الله تعالى ، فأخبره أن أهل الحسا لهم

رغبة فى الدخول فى الدين وإقبال وأنهم متندمون على صدور تلك الأفعال ، وأنهم يطلبون طريق الإيمان والإسلام والالتزام بسائر الأحكام ، فقال ذلك لهم ولا يردون فمساهم لسبيل الحق يهتدون ، وعن مهيع الغى ينتهون ولكن يخرجون للعهد إلينا ويقدمون للمبايعة علينا ، فعاد له بالقول مرارا ، وقال إنهم لايقدرون على مواجهتك خوفا منك وفرارا ولا يستطيعون لرؤيتك اصطبارا ، فلم يرعو إليه وأولاه إعراضا وازورارا وقال لابد أن يسرعوا إلى ذلك المكان إحضارا ، فاستعان براك بكبار أهل التوحيد على إنجاح ذلك الرأى السديد ؛ فساعده أهل الدين والإسلام ، وقاموا معه أتم القيام حتى نجح ذلك المنى والمرام ، واتفق الرأى والانتظام بين براك وكبار أهل الحسا أن سعودا إذا ظعن عن ذلك المكان والمقام ، وفرغنا من الأثمار والصرام أنك تأتينا ونبايعك على الاسلام ونخرج زيد بن عريعر وإخوانه وننفيه هو وأعوانه ولعل هـذه حيلة وخديعة إذ لم تكن نفوسهم بمجيئه لهم مطيعة ، فارتحل سعود بلغه الله تعالى المقصود حين ألح عليه إخوانه فى ذلك الشأن ، وقالوا عسى أن يكون هذا سببا لهم فى الإيمان ، وجد فى سيره يريد الأهل والأوطان ، وقدنال أبهى الأنس والسرور والتهان ، وأزهى صلات البر والجود والإحسان؛ فلما وصل سعود إلى تلك الديار زال عن الحسا ذلك الخوف والرعب والحصار ، وبرحوا على ذلك مدة أيام ، وقد وجدوا بعد ذلك لذة المنام ، وزال مابهم من الهم والأسقام ، حتى كان من براك عليهم مفاجأة وإقدام ، يريد ذلك العهد منهم والإبرام ، والوفا بماعاهد عليه أولئك الأنام، وقال لهم هذا وقت الوعد فقد وصل سعود إلى نجد ، وقد حان حين الوفا فاياكم وسلوك طريق الخلف والجفا ، فتصيرون من الهلاك على شفا ، فأبوا إلا الخلف والإخلاف وركوب متن الإجناف ، فلم يحصل بمرامه إسعاف ، وثار بينهم القتال ، واختلفت كلمتهم بعد ذلك الحال ، وافترقت قلوب تلك القبائل فكان الله تعالى لهم مذلا وخاذل ، فلم يقبلوا نصحا لقابل ولم يروضوا إلى عذل عاذل ، فنفذ فيهم حكم الحكم العادل والقضاء النافذ الفاصل ، فانصرف عنهم براك بعد أن لم يحصل على إدراك ، وخرج إلى البادية ثم بعـد ذلك كانت خيله عليهم عادية ، وقدم عليهم فى رمضان وجرى القتال والطعان وخرج جملة من أهل الدين من السياسب مجتمعين وكبيرهم سيف بن سعدون فكانوا للقتال كل يوم ينهدون ، واجتمعوا فى قرية الجشة بعـد أن لم يدركوا فى المبرز حيلة

فكان ذلك إلى الفتح ذريعة ووسيلة ، فاجتمع أولاد عريعر محمد وإخوانه وجميع جيشه وأعوانه وأهل المبرز وأهل الهفوف فى بلد الجفر وكانوا مما لا يضبطهم الحصر فمكثوا فيه أياما وأطالوا فيه مكثا ومقاما ، وكل يوم وحين ينهد إليهم براك والبدو والسياسب مجتمعين ، ويقع بينهم طعن وطعان ومحاولة خيل وفرسان وتلاحم ومصادمة واقتران ، وقتل بينهم رجال فى تلك الأيام والليال ، والكل يبدى الصبر فى حومة المجال ، حتى أراد الله تعالى صلاح الحال وحسن العاقبة للمسلمين والمآل ، فأدخل براك الهفوف باحتيال فطاب له حينئذ القلب والبال وتم له السرور والإقبال ، وهرب أولاد عريعر دويحس ومحمد وماجد وكل من الخاصة مساعد ، وأقبل براك إلى المبرز صبيحة ذلك اليوم ، فتلقاه بالقبول أولئك القوم وأتوه لأجل السلام والتهنئة بالقدوم والإقدام وإنجاح السول والمرام ، فطلب منهم المعاهدة على الدين والاسلام والالتزام بجميع الأحكام ، فعاهدوه على ذلك وحدانا ومجتمعين والتزموا القيام بتوحيد رب العالمين ، فوفى العهد طوائف وحمائل وآحاد فى الفرقان غير منحصرين والرافضة وكثير من غيرهم دخلوا فى ذلك العهد مكرهين وودوا لو أصبحوا له ناكثين ، ولكن الله ضرب عليهم الذلة بحوله إلى يوم الدين (وما وجدنا لأكثرهم من عهد وإن وجدنا أكثرهم لفاسقين) ؛ ثم بعد صدور ذلك الأمر وإبرامه وتحقيقه وإحكامه وجريان شرائع الدين فى الحسا وأحكامه كتب براك إلى عبد العزيز لمزيد إخباره وإعلامه ، فسر بذلك الاخبار والإعلام وبادر بالحمد والشكر لمولى الإنعام على ماحبا أهل الاسلام من هذه المواهب الجسام ، فأمر عبد العزيز براك بن عبد المحسن أن يبذل فى الدين جهده ويوفى عهده ووعده ، ويجلى ابن فيروز وأحمد بن حبيل ومحمد بن سعدون فجلوا بعد ماألزم عليهم براك يخرجون . وفيها غزا محمد بن معيقل مع أهل الوشم وأهل القصيم وأهل الجبل . فسار بمن معه من المسلمين على غير مهل حتى أناخ بدومة الجندل ، فحط فيها رحله ونزل ، ثم أخذ يحاصر أهل تلك القرى ويضيق على أهل الزيغ والافترا . ويفاجئهم كل يوم بالقتال ويغاديهم بأعظم الفعال والأهوال حتى ضاقت بهم الحال وكلهم دانوا بالإسلام بعد إذلال ، ولم يبق من تلك القرى إلا قرية بنى سراح ، فلم يكن لها إلى الدين ارتياح ، واجتمع عنده كثير من الأموال فأعطى منها آل درع وكانوا مقاومين لابن سراح ، ولهم تقدم وإقبال وكانوا فى حصار

شديد ليس عليه مزيد، وقد تمسكوا بما منحوا وأعطوا، فلم يدنسوا وجوههم بغبار الردة ولم يخطوا . وفيها غزا إبراهيم بن عفيصان بأهل الخرج والعارض وأهل سدير فشمر ساعده للجد فى السير حتى وصل إلى بلد الكويت بعد الهجوع ، فأناخ بهى ما معه من الجموع ، فلم تنجل الغياهب حتى فرغ من تلك المطالب ورتب الجيش والكمين ، ثم بعد الإسفار أغارت خيول المسلمين فخرج مقاتلة أهل البلد مجتمعين وناوشوا المسلمين القتال وعقدوا للحرب المجال ، ثم بعد ذلك ظهر عليهم الكمين فولوا مدبرين وعمدوا إلى البلد مسرعين وقتل المسلمون منهم نحو الثلاثين وأخذوا عليهم غنما كثيرة وأسلحة ثمينة شهيرة ، ورجعوا إلى بلادهم فائزين وللمال والأجر حائزين . وفيها غزا هادى بن قرملة رئيس قحطان ومعه محمد بن معيقل وأهل الوشم ومطير وعربان كثيرة من البدوان ، فلم يزل فى ذلك النهج سائر ، حتى صبح عربانا كثيرة من البقوم وبنى هاجر ، وذلك أنه قرب منهم والليل داج وداجر والظلام مجتمع العساكر ، فلم يرعهم إلا ركام العيائر والجياد التى كأنها الرياح السوائر ، ولمعان المرهفات البواتر ، والأسنة التى تفتت الصدور والمرائر ، فراموا الجلاد ووطنوا عليه نفوسهم ، فأصبح كل على ما أصابه صابر حتى أراد الله أن يدير من البلا دائر على أولئك المخالفين لأمر عالم السرائر ، فشد عليهم المسلمون فأضحى جواد عزهم منكسرا عاثر ، فقتل ابن شرى المسمى ناصر ، وأرادوا بعده الثبات والتجلد ، حتى دهمهم ما لا يستطيعه الضراغم فى الآجام والحواضر ، فأصبح كل منهم يريد النجاة لنفسه ثائر ، وعن حومة الوغى بعد شدة ذلك البأس هارب نافر ، وأخذ المسلمون منهم نحو ثلاثة آلاف من الإبل لكل ضابط وحاصر وآب جند الضلال خائبا خاسر .

ثم دخلت السنة التاسعة بعد المائتين والألف . وفيها غزا سعود أيده الله تعالى بالنصر والسعود ، وكان عربان الشمال له مرادا ومقصود ، فسار بالمسلمين يطوى منشور البيد بأيدى اليعملات على العنق والتوخيد ، ويؤم مطلع السها والفرقدين ، ولم يبال بما حصل لعيسه من الكلال والأين ، ويشكو إليه طول السرى وحلول البرى قلوب الكمت والرواحل ، وتحن إلى الورود من فرط البعد ومداومة الوخد فيعللها بزلال المناهل ، وكان لمطالعة القطب لاينفك ولا يزال ولارتعاب النصر والظفر فى ذلك الوجه فى رجاء وآمال حتى لمع ضياء البشرى والسرور فى ساجى ذلك الديجور

وطلع له كوكب الاقبال والحبور وهبت على أعدائه ريح الدبور ، فجاءته طلائعه وعيونه بالنهان بأن القواسم هاهنا وكبيرهم ابن عفيصان وهم عرب من آل ظفير ، فكانوا قبالته ووفاقه فى ذلك المسير فصبحتهم فى أرض الحجرة غارته ولم تسبقه عليهم نذارته بل فجأته بحصول مراده بشارته ، وبغت أولئك السلف دماره وخسارته فلم يستطيعوا مع المسلمين الجولان ولم يعقدوا لحومة الوغى والبأس ميدان ، بل ناوش منهم بعض الفرسان وراموا قليل طعان ، ثم شمروا فى الهزيمة من غير توان، وقد أخذ المسلمون منهم إبلا كثيرة وجميع الحلة والغنم وكان الإبل نحو ألف وخمسمائة بعير على سبيل التقليل لا التكثير ، ورجع المسلمون إلى البلاد وقد حفهم الإسعاد . وفيها جرت وقعة سعد بن قطنان ، وكان قبل ذلك قد أبدى للدين إذعان وأسلم قبل ذلك الزمان فأراد أن يتبين على أهل الضلال وعباد الأوثان خصوصا البدوان ، فبنى قصرا محكما ثم بعد ذلك تبين فى الدين معلما وجاهد من أهل دينه من لم يكن مسلما فنالوا منه ذلا وهوانا وندما وأسقاهم كؤوسا مترعة دما حتى حاولوا فيه مأثما وهيئوا له أمرا محرما ، فشرطوا لاثنى عشر رجلا كل واحد منهم فى البأس مقدما على قتل ابن قطنان دراهم كثيرة يأخذها كل واحد منهم مغنما وينتقدها بعد الفعل متسلما ؛ فعند ذلك جد كل واحد فيما كان ملتزما ، فأبدوا للغدر والمكر حيلة وسلما فهاجروا إلى قصره مبدين للدين علما ، وأقاموا أياما يدبرون لما راموا أمما ، وقد واعدوا رؤساء أهل دينه على يوم يكون مجيئهم فيه متقدما ، فلما كان بعض الأيام وشرع فى الصلاة من كان لها مقدما جاء جمع كثير فدلى كل واحد من ذوى المكر له حبلا ورمى ، فصعدوا جميعا السور ونزلوا وحمى الحرب واحتمى، ولعب الباطل بينهم وارتمى وانتخى كل بنخوة الجاهلية وانتمى ، فقتلوا غالب أهل القصر ، فصاروا شهداء رحما ، وأخذوا أولاده فأرسلوا الكبير إلى الشريف فجعلوه فى حبس الدما ، وجاء بقية أولاده عبد العزيز فأعطاهم أموالا كثيرة وإبلا شهيرة وانصرف كل منهم محبورا مكرما. وفيها غزا سعود خلد الله تعالى له الاقبال والسعود ، فسار بالمسلمين يريد عربان القبلة وقد تقدمته طلائع العز والسعد قبله ، فجد فى طريقه وقد باراه النصر والاقبال وجاراه التأييد والظفر ، فلم يكن لهما عنه انفصال ولا مفارقة ولا زوال ؛ فلم يزل يدأب السير والترحال ويديم إنضاء الأعوجيات على اتصال حتى أراد الله تعالى من تلك الأمكنة علوه وقربه ومنحه

طلبة أيّ طلبة ، وذلك أنه نزل على قرى تربة بعد أن طالع بعض العربان من دعاة ذلك المكان، فجرى بينهم مناوشة وطعان ثم انهزموا بعد ذلك حتى توغلوا الحرار فلم يكن عليهم توصل ولا اقتدار ، ثم بعد ذلك أقام سعود فى تلك الأراض ، ولم يكن له عن حصار القرى إعراض ، فاستمر محاصرا لأهل تلك البلاد وكل يوم يصدر منهم قتال وجهاد ومصابرة عند التسور وجلاد ، وكل يوم يحمل أهل الاسلام على الأسوار ويرومون التسور على البلد والانحدار ، ويقاسون من أولئك الفجار من طلائع الموت ما يزيغ الأبصار، وقتل من أهل الدين والإسلام فى جميع تلك الأيام نحو عشرة رجال كان لهم على الشهادة آجال ، منهم محمد بن غشيان وكان يعدّ من الأبطال الشجعان ، وقتل من أولئك قريب من ذلك ، ثم شرع المسلمون فى قطع ما لأولئك الأقوام من تلك النخيل العوام ويخربون فيها كل يوم حتى كادت تنفتّ مرائر تلك القوم حين رأوا قطع تلك النخيل الجليلة وأربابها عن حمايتها محصورة ذليلة ، ولم يكن لهم سبب إلى سلامتها ولا وسيلة غير المصالحة عنها وكان ذلك لهم حيلة ، فصالح أهل قريتين سعودا على نخلهم وقطع نخل قريتين لسوء فعلهم ثم بعد ذلك الحال وانقضاء المراد على الكمال ، عزم المسلمون على الارتحال فساروا على تؤدة وتمهال من غير غلو فى السير ولا إيغال . وفيها غزا إبراهيم بن عفيصان بجمع من أهل الخرج والفرع والبدو ممن يدعى الإيمان ، فسار يجد السير لنيل المراد حتى أناخ من قطر على بادية تلك البلاد فأغار عليهم فثاروا فورا وتركوا الجلاد ، فأخذ ما عندهم من مال من أمتعة وغنم وآبال، وقدم بذلك بلد الاحسا وأقام يبيع ذلك فيها وأرسى، ثم بعد فراغه أصبح فيها وما أمسى.

ثم دخلت السنة العاشرة بعد المائتين والألف . وفيها أظهر الشريف غالب عساكر كثيرة وجنودا غزيرة ورأس عليهم فهيد الشريف ، فنزلت عليه البوادى كل سلف وفريق وسلكوا للشر كل طريق ، وأقبلوا يريدون ابن قرملة وكانوا على ماء يقال له ماسل، فأقبل عليه تلك الأجناد والقبائل وأتوه بعد قتل عيونه على غرة لينفذ الله أمره فدهموه وأهله فى شعب من الشعاب ، وقد ملكوا عليه فم ذلك الشعب فلا يمكنه خروج ولا ذهاب فطاعنهم زمانا طويلا وقتل منهم ثلاثين رجلا وقتل من خيل ابن قرملة نحو عشرين ، ثم انهزم ابن قرملة وأخذ الشريف تلك القوم المجتمعين ولم يقتل سوى رجل واحد من المسلمين . وفيها غزا سعود يسر الله تعالى له كل مراد

ومقصود ، فسار بالمسلمين يعتسف من الفيافى السهل والصعاب ، ويطوى من أديم الموامى كل موحشة يباب ، لايسمع بها غير أصوات العرج والذئاب ، يضل فيها القطا فراخه فلا يهتدى ويحير الخرّيت فى مهامهها فيتقنع قناع الموت ويرتدى وتروح على رياضها اليعافير وتنتدى ، لايرى بقفرها أنيس ولايبصر فى لاحبها آثار العيس مظمأة لايدرك فيها مايبل صدى الظما ، يحاكى لون أديمها زرقة السما مغبرة الأفق والأرجا، يحس السارى بها بما للجن فيها من الغمغمة والزمزمة والأزجا ، فلم يزل يدأب المطى فى ذلك السير الإعناق ، والأباطح تسيل منها بتلك الأعناق حتى قطع بصارم العروتين تلك المفازة وأراد مولاه لمراده إنجازه حتى تبين له من سواد الحرة ذلك الحجر وبدر له منها ذلك المدر ، وألقى لها الجران عند أولئك العربان وذوى الضلال والعصيان وكانوا أسلافا كبيرهم ابن محيور من العقبان ، فمد لها طول الراحة بعد هزيع من الإعتام وسجى دياجير الإظلام إلى أن شدت عساكر الظلام فى الهروب والانهزام ، ونادى المنادى بدعوة الإسلام وأذن للصلاة بالقيام ، وقضيت على الطمأنينة والتمام ، وكان الدعاء بعد ذلك ختام ، بنيل التوفيق والمرام ، فأسرعت الرجال إلى الرحال وأطلق الركاب من الاعتقال وأسرعت الأبطال إلى الجياد وتسنموا صهواتها للجلاد ، وشرّع كل منهم سنانه وسأل مولاه الاعانة ، وجردت القواضب المرهفة ، وشنوا على أولئك العربان غاراتهم المرجفة ؛ وشهراءهم المتلفة ، فانتدبت فرسان الشرك والضلالة وأقبلوا فرسانا ورجالة وجالوا فى الحرب مجالة ، ثم أنزل الله تعالى عليهم الذلة والباس ، فانهزم ذوو الضلال والإبلاس ، وأخذ المسلمون جميع أولئك الناس وولوا على أعقابهم وتوعروا فى الحرة فى ذهابهم وعجل الله تعالى لهم بعض عقابهم ؛ فشد المسلمون خلفهم فى ذلك الأثر حتى أعياهم مقاساة ذلك الحجر وخشوا على أنفسهم وخيلهم من الضرر ، فرجع كل واحد منهم وصدر وأخذ أهل الإسلام المحلة ، وشتت الله حزب الشرك وفله ، وأخذ من الإبل نحو الألفين أو يزيد ، ورجع المسلمون بالأجر والمزيد ، وأخذ أيضا عشرة آلاف من الغنم وغنموا أعظم مغتنم ، وقتل ذلك اليوم من المسلمين سبيلا وكان مقداما نبيلا . وفيها غزا قاعد بن ربيع أمير الوادى فسار بجمع من قومه يريد من هو للمسلمين معادى . وأدلج فى ذلك الزمن وهجر لذة الوسن حتى رأى من بنى هاجر فريق آل ضمن ، فاستقر باله واطمأن وثبت قلبه وركن فصبحهم بالغارة المجيدة فكانت أسنته لهم عاملة

مفيدة ومرهفاته لهم مبيرة مبيدة فقتل منهم فوق الأربعين، وأخذ ماعندهم من خيل وإبل وغنم ، وولى قليل من الرجال منهزمين ، وفيها أظهر الشريف غالب جموعا وأجناد وعساكر من كل قرية وبلاد وانضم إليه أهل بلدانه وجميع أعرابه وبدوانه، فرأس فيهم ناصر بن يحيى الشريف وأمرهم بمصادمة بوادى الدين ومن هو منتسب للمسلمين ، فخرجوا يقتحمون السهل والوعر ولا يصدهم عن مرادهم الضجر؛ فلما تحقق عبد العزيز ذلك الخبر وشاع بين الناس واشتهر ، أرسل إلى عربان المسلمين من قبيلة نجد وأعلمهم بما عزم عليه الشريف من ذلك القصد،وأمرهم أن ينزلوا بالأهل والأظعان على هادى بن قرملة كبير قحطان ، وأمر ربيعا أمير الدواسر والوادى أن يظهر مع جيش من قومه وينزل على هادى، فالكل من أولئك الأقوام أسرع فى الامتثال والقيام لأمر عبد العزيز الإمام ، وبادروا لذلك المهم والاعانة فى دفع ذلك المدلهم ، فلم تمض قلائل من الأيام حتى اجتمع أولئك الأنام على ماء بنجد يسمى الجمانية، فالتأمت به تلك الأمم البدوانية حتى كان آخر الأيام الشعبانية، نزلت تلك الجموع الشيطانية وأبرزت من البأس وفرط الإبلاس واختلاف الأجناس مايدهش العقول الإنسانية،ويرعش القلوب الجنانية ، فلما بدت الغرة الرمضانيـة تلاحمت الفرسان العربانية ، وشرّعت الحراب السنامية ،وجردت السيوف الهندوانية ، وقتل ذلك اليوم أبو مجبور من الأبطال الفرسانية ، وانفصلت جميع الأمم الفرقانية، لما غابت الأنوار الشمسانية ، فلما طلعت شمس ثانى رمضان تداعى عند ذلك الكماة الشجعانية وحملوا حملة هائلة ظلمانيـة وتصليت تلك القوى الجسمانية ، والقلوب الصلدانية ، وثارت تلك العجاجة الدخانية ، واصطلمت تلك المدافع النيرانية ، فأعلن عند تلك الأمور الهائلة العيانية أهل الدين والإسلام بشعارهم بتعظيم الصمدانية والاعلان بكلمة التوحيد والوحدانية ، فهزم الله جميع تلك العدوانية،وحف المسلمين النصر والظفر من العناية الرحمانية،وتفرق أهل الضلال فى خلال العقبات الشعبانية ، وقتل منهم نحو ثلاثمائة رجل ، وأخذوا من الإبل والغنم مالم ينل مثله ولم يرم ، وأخذوا جميع المحلة والأزواد والطعام وتلك المدافع المجرورة ومنصوب تلك الخيام، وكانت الغنم التى حصلها المسلمون مائتى ألف غير ماقضى الله تعالى عليه بالحتف،وعدد مااستولوا عليه من الإبل ثلاثون ألفا من غير خطأ ولا زلل ، وقتل من المسلمين رجال وانهزم الأعداء بأقبح حال ، وكان محمد بن معيقل قد

أرسله عبد العزيز لعربان المسلمين مددا ، فلم يأتهم إلا بعد مافرق الله تعالى المبطلين عددا وجعلهم فرقا وبددا، وكان قدومه عليهم بعد يومين فاطلب بنى هاجر ولم يبال ، بما معه من الأين ، فأدركهم على ماء يقال له القنصلية. فأغار عليهم وقتل نحو الأربعين من تلك البرية فشدوا فى الانهزام ، بعد تلك القضية وكان هؤلاء الأعراب شمروا فى الانهزام بمالهم والذهاب حين رأوا جيوش ابن قرملة على قومه مربين فعاجلوا بالانهزام مدبرين ، فاجتمعوا على ماء القنصلية وظنوا أنهم قد أحرزوا أموالهم، فخابت آمالهم الظنية وحواها كلها ابن معيقل وعزز بها تلك القضية السوية ، وانصرف بنيل أمنية، وفيها غزا مبارك بن عبد الهادى ومعه من قومه من أراد الجهاد من بين حاضر وبادى ، فسار فى عزمه ذلك ومرامه يجد السير والسرى فى جميع لياليه وجميع أيامه لم يثنه النصب ولم يساومه التعب فينحل عند همته وإحكامه حتى قرب من أرض نجران، فلقى هناك بعض البدوان يسمون آل الهندى ، فكان حينئذ للغارة عليهم مبدى ، فلم يشعروا إلا باهتزاز الرماح وبريق الصفاح ،فانتهضوا جميعا للقتال والكفاح، ولم يتخلف إلا من ليس عليه جناح فتطاعنوا ساعة وزمانا ومكثوا للجلاد حينا وأوانا، ثم انهزموا بأفظع حال . وقتل المسلمون منهم ثلاثين من الرجال وأخذوا جميع ماعندهم من الحلة والغنم والآبال وانصرفوا فى أحسن حال .

وفى شهر رمضان من سنة عشر بعد المائتين والألف وبراك وآل الحسا من تحت إمام المسلمين لمعت للفتنة بوارق ووحت للفتنة بوائق، وفاح للشر عرف وشذا ولاح طالع النحس والأذى واستبطن البغى والغدر واستعلن الفحش والنكر وعصفت للخيانة رياح ، وظهر على الفساق البشر والارتياح ، وعلتهم من الفرح نشوة وزادت قلوبهم على المسلمين قسوة . واستنشق المسلمون المنكر عرفا فلا يستطيع أن يرجع فى المنكر حرفا بل كل يوم ينتظر أن يلاقى حتفا ، فاستمرت الحال أياما وليال وبطانة الشر تعلو أو تزيد وتضمر البطش بأهل التوحيد ، ولكن ليس عن ساحة الصبر من محيد . فلما أراد الله تعالى إنفاذ الوعد والوعيد وتهيئة أسباب التمكين لأوليائه والتأييد وهلاك من أراد هلاكه وخذلانه ، وذل من أراد ذله وهوانه ، قدح زنادها وحقق ميعادها فأورت بالشر نارها واستطار لهبها وشرارها ، وسما جهارا منارها وأعان أصحابها وأنصارها ، وتأزر بإزار الغدر شرارها، وارتدى برداء الفتك فساقها

وفجارها، وبقيت تمور بين أهل الفجور تلك الشهور. هذا والمسلمون من أهل الحسا بين لعل وعسى، وكل تجرع مرارة الخوف واحتسى، وتدرع بدروع الهم واكتسا وكابد حرارة الغم والأسى، وقلوبهم بين رجيف واضطراب ووجيف واكتئاب إلى يوم للمنية فى ارتقاب، وفى حطم البلية فى احتساب. هذا وإمام المسلمين عبد العزيز أدخله الله كنفه الحريز، يرسل المكاتيب ويكثر فيها المعاتيب ويعمل الرسل والأرقام فى كل أسبوع من الأيام، إلى براك بن عبد المحسن ويحضه على نفى المسىء والإحسان إلى المحسن، وقد اهتم بذلك والله هذا الإمام أشد الاهتمام، وأمره أن يقيم الدين أشد القيام وأن يشيد قواعد الدين ويبيد جملة المبطلين ويزيل من الشرك أصله وأساسه، وينفى دعاته وأناسه، ويقيم على الحق والهدى ويشرد أهل الزيغ والردى، ويبتهل بإقامة السنة ويتبع منهج الرسول الذى سنه، ويأمره بإعلان شعائر الإسلام وإخلاص الدعوة للملك العلام وإيقاع الخمس الصلوات فى المساجد والجماعات، ويبذل له النصح سرا وجهرا ويبين له أنك إن فعلت هذا نلت عزا وفخرا وحويت من مولاك عزا ونصرا وأعظم لك ثوبا وأجرا وقد ألزم عليه فى ذلك أعظم الإلزام، وأمره أن يفى بما عاهد عليه الله حين دخوله فى الإسلام، ويفعل ما شرط عليه حين عقد الإبرام، وما التزمه فى الحجة من الأحكام من نفى أهل الباطل والفجور، وطرد أصحاب الفساد والشرور، كما هو فى صحيفة العهد مذكور، وفى حجة العقد مقرر مسطور؛ فلم تغن النصائح والإنذار، ولم يبادر بما دعى إليه من إزالة الأشرار، وتعذر من الإمام فى عدم القيام وعدم الوفاء بما عاهد عليه أن هذا لا سبيل إليه وقد أعيا الرأى والفكرة، وليس إلى جلاء رؤساء الفتنة من قدرة، لما يؤدى إليه الحال ويترقب فى المآل من الاختلاف والشقاق، وقيام أهل الرفض والنفاق، واجتماع أهل الزيغ والباطل على أهل التوحيد والأفاضل والأمر يؤخذ على مهل، ولم يدر أن الأمر جاءه على عجل، وأن الفتنة قد حزبت أحزابها البدعة قد نخت كبارها وأربابها، وأن الله تعالى قد حقق على الرافضة خرابها وكتب على فساق تلك البلد ذهابها، وأبدى لهم جزاء ردتهم الأولى وعقابها، وبين لهم شؤم الخيانة ومآبها. وما أشقى به أهلها وأصحابها، هذا وأردية البلاء تنسج وتحاك ويسعى فيها كل فاجر أفاك، إذا غسق الليل ودجت الأفلاك، وترامى شرر الباطل فى الأفلاك، وكان الذى يسعى فى نسج تلك الأردية والبرود، وعقد تلك الألوية الضالة عن المنهج المحمود،

من هو في كل فتنة معدود . وفي كل مقام على المسلمين مشهود ، رأس الفتنة ورئيسها الذي يثبت على أصلها وتأسيسها ، ويرسى عليه عمودها، وتورق به أغصانها وعودها، وتثبت أوتادها وأطنابها ويفتتح بشؤم فكره بابها؛ وذلك لكونه لا يزال سميرا للفساق والفجار وظهيرا للعصاة والأشرار وهو صالح النجار ؛ فكان إذا هدأ الناس واشتد ظلام الأغلاس أخذ بالشر والإبلاس فركب دابته وجد وقصد قصر على بن أحمد فأحكم الرأى والمشورة وعرض عليه تلك الأمور المحظورة، ثم سار من عنده وأجمع محكم قصده ونحى على الجبابى وقصد وأحضر ابن عفات واجتهد وظن أنه لم يشعر به أحد لكون هذا السعى والاجتهاد وإعمال المسير والترداد إنما هو في الليل وفي النهار يظهر للمسلمين المناصحة والميل، والمسلمون يعرفون حقيقة حاله وقبيح ما ينظمه من فعاله وقد أرسلوا الرسائل والكتب وجدوا في الطلب، وأعملوا المطى بالأرقام إلى عبد العزيز الإمام يطلبون منه النجدة والمدد والعدة ويحثونه على النصرة والانتصار وقد بينوا له جميع الذى صار وما بدا لهم من الشين الذى ضار ، والشر الذى ارتفع له غبار وكذلك أرسلوا إلى الأمير سعود بأن يسعفهم بالمراد والمقصود وكان حينئذ حرس الله مهجته وأدام عزه ودولته منيخا قرب شقرا ، فلما جاءته الرسل من المسلمين ومن والده متع الله به المسلمين وقمع به أعداء الدين، أحضر وجوه الغزاة المشورة فيما يراه وما عزم عليه وأبداه وبين لهم ما يراد بأهل التوحيد من أهل الحسا وما خالطهم من الخوف والأسى وقال أريد أن أعجل لهم المدد قبل أن يقع بهم الفتك ممن تعاهد عليه ولا اتعد حتى يكون لهم عونا ويلقى العدو به ذلا وهونا بل ربما يكون مجيئه البلاد سببا لبطلان ذلك العهد والاتعاد ، وتخمد بمجيئه نار الفتنة التى توقد كل ليلة غاية الإيقاد ؛ فأرسل وهو فى ذلك المكان إبراهيم بن عفيصان ومعه مائتا مطية تعجيلا للرعية واستدفاعا لما أعد من البلية وما عزم عليه من الردة الردية ، وكان ذلك رأيا مباركا ميمونا خاليا من شوائب النحس مصونا وحزما شباه مرهفا مسنونا ، وعزما حاز المسلمون به ركودا وركونا؛ فلما أقبلت الرسل إليهم وقدموا عليهم وسمعوا كلام البشير وتحققوا المجىء والمسير، وفهموا قرب مكان الطليعة عرفوا أنهم ليس لهم حيلة ولا ذريعة وأنها ليست لهم بممنعة ولا منيعة إن لم يسارعوا إلى ما عليه عزموا ويعجلوا ما عقدوه وأبرموا، وينفذوا ما نوهوه وأحكموا، ويبدروا المسلمين قبل قدوم المدد المقبلين بما أجمعوا

عليه من الفتك وندبوا إليه من الخيانة والهتك ونصب أعلام الارتداد ورفعها بين العباد وشهرتها عند الحاضر والباد ، قبل تلاحق الإمداد ، لكي يغمسوا كافة أهل البلاد في منتن تلك الأقذار ويضمخوهم بهاتيك الأوضار ويدخلوهم في دائرة الهلاك والأخطار فأبى الله العزيز القهار أن لا يكون ذلك إلا على الرافضة والفساق والفجار ؛ فلما آن أن يبدو للقضاء الأزلي آثار ويظهر بعض ما انطوى في الغيب من الأسرار وحان الحين وحاق المكر بالأشرار ولمع بارق قوله تعالى (وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار) وأقبل ظلام ليلة الفتنة وسجى واسود فيها محلولك الدجى وأرخى الظلام فيها سدوله فقد الأفق من البدر أفوله حتى أتى أهل الضلال والردى والذين يريدون الفتك والاعتدا من الرفعة والنعاثل وغيرهم من الأراذل وسفلة القبائل رئيسهم النجار وأنيسهم إذا انسلخ النهار ، فاجتمعوا عنده وعرف كل منهم قصده ، وعاودوا الرأى تلك الليلة وأبرموا التدبير والحيلة بأن تقتل من فيها من أهل التوحيد كل قبيلة بل سمى كل من المتعاهدين قرينه وقتيله وبينوا التدبير والاحتيال وصمموا على الفتك والهتك والاغتيال وبارزوا بالحرب شديد المحال (وقد مكروا مكرهم وعند الله مكرهم وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال) . هذا والأنذار على المسلمين تتوالى والأخبار تتلى عليهم وتتتالى ؛ فلما أراد حقن دمائهم سبحانه وتعالى وخذلان من ساعد على الفجور ووالى وتعذيب من اجتمع على الأولى والثانية وتمالا وإلباسه في الدنيا هوانا وإذلالا ومقاساته تنكيلا ونكالا ، نما ذلك الخبر وفشا ذلك وظهر بعد أن خفى واستتر وتحقق أمير السياسب سيف آل سعدون ما هم له مستعدون وما هم عليه مجتمعون ، فأحضر المهاجرين من إخوانه وأخبرهم بقصته وشأنه ، مع أنهم كانوا لذلك مستيقنين وللخيانة مستيقظين وللغدر كل يوم متوقعين ، إلا أنهم كانوا على الله متوكلين والموت نفوسهم موطنين ، فاتفق رأيهم وانتظم أن يرسلوا إلى من يخشى منه الردى من جماعتهم ويتهم ، ومن دخل منهم في الحلف وعزم ؛ فلما أحضروهم كافة ووضحوا لهم سبيل المخافة وما يترتب على ذلك من الآفة وأن أهل الشر والفساد يريدون غدا الارتداد وليس لهم غيرنا مراد وجيوش المسلمين والأمداد تطلع عليهم بكرة أو روحة بالنصر والإمداد فتنالوا بذلك غاية السعد والإسعاد وتدخلوا في طريق الرشد والإرشاد وترفضوا منهج من نوى السوء وكاد . ونحى قاصمة الظهر وأراد فكأن ولله الحمد والمنة ذلك

النصح أزال عن قلوبهم الأكنة ، وصار ذلك الوعد لهم والإيعاد مما أجدى فيهم وأفاد ، فكأنهم بعد ما انتضوا السيوف لملاقاة الحتوف أعادوها فى الأغماد وكأنهم انتبهوا من سنة الرقاد ووعت منهم تلك النصائح أذن واعية ، فأصبحت أركان الردة ولله الحمد ذلك اليوم واهية حيث لم يقم من السياسب لهم داعية ، وانحلت عرى ذلك الإبرام ورد الله بكيده من رام . هذا والنجار بعد ماأخذ الكرى والمنام فى ظلام الدياجى أجفان الأنام دأبه الإقبال والادبار وتدبير مايريده فى النهار ، يحيك ذلك وينسج ويدخل البلاد ويخرج ، إلا أنه على شأن السياسب لم يعرج ، وقد أعد خارج البلد فى بستان هناك رجاله وسقاهم فيه من رحيق القهوة صافيه وزلاله ، وكان الوعد بينهم حين تذر قرنها الغزالة ؛ فلم يلبث الناس بعد ذهاب الأغلاس إلا قدر مابدا من كوة الأفق ضوء السراج ، وأشرق على سطح البسيطة نوره الوهاج ، وانتشر فى بطون الأزقة والفجاج أهل الفلاحة ذوو الحاج حتى سمعت الجلبة والأصوات ووقع الذعر والانزعاج ، فرجع الناس على أعقابهم ينكصون . وقد خالط الرعب قلوبهم فهم منذعرون ولم يكونوا بذلك الأمر يشعرون (وكذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقوا أنهم لايؤمنون) فتعاظم الأمر وعلا وشاع شأنه بين الملا وأسفر وجه الردة وجلا وزادت القلوب وجلا (وما ربك بغافل عما يعملون ـ وحرام على قرية أهلكناها أنهم لايرجعون) وزاغت الأبصار والألباب وغلقت البيوت والأبواب ونادى منادى القضاء بالعذاب والذهاب على الذين فعلوا ولكنهم لايسمعون (وما أهلكنا من قرية إلا لها منذرون) وتوقفت أشرار تلك القبائل ولم يكن غالبهم بما عنده فاعل وهم بين لائم وعاذل ، إلا أنهم للسياسب منتظرون ، وهم من كل حدب ينسلون وبادر قوم النجار لأنهم رءوس الأشرار فقتلوا شخصا واحدا وهو عبد الله بن حسن ، وكان النجار عنده قاعدا وبتثبيطه مواعدا ، فأسرعوا إليهم يهرعون وأقبلوا عليهم يركضون (لا تركضوا وارجعوا إلى ماأترفتم فيه ومساكنكم لعلكم تسئلون) وجرحوا ابن كثير جرحا ولم يجعل الله لمرامهم نجحا ، وما أصابوا فى المسلمين قرحا ، وقد عرفوا لو يطلبون صلحا من المسلمين لايقبلون (ألم تكن آياتى تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون) فعندذلك شمرت تلك العصابة وندب النجار أعوانه وأصحابه ، وشيدوا الحرابة ونهضوا إلى السياسب يسرعون (كأنهم إلى نصب يوفضون) فدهموهم فى الطريق والسكك ووقع بين البيوت

المعترك وصدق الطعن من سلك ولكنهم على الحق معتدون (لاتجأروا اليوم إنكم منا لاتنصرون) فحين أبصروا حرارة الطعان وذاقوا مرارة السنان وحامت عليهم الموت عقبان فى منازلة تلك الإخوان ، وتيقنوا أنهم لما يريدون لايدركون وأنهم أخطئوا مايأملون (سأريكم آياتى فلا تستعجلون) فانهزموا بأقبح الذل والنكاية وقتل منهم واحد هو الغاية ، وحف المسلمون باللطف والعناية لعلهم بأمرهم يعتبرون وعلى ربهم يتوكلون (وإن جندنا لهم الغالبون) وأدبروا يعضون أنامل الندم وولى كل شيطان وانهزم ، ثم اجتمعوا عند رئيسهم وعزم أنهم لجميع المشرق يرسلون ؛ فأرسلوا يحثونهم على المجىء والتعجيل حتى يفوزوا بالمنى والتأميل ، فلما قدمت عليهم الرسل وأخبروهم بما حصل نهد مقاتلة كل قرية واجتمعوا للحرب بلا مرية ، فلم يرتفع سلطان النهار إلا والجنود تطلب البدار وتروم لأهل المبرز الدمار ، وقد أقبل أولهم وهم النعائل والرفعة والذين حضروا بيعة النجار ، ثم أقبل بعدهم من أهل المشرق أعداد وتتابع لهم جيوش وأمداد وكل منهم لصدق الحرب فى أهبة واستعداد وتأهب لوطأة البلاد إن لم يف لهم من حضر الحلف من الفرقان بذلك الوعد الذى كان ويرجعوا عن طريق الخذلان ويقتل كل فريق من عنده من أهل الإيمان ويحققوا لهم سابق ذلك الميعاد ، وينجزوا ذلك الإيعاد. هذا وقد استعد من أهل المبرز كل فريق وأحرز وجعل الأرصاد كل فريق فيما يؤتى إليه من طريق ، وشمروا للحرب سواعدهم وأخلفوا مواعدهم بل أظهروا أعظم الإباء والامتناع وأشد الذب عن المسلمين والدفاع وتبين منهم الصدق على ذلك والاجتماع ، فبقى من عندهم من أهل الفتنة والفجور ينادى على نفسه بالويل والثبور وأبصارهم تمور وأفكارهم تخور ، وليس لهم من أهل المبرز مساعد بل كل عن الفتنة قاعد ، وهواتف البلاء عليهم يدرسون (أتى أمر الله فلا تستعجلوه سبحانه وتعالى عما يشركون) فحين وضح واستبان ذلك الخلف والخذلان لصالح الرئيس الداعى إلى طريق إبليس ولم يجد ناصرا ولا قبيلا ولا معينا ولا كفيلا وأضحى حائرا ذليلا لم ير حيلة له إلى البقاء ولا سبيلا ولا منهجا للسلامة ولا دليلا إلا مخادعة أهل الإسلام والإيمان ، وطلب منهم الدخول معه والأمان ، فراح فى ساعته بعد تدبير فكرته إلى فريق العتبان وكانوا ذلك اليوم نعم الإخوان ، جزاهم الله تعالى كل خير ورئيسهم مهوس بن شقير ، فأخذ منهم الأمان على نفسه ومن له من الاخوان ، وكان

هذا من الله تعالى حكمة باهرة وقدرة قاهرة وأمراً قدّره تقديرا (وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا) أبرز خذلان أعدائه عبرة لأوليائه وتسلية لهم على بلائه لعلهم على الفتنة يصبرون (إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون ، فسبحان الذى بيده ملكوت كل شيء وإليه ترجعون) هـذا ولم يناد المنادى لصلاة الظهر بالأذان إلا وقد أقبلت الرسل تبشر بقدوم ابراهيم بن عفيصان بل هم مع الوقت كفرسى رهان ، فحصل الأنس وطابت النفس وزاد سرور أهل التوحيد والإيمان ، وزال ذلك الهمّ والخوف والأحزان وتمّ السرور وحصل الفرح والحبور وهبت رياح القبول والتهان وبدت شموس الأمانى والأمان ولم يزل أهل المشرق ومن معهم من الرفعة والنعائل وسائر سفلة تلك القبائل خلف السور مقيمين ولمقصودهم رائمين وعلى مأمولهم عازمين إذ لم يكونوا عالمين بما قـد صار من حال صالح النجار وما جرى من الأخبار فلم يفجأهم إلا الخيل تضبع والأسنة تبرق وتلمع والبيض تشرق وتسطع فكلّ ولى وانهزم وتندم على ما كان عليه عزم وانتضوا بطون الأقدام ولم يكن لهم غير البيوت إقدام فوطئتهم من المسلمين خيول وخرج معهم من أهـل البلد خيول فجالت على قطعة من الأحزاب الفرسان وجالت عليهم أولئك الرجالة الشجعان فقتلوا جميعا فى ذلك المكان وجرّعوا كأس المذلة والهوان وباءوا بالخزى والحسرة والخذلان ، وكان جملة المقتولين نحو الستين وغالبهم من أهل الجبيل والباقى من بلدان المشرق متفرقين وفات الحملى ومن معه حين أقبلت الخيل عليهم مسرعة وشرد هاربا وثار ولم يجد دون بيته من قرار وازدحموا عند دخولهم الدروازه والكل يريد من الخوف السبق واحرازه ، فلما رأى وجوه قومه وجماعته قبيح فعله وصناعتـه ساروا إليه سريعا وألزموه أن يخرج مع الحبابى وقدومهما جميعا ، وألحوا فى ذلك الأمر عليه وعرف أن القرار لاسبيل له إليه وأن وجوه الفريق والأعيان إن لم يخرجوا عنهم لم يدفعوا عنهم العدوان وأنهم يسلمونهم إليهم ولا يدفع عنهم انسان خرج هو والحبابى وأناس من الأشرار حين أدبر ضوء النهار واشتد سواد الدجا وانقطع منهم الرجا ، ففاجئوا على بن حمد فى قصره واستمدوا من رأيه وفكره وبقوا عنده ثلاثة أيام فى أكسف حال وأشر مقام . هذا وبلدان المشرق ينهب بعضها بعضا ، وتسرع إلى القتال والقتل والنهب ركضا وتسابق

الشمس فى الطلوع إلى ذلك الحال نهضا ، إبداء للندامة وطلبا للسلامة ومقدمة بين يدى سعود بهذا الأمر المعدود لعله يكون للرضا وسيله وإلى بقائهم فى أوطانهم حيله ولم يروا مسلكا سواه يسلكون ، وفى تلك الأيام المذكورة والأحوال المسطورة وابراهيم بن عفيصان محاصر لقرية العمران ومعه جمع كثير وجم غفير من السياسب والعتبان وغيرهم من سائر القبائل والفرقان ، ثم فى أثناء المدة المذكورة طلب الحبابى وابن عفات والحملى ومن معه من الرجال المحصوره من ابراهيم بن عفيصان الخروج إلى العقير والأمان فأعطاهم ذلك وغيرهم أناس نخرجوا من الإحصار والأحباس وأرسلهم إلى العقير مع محمد بن دعماس وكان إذ ذاك لم يتسنم ذروة الضلال والإبلاس فقطعوا فى ليلتهم تلك المفاوز والقفار ، وركبوا صبيحتها متن زاخر البحار وامتطوا كواهل فلك السيارة وتيمموا أهل الزبارة ، فقدموا عليهم ولم يكن عندهم من الحال خبرة ولا اشاره حتى فاجأهم بغتة ذوو النياره وشرحوا لهم عن الحسا أخباره وصرّحوا لهم أن قصدنا بفعلنا أن نذهبه وآثاره ولم يعلموا أن لله تعالى على عباده غاره وأن الله تعالى يؤيد دينه وأنصاره وينصر أهيله وأحزابه وأصهاره ويريد تبيينه فى أماكن الرجس وإظهاره وإثباته فى الإحساء وقراره ، وأبطل الله كيدهم وما يصنعون (أم يريدون كيدا فالذين كفروا هم المكيدون) ولما أراد الله تعالى إبراز حكمته وتبيين آثار قدرته واستنارة البرهان والحجه وتقويم واضح المحجه ، قدم سعود مستهل ذى الحجه فنادى لسان الحال مبشرا بالسعود والإقبال ومنذرا لذوى البدع والضلال فأعلن وقال : الحمدلله الذى أطلع شمس الكمال فى مطالع السعود والشكر له على ما أعطى وأنال من الكرم والجود برؤية هذه الطلعة السعيده والغرة المنيرة الرشيده فأناخت بقرب النعاثل ، أولئك الجنود وخفقت رايات الإسلام والبنود وأصبح حبل الحق ممدود وفاز أهل التوحيد بالمقصود ، وتلت ألسنتهم عند ذلك الحال المشهود على سبيل الهنا ونيل المنا وإبداء لشكر مولاهم الكريم وإظهارا للثناء والتبجيل والتعظيم (وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا لامبدل لكلماته وهو السميع العليم) ودارت كؤوس الأنس والأفراح وامتلأ القلب بالفرح وارتاح وهينمت فى الأجساد والأشباح حداة النفوس والأرواح على سطح البسيطة بالطول والعرض (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض) ونصبت بذلك المحل والمكان خيام التوحيد والإيمان

فغنت بلابل السرور على الأغصان ورجعت الأغانى فى الألحان وكررت قول من قال فى غابر الزمان :

فألقت عصاها واستقر بها النوى كما قرّ عينا بالإياب المسافر

وطارت قلوب أهل الزيغ والضلال حين مد فسطاطه وظلاله وأبصروا فرسانه وأبطاله وشاهدوا خيله ورجاله ، وقد كانوا بها يكذبون وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون وندموا على السلم حين فات وقالوا ياليتنا نرد وهيهات وتمنوا الموت على الحياة (أفرأيت إن متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ماأغنى عنهم ما كانوا يمتعون) فلم يك إلا قدر حط الرحال وتسوية الأحمال والأثقال فتلقاه أهل المفهوف باستقبال ونهضوا عليه يسلمون ونهدوا إليــه مستسلمون (قال رب احكم بالحق وربنا الرحمن المستعان على ما تصفون) فقابلهم بالقبول والتوقير وعاملهم بطلائع التيسير ونفى عنهم صنائع التعسير وتلا لسان حاله على منهج التبشير لعلهم بما أشار به لهم يفرحون (إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون) فأعطاهم إلا من دخل فى الردة الأمان وأدخلهم فى دائرة أهل الإيمان وأخذوا يبايعونه على الإسلام بالإيمان وداعى الحق يذكرهم بآى القرآن عساهم به يتعظون (وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا إن الله يعلم ماتفعلون) ثم أقبل أهل المشرق إليه أرسالا وقدموا عليه عجالا وقد رعبت قلوبهم مخافة وأوجالا وتغيرت وجوههم ألوانا وأحوالا لقبح ما كانوا له يصنعون (أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا لا يستطيعون نصر أنفسهم ولا هم منا يصحبون) وقدموا بشعائر الذل والهوان على الإساءة منــه والإحسان إذ ليس عندهم منعة ولا مكان عن القدوم به يتحصنون (لو يجدون ملجأ أو مغارات أو مدّخلا لولوا إليه وهم يجمحون) فشرع معهم فى المبايعة والمعاهدة على المتابعة والمعاقدة والتزام حبل الطاعة والمساعدة وهم على الوفاء له يقسمون (ويحلفون بالله إنهم لمنكم وما هم منكم ولـكنهم قوم يفرقون) وأتاه أهل المبرز أهل الايمان والاسلام لأداء واجب السلام وتجديدا لعهد الاسلام فقابلهم بحسن البشر والاكرام جزاء بما كانوا يعملون (ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه وإنا له كاتبون) فلما انقضت أيام العهود وخفّ إتيان الوفود بادر إلى ما هو الأهم والمقصود وأخذ فى تقويم السنن المحمود

الذى به المسلمون يأمنون (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة وجاهدوا فى سبيله لعلكم تفلحون) وجرد مرهفه المحدود لإقامة القصاص والحدود وأورد الحمام المورود غالب من باشر الردة الثانية فى يومها المشهود فغدوا لكأس الردى يتجرعون (وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) وأردف جماعة من المعتدين وثلة من الفساق المفسدين وزمرة من الرفضة المبتدعين الذين هم عن الصراط ناكبون (إنهم ألفوا آباءهم ضالين فهم على آثارهم يهرعون) فأفنى رءوس ذوى الشر والفساد وأراح من شرهم جميع العباد وأزاح باقيهم عن البلاد لاسيما ذوى الشقاق والعناد الذين هم فى الأرض مفسدون (ثم كان عاقبة الذين أساءوا السوءى أن كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزئون) ودام القتل أياما واستمر ومكث مدة واستقر وكل يوم يختبر عن المفسدين الخبر ويقتل من اطلع عليه وعثر حتى استبرى الحال والخبر وعرف أنهم ليسوا بها يمكثون (ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر للجوا فى طغيانهم يعمهون) فشاد فى البلاد أركان الإسلام وأذن بالتوحيد فيها بالإعلان ورفع للسنة الأعلام التى كان الولاة لها يمكرون (ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادى الصالحون) فبدأ بتسوية تلك القبور وإزالة ما عليها من المحظور وقطع تلك الأوقاف والنذور التى أهل الباطل لها يصرفون (ومن أضل ممن يدعوا من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون) وأرسى بها قواعد الدين فأمسى أهل الباطل مشردين ، ومحا آثار المبطلين (فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين — قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون) وضربت سرادق الأمن والأمان وأسس قصر التوحيد بأعلا مكان وأحكم غاية الإحكام فى البنيان ونودى عليه بأفصح لسان وأهل الإسلام له منصتون (إن الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون) فحينئذ نبذ الضلال ملته ونعى الشرك حزبه وأمته ، وبكى الرفض أصهاره وفئته لأنهم كانوا له يشيدون (أئفكا آلهة دون الله تريدون) وفقد أهل العزّى عزّاها وجعل الخراب جزاها وأهل اللات لها يتبعون (قد خسروا أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون) ومحقت رسوم البدع والأهواء والإلحاد ، وهدت دعائم الجور والعماد وأورق غصن الحق وماد وبطل ما كانوا عليه يعكفون (ءأله مع الله بل هم قوم يعدلون) وأقبلوا على ما أوجبه الله تعالى وفرضه

ودحض أهل الضلال والرفضة وكل هجر ما كان يدين به ورفضه وضل عنهم ما كانوا يزعمون (ءإله مع الله تعالى الله عما يشركون) فاندرست ولله الحمد تلك الحقائق وعطلت تلك الطرائق ، ولم يكن لهما موافق ولا مرافق (بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون) وخرّ عرش الشرك ووهى لما علاه التوحيد ودهى وعرف بطلانه ذوو النهى وشمروا فيما أمر الله به ونهى (وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها و ما ربك بغافل عما تعملون) وجدّ فى تعلم التوحيد الضعة والشرفا فوجدوه لمرض القلوب دواء وشفا (ولم يجدوا عنها مصرفا) و(قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى آلله خير أما يشركون) وقرر أصحاب الأوقاف والأحباس وحث أرباب المدارس على تعليم الفقه والتوحيد للناس ، فوجدوا عظيم السرور والإيناس واستمر علماء المذاهب يدرسون (ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون) وأقر فى أيدى أهل السنة جميع تلك القربات والأسباب بل زاد غالبهم من بيت المال واجتهدوا فى القيام بوظائفهم بسرور بال ، فهم لهذه النعمة شاكرون (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) .

ولما فرغ حرسه الله تعالى من ذلك العزم والتجريد، لإقامة سنن الدين والتوحيد ومهدها أحسن تمهيد لعل الناس لها يسلكون (فطرة الله التى فطر الناس عليها لاتبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لايعلمون) شرع ينظر فى الرعية بالتغيير والتبديل ، ويدبر أحوال التأديب والتنكيل على سبيل التسوية والتعديل بين أهل الهفهوف وكافة القرى وهم لها يوزعون (فلما نسوا ماذكروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون) وفاز أهل المبرز بحسن الحال والسلامة من الأغلال والنكال وطابت لهم العافية والمآل لأجل ما كانوا له يدّعون (أم حسب الذين يعملون السيئات أن يسبقونا ساء مايحكمون) وشد عليهم فى ذلك النكال مقابلة لما فى بيوتهم من الأمتعة والأموال لأنهم دخلوا فى العهد على ذلك الحال لعلهم عن مثلها ينتهون (ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون) ومكثوا تلك الليالى والأيام يقاسون حرارة الضنك والالزام ، ويبيعون ماعندهم من الأمتعة والحطام لأداء ذلك الالتزام (ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون . كانوا لايتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون) وطلب منهم جميع ألوان السلاح ومن أخفى

عليه شيئا فليس له فى بلده مراح ، بل دمه هدر مستباح ، فلم يكونوا لشىء منه يخفون (وما كان ربك مهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون) ثم أمر بهدم الأسوار والبروج ولا يكون للردة منهج ولا عروج ، فأصبحوا بها يهدمون (أفلا يرون أنا نأتى الأرض ننقصها من أطرافها أفهم الغالبون) فهدمت أسوار قراها والبلدان مخافة أن ينزغ بينهم الشيطان أو يطمع بها أحد من العدوان ويحسبون أنهم يمكثون (ولقد أهلكنا ماحولكم من القرى وصرّفنا الآيات لعلهم يرجعون) ولما تم بناء ذلك القصر المحكم المشيد على كل وجه من الإحكام والتسديد والغلظ وارتفاع السمك والتجويد ، ووضع فيه من آلات الحرب والطعام وما يحتاج له المرابطون (ياأيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون) وأعد قطعة من خيله وركابه ، وجيشا من جنده وأصحابه خارج عن القصر قريب من بابه ، لإخافة العدوان وأربابه ولتذب عن البلد من أتوا يخربون (وأعدوا لهم مااستطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون) .

ثم دخلت السنة الحادية عشرة بعد المائتين والألف . سار سعود من الإحسا أناله الله الرتبة القعسا ، لما اشتاق حرسه الله إلى نجد وصبا ، وهيج شوقه نسيم الصبا وتواجد لها شوقا وطربا ، كيف وهى الوطن الذى به يستوطنون (ومن آياته أن جعل لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون) أمر بإشخاص قوم كثيرة وحمائل ، من ضعة الناس ، وغالبهم أماثل متفرقة من تلك القبائل ، أنهم يحلون فى الدرعية ويسكنون (ياعبادى الذين آمنوا إن أرضى واسعة فاياى فاعبدون) ثم أمر بالرحيل والترحال وأن تقدم تلك الأحمال ، وتعجل عن وجه الأثقال ، ثم شدت له الرحال فاستوى عليها وقال ما كان السلف يقولون (سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون) وجد فى السير إلى نجد بعد ماحاز ذلك المجد وأكثر الشكر والحمد المولى الذى له الخلق يثنون (ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن أكثر الناس لايشكرون) وحين قارب أن يلقى عصى السير والتسيار ، ويحط الرحال فى رفيع تلك الديار ، وشرع إليها فى النزول والانحدار من المحل الذى لها ينحدرون ، قال(رب إنى أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون) وبدأ المسجد حين دخوله بالتحية ، ثم قصد والده والأهل والذرية ، واستقر مجلسه مع والده وأعيان الرعية ، وطفق عبد العزيز يشوقهم

لما عند الله لعلهم فى الدنيا يزهدون (وما أوتيتم من شىء فمتاع الحياة الدنيا وزينتها وما عند الله خير وأبقى أفلا تعقلون) وفيها وقعة أحزاب ثوينى ؛ ولما استقر بهجر عمود الدين والإسلام ونشرت على رغم أنوف العدى للهدى أعـلام ، وثبت أصل التوحيد ورسا فى جميع بلدان الحسا غشى قلوب المبطلين الحزن والأسى وتمثلوا ببيتى عسى وعسى ، فهم على تكرار الصباح والمسا لعودة الباطل مرتجون (فأعرض عنهم وانتظر إنهم منتظرون) وشوت قلوبهم حرارة الحزن ومرارة الهم والمحن حين ملك أهل الإسلام ذلك الوطن ، وثوى فيه التوحيد وقطن ، وضاق بهم فسيح الأرض فضلا عن العطن ، وعرفوا أنهم متبعون (قل لـكم ميعاد يوم لاتستأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون)فأرجف الله تعالى قلوبهم خوفا وفرقا ،وسفحوا لذلك دموعا وعرقا،وازدادوا ذعرا وغيظا وحنقا وساروا للتخريب عليها وخدا وعنقا وقصدهم لنور الحق يطفئون (يريدون أن يطفئوا نورالله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الـكافرون) وتعاظم ذلك الأمر عليهم وأربى وسعوا فى تغييره شرقا وغربا ،وتداعوا عليه عجما وعربا ولم يعرفوا أن للدين ربا (لايسئل عما يفعل وهم يسئلون ــ بل جئناكم بالحق ولـكن أكثركم للحق كارهون) وتجرعوا من سماع هذا الأمر غصة، والكل أخذ من عظيم الحزن حصة ،حين رأوا أهل الإسلام على هذه المنصة ، وودوا لويدركون فرصة، على المسلمين بها ينتهزون(لقد ابتغوا الفتنة من قبل وقلبوا لك الأمور حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون) وشمروا ذيول الهمة بالتبديل والانقلاب،وجدوا إلى تحصيلها فى الأسباب والسعى فى بواعث الاجتلاب ، فآبوا بذلك بشرّ مآب ، وما ظفروا بما يرتجون (وما كان الله ليضل قوما بعد إذ هداهم حتى يبين لهم مايتقون) فملئوا بطون الصحف والأرقام من نفث اليراع والإقدام ، وبث مافى الصدور والأوهام،فزخرف القول والكلام وأرسلوا بها إلى البشاوة والحكام لعلهم فى إزالة الدين يسعون (ولو شاء ربك مافعلوه فذرهم وما يفترون) وأقام فى ذلك الصغار والـكبار واجتمع عليه السفلة والخيار ، وشمر فيه ساعد الجد والازار فباءوا بالخيبة والأوزار مما كانوا فيـه يمترون (ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار ومالـكم من دون الله من أولياء ثم لاتنصرون) وانتدب إلى هدم ماقد أسس من الدين وبان ، وإزالة ماله من أساس وأركان كل رئيس وعالم شيطان من جميع النواحى والبلدان ، ونعقوا فى الطروس

قبيح الفعل والبهتان ، وأرسلوها إلى الباشا سليمان وأقسموا له فيها أنه لايصلح لهذا الشأن ولايقوم باعباء الرياسة ومصادمة الكتائب والشجعان ومنازلة الجموع والأجناد من سائر العربان ، ومقابلة هؤلاء العصاة العدوان ومقاتلة حضرهم والبدوان، وإزالة أثرهم من الحسا ، ومحاصرتهم في البلدان سوى ثويني من الأنام إنسان ، ولايقدر على ماذكرناه إلا هو ذو الهيبة والشان، فأطلقه ورئسه حتى ترى مايسر الأعيان ويقر الناظر له في العيان ، وتحمد أثر سعيه في قريب من الأزمان ، وترى أهل الدين من سطوته يهربون ومرادهم على الدين يخربون (واصبر وما صبرك إلا بالله ولاتحزن عليهم ولاتك في ضيق مما يمكرون) فلما دعا الباشا ماحرروه ووعا ماأثبتوه وقرروه وتأمل مفهوم ماقد حبروه وعرف منطوق ماسطروه وفحوى ما كذبوا فيه وزوّروه ، أمر بإحضار ثويني عنده فأحضروه وخلع عليه ورأسوه وكبروه وعقدوا له الحكم على الحاضرة والبادية وأمروه ؟ ولم يقف الباشا على حقيقة مادبروه وأنهم قد بدلوا الأمر عليه وغيروه وحذروه من هذا الذى نفروه ، وما هو والله إلا الكذب افتروه وأعانهم عليه قوم آخرون (إنما يفترى الكذب الذين لايؤمنون بآيات الله وأولئك هم الكاذبون) فحين حظى ثويني بالرياسة ونالها وحاز من آماله منالها نادى برفيع صوته ، أنا لهؤلاء الطائفة أنا لها ، وأعطى جماعته الأيمان على ذلك وأنالها وهم لأيمانه مصدقون (وسيعلم الذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون) وندبوه على قتال أهل الدين والتدمير وحثوه على آلات التسيير وتعجيل الظهور والمسير وحرضوه على أن لايبقى منهم صغير ولا كبير ولا يذر شريفا ولا حقير ، وكان بمسمع من اللطيف الخبير ، جميع مابه يحرضون (فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذى يوعدون) فأقبل متنعما بإزالة الدين من أساسه ، وإطفاء نوره من نبراسه وتغيير منهاجه وانتكاسه ، وقتل كافة أنصاره وأحزابه وأناسه ، واستئصال شأفة بلدانه وأعوانه وأجناسه ، واغتر بما جاء به من سواد رجسه وأرجاسه وغوغاء أجناده وأحزابه وأنجاسه ، ورامهذا المرام لقوة بأسه وما شعر أنه مسوق إلى قطع رأسه واستيفاء بقية أجله وأنفاسه ، ولم يعرف ومن معه من هم له محاربون (فلما نسوا ماذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون) وهبط من بغداد بعد مقاساته بها الأنكاد ومعاناته هم الأسر والقياد ، والغم الذى غشى الفؤاد ، فأسرع في الامتثال

والانقياد وإحكام آلات الحرب والأهبة والاستعداد ، وحشد الجيوش والأجناد والاستعانة بالأسباب والامداد من كل ناحية وقطر بلاد ، وكلهم بما قدروا عليه يمدون (أو لم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعا ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون) وسحب ثوب الخيلاء والتيه وجره ، وأوطأ سنابك خيل جيشه المجرة ، واختال بما داخله من العجب والأنس المسرة ، التي كان في ضمنها له الهلاك والمضرة ، والذل والهوان والمعرة .

إذا لم يكن عون من الله للفتى فأكثر مايجني عليه اجتهاده

فكان والعياذ بالله كالجادع أنفه بكفه ، والباحث عن حتفه بظلفه ، وهذا شأن الذين يستدرجون (والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم من حيث لايعلمون) وحث السير يريد الفيحا وصولا ، وطوى بأيدى الجياد من المهامه صعابا وسهولا ، وعزم أن يفي بعهده (إن العهد كان مسئولا) حتى يصادف من الباشا رفعة وقبولا ، ولقد تكلف بما ليس والله في طوقه (إنه كان ظلوما جهولا) وشمخ بأنفه وجر للكبر ذيولا (إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا) ولكن أكثر الناس لايتدبرون (وأخذناهم بالعذاب لعلهم يرجعون) ولما قارب دخول البصرة في الاقبال وتبين له منها رسوم وأطلال ، خرج إليه أهلها من الفرح باستعجال وتلقوه بالقبول من أميال وبادروه بالحشمة والإكرام والإجلال وأظهروا من التوقير والخدمة والامتثال ما لايخطر على البال ولا يحصره في البيان المقال ، فدخلها بأبهة تغشى عيون الناظرين رونقا وحسنا ، وتخجل المتأملين فيها ألبابا وذهنا ، ويبهر العقول مشاهدة ذلك المقام الأسنى فتنقص عند مطالعته مهابة وجبنا ، وتقول ياليت لنا مثله ، وكذا أهل الدنيا يقولون (ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا ولا يلقاها إلا الصابرون) ولم يستقر قراره في البصرة بل ساعة دخلها أخذ يجهز أمره ويظهر تجبره وبأسه وقهره ويجد في أسباب الحرب والمكايد خفية وجهرة ويحذر الناس سطوته ومكره ويخوفهم لكي يساعدوه ويشدوا أزره .

ولقد بذلوا الجد في مساعدته وحققوا عزه وغلبته ونصره وما جال في خلدهم أنه قد حفر لنفسه من الشر حفرة وهي لمصرعه بيديه قبره ، ولقد كانت حاله لذوى العقول عبرة ولكن أكثر الناس لايعتبرون (قد مكر الذين من قبلهم فأتى الله بنيانهم من القواعد فخر عليهم السقف من فوقهم وأتاهم العذاب من حيث لايشعرون) .

وفى حدود إتيانه البصرة ووصولها وهبوطه إليها ودخولها ومكثه فيها وحلولها أتته من رؤساء ما تليه من البلدان ومن العلماء الذين هم لهذا الدين عدوان وعلى محققه من الأرض أعوان محررات الوسائل للنفوس ومحبرات الرسائل فى الطروس، والصحف التى أجيد فى السجع منشورها والقصائد التى جلى بالبهتان صدورها وأفصح بالعداوة والبغى منشورها وأبان محض الحسد والاستكبار صدورها فكانت ولله الحمد شؤما عليه قدومها وظهورها لما بالغ فيه من الفحش بهتانها وزورها وتعدى فيه عصيانها وفجورها ومضمون تلك الرسائل والقصائد ومطلوبها من الأمانى والفوائد حثه على سرعة التعجيل لما هو قاصد لكى يفوز بما أملوا من المقاصد ولم يجر على بالهم أن الله تعالى له بالمراصد (وأنه يعلم ما يسرون وما يعلنون ـ قد قالها الذين من قبلهم فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون) واستغاثوا به فى منثورهم ومنظومهم وندبوه وسألوه تعجيل النصرة لهم وطلبوه ولم يخشوا الله تعالى فى ذلك ولم يرهبوه ووعدوه الأجر على ذلك ورغبوه، وتألوا فى نصره على الله فيما كتبوه وليتهم لسوء هذه الجراة يفهمون (أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم بلى ورسلنا لديهم يكتبون) وأعنقوا فى سيرهم ذلك، ونصوا وعموا فى حكمهم له وخصوا وجزموا له فيما زخرفوه له بالغلبة ونصوا وما اكترثوا بمن عليه يجترئون (ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين وإنهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون) وقد وصل إلينا من هاتيك الديار منظومة لابن فيروز من تلك الأشعار متضمنة لأقبح العار تبين فساد مبناها وبطلان مفهومها ومعناها بأول وهلة قبل التأمل والاختبار، كيف وقد صرح فيها ناظمها ومنشيها بالاستغاثة بملك جبار وظالم تعدى وجار، والدعوة والاستغاثة حق للواحد القهار كما هم فى محكم التنزيل يقرءون (والذين تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم ولا أنفسهم ينصرون) ولقد نظمها ابن فيروز وأرسل بها إليه وقدمت البصرة عليه فقابلها بالقبول التام وأبدى من حسن القبول والإعظام ما زاد على السول والمرام وأمده بكثير من الحطام، وكان بينهما قبل ذلك محبة وصحبة والتئام ومعاشرة ومواصلة وانتظام، فهم على الخلة مجتمعون (الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون)، وهذا نصها :

أنامل كف السعد قد أثبتت خطا ... بأقـــلام أحكام لنا حررت ضبطا

وقد أجاب عنها المصنف وأرسل بها إليه :

وهذا نص الجواب

على وجهها الموسوم بالشوم قد خطا ... عروس هوى ممقوته زارت الشطا
تخطت فأخطت فى المساعى مرامها ... ومرسلها عن نيل مقصوده أخطا
وثارت لنار الشرك تذكى ضرامها ... وسارت فبارت والإله لها قطا
لقد شوّهت ما زخرفته بزورها ... كما أنه بالمين قد أحكمت ربطا
وقد جاء منشيها بزور ومنكر ... وفحش وبهتان يعط به عطا
وحان به داعى العناد لمهيع ... تنكب عن سبل الهداية واشتطا
فضلّ عن الإرشاد للحق واعتدى ... وغط أناسا فى طريقته غطا
وجاوز منهاج الهداية راضيا ... عن الدين بالدنيا فما نالها بسطا
يحاول تشييدا ورفعا لما وهت ... قواعده فوق البسيطة وانحطا
ويسعى بتحريض وتهييج فتنة ... تصير إذا شبت لحاء العدا شمطا
وربك بالمرصاد ممن يريد أن ... يؤسس ركن الشرك من بعد أن حطا
فلا عجب من يعش عن ذكر ربه ... يقيض له الشيطان ينشطه نشطا
لقد خاب من مسعى غدا طول عمره ... يصد عن التوحيد من دان أو شطا
ولا كابن فيروز يروم سفاهة ... دفاعا لحق فى البرية قد وطا
وصار يذود الناس عما أتى به ... أجلّ شفيع فى الجزا للوى يعطى
ويدعو إلى نهج الضلالة معلنا ... ومنهاج أهل الزيغ جهرا به أطا
يغالب أمر الله والله غالب ... ويندب من لايملك الرفع والحطا
ويرجو من المخلوق غوثا ونصرة ... يناديه من بعد أغثنا بلا إبطا
وذاك من الأقدار ما فك نفسه ... ولم يغن عنه المال إذ بذل الشرطا
لئن كان يدعوه لتفريج كربة ... فليس سوى الرحمن ندعو بلا استبطا
فبشراه بالخسران والذل إن سعى ... بهضم لهذا الدين أو وافق الضغطا
ومن جرّب الأشياء يكفيه ماجرى ... ويلفى أباطيلا عن الاهتدا شحطا
وينظر فى عقبى الخيانة والردى ... فكل امرئ خان العهود غدا سقطا
وللشهم فى تلك القضايا مواعظ ... يرد بها عنه الغواية والهمطا

وكم دولة كادت وقادت جموعها ... فبادت وما فادت وما أدركت مسطا
يريدون إخفاء لما الله مظهر ... وإتمام نور الله بالحفظ قد حيطا
رويدا فوعد الله لابد واقع ... وقد وعد التمكين من عمل القسطا
ومن عارض الأقدار أو سخط القضا ... فربك قهار له المنع والإعطا
وما ذاك إلا معتد ذو حماقة ... توغر فى الإبلاس واغتر وانغطا
فويل له يوم القصاص وحيث لا ... مناص وأهل النار تسرطهم سرطا
سمت عصبة التوحيد عما يشينهم ... وعن وصفهم بالكفر لكنه الإخطا
أيوصف بالطاغوت من جدد الهدى ... وأحيا أصول الدين والسنة الوسطا
وأعلن بالإسلام والدعوة التى ... لها كشط المختار رأس العدا كشطا
وقام بأمر الحق فى جاهلية ... وأهل الردى والشرك تحسبه خلطا
وأطلع مولاه نجوم سعوده ... بآل سعود حين صاروا له سبطا
فسبحان من عم العباد بحلمه ... وفى هذه الدنيا بإمهاله غطا
يكفر قوم بالكتاب تمسكوا ... وبالهدى والإجماع ما خالفوا شرطا
وما عمموا بالكفر بل خصصوا به ... أناسا من الإشراك أعمالهم حبطا
أفى محكم التنزيل تكفير من دعا ... إلى الله والتقوى وإسلام من شطا
ءأهل الهوى والزيغ والفرق التى ... تحرّف وحى الله حازوا الهدى خرطا
وهل جاء فى التنزيل والوحى شاهد ... بتحقيق إسلام الروافض قد خطا
ومن قد نحا فى الدين سنة صحبة ... ينادى عليهم أنهم خبطوا خبطا
فتبا وسحقا يالها من مقالة ... من الإفك والبهتان قد سحبت مرطا
لينظر ذو الأحلام والعلم والتقى ... إلى أى قوم فى الهدى تبعوا الخطا
وفى غربة الإسلام أعظم شاهد ... بإسلام من قد قام يدعو الورى عبطا
وبرهانه العقلى نصرة رهطه ... وتمكينهم فى الأرض أكرم بهم رهطا
لقد رفعت أعلامهم بأميرهم ... وأبناه أسد الحرب بل بأسهم أسطا
بهم أسفرت شمس الدجى بعد دجنها ... وزال ظلام الشرك من بعد ما لطا
ذوو الحزم والتسديد والعزم والنهى ... وأهل المعالى والفخار بهم ينطا
يذودون عن ورد الدنايا نفوسهم ... ويسخون فى نيل المزايا بها سفطا

فقد بذلوا فى ذا النفوس فأحرزوا … به العز ياطوبى لمن أدرك القطا

وقد ولى الحسا سعود فأسعدت … مساعيه أهل الخير فانتظموا سمطا

وأبعد أهل الشرك عنها وأبعدت … مذاهبهم فيها وما أبصروا غمطا

وقرر أرباب الوظائف كلهم … وما شاهدوا فى كل أوقافهم هبطا

مدارسهم معمورة بعلومهم … وما ثبطوا عن نشر أحكامهم ثبطا

وما أبطلت أحكامهم حيثما أتى … بابطاله الشرع الشريف وما أخطا

نعم هدمت للرفض فيها كنائس … وكل شعار الرفض عن أرضها ميطا

وما كان من جور ونكث وبدعة … ولهو وتابوت وكل الدعا معطا

ولم ينف الأكل من عمل الردى … ومن كان سبابا لمنطقه مسطا

فليس ترى إلا مفيدا وهاديا … وعلما وتحديثا بذا تسمع اللغطا

وأمر بمعروف وتنكير منكر … وتنكير من قد قارف الذنب والسخطا

وحثا على فعل الصلاة جماعة … وتوبيخ من عنها تخلف أو أبطا

فلله رب الحمد والشكر دائما … على نعم لم يحص نظمى لها ضبطا

لقد منّ مولانا علينا بمنة … وخوّلنا من فضله خير ما أعطى

وصب علينا من شآبيب بره … سحائب رحمى قد حوينا بها غبطا

بانقاذنا من غمرة الشرك والهوى … ولولاه كنا فى غياهبها ورطا

عسى الله يعلى فى الجنان محمدا … ويولى الرضى عبد العزيز الذى وطا

ويحرسه عن كل سوء ونسله … ويبقى سعودا فى سعود وفى ابطا

أبا عمر هنيت بل هنى الورى … بما نلت والتوحيد حاز بك البسطا

إليك القرى والمدن ترنو عيونها … عناك ترعاها فتملؤها قسطا

وترتاح من عليا سعود ونصره … وتغبط نجدا والحسا الآن والخطا

تجهز لها المنصور بالبشر تلقه … وتفرش إكراما لإقدامه بسطا

فقد طرز الإقبال آيات فوزه … براياته والنصر والفتح قد خطا

ودم شاربا كأس المسرة والهنا … بأطيب عيش والعدا تأكل الخمطا

وأزكى صلاة يفضح المسك عرفها … تعم رسولا فى الورود لنا فرطا

كذا الآل والأصحاب ماخط كاتب … وأنق فى مرسومه الشكل والنقطا

ولنرجع إلى تمام الحديث عن ثوينى وحاله وشرح مسيره وتدبيره وتدميره ومآله وذلك أنه لما أقام فى ذلك المكان فى ترتيب الحال وتدبير ذلك الشان ، واجتمع عنده من أحباس الأجناد لغات مختلفة وألوان ومن عدة الحرب والمدافع وآلاتها وقاداتها وحماتها ورماتها مايذهل الأذهان ، ولم يجتمع قبله مثله عند إنسان ، ولا أحكمت سياسته من هو فى شكله من رؤساء الزمان وانتظم ذلك فى قليل من الشهور وانقادت له طوعا استدراجا صعاب الأمور ، أذّن مؤذن التعدى والفجور فى تلك الجحافل والمحافل والعسكر المجرور بالارتحال والمسير إلى الاحساء فالنفور والمبادرة بالخروج والظهور وتردى برداء الإعجاب والغرور ، ونسى يوم البعث والنشور يوم يساقون للحساب ويحشرون (كلا سيعلمون ثم كلا سيعلمون) وانضم إليه كثير من سواد البوادى والأعراب ونسلوا إليه من كل فج وباب وتنادوا بينهم أن اغدوا للأخذ والاستلاب (جند ما هنالك مهزوم من الأحزاب) وسمحت نفوسهم على المساعدة وتقوية الأسباب بما كانوا ببعضه يبخلون (إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون) وأقبل جميع آل ظفير إليه ، ونزلوا بأجمعهم عليه وكانوا معه ولديه وخلعوا ما ادعوه قبل من ذلك اللباس وجنحوا إلى سنن الإبلاس ، واستحوذ على رؤسائهم الوسواس حتى أنزل الله تعالى بهم الباس وكانوا عن سبيل الحق يصدون (هم العدوّ فاحذرهم قاتلهم الله أنى يؤفكون) فزحفت تريد الحسا تلك الجنود والجموع التى ضاقت منها الأودية والفجاج والوهود ، وقاد معها القنابل والقنابر والمدافع التى أصواتها كالرعود ، وجدوا يريدون أن ينالوا المقصود فقضى الله تعالى أنهم يساقون لحياض الحمام المورود ويعجلون لأجلهم المعدود فى ذلك اليوم المقدر المشهود ، وأخذوا من حيث لا يظنون (فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل ولا تستعجل لهم كأنهم يرون مايوعدون ، لم يلبثوا إلا ساعة من نهار بلاغ فهل يهلك إلا القوم الفاسقون) فلما تحقق عبد العزيز الامام الخبر عن ثوينى بصحيح الكلام واشتهر عند الخاص والعام أنه نشر لظهور الرايات والأعلام رفع يديه لمولاه وسأله ودعاه وألح فى دعائه وناداه وقال وهو من الاجابة على يقين : يامن يجيب دعاء المضطرين ولا يخيب رجاء المرتجين ويكشف السوء عن المكروبين ، أكفنا بحولك وقوتك المعتدين واصرف عنا شرّ الضلال والمشركين وانزل بأسك بالمجرمين واقطع دابر

الظالمين وشتت شملهم أجمعين واجعلهم فى كل فج ممزقين ، فلم يتم حينئذ دعاءه حتى قوى فى يقينه رجاؤه وغلب على ظنه أن البلا كتب على جميع ذلك الملا وأن الهلاك عليهم قد سطر والإذلال عليهم رقم وزبر وقد فرغ من ذلك وقدر فتلا (سيهزم الجمع ويولون الدبر بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر) فحقق له ذلك الرجا وأنجح له ماأمله وارتجى ، ولم يكن باب الإجابة عن قبول دعائه مرتجا والله يحب الذين إليه فى كل حالة يتضرعون (أم من يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض ءإله مع الله قليلا ماتذكرون) ثم بعد التضرع والاقبال والدعاء والسؤال والتذلل بين يدى الله والابتهال أمر سعودا والمسلمين بالتجهز والخروج أجمعين لمنازلة المبطلين ومصادفة المسرفين ، وأرسل بذلك إلى كافة البلدان من هو داخل فى دائرة الإسلام والإيمان البعيد والقريب والقاصى منهم والدان ، فكل أجاب طلبته ومراده ولبى دعوته وإنجاده ، وخرجوا للطاعة بدارا وللجهاد شوقا واختيارا ، وقد بلاهم الله بذلك اختبارا ، وامتحنهم ليميز الخبيث من الطيب جهارا ، فلقد أبدى الله سبحانه وتعالى فى هذه الحادثة برهانا ساطعا وحكما قاطعا من الآيات والأسرار المطوية الخفيات والأمور المكتومة الخبيثات ، والعقائد التى فى الصدور منطويات والأهوية التى هى قبل مائلة إلى الردّات والقلوب التى هى مملوءة ببغض هذا الدين من البريات وتربص بذلك الدوائر من أهل الشرك والضلالات والأفئدة التى هى بالإحن على أهل الدين مشحونات من البدو والحضر من غير تعداد ولا حصر ففضح الله تعالى خلقا كثيرة فافتضحوا وزين لهم الشيطان أعمالهم فما فازوا ولاربحوا حيث رغبوا فى الردة حينئذ وجنحوا فأوبقتهم الأعمال ، فأخرجوا إلى دائرة العدل والاهمال وزال عنهم الاستدراج والإمهال فانقطعت بهم الآمال فى مفاوز الهلاك والوبال ، ضنوا حين رأوا قوة ذلك العدد والأسباب أن هذا إبان حلول العذاب وأوان الدمار والذهاب ،على أهل نجد بل جزموا به من غير ارتياب ولم يعلموا أن هذا هو ورب الأرباب كله على القطع سراب فكم غر قبلهم من قبائل وآل فى البيداء المضلة لمعان الآل ؛ ولقد رفع أعلام الآيات الكبير المتعال لكل من له قلب سليم ولب كامل وبال ، وأبرز القواطع على تفرده بالألوهية والعبادة والكمال فى تلك الحال وغيرها من الأحوال ،فأبى الا الصد والإعراض أهل الالحاد والضلال وقالوا ليس لنا عن سنن أسلافنا انتقال ولا نبرح على ماكانوا

عليه من سالف الأعمال ، وسابق ذلك المنهاج والأفعال حتى تزول الأرض أو تزال ، فأنزل عليهم العذاب سريع العقاب والانزال فقطع دابرهم باستئصال ، وعاجلهم ذلك قبل حصول مأمولهم وإدراك مطلوبهم وسؤلهم ، ونودى عليهم (أو لم تكونوا أقسمتم من قبل مالكم من زوال) وخرج جيش أهل الحسا آخر شعبان وجيوش أهل نجد اجتمع أكثرها فى شهر رمضان ، وخرج سعود بلغه الله تعالى كل مقصود فى النصف الأول من شوال فى أحسن حال وأكمل بال ، وقد أمر جيوش المسلمين وامداد الموحدين أن يكونوا عند العربان مجتمعين وينزلوا طرف الصمان مباراة لأولئك العربان وكبيرهم محمد بن معيقل ، فكان أهل الاسلام كلما أقبل أولئك الطغام ونزلوا مكانا آخر ، ارتحل ابن معيقل ومن معه وجد فى ذلك وبادر حتى نزل المسلمون قرية ونزل أولئك بناحيتها بلا مرية ، وكانت تلك الجنود والأحزاب تروم السبق على الطف وما يليه من غير ارتياب ، فعرف أهل الدين مرادهم وممشاهم فسبقوهم على ذلك وكان عقباهم الخسر ومثواهم . ولما خرج سعود لذلك المنهج المحمود أقام على الحفر يجمع عليه الأمداد من كل أرض وبلاد ويرسلها إلى عربان المسلمين وأجناد أهل التوحيد المجتمعين وقد أعمل المطى والرسائل إلى جميع العربان والقبائل وإلى جميع قرى الإسلام وبلدانه ومن حل التوحيد بأوطانه من أهل الجنوب والشمال ، فانتظم من الخلق والأمم ما لا يحصره القلم ولا يعبر عنه ناطق بفم .

ولما تحقق عنده نزول ثوينى وادى القرايا ، أرسل حسن بن مشارى رحمه الله تعالى مع جندية من تلك البرايا حتى يستريح منهم البال ويحسن منهم الحال ، فقد كانوا فى كرب وأوجال لاسيما من عدم قدوم سعود عليهم بالاستعجال ونزوله عليهم تلك الأيام والليالى ، ولم تعبر أحلامهم ساحل الفكر والإحتيال ولم تتجار خيول أفكارهم للرأى فى مجال ، ولم يفهموا ما ابتداه من نتائج ألباب الدهاة من الرجال ولم يسمعوا ما ورد فى صحيح المقال « الحرب خدعة » ولله در المتنبى حيث قال :

الرأى قبل شجاعة الشجعان ... هى أول وهو المحل الثانى
فإذا هما اجتمعا لنفس مرة ... بلغت من العليا أعز مكان
ولربما طعن الفتى أقرانه ... بالرأى قبل تطاعن الأقران
لولا العقول لكان أدنى ضيغم ... أدنى إلى شرف من الإنسان

فقصر باع الأفهام ، أن تدرك سر التأنى فى ذلك المقام ، وعدم المبادرة بالإقدام وظنوا أنه إحجام ولم يتعودوا ممارسة العقول بالتدبير والسياسة ، ولم يتأهلوا للقيام بأعباء الرياسة وأضاعوا مواد الحزم وخبطوا خبط عشواء بلا يقين ولا جزم وحكموا بما لم يحيطوا به من علم، ولم يكونوا من غامضه على فهم، فاستحسنوا ماليس بالحسن لكون المقدمة لم تنتج لهم المطلوب فى العلن وإلا فالأناة محمودة والعجلة مذمومة مبعودة كما ورد فى بعض الآثار ، ومستحسن الأخبار ، ولقد قال من سبق فى هذا المضمار :

قد يدرك المتأنى بعض حاجته وقد يكون مع المستعجل الزلل

ولقد دبر فكره فيهم مكايد وأقام لخداعهم رصائد ، ونصب لهم شركا وحبالة تقتنصهم فرسانا ورجالا ،وأحكم لهم من الآراء درعا سابغة وزرداً بيوم الهياج نابغة،وهمت عند المنازلة لكتائب الأعداء رابغة،وأسنة مسنونة وعصبة بالنصر مقرونة لم يرقط عن الإقدام لها تأخر ولا إحجام ،بل لاتزال للوغى طالبة وفى الجهاد راغبة والأرواح ناهبة والمهج سالبة وأراد بهم أمراً أمرا ومن القاصمة كاهلا وظهرا ، فأرسل إلى حسن بن مشارى يأمره أن يجمع عربان المسلمين وجموعهم على مياه أم ربيعة لكونها منزلا للقتال والمحل الواسع لمنازلة الكتائب والمجال ، فعسى العدو إذا رأى هذه الحال يظنها رعبا وأجفال ، فيسرع فى القدوم والإقبال فتقع المصادفة والمزاحمة وتصدر المقاتلة والملاحمة فلا يطول مكث لتلك الكتائب حتى يرى سواد سوادى آيب ، فتقع حينئذ فى الطعن عجائب ، وتبدو أحوال غرائب وخطوب ومصائب ، فتضحى كماة الأعداء للنجاة طوالب وتلك الأحزاب متمزقة هوارب، ويضيق عليهم إذ ذاك فسيح المطالب ويمسى كل واحد لكأس الذل شارب ولكن صدور ماجرى تدبير من ليس له غالب ، وإرادة من لايعجزه فى الوجود هارب وخيرة بر وصول حليم غير عجول كريم جواد يحف بالنصر والإمداد . من أراده من العباد،وكفى بارادته وخيرته للموحدين وعصبة الدين من خيرة ومراد ، وبإمداده وإسعاده من إمداد وإسعاد ؟ فسبحان الذى قدر الأشياء قبل الإبراز والايجاد ، فوقع فى الكون ظهورها وبدا مستورها على ماشاءه وأراد .

ولما أتى حسن بن مشارى ذلك الأمر من سعود لم يكن له بد عن الارتحال حتى يتم المقصود، فارتحل تلك الأيام وترك الاقامة فى ذلك المقام وشمر فى السير بعد الرحيل من غير أناة ولا تمهيل ، وسار عن الطف وما يليه بعد ماكان له فيها مراح ومقيل

وقصد ماأمره به الأمير لكونه رأيا سديدا وتدبيرا من أحسن التدبير . فعند ذلك طمع الأعدا وكافة ذوى الردى وحسبوا أن ذلك مخافة وجبنا ورعبا أطار قلبا وذهنا فزحفوا إلى المكان الأدنى فأكسبهم الله ذلا ووهنا ، وأهلكهم بما كسبت أيديهم وأورث المؤمنين المحل الأسنى ودثرهم من أموالهم وأغنى ، طمس الله تعالى على بصائرهم وأبصارهم وعمى عليهم الحيل والخداع . فلم يهتدوا لذلك بأفكارهم فألقوا أنفسهم إلى التهلكة بأيديهم وهذا شأن قائدهم يغويهم ثم يرديهم ، وقد كشف الله تعالى بالارتحال عن ذلك المكان ماأضمر فى القلوب واستكن فى الجنان وأبرزه سبحانه من أناس فى صفحات الوجه وفلتات اللسان فنطق بالنفاق كثير من العربان لاسيما فى ذلك البدوان ، فكاد أن تنفق للنفاق أسواق ويكون للباطل اعتلاق وللزور والكذب اختلاق ومالوا إلى طريق الهوى وحاولوا عن الهدى نفورا و (إذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض ماوعدنا الله ورسوله إلا غرورا) وثبت الله تعالى أهل التوحيد والايمان وزادهم فيه تصديقا وإيقان (وقالوا هذا ماوعدنا الله ورسوله) كما فى القرآن وصدق الله ورسوله فأولاهم أسنى مراتب العرفان وأفاض عليهم هاطل البر والإحسان ، وكانت العقبى لهم مع مامنحهم من رفيع ذلك الشان .

وفى حدود هذه الأيام أرسل حسن بن مشارى جيشا كثيرا من المسلمين ، منهم محمد آل على المهاشيرى وفراج وصالح بن عياش ، وأمرهم أن يطالعوا أدنى تلك الاحزاب ويرسلوا إلى براك بن عبد المحسن حتى يسرع إليهم فى الإياب لأنه قد أرسل إلى عبد العزيز الإمام حدود مسيره إلى الشمال تلك الأيام يبين له ماجرى وأنه لم يرد ذلك المرام ولم تطب نفسه بذلك ولم يتقدم له فيه كلام ، وإنى أريد بالمسلمين اللحوق ولكننى عن ذلك معوق وإن أتانى من المسلمين غزوان بادرت إلى لقائهم من غير توان ، وكتب كذلك إلى سعود قبل ظهوره من البلد وبعده وبذل فيه جهده ، وكتب إلى حسن ابن مشارى تلك الأيام وهو غير خائف ولا ممارى بل رغبة فى الإسلام والإنقياد للأحكام ، فلما سار ذلك الغزو إلى تلك الأقوام لم يحصل لبراك انتهاز فرصة ولا انهزام لكون الأحزاب به مرجفة ومنه محذرة مخوّفة ، فصارت له مكشفة فردت تلك الغزاة منحرفة ؛ وفى هذه الأيام أغار فراج كبير سبيع مع غزو المسلمين حاضرة وبادية فأصبحت خيولهم على المعادين عادية وكانوا عنهم مخبرين وعن قدومهم منذرين

فصاروا لهم مستعدين فوقعت بينهم مطاعنة شديدة ، وكان للمسلمين فيها أحوال حميدة بعد ما أناخوا للقتال ولم يتبين فيهم رعب ولا إجفال ، فقتل بينهم رجال ، وقتل المسلمون منهم ثلاثة عشر فرسا وأخـذوا عليهم آبال ورجعوا فى أحسن حال .

وفى تلك الأيام أيضا ، أغار نفجان بن سند الندى مع غزو معه على الضويحى فأخذمنهم إبلا كثيرة وفزعوا يريدون ردها فرجعت أبصارهم عنها حسيرة .

وفى هذه الأيام أرسل سعود رسلا نحو القطيف ومعهم ركب آل مرة لسكون الطريق يخيف ، فلما أتوا ذلك المكان وجدوا قوما من العمائر العدوان ففجئوهم على غرة ونفذ الله فيهم أمره وقتلوا منهم خمسة وعشرين وأخذوا السلاح وما كانوا له مجمعين . وفيها وقع مطر عظيم وجرى سيل جسيم وكان ذلك وقت الوسمى وأوانه وحينه وزمانه وأول أيامه وإبانه ، فزاد ذلك وأربى وأشفق منه الناس مخافة وكربا وتلاطم موجه وزاد وأزال كثيرا من دكاكين أهل البلاد تعاظم جريانه وطما وصعد بعض البيوت وارتمى ، وطرح بعض نخل من البطحاء ورمى وهـدم كثيرا من الركايا وأقيمت منه بيوت خوايا ونالت منه بعض الضرر الرعايا وألقى بيوت أهل الدلم وأزالها وأغرق ما فيها من الأمتعة والطعام والأموال وشالها فغير من أرباب تلك البيوت حالها ، فاختطوا بعد ذلك اسكناهم خطة وكان ذلك السيل عليهم من البلاء حطة ونزل على حريملا برد كثير كبار لم يعرف له مثيل قتل بهائم كثيرة وكسر جمار بعض النخيل وكسر غالب الأشجار وحصل للمسلمين منه اندعار وهدم كثيرا من الجدران وأشفق منه غالب البلدان فلجئوا فى رفعه إلى الله مولاهم فكشفه عنهم ومنحهم مناهم .

وفيها أيضا فى فصل الصيف أتى سيل أخجل الألباب والأذهان ولم يجر قبله مثله فى سابق الزمان هدم بعض حوطة أهل الجنوب ، وحصل للمسلمين منه كروب وهدم من العيينة والدرعية وغيرها بيوتا معوذة وأغرق زروعا كثيرة محصودة ولكن أدرك الناس به نعمة منيفة ومنة من الله تعالى شريفة حيث استمر سنة يجرى من غير مطر وادى بنى حنيفة ، فطابت لهم البلاد وحسن لهم العيش والحال وأقاموا مدة هذه السنة فى أنعم بال (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وإذا أراد الله بقوم سوءا فلا مرد له وما لهم من دونه من وال) . وفيها كثر الجراد وعم فى أكثر البلاد وانتشر فى غالب الأقطار وربى فى كثير من البلدان والأمصار وحصل للناس من

خلفه الصغار الذى لايقبل الزجر والانزجار ولا يعتريه من الوهج انذعار أعظم ضرر وإضرار ، فأكل ذلك الدبى لما مشى ودبى ولم يشعر به الناس حتى طلع عليهم جيشه وبنا غالب ثمر الأشجار ثم ولى بقدرة العزيز القهار . وفيها غزا ربيع بن زيد أمير وادى الدواسر بجيش من جماعته ما بين حاضر وباد فأسرع فى سيره يريد بعض البدوان ذوى الشرك والضلال والطغيان فصبح فريقا يقال له أبو البؤس من شهران فشن الغارة على ذلك الفريق دون إمهال ولا تعويق ؛ فشمر حزب الفسق للقتال بالصدق وعزموا أن يكشفوا العوادى القوادح ويوقعوا من عزمهم بالمسلمين أمورا فوادح تسويلا من الشيطان واغترارا بالصبر عند الطعان حتى رأوا من بأس أهل الدين ما أكذب أمانيهم، فولوا منهزمين وقتل منهم نحو الخمسين، وأخذ المسلمون جميع المحلة والغنم والابل ورجعوا بالأجر وحسن العمل . وفيها غزا ربيع أمير واديه بجمع من حاضره وباديه ؛ فسار بمن معه من المسلمين وحزبه المتبعين يريد بلدان المشركين، فعمد إلى بيشة ونزل على الشقيقة والجنينة وبادرهم بالقتال بعدأن أبوا الإسلام وحينه ، ثم بعد أن مضوا لهم ليالى وأيام وهو محاصر لهم فى ذلك المقام رغبوا فى طريق السلم والاستسلام ونزلوا للبيعة على الإسلام فعاهدوا جميعا على ذلك وحسن لهم المقام هنالك . وفيها أمر عبد العزيز أدخله الله تحت كنفه الحريز ربيع بن زيد أن يسير بجماعته إلى رنيه مع من عنده من أهل ذلك المكان ومهاجرته ، فسار ممتثلا لذلك الأمر حتى أناخ على رنية ، فبنى بها قصرا فلما أحكم بناؤه وتم رفعه واستعلاؤه جعل فيه آلة للحرب وكثيرا من الطعام وأمرفيه محمد بن سعيد بن قطنان، فحين عاينوا أهل رنية ذلك العمل رجف بهم ذلك الوطن والمحل وضاق عليهم فسيح الرحاب ودهاهم أعظم الاكتراب وحل بهم الأسى والاكتئاب فلم يجدوا منهجا للدفاع ولم يكن عن الدخول فى الدين امتناع وإن كانت تفر عنه تلك الطباع وليس لهم فى البقاء على حالهم أطماع ، فعند ذلك أسرعوا فى الإسلام على المبايعة وأقبلوا للعهد متابعة، فأبدوا أولئك الأقوام مناهج الاستسلام ودانوا لما تضمنه من الأحكام على طريق الإلزام . وفيها غزا محمد بن معيقل مع جمع من أصحاب الحساء والمهاشير وأهل نجد وكانت جزيرة العماير التى بالبحر له قصد ، فسار وقد زال عنه ومن معه من الرجال رين النصب والسآمة والكلال ، وقد أجهد المطى فى السير والترحال ، لئلا يعلم ما دبره وهيأه

من الحال ، فلم يزل يجد التسيار ويقد بمقراض اليعملات القفار حتى شخص له لمع البحار وسمع زخر موجة التيار وبدت له فى الجزيرة الأشخاص ،فأسرعت الجيوش الإحسائية والأبطال المجربة النجدية إلى خوض اللجة البحرية مستمدين النصر والإعانة السرمدية من خالق البرية ،ولم تسبق قبل هذه فى البحر لأهل الدين غزوة ولم يفترعوا من تياره صهوة بل لم يقصدوا نحوه وخاض معهم بعض الخيل ولم يكن لأحد عليهم قبل ذلك صدود ولا ميل ،فشمر يعوم من كان يحسن العوم من أولئك الجماعة والقوم حتى وصلوا إلى ساحل الجزيرة فساروا إليها بأعظم الجريرة ، وحين رأى من بها من الرجال مهول تلك الأفعال علم أن وراءه من القتال أحوال وأهوال ، فركبوا سيارة الأفلاك فكان لهم بها من السلامة أفلاك ولم يكن لهم سبيل ولا إدراك ، وقتل منهم بعض الرجال وأخذ المسلمون جميعا ما بها من الأموال فأدركوا فيها ستا من الخيل الأجاويد ونحو أربعين من إناث العبيد وخياما كثيرة وسلاحا وأمتعة ونقودا وأرباح وفازوا بالأجر والفلاح ورجعوا من الأمل بالنجاح . وفيها أرسل غالب الشريف رسلا إلى عبدالعزيز أصلح الله تعالى له الحال وبلغه جميع الآمال يطلب منه عالما من أهل الدين والتوحيد ويزعم أنه يقصد بذلك تحقيق هذا الأمر ويريد ويحرض على قدومهم مع من أرسله من البريد حتى يقف على الحال عن يقين وعيان ويحيط بعد ذلك بالعرفان وينجلى له من المناظرة فى شريف ذلك المكان ما خفى عليه من مدة أزمان. وربما تشرق له أنوار شمس البيان ويحصل منه بعد الإباء والإصرار إذعان وبعد النفرة عن عذب ذلك المنهل شرب وإدمان ، فلما عرف إمام أهل الإيمان ما قصده ذلك الإنسان ، وما حرض عليه من المناظرة لديه والتبيان ، رغب أن يكون انفدح له من الدعوة شى أو نشر له من الحق طى وربما يبدو منه إياب وفىّ بعد فرط صدود وامتناع ولىّ ،ويقتضى من شاء عن القرب لذلك المكان،وأيضا فالهداية والتوفيق قد يكونان فى أوقات دون أوقات،ولله فى دهره نفحات كما جاء عن النبى صلى الله عليه وسلم فى بعض الروايات ؛ وكان من حسن سيرة عبد العزيز وفطنته وبديع هديه وسنته وعظيم فضل الله عليه ومنته أنه يدعو إلى الله تعالى بالتى هى أحسن وأحكم ويرشد العباد للتى هى أقوم ،فرأى إسعافه بذلك المرام وإسعاده واختار أن ينيله مأموله ومراده فعسى أن يكون له سببا للسعادة ؛ فعند ذلك أرسل إليه من أهل الدين من يكشف

عنه شبه المبطلين ويوضح له سبل المهتدين وهم أناس من أهل الميز والتبيين وحسن المحاضرة فى المناظرة بالبراهين وكبيرهم حمـد بن ناصر بن معمر وكان هو المرأس عليهم والمؤمر، فجهزهم بأحسن الجهاز وأتمه وخوّلهم من معروفه أعمه، فجردوا المسير الهمة وقطعوا تلك المهامه المدلهمة حتى أتم الله تعالى عليه الفضل والنعمة وصرف عنه البؤس والنقمة، فوصلوا بعد إنضاء الأعوجيات وإرقال تلك المهريات فى سياسب الفلاة ومواصلة السرى فى الدجنات بلد الله الحرام ومحلة الحج الذى هو أحد أركان الإسلام، فدخلوها معتمرين فطافوا وسعوا وأتوا بالعمرة على التمام ونحروا الجزر التى أرسلها الأمير سعود إلى بيت مولاه فى المروة التى تراق فيها دماء شعائر الله، أوصل الله تعالى إليه أجر ذلك وثوابه وأناله على ذلك القبول وأثابه وبلغه فى الدارين مقصوده وطلابه، فقابلهم الشريف بالإقبال وأبدى لهم طلائع الإجـــلال وتلقاهم بطلاقة وجه واستهلال، وأنزلهم منزل التوقير والسلامة، ووالى عليهم حشمته وإكرامه وأحضرهم لديه مع علمائهم ليال وعقدوا للمناظرة مجال، وتجارت الأذهان فيها للجدال وشرّعوا أسنة المقال وراموا أسنة الحق بالمحال، ولم يأتوا ولله الحمد على كل بما يثلج لهم وهيج البال من النصوص السالمة من الضعف والاعتلال، ولم يجلبوا من البراهين المؤيدة للشرك والضلال سوى موضوعات الملحدة والضلال وأكاذيب الزنادقة وغلاة العباد الجهال التى عفت منار الحنيفية ومالها من معالم وأطلال حين جرت على مباهج مناهج محياها الأذيال؛ فلما تحققوا ذلك وعلموه وتيقنوا أنهم لم يجدّوا فى الدفع وفهموه أجمعوا رأيهم وأحكموه على المغالطة فى اللفظ فأبرموه . فراشوا فى المقال النصال وحدّدوها للرمى فى النضال ورصدوا للحن فى اللفظ والمقال. لما تبين منهم الخذلان والإذلال، فلم يعثروا فى سرد صحيح السنة القامعة لهم والأثقال على مافيه لبس لدى مصنف وإشكال سوى لفظة جرى اللسان فيها على اللحن فى الإعراب والإشكال، فارتفع من بعضهم عند ذلك التخطئة بالمبادرة والاعتجال، وناهيك بهذا من نقض فى اللب والاختلال وسخافة فى العقل وخيال ووسوسة من الشيطان أبرزها له فى الخيال، وحسبك كونه فى الفلج بالحجة لم يبال ولم يبد منه فضيحة واعتجال، مع أنهم بذلك الالزام والفلج لم يذعنوا ويجحدونه وهم به مستيقنون (وكذلك زينا لكل أمة عملهم ثم إلى ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون).

وصـفة ماجرى مهم أنهم حضروا ببيت الشريف تجاه بيت الله المنيف

وجالت خيول الأذهان لدى غالب ، والكل جرى فى ذلك المضمار لإدراك المآرب فأول ماافتتحوا به التكلم والتخاطب وأجمعوا عليه فى المطالب ، وصدر منهم البذاءة والتنافر ووقع منهم بتلك المجالس وجرى منهم التحاور والمفاوضة والتخاطب فيه والمراوضة مسألة قتال الموحدين الناس والكشف عن وجهها حجب الالتباس ،فطلب من حمد بيان الحجة والدليل والبرهان السالم من الأعاليل والنص القاطع للاحتمال والتأويل والقامع لسائر الأقاويل على ذلك المنهج والسبيل ، فأتى لهم جزاه الله تعالى الثواب الجزيل من النص القاطع القامع لكل أذن واعية وسامع وأصل لهم من الأصول فيها ماتؤدى بالمراد ويكفيها، وجلب من الأحاديث الصحيحة الراجحة والأدلة الباهرة اللائحة ماشفى وكفى ، وصيرهم من قطع اللسان والحجة على شفا ، وأزاح عن محياها القتام ونفى فقصف على بيت عنكبوتهم نسيم الحق فهفا، ومزق آثارهم ومنارهم بعد ماهب عليهم وسفا وأوقفهم على المنصوص فأقروا وسلموا لتلك النصوص ، وصدر منهم الإذعان بعد ماحملهم الشيطان على كون تلك لم تكن فى الكتب مسطرة ولا موصولة فيهاومقررة، وتفوّهوا بحضرة الشريف بذلك حتى أوقفهم أحمد على ماهنالك ونقل من الكتب التى عندهم ماضعضع وجدهم وجلب عليهم علتهم وجهدهم ، فوطفت جباههم من العرق لماداخلهم من الخجل ،والفرق فلم يكن لهم حينئذ بد ولا حيلة حين قرءوا حجته ودليله ولم يستطع منهم إنسان على جحود ذلك البرهان بل صار منهم إقرار بذلك وإعلان ، ولم يكترثوا بما صدر قبل من الكتمان وما ابتدءوا به من الزور والبهتان فأمسوا بذلك يقرون وبمضمونه يصدقون (ولقد أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس مايشترون) ثم تفاوضوا بعد ذلك فى مجالس عديدة فى دعوة الأموات فأبدى لهم من النصوص العادلة السديدة والآثار الراجحة المفيدة والأقوال الصحيحة العديدة ممن له الفكرة بالتحقيق من أقوال الأئمة الكبار والأتباع المتقدمين الأخيار ماأدهش العقول والأفكار مما لايسع المنصف له إنكار ولكنهم جحدوا وقوع ذلك فى الوجود وأنكروا أن يكون ذلك فى الأقطار موجود وذلك عندهم واقع مشهود وهم على ذلك كل ساعة شهود فالعياذ بالله تعالى من هذا الإنكار باللسان مع أنهم متيقنون فى الجنان ويشاهدونه الخلق عندهم بالعيان فنقول(سبحانك هذا بهتان) ولابدع فيما جرى وصدر ، فقد قال

كبيرهم أول من حضر وتأهب للمناظرة واتزر وجرد ذيول الخيلاء وافتخر واختال من الـكبر والأشر : اعلم أنى أقول ولا أمارى ولا أخاصمك ولا أناظرك ولا أبارى إن أتيتنى بالدليل من الـكتاب أوسنة النبي التى هى خصم لكل كذاب ، ولاأجاريك ولا أطالب بما قاله علماء المذاهب سوى ماقال به إمامى أبو حنيفة لأنى مقلد له فيما قال فلا أسلم لسوى قوله من قال ولو قلت قال رسول الله أو قال الله ذو الجلال لأنه أعلم منى ومنك بأولئك وأدل بابتهاج تلك المسالك والأخذ بغير قول الأئمة هو عين اقتحام جرائيم المهالك ؛ فليقف العاقل على هذا المقال ويقضى منه العجب حيث صدر من هذا المدعى للعلم مع الله سوء هذا الأدب ، فيابئس مااقترفه من الاثم واكتسب ، لم يخف الله ولم يراقب ولم يخش سوء العواقب ، وحاول بذلك فى الدنيا المراتب حتى يكون من الجاه والرياسة فيها متوسط الكاهل والغارب . فلما انقضت تلك الأيام والليال وتقضت ساعات المناظرة والجدال ، طلبوا من حمد بن ناصر بن معمر تأصيل مابرهن به واحتج به وقرر ، وكتب ماسجله عليهم وسطر ؛ فانتدب لذلك أدام الله نفعه وكثر من الفوائد جمعه فحرر من الـكتب التى عندهم فى ذلك المكان ما أراده من ذلك الأمر والشان ، بعد طلبه منهم تلك الـكتب وتسميتها بالأعيان ، فجمع لديهم عجالة وعجلها فى سوحهم رسالة أوجز فيها مقاله وأتى فيها بما فيه كفاية فى الحجة والدلالة يذعن بعد سماعها كل منصف عاقل ويشهد بفضل قائلها كل فاضل ويقر بصدقها وصحة مضمونها الأماثل ، ولا عبرة بمنافق أو غبى أو جاهل بغى للحق المبين على أساسها صرحا وأجاد فيما أحكمه من التحرير إيضاحا وشرحا فأفاد ، فيما نحاه من التحبير صدعا وصدحا وترك مناظريه يعانون فى الجواب عنها كدحا ، فلم يدركوا من سعيهم ربحا بل زادوا فيما زخرفوه عن الصواب بعدا ونزحا وهى عليك مجلوة وحججها مقروءة ومتلوة مميطة لوضىء حسنها النقاب ، سافرة الوجه للنقاد والنقاب خالية من شين الإسهاب والإطناب جالية التجرين والارتاب ولـكن عيبها سلامتها من الإعجاب .

وهذا نص الرسالة المزبورة والعجالة المنقحة المسطورة وأتيت بها على تأصيلها ووضعها ولم أغير بديع منوالها وصنعها :

بسم الله الرحمن الرحيم

المسألة الأولى . ماقولك فيمن دعا نبيا أو وليا واستغاث به فى تفريج الـكربات كقوله : يارسول الله أو يا ابن عباس أو يامحجوب أو غيرهم من الأولياء والصالحين ؟ .

الجواب

الحمد لله أستعينه وأستغفره ، وأعوذ به من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ؛ ومن يهدى الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعهم باحسان واقتفى آثارهم إلى آخر الزمان .

أما بعد : فان الله تعالى قد أكمل لنا الدين ورسوله قد بلغ البلاغ المبين قال الله تعالى (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا) وقال تعالى (ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شئ وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين) وقال تعالى (ياأيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما فى الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين) وقال تعالى (فاما يأتينكم منى هدى فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى) وقال ابن عباس : تكفل الله لمن قرأ القرآن واتبع مافيه أن لايضل فى الدنيا ولا يشقى فى الآخرة ، وقال تعالى (ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين) الآية روى مالك فى الموطأ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « تركت فيكم أمرين لن تضلوا ماتمسكتم بهما كتاب الله وسنة رسوله » وعن أبى الدرداء رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « تركتكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لايزيغ عنها بعدى إلا هالك » وقال صلى الله عليه وسلم « ماتركت من شئ يقرب إلى الجنة إلا وقد حدثتكم به ولا شيء يقرب إلى النار إلا وقد حدثتكم به » وقال صلى الله عليه وسلم « عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة » فمن أصغى إلى كتاب الله وسنة رسوله وجد فيهما الهدى والشفاء ؛ وقد ذم الله تعالى من أعرض عن كتابه ودعا عند التنازع إلى غيره وقال تعالى (وإذا قيل لهم تعالوا إلى ماأنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا) .

إذا عرفت هذا فنقول : الذى شرعه لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عند زيارة القبور إنما هو تذكر الآخرة والاحسان إلى الميت بالدعاء له والترحم له والاستغفار له وسؤال العافية كما فى صحيح مسلم عن بريدة قال « كان رسول الله

صلى الله عليه وسلم إذا خرج إلى المقابر يقول : السلام عليكم يا أهل الديار وفى لفظ : السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين وإنا بكم إن شاء الله لاحقون نسأل الله لنا ولكم العافية » وفى سنن أبى داود عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إذا صليتم على الميت فأخلصوا له الدعاء » وعن عائشة رضى الله عنها عن النبى صلى الله عليه وسلم « مامن ميت يصلى عليه أمة من المسلمين يبلغون مائة كلهم يشفعون له إلا شفعوا فيه » رواه مسلم فإذا كنا على جنازته ندعو له لاندعوه ونشفع له لانستشفع به فبعد الدفن أولى وأحرى فبدل أهل الشرك قولا غير الذى قيل لهم بدلوا الدعاء له بدعائه والشفاعة له بالاستشفاع به وقصدوا بالزيارة التى شرعها رسول الله صلى الله عليه وسلم إحسانا إلى الميت سؤال الميت وتخصيص تلك البقعة بالدعاء الذى هو مخ العبادة بنص رسول الله صلى الله عليه وسلم . فعن أنس رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الدعاء مخ العبادة » رواه الترمذى وعن النعمان بن بشير قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الدعاء هو العبادة ، ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم : وقال ربكم ادعونى أستجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين » رواه أحمد وأبو داود والترمذى وابن ماجه. ومن المحال أن يكون دعاء الموتى مشروعا ويصرف عنه القرون الثلاثة المفضلة بنص رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يوفق له الخلف الذين يقولون مالا يفعلون ويفعلون مالا يؤمرون ، فهذه سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذه طريقة الصحابة والتابعين لهم باحسان ، هل نقل عن أحدهم نقل صحيح أو حسن أنهم كانوا إذا كان لهم حاجة قصدوا القبور فدعوا عندها وتمسحوا بها فضلا عن أن يسئلوا أصحابها جلب الفوائد وكشف الشدائد ، ومعلوم أن هذا مما تتوفر الهمم والدواعى على نقله .

وقد كان عندهم من قبور أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأمصار عدد كثير متوافرون فما منهم من استغاث عند قبر ولا دعاه ولا استشفى به ولا انتصر به ولا أحد من الصحابة استغاث بالنبى صلى الله عليه وسلم من بعد موته ولا بغيره من الأنبياء ولا كانوا يقصدون الدعاء عند قبور الأولياء ولا الصلاة عندها ، فإن كان عندكم فى هذا أثر صحيح أو حسن فأوقفونا عليه بل الذى صح عنهم خلاف ما ذهبتم إليه . ولما قحط الناس فى زمان عمر بن الخطاب استسقى بالعباس وتوسل بدعائه وقال :

اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا ونحن نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا فيسقون كما ثبت ذلك فى صحيح البخارى ذكره فى كتاب الاستسقاء من صحيحه ونحن نعلم بالضرورة أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يشرع لأمته أن يدعوا أحدا من الأموات لا الأنبياء ولا الصالحين ولا غيرهم لا بلفظ الاستغاثة ولا بغيرها بل نعلم أنه نهى عن كل هذه الأمور وأن ذلك من الشرك الأكبر الذى حرمه الله ورسوله قال الله تعالى (وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحـدا) وقال تعالى (ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون . وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين) وقال تعالى (ولا تدع مع الله إلها آخر فتكون من المعذبين) وقال تعالى (له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشىء) الآية وقال تعالى (ولا تدع من دون الله مالا ينفعك ولا يضرك فإن فعلت فإنك إذا من الظالمين) وقال تعالى (والذين تدعون من دونه مايملكون من قطمير إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير) وقال تعالى (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه) قال مجاهد (يبتغون إلى ربهم الوسيلة) هو عيسى وعزير والملائكة وكذا قال إبراهيم النخعى قال : كان ابن عباس يقول : أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة هو عزير والمسيح والشمس والقمر . وعن السدى عن أبى صالح عن ابن عباس قال عيسى وأمه والعزير ، وعن عبد الله بن مسعود قال : نزلت فى نفر من العرب كانوا يعبـدون نفرا من الجن فأسلم الجنيون والإنس الذين كانوا يعبدونهم لا يشعرون بإسلامهم فنزلت هذه الآية ثبت ذلك عنه فى صحيح البخارى ذكره فى كتاب التفسير . وهذه الأقوال كلها فى معنى الآية حق فإن الآية تعم كل من كان معبوده عابدا لله سواء كان من الملائكة أو من الجن أو من البشر؛ فالآية خطاب لكل من دعا من دون الله مدعوا وذلك المدعو يبتغى إلى الله الوسيلة ويرجوا رحمته ويخاف عذابه فكل من دعا ميتا أو غائبا من الأنبياء والصالحين فقد تناولته هذه الآية ، ومعلوم أن المشركين يدعون الصالحين بمعنى أنهم وسائط بينهم وبين الله ، ومع هذا فقد نهى الله تعالى عن دعائهم وبين أنهم لا يملكون كشف الضر

عن الداعين ولا تحويله ولا يدفعونه بالكلية ولا يحولونه من موضع إلى موضع كتغير صفته أو قدره ولهذا قال ولا تحويلا فذكر صيغة تعم أنواع التحويل فكل من دعا ميتا من الأنبياء أو الصالحين أو دعا الملائكة أو دعا الجن فقد دعا من لا يغيثه ولا يملك كشف الضر عنه ولا تحويله ، وهؤلاء المشركون اليوم منهم ممن إذا نزلت به شدة لا يدعو إلا شيخه ولا يذكر إلا اسمه ،قد لهج به كما لهج الصبي بذكر أمه ،فإذا تعسر أحدهم قال يا ابن عباس أو يا محجوب ، ومنهم من يحلف بالله ويكذب ويحلف بابن عباس أو غيره ويصدق ولا يكذب فيكون المخلوق فى صدره أعظم من الخالق . فإذا كان دعاء الموتى يتضمن هذا الاستهزاء بالدين وهذه المحادة لله ولكتابه فأى الفريقين أحق بالاستهزاء وبالمحادّة لله من كان يدعو الموتى ويستغيث بهم أو من كان لا يدعو إلا الله وحده لا شريك له كما أمرت به رسله ويوجب طاعة الرسول ومتابعته فى كل ما جاء به ونحن بحمد الله من أعظم الناس إيجابا لرعاية جانب الرسول تصديقا له فيما أخبر وطاعة له فيما أمر واعتناء بمعرفة ما بعث به واتباع ذلك دون ما خالفه عملا بقوله تعالى (اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلا ما تذكرون) وقوله تعالى (وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون) ومعنا ولله الحمد أصلان عظيمان: أحدهما أن لا نعبد إلا الله فلا ندعو إلا هو ولا نذبح النسك إلا لوجهه ولا نرجو إلا هو ولا نتوكل إلا عليه. الأصل الثانى أن لا نعبده إلا بما شرع لا نعبده بعبادة مبتدعة وهذان الأصلان هما تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله فإن شهادة أن لا إله إلا الله تتضمن إخلاص الإلهية فلا يتأله القلب ولا اللسان ولا الجوارح غيره تعالى لا بحب ولا بخشية ولا إجلال ولا رغبة ولا رهبة ، وشهادة أن محمدا رسول الله تتضمن تصديقه فى جميع ما أخبر به وطاعته واتباعه فى كل ما أمر به ، فما أثبته وجب إثباته وما نفاه وجب نفيه . وقد روى البخارى من حديث أبى هريرة قال « كل أمتى يدخلون الجنة إلا من أبى فقالوا ومن يأبى يا رسول الله ، قال من أطاعنى دخل الجنة ومن عصانى فقد أبى » إذا عرف هذا فالذى نعتقده وندين به الله أن من دعا نبيا أو وليا أو غيرهما وسأل منهم قضاء الحاجات وتفريج الكربات أن هذا من أعظم الشرك الذى كفر الله به المشركين حيث اتخذوا أولياء وشفعاء يستجلبون بهم المنافع ويستدفعون بهم المضار بزعمهم قال الله تعالى (ويعبدون

من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله) فمن جعل الأنبياء أو غيرهم كابن عباس والمحجوب أو أبى طالب وسائط يدعوهم ويتوكل عليهم ويسألهم جلب المنافع بمعنى أن الخلق يسألونهم وهم يسألون الله ؛ كما أن الوسائط عند الملوك يسألون الملوك حوائج الناس لقربهم منهم والناس يسألونهم أدبا منهم أن يباشروا سؤال الملك أو لكونهم أقرب إلى الملك ، فمن جعلهم وسائط على هذا الوجه فهو كافر مشرك حلال الدم والمال ، وقد نص العلماء رحمهم الله على ذلك وحكوا عليه الإجماع قال فى الإقناع وشرحه : من جعل بينه وبين الله وسائط يتوكل عليهم ويدعوهم ويسألهم كفر إجماعا لأن ذلك كفعل عابدى الأصنام قائلين (مانعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى) انتهى . وقال الإمام أبو الوفا على بن عقيل الحنبلى رحمه الله تعالى : لما صعبت التكاليف على الجهال والطغام عدلوا عن أوضاع الشرع إلى تعظيم أوضاع وضعوها لأنفسهم فسهلت عليهم إذ لم يدخلوا بها تحت أمر غيرهم قال وهم عندى كفار بهذه الأوضاع مثل تعظيم القبور وإكرامها وإلزامها بما نهى عنه الشرع من إيقاد النيران وتقبيلها وتخليقها وخطاب الموتى بالحوائج وكتب الرقاع فيها : يامولاى افعل بى كذا وكذا وأخذ تربتها تبركا وإفاضة الطيب على القبور وشد الرحال إليها وإلقاء الخرق على الشجر اقتداء بمن عبد اللات والعزى انتهى . وقال الإمام البكرى الشافعى رحمه الله فى تفسيره عند قوله تعالى (والذين اتخذوا من دونه أولياء مانعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى) وكانت الكفار إذا سئلوا : من خلق السموات والأرض، قالوا الله وإذا سئلوا عن عبادة الأصنام قالوا مانعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى لأجل طلب شفاعتهم عند الله وهذا كفر منهم انتهى كلامه .

فتأمل ماذكره صاحب الاقناع وكذلك ماذكره ابن عقيل من تعظيم القبور وخطاب الموتى بالحوائج وهو كفر . وقال الحافظ العماد بن كثير رحمه الله فى تفسيره عند قوله تعالى (والذين اتخذوا من دونه أولياء مانعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى) أى إنما يحملهم على عبادتهم أنهم عمدوا إلى أصنام اتخذوها على صور الملائكة المقربين فى زعمهم فعبدوا تلك الصور تنزيلا لذلك منزلة عبادتهم الملائكة ليشفعوا لهم عند الله فى نصرهم ورزقهم وماينوبهم من أمور الدنيا . فأما المعاد فكانوا جاحدين له كافرين به قال قتادة والسدى ومالك عن زيد بن أسلم وابن زيد (إلا ليقربونا إلى الله زلفى)

أى ليشفعوا لنا ويقربونا عنده ولهذا كانوا يقولون فى تلبيتهم إذا حجوا فى جاهليتهم : لبيك لاشريك لك إلا شريكا هو لك تملكه وما ملك .

وهذه الشبهة هى التى اعتمدها المشركون فى قديم الدهر وحديثه وجاءتهم الرسل صلوات الله عليهم بردها والنهى عنها والدعوة إلى إفراد العبادة لله وحده لاشريك له وأن هذا شىء اخترعه المشركون من عند أنفسهم ، لم يأذن الله فيه ولا رضى به بل أبغضه ونهى عنه ، قال تعالى (ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) وقال (وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحى إليه أنه لاإله إلا أنا فاعبدون) فأخبر أن الملائكة التى فى السموات من المقربين وغيرهم كلهم عبيد خاضعون لله لايشفعون عنده إلا بإذنه لمن ارتضى وليسوا عنده كالأمراء عند ملوكهم يشفعون عندهم بغير إذنهم فيما أحبه الملوك أو أبغضوه (فلا تضربوا لله الأمثال) تعالى الله عن ذلك انتهى كلامه .

وقال الإمام البكرى رحمه الله عند قوله تعالى (قل من يرزقكم من السماء والأرض أم من يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى) الآية. فان قلت إذا أقروا فكيف عبدوا الأصنام : قلت كلهم كانوا يعتقدون بعبادتهم الأصنام عبادة الله تعالى والتقرب إليه لكن بطرق مختلفة . ففرقة قالت ليست لنا أهلية عبادة الله تعالى بلا واسطة لعظمته فعبدناها لتقربنا إليه زلفى . وفرقة قالت الملائكة ذوو وجاهة ومنزلة عند الله تعالى ، فاتخذنا لنا أصناما على هيئة الملائكة لتقربنا إلى الله زلفى . وفرقة قالت جعلنا الأصنام لنا قبلة فى العبادة كما أن الكعبة قبلة فى عبادته . وفرقة اعتقدت أن لكل صنم شيطانا موكلا بأمر الله ، فمن عبد الصنم حق عبادته قضى الشيطان حوائجه بأمر الله ولا أصابه شيطان بنكبة بأمر الله انتهى كلامه.

فانظر إلى كلام هؤلاء الأئمة وتصريحهم بأن المشركين ما أرادوا ممن عبدوا إلا التقرب إلى الله وطلب شفاعتهم عند الله وتأمل ما ذكره ابن كثير وما حكاه عن زيد بن أسلم وابن زيد . ثم قال وهذه الشبهة التى اعتقدها المشركون فى قديم الدهر وحديثه وجاءتهم الرسل صلوات الله وسلامه عليهم بردها والنهى عنها،وتأمل ما ذكره البكرى رحمه الله عند آية الزمر أن الكفار ما أرادوا إلا الشفاعة ثم صرح بأن هذا كفر ، فمن تأمل ما ذكره الله فى كتابه تبين له أن الكفار ما أرادوا ممن عبدوا إلا التقرب إلى الله وطلب شفاعتهم عند الله فإنهم لم يعتقدوا فيها أنها تخلق الخلائق

وتنزل المطر وتنبت النبات بل كانوا مقرين أن الفاعل لذلك هو الله وحده قال تعالى (قل من يرزقكم من السماء والأرض أم من يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحى من الميت) إلى قوله (فسيقولون الله فقل أفلا تتقون) وقال تعالى (ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فأنى يؤفكون) وقال تعالى (قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون سيقولون الله قل أفلا تذكرون قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله) الآيات إلى غير ذلك من الآيات التى أخبر الله فيها أن المشركين معترفون أن الله هو الخالق الرازق وإنما كانوا يعبدونهم ليقربوهم ويشفعوا لهم كما ذكره سبحانه فى قوله (ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله) فبعث الله الرسل وأنزل الكتب ليعبد وحده لايجعل معه إله آخر، فأخبر أن الشفاعة كلها له وأنه لايشفع أحد عنده إلا بإذنه وأنه لايؤذن إلا لمن رضى قوله وعمله وأنه لايرضى إلا التوحيد ، فالشفاعة مقيدة بهذه القيود قال الله تعالى (أم اتخذوا من دون الله شفعاء قل أو لو كانوا لايملكون شيئا ولايعقلون قل لله الشفاعة جميعا) وقال تعالى (مالكم من دونه من ولى ولا شفيع) وقال تعالى (من ذا الذى يشفع عنده إلا باذنه) وقال تعالى (وكم من ملك فى السموات لاتغنى شفاعتهم شيئا إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى) وقال تعالى(ولا يشفعون إلا لمن ارتضى) وقال تعالى (ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له) وفى الصحيحين من غير وجه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو سيد ولد آدم وأكرم الخلق على الله أنه قال «آتى تحت العرش فأخر لله ساجدا ويفتح علىّ بمحامد لاأحصيها الآن فيدعنى ماشاء الله أن يدعنى ثم قال يامحمد ارفع رأسك وقل يسمع وسل تعط واشفع تشفع قال فيحدّ لى حدا فأدخلهم الجنة ثم أدعو فذكر أربع مرات » صلوات الله وسلامه عليه وعلى سائر الأنبياء .

وقال الإمام البكرى الشافعى رحمه الله عند قوله تعالى (وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم ليس لهم من دونه ولى ولا شفيع) نفى الشفاعة وإن كانت واقعة فى الآخرة لأنها من حيث إنها لا تقع إلا بإذنه كأنها غير موجودة من غيره وهو كذلك لكن جعل ذلك لتبيين الرتب وجملة النفى حال من ضمير يحشروا وهى محل الخوف والمراد به المؤمنون العاصون انتهى .

وقال عند قوله تعالى (يومئذ لاتنفع الشفاعة إلا لمن أذن له الرحمن ورضى له قولا) دل على أن الشفاعة تكون للمؤمنين فقط . قال الإمام الحافظ عماد الدين ابن كثير عند قوله تعالى (قل من رب السموات والأرض قل الله) يقرر تعالى أنه لا إله إلا هو لأنهم معترفون أنه هو الذى خلق السموات والأرض وهو ربها ومدبرها وهم مع هذا قد اتخذوا من دون الله أولياء يعبدونهم، وإنما كان عبد هؤلاء المشركون مع الله آلهة هم يعترفون أنها مخلوقة عبيد له كما كانوا يقولون فى تلبيتهم لبيك لاشريك لك إلا شريك هو لك تملكه وما ملك ، وكما أخبر عنهم بقوله(مانعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى) فأنكر تعالى ذلك عليهم حيث اعتقدوا ذلك وهو تعالى لايشفع أحد عنده إلا بإذنه ولا تنفع الشفاعة عنده إلا من أذن له ثم قد أرسل رسله من أولهم إلى آخرهم يزجرهم عن ذلك وينهاهم عن عبادة من سوى الله فكذبوهم انتهى .

والمقصود بيان شرك المشركين الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنهم ما أرادوا ممن عبدوا إلا التقرب إلى الله وطلب شفاعتهم عند الله وبيان أن طلب الحوائج من الموتى والاستغاثة بهم فى الشدائد أنه من الشرك الذى كفر الله به المشركين وبيان أن الشفاعة كلها لله ليس لأحد معه من الأمر شىء وأنه لا شفاعة إلا بعد إذن الله تعالى وأنه تعالى لايأذن إلا لمن رضى قوله وعمله وأنه لا يرضى إلا التوحيد كما تقدمت الأدلة الدالة على ذلك ، ومعلوم أن أعلى الخلق وأفضلهم وأكرمهم عند الله هم الرسل والملائكة المقربون وهم عبيد محض لا يسبقونه بالقول ولا يتقدمون بين يديه ولا يفعلون شيئا إلا بعد إذنه لهم وأمرهم فيأذن سبحانه لمن شاء أن يشفعوا فيه فصارت الشفاعة فى الحقيقة إنما هى له تعالى والذى شفع عنده إنما شفع بإذنه له وأمره بعد شفاعته سبحانه إلى نفسه وهى إرادته أن يرحم عبده وهذا ضد الشفاعة الشركية التى أثبتها المشركون ومن وافقهم وهى التى أبطلها سبحانه فى كتابه بقوله تعالى (واتقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة ولاهم ينصرون) وقال تعالى(ياأيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتى يوم لابيع فيه ولا خلة ولاشفاعة) ولهذا كان أسعد الناس بشفاعة سيد الشفعاء يوم القيامة أهل التوحيد كما صرحت بذلك النصوص .

فروى البخارى عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال« أسعد الناس

بشفاعتى يوم القيامة من قال لا إله إلا الله خالصا من قلبه » وعن عوف بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليـه وسلم « أتانى آت من عند ربى فخيرنى بين أن يدخل نصف أمتى الجنـة وبين الشفاعة فاخترت الشفاعة وهى لمن مات لايشرك بالله شيئا » رواه الترمذى وابن ماجه ، فأسعد الناس بشفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل التوحيد الذين جردوا التوحيد وأخلصوه من التعلقات الشركية وهم الذين ارتضى الله سبحانه قال الله تعالى (ولايشفعون إلا لمن ارتضى) وقال تعالى (يومئذ لاتنفع الشفاعة إلا لمن أذن له الرحمن ورضى له قولا) فأخبر سبحانه أنه لايحصل شفاعة تنفع إلا بعد رضاه قول المشفوع له وإذنه للشافع . وأما المشرك فانه لايرتضيه ولا يرضى قوله ولا يأذن للشفعاء أن يشفعوا فيه فانه سبحانه علقها بأمرين : رضاه عن المشفوع له وإذنه للشافع فمتى لم يوجد مجموع الأمرين لم توجد الشفاعة، وهذه الشفاعة فى الحقيقة هى منه فانه هو الذى أذن والذى قبل والذى رضى عن المشفوع له والذى وفقه لفعل مايستحق من الشفاعة فمتخذ الشفيع مشرك لاتنفعه شفاعته ولا يشفع فيه ، ومتخذ الرب إلهه وحده ومعبوده هو الذى يأذن للشافع أن يشفع فيه قال تعالى (أم اتخذوا من دون الله شفعاء) إلى قوله (قل لله الشفاعة جميعا) وقال تعالى (ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولاينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل أتنبئون الله بما لايعلم فى السموات ولا فى الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون) فبين أن المتخذين شفعاء مشركون وأن الشفاعة لاتحصل باتخاذهم وإنما تحصل بإذنه سبحانه للشافع ورضاه عن المشفوع له كما تقدم بيانه والمقصود أن الكتاب والسنة دلا على أن من جعل الملائكة والأنبياء أو ابن عباس أو أبا طالب أو المحجوب وسائط بينهم وبين الله يشفعون له عند الله لأجل قربهم من الله كما يفعل عند الملوك أنه كافر مشرك حلال المال والدم وإن قال أشهد أن لاإله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله وصلى وصام وزعم أنه مسلم بل هو من الأخسرين أعمالا ، الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا. ومن تأمل القرآن العزيز وجده مصرحا بأن المشركين الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم مقرون بأن الله هو الخالق الرازق وأن السموات السبع ومن فيهن والأرضين السبع ومن فيهن كلهم عبيده وتحت قهره وتصرفه كما حكاه الله تعالى عنهم فى سورة يونس وسورة المؤمنين وسورة العنكبوت وغيرها من السور ووجده مصرحا بأن

المشركين يدعون الصالحين كما ذكر تعالى عنهم فى سورة سبحان والمائدة وغيرهما من السور، وكذلك أخبر عنهم أنهم يعبدون الملائكة كما ذكر ذلك فى سورة الفرقان وسبأ والنجم ووجده مصرحا أيضا بأن المشركين ماأرادوا ممن عبدوا إلا الشفاعة والتقرب إلى الله تعالى كما ذكر ذلك عنهم فى سورة يونس والزمر وغيرهما من السور فإذا تبين لكم أن القرآن قد صرح بهذه المسائل الثلاث ، أعنى اعتراف المشركين بتوحيد الربوبية وأنهم يدعون الصالحين وأنهم ما أرادوا منهم إلا الشفاعة ، تبين لكم أن هذا الذى يفعل عند القبور اليوم من سؤالهم جاب الفوائد وكشف الشدائد أنه الشرك الأكبر الذى كفر الله به المشركين ، فإن هؤلاء المشركين شبهوا الخالق بالمخلوق ، وفى القرآن العزيز وكلام أهل العلم من الرد على هؤلاء مالا يتسع له هذا الموضع فان الوسائط التى بين الملوك وبين الناس تكون على أحد وجوه ثلاثة :

إما لإخبارهم من أحوال الناس بما لا يعرفونه ومن قال إن الله لا يعرف أحوال العباد حتى يخبره بذلك بعض الأنبياء أو غيرهم من الأولياء والصالحين فهو كافر بل هو سبحانه يعلم السر وأخفى لاتخفى عليه خافية فى الأرض ولا فى السماء .

الثانى : أن يكون الملك عاجزا عن تدبير رعيته ودفع أعدائه إلا بأعوان يعاونونه فلا بد له من أعوان وأنصار لذله وعجزه ، والله سبحانه ليس له ولى ولا ظهير من الذل وكل ما فى الوجود من الأسباب فهو سبحانه ربه وخالقه ، فهو الغنى عن كل ماسواه وكل ماسواه فقير إليه بخلاف الملوك المحتاجين إلى ظهرائهم وهم فى الحقيقة شركاؤهم ، والله سبحانه ليس له شريك فى الملك بل لا إله إلا هو وحده لا شريك له له الملك وله الحمد ولهذا لايشفع أحد عنده إلا بإذنه لاملك مقرب ، ولا نبى مرسل فضلا عن غيرهما فان من شفع عنده بغير إذنه فهو شريك له فى حصول المطلوب أثر فيه بشفاعته حتى يفعل مايطلب منه والله لاشريك له بوجه من الوجوه .

الثالث : أن يكون الملك ليس مريدا لنفع رعيته والإحسان إليهم إلا بمحرك يحركه من خارج فإذا خاطب الملك من ينصحه ويعظه أو من يدل عليه بحيث يكون يرجوه ويخافه تحركت إرادة الملك وهمته فى قضاء حوائج رعيته والله تعالى رب كل شىء ومليكه وهو أرحم بعباده من الوالدة بولدها وكل الأسباب إنما تكون بمشيئته فما شاء كان ومالم يشأ لم يكن ، وهو سبحانه إذا أجرى نفع العباد بعضهم على يد بعض

فجعل هذا يحسن إلى هذا ويدعو له أو يشفع له فهو الذى خلق ذلك كله وهو الذى خلق فى قلب هذا المحسن والداعى إرادة الإحسان والدعاء ، ولا يجوز أن يكون فى الوجود من يكرهه على خلاف مراده أو يعلمه مالم يكن يعلمه والشفعاء الذين يشفعون عنده لا يشفعون عنده إلا بإذنه كما تقدم بيانه ، بخلاف الملوك فان الشافع عندهم يكون شريكا لهم فى الملك وقد يكون مظاهرا لهم معاونا لهم على ملكهم وهم يشفعون عند الملوك بغير إذن الملوك والملك يقبل شفاعتهم تارة لحاجته إليهم وتارة لجزاء إحسانهم ومكافأتهم حتى إنه يقبل شفاعة ولده وزوجته لذلك فإنه محتاج إلى الزوجة والولد حتى لو أعرض عنه ولده وزوجته لتضرر بذلك ويقبل شفاعة مملوكه فانه إذا لم يقبل شفاعته يخاف أن لا يطيعه ويقبل شفاعة أخيه مخافة أن يسعى فى ضرره وشفاعة العباد بعضهم عند بعض كلها من هذا الجنس فلا أحد يقبل شفاعة أحد إلا لرغبة أو لرهبة ، والله تعالى لا يرجو أحدا ولا يخافه ولا يحتاج إلى أحد بل هو الغنى سبحانه عما سواه وكل ماسواه فقير إليه ، والمشركون يتخذون شفعاء مما يعبدونه مثل الشفاعة عند المخلوق قال تعالى (ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله) إلى قوله(سبحانه وتعالى عما يشركون) وقال تعالى (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه) فأخبر سبحانه أن مايدعى من دونه لا يملك كشف الضر ولا تحويله وأنهم يرجون رحمته ويخافون عذابه ويتقربون إليه ، فقد نفى سبحانه ما أثبتوه من توسط الملائكة والأنبياء . وفيما ذكرناه كفاية لمن هداه الله . وأما من أراد الله فتنته فلا حيلة فيه و (من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا) .

وأما المسألة الثانية وهى : من قال لا إله إلا الله محمد رسول الله ولم يصل ولم يزك هل يكون مؤمنا ؟ فنقول : أما من قال لا إله إلا الله محمد رسول الله وهو مقيم على شركه يدعو الموتى ويسألهم قضاء الحاجات وتفريج الكربات فهذا مشرك كافر حلال الدم والمال وإن قال لا إله إلا الله محمد رسول الله وصلى وصام وزعم أنه مسلم كما تقدم بيانه .
وأما إن وحد الله تعالى ولم يشرك به شيئا ولكنه ترك الصلاة والزكاة تكاسلا عنها فهذا قد اختلف العلماء فى كفره والعلماء إذا أجمعوا فإجماعهم حجة لا يجتمعون على ضلالة

وإذا تنازعوا فى شيء ردوا ماتنازعوا فيه إلى الله وإلى الرسول إذ الواحد منهم ليس بمعصوم على الإطلاق بل كل أحد من الناس يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى (فان تنازعتم فى شيء فردوه إلى الله والرسول) قال العلماء الرد إلى الله هو الرد إلى كتابه والرد إلى الرسول هو الرد إلى سنته بعد وفاته. وقال تعالى (وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله) وقد ذم الله من أعرض عن كتابه ودعا عند التنازع إلى غيره فقال تعالى (وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا) .

إذا عرف هذا فنقول : اختلف العلماء رحمهم الله فى تارك الصلاة كسلا من غير جحود ، فذهب الإمام أبو حنيفة والشافعى فى أحد قوليه ومالك إلى أنه لايحكم بكفره واحتجوا بما رواه عبادة بن الصامت . سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « خمس كتبهن الله على العباد من أتى بهن كان له عند الله عهد أن يدخله الجنة ومن لم يأت بهن فليس له عند الله عهد إن شاء عذبه وإن شاء غفر له » .

وذهب إمامنا أحمد بن حنبل والشافعى فى أحد قوليه وإسحق بن راهويه وعبد الله بن المبارك والنخعى والحكم وأيوب السختيانى وأبو داود الطيالسى وغيرهم من كبار الأئمة والتابعين إلى أنه كافر وحكاه إسحق بن راهويه إجماعا وذكره عن الشيخ أحمد بن حجر فى شرح الأربعين وذكره فى كتاب الزواجر عن اقتراف الكبائر عن جمهور الصحابة رضى الله عنهم والتابعين. وقال الإمام محمد بن حزم : سائر الصحابة رضى الله عنهم والتابعين ومن بعدهم يكفرون تارك الصلاة مطلقا ويحكمون عليه بالارتداد منهم أبو بكر وعمر وابنه عبد الله وعبد الله بن عباس ومعاذ بن جبل وجابر بن عبد الله وأبو الدرداء وأبو هريرة وعبد الرحمن بن عوف وغيرهم من الصحابة ولا نعلم لهؤلاء مخالفا من الصحابة. وأجابوا عن قوله صلى الله عليه وسلم « ومن لم يأت بهن فليس له عند الله عهد إن شاء عذبه وإن شاء غفر له » أن المراد عدم المحافظة عليهن فى وقتهن بدليل الآيات والأحاديث الواردة فيها وفى تركها واحتجوا على كفر تاركها بما رواه مسلم فى صحيحه عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة » وعن بريدة بن الحصيب قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « العهد بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها

فقد كفر » رواه الامام أحمد وأهل السنن وقال الترمذى حديث حسن صحيح إسناده على شرط مسلم وعن ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « بين العبد والكفر والإيمان الصلاة فإذا تركها فقد أشرك » وإسناده صحيح على شرط مسلم ، وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه ذكر الصلاة يوما فقال « من حافظ عليها كانت له نورا وبرهانا ونجاة يوم القيامة ومن لم يحافظ عليها لم تكن له نورا وبرهانا ولا نجاة وكان يوم القيامة مع قارون وفرعون وهامان وأبى بن خلف » رواه الإمام أحمد وأبو حاتم بن حبان فى صحيحه . وعن عبادة بن الصامت قال: أوصانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « لا تشركوا بالله شيئا ولاتتركوا الصلاة عمدا فمن تركها عمدا خرج من الملة » رواه ابن أبى حاتم فى سننه . وعن معاذ بن جبل قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من ترك صلاة مكتوبة متعمدا فقد برئت منه ذمة الله » رواه الإمام أحمد، وعن أبى الدرداء قال « أوصانى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا أترك صلاة متعمدا فمن تركها متعمدا فقد برئت منه الذمة » رواه ابن أبى حاتم. وعن معاذ بن جبل عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة » الحديث ، وعن عبد الله بن شقيق العقيلى قال « كان أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم لايرون شيئا من الأعمال تركه كفر غير الصلاة » رواه الترمذى ، فهذه الأحاديث كما ترى صريحة فى كفر تارك الصلاة مع ما تقدم من إجماع الصحابة كما حكاه إسحق بن راهويه وابن حزم وعبد الله بن شقيق وهو مذهب الجمهور من التابعين ومن بعدهم. ثم إن العلماء كلهم مجمعون على قتل تارك الصلاة كسلا إلا أبا حنيفة ومحمد بن شهاب الزهرى وداود فإنهم قالوا يحبس تارك الصلاة المفروضة حتى يموت أو يتوب ، ومن احتج لهذا القول بقوله صلى الله عليه وسلم « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فإذا قالوها عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله » فقد أبعد النجعة فإن هذا الحديث لاحجة فيه بل هو حجة لمن يقول بقتله كما سيأتى بيانه إن شاء الله ، واحتج الجمهور على قتله بالكتاب والسنة أما الكتاب فقوله تعالى « فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم » فشرط الكف التوبة من الشرك وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، فإذا لم توجد الثلاث لم يكف عن قتالهم قال ابن ماجه حدثنا نصر بن على

ثنا أبو أحمد ثنا الربيع بن أنس عن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من فارق الدنيا على الإخلاص لله وحـده وعبادته وحده لا شريك له وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة مات والله عنه راض » قال أنس وهو دين الله الذى جاءت به الرسل وبلغوه عن ربهم قبل هرج الأحاديث واختلاف الأهواء وتصديق ذلك فى كتاب الله فى آخر ما نزل (فإن تابوا) قال خلع الأوثان وعبادتها (وأقاموا الصلاة وأتوا الزكاة خلوا سبيلهم) وقال فى آية أخرى (فإن تابوا وأقاموا وآتو الزكاة فاءخوانكم فى الدين) .

وأما السنة . فثبت فى الصحيحين عن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليـه وسلم قال « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ، فإذا فعلوا ذلك عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحقها » فعلق العصمة على الشهادتين والصلاة والزكاة .

وقد بعث النبى صلى الله عليه وسلم كتابا فيه «من محمد رسول الله إلى أهل عمان أما بعد : فاقروا بشهادة أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله وأدوا الزكاة وخطوا المساجد وإلا غزوتكم » أخرجه الطبرانى والبزار وغيرهما ذكره الحافظ ابن رجب الحنبلى فى شرح الأربعين .

وروى ابن شهاب عن حنظلة عن على بن الأشجع أن أبا بكر الصديق رضى الله عنه بعث خالد بن الوليد وأمره أن يقاتل الناس على خمس فمن ترك واحدة منهن قاتله عليها كما تقاتل على الخمس : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وايتاء الزكاة وصوم رمضان وحج بيت الله الحرام . وقال سعيد بن جبير قال عمر بن الخطاب: لوأن الناس تركوا الحج لقتلناهم على تركه كما نقاتل على الصلاة والزكاة.

وبالجملة فالكتاب والسنة دالان على أن القتال ممدود إلى الشهادتين والصلاة والزكاة ، وقـد أجمع العلماء على أن كل طائفة ممتنعة من شريعة من شرائع الإسلام فإنه يجب قتالها حتى يكون الدين كله لله كالمحاربين وأولى انتهى .

وأما حديث أبى هريرة عن النبى صلى الله عليـه وسلم « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ، فاذا قالوها عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحقها » فهـذا لا إشكال فيه بحمد الله وليس لـكم فيه حجة بل هو حجة عليكم ، قال علماؤنا رحمهم

الله إذا قال الكافر لا إله إلا الله فقد شرع فى العاصم له فيجب الكف عنه فان تم ذلك تحققت العصمة وإلا بطلت ويكون النبى صلى الله عليه وسلم قد قال حديثا فى وقت فقال « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله » ليعلم المسلمون أن الكافر المحارب إذا قالها كف عنه وصار ماله ودمه معصوما ، ثم بين النبى صلى الله عليه وسلم فى الحديث الآخر أن القتال ممدود إلى الشهادتين والعبادتين فقال « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة » فبين أن تمام العصمة وكمالها إنما يحصل بذلك ، ولأن لا تقع الشبهة بأن مجرد الإقرار يعصم على الدوام ، كما وقعت لبعض الصحابة حتى جلاها أبو بكر الصديق ، ثم وافقوه رضى الله عنهم انتهى .

ومما يبين فساد قولكم وخطأ فهمكم فى معنى حديث أبى هريرة أن الصحابة رضى الله عنهم أجمعوا على قتال مانعى الزكاة بعد مناظرة حصلت بين أبى بكر الصديق وعمر رضى الله عنهما، واستدل عمر على أبى بكر بحديث أبى هريرة فبين صديق الأمة رضى الله عنه أن الحديث حجة على قتال من منع الزكاة فوافقه عمر وسائر الصحابة وقاتلوا مانعى الزكاة وهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ويصلون. ونحن نسوق الحديث ، ثم نذكر كلام العلماء عليه ليتبين لكم أن فهمكم الفاسد لم يقل به أحد من العلماء وأنه فهم مشئوم مذموم مخالف الكتاب والسنة وإجماع الأمة .

فنقول : ثبت فى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله عنه قال « لما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم واستخلف أبو بكر وكفر من كفر من العرب قال عمر لأبى بكر كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فإذا قالوها عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحقها، قال أبو بكر لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة فان الزكاة حق للمال فوالله لو منعونى عقالا كانوا يؤدونه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعه. فقال عمر فوالله ما هو إلا أن رأيت الله قد شرح صدر أبى بكر للقتال فعرفت أنه الحق » وهذا الحديث خرجه البخارى فى كتاب الزكاة ، ومسلم فى كتاب الإيمان وهو من أعظم الأدلة على فساد قولكم فإن الصديق رضى الله عنه جعل المبيح للقتال مجرد المنع لا جحد الوجوب وقد تكلم النووى رحمه الله تعالى فى شرح صحيح مسلم فقال باب الأمر بقتال الناس

حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ويؤمنوا بجميع ماجاء به النبي صلى الله عليه وسلم وأن من قال ذلك عصم نفسه وماله إلا بحقها وكانت سريرته إلى الله تعالى وقتال من منع الزكاة أو غيرها من حقوق الإسلام واهتمام الإمام بشرائع الإسلام ، ثم ساق الحديث ثم قال : قال الخطابى فى شرح هـذا الكلام كلاما حسنا لابد من ذكره لما فيه من الفوائد . قال رحمه الله مما يجب تقديمه فى هذا أن يعلم أن أهل الردة كانوا إذ ذاك صنفين : صنف ارتدوا عن الدين ونابذوا الملة وعادوا لكفرهم وهم الذين عنى أبو هريرة بقوله من كفر من العرب ، والصنف الآخر فرقوا بين الصلاة والزكوة فأقروا بالصلاة وأنكروا فرض الزكاة ووجوب أدائها إلى الإمام وقد كان فى ضمن هؤلاء المانعين للزكاة من كان يسمح بالزكاة ولا يمنعها إلا أن رؤساءهم صدّوهم عن ذلك الرأى وقبضوا على أيديهم فى ذلك كبنى يربوع فانهم جمعوا صدقاتهم وأرادوا أن يبعثوا بها إلى أبى بكر فمنعهم مالك بن نويرة من ذلك وفرقها فيهم ، وفى أمر هؤلاء عرض الخلاف ووقعت الشبهة لعمر رضى الله عنه فراجع أبا بكر رضى الله عنه وناظره واحتج عليه بقول النبى صلى الله عليه وسلم « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فمن قال لا إله إلا الله فقد عصم نفسه وماله » وأن هذا كان من عمر تعلقا بظاهر الكلام قبل أن ينظر فى آخره ويتأمل شرائطه فقال له أبو بكر الزكاة حق المال يريد أن القضية قد تضمنت عصمة دم ومال معلقة بإيفاء شرائطها والحكم المعلق بشرطين لا يحصل بأحدهما والآخر معدوم ، ثم قايسه بالصلاة وردوا الزكاة إليها وكان فى ذلك من قوله دليل على أن قتال الممتنع من الصلاة كان إجماعا من الصحابة رضى الله عنهم ولذلك ردوا المختلف فيه إلى المتفق عليه فلما استقر عندهم صحة رأى أبى بكر رضى الله عنـه وبان لعمر صوابه تابعه على قتال القوم وهو معنى قوله « فلما رأيت الله شرح صدر أبى بكر للقتال عرفت أنه الحق » يريد انشراح صدره بالحجة التى أدلى بها والبرهان الذى أقامه نصا ودلالة انتهى .

فتأمل هذا الباب الذى ذكره النووى رحمه الله تعالى وهو إمام الشافعيـة على الإطلاق تجده صريحا فى رد شبهتكم : أن من قال لا إله إلا الله محمد رسول الله لا يباح دمه وماله وإن ترك الصلاة والزكاة فالترجمة نفسها صريحة فى رد قولكم فانه صرح بالأمر بالقتال على ترك الصلاة ومنع الزكاة ، وتأمل ماذكره الخطابى أن الذين منعوا

الزكاة منهم من كان يسمح بها ولا يمنعها إلا أن رؤساءهم صدوهم عن ذلك الرأى وقبضوا على أيديهم كبنى يربوع فانهم أرادوا أن يبعثوا بها إلى أبى بكر فمنعهم مالك ابن نويرة من ذلك وفرقها فيهم ، وأنه عرض الخلاف ووقعت الشبهة لعمر فى هؤلاء ، ثم إن عمر وافق أبا بكر على قتالهم وتأمل قوله واحتج عمر بقول النبى صلى الله عليه وسلم «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله» وكان هذا من عمر تعلقا بظاهر الكلام قبل أن ينظر إلى آخره ويتأمل شرائطه وتأمل قوله إن قتال الممتنع من الصلاة كان إجماعا من الصحابة ، وقد أشار الخطابى إلى أن حديث أبى هريرة مختصر ، قال النووى رحمه الله قال الخطابى ويبين لك أن حديث أبى هريرة مختصر ، أن عبد الله ابن عمر وأنسا رضى الله تعالى عنهما روياه بزيادة لم يذكرها أبو هريرة . فى حديث ابن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فاذا فعلوا ذلك عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحقها» .

وفى رواية أنس «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وأن يستقبلوا قبلتنا وأن يأكلوا ذبيحتنا وان يصلوا صلاتنا فإذا فعلوا ذلك حرمت علينا دماؤهم وأموالهم إلا بحقها لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين» انتهى .

قلت : وقد ثبت فى الطريق الثالث المذكور فى الكتاب من طريق أبى هريرة وروايته أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ويؤمنوا بى وبما جئت به فإذا قالوا ذلك عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحقها» .

وفى استدلال أبى بكر واعتراض عمر رضى الله عنهما دليل على أنهما لم يحفظا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما رواه ابن عمر وأنس وأبو هريرة وكان هؤلاء الثلاثة سمعوا الزيادة فى رواياتهم فى مجلس آخر فإن عمر لو سمع ذلك لما خالف ولما كان احتج بالحديث فإن هذه الزيادة حجة عليهم ، ولو سمع أبو بكر هذه الزيادة لاحتج بها ولما كان احتج بالقياس والعموم والله أعلم انتهى كلام النووى .

فتأمل ما ذكره عن الخطابى تجده صريحا فى رد قولكم ، وتأمل قوله فإن عمر لو سمع ذلك لما خالف ولما كان احتج بالحديث فإن هذه الزيادة حجة عليهم .

وبالجملة فحديث أبى هريرة عليكم لا لكم ولو لم يكن فيه إلا قوله إلا بحقها لكان كافيا فى بطلان شبهتكم فإن الصلاة والزكاة من أعظم حقوق لا إله إلا الله بل هما أعظمها على الإطلاق . ومما يدل على بطلان قولكم وفساد فهمكم فى معنى هذا الحديث أعنى حديث أبى هريرة « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله » أن جميع الشراح والمحشين لم يؤولوه على هذا التأويل الذى ذهبتم إليه فإنه حديث صحيح مخرج فى الصحاح وهؤلاء شراح البخارى وكذا شراح مسلم هل أحد منهم استدل به على ترك قتال من ترك الفرائض بل الذى ذكروه خلاف ماذهبتم إليه ولو لم يكن إلا احتجاج عمر به على أبى بكر ثم موافقته لأبى بكر على قتال مانعى الزكاة لكان كافيا . ونحن نذكر لكم كلام الشراح عذرا ونذرا قال النووى رحمه الله تعالى قوله صلى الله عليه وسلم « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فمن قال لا إله إلا الله فقد عصم منى ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله تعالى » قال الخطابى معلوم أن المراد بهذا أهل الأوثان دون أهل الكتاب لأنهم يقولون : لا إله إلا الله ثم يقاتلون ولا يرفع عنهم السيف . قال ومعنى وحسابه على الله تعالى أى فيما يسرونه ويخفونه قال ففيه أن من أظهر الإسلام وأسر الكفر أنه يقبل إسلامه فى الظاهر وهذا قول أكثر العلماء وذهب مالك إلى أن توبة الزنديق لا تقبل ويحكى ذلك عن أحمد بن حنبل هذا كلام الخطابى . وذكر القاضى عياض رحمه الله تعالى معنى هذا وزاد عليه وأوضحه فقال اختصاص عصمة المال والنفس ممن قال لا إله إلا الله تعبير عن الإجابة إلى الإيمان وأن المراد مشركو العرب وأهل الأوثان ممن لا يوحدوهم ، كانوا أول من دعى إلى الإسلام وقوتلوا عليه ، فأما غيرهم ممن يقر بالتوحيد فلا يكتفى فى عصمته بقول لا إله إلا الله إذ كان يقولها فى كفره وهى من اعتقاده فلذلك فى الحديث الآخر « وأنى رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة » هذا كلام القاضى ولا بد من الإيمان مما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم كما جاء فى الرواية الأخرى لأبى هريرة « حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ويؤمنوا بى وبما جئت به » انتهى كلام النووى . فتأمل ماذكره الخطابى وما ذكره القاضى عياض أن المراد بقول لا إله إلا الله التعبير عن الإجابة إلى الإيمان واستدل لذلك بالحديث الآخر الذى فيه « وأنى رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة » وتأمل قوله إن المراد بحديث أبى هريرة مشركو العرب وغيرهم ممن لا يوحدون . وأما الذى يقر

بالتوحيد فلا يكتفى فى عصمته بقول لا إله إلا الله إذ كان يقولها فى كفره وهى من اعتقاده وتأمل قول النووى ولا بد من الإيمان بما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم. وبالجملة فقوله صلى الله عليه وسلم « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله » لم نعلم أحدا من أهل العلم أجراه على ظاهره وقال إن من قال لا إله إلا الله يكف عنه ولا يجوز قتاله وإن ترك الصلاة ومنع الزكاة هذا لم يقل به أحد من العلماء ولازم قولكم أن اليهود لا يجوز قتالهم لأنهم يقولون لا إله إلا الله وأن الخوارج الذين قاتلهم على بن أبى طالب لا يجوز قتالهم لأنهم يقولون لا إله إلا الله وأن الصحابة مخطئون فى قتالهم مانعى الزكاة لأنهم يقولون لا إله إلا الله ، ولازم قولكم إن بنى حنيفة مسلمون لأنهم يقولون لا إله إلا الله . سبحان الله وما أعظم هذا الجهل (كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون) ومن العجب أنكم تقرءون فى صحيح البخارى هذا الباب فى كتاب الإيمان حيث قال باب (فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم) .

حدثنا عبد الله بن محمد المسندى ، قال حدثنا شعبة عن واقد بن محمد سمعت أبى يحدث عن ابن عمر رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا أو يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ، فإذا فعلوا ذلك عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله تعالى » ثم بعد ذلك هذه الآية والحديث اللذين ذكرهما البخارى وبأى شىء تدفعون به هذه الأدلة . وقال الإمام أبو عيسى الترمذى فى سننه فى باب « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله » حدثنا هنا أنبأنا أبو معاوية عن الأعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله » الحديث ثم أردفه بحديث أبى هريرة فى قتال أبى بكر لمانعى الزكاة وساق الحديث بتمامه ، ثم قال باب ما جاء « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ويقيموا الصلاة » حدثنا سعد بن يعقوب الطالقانى أن ابن المبارك أنا حميد الطويل عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله ويستقبلوا قبلتنا ويأكلوا ذبيحتنا وأن يصلوا صلاتنا ، فإذا فعلوا ذلك حرمت علينا دماؤهم وأموالهم إلا بحقها ولهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين » وفى الباب عن معاذ بن جبل وأبى هريرة هذا

حديث حسن صحيح والمقصود بيان ذم هذه الشبهة التي زينها من يدعى أنه من العلماء على الجهلة من الناس ، أن من قال لا إله إلا الله محمد رسول الله فهو مسلم لا يجوز قتله ولو ترك فرائض الإسلام وهذا كلام الله وهذا كلام رسوله وهذا كلام العلماء صريحا في رد هذه الشبهة ، بل قد دل الكتاب والسنة والإجماع على أن الطائفة الممتنعة تقاتل على ترك الصلاة ومنع الزكاة وإن أقروا بالوجوب كما تقدمت النصوص الدالة على ذلك بل قد صرح العلماء أن أهل البلد إذا تركوا الأذان والإقامة يقاتلون وصرحوا أيضا بأنهم لو تركوا إقامة صلاة الجماعة يقاتلون وكذا لو تركوا صلاة العيد ، وعلماء حرم الله الشريف يقولون من قال لا إله إلا الله فقد عصم ماله ونفسه وإن لم يصل ولم يزك ، فسبحان مقلب القلوب والأبصار وهل هذا إلا معارضة لكلام الله ورسوله وكلام أئمة المذاهب وهذا كلامهم موجود في كتبهم يصرحون بأن من ترك الصلاة قتل ، وأن الطائفة الممتنعة من الصلاة والزكاة والحج تقاتل حتى يكون الدين كله لله ويحكون عليه الإجماع كما صرح بذلك أئمة الحنابلة في كتبهم ، فإذا كانوا يصرحون أن من ترك بعض شعائر الإسلام كأهل القرية إذا تركوا الأذان أو تركوا صلاة الجماعة أو تركوا صلاة العيد فانهم يقاتلون ، فكيف بمن ترك الصلاة رأسا وهؤلاء يقولون من قال لا إله إلا الله محمد رسول الله فقد عصم نفسه ودمه وإن كانوا طائفة ممتنعين من فعل الصلاة والزكاة بل يصرحون بأن البوادي إسلام حرام علينا دماؤهم وأموالهم مع العلم القطعي بأنهم لا يؤذنون ولا يصلون ولا يزكون بل الظاهر عندهم أنهم كافرون بالشرائع وينكرون البعث بعد الموت ، سبحان الله ما أعظم هذا الجهل ، وقد ذكرنا من كلام الله وكلام رسوله وكلام شراح المحدثين ما فيه الهدى لمن هداه الله ، وبينا أن العصمة شرطها التوحيد وإقام الصلاة وايتاء الزكاة ، فمن لم يأت بهذه الثلاث لم يكف عنه ولم يخل سبيله وقد قال الله تعالى (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله) وقال تعالى (فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد ، فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم) وقال النبي صلى الله عليه وسلم «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله ». وأما كلام الفقهاء في كتبهم فنذكره على التفصيل . أما كلام المالكية فقال

الشيخ على الأجهورى فى شرح المختصر : من ترك فرضا أخر لبقاء ركعة بسجدتيها من الضرورى قتل بالسيف حدا على المشهور. وقال ابن حبيب وجماعة خارج المذهب كافر واختاره ابن عبد السلام انتهى .

وقال فى فضل الأذان قال المازرى فى الأذان معنيان : أحدهما إظهار الشعائر والتعريف بأن الدار دار إسلام ، وهوفرض كفاية يقاتل أهل القرية حتى يفعلوه إن عجزوا عن قهرهم على إقامته إلا بالقتال .

والثانى الدعاء للصلاة والإعلام بوقتها . وقال الأبى فى شرح مسلم : والمشهور أن الأذان فرض كفاية على أهل المصر لأنه شعار الإسلام ، فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إن لم يسمع الأذان أغار وإلا أمسك، وقول المصنف يقاتلون عليه ليس القتال من خصائص القول بالوجوب لأنه نص عن عياض فى قول المصنف والوتر غير واجب إلا أنهم اختلفوا فى التمالؤ على ترك السنن هل يقاتلون عليها ؟ والصحيح قتالهم وإكراههم لأن فى التمالؤ على تركها إماتتها انتهى .

وقال فى فضل صلاة الجمعة : قال ابن رشد : صلاة الجمعة مستحبة للرجل فى نفسه فرض كفاية فى الجملة، ويعنى بقوله فى الجملة أنها فرض كفاية على أهل المصر ولو تركوها قوتلوا كما تقدم انتهى . وعبارة غيره وإن تركها أهل بلد قوتلوا وأهل دار أجبروا عليها انتهى كلام الشيخ رحمه الله على الأجهورى . فانظر تصريحهم أن تارك الصلاة يقتل باتفاق أصحاب مالك وإنما اختلفوا فى كفره وأن ابن حبيب وابن عبد السلام اختارا أنه يقتل كافرا ، وتأمل كلامهم فى الطائفة الممتنعة عن الأذان وعن إقامة الجماعة فى المساجد وأنهم يقاتلون ، فأين هذا من قولكم إن من ترك الفرائض مع الإقرار بوجوبها لايحل قتالهم لأنهم يقولون لاإله إلا الله . وأما كلام الشافعية فقال الإمام العلامة أحمد بن حمدان الأذرعى رحمة الله فى كتاب [قوت المحتاج فى شرح المنهاج] من ترك الصلاة جاحدا وجوبها كفر إجماعا وذلك جاريا فى كل جحود مجمع عليه معلوم من الدين ضرورة فإن تركها كسلا قتل حدا على الصحيح والمشهور . أما قتله فلأن الله تعالى أمر بقتال المشركين ، ثم قال (فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم) فدل على أن القتل لايرفع إلا بالإيمان وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ولما فى الصحيحين «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ويقيموا

الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحقها » ثم قال إشارات منها قتله ردة ووجد لشرذمة منهم منصور التميمى وابن خزيمة وقضية كلام الرونق أنه كلام منصوص حيث قال : فإذا قتل ففى ماله ودفنه بين المسلمين قولان : أحدهما مارواه الربيع عن الشافعى أن ماله يكون فيئا ولا يدفن بين المسلمين . والثانى مارواه المازنى عن الشافعى أن ماله لورثته ويدفن فى مقابر المسلمين وقال فى المستعمل : سألت الربيع مايصنع بماله إذا قتله ؟ قال يكون فيئا . ومنها قال فى الروضة تارك الوضوء يقتل على الصحيح جزم به الشيخ أبو حامد ، وفى البيان لو صلى عريانا مع القدرة على الستر أو الفريضة قاعدا بلا عذر قتل ، وكذلك لو ترك التشهد أو الاعتدال ، حكاه ابن الأستاذ عن البحر ، فان صح اطرد فى سائر الأركان والشروط ، ويجب أن يكون محله فيما أجمع عليه . ومنها لو امتنع من الصوم والزكاة حبس ومنع من الفطر وقال إمام الحرمين . يجوز أن يكون الممتنع مما يضيق عليه كالممتنع من الصلاة يجبر عليه ، فان أبى ضربت عنقه قال المصنف والصحيح قتله بصلاة واحدة بشرط إخراجها عن وقت الضرورة انتهى كلام الأذرعى . فانظر كلامه فى قتل من ترك الصلاة كسلا وأن الربيع روى عن الشافعى أن ماله يكون فيئا ولا يدفن فى مقابر المسلمين . وتأمل كلام أبى حامد وكلام صاحب الروضة فى قتل تارك الوضوء وكلام صاحب البيان فيمن صلى عريانا مع القدرة على السترة أو صلى الفريضة قاعدا بلا عذر إنه يقتل فأين هذا من قولكم ان من قال لا إله إلا الله كف عنه ولا يجوز قتاله بوجه من الوجوه ، وقال الشيخ أحمد بن حجر الهيتمى فى التحفة فى باب حكم تارك الصلاة إن ترك الصلاة جاحدا وجوبها كفر بالاجماع أو تركها كسلا مع اعتقاد وجوبها قتل لآية (فان تابوا) وخبر « أمرت أن أقاتل الناس » لأنهما شرطا فى الكف عن القتل والمقاتلة بالإسلام وايتاء الزكاة لأن الزكاة يمكن الإمام أخذها ولو بالمقاتلة ممن امتنعوا وقاتلوا فكانت فيها على حقيقتها بخلافها فى الصلاة فانه لا يمكن فعلها بالمقاتلة وقال فى باب صلاة الجماعة : وقيل هى فرض للرجل فيجب بحيث يظهر بها الشعار فان امتنعوا كلهم أو بعضهم كأهل محل من قرية كبيرة ولم يظهر الشعار إلا بهم قوتلوا يقاتلهم الإمام أو نائبه لإظهار هذه الشعيرة الكبيرة وقال فى باب الأذان والإقامة سنة وقيل فرض كفاية فيقاتل أهل بلد تركوهما أو أحدهما بحيث لم يظهر الشعار ، وقال فى باب صلاة

العيدين هى سنة ، وقيل فرض كفاية فعليه يقاتل أهل بلد تركوها انتهى كلامه فى التحفة.
فانظر إلى كلامه فى قتل تارك الصلاة كسلا وتأمل قوله : إن الآية والحديث شرطا فى الكف عن القتل والمقاتلة الإسلام وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وأن الإمام يأخذ الزكاة ولو بالمقاتلة ممن امتنعوا وقاتلوا . وتأمل كلامه فى باب صلاة الجماعة وأنها تجب بحيث يظهر الشعار فى ذلك المحل حتى فى البادية وأنهم يقاتلون إذا امتنعوا ، بل كلامه فى الأذان والإقامة وأن الإمام يقاتل على تركهما وعلى ترك أحدهما على القول بأنهما فرض كفاية . وتأمل كلامه فى الطائفة إذا امتنعوا من صلاة العيدين فأين هذا من كلام من يقول إن أهل البلد والبوادى إذا قالوا لا إله إلا الله محمد رسول الله لم يجز قتالهم وإن لم يصلوا ولم يزكوا ، فسبحان الله ما أعظم هذا الجهل . وأما كلام الحنابلة فقال فى الاقناع وشرحه فى كتاب الصلاة : من جحد وجوبها كفر ، فإن تركها تهاونا وتكاسلا لا جحودا يهدده ، فإن أبى أن يصليها حتى ضاق وقت الذى بعدها وجب قتله لقوله تعالى (فاقتلوا المشركين) إلى قوله (فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم) فمتى ترك الصلاة لم يأت بشرط التخلية فيبقى على إباحة القتل ولقوله عليه الصلاة والسلام «من ترك الصلاة عمدا متعمدا فقد برئت منه ذمة الله ورسوله» رواه أحمد عن مكحول وهو مرسل جيد، ولا يقتل حتى يستتاب ثلاثة أيام كالمرتد نصا فان تاب بفعلها وإلا قتل بضرب عنقه ، لما روى جابر عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « بين الرجل وبين الكفر ترك الصلاة » رواه مسلم ، وروى بريدة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « من تركها فقد كفر » رواه الخمسة وصححه الترمذى انتهى.

وقال فى باب الأذان والإقامة : فإن تركهما أى الأذان والإقامة أهل بلد قوتلوا أى قاتلهم الإمام أو نائبه حتى يفعلوهما لأنهما من أعلام الدين الظاهرة فيقاتلوا على تركهما كسلا كصلاة العيد . وقال رحمه الله فى باب صلاة الجماعة : وهى واجبة وجوب عين فيقاتل تاركها وإن أقامها غيره لأن وجوبها على الأعيان بخلافه .

وقال فى باب صلاة العيدين : وهى فرض كفاية إن تركها أهل بلد يبلغون الأربعين بلا عذر قاتلهم الإمام كالأذان فانه من شعائر الإسلام الظاهرة وفى تركهما تهاون بالدين وقال فى باب إخراج الزكاة : ومن منعها أى الزكاة بخلا بها وتهاونا أخذت منه قهرا كدين الآدمى ، وإن غيب ماله أو كتمه وأمكن أخذها بأن كان فى قبضة الإمام

أخذت من غير زيادة وإن لم يكن أخذها استتيب ثلاثة أيام وجوبا ، فان تاب وأخرج كف عنه وإلا قتل لاتفاق الصحابة على قتال مانعها ، وإن لم يمكن أخذها إلا بالقتال وجب على الإمام قتاله إن وضعها موضعها ، انتهى كلامه فى الإقناع وشرحه .

فتأمل كلامه فيمن ترك الصلاة كسلا من غير جحود أنه يستتاب ، فان تاب وإلا قتل كافرا مرتدا ، وتأمل كلامه فى أهل البلدان إذا تركوا الأذان أو الإقامة أو صلاة العيد أنهم يقاتلون بمجرد ترك ذلك ، فهذا كلام المالكية وهذا كلام الشافعية وهذا كلام الحنابلة الكل منهم قد صرح بما ذكرناه ، فإذا كانوا مصرحين بقتال من التزم شرائع الإسلام إلا أنهم تركوا الأذان وتركوا صلاة الجماعة وتركوا صلاة العيد فكيف بمن ترك الصلاة رأسا كالبوادى ولا يزكون ولا يصومون بل ينكرون الشرائع وينكرون البعث بعد الموت ، هذا هو الغالب عليهم إلا من شاء الله وهم القليل وإلا فأكثرهم ليس معهم من الإسلام إلا أنهم يقولون لاإله إلا الله ومع هذا يجادل علماء مكة ويقولون إنهم مسلمون وإن دماءهم وأموالهم حرام بحرمة الإسلام وإن لم يصلوا ولم يزكوا ولم يصوموا لأنهم يقولون لاإله إلا الله وهل هذا إلا رد على الله حيث يقول (فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم) وهؤلاء يقولون يخلى سبيلهم وإن لم يصلوا ولم يزكوا ، وفى الصحيحين عن النبى صلى الله عليه وسلم « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لاإله إلا الله وأن محمدا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ، فإذا فعلوا ذلك عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام » وهؤلاء يقولون من قال لاإله إلا الله فقد عصموا دمهم ومالهم وإن لم يصلوا ولم يزكوا (كذلك يطبع الله على قلوب الذين لايعلمون) فهذا كتاب الله وسنة رسوله وهذا إجماع الصحابة على قتال من ترك الصلاة أو منع الزكاة . قال صدّيق الأمة أبو بكر رضى الله عنه « والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة . والله لو منعونى عقالا كانوا يؤدونه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم » وفى رواية « عناقا لقاتلتهم على منعها » وهذا إجماع العلماء ، قال فى شرح الاقناع أجمع العلماء على أن كل طائفة ممتنعة من شريعة من شرائع الإسلام فإنه يجب قتالها حتى يكون الدين كله لله وحتى لاتكون فتنة كالمحاربين وأولى انتهى .

قال أبو العباس رحمه الله تعالى : القتال واجب حتى يكون الدين كله لله وحتى لاتكون

فتنة ، فمتى كان الدين لغير الله فالقتال واجب ، فأى ممتنعة امتنعت عن بعض الصلوات المفروضات أو الصيام أو الحج أو عن التزام تحريم الدماء والأموال والخمر والزنا والميسر أو نكاح ذوات المحارم أو عن التزام جهاد الكفار أو ضرب الجزية على أهل الكتاب أو غير ذلك من التزام واجبات الدين أو محرماته التى لاعذر لأحد فى جحودها أو تركها التى لايكفر الواحد بتركها بجحودها فان الطائفة الممتنعة تقاتل عليها وإن كانت مقرة بها وهذا مما لا أعلم فيه خلافا بين العلماء ، وإنما اختلف الفقهاء فى الطائفة الممتنعة إذا أصرت على ترك بعض السنن كركعتى الفجر أو الأذان أو الإقامة عند من لايقول بوجوبها ونحو ذلك من الشعائر ، فهل تقاتل الطائفة الممتنعة على تركهما أم لا فأما الواجبات أو المحرمات المذكورة ونحوها فلا خلاف فى القتال عليها انتهى .

فتأمل كلام الحنابلة وتصريحهم بأن من امتنع عن شريعة من شرائع الإسلام الظاهرة كالصلوات الخمس أو الصيام أو الزكاة أو الحج أو ترك المحرمات كالزنا أو شرب الخمر أو المسكرات أو غير ذلك فإنه يجب قتال الطائفة على ذلك حتى يكون الدين كله لله ويلتزموا جميع شرائع الإسلام وإن كانوا مع ذلك ناطقين بالشهادتين وملتزمين بعض شرائع الإسلام وإن ذلك مما اتفق عليه الفقهاء من سائر الطوائف فمن بعدهم ، فأين هذا من قولكم إن من قال لا إله إلا الله فقد عصم ماله ودمه وإن ترك الفرائض وارتكب المحرمات ؟ بل من تأمل سيرة النبى صلى الله عليه وسلم وسيرة الخلفاء الراشدين المهديين من بعده عرف أن قولكم هذا مضاد لما فعله النبى صلى الله عليه وسلم وما فعله الخلفاء الراشدون من بعده ، فيا سبحان الله أما علمتم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قاتل اليهود وهم يقولون لا إله إلا الله وسبى نساءهم واستحل دماءهم وأموالهم ؟ أما علمتم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أراد أن يغزو بنى المصطلق عند قوله تعالى (ياأيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا؟) أما علمتم أن على بن أبى طالب حرّق الغالية مع أنهم يقولون لا إله إلا الله؟ أما علمتم أن الصحابة قاتلوا الخوارج بأمر نبيهم صلى الله عليه وسلم مع أنه عليه الصلاة والسلام أخبر أن الصحابة يحقرون صلاتهم مع صلاتهم وصيامهم مع صيامهم وقراءتهم مع قراءتهم وقال أينما لقيتموهم فاقتلوهم ؟ أما علمتم أن الصحابة قاتلوا بنى حنيفة وهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ويؤذنون ويصلون ؟ أما علمتم أن الصحابة قاتلوا بنى يربوع لما منعوا الزكاة مع أنهم

مقرون بوجوبها وكانوا قد جمعوا صدقاتهم وأرادوا أن يبعثوا بها إلى أبي بكر فمنعهم مالك بن نويرة، وفي أمر هؤلاء عرضت الشبهة لعمر رضى الله عنه حتى جلاها الصديق أبو بكر وقال : والله لو منعونى عناقا كانوا يؤدونها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعها ، فقال عمر فوالله ما هو إلا أن رأيت الله قد شرح صدر أبي بكر للقتال فعرفت أنه الحق ، وقد تقدم ذلك مبسوطا وذكرنا لفظه في شرح مسلم في باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ؟ أما علمتم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث البراء إلى رجل تزوج امرأة أبيه كما رواه الترمذى في سننه حيث قال باب فيما جاء فيمن تزوج امرأة أبيه حدثنا أبو سعيد الأشج أخبرنا حفص بن غياث عن أشعث عن عدى بن ثابت عن البراء قال «مربى خالد أبو بردة ومعه لواء فقلت إلى أين تريد فقال بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى رجل تزوج امرأة أبيه أن آتيه برأسه» حديث حسن غريب انتهى .

ولو تتبعنا الآيات والأحاديث والآثار وكلام العلماء فى قتال من قال لا إله إلا الله وترك بعض حقوقها لطال الكلام جدا ، فكيف بمن ترك الإسلام كله وكذب به واستهزأ على عمد ، إلا أنهم يقولون لا إله إلا الله كهؤلاء البوادى، وفيما ذكرناه كفاية لمن طلب الإنصاف فقد ذكرنا الأدلة من كلام الله وكلام رسوله وإجماع الصحابة وإجماع العلماء فإن كان هذا الذى ذكرنا له معنى آخر غيرما فهمناه فبينوه لنا من كلام الله وكلام العلماء ورحم الله امرأ نظر لنفسه وعرف أنه ملاق الله الذى عنده الجنة والنار .

وأما المسألة الثالثة وهى مسألة البناء على القبور فنقول: ثبت فى الصحيح والسنن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم «أنه نهى عن البناء على القبور وأمر بهدمه» كما رواه مسلم فى صحيحه حيث قال : حدثنا يحيى بن يحيى حدثنا وكيع عن سفيان عن حبيب ابن أبي ثابت عن أبي ليلى عن أبي الهياج الأسدى قال : قال لى علىّ «ألا أبعثك على ما بعثنى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا تدع تمثالا إلا طمسته ولا قبرا مشرفا إلا سويته» حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة قال حدثنا حفص بن غياث عن أبي جريج عن ابن الزبير عن جابر رضى الله عنه قال « نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجصص القبر وأن يبنى عليه وأن يكتب عليه »وقال أيضا حدثنا هارون الأبلى قال حدثنا ابن وهب قال حدثنى عمر بن الحارث أن ثمامة بن شفى حدثه قال: كنا مع

فضالة بن عبيد بأرض الروم فتوفى صاحب لنا فأمر فضالة بقبره أن يسوى ثم قال «سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر بتسويتها» وقال الترمذى باب ما جاء فى تسوية القبور حدثنا محمد بن بشار حدثنا عبد الرحمن بن مهدى حدثنا سفيان عن حبيب عن أبى ثابت عن أبى وائل «أن عليا رضى الله عنه قال لأبى الهياج الأسدى أبعثك على ما بعثنى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا تدع تمثالا إلا طمسته ولا قبرا مشرفا إلا سويته» قال وفى الباب عن جابر وقال ابن ماجه باب ما جاء فى النهى عن البناء على القبور وتجصيصها والكتابة عليها حدثنا أزهر بن مروان حدثنا عبد الرزاق عن أيوب عن أبى الزبير عن جابر قال «نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تجصيص القبور» حدثنا عبد الله بن سعيد حدثنا حفص بن غياث عن أبى جريج عن سليمان بن موسى عن جابر قال «نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكتب على القبر شىء» حدثنا محمد بن يحيى حدثنا محمد بن عبد الله الرقاشى بنا وهب حدثنا عبد الرحمن بن زيد عن القاسم ابن مخيمرة عن أبى سعيد عن النبى صلى الله عليه وسلم «نهى أن يبنى على القبر» قال النووى رحمه الله فى شرح مسلم قال الشافعى فى الأم : رأيت الأئمة فى مكة يأمرون بهدم ما يبنى ويؤيد الهدم قوله «ولا قبرا مشرفا إلا سويته» وقال الأذرعى رحمه الله تعالى فى قوت المحتاج : ثبت فى صحيح مسلم النهى عن التجصيص والبناء ، وفى الترمذى وغيره النهى عن الكتابة قال القاضى ولا يجوز أن يبنى عليها قباب ولا غيرها والوصية عليها باطلة قال الأذرعى ولا يبعد الجزم بالتحريم فى ملكه وغيره من غير حاجة على من علم النهى بل هو القياس الحق والوجه فى البناء على القبور المباهاة ومضاهاة الجبابرة والكفار والتحريم يثبت بدون ذلك . وأما بطلان الوصية بالبناء والقباب وغيرها من الأبنية العظيمة وإنفاق الأموال الكثيرة عليه فلا ريب فى تحريمه ، والعجب كل العجب ممن يلزم بذلك الورثة من حكام العصر ويعمل الوصية بذلك انتهى كلام الأذرعى رحمه الله تعالى ، ومن جمع بين سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى القبور وما أمر به ونهى عنه وما كان عليه أصحابه وبين ما أنتم عليه من فعلكم مع قبر أبى طالب والمحجوب وغيرهما وجد أحدهما مضادا للآخر مناقضا له لا يجتمعان أبدا ، فنهى رسول الله صلى الله عليه وسلم على البناء على القبور كما تقدم ذكره وأنتم تبنون عليها القباب العظيمة والذى رأيته فى المعلاة أكثر من عشرين قبة ، ونهى رسول الله صلى

الله عليه وسلم أن يزاد عليها غير ترابها وأنتم تزيدون عليها غير التراب التابوت الذى عليه لباس الجوخ ومن فوق ذلك القبة العظيمة المبنية بالأحجار والجص ، وقد روى أبو داود من حديث جابر « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى أن يجصص القبر أو يكتب عليه أو يزاد عليه. ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الكتابة عليها» كما تقدم من صحيح مسلم. وقال أبو عيسى الترمذى باب ماجاء فى التجصيص والكتابة عليها حدثنا عبد الرحمن بن الأسود أخبرنا محمد بن ربيعة عن ابن جريج عن أبى الزبير عن جابر قال « نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تجصص القبور وأن يكتب عليها وأن يبنى عليها وأن توطأ » هذا حديث حسن صحيح وهذه القبور عندكم مكتوب عليها القرآن والأشعار . وقال أبو داود باب البناء على القبر حدثنا أحمد بن حنبل حدثنا عبد الرزاق قال أخبرنى ابن جريج قال حدثنى أبو الزبير أنه سمع جابرا يقول « سمعت النبى صلى الله عليه وسلم نهى أن يقعد على القبر وأن يجصص وأن يبنى عليه» انتهى «ولعن رسول الله صلى الله عليه وسلم من أسرجها» والذى رأيته ليلة دخولنا مكة شرفها الله تعالى فى المقبرة أكثر من مائة قنديل هذا مع علمكم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن فاعله ، فقد روى ابن عباس «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن زوّارات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج » روى هذا أهل السنن ، وأعظم من هذا كله وأشد تحريما الشرك الذى يفعل عندها ودعوة القبور وسؤالهم قضاء الحاجات وتفريج الكربات ، لكن تقولون لنا إن هذا لايفعل عندها وليس عندنا أحد يدعوها ويسألها ونقول اللهم اجعل ماذكروا حقا وصدقا ونسأل الله أن يطهر حرمه من الشرك ، ولا ريب أن دعاء الموتى وسؤالهم جلب الفوائد وكشف الشدائد من الشرك الأكبر الذى كفر الله به المشركين كما تقدم بيانه فى المسألة الأولى وقد قال الله تعالى (وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا) وقال تعالى (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا) وقال تعالى (ولاتدع من دون الله مالاينفعك ولا يضرك فان فعلت فانك إذا من الظالمين) وقال تعالى (والذين تدعون من دونه مايملكون من قطمير) الآية وقال تعالى (ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لايستجيب له إلى يوم القيامة)الآية وقال تعالى (له دعوة الحق) إلى آخره ، وقد روى الترمذى عن أنس أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « الدعاء مخ العبادة » وعن النعمان بن بشير قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

« الدعاء هو العبادة ، ثم قرأ : وقال ربكم ادعونى أستجب لكم » رواه أحمد وأبو داود والترمذى . قال العلقمى فى شرح الجامع الصغير حديث « الدعاء مخ العبادة » قال شيخنا فى النهاية : مخ الشيء خالصه وإنما كان مخها لأمرين : أحدهما أنه امتثال لأمر الله تعالى حيث قال (ادعونى أستجب لكم) فهو محض العبادة وخالصها . والثانى . إذا رأى نجاح الأمور من الله قطع عمله عما سواه ودعاه لحاجته وحده وهذا هو أصل العبادة ولأن الغرض من العبادة هو الثواب المطلوب عليها وهذا هو المطلوب من الدعاء وقوله «الدعاء هو العبادة» قال شيخنا قال الطيالسى أتى بالخبر المعرف باللام ليدل على الحصر وأن العبادة ليست غير الدعاء . وقال شيخنا قال البيضاوى : لما حكم أن الدعاء هو العبادة الحقيقية التى تستأهل أن تسمى عبادة من حيث إن فاعلها مقبل على الله معرض عمن سواه ولا يرجو ولا يخاف إلا منه . واستدل عليه بالآية يعنى قوله(وقال ربكم ادعونى أستجب لكم) فانها تدل على أمر مأمور به إذا أتى به المكلف قبل منه لا محالة وترتب عليه المقصود ترتب الجزاء على الشرط والسبب على المسبب وما كان كذلك كان أتم العبادة وأكملها . انتهى كلام العلقمى رحمه الله تعالى . وليكن هذا آخر الكلام على هذه المسائل الثلاث ، فان وافقتمونا على أن هذا هو الحق فهو المطلوب . وإن زعمتم أن الحق خلافه فأجيبونا بالكتاب والسنة فانهما بين الناس فيما تنازعوا فيه كما قال تعالى (فان تنازعتم فى شيء فردوه إلى الله والرسول) وقد ذكرنا لكم الأدلة من الكتاب والسنة وكلام الأئمة . فإذا أجبتم على هذه المسائل الثلاث أجبناكم عن بقية المسائل إن شاء الله تعالى . ولنختم الكلام بقوله تعالى (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور) والحمد لله أولا وآخرا كما يحب ربنا ويرضى وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

ثم دخلت السنة الثانية عشرة بعد المائتين والألف . وفيها أظهر الشريف غالب عثمان المضايفى مع كثير من العساكر والجيش وذوى السفاهة والطيش وقصد عربان الإسلام لكون جرودهم عند سعود ولم يكن عند الأهل كثير من أهل الاقدام بل كانوا غزاة حماة تلك الأقوام . فظن أنه يحصل منهم على مرام ، فأسرع الوصول إليهم

وقدم وهم على ماء عقيلان آل روق من قحطان وغيرهم من سائر العربان وكبيرهم مسفر بن نقيحان ، فأغارت عليهم فرسان الشريف بقوة ترعب وتخيف ، فثبتت لهم أولئك العرب ولم يكن أحد منهم عزم على الهرب ، وصبروا على الجلاد خوفا على الأموال والأولاد حتى أعانهم الرحمن ، فانهزم ذوو الطغيان وتبعهم أولئك البدوان وقتلوا منهم فوق الخمسين ونار الباقي مدبرين ومات كثير منهم من الظمأ متفرقين وأخذوا كثيرا من السلاح والركاب وخسر جميع الأحزاب .

هذا ، ولنرجع إلى تمام الحديث عن ثويني وإكماله وما لقى فى طريقه من سوء أعماله ؛ وذلك أن الله تعالى الولى الحميد المبدىء المعيد المنتقم من كل جبار عنيد لما أراد فيه إنفاذ الوعيد وأن يولى المسلمين من فضله المزيد ويجرى لهم عادته من النصر والتأييد ويخذل كل رائم لهم الهوان ومريد من كل باغ وشيطان مريد ، أقبل يقطع المفاوز ويعقب وراءه كل مهمه ويجاوز ويروم أنه بالحساء فائز وأنه لولايتها مناهز ، وعن مصادمة المسلمين فى بلدانهم بعد ذلك غير عاجز ، يعلل بذلك نفسه إذا سجى الدجى ويحقق له الغرور ذلك الرجا ، يولى فى تلك المسامرة ويعزل ويحكم بما شاء على من شاء ويفصل ولم يدر أن الله تعالى له بمرصد وأن القضاء له بمقعد فلم يطل له على تلك الأمواه مقام بل أسرع فى المسير والاقدام ، ولم يكن له عن أرض الشباك إحجام ، لما قضى عليه بشرب كؤوس الحمام وأن الله تعالى بحكمته التى بها للسموات والأرض القيام وحسن لمن فيهن بها الانتظام ، وقدرته التى قهرت جميع الأنام وإرادته التى تم بها الوجود واستقام ، اختار أن يبين للناس مافيه آية عظيمة يستدعى بها إذعانا لوحدانية الله ذوو العقول السليمة وسالكو المناهج القديمة المستقيمة ولكن الله تعالى إذا طبع على القلوب بطابع الحجاب وسلب الادراك والمعرفة من الألباب فلا تحس بما يصدر من العجاب وتتمادى فيما هى فيه من الزيغ والارتياب .

فلما نزل ثوينى فى رياض أراضى الشباك مدت له من الحبائل شباك ونصب له من أسباب الحمام أشراك حتى تخمد نار الغواية والإشراك وترجع خاسئة على أعقابها أولئك السلاك ، فناداه منادى القضاء المجيد إلى أين تذهب وتريد ، وقد حان هلاكك غير بعيد (قل جاء الحق وما يبدىء الباطل ومايعيد وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد) فلم تمض له إلا أيام قليلة فصاح به أخرى وأسمعه قبيله وناداه ولكن لا يسمع

ولا يجيب (ولو ترى إذ فزعوا فلا فوت وأخذوا من مكان قريب) وجعل الله تعالى منية ذلك الضرغام الذى لايستطاع بأسه ولا يرام على يد أذل وأضعف الأنام ، وذلك أن الأسرار الغيبية والمصالح التى نيط بها نظام البرية وجميع العوالم العلوية والسفلية لاتدركها جياد الأفهام والأذهان بل تحجم دون ذلك الميـدان ولا يكون لها فيه جولان ويقصر باعها عن ذلك ولو أطلق لها عنان فترجع حينئذ ألباب أهل العرفان وصفوة أهل التوحيد والإيمان حين تشاهد تلك الحـكم التى ظهرت فى غاية البيان وأبرزها من (كل يوم هو فى شأن) فى وقتها المقدر لها بحسبان إلى زيادة الاقرار والإذعان لمـكون الأكوان ومقدر الآجال والأزمان ، ومحتم الفناء على كل إنسان وملك وجان ، بمصداق (كل من عليها فان) ومما يفتح هذا الباب لذوى البصائر والألباب ويحث على التوحيد وإخلاص الدعوة لرب الأرباب هذا البرهان الذى شاهده أولو الأبصار والحـكم العادل الصادر من قاصم كل جبار المـبرز فى مساق النصرة والانتصار صونا لزلال الشريعة عن الأكدار وقذر زعاف الأشرار ليستيقن أهل الدين بعد التتبع والاعتبار ، ويزيد أهل الإيمان بذلك الاستبصار فلا تبدر العقول والأفكار إلى امتطاء كاهل الإنكار ولا تدخل فى ضنك القنوط فتزيغ منها الأبصار ، فما فى الغيب من خفىّ الأسرار أجلّ من أن تحيط به البصائر المستضيئة بالأنوار ، فتبارك الذى أقصى من شاء من العباد ونحاه إلى بيداء الابعاد وقسم له الطرد والحرمان ، وأضله على علم لإرادته به الهوان ، وسبحان الذى قرب أولياءه إلى جنابه ومنح أصفياءه لذيذ خطابه . وحاصل بيان هذه المنقبة وتهيئة أسبابها الموجبة وإشراق أنوار هذه الموهبة أن ثوينى لما ظهر للحرابة وكان منه إليها تلبية وإجابة وفتح من الشر بابه وارتد من البدوان كثير من العربان كما قدمناه عن آل ظفير وكل أقبل إلى الفتنة يسير جاء بنو خالد الذين فى الشمال وأسرعوا إلى براك بن عبدالمحسن ومن معه من قومهم وأعلموهم بالحال وخوفوهم من ثوينى وما أتى من الـكيد الذى لم يسبق له مثال ، وأراد براك الامتناع فهددوه بالأسر والاعتقال فأشمل بعد ذلك هو ومن معه وكانوا إلى لقاء ثوينى فى استقبال وهاجر من قوم براك جماعة كثيرة وقصدوا الدرعية بعد صدور تلك القضية ، ثم بعد ذلك خرجوا مع أهل الجهاد وكان طعيس ممن هاجر وأبى الارتداد ، وخرج للغزو مع تلك الأمداد وكان يكثر الدعاء لمولاه والسؤال ويديم

التضرع والابتهال ويتمنى ذلك فى كل حال ويتفوه بذلك بين الرجال حتى يظن سامعه أن به وسواسا وخبال ، ويستبعد أن يكون للأسود والأشبال إلى حمى ثوينى وصول واتصال ، أو تدرك منه مراما أو منال ، فضلا عن مثل هذا المهان الذى لا يلقى إليه بال يجسر على هتك تلك الأبهة العديمة المثال ووطء بساط تلك الحضرة التى دون رحبتها خطوب وأهوال ، فلا يرام الوقوف عندها ولا تنال ، فأراد الله الكبير المتعال ، أنه يغزو مع مناع أبا رحلين وهم أهل أربع ركاب يريدون اختلاس بعض الآبال ، فوافقهم أناس من آل ظفير ذوى الضلال فأخذوهم وبقى طعيس عند أولئك الجنود وأخذت نفسه تحدثه بتلك الآمال ويصمم على ذلك ويدعو بتيسيره فى البكور والآصال ، فاستعد للإقدام وباع نفسه وأبرم الاحتيال وأخذ حربته وقد قوى الله عزيمته فجاءه وهو قاعد مع بعض الرجال فأنفذ فيه الحربة وكان منه له اغتيال ، فلما أحس بالطعنة جرد صارمه فضرب به طعيسا وقام عليه مع غيره رجال ، فقتل بعد ذلك فى الحال ولم يكن له ساعة إمهال ، عليه رحمة الله تعالى . وبقى ثوينى ذلك اليوم إلى العصر ثم كان له إلى القبر انتقال ، فضجت تلك الأمم مما حل بهم ودهم ، وذعرت وارتجت وماجت قلوبها بعد ما رعبت وعجت وحاق بها مدلهم الخطب وعراها وقراها الزمان ما أوهى قراها وضاق عليها فسيح الفجاج والرحاب وأحاط بهم رجز من العذاب وانهزم منهم براك ونار ، وأرسل المسلمين بالأخبار وتبعه أناس من قومه وجد فى الهروب من يومه ولم يثبت لهم قوة ولا قلوب ولا قرار بعد ما صدر من براك وجماعته ذلك الفرار ، وحاول قوم ثوينى وناصر أخوه فى الثبات واجتماع الحال فلم يحصل له ما يرجوه وأبت تلك العربان وندت أسلاف البدوان وشمرت فى الانهزام والذهاب جميع طوائف الأعراب وشتت الله شمل أولئك الأحزاب واستمر كل واحد منهم فى الهزيمة لا يلوى أحد على أحد ولا يجيب (وحيل بينهم وبين ما يشتهون كما فعل بأشياعهم من قبل إنهم كانوا فى شك مريب) .

ولما تحقق المسلمون ما صدر وجرى وتبين لهم صدق ما نزل بهم وعرا بادر حسن بن مشارى وجميع أهل الإسلام فى طلب أولئك الجموع العظام وشمروا فى أعقاب أولئك الأقوام يأخذون ويقتلون والأعداء منهزمون ولا يلوون وتركوا جميع ما عندهم من الغنم وما ثقل من الطعام والنعم ولم يكن لهم على جر المدافع الكبار

حيلة ولاوسيلة ولا اقتدار، فأخذ المسلمون جميع المدافع ولم يكن دونها مدافع وغنموا من جميع الأموال مالا يخطر على البال واستمروا فى آثارهم على ذلك المنوال إلى قريب الجهر يجمعون الأموال ويقتلون الرجال ، فقتل منهم فى الصبيحة جماعات من تلك البرية ورجع المسلمون بعد نيل الآمال فى أنعم عيش وبال، وأقبل سعود بلغه الله المقصود فى حدود ظهور أنوار تلك الآية وقد رفع طالع الإقبال على رأسه للنصر راية، فأحاطت به من جوانبه الألطاف والتوفيق والعناية وحفه السعد والحفظ والرعاية ، ونوى أن يغزو أولئك الجنود ويبذل فيهم المجهود وعزم على ذلك وصمم وأجمع عليه رأيه وتقدم وقال لابد فى أرضهم من الوطأة والمجال حتى يكون ذلك أردع وأقمع لذوى الضلال ، فانتدب إليه من كبار المسلمين رجال وقالوا هذا صعب المنال والركاب والجياد لاتستطيع السير بحال ، وكفى ما وقع بهم من القتل والإذلال وما نالوا من الشر والوبال وعسى أن يتم لك المراد على الامهال فجنح إلى قولهم وراض وكان له عن عزمه إعراض . وأقام سعود حرسه الله فى تلك الأرض يجمع الغنائم ويأخذ منها الخمس الفرض . ويقسم الباقى على المجاهدين حتى وزعت بينهم أجمعين ، وكان جميع ما حصل من الإبل ثلاثة آلاف من غير مبالغة ولا إسراف والذى جمع من الغنم فوق مائة ألف وأكثرها عاجلة الهلاك والحتف ولم يدرك من الخيل إلا قليلا ونال أهل الإسلام عزا جليلا ونصرا مؤيدا جميلا وثوابا عظيما وأجرا جزيلا ورجع حزب البغى ذليلا وقد نكله الله (والله أشد بأسا وأشد تنكيلا ـ سنة الله فى الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا) وأقام سعود على تلك الأمواه أيام ، وأطال بها المقام ثم بعد ذلك سار إلى الحساء ونزل عن المبرز شمالا وقد انشرح صدره ونعم بالا ومكث يدبر شؤونا وأحوالا ويعاقب من تبين فيه رعب ، وأبدى خفة عند تلك الأحزاب واعتجالا ويؤنب من نار إلى البحر ويوبخه مقالا ويحثهم على الاجتهاد والاجتماع والمساعدة فى الجهاد والدفاع عند نزول طوارق الفتن وحلول عوارض المحن حتى ينالوا بذلك الدرجة العليا فى الأخرى والدنيا ويحوزوا أسمى المراتب السنية ويفوزوا بأسنى المطالب السمية ، واجتهد بعض أهل الحساء على بعض وصار لهم فى السعاية عنده إسراع وركض . ولم يقفوا عند حدود الله تعالى بالترك والرفض وراموا بذلك إليه تقريبا ووصولا ومنزلة وتمكينا لديه وحصولا ، وجمعوا له فى ذلك الميدان من قبيح

الزور والبهتان جملة وفصولا (ولاتقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا) فدأبوا فى السعاية لديه بالنمائم والكل من أهلها للحظوظ الدنيوية رائم ولم يخشوا عاقبة المآثم ومن هو بخفى حالهم عالم وكاد أن يكون سوقها قائم لولا أن من الله عليه بلطفه فزجر أهل تلك المظالم وأصبح لمناهجها يزيل عنها تلك المعالم ولجميع موادها حاسم ، وينشد قول شاعر عالم :

كذبت مناكم صرحوا أو جمجموا ... الدين أمتن والسجية أكرم

لا زدتمو تضيق صدر لم يضق ... والسمر فى ثغر الصدور تحطم

وزحفتمو بمحالكم لمجرب ... ما زال يثبت للمحال فيهزم

أنى رجوتم غدر من جربتمو ... منه الوفاء وجور من لا يظلم

ونهاهم عن تعاطى تلك الخصلة القبيحة الذميمة والكبيرة التى لا يرضاها فضلا عن كونه يتعاطاها من له مسكة من الدين أو شيمة ، فيالها من كبيرة فى الدين عظيمة لو لم يكن فيها من الإغلاظ والإعظام إلا قوله عليه الصلاة والسلام على سبيل التهديد والتحذير والإعلام لكافة ذوى الدين والإسلام من سائر الأنام « لايشم عرف الجنة نمام » وقول الله تعالى فى الذكر الحكيم (ولاتطع كل حلاف مهين هماز مشاء بنميم) لكفى عن اقترافها وسرعة الهجوم عليها والإقدام ، وقد جاء فيها من الوعيد ما ليس عليه مزيد من صحيح قول الأنام مما لاتحيط به الأفهام ولا تحويه الأرقام وتكل من سرده الأقلام ، ولا يليق باستقصائه هذا المقام .

قال المصنف مهنئا للأمير سعود ولأبيه عبد العزيز فى قدوم سعود الحساء بعد قتل ثوينى بهذه الأبيات :

تلألأ نور الحق وانصدع الفجر ... وديجور ليل الشرك مزقه الظهر

وشمس الأمانى أشرقت فى سعودها ... ولاح بأفق السعد أنجمة الزهر

وجلا ظلام الخطب بيض صنائع ... كأن سناها فى غياهبه بدر

وأسفر وجه الوقت بعد تعبس ... وحالت بصنع الله أحواله الكدر

فأيامه بالأنس بيض شوارق ... تضىء كما أضوى بديجوره فجر

وهبت رياح النصر والفوز والهنا ... فحق لنا منها البشائر والبشر

وروح روح الأنس كل موحد ... ففى قلبه سكر وما مسه خمر

كأنّ به من نشأة اللطف نشوة ترنح منها العطف واستحكم السكر
وغنت بروضات السرور بلابل يرجعن ألحانا يهش لها الصخر
فأصل التهانى دانيات قطوفه وفرع المنى غض وأوراقه خضر
ونادى منادى الحق بالخلق معلنا ألا فليحل الحمد وليعظم الشكر
فما قلب ذى ظهر بفيفا أضله وفاجأه عند التوى ذلك الظهر
بأفرح منا بالبشير وقوله أتى الفتح والإقبال والعز والنصر
أذيق العدا كأس الردى فسما الهدى وشلت يمين الشرك وانقصم الظهر
وفلت جنود المعتدين ومزقت وزال ظلام الشرك وانمحق النكر
فمن حامد منا ومثن وساجد لمولاه شكرا بعد ما انكشف الأمر
لقد أقبلوا والأرض ترجف منهمو وقد أدبروا يقفوهم الذل والصغر
وساروا بأسباب المكائد والردى إلينا فما أغناهم الكيد والجر
وقد زاغت الأبصار واحتنك الفضا علينا كأنّ الأرض مما بنا شبر
فآبوا وقد خابوا وما أدركوا المنى وبادوا وما سادوا وعقباهم الخسر
جنود فساد وابتداع وفتنة يقودهم الإضلال والبغى والفجر
يريدون أن يطفوا مصابيح نوره ويخفوا قويما لا يرام له ستر
أبى الله أن يسمى الضلال على الهدى ويطمس أعلام الحنيفية الكفر
وتعلى البواغى والطواغى وحزبها على عصبة فى الدين شرعهم الذكر
وينسخ آيات الكتاب وحكمه لحون الغنا والعود والطبل والزمر
لقد فلّ عضب الشرك بل ثلّ عرشه وسل حسام الدين واندرس الشر
وحالت مغانيه وأقوت ربوعه وزالت مبانيه فساحته صفر
كأن لم تكن فيه الملاهى مرنة ولم يجتمع للهو فى ساحه سمر
نعى الشرك أحزاب الضلالة بعد ما تغشاهم الإذلال والعار والوزر
وقامت نواعى الرفض يندبن أهله بحرقة قلب فيه من فقدهم جمر
رمى الله أحزاب الضلال كما رمى ذوى الفيل إذ أعياه عن مكة الحصر
أديرت عليهم فى الشباك رحى الردى ودارت كئوس للمنايا ولهم حمر
وحاق بهم ما أضمروا من طوية وخانهم المغوى وحانهم المكر

فهم مئات بالصبيحية اغتدت ... تراوحها الأشبال والذئب والنمر

مرابع فيها للطيور مراتع ... وترقص فيها النسر والحر والصقر

إذا مرها المجتاز يلفى موائدا ... وليس بها إلا كماة العدا جزر

رب طعيس لاطعيس تقشعت ... سحائب رجز بالمنايا لها شر

لقد حق وعد الله واعتز جنده ... فمن كان ذا نذر فقد وجب النذر

تولى إله الخلق نصرة دينه ... فأعلى منار الحق وانشرح الصدر

أرانا بهذا البطش ذو العرش آية ... وذكرى لنا فى ضمنها يظهر البشر

رأى جزعا منا فأبدى انتقامه ... وذكرنا للوعد إذجاءنا الصبر

على أنّ مولانا أبان بصنعه ... لنا أن جند الحق لم يدره الحجر

عيون القضا ليست نياما وسهمه ... مصيب فما يغنى عن القدر الحذر

وحسن الرجا للعبد أقوى وسيلة ... إلى قصده والعسر يتبعه اليسر

تمنى رجال أن ينالوا مناله ... وقد عاهدوا بالبيع أن سامهم سعر

فهم فى انتظار النحب يرجون فوزهم ... وقد سمحوا بالعمر إن حارب الغمر

فمن مبلغ عنى العداة رسالة ... أنيبوا فما يأويكم السهل والوعر

أتيتم إلينا راغمين قطيعة ... فحل بكم بأس وعاجلكم حذر

ورمتم ذرى السمحا وجب سنامها ... وهدم دعامات عليها رسى قصر

وناوأتم الإسلام والله دونه ... وأحزابه والسمر والبيض والبتر

تقاسمتم الأحساء قبل منالها ... فللروم شطر والبوادى لهم شطر

أمانى من أردى العباد بمكره ... وما وعده إلا الأباطيل والغدر

تعستم فهجر دونها خطة البلا ... ودون حماها يقطع الهام والنحر

ومن دونها يوم به يرعف القنا ... وتروى المواضى والمثقفة السمر

بها الأسل كالآجام والأسد حولها ... مثال الرواسى والنجيع به بحر

أنيبوا سراعا قبل أن يهتك الغطا ... ويكشف عن وجه المخدّرة الخدر

أفيقوا فأنتم فى دجى غمرة الردى ... وأبصاركم عمى وفى سمعكم وقر

ألم ينهكم عنى مهيع الغى ما جرى ... ففيه لذى الألباب عن غيهم زجر

ألم يأن أن تأووا إلى معقل الهدى ... فقد جاءت الآيات واستتبع النذر

تبين نهج الحق والرشد للورى ... فليس لمن ينجو سبيل الردى عذر
وقامت على الدين القويم شواهد ... يقصر عن تعدادها الضبط والحصر
فآياته محفوظة عن معارض ... ورايايته لا يستطاع لها كسر
يشيعها التسديد حيث تيممت ... ويتبعها التأييد والنصر والقهر
تشعشع من خمسين عاما ضياؤه ... ولم تبق أرض ليس فيها له ذكر
سقى قبر من أحياه شؤبوب رحمة ... وعم سحاب العفو من ضمه القبر
فقد جاءنا يدعو إلى الدين بعد ما ... عفى رسمه والأرض من نوره قفر
يجادله الأحبار فيما أتى به ... من الحق والبرهان يكشفه السبر
ونوظر حتى ألزم الخصم عجزه ... وصار إليه الفلج والورد والصدر
فعودى بغيا واهتظاما ونصرة ... لملة آباء عليها مضى العمر
وهموا بما لم يدركوا من وقيعة ... فما ناله مما أرادوا به ضر
نفته العدا لما جفته أقارب ... فآلوه بل سواه من خصه البر
فجاهد حتى أطلع الله بدره ... بآل سعود حين شد له الأزر
فهم أنجم المهتدين وصارم ... شباه بهام المعتدين له طر
لقد أحرزوا خصل الفخار وأبرزوا ... من الدين مطويا فلاح له نشر
فأضحت بهجر شرعة الحق غضة ... وضوح نبت الشرك وانقطع البذر
بهدى إمام المسلمين ومهده ... أضاءت نواحيها فأرجاؤها سفر
تهن بهذا الفتح يابن محمد ... فقد تم للدين القويم به فخر
هنيئا لك الفتح الذى فتحت له السـ ... ـموات والفردوس وافتخرت هجر
هنيئا لك الفتح الذى طأطأت له ... جباه الملوك الصيد واتضع الكبر
فهذا هو الفتح الذى بضيائه ... تهلل وجه الدهر وابتسم الثغر
وهذا هو الفتح الذى جل قدره ... فليس بمحص فضله النظم والنثر
فلله فتح طبق الأرض صيته ... وهزت به البلدان وارتعدت مصر

بك الدين ياعبد العزيز مؤيد ... يعززه بالبيض أبناؤك الغر
فراع جناب الحق فى الخلق وارعهم ... بعدل وإحسان لكى يعظم الأجر
وأحسن إليهم واعف عنهم ولا تطع ... بهم قول واش جل مقصوده التبر

يسارع فى سخط الإله تقرّبا … إليك لكى يدنى فينمو له الوفر

ولا تصطفى للنصح إلا مجرّبا … تقيا نقيا ليس فى قلبه وحر

فلا بد من حشر ونشر وموقف … مهول به التقوى تكون هى الذخر

وبالعدل والإحسان والعفو والتقى … ينال الرضى والملك يبقى له الحبر

أثابك مولاك الكرامة فى الجزا … وجادك من هطال سحب الرضى قطر

سعود بهذا الفتح هنيت فليكن … يقابله منك التجاوز والغفر

وإسبال ذيل العدل والصفح والرضى … لجان فان العفو يسمو به الحرّ

أساء الأعادى ظنهم فيك فاعتدوا … وما علموا ماينتج الرأى والفكر

فظنوا سفاها أن حزمك رازم … وعزمك معقول اليمين به حصر

وأنك وان بعد إدلاجك السرى … وحدّك من بعد المضاء به دثر

وقد عرفوا منك الشهامة والدها … ومن بأسك المشهور عندهم الخبر

فأنساهم الشيطان مايعرفونه … ليقطع منهم حيث أغواهم الدبر

وما جحدوا مااستيقنوا منك فى اللقا … ولكنهم من شؤم أعمالهم غرّوا

وما غرهم إلا تأنيك عنهمو … ولم يفهموا أن الأناة لها سرّ

فبرد الوغى مالم يجد نسجه الحجا … ويحكمه التدبير قبل اللقا طمر

وأصل الوغى التدبير والرأى ساقها … وأغصانها صبر وأثمارها نصر

فلبثك عن صدم الأعادى خديعة … ومكر فما يلفى عليك به سحر

وتالله مااخترت المقام على اللقا … لجبن ولكنّ المراد بهم فقر

وما أنت إلا مسعر الحرب إن خبت … وخوّاض حاميها إذا حمى الدهر

بربك أركان الشريعة قد رست … وقوّم منها ماتخلله الصعر

لئن زادت الأحسا بنصرك بهجة … فقد زانت الدنيا بوجهك والعصر

وإن لم تكن زاحفتهم بعد رجفهم … فقد زاحفت عنك المهابة والذعر

وقابلهم بأس الإله ورجزه … وصاح بهم صوت القضاء ألا فروا

فولوا سراعا مدبرين وخلفهم … ليوث شرى من طبعها الفتك والأسر

عصابة توحيد إذا اشتبك القنا … وضاق مجال الخيل وانتفخ السحر

تخوض عباب النقع والموت ناقع … كأنّ حياض الموت عندهمو نهر

أدام لهم ربى بك النصر والهنا كما للعدا منك النكاية والقسر
وأولاك مجدا يحسر الطرف دونه ويقصر عن إدراكه البدو والحضر
ولا زلت فى الدنيا عزيزا مؤيدا لك النقض والإبرام والنهى والأمر
ودونك من خرد القريض خريدة يجل سناها أن يماثله الدر
تحتك وخمر التيه يهصر عطفها عسى أن يرى حسن القبول لها مهر
وأزكى صلاة يبهر البدر حسنها على خير مبعوث به رفع الأصر
كذا الآل والأصحاب ماجادت الصبا على الروض مطلولا فعطرها الزهر

وفيها غزا ربيع بأهل الوادى ومن يرعى فجاج تلك الأرض من سائر البوادى، فسار حتى نزل فى أرض بيشة فأعد عند الجنينة والشقيقة ، وكانتا للمسلمين هناك جنده وجيشه ، فاستمر يغير على أهل تلك البلد والقرايا وينالون منها عظم البلايا ويصبحهم بالغارة كل ساعة وحين ، فليسوا من مقاساة القتال بمستريحين ، فأقاموا على تلك الأحوال مدة يقاسون منه تضييقا وشدة ، فلم يحسن لهم تلك الأيام فى بلدانهم سكنى ولا مقام ، ولا يهنئون بطعام ولا يجدون راحة منام حتى أقبلوا على القسر منهم والإرغام إلى منهج الاستسلام ، فطلبوا الدخول فيه ولا يجوز لأحد أن يبعد من أراد ذلك وينفيه ، فدخل الإسلام كثير من أولئك الأنام ، وعاهد على ذلك كثير من القرى حتى جرى عليهم من الردة ماجرى .

وسبب ذلك : أن غالبا الشريف لما تحقق عنده ماجرى على أهل بيشة تكدر حاله وتنغصت عليه المعيشة فدبر فكرته وحيلته وحقق قصده ووسيلته . فأظهر جيشا كثيرا وجما غفيرا واستمد سائر البوادى ، فكل بالاسراع أجاب ذلك المنادى ، فرأس فيهم الشريف فهيد فخرج بأعظم الكيد وسار حتى نزل على الجنينة وكانت للإسلام سابقة، وتلك القرى بعدها لاحقة ، فدعاهم إلى النزول بالأمان أوقطع تلك البواسق الحسان، فأجابوه لذلك من غير توان وظهروا عليه من ذلك المكان ، فأوقع بهم الخزى والهوان ، وقتل منهم كثيرا من أهلها ممن يدعى الدين وينتسب للموحدين ، وأسر أناسا كثيرة ونهب البلاد وعاينوا أقبح الفساد ، ثم بعد مضى ذلك وانقضائه وصدور قدر الله وقضائه على أولئك العباد وما نالوا من الذل والأنكاد ، سار إلى رنية عاجلا وكان لنيل المآرب منها آملا، فأناخ على النخيل والحلل ورام أن يقطعها على مهل ، وظن

أهلها إليه لايخرجون ، وإذا رأوه يقطعها يزعجون ، ويحنون عليها حنين الثكلى وكفى بذلك تنكيلا ونكالا ، أن لايدركوا منها أكلا ؛ فحين نزل قريبا منها خرجوا إليه سراعا فنحوه عنها وطال بينهم مجال القتال وصبر على البأس أولئك الرجال وطاعنوا دون الحلل والنخيل وليس عندهم سوى الرجا تأميل ، فأمدهم بالنصر والظفر من علم حالهم وأعان فرسانهم ورجالهم وكبت على أعدائهم خذلانهم وإذلالهم بعد ماسول لهم الشيطان وأملى لهم ، فقتلوا منهم مائة رجل ثم انهزم فهيد ومن معه على عجل . وفيها غزا هادى ابن قرملة مع كثير من قومه قحطان وقليل من سائر العربان ، فسار حتى انفلق له ضياء الأمل وتقشع عنه قتام النصب والكسل ، فأبصرت البقوم عيونه فحققت ظنونه ؛ فعند ذلك كسا تلك الأقوام من نقع الغارة قتام ، ودجى عليهم من سنابك الجياد ظلام ، فاشتد الزحام وحانت المضاجع فى الرجام فاجتلدوا لحظة ، وكل أخذ من النجدة حظه ، ثم بعد ذلك انهزم الأعداء وحامت على رءوسهم عقبان الردى ، فولوا على أعقابهم مدبرين وقتل المسلمون منهم نحو الستين وأخذوا منهم كثيرا من الإبل ورجعوا بحسن الأمل .

ثم بعد مضى شهرين عاد عليهم طائف البين ، فأغار عليهم هادى بن قرملة فأدرك منهم فوق ما أمله ، وتلاحمت بعد الغارة فرسان البوادى فكان طالع الإقبال لهادى ، فصدقت أبطاله ونصحت رجاله فحسنت عند ذلك حاله . فانهزم أعداؤه ونجح رجاؤه ، فأخذ من الغنم ألوفا وجرع أربعين رجلا الحتوف ، وأدرك بعض الآبال فنعم له البال . وفيها رأس سليمان باشة بغداد حمود بن ثامر بعد ما قتل الله ثوينى وانهزمت تلك الجيوش والعساكر ، وكتب الله عليهم التمزيق والشتات فتفرقوا أيادى سبا فى الفلاة ولم يكن لهم بعد ظهور البراهين والآيات ، صبر ولا اجتماع ولا التفات ، وظن الباشا سليمان أن تلك الأحزاب والعربان إذ رأس حمودا على البصرة والبلدان تقبل عليه وتجتمع لديه ويكون لهم فى التخريب أمر وشان ، فأرسل إليه النجب والبريد بذلك للترئيس والتأييد مصحوبا بخلعة فاخرة جميلة وصلات وافرة جزيلة ، فترنح عطفه بخمرة الملك ، فاستضاءت رحابه حين انتظم واسطة لذلك السلك ، وأشرق ناديه بعد ذلك الحلك ولم يدر أنه طوّق بأطواق من الشر والهلك .

فلما أدرك الرياسة واحتوى ، وكرع فى مواردها حتى تضلع وارتوى ، وما خطر على باله ما كمن فى ضمنها وانطوى وتسنم كاهل السياسة وارتقى ، واختار من أعوانها

وانتقى وتقلد أعباءها وتطوق وتحلى بحلاها وتحقق أقبل إليه كل من تشتت وتفرق والتأم عليه كل من تقطع وتمزق ، وأسرع لديه كل من خاف من المسلمين وأشفق وكل من صد عن التوحيد والحق ورام للدين وأهله مغالبة وأنه يدرك منهم مطالبه وسيعلم من تكون له العاقبة،وأنها كما نطق به الكتاب المبين من غير شك لعباده المتقين وحزبه المؤمنين وجنده الموحدين .

وفيها غزا من أهل الحساء غزو وأميرهم أبا رجلين مناع ،فلم يكن لهم دون الكويت اقتناع ولا حيلولة ولا دفاع ، فصبحوا تلك البلد بعد حث وإسراع ، فأغار ذلك الجيش على أطراف البلاد بعد ما جعلوا لهم كمينا للجلاد فأخذوا غنما كثيرة وفزع أهل البلاد بجموع غزيرة وعدة عظيمة شهيرة ، فوقع بينهم قتال من بعيد والرمى يصيب فيهم ويجيد وكل من الفئتين ليس له على الثبات من محيد حتى طلع ذلك الكمين المعدود فانهزم أهل البلد وكان لهم إليها ورود وما كان لهم دون ذلك صدود ؛ فملك المسلمون أعقابهم وكانت كؤوس الردى شرابهم وعجل الله تعالى لهم عذابهم فقتل منهم نيفا وعشرين وأخذ ما معهم من سلاح وولى الباقى منهم منهزمين . وفى تلك الغزوة صادف منصور ابن فضيل مع ركب معه من العمائر وهو إذ ذاك للقطيف سائر، فقتل ومن معه وجرع حمامه فجرعه. وفيها أيضا وافق مناع أبا رجلين وغزو أهل الحساء ما جلب لهم السرور والإيناس وهو ركب معهم محمد بن دعاس ، فقتل من معه وخاضت البحر بمحمد بن دعاس فرسه مسرعة فدعا عند ذلك بالأمان لكونه لم يعرفه من المسلمين إنسان ، فأقبل بعد ذلك سريعا ونال ذلا شنيعا فقيد وأسر بعد ما ملك وقهر ثم بعد صدور القضية أتى به مناع أمام المسلمين فى الدرعية فحاول على قتله حجة شرعية وطريقا يبرى ذمته عند رب البرية ، فكأنه حرس الله تعالى من المكروه مهجته وأدام توفيقه ونعمته وبهجته تورع فى المسارعة إلى قتله مع ما صدر من قبيح فعله ، فقد كان وقافا عند الحدود وكان يدرؤها بالشبه كما للنص بذلك ورود ، ولكنه ترك ابن دعاس يعانى هم الأحباس . وفيها أغار مشارى بن عبد الله آل حسين على فريق من زعب فقرب الله تعالى له الهلاك والحين وكان غازيا من الكويت مع أهل عشرين مطية وبعض من الخيل، فلم يدرك إلا الرزية ومفاجأة الحمام والمنية معاقبة لأفعاله الردية وشؤم صنعه فى البرية ونفوته عن التوحيد وموالاته لكل شيطان مريد وبذل جده فى مصادمة

الحق والهدى ومساعدته لأهل الضلال والردى وقيامه مع من تعدى وجار من سائر طوائف الفساق والفجار (ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار) . وفيها أرسل كثير ممن حول مكة من البدو إلى عبد العزيز يطلبون منه الإسلام والأمان وجعلوا بينهم الواسطة حمود بن ربيعان ، فأجابهم إلى ذلك الإمام وشرط عليهم النكال فالتزمه أولئك الأنام وجعل على كل بيت شيئا من الدراهم وعلى كل سلف ركابا وسلاحا وخيلا جيادا كرائم لكونهم قد نزعوا حلية الدين ونزغوا إلى طريق المبطلين ، وكان التنكيل بالمال مما لا خفاء في جوازه ولا إشكال والمعاقبة بذلك جائزة واردة والنصوص عليه شاهدة ولا عبرة بمن كانت بصيرته جامدة وفكرته لذلك جاحدة ، وكانت هذه سنة عبد العزيز حرسه الله فيمن عدل عن الحق والمنهاج وركب طريق الزيغ والاعوجاج ، فراض على ذلك الاشتراط من كان له بالمسلمين ارتباط ، وفي الإسلام رغبة واغتباط وهم كثير من أولئك العربان وأعظمهم كثرة فرقان العتبان ، ولم يبق ممن يسيم مواشى الآبال في تلك الشعاب والتلال سوى البقوم من أهل الضلال ، فشق ذلك على غالب وكان عليه من أعظم المصائب ، وهمه ذلك وأقلقه ، وأزعجه ما جرى وأرهقه وأحزنه ما صدر من حالهم ودخولهم في الإسلام بعد ضلالهم وتحقق أن ذلك عليه داء عضال وأنهم يجرون عليه الهوان والإذلال ، فلم يلف بعد معاودة الفكر والبال طريقا إلى التوصل في بقائهم عنده على تلك الحال إلا الخروج والاستعداد للقتال ومصادمة الأعراب والبوادى ومكابرتهم بالجيوش والعوادى ، فعند ذلك شمر في الأمر وسعى ونادى على الاغاثة ودعا وأقبل إليه أحزابه شيعا وخرجوا معه تبعا ، فجد في وجهته مسرعا فوافى عيونا لابن قرملة فأخذهم وتهددهم حتى دلوه على ما أراده وأمله ، فلم يشعر هادى إلا بغالب عليه عادى وتطاعنت الفرسان ولم يحضر من فرسان قحطان سوى ثلاثة عشر فارسا من الشجعان ، فحمى بينهم سعير الوغى ولم يكن دون الجلاد مبتغى ، فقتل من قوم الشريف خمسة أفراس ، وأقام ابن قرملة معهم في غاية الجلاد والمراس ، وهزم أكثر الإبل ، فلم يدرك منها غالب غاية الأمل ، وأخذمنها بعضا في ذلك المجال وأخذ كثيرا من بعير الظهر ذى الأثقال ، ثم حصل بينهم المفارقة والانفصال .

ثم بعد ذلك عمد هادى ومن معه إلى رنية وأقام غالب على ماء القنصلية ، ثم سار

وانتقى وتقلد أعباءها وتطوق وتحلى بحلاها وتحقق أقبل إليه كل من تشتت وتفرق والتأم عليه كل من تقطع وتمزق ، وأسرع لديه كل من خاف من المسلمين وأشفق وكل من صد عن التوحيد والحق ورام للدين وأهله مغالبة وأنه يدرك منهم مطالبه وسيعلم من تكون له العاقبة،وأنها كما نطق به الكتاب المبين من غير شك لعباده المتقين وحزبه المؤمنين وجنده الموحدين .

وفيها غزا من أهل الحساء غزو وأميرهم أبا رجلين مناع ،فلم يكن لهم دون الكويت اقتناع ولا حيلولة ولا دفاع ، فصبحوا تلك البلد بعد حث وإسراع ، فأغار ذلك الجيش على أطراف البلاد بعد ما جعلوا لهم كمينا للجلاد فأخذوا غنما كثيرة وفزع أهل البلاد بجموع غزيرة وعدة عظيمة شهيرة ، فوقع بينهم قتال من بعيد والرمى يصيب فيهم ويحيد وكل من الفئتين ليس له على الثبات من محيد حتى طلع ذلك الكمين المعدود فانهزم أهل البلد وكان لهم إليها ورود وما كان لهم دون ذلك صدود ؛ فملك المسلمون أعقابهم وكانت كؤوس الردى شرابهم وعجل الله تعالى لهم عذابهم فقتل منهم نيفا وعشرين وأخذ ما معهم من سلاح وولى الباقى منهم منهزمين . وفى تلك الغزوة صادف منصور ابن فضيل مع ركب معه من العمائر وهو إذ ذاك للقطيف سائر، فقتل ومن معه وجرع حمامه بجرعه. وفيها أيضا وافق مناع أبا رجلين وغزو أهل الحساء ما جلب لهم السرور والإيناس وهو ركب معهم محمد بن دعماس ، فقتل من معه وخاضت البحر بمحمد بن دعماس فرسه مسرعة فدعا عند ذلك بالأمان لكونه لم يعرفه من المسلمين إنسان ، فأقبل بعد ذلك سريعا ونال ذلا شنيعا فقيد وأسر بعد ما ملك وقهر ثم بعد صدور القضية أتى به مناع أمام المسلمين فى الدرعية فحاول على قتله حجة شرعية وطريقا يبرى ذمته عند رب البرية ، فكأنه حرس الله تعالى من المكروه مهجته وأدام توفيقه ونعمته وبهجته تورع فى المسارعة إلى قتله مع ما صدر من قبيح فعله ، فقد كان وقافا عند الحدود وكان يدرؤها بالشبه كما للنص بذلك ورود ، ولكنه ترك ابن دعماس يعانى هم الأحباس. وفيها أغار مشارى بن عبد الله آل حسين على فريق من زعب فقرب الله تعالى له الهلاك والحين وكان غازيا من الكويت مع أهل عشرين مطية وبعض من الخيل، فلم يدرك إلا الرزية ومفاجأة الحمام والمنية معاقبة لأفعاله الردية وشؤم صنعه فى البرية ونفوته عن التوحيد وموالاته لكل شيطان مريد وبذل جده فى مصادمة

الحق والهدى ومساعدته لأهل الضلال والردى وقيامه مع من تعدى وجار من سائر طوائف الفساق والفجار (ولاتحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار) . وفيها أرسل كثير ممن حول مكة من البدو إلى عبد العزيز يطلبون منه الإسلام والأمان وجعلوا بينهم الواسطة حمود بن ربيعان ، فأجابهم إلى ذلك الإمام وشرط عليهم النكال فالتزمه أولئك الأنام وجعل على كل بيت شيئا من الدراهم وعلى كل سلف ركابا وسلاحا وخيلا جيادا كرائم لكونهم قد نزعوا حلية الدين ونزغوا إلى طريق المبطلين ، وكان التنكيل بالمال مما لاخفاء فى جوازه ولا إشكال والمعاقبة بذلك جائزة واردة والنصوص عليه شاهدة ولا عبرة بمن كانت بصيرته جامدة وفكرته لذلك جاحدة ، وكانت هذه سنة عبد العزيز حرسه الله فيمن عدل عن الحق والمنهاج وركب طريق الزيغ والاعوجاج ، فراض على ذلك الاشتراط من كان له بالمسلمين ارتباط ، وفى الإسلام رغبة واغتباط وهم كثير من أولئك العربان وأعظمهم كثرة فرقان العتيبان ، ولم يبق ممن يسيم مواشى الآبال فى تلك الشعاب والتلال سوى البقوم من أهل الضلال ، فشق ذلك على غالب وكان عليه من أعظم المصائب ، وهمه ذلك وأقلقه ، وأزعجه ما جرى وأرهقه وأحزنه ما صدر من حالهم ودخولهم فى الإسلام بعد ضلالهم وتحقق أن ذلك عليه داء عضال وأنهم يجرون عليه الهوان والإذلال ، فلم يلف بعد معاودة الفكر والبال طريقا إلى التوصل فى بقائهم عنده على تلك الحال إلا الخروج والاستعداد للقتال ومصادمة الأعراب والبوادى ومكابرتهم بالجيوش والعوادى ، فعند ذلك شمر فى الأمر وسعى ونادى على الاغاثة ودعا وأقبل إليه أحزابه شيعا وخرجوا معه تبعا ، فجد فى وجهته مسرعا فوافى عيونا لابن قرملة فأخذهم وتهددهم حتى دلوه على ما أراده وأمله ، فلم يشعر هادى إلا بغالب عليه عادى وتطاعنت الفرسان ولم يحضر من فرسان قحطان سوى ثلاثة عشر فارسا من الشجعان ، فحمى بينهم سعير الوغى ولم يكن دون الجلاد مبتغى ، فقتل من قوم الشريف خمسة أفراس ، وأقام ابن قرملة معهم فى غاية الجلاد والمراس ، وهزم أكثر الإبل ، فلم يدرك منها غالب غاية الأمل ، وأخذمنها بعضا فى ذلك المجال وأخذ كثيرا من بعير الظهر ذى الأثقال ، ثم حصل بينهم المفارقة والانفصال .

ثم بعد ذلك عمد هادى ومن معه إلى رنية وأقام غالب على ماء القنصلية ، ثم سار

إلى رنية من غير ونية فنزل عليها ليالى وأيام ، وحاصر من فيها من الأنام ممن دان للإسلام ، وحاول نزول أهلها بلين الكلام ورغبهم فى نبذ العهد والذمام ، فلم يفز منهم بسول ولامرام ، فأخذ يقطع النخيل وزين له الشيطان أنه يفوز بتأميل ، فعند ذلك أسرع أهل البلاد إليه وصمموا فى البيعة عليه ، فالتقوا ذلك اليوم وحمى القتال بين القوم وقتل بينهم رجال ثم وقع التفرق والانفصال وأقام على تلك الحال أياما وليال، ثم أراد الله تعالى ذله وهوانه وخزيه وأعوانه . وذلك أنه فى بعض تلك المواطن وأهل البلاد يقاتلونه فى بعض الأماكن، ونار الوطيس بينهم حامية وعيون الجراح منهم دامية عدا عليهم ابن قرملة مع أناس من جماعته فوقع بينهم قتال وقتل كثير من أحزاب الشريف فى ساعته ، وكان جميع من قتل من قومه قبل ذلك اليوم وفى يومه مائة وزيادة فانصرف ولم ينل منها مراده ولم يرد تعالى إسعاده ، بل سلب منه مدده وإمداده ولما أتى الخبر عبد العزيز بما صدر من غالب الشريف أرسل إلى حجيلان أن يسير مع أهل القصيم حتى يتم لابن قرملة المطالب ويسلك معه ماأراد من المذاهب ويعينه على ذلك العدو المحارب ، وكان سعود بلغه الله المقصود إذ ذاك مقيما بالأجردى ، يريد أن يغزو أهل الشمال ويعتدى ، فأتاه الخبر اليقين بما صار من المعتدين وحزب غالب المسرفين ،فأرسل ربيعا أمير الوادى مع جمع من المسلمين ممن كانوا معه مجتمعين وللغزو فى تلك الأيام مريدين فأمرهم أن يعجلوا المسير ويساعدوا ابن قرملة حتى يحصل بهم له الفرج والتيسير ويشمروا ساعد الهمة والعزمة أتم التشمير،فساروا منه وهو فى ذلك المكان ، فصار ولله الحمد له شان ولهم شان وحصل لكل منهم بهجة وسرور وانتصار واستعلاء وتمكين من الكفار ، فقصد سعود السهى وجعله أمامه،وقصد ربيع ومن معه أهل تهامة فنال كل من المسلمين مرامه وأدرك العز والكرامة وبعد ماصار من غالب تلك الأفعال جر من الفخر الأذيال ، فشمر إلى بيشة سائرا وعلى من بها من المسلمين غائرا ولمن له فيها من الجماعة معينا وناصرا، فرجعه الله تعالى ذليلا خاسرا مهانا مشتتا ولله الحمد عاثرا ، وذلك أنه لما أتى إليها وأناخ بجمعه عليها هرب من فيها من المسلمين ولم يكونوا فى تلك البلدان مقيمين وقد هاجر قبل قدومه إليهم ووفوده عليهم ناس من أهل بيشة كثيرة كان لهم فى الدين بعض بصيرة فتفرقوا فى رنية والوادى وكان الله تعالى لهم مرشدا وهادى . وحملهم على الهجرة والهرب والفرار عن المسكن

الذى هو للنفوس مطلب سبب هو أعظم السبب . وذلك أن غالب تلك البلاد يرغبون فى منهج الغى والفساد وأنهم أنفوا من أهل الدين وكانوا لعداوتهم مضمرين ، وتبين وظهر وتحقق واشتهر أنهم أرسلوا إلى غالب الشريف يأتى إليهم بلا توقف ولاتوقيف ، ويقتل من دان بالتوحيد حتى يرجف غيرهم ويخيف ، فأتاهم سريعا لذلك الحال فأقام عندهم أياما وليال يرتب ما أراد من الأحوال . ثم لما عزم على المسير والارتحال أخذ أناسا معه فى الاعتقال وقادهم معه فى السلاسل والأغلال فشمر عن ساعد المسير لما يريده من الحزم والعزم والتدبير ، فنال أعظم الهلاك والإذلال والتدمير ، فالحمد لله العلى الكبير وذلك أنه أسرع فى تسياره يريد قضاء بعض أوطاره حتى يرجع متبجحا عند رعيته وأنصاره ويدخل متبخترا بحضرة بلده وأهل داره ، فنزل على قرية يقال لها الخرمة وفيها سكن قليل من الناس مسلمة ، فلما علموا بقدومه لتلك القرية هربوا وندوا وطلبوا النجاة لأنفسهم وشدوا فتعلقوا البدوان وساروا مع العربان ، فساعة أناخ بها ركابه ومد بها أطنابه وقر له بها القرار أشعل فى تلك القرية النار وعجل الله لها بالدمار ، وكانت عقباه فى يومه ذلك البوار وأظهر الملك القهار والمنتقم الجبار فيه للمسلمين آية الانتصار وعلما من أعلام الأقدار وبرهانا على الوحدانية لايعرف له مقدار ولايحاط بكنهه فى الفكر والاعتبار ، يجل عن القيام بحق حمده وشكره وتقصر الألسنة عن الثناء عليه وذكره ، فمواهبه سبحانه لأهل الدين وفواضله على كافة الخلق أجمعين ونصرته لعباده المؤمنين وإعزازه لاوليائه المفلحين ، ودفعه عنهم صروف الحادثات والنوب وتفريجه عنهم الشدائد والكرب أكثر من أن يعد ويحصر وأشهر من أن يحصى ويذكر ، ولكن أين الألباب التى تعى ذلك وتفهم وتخلص التوحيد وتسلم وتحزن على ماجرى منها وتندم وتذكر ذلك الضلال الأعظم والغى الأقبح الأقدم فى ذلك الزمان الذى مضى وتقدم .

فنسأله أن يوزعنا شكر نعمائه ويوالى علينا فيض بره وآلائه وأن يصرف عنا مضلات فتنه وابتلائه ويحقق لنا سؤلنا ومأمولنا فى حسن رجائه .

وتحقيق الحديث والخبر عما جرى على غالب وجنده ممن شاهد الأمر وحضر ، أنه لما نزل بذلك المكان والمحل وفعل بالأحراق له مافعل لم يكمل له أنس ولم تغب له فيه شمس حتى دهاه فيها ماأزهق الروح والنفس . وذلك أنه لما عمد إلى ذلك المكان وسار لقصد ذلك الشان

أتى خبره ربيعا أمير الوادي وابن قرملة أمير قحطان فاستعانوا بالرحيم الرحمن في الغزو عليه بأثره حتى ينالوا بذلك الثواب من الله والإحسان ويوقعوا به بعض الذل والهوان، ولم يقع في روعهم أنهم لجنده منازلون ولجيشه مصابرون ومقاتلون ولكن كما قال تعالى (وإن جندنا لهم الغالبون) فجدوا السير بأثره يطالبون ولبعض النصرة عليه من مولاهم مؤملون ، فلم يفجؤهم إلا وفرسانهم عليه مشرفون وذكر له أن هؤلاء ربيعا وهادي وقومهم متبعون ، فركض برجله الأرض وخص وقال الآن افترس الضرغام واقتنص ولكن لا تروم السنانير الأشبال ولا يروم السرحان على الرئبال ولا تحوم بغاث الطيور على العقبان والنسور ، أيحاكي طنين الذباب زئير ليث الغاب ولئن حكت صولة الأسود في الانتفاض الهررة والقرود ، فلا تناظرها في البأس والورود والإقدام والنهود :

ومن رام في الهيجا لقاء جحافلي وخوض لظى بأسي بيوم التنازل

فقد ضل في قفر السفاهة والردى وألقى في قعر الظنون السوافل

وأضحى ينادي بالحماقة جهرة ويرفل في ثوب من الجهل نافل

أنسمو إلى مجدي وذروة مفخري جميع الورى أو يدركون منازلي

مجاز تمنى دون ذلك مناله فأين الثريا من يد المتناول

أمان كلمع الآل لم يرو صاديا ويحسبه الظمآن عذب المناهل

لقد عدمتني الكمت يوم مجالها ولا وسطت بي الجمع يوم التناضل

ولا أروت الأسل الظما

هذا آخر ما وجد من التاريخ والحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا .

بسم الله الرحمن الرحيم

{ بلغ مقابلته على عدة نسخ وقد صححناها على نسخة مقروءة على حجة نجد الشيخ الثبت صاحب الفضيلة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمه الله ومتع المسلمين }
بمؤلفاته ونفعهم بإفاداته آمين .

الناشر

عبد المحسن أبا بطين ٢٠ / ٥ / ١٣٦٨

فهرس

الجزء الثانى من تاريخ نجد

المسمى : روضة الأفكار والأفهام

الصفحة	الموضـوع
٧٥	الحوادث التى حدثت فى السنة الثمانين بعد المائة والألف .
٧٦	» » » » » الحادية والثمانين » » » .
٧٧	» » » » » الثانية » » » » .
٧٨	» » » » » الثالثة » » » » .
٨٠	» » » » » الرابعة » » » » .
٨٠	» » » » » الخامسة » » » » .
٨٢	» » » » » السادسة » » » » .
٨٣	» » » » » السابعة » » » » .
٨٦	خاتمة يحتاج لها كل طالب وتتشوق إليها نفس كل راغب : فى التوحيد وفى قصيدة قالها المصنف .
٨٨	الحوادث التى حدثت فى السنة الثامنة والثمانين بعد المائة والألف .
٩٠	» » » » » التاسعة » » » » .
٩٥	» » » » » التسعين » » » .
٩٩	» » » » » الحادية والتسعين » » » .
١٠٢	» » » » » الثانية » » » » .
١٠٣	» » » » » الثالثة » » » » .
١٠٦	» » » » » الرابعة » » » » .
١٠٧	» » » » » الخامسة » » » » .
١١١	» » » » » السادسة » » » » .
١١٨	» » » » » السابعة » » » » .
١٢٠	» » » » » الثامنة » » » » .
١٢١	» » » » » التاسعة » » » » .

شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر